مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٥١)

العـــراق من الاحتلال إلى التحريـر

(طبعة موسّعة من «مستقبل العراق»)

الدكتور خير الدين حسيب

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٥١)

العراق
من الاحتلال إلى التحرير

(طبعة موسّعة من «مستقبل العراق»)

الدكتور خير الدين حسيب

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

حسيب، خير الدين

العراق: من الاحتلال إلى التحرير/ خير الدين حسيب.
٤٨٧ ص. - (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٥١)
على صفحة الغلاف: طبعة موسّعة من «مستقبل العراق».
يشتمل على فهرس.
ISBN 9953-82-095-3

١. الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق (٢٠٠٣). ٢. المقاومة العراقية.
٣. القومية العربية. ٤. العراق - الظروف السياسية. أ. العنوان. ب. السلسلة.
956.70443

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» - بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦

المحتويـــــــات

مقدمـــــــة

أعترف، ابتداءً، بعُسْر الحديث حديثَ حيادٍ عن رجل مثل الدكتور خير الدين حسيب. ما جمعني به ويجمعني يختصر الكثير من مسافات الرؤية ويضع رؤيتي قريباً منه. لن أقدم شهادة عنه لأنه في غير حاجة إلى مَنْ يشهد له؛ ولن أزعم أني أملك امتياز القُرب منه ما يشهد لشهادتي بَعَدْلِهَا، أو ما يمنحها حقاً في أن تبوح بروايةٍ قد لا تكون عناصُرها في حوزة غيري، أو في حوزة بعضٍ ممَّن يقاسمونني الصلةَ نفسَها به. أبْغِي فقط أن أدوِّن رأياً في ما يقوله الرجل في هذا الكتاب: مُطِلاً، من خلال مَقُولِهِ، على شخصيةٍ تدعو إلى الإعجاب بما ملَكتْ من نادر الخصال عسى الإطلالة تلك تضيءُ جوانبَ مما قد لا يَتَبَيَّنها قارئُ هذه النصوص. إنها ليست سيرةً، ولا تقديماً، لرجُلٍ تستعصي على مقدمةِ كتابٍ كتابةُ سيرته أو اختصارُ تجربته في صفحاتٍ معدودات؛ هي ـ بالأحرى ـ محاولةٌ لإضاءة الشخصيّ في أفكار د. خير الدين حسيب ومواقفه؛ أي في بَيَان الخلفية السياسية والأخلاقية والنفسية التي منها تستمد تلك الأفكار حرارتَهَا وجرأتَهَا.

ـ ١ ـ

لهذه النصوص ـ التي يحتويها الكتاب ـ أكثرُ من قيمةٍ تبرّر قراءَتها. **أولاها** أهمية الخطاب الذي تحمله **من موقع وطني عراقي**. خطاب يلتزم قضية الوطن، ويلتزم خيار التعبير الشجاع عن الموقف الوطني منها في لحظة حرجة ومفصلية من تاريخ العراق الحديث: لحظة امتدت تأثيراتُها عميقاً في نسيجَ المجتمع العراقي، وتضع اليوم مصيره الوطني أمام امتحان تاريخي عسير. لكن هذا الخطاب ليس سياسياً بالمعنى الحرفي لأن صاحبه يأبى له أن يكون كذلك، بل يأبى أن ترتبط الصفة (السياسية) بدوره كرجل آثَر أن يبتعد عنها في لحظة معلومة:

بعد خروجه من السجن بأربع سنوات، نُصِحَ د. خير الدين حسيب بمغادرة

العراق لأن ثمة من ضاقت صدورهم بوجوده فيه. كان صدام حسين: نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، حينَها، مَن قدَّم النصيحة. وحين غادر بغداد، قطع على نفسه عهداً بأن لا يمارس أيّ عملٍ حزبي أو يتقلد منصباً في السلطة، وأن يتفرغ للعمل العلمي. وظل وفياً لما عاهدَ نفسَه عليه حين أسَّس: بمعيَّة جمع من رفاقه، **مركز دراسات الوحدة العربية**[1] مِلتزماً الأخلاق الأكاديمية في رؤية قَضايا الأمة، وحين أسَّس **المؤتمر القومي العربي**[2] ـ وكان أوّل أمين عام له ـ دافعاً به بعيداً عن التمثيل الحزبي أو عن التطلع إلى الصيرورة تجمعاً حزبياً جديداً. وإذ يعبّر ـ في هذا الكتاب ـ عمّا عبَّر عنه من آراء سياسية، فليس يَبْرَحُ الموقعَ الذي اختاره لنفسه منذ ثلاثين عاماً. سيقال: أليس في ذلك دليل على أنه عاد إلى العمل السياسي من جديد؟ الجواب بالنفي قطعاً، فما كل قولٍ في السياسة سياسيّ، وما كل قولٍ سياسيّ حزبيٌّ أو قرينةٌ على شكلٍ من الانخراط في العمل السياسيّ. لِنَقُل إذاً إنه **موقف وطني**، وهذا ليس شأناً مخصوصاً لأهل السياسة والعمل السياسي من دون سواهم، فهو حقّ مشاع لسائر المواطنين، وبخاصة حين تتهدد الوطن نائبة من النوائب.

ولقد تهددت العراق نائبة كبرى، بل وقعت عليه وقْع الطامة الشديدة، منذ العدوان الأمريكي ـ الأطلسي عليه في العام ١٩٩١ وحتى احتلال حاضرة دولته بغداد في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. لم يكن تفصيلاً ما جرى للعراق في امتداد جرائم الحصار والحرب والاحتلال. دُمِّرت مكتسباته الصناعية والعلمية والاقتصادية، وقُتِل ما يربو على المليونين من أبنائه، وأُبِيدَتْ بيئتُه وشروط الحياة فيه لأجيال قادمة، وانتُهبت ثرواتُه، واستُبيحَت سيادتُه، وفُكِّكَتْ دولتُه، ومُزِّق نسيجُه الاجتماعي، وبات مصيره الوطني قاب قوسين أو أدنى من السقوط. وإذا كان د. حسيب قد جَهَر بموقفه الوطني من كل هذه المسائل جهراً قد يظنُّه بعضٌ في باب السياسة والصراع والتنافس، فجهْرُه به إنما كان من باب الواجب الوطني الذي هو فرض عين على كل مواطن عراقي يتعرض مصير وطنه للتبديد، فكيف إذا كان القائمَ به رجلٌ مثل خير الدين حسيب، وهو مَن هو في تاريخ العراق المعاصر.

سببٌ **ثانٍ** يبرر قولَ د. حسيب ما قاله في هذا الكتاب يضاف إلى حقه الشخصي كمواطن وإلى واجبه الوطني كعراقي هو: **حق العراقيين عليه** في أن يعرفوا رأيه في مسائل كبرى تتعلق بالمصير الوطني. هو حقٌّ لهم عليه لأنه ليس مجرَّد أكاديمي ورجل

---

(١) تأسس في آذار/ مارس ١٩٧٥.

(٢) انعقدت دورته الأولى في تونس العاصمة في آذار/ مارس ١٩٩٠.

دولة تَقَلَّد يوماً مهمات حساسة في التخطيط وإدارة الاقتصاد الوطني[٣] فحسب، بل هو ـ فضلاً عن ذلك ـ واحد من رجالات الحركة الوطنية العراقية الكبار في العقود الأربعة الأخيرة يحظى باحترام كبير لدى قطاعات واسعة من المجتمع العراقي، ورأيُه ـ لذلك السبب ـ موضع انتباهٍ وعناية. إن تجربته في العمل السياسي في الستينيات، كناصري، من خلال «الحركة الاشتراكية العربية»، ثم من خلال حزب «الطليعة العربية» الذي أسسه الرئيس جمال عبد الناصر ـ وكان في جملة من أسَّسوا فرعه في العراق، ثم مسؤولاً عنه ـ وعلاقته بالتيار القومي الذي سيطر في السلطة في العراق منذ العام ١٩٦٣، ثم علاقته المباشرة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ومعارضتَه لانفراد «حزب البعث» بالسلطة بعد ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨، واهتمامَ الرئيس صدام حسين ـ على ما بينهما من تباينات في الموقف ـ بمعرفة رأيه في الشؤون العراقية والقومية، وسَعْيَه في جَسْر الاختلاف بين العراق وسورية (إبان حكم الرئيس الراحل حافظ الأسد)...، كانت جميعُها سبباً في طلبٍ عراقيّ متزايد على رأيه في سنوات العراق الحرجة، وفي ظروف عزَّت فيها الشخصيات الوطنية التي يمكن الاطمئنان إلى رأيها وموقفها في الظُّلْمَة الظلماء. وعندي أن رجلاً بهذه الخلفية الوطنية، وبهذا الغنى في التجربة السياسية والقومية، لا يستطيع أن يُمْسِك عن الحديث في شأن الوطن لمجرد أنه آلَ على نفسه يوماً أن يمتنع عن ممارسة النشاط السياسي، فنداء الوطن عميق، ولا يمكن دَفْعُه.

* * *

نُظِر إلى د. خير الدين حسيب، منذ صيف العام ١٩٦٨، كمعارض لنظام «حزب البعث» في العراق. وليس مردّ هذه الصورة التي تكونت عنه ـ وهي صحيحة ـ إلى كونه انتمى إلى تيار ناصري في العراق ـ وكان من مؤسسيه ـ في وقت تَنَازَعَ فيه الناصريون والبعثيون التمثيل القومي في البلاد؛ ولا إلى كونه تأذّى من نظام «حزب البعث» وكان من أوائل المعتقلين السياسيين القوميين الذين دخلوا سجونَه بعد تصفية «البعث» جناح عبد الرزاق النايف في السلطة يوم ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨؛ وإنما مردّ معارضته إلى جنوح «البعث» للانفراد بالسلطة وتصفية القوى السياسية الأخرى. وحتى حينما قامت بين «حزب البعث» وبعضِ الأحزاب العراقية الأخرى

---

(٣) من المناصب التي شغلها الدكتور خير الدين حسيب في العراق: مدير عام اتحاد الصناعات العراقية، ومحافظ البنك المركزي العراقي، ورئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة، ورئيس المؤسسة العامة للمصارف، وعضو مجلس إدارة شركة النفط الوطنية، ناهيك بمهنته كأستاذ في قسم الاقتصاد في جامعة بغداد.

جبهة، لم يكن خير الدين مقتنعاً بأن شراكةً سياسيةً جديدة تقوم في العراق، أو أن انفتاحاً سياسيّاً حقيقيّاً على الأحزاب يأخذ طريقه نحو التحقق، وما كان يرى فيها أكثر من غطاءٍ سياسي داخلي لسلطة حزب واحد.

لقد تعرَّض الرجل لمحنة شخصية شديدة الوطأة على نفسه وبدنه، هي اعتقاله على يد مَن لم يكن يتوقع أن تمتد أيديهم إليه. كان قد اختفى مباشرة بعد قيام سلطة ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨، لِعِلْمِهِ أن حياته في خطر من بَأس وجوهها المعلنَة مثل عبد الرزاق النايف. وكان يعرف أن «حزب البعث» شريك في عملية التغيير، ولذلك لم يلبث أن خرج من سريته ما إن بَلَغَه أن البعثيين أقصوا شركاءَهم في السلطة وتسلَّموا زمام الأمور في الثلاثين من تموز/ يوليو ١٩٦٨. كان مطمئناً إلى قرار عودته إلى حياته الطبيعية على خلفية أن لا شيء بينه وبين «حزب البعث» يدعوهُ إلى القلق على حياته أو الخوف من المساس بحريته. لكنه ما أصاب التقدير، أو قل ما قدَّرَ أن صدر النظام الجديد ضيّق من معارضيه وحتى من حلفائه المُفْتَرَضين. وهكذا كان على خير الدين أن يعيش - في أول عهد الرئيس أحمد حسن البكر - تجربة اعتقالٍ قادته إلى «قصر النهاية»: المعتقل الشهير الذي تقشعر له الأبدان عند الذكر، وإلى سجونٍ أخرى «حَلَّ ضيفاً» عليها. وأصابه الكثير في نفسه من هذه التجربة: من التعذيب الذي تعرَّض له بدناً ونفساً؛ من ألم وهو يشاهِد كيف يُكَافَأ قوميون عرب من قوميين عرب؛ من خوفٍ على مستقبل الحياة السياسية في العراق؛ من حسرة على ما تعرَّض له رفاقُه في السجن من صنوف الامتهان لآدميتهم. ولم يَحظَ باستعادة حريته إلا بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠، وكأن سجّانيه اطمأنوا إلى أن «شبح» الناصرية زال عن سلطانهم!

مع ذلك، قرّر الرجل أن يتعالى على جراحه الشخصية، فآثر رياضَةَ النفس على الترفُّع لتَخْلِيَتِهَا من الحقد وتَحلِيَتَها بالصَّفح والتسامح. وحين تَاجَر مَن تاجروا بمعارضتهم النظام - وفيهم مَن لم يتلَقَّ صفعةً واحدة من شرطيّ مرور في بغداد - آثر الرجل أن يعيد قراءةَ خيارِه المعارض على نحوٍ مختلف. ويكاد يكون د. حسيب من قلةٍ قليلة لم تَذْهَلْ عن مَحَجَّةِ العقل ولم تُضِعْ بوصلَةَ النظر بعين التمييز بين النظام والوطن. وهكذا حينما كان «معارضون» كثر يَعْمَهُون في إسقاط الفروق والفواصل بين الوطن والنظام، اعتصم خير الدين بحبل الوطن وما بدَّل تبديلاً.

على أنه في عزّ تسليمه بأن نظام صدام حسين دافع عن العراق طيلة سنوات الحصار، وجرّب طويلاً أن يتفادى الحرب، وأن يُسْقِط الذرائع، وأن يصحّح نظرته إلى المجتمع الدولي والنظام العربي من المقاطعة إلى التعامل الإيجابي، وبأن هذا النظام ظل متمسكاً بموقف ثابت من القضية الفلسطينية ولم يساوم عليها في أحلك ظروف

الضغط والابتزاز؛ ومع تسليمه بأن شعار إسقاط صدام حسين ليس إلا اسماً حركياً لاحتلال العراق وإسقاط الدولة العراقية، وأن صمود العراق في مواجهة مخاطر الغزو والاحتلال يقتضي صمود النظام في وجه الحصار والضربات العسكرية المتتالية والحظر الجوي في الشمال والجنوب. . .، مع تسليمه بذلك، لم يساوم د. حسيب يوماً على حق العراقيين في الحرية والديمقراطية حتى تحت الحصار والضغط الإمبريالي. ويشهد كاتب هذه السطور أن الرجل كان حريصاً في كل دورات المؤتمر القومي العربي، منذ الدورة الثانية في عمان (نيسان/ أبريل ١٩٩١)، على التشديد على موضوع الديمقراطية في العراق. وحتى حينما كانت بيانات المؤتمر، وبيانات أمانته العامة، تُكَرِّسُ الحيّز الأوفر من الفقرات الخاصة بالعراق لإدانة الحصار والعدوان ومن يقوم بهما ومن يقدّم التسهيلات لهما، وتُعلن التضامن اللامشروط مع الشعب العراقي في مواجهة محنته، كان د. حسيب يتدخل للتشديد على وجوب النَّصِّ على دعوة الحكومة العراقية إلى احترام حقوق الإنسان وإطلاق الحريات العامة: حرية الصحافة وحرية تشكيل الأحزاب، وفتح حوار وطني داخلي لتحصين العراق في وجه التهديد الأجنبي. وكان يردّد دائماً بأن الديمقراطية رصيدٌ استراتيجي في تماسك العراق ضد العدوان. وقد يكون من باب إفشاء الأسرار أن آخر لقاءٍ له مع الرئيس صدام حسين، بضعة أشهر قبل الغزو[٤]، وفي مقابلة بينهما على انفراد وغير معلنة، فَاتَحَ د. حسيب صدّاماً في أمر الحاجة إلى الإقدام على إصدار عفو عام والإقدام على انفتاح سياسي في العراق يتضمن إرساء الديمقراطية والتعددية السياسية وإعادة النظر في النظام السياسي القائم آنذاك. ولعله وحده كان يقوى على ذلك واثقاً مّما يؤمن به خلاصاً لوطنه، ومطمئناً لإدراك الرئيس العراقي بأن الرجل يقول ما يقوله حرصاً على ذلك الوطن.

لكن خير الدين حسيب الذي عارض النظام، وجرى إيراد اسمه في يوم من أيام العام ١٩٨٦، ضمن مشاورات إقليمية على هامش الحرب العراقية ـ الإيرانية، كمرشح لرئاسة الجمهورية ليردَّ على العرض بأنه ليس الرجلَ الذي يأتي إلى السلطة على صهوة حصانٍ أمريكي ولا الرجل الذي يَنْقُضُ عهداً قَطَعَهُ على نفسه بالابتعاد عن السلطة. . .، لم يكن يشبه غيره من المعارضين، حتى الوطنيين منهم ممن لم يخلطوا بين النظام والوطن؛ فهو لم يكن معارضاً عَدَمياً، بل كان يَستطيع أن يُنْصِفَ النظامَ الذي عَارَضَه إن وَجَد في سجلّ أعماله ما يستوجب الإنصاف سياسيّاً وأخلاقياً. ولأن معارضته لم تكن الشجرة التي أخفت عنه المكتسبات التي تحققت في عهده، كان

(٤) خلال الأسبوع الثاني من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢.

يمكنه أن يسجل له ـ بكل موضوعية ـ إقدامه على تأميم نِفْط العراق (وليس سرّاً أن د. حسيب هو الأب الروحي لهذا القرار)، وعلى محاربة الأمية وتعميم النظام التعليمي والصّحّيّ في عقد السبعينيات، وعلى بنائه قاعدةً صناعية وعلمية متطورة وقدرةً عسكرية قوية قبل أن تدمرها الحروب، وعلى دعمه الثابت لنضال الشعب الفلسطيني في مواجهة الاغتصاب الصهيوني، وعلى تقديمه المساعدة والعون الماديَّيْن للبلدان العربية الفقيرة، وعلى سياسة التعاون الاقتصادي التي نهجها عربياً مدفوعاً بفكرة الوحدة الاقتصادية. . . إلخ.

وهذا سببٌ آخر يمنح آراء الدكتور حسيب في الشأن العراقي صدقية إضافية، لأن الرجل يقول ما يقوله وهو معارض: بعيد عن السلطة وغير متطلّع إليها.

ـ ٢ ـ

قيمة ثانية لنصوص هذا الكتاب تكمن في أن ما قِيلَ فيها لم يُقَل من موقع وطني عراقي فحسب، بل من **موقع قوميّ عربيّ** أيضاً. ولأن د. خير الدين حسيب يمثل اليوم أحد أكبر رموز هذا الموقع، فإن رأيه يعني قسماً كبيراً من النخب السياسية والثقافية خارج العراق وفي عموم الوطن العربي. إذا كان مشروعاً تماماً أن يُنْظَر إليه من العراقيين كعراقي، بل قُل كرمز من رموز الوطنية العراقية، فهو يُنْظَر إليه خارج العراق كعربيّ في المقام الأول، ويُطْلب رأيُه في الشأن العراقي من باب معرفة ما هو الموقف القومي السليم من المسألة العراقية. والذين يَعْرِفون د. حسيب، يَعْرِفون عنه تحرُّره من الوطنية الضيقة وتجاوُزَه النظرة القومية الكُلاّنية التي تُسْقِط الوطنيات وتتجاهلُها. لم يَتَشَرْنَقْ على هويةٍ وطنية مُغْلقة تنفُر من ماهيةٍ قومية أعلى كما كثيرون فعلوا وارْتَضَوْا أقطارَهُم ودويلاتهم الصغرى أوطاناً نهائية! ولم يجْنَح نحو رؤيةٍ رابطة قومية ترانسندنتالية (Transandentale) تأبى النزول من عليائها و«التلوُّث» بالوطنيات الصغرى! أو قُل إنه تحرَّر من ذلك الجنوح منذ زمن بعيد، وبات يدعو جهراً إلى ضرورة مراجعة الفكر القومي العربي موقفه الأيديولوجي غير الواقعي من الدولة الوطنية (القطرية)، بل بات يدعو إلى المصالحة الفكرية والنفسية معها بمنظور قومي يتعامل معها كخامة قابلة للتصنيع في مشروع قومي ديمقراطي في المستقبل ليس قطعاً من باب إلغائها بالعنف البسماركي.

مَن يَعْرفه، يعرف عنه أيضاً تحرُّرَهُ من المذهبية القومية التي قادت كثيرين في ما مضى ـ وما برحت كذلك ـ إلى تحزُّبٍ سياسيّ تحت عناوين قومية متباينة لا تقوم بينها أواصر أو وشائج: فهذا ناصري، وذاك بعثي، وذلك من القوميين العرب

وقِسْ. . . ! نشأ ناصرياً وعلى ذلك تربّى؛ لكنه سرعان ما اسْتَدْخَلَ ناصريَته في مشروع للقومية أرحب من ذي قبل. تَسْأَلُه اليوم عن ناصريته، يجيبُك أنه ما عاد يَغْتَصِبُ لها اعتصابَ المعتكف في محرابها قبل عقودٍ ثلاثة خَلَت، وأنه يفهمُهَا اليوم لحظةً في المشروع القومي بعد إذْ كانت عندَه ـ وجَيْلَهُ ـ المشروعَ القوميَّ ذاتَه. بل يزيد على ذلك قولاً ـ من باب النّوافل والإفاضاتِ ـ إنه كثيراً ما استشعر قربَه من يساريين وإسلاميين متنوّرين من قُرْبه من ناصريين لمَّا يغادروا بعدُ مركزيتَهم القومية ووعيَهم الاختزالي للأمة ومشروعِها القومي في عصبيتهم المذهبية. وإذْ تسأله ماذا يعني القوميُّ لديك اليوم؟ يُجيبُك أنه كل من آمن بقضايا الأمة ومشروعها النهضوي بعناصره وأهدافه الستة (الوحدة، والديمقراطية، والتنمية المستقلة، والعدالة الاجتماعية، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدُّد الحضاري). وفي ذلك تتَّسِعُ الصفةُ لتشمل القومي ـ بمعناه التقليدي ـ واليساري، والليبرالي الديمقراطي، والإسلامي العروبي؛ **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**(٥).

مَكَّن هذا الموقعُ القوميُّ، بهذا المفهوم الرحب والمنفتح، أستاذَنا الدكتور خير الدين حسيب من أن ينهض بأدوارٍ سَلَّمَ له بها كثيرون وما كانوا ليسلّموا بها لغيره: سلَّموا له بإدارة اختلافهم، وباجتراح إجماعهم أو تفاهمهم في ما اختلفوا فيه أو ـ أحياناً ـ في ما شَجَرَ بينهم. بعضُهم فَعَلَ ذلك مُرْغماً وهو عَلِيمٌ بأن التسليم قرينةٌ على اعترافٍ منه بتناقُصِ ما في منسوب «مرجعيته» أمام رَجُل ينعقد حوله إجماعٌ تلقائي بأنه رجل «الحلّ والعقد» في مرحلة التشظّي والتذرُّر السياسي القومي؛ فيما بعضٌ ثانٍ فَعَلَ ذلك راضياً مختاراً: لِعِلْمِه بأن الرجل وحده من يملك، اليوم، أن يَرْتِقَ الخُروق ويَجْمَعَ الأمشاج والأرخبيلات القومية إلى بعضها ليضُخَّ فيها بعض الحياة وبعض الحركة. وكثيراً ما كان هذا البعض (الثاني) ـ وهو شديدُ الانبهار به ـ مدفوعاً إلى أن يَقْفُو أَثَرَ الأسباب التي صَنَعَتْ له في الناس تلك المَهَابة التي بها تَفَرَّد عن سائر أترابه وتنزَّل بها منزلةَ المرجع منهم، في زمنٍ لم تَتَعَوَّد فيه الناس أن تعود إلا إلى المراجع الفقهاء المالكين شرائط الاجتهاد.

يعرف كاتب هذه السطور ـ أو يدّعي ـ أن كثيرين ممّن دُعُوا إلى الانتساب إلى المؤتمر القوميّ العربي، غِبَّ تأسيسِه، ما لانَتْ عَرِيكَتُهُمْ أو تراخَتْ ممانعتُهم السياسية والنفسية ضدّ أن يُضْوُوا في كيانٍ قوميّ جديد إلا بعد أن اطمأنوا إلى أن خير الدين حسيب في قلب هذا المشروع وعلى رأسه. وإذا كان ذلك حَالُ من تَقَلَّب في مؤسسات العمل القومي، فهو أجلى في حالةِ من لم يَسْتَهْوِهِمْ يوماً أن يكونوا في جملة

---

(٥) القرآن الكريم، «سورة المطففين،» الآية ٢٦.

المُحَازِبَة المنتمين ـ كما حال كاتب هذه السطور ـ لإيمانهم بأن التزامَ قضيةٍ ليس يَلزَمُ عنه حُكْماً التزامُ إطارٍ سياسيّ يحتكر النطق باسمها، أو حتى ينتدبُ نفسَه ليكون واحداً من أدوات التعبير عنها. كان د. حسيب مؤسِّساً، ود. حسيب أميناً عامّاً أوّلَ، ضَمَانَتَهم بأن المؤسسةَ هذه ليست حجراً جديداً يضاف إلى حائطٍ تَصَدَّع ويتهدَّده السقوط، بل فسحة أخرى لِلنظر في حال الأمة والتداول في أكفل السبل إلى تقديم مساهمة النخب العربية ـ قسماً من مُؤمِنَتِهَا على الأقل ـ في معركتها من أجل البقاء الشريف في عالمٍ شديد القسوة على الضعفاء.

حال المثقفين العرب مع د. خير الدين كحال السياسيين والمناضلين. يحسبونه منهم ولهم كما يَحسَبُ ذلك الأخيرون. ولهم من مركز دراسات الوحدة العربية دليلٌ على ما ذهبوا إليه. . . وما كانوا مخطئين. فخير الدين ـ المؤمن بمبدإ «الخبز مع الكرامة»: الذي يتصدّر وجدانه ومكتبه عنواناً لاستقلاليةٍ أرادَهَا رأسمالاً لمركز دراسات الوحدة العربية وذَخيرةَ أخلاقٍ فيه ـ يؤمن بمبدإ «وعي الوحدة العربية، وحدة الوعي العربي» الذي يتصدّر مجلة المركز (**المستقبل العربي**). وترجمةُ الشطر الثاني منها أن لِقاء المثقفين العرب من مشارق بلاد العروبة ومغاربها هو المدخل الذي لا مدخلَ سواه إلى صناعة وحدةِ الوعي العربي ذاك. والرجل وَضَع المركز، وسَخَّر إمكانياته، برسم تحقيق ذلك المبدإ، وما ادَّخر وُسْعاً في أن يلتقي أهلُ المشرق بأهل المغرب في ندواته، وفي أن تتجاور أسماءُ رجالات الثقافة من جناحيْ الوطن في عناوين المركز الصادرة عنه. وكان في ذلك رائداً، يشهد له بذلك الخصوم قبل الأنصار، الأَبْعَدُونَ قبل الأقربين.

لا يجتمع السياسيون إلا على سياسيّ؛ هذا إن اجتمعوا. ولا يجتمع المثقفون إلا على مَنْ في جملتهم: إنِ اجتمعوا. لكن الفريقين يجتمعان على خير الدين حسيب. ليس لأنه مناضل وأكاديمي فحسب، بل لأن شروط انعقاد الصلة بين البعدين في شخصه توافرت على نحو نادرٍ وعزيز. قد يشعر السياسيون إزاءه بالنقص لأنه أكاديمي وباحث؛ وقد يشعر المثقفون إزاءَه بذات الشعور لأنه مناضل. لكنه يقدم لهم جميعاً درساً في الحالَيْن: حاجة المناضل إلى المعرفة لتدارُك عِيٍّ فكريٍّ ليس يجوز لمن يحمل قضيةً كبرى أن يُصَابَ به؛ وحاجة المثقف إلى الالتزام لتصحيح خطيئة انفصال المعرفة عن الواقع والوطن والأمة. درسٌ بيداغوجي؟ ربّما، لكن د. حسيب يقدمه ـ من خلال تجربته الخاصة ـ بتلقائية ودونما ادعاءٍ كبير أو صغير.

من نافلة القول إن رجلاً بهذه الخصال لا يمكن لآرائه في شأنٍ من شؤون السياسة والوطن والمصير ـ كشأن بلاد الرافدين ـ إلا أن تكون محطَّ اهتمام من النخب العربية: الفكرية والسياسية؛ إذ هي آراء رَجُلٍ غنيٍّ خبرةً ودُرْبَةً ومِراساً بحيْث ليس عنها غَنَاءُ.

- ٣ -

من يبحث عن تنظير أو مقاربة فكرية في هذا الكتاب، فلن يجدهما، وله إن أراد أن يتعرف على خير الدين الأكاديمي أن يعود إلى كتبه ودراساته الاقتصادية[٦]. أما هنا، فالقول سياسيٌّ في المقام الأول. وليس معنى ذلك أنه حزمة من مواقف سياسية مباشرة ومتراصفة، وإنما يأتي القولُ الحاملُ للموقف السياسي: الوطني والقومي، في ركاب رؤيةٍ وتحليل يمنحانه طعماً خاصّاً مختلفاً، فأنت لا تستطيع أن تقرأ مادة هذا الكتاب من دون أن تستوقفك فيه الخلفيةُ الثقافية لصاحبه. تَلْحَظُها من خلال **مَلْمَحينْ** يَسِمَان حديثَهُ ويغلبان عليه:

المَلْمَح الأول ما يمكن تَعْيينُه **بالمتابعة اليقظة** أو المتيقظة لما يجري في العراق وفي المحيطين العربي والاقليمي وفي النظام الدولي من سَرِيع الأحداث والتحولات. كأي باحث رصين يَسْكُنُهُ هاجسُ المعرفة، وكأي مناضل ملتزم يَغْمُرُهُ الشعور بالمسؤولية، ينغمس د. حسيب في قراءة ما يحصل على سطح هذا العالم. يبالغ أحياناً في الذهاب بعيداً في التفاصيل، يبحث عن المعلومة كأنه يبحث عن الجواهر النفيسة. الحدث عنده ليس وَحَدَةً مغلقة ميتافيزيقية: له ما قَبْلَه وله ما بعْدَه. وهو (الحدثَ نعني) ليس منفصلاً عما يحيط به، بل شديد الصلة به. يتابعه كما المحقّقُ يتابُع خيوطَ الصلة بين الحوادث ومَن ارتبطت بهم. وفي هذه المتابعة، يَعْرض الرجل أمام ناظريه كل ما يَفْترض أنه على علاقةٍ ما بما يجري: السياسة الأمريكية، السياسة العربية، السياسات الإقليمية، النفط، الصراع العربي ـ الإسرائيلي، توازنات القوى الاقتصادية الدولية، صراع الاستراتيجيات الكبرى على الإقليم، صورة المنطقة في منظار مصالح كل فريق، المشروع القومي أو ما بقيَ منه، «الإسلام السياسي»... إلخ. ومن تلك الحوادث والأطراف والقوى يَنْسُجُ خيوط الترابط والتَّمَفْصُل كي يعيد إدراكَ الوقائعِ في سياقاتها، وكي يفهم الأهداف التي رامَهَا صانعُو تلك الحوادث، والغايات التي تقف خلف سياساتهم. وعندي أن قارئ هذه النصوص لا شكَّ واجدٌ فيها شيئاً كثيراً من هذا النَّفَس: يعيد تنظيم حوادث العراق في وعيه على نحوٍ أكثر وضوحاً.

أما **المَلْمَحُ الثاني**، فيمكن تعيينُه **بروح الممارسة والاستشراف** التي تَسْكُن الكتاب وتسكن تفكير د. خير الدين عموماً. تبدأ هذه الروح عنده بكلمة لا تكاد تُبَارِحُهُ ولا يكاد يذهل عنها هي: ما العمل؟ لتنتهي بالمغامرة المعرفية في وضع سيناريوهات للمستقبل للتفكير من داخلها في ذلك المستقبل. الرجل في جملة قلةٍ قليلة تفكر في الشأن

---

(٦) انظر قائمة ببليوغرافية بمؤلفات الدكتور خير الدين حسيب في ص ٤٦٣ من هذا الكتاب.

العام وهي مسلّحة بمفردة «ما العمل؟». إنها نزعة البراكسيس التي تحدَّث عنها أنطونيو غرامشي. لا يكفي التحليل، لا يكفي الفهم، لا بدَّ من عملٍ يَرُدُّ، يصحِّح، يغيّر. من جوف هذه العقيدة في الممارسة خرجت المنظمة العربية لحقوق الإنسان(٧) مثلاً: الأكاديمية الملتزمة تقتضي أن تخرج المعرفة من حيّزِ العقل إلى رحاب الممارسة، أن تنتقل من النص إلى المؤسسة، من النخبة إلى الناس. ثم إن د. حسيب في جملة قلّةٍ قليلة أدركت مبكراً القيمة الحيوية لفكرة الاستشراف واهتمت بإطلاق تجربة الدراسات المستقبلية في الفكر العربي. وكثيراً ما ردَّدَ ـ دفاعاً منه عن فكرة الاستشراف ـ بأن التاريخ أو المستقبل ليس قدراً، ليس حتميةً عمياء موضوعية أو منفلتة من عِقال الإرادة الإنسانية، بل هو قابل لأن يُبْنَى بمقتضى الفعالية الإنسانية الواعية. إن المستقبل يحمل بدائل مختلفة وبعضها أفضل من البعض الآخر وإن اختيار هذا المستقبل أو ذاك يتوقف على إرادة صنعه، وعلى القدرة على صنعه، ثم على الثمن الذي ينبغي دفعه في هذه الحال أو تلك من حالات المستقبل. لذلك، فالمستقبل عنده قابل لأن يُقرأ من مدخل السيناريوهات أو المشاهد المفترضة. والرجل الذي رَعَى مشروعاً علمياً، هو الأول من نوعه في الفكر العربي، لاستشراف **المستقبل العربي**(٨)، يجرب اليوم ـ في هذا الكتاب ـ أن يستأنف النظر إلى مستقبل العراق بذات أدوات الاستشراف التي خبرها منذ عقدين.

وأخيراً، لا يَسَع قارئَ الكتاب إلا أن يستشعر الشحنة الحارة من الصدق في لهجة صاحبه. لا تضارعها في الحرارة إلا جرأَتُهُ في قول ما يرتئي قولَه من دون خشيةٍ أو محاباة. ذلك في جملة مناقبَ كثيرة عَرَفَهَا عنه من عَمِلُوا معه أو كانوا قريبين منه، ولَمْ يُنْكِرها عليه كثيرٌ من خصومه. هي أخلاق الملتزمين؟ نعم. لكن معدَّلَها عند د. حسيب أعلى.

عبد الإله بلقزيز

بيروت، آب/ أغسطس ٢٠٠٤

(٧) تأسست على هامش ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في العام ١٩٨٣ في قبرص (ليماسول). وصدرت في كتاب تحت عنوان: **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨٤).

(٨) «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي» الذي نشر المركز دراساتِه وحصيلته النهائية. وقد نشر التقرير النهائي للمشروع تحت إشراف الدكتور خير الدين حسيب تحت عنوان: **مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، التقرير النهائي، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢).

القسم الأول

الأطـر العامـة لمـا حـدث ومـا سيحـدث

(١)

العمل الوحدوي الرسمي غائب.. والمركز يحاول ملءَ هذا الفراغ(*)

أ ـ الحلقة الأولى (١ آب/أغسطس ٢٠٠٥)

■ *كلما عزّ الدليل على أن هناك من الشخصيات الفكرية من يوقف حياته على إحدى المؤسسات حتى يغدو اسمه واسمها من المترادفات، فحسبك أن تذكر خير الدين حسيب لأنك تكون بذلك قد عنيت مركز دراسات الوحدة العربية، أياً ما ذكرت فقد عنيتهما معاً اسماً واحداً لمسمّيين اثنين. وبما أن الأمر قد آل بمركز دراسات الوحدة العربية إلى أن يصير بمثابة الصيغة المؤسسية للالتزام الفكري بقضايا الأمة العربية فقد انعقد وجه المقارنة تلقائياً بينه وبين «بيت الحكمة»؛ هذه المؤسسة التي اضطلعت بدور مركزي في عصر التدوين الذي دشّن البداية الفعلية للنهضة العربية الأولى، ذلك أن المركز قد سعى لتجسيم وحدة الوعي العربي باعتبارها الشرط الثقافي للتحقيق الاجتماعي والسياسي لوعي الوحدة العربية وذلك باستقطاب جزء مهمّ من نتاج المفكرين والباحثين العرب على اختلاف مواطنهم ومشاربهم. وما كان للمركز أن يحافظ على استقلاليته التي يرمز اليها شعار «الخبز مع الكرامة» لولا نجاح الدكتور خير الدين حسيب بالنجاة من الإصابة بعقدة المتنبي: عقدة افتتان المثقف بالسلطة وما يرتبط بها من المغريات والأوهام. على أن خيار الاضطلاع بدور المثقف*

(*) هذا نص محرر (للاعتبارات اللغوية فقط) للحديث الذي أجراه الأستاذ مالك التريكي ضمن برنامجه «مسارات» على فضائية «الجزيرة» التلفزيونية، على مدى ثلاث حلقات، أذيعت أولاها يوم الاثنين ١/٨/ ٢٠٠٥ والثانية يوم الاثنين ٨/٨/ ٢٠٠٥، والثالثة يوم الاثنين ٢٢/٨/ ٢٠٠٥. وقد نشرت في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٩ (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥)، ص ٩ ـ ٢٥.

المستقل قد أتى تتويجاً لتجربة شخصية وسياسية متميزة خبر فيها هذا الأكاديمي العراقي سعة الغنى مع ضيق الفقر، كما خبر بريق الجاه مع ظلمة السجن.

أولاً: وعي الوحدة العربية وحدة الوعي العربي

خير الدين حسيب، مدير عام ورئيس مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية: بعد تجربة عملية في العراق وبعد مغادرة العراق عام ١٩٧٤ مضطراً ومجيئي إلى بيروت قمت برياضة نفسية واستطعت تقييم المرحلة السابقة، ووصلت إلى اقتناع هو الابتعاد عن السلطة والتفرغ للعمل الفكري الذي يخدم قضية الوحدة العربية بمعناها الواسع، ليس فقط الجانب السياسي إنما محتوى الوحدة العربية. ووصلت كذلك إلى اقتناع بأن الأوضاع العربية بحاجة إلى مجموعة من المثقفين ولنقل إنهم فدائيون. يجب أن تبتعد هذه المجموعة عن السلطة نهائياً وتكون مهتمة بالتغيير وتدعو فكرياً إلى عملية التغيير. وفي اقتناعي أن السلطة تأخذ كلام المفكر المثقف المستقل عن السلطة ورأيه بجدية أكثر، لأنه ليست لديه مطامح شخصية، وهو يشعر بثقة أكبر بالنفس ويتكلم بحرية أكبر وبموضوعية، إذ ليس لديه هدف شخصي معيّن. وتقديري كذلك أن الناس تصغي لما يقوله بشكل أفضل. وتجربة السنوات الثلاثين تؤكد لي في الواقع هذا الخيار. وأنا سعيد بهذا الخيار، وأنوي أن أستمر فيه.

■ *ونحن سعداء بذلك، لأنه لولا هذا الخيار لما برز إلى الوجود مركز مهم جداً يقوم بدور فكري وثقافي مهم جداً في الحياة العربية، هو مركز لا نظير له بكل بساطة في الوطن العربي وهو مركز دراسات الوحدة العربية الذي سأسألك عن ظروف نشأته، لكن قبل ذلك، التصنيف فيه حيف وظلم، لكن عادة يصنف الدكتور خير الدين حسيب على أنه قومي عربي وفكرة القومية العربية فكرة لها تاريخها الخاص في منطقتنا بفعل الأزمات التي مررنا بها، وهي فكرة إشكالية على المستوى النظري لأن هنالك، بحسب الدكتور محمد عادل جابي، تنافساً بين العمومية القومية وبين الخصوصيات القطرية، كما إن هنالك نوعاً ما من انعدام العناصر الوحدوية إلا في مجال واحد على المستوى العام هو مجال الثقافة. ولذلك هو ينيط بالثقافة مهمة الاضطلاع بتأسيس الوعي بالوحدة العربية. في مجلة المركز «المستقبل العربي» الشعار هو وعي الوحدة العربية ووحدة الوعي العربي، ما هي نظرتك إلى القومية العربية في مسألة الوعي وفي مسألة الوحدة؟*

خير الدين حسيب: بدأنا منتصف الثمانينيات بمشروع حول «استشراف

مستقبل الوطن العربي إلى سنة ٢٠١٥» اشترك فيه نحو خمسين باحثاً من اختصاصات مختلفة. وبسبب الحرب الأهلية في لبنان نُفِّذ في القاهرة في مكتب أُنشئ لهذا الغرض. كان الانطباع العام أن القومية العربية وحدها تدعو إلى وحدة مركزية، إلى دولة مركزية وما إلى ذلك، ولا يزال هناك من يتكلم في هذا على هذا النحو. وكان المشروع يقوم على ثلاثة مشاهد أو سيناريوهات، حيث سمينا السيناريوهات مشاهد، هي كما يلي: ماذا لو استمرت حالة التجزئة الحالية؟ ماذا لو حصلت تكتلات إقليمية أو وظيفية؟ وماذا لو حصلت وحدة اتحادية؟ فكان الخيار هو الوحدة الاتحادية. ومنذ ذلك الوقت لا يزال هناك من يتكلم عن وحدة مركزية. الحقيقة أن هذا لم يعد مطروحاً. إن من ضمن الأمور الأخرى التي أمكن توضيحها موضوع الدولة القُطرية، حيث كان هناك موقف قومي من الدولة القطرية في بداية استقلال بعض الدول العربية، وكان عددها قليلاً، فكان الاتجاه هو ضد الدولة القطرية ومع الوحدة المركزية. لكن بعد أن أصبح هناك عدد كبير من الدول القطرية، فإن الدولة القطرية استقرت، وصار الناس مواطنين وعندهم تعلّق بالاسم. وعلى الرغم من فشل الدول القطرية العربية في تحقيق تنمية حقيقية، وفي تحقيق تقدم علمي، وفي تحقيق أمن قطري، ناهيك بالأمن القومي، فقد انطلق مشروع الاستشراف ونحن لا نزال نؤمن بهذا، انطلق من الاعتقاد بأن أي مشروع للوحدة العربية يجب أن ينطلق من الدولة القطرية نفسها. لا يوجد تعارض ما بين أن يكون المرء قطرياً ووحدوياً، أو يكون كويتياً وحدوياً أو عراقياً وحدوياً. نحن درسنا تجارب العالم كلها في الوحدة، وآخرها دراسة تجربة الاتحاد الأوروبي، ونشرنا دراسة عن **الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً**، وهذه تنطلق من الدولة القطرية وتصير شيئاً مشابهاً للاتحاد الأوروبي، وليس من الضروري أن تكون الشيء نفسه، لكن هناك تجربة غنية يمكن الاستفادة منها في حل قضية الدولة القطرية والتعارض في هذا الموضوع. الجانب الآخر الذي حاولنا أن نهتم به هو أنه ليس من الضروري أن تبدأ الوحدة العربية بدخول كل الدول القطرية إليها. . بحسب ظروف الأقطار العربية يمكن أن يتحد فيها بلدان أو ثلاثة أو أربعة، والآخرون يصيرون فيها بقدر ما يرون فائدة من الدخول في هذه الوحدة. . .

■ **وينضمون؟**

خير الدين حسيب: يمكن أن ينضموا إليها، والتعاون يمكن أن يكون على مستويات مختلفة، أي إن هناك جانباً سياسياً يمكن أن يتعاون الكل فيه، في حين يمكن أن يتعاون البعض فقط في الجانب الاجتماعي، أو في الجانب الاقتصادي. نحن لسنا مهتمين فقط بالوحدة كشكل سياسي، نحن مهتمون بمحتوى الوحدة

أيضاً، وهذا هو عملنا. من البداية نحن مهتمون بمحتوى الوحدة، أن تكون ديمقراطية وأن تكون فيها عدالة اجتماعية وتنمية مستقلة واستقلال وطني وقومي وتجدد حضاري.

■ *حضاري. . وهذه هي الأهداف الستة التي تحدد مشروع الوحدة الوطنية.*

خير الدين حسيب: الأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي يمكن أن نحكي عنها في ما بعد، وكذلك ندعو نحن إلى عدم المقايضة بين هذه الأهداف، يعني أن لا نجمد قضية الديمقراطية على أساس أننا نريد أن نحقق تنمية سريعة. . . إلخ، التجربة أثبتت أن هذا غير صحيح، وأحياناً تحقق تنمية سريعة ثم تنتكس في غياب الديمقراطية. . . وبالتالي لا بد من عدم المقايضة بين هذه الأهداف.

ثانياً: تطور الفكر القومي الوحدوي ونشاط المركز

■ *نعود إلى الحوار حول المسار الفكري للدكتور خير الدين حسيب.*

حول مسألة الوحدة يجوز القول إنها ربما السمة الوحيدة، الموضوع الوحيد الثابت في الثقافة السياسية الشعبية في الوطن العربي، إلى حد الآن الشعب العربي لا يزال يؤمن بالوحدة، ممكن بطريقة عاطفية على طريقة الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية أنه لا بد من أن يكون هنالك «بسمارك» قائد ولا بد من أن تكون هنالك دولة مركزية قائدة مثل بروسيا ثم تنضم إليها بقية الولايات. الآن النموذج الذي تفضلت بالإشارة إليه وهو النموذج الأوروبي هو نموذج عقلاني وليس نموذجاً عاطفياً. حتى تتوفر هذه العقلانية لا بد من ديمقراطية مثلما ذكرتم، وذكرتم أنه لا ينبغي المقايضة بين أهدافها. نحن على الأقل لمدة ثلاثين سنة وأربعين سنة من عمر الدولة القطرية مسألة الديمقراطية ضُحّي بها باسم المعركة القومية ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة وكنا تحت وصاية، نوعاً ما كانت الشعوب تحت وصاية أنظمتها باسم المعارك القومية، الآن أصبحنا تحت وصاية أمريكا أنظمةً وشعوباً باسم الإصلاح. أين يندرج الإصلاح الذي أصبح الآن شعاراً في منظومتكم؟

خير الدين حسيب: الفكر القومي خلال الخمس والعشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة حقق تطوراً هائلاً وهو مظلوم، مظلوم لأن أكثر الذين يتكلمون عن القومية العربية والوحدة القومية وموطن القومية العربية إلى آخره غير مطلعين كفاية على ما تم إنتاجه فكرياً خلال هذه الفترة. دعني أبدأ بقضية الديمقراطية، نحن ـ مثلما ذكرت لك ـ بدأنا في أول عام ١٩٧٨ واعتباراً من أول عام ١٩٧٩ بسلسلة محاضرات عن الديمقراطية في الوطن العربي، فقد أخذنا الجانب التاريخي والجانب الحالي؛ ومنذ

ذلك الوقت وحتى الآن نحن مستمرون في قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان. وقبل أن يتكلم بوش عن الديمقراطية، في عام ١٩٨٣، نظّمنا ندوة عن **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي**، وتعذر عقدها في أي عاصمة عربية، فعقدناها في قبرص، وكانت ندوة مشهورة. وعلى هامشها أنشأنا «المنظمة العربية لحقوق الإنسان». وأنشأنا منظمات مهنية ووحدوية أخرى، حيث أنشأنا «الجمعية العربية للعلوم السياسية»، و«الجمعية العربية لعلم الاجتماع»، و«الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية». وفي ما بعد أنشئت «الجمعية العربية للفلسفة» والمنظمة العربية للترجمة وغيرها وأستطيع بكل تواضع القول إن المركز ساهم في شق طريق أساسي للتيار القومي في ما يتعلق بالديمقراطية التي أصبحت الآن مسلّماً بها، وليس هذا فقط من خلال تبنّي التيار القومي قضية الديمقراطية، فقد مارس التيار القومي تأثيره أيضاً على التيار الإسلامي في قضية الديمقراطية من خلال إنشاء المؤتمر القومي ـ الإسلامي، وعمل برنامجاً مشتركاً في مقدمته قضية الديمقراطية والتعددية السياسية. فأنا أعتقد أن ليس هناك مَن يستطيع الآن أن ينكر هذا إذا اطلع اطلاعاً كافياً على التيار القومي في قضية الديمقراطية. الآن هناك قبول عام للديمقراطية، والمركز ترك بصماته في هذا الموضوع.

■ ***قبل أن نأتي إلى مسألة إنشاء المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي، وهما من إنجازاتكم، هنالك مركز دراسات الوحدة العربية. . تذكر أن الدافع الأساسي الذي حداك وجمعاً آخر من النخب العربية على التفكير في ذلك هو التساؤل حول سبب الهزيمة، وتوصلتم إلى نتيجة أن سبب الهزيمة هو هزيمة الأنظمة العربية وبخاصة النظام المصري آنذاك، وهو أن القومية العربية لم يكن يسندها فكر قومي عربي وحدوي، ففكرتم في إنشاء شيء من هذا النوع، فما هي ظروف النشأة؟***

خير الدين حسيب: الحقيقة أن الدافع الأساسي لم يكن عندي فقط، بل عند مجموعة من الإخوة المفكرين والوحدويين القوميين أيضاً. إن المحاولات التي تمت في قضية الوحدة العربية، وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة، ثم النكسة في ما بعد. . وإلى آخره، تكشف عن أن العمل السياسي الوحدوي القومي كان ينقصه فكر موازٍ يدفع في اتجاهه. الظروف السياسية أتاحت قيام الجمهورية العربية المتحدة، ولكن لم يكن عندنا فكر سياسي حول قضية الوحدة ومحتواها وأشكالها. . وبالتالي صار اقتناع عند عدد من الإخوان بعد الهزيمة في عام ١٩٦٧ ـ وكنا في لبنان في وقت واحد في صيف ١٩٧٤ ـ ففكرنا في أن نحاول ترجمة هذا إلى عمل، ولم يكن

لدينا غير الفكرة فقط. وأذكر أنه كان هناك الدكتور سعدون حمادي، الدكتور بشير الداعوق، الدكتور وليد الخالدي، المرحوم الدكتور يوسف صايغ، المرحوم الأستاذ برهان الدجاني وعدد آخر من الإخوان، كلهم موجودون في بيروت. لقد اجتمعنا وناقشنا الفكرة وأعد البيان التأسيسي لإنشاء مركز دراسات الوحدة العربية، ثم تمّت اتصالات بأقطار عربية أخرى، وقد كُلّفت بإجراء اتصالات بالأقطار العربية الأخرى. وفي آذار/ مارس ١٩٧٥ أعلنّا عن قيام مركز دراسات الوحدة العربية، وحددنا الغرض من المركز بأنه عمل فكري، لا هو حزب ولا يسعى لأن يكون حزباً، ومستقل عن الأنظمة العربية. وللأسف بعد صدور هذا البيان في الشهر التالي بدأت الحرب الأهلية في لبنان، فعقدنا أول اجتماع في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٦ في الكويت وصادق المؤسسون على النظام الأساسي والداخلي، وتحول المؤسسون إلى مجلس أمناء وتم اختيار لجنة تنفيذية. ونظراً إلى تعذّر العمل من بيروت في ذلك الوقت بدأنا العمل مؤقتاً من الكويت، وأنشأنا مكتباً فيها. ولسوء الحظ عندما تم تعليق الدستور في الكويت في صيف ١٩٧٦ أصبح العمل متعذراً فيها، فأقفلنا المركز هناك وانتقلنا إلى بيروت في ١/ ١/ ١٩٧٨ بعد أن كانت الأوضاع قد هدأت فيها نسبياً.

ومنذ البداية اهتممنا بالعمل المؤسسي لأننا نعتقد أن إحدى الدلالات الرئيسية في التاريخ العربي هي غياب المؤسسات، ولذلك حاولنا أن نقوم بتجربة متواضعة، لكي يتجسد هذا الشيء. ولهذا، فإن التأكيد في عملنا هو على المركز وليس على الأشخاص الذين يعملون فيه ـ لا على أسماء أعضاء مجلس الأمناء ولا اللجنة التنفيذية أو المدير العام ـ والآن قطعنا مرحلة كبيرة في هذا المجال، وكأحد مؤشرات العمل المؤسسي لا يذكر الدين أو المذهب في طلبات التعيين في المركز. وقد يكون المركز إحدى المؤسسات النادرة جداً في بيروت على هذا الشكل، إذ إن الكفاءة وحدها هي المعتمدة في التوظيف. وأؤكد لك أن هنالك عدداً من الموظفين في المركز لا أعرف حتى الآن ما إذا كانوا مسيحيين أو مسلمين، ناهيك بالمذاهب، لأن هذا الأمر غير وارد. فمن يريد أن يعمل لقضية الوحدة العربية لا بد له من أن يمارس المبادئ والثوابت بشأن الوحدة العربية. وفي جوانب أخرى ثبّت المركز معايير أكاديمية في التعامل مع المفكرين. في البداية كان هناك بعض الرفض، وبعض التعنّت في قبول هذه المعايير . . . أما الآن فقد استقرت هذه القواعد، بمعنى أن من عنده مخطط دراسة أو مخطوطة لا بد من أن يحال إلى خبيرين اثنين، وهناك متابعة لإعداد الدراسات.

■ ***لعل من الأشياء الرمزية، دكتور، أن المركز أنشئ قبل شهر واحد من اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وكأن هنالك توتراً بين الفكرة الوحدوية وبين الواقع التجزيئي في داخل الدولة القُطرية، لكن ما حدث ربما ـ والتاريخ له طرق في الموازنة والتعادلية ـ هو أنه بعد نهاية الحرب اللبنانية كان المركز هو أول من جمع بين ما كان يسمى آنذاك بالشرقية والغربية، فأتى نواب أو ممثلون عن الشرقية والغربية واجتمعوا لأول مرة منذ بداية الحرب.***

خير الدين حسيب: هذا صحيح، إذ إن المركز من خلال ما يسمى الحرب الأهلية في لبنان خاض تجربة نضالية في الحقيقة، فبسبب ظروف الحرب الأهلية في لبنان، صدر قرار عن مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية يجيز لنا بأن ننتقل إلى أي بلد آخر لكي نعمل فيه. وفعلاً قمنا بدراسات لإيجاد مكان بديل، ووضعنا معايير معينة لهذا الغرض.. فوصلنا إلى اقتناع بأنه على الرغم من ظروف لبنان لا يوجد أي عاصمة عربية أخرى تصلح لكي نعمل فيها، لأن حرية التعبير مصانة في لبنان، وهي قضية أساسية للمركز، وكذلك توفُّر الخدمات. ومن البدائل كانت لندن وباريس وجنيف وقبرص. كانت قبرص تعني منفى بالنسبة الينا، وليس من المعقول أن تذهب إلى لندن أو باريس أو جنيف وتدعو إلى الوحدة العربية. ولذلك قررنا البقاء على الرغم من الظروف اللبنانية. ونحن لم نتوقف خلال الحرب الأهلية ولا ليوم واحد، حتى في خلال الغزو الإسرائيلي. ومجلة المركز **المستقبل العربي** استمرت تصدر، وأحياناً حينما كان يغلق المطار، كنا ننقلها بالبر إلى عمان أو بالشحن إلى قبرص، ومن هناك توزع إلى المنطقة العربية. وقد أعطت هذه الأوضاع المركز طابعاً نضالياً، كما إننا مارسنا خلال الحرب الأهلية سياسة عزلة حقيقية، بابتعادنا عن الأطراف المتصارعة تماماً. والآن بعدما انتهت الحرب الأهلية، وقبل عدة سنوات، صدر مرسوم من مجلس الوزراء اعتبر المركز منظمة دولية غير حكومية، ولديه صفة دبلوماسية، إلى جانب ضمانات كثيرة وتسهيلات في الأمور...

■ ***للحفاظ على الاستقلالية؟***

خير الدين حسيب: الحمد لله لم يكن المركز مستهدفاً كمركز، إنما كان هناك تعرض لبعض الأشخاص، ولكن هذا الأمر كان من المتوقع أن يتعرض له أي شخص لبناني. ونحن الآن سعداء بوجودنا في لبنان، ونتمتع، ونعوض عما عانيناه خلال فترة الحرب الأهلية.

ب ـ الحلقة الثانية (٨ آب/أغسطس ٢٠٠٥)

■ ***باستقطاب مركز دراسات الوحدة العربية لجزء مهم من نتاج المفكرين والباحثين العرب أصبحت إصداراته التي تجاوزت خمسمائة عنوان تمثل موسوعة عن شتى مناحي الحياة العامة في الوطن العربي. وبما أن مبيعات هذه الكتب قد تجاوزت مليوناً ومائتي ألف نسخة، وبما أن مجلة «المستقبل العربي» أشهر منشورات المركز لا تزال تصدر بانتظام منذ نحو ثلاثة عقود، فإن الدكتور خير الدين حسيب يعتبر هذا مؤشراً على حيوية الفكر وأهميته في حياة الناس على رغم ما يُعتقد من إعراض الجمهور العربي عن القراءة بوجه عام، وعن شؤون الفكر بوجه خاص.***

أولاً: مجلة «المستقبل العربي» ومشروعات المركز

خير الدين حسيب: في ما يتعلق بالمجلة، ففي أيار/مايو ١٩٧٨ ـ بعدما بدأ المركز عمله بأشهر ـ أصدرنا أول عدد من مجلة المستقبل العربي. لقد كانت المجلة تصدر كل شهرين، واعتباراً من أول عام ١٩٨٠ أصبحت شهرية، والآن دخلت سنتها الثامنة والعشرين من دون أي توقف، حتى خلال الغزو الإسرائيلي. والمجلة منتشرة في جميع البلدان العربية، ومن حيث المبدأ قد يمنع عدد هنا أو عدد هناك، لكن حتى الآن لم تمنع المجلة من الدخول إلى أي بلد عربي. هناك مجلات أخرى عربية ظهرت واختفت، لكن **المستقبل العربي** ظلت موجودة، وتوزع حالياً حوالى عشرة آلاف نسخة من كل عدد، ولو توفرت لدينا إمكانية مالية لتحمّل عجز أكثر لأمكن توزيع عدد أكبر لأننا نراعي القدرة الشرائية لكل بلد. وفي معظم الأقطار العربية أصبح البيع أقل من الكلفة، ولكن الاشتراكات هي التي تغطي بعض العجز. وفي ما عدا بلداناً قليلة في الخليج، والتوزيع فيها محدود، فإن البيع المباشر لا يغطي حتى الكلفة، ولا حتى كلفة الشحن أحياناً. على أي الأحوال مهمتنا ليست تجارية، بل المهم هو الوصول إلى القارئ العربي، والمجلة الآن توزع حوالى عشرة آلاف نسخة شهرياً كما قلت. وقد بلغ التوزيع إجمالاً حتى الآن مليونيْ نسخة منذ بِدء صدور المجلة، وهي لا تزال مستمرة. ونحن نحاول أن تكون موضوعات المجلة منوّعة بحيث يجد أي قارئ، أياً كان اختصاصه واهتمامه، على الأقل مقالة أو أكثر تهمه. وعلى الرغم من أننا لا ندفع مكافآت للكتّاب، إلا أن علينا ضغطاً شديداً للنشر، حتى إن مقالات تنتظر ما بين ستة شهور إلى سنة، وأحياناً أكثر، قبل أن تجد سبيلها إلى النشر في المجلة.

إضافة إلى هذا، نعقد ندوات كبيرة يشارك فيها أعداد من الباحثين تتراوح ما بين خمسين إلى مئة وأحياناً أكثر، وتستمر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ونعقد في السنة الواحدة

ندوة أو أكثر. أما الآن فبسبب الوضع المالي لا نستطيع أن نعقد سوى ندوة كبيرة سنوياً إذا ما توفر لها التمويل. وإضافة إلى الندوات، تعقد حلقات نقاشية يشترك فيها ما بين خمسة عشر إلى عشرين مفكراً حول موضوع معيّن لمدة يوم أو أكثر.

لدينا عدد من المشاريع المهمة المستقبلية، بالإضافة إلى مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي الذي أشرت إليه، والذي طرح أهمية إعداد مشروع حضاري عربي نهضوي للمستقبل، ومنذ ذلك الوقت حتى الآن كانت دراسات المركز موجهة لغرض خدمة الأهداف الستة للمشروع الحضاري، وقبل سنتين عقدنا ندوة في فاس في المغرب حول **المشروع الحضاري النهضوي العربي**، وحرصنا على أن تشترك فيه التيارات الرئيسية في الأمة. وبعده كوّنا لجنة صياغة لكيفية إعداد المشروع، وبعد أن تعد المسوّدة الأولى ستناقش على مستويات قُطرية مختلفة، وسترسل إلى عدد كبير من المفكرين والسياسيين والممارسين، وفي ضوء الملاحظات التي سترد على موقع المركز على الإنترنت سنعيد النظر في المشروع من جديد وننشره بشكل أخير موسع، وآمل أن يكون ذلك إما في أواخر هذه السنة أو أوائل العام القادم. وبذلك يكون المشروع الحضاري العربي قد أنجز. وكما ذكرت لك يوجد في لجنة الصياغة ممثلون من التيارات الثلاثة: القومي والإسلامي واليساري، ونأمل أن يتم تبنّي المشروع من قبل التيارات الثلاثة.

إضافة إلى ذلك عندنا مشروع حول «كيفية صنع القرار في الدول الكبرى في العالم في ما يتعلق بعلاقاتها العربية»، وقد أنجزنا دراسات عن أمريكا، وروسيا، والاتحاد الأوروبي، وتركيا، وإيران، ودراسة حول بريطانيا على وشك أن تتم، وسيتم استكمال الدراسات الأخرى.

■ ***على أساس أن تقدم النتائج لصانع القرار العربي؟***

خير الدين حسيب: نعم، ونحاول أن نرسلها هدايا للحكام العرب ووزراء الخارجية والجامعة العربية. .

■ ***للإفادة. .***

خير الدين حسيب: نأمل أن يفيدوا منها، وفي هذه الدراسات وفي كل دراسات المركز منذ سنتين، ولتسهيل الأمر على صانع القرار العربي نحرص على إضافة «خلاصة تنفيذية» في أول كل دراسة نصدرها، وتكون هذه الخلاصة بين عشرين وأربعين صفحة تبعاً لحجم الدراسة بحيث يقرأها من لا وقت لديه لقراءة دراسة كاملة من بين صانعي القرار ومساعديهم. المشروع الآخر لدينا هو «موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية»: كيف كان هذا الموقف؟ وماذا كانت العقبات؟ .

يعالج القسم **الأول** الفترة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية، **والثاني** من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر. ونحن نستعمل الوثائق كلما كان ذلك ممكناً، فالدراسة عن فرنسا تمّت في المرحلة الأولى، والمرحلة الثانية على وشك أن تصدر، وكذلك بالنسبة إلى ألمانيا. أما بالنسبة إلى بريطانيا، فالمرحلة الأولى من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب الثانية انتهى العمل فيها ونشرت. والآن نُعِدّ المرحلة الثانية، إذ إننا نقوم بإعداد الدراسة عن أمريكا. أما بالنسبة إلى صنع القرار، فلدينا مشروع «كيف يصنع القرار في البلاد العربية»، ونحن الآن في مرحلة تنفيذ المخطط حتى نرى كيف يمكن ترشيد القرار العربي. كما إن لدينا مشروعاً آخر مهماً يتعلق بموضوع «الجاليات العربية في الخارج»، وقد أنجزت الدراسة عن أفريقيا، والدراسة عن أمريكا الجنوبية على وشك أن تنتهي. وهناك أيضاً دراسة عن أستراليا. أما الدراسة عن الولايات المتحدة، فهي قيد الإعداد، وكذلك عن أوروبا. وكنا نأمل لو أتيح لنا تمويل خارجي. لهذا، وبحسب قدرات المركز، نحن نسير في هذه الدراسات بالتدريج، وبعدما تكتمل هذه الدراسات خلال سنة، في ما نأمل، سندعو إلى مؤتمر للجاليات العربية لعرض هذه الدراسات ومناقشتها، وعرض صيغة مؤسسية لقيام مؤسسة للجاليات العربية في الخارج، وبعد ذلك تستقل هذه المؤسسة بحالها، ويكون دورنا قد انتهى في هذا المشروع.

عندنا كذلك مشروع **ببليوغرافيا الوحدة العربية**، ويتناول مسيرة الوحدة العربية بشكل واسع، أي كل ما يتعلق ويهم الوحدة العربية من عام ١٩٠٨ إلى عام ٢٠٠٠. وهي في حقيقتها ببليوغرافيا الوطن العربي. والغرض منها هو المساعدة على إحداث تراكم علمي، فإذا أراد أي باحث أن يخوض في موضوع ما، فإنه لا يبدأ من الصفر، وإنما يبدأ من حيث انتهى الآخرون. وقد بلغت الببليوغرافيا الآن ثمانية مجلدات، وكانت أول مرة تغطي الفترة الأولى من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩٨٠، وقد أكملناها الآن إلى عام ٢٠٠٠ بعد دمج الفترتين معاً، وقد تم التصنيف فيها بحسب الموضوع وبحسب المؤلف وبحسب العنوان حتى يسهل على القارئ والباحث العربي وغير العربي الملمّ بالعربية الرجوع اليها. وتضم الببليوغرافيا كل ما نشر بالعربية والإنكليزية والفرنسية من كتب وأطروحات ومجلات حول الموضوع. وسوف نضعها قريباً على موقع المركز على شبكة الانترنت. وبالمناسبة، فإنه اعتباراً من هذا الشهر سنضع مجلة **المستقبل العربي** بكل مادتها على هذا الموقع ومجاناً، لمن يريد أن ينسخ مقالة أو عدداً كاملاً من المجلة. ولدينا كذلك مشروع «موسوعة للثقافة العربية في القرن العشرين»، لتشمل ما ساهم به العرب في الجانب الثقافي خلال القرن. فهذه هي المشاريع المستقبلية إضافة إلى العمل المباشر الذي يقوم به المركز.

وفي غياب العمل الوحدوي الرسمي حاولنا أن نساهم في إنشاء مؤسسات عربية وحدوية. ذكرت لك قبل قليل دور المركز في إنشاء المنظمة العربية لحقوق الإنسان والجمعيات المهنية: البحوث الاقتصادية، العلوم السياسية، الاجتماع، وأنشأنا المؤسسة الثقافية العربية، إضافة إلى ذلك نحن نعتبر أن النهضة العربية الإسلامية بدأت بالترجمة، والترجمة موضوع مهم في أي نهضة فكرية. ولهذا اهتم المركز بإنشاء المنظمة العربية للترجمة قبل أربع سنين، وأصبحت مستقلة، وتعمل، وبدأ إنتاجها بالظهور. ومن المقرر أن يصدر عنها هذه السنة ترجمات لأمهات الكتب وحوالى ثلاثين كتاباً.

في أيلول/ سبتمبر من العام ٢٠٠٤ عقدنا ندوة مهمة حول **الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية**، وفي نهاية الندوة كان المشاركون تمنوا على المركز أن يساهم أو يتولى إنشاء منظمة عربية لمكافحة الفساد. وبالفعل قمنا بهذا وأنشأنا «المنظمة العربية لمكافحة الفساد»، وتم تسجيلها في بريطانيا وصدر مرسوم قبل أيام قليلة من الحكومة اللبنانية بإعطائها صفة منظمة دولية غير حكومية مع بعض الامتيازات مع صفة دبلوماسية، والآن تؤدي عملها فعلاً. رئيس مجلس أمنائها هو الرئيس سليم الحص، ولها مدير عام ومجلس أمناء ومجلس إدارة.

هذه هي عموماً نشاطات المركز.

ثانياً: القوى الكبرى والوحدة العربية

■ ***دكتور خير الدين حسيب، بالنسبة إلى مشروع دراسة موقف القوى الكبرى من مسألة الوحدة العربية هنالك نوع من موقف تاريخي يمكن وصفه بأنه طريف الآن، فقبل ذلك كنا نعتقد أن القوى الكبرى تخشى من فكرة الوحدة العربية، والناصرية حوربت، في ما حوربت، تخوفاً من أن يتوحد العرب. هذا اعتقادنا على الأقل، الآن ما نلاحظه هو أن الدول الكبرى تطالب الدول العربية من منطلق اقتصادي بحت، منطلق العولمة وفتح أسواق جديدة، بالتكتل على أساس أن تصبح أسواقها أسواقاً كبرى جديرة بأن يستثمر فيها وأن تباع فيها السلع الأجنبية.***

خير الدين حسيب: من الدراسات التي انتهت ومن الوثائق التي تم الاطلاع عليها ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الغرب عموماً ضد الوحدة العربية، ويعتقد أنه إذا اتحدت هذه البلدان أو تعاونت بشكل وثيق فسيكون ذلك على حساب المصالح الغربية. النفط لن يعود بمقدورهم أن يأخذوه كما كانوا يأخذونه بالأسعار التي تلائمهم. الموقع الاستراتيجي والقواعد، وموضوع إسرائيل، كل هذه الأمور لن تعود

في حالة قيام وحدة عربية تخضع لما يريدون. وفي ما يتعلق برغبتهم الآن في نوع من التقارب، فإن ما يقال لا يعدو أن يكون محاولة من جانبهم لأن يربطوا كل دولة من الدول العربية إما مع أمريكا في سوق حرة أو مع الاتحاد الأوروبي، وإنما ليس كمجموعة. ومن المفارقات أننا أي نحن والأوروبيون بدأنا في أول الخمسينيات في وقت واحد بعقد اتفاقات اقتصادية وتسهيل التجارة إلى آخره. وقتها كانوا أكثر تواضعاً مما كنا، لكن هم وصَلوا إلى ما وصلوا إليه، أما نحن الآن فإن الجامعة العربية تبحث في إقامة منطقة حرة بين الدول العربية، أي نفس ما كنا قد بدأنا فيه قبل خمسين عاماً، وحتى الآن القضية تراوح في مكانها. الكثير من الاتفاقات يوقّع عليها قانونياً، لكن التنفيذ والممارسة أمر آخر، فأنا أعتقد أن الموقف الرئيسي للغرب ليس في صالح الوحدة العربية، لكن هذا ليس تبريراً لعدم نهوض القضية إنما السبب الأساسي هو غياب الإرادة السياسية عند الأنظمة العربية. يعني الاتفاقات التي تكلمنا عليها من قبل أي اتفاقية السوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية وصندوق النقد العربي. . . ينقصها في التنفيذ الإرادة السياسية. هناك كثير من الاتفاقات، إما وقعت ولكن لم يصادق عليها، أو صودق عليها، ولكن لم تنفذ. السبب هو غياب الإرادة السياسية وغياب الإرادة السياسية مرتبط بموضوع الديمقراطية، ما لم يكن هناك نظام ديمقراطي والشعب يحاسب الحكومة على تقصيرها في تنفيذ أي شيء ويمنع أي حاكم عربي من أن يستعمل العلاقات الاقتصادية لأغراض العلاقات السياسية فيغلق حدوداً أو يمنع ضخ نفط أو غير ذلك، فستستمر هذه الأوضاع.

ثالثاً: الأولوية بين الخبز والكرامة

■ ***هذا يجرنا إلى ذكر شعار مهم جداً موجود في مكتبك ربما ينطبق على الوضع الفردي وينطبق على وضع الأمم، هو «الخبز مع الكرامة». . الإشكالية بحسب ما نعرفها تاريخية وهي: ما هو العنصر الذي يأتي قبل غيره: الكرامة قبل الخبز، أم الخبز قبل الكرامة؟***

خير الدين حسيب: بشكل عام المركز فقير مالياً لكنه غني فكرياً وغني بكرامته. نحن ـ وأنا بشكل خاص ـ لا نفرّق بين الغاية والوسيلة. في أيام دراساتي العليا في الجامعة كان هناك أستاذ في جامعة لندن اسمه بروفيسور بوبر. .

■ ***كارل بوبر؟***

خير الدين حسيب: كارل بوبر. أنا حضرت المحاضرات التي كان يلقيها في كلية لندن للعلوم الاقتصادية (London School of Economics)، وهي معروفة باسمها أكثر من جامعة لندن، وكنت أدرس فيها حينئذ.

■ *إذاً أنت محظوظ دكتور.*

خير الدين حسيب: كان بوبر يعرّف الغايات بأنها عبارة عن وسائل متراكمة، وبالإنكليزية: (Aims are an Accumulation of Means)»، فالوسيلة لا بد من أن تكون غير متناقضة مع الهدف نفسه. ونحن نسير نحو هذا، بمعنى أن رأسمالنا الرئيسي هو استقلاليتنا وموضوعيتنا وثقة القراء فينا، ولا نستطيع أن نتجاوز عن استقلاليتنا أو نتنازل عن جزء من كرامتنا حتى نحصل على مساعدات. ولذلك نحن للأسف الشديد من سنة ١٩٨٠ حتى الآن لم نحصل على أي مساعدة من أي حكومة عربية، في ما عدا مرة واحدة منذ عدة سنوات من الشيخ سلطان القاسمي . .

■ *[مقاطعاً]: حاكم الشارقة.*

خير الدين حسيب [متابعاً]: حاكم الشارقة رأى تقريراً عن الوضع المالي للمركز وأرسل ثلاثمائة ألف دولار، ولكن قبل سنة كذلك وعد هو تلقائياً بمساعدة مالية ولم ينفذها حتى الآن. قد تكون له ظروفه. وبالتالي نحن لا نعتمد على مساعدات. بل نحن متمسكون بشعار الخبز مع الكرامة، وهذا يعني ان الوسائل يجب ألاّ تختلف أو تتناقض مع الأهداف.

■ ***وأهمية هذا الشعار دكتور مثل ما رأيت، أنه ينطبق على الأفراد وينطبق على المؤسسات وينطبق على الأمم، لأن الأمم الآن تعاني مذلة الديون وخدمة الديون، فضاعت الكرامة وأهدرت بسبب الخبز أو الركض وراء الخبز. بما أنك ذكرت كارل بوبر وهو طبعاً فيلسوف شهير كان في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية، وهو نمساوي الأصل وتوفي عام ١٩٩٥، هو علم من أعلام الفكر النقدي طبعاً، وبخاصة في كتابه «المجتمع المفتوح» (Open Society) والفكر النقدي هو ما يميز المركز، من هم المفكرون الآخرون الذين تأثرت بهم في تكوينك، وأنت طبعاً خبير اقتصادي وتحمل درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة كامبريدج؟***

خير الدين حسيب: كانت دراستي في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية، حيث إن جوها جوّ فكر تقدمي، تأثرت بالاشتراكية الديمقراطية، ولكني على رغم استفادتي من الفكر الماركسي إلا أنني لا أتبنى جميع مقولاته على طريقة الماركسيين الأيديولوجيين. تأثرت كذلك بالجمعية الفابية، وهي منظمة فكرية تدعو إلى الاشتراكية الديمقراطية، وأنا من الناس المؤمنين، كما ذكرت، بالاشتراكية الديمقراطية. في عام ١٩٥٧ بينما كنت أحضّر للدكتوراه في كامبريدج عن تقدير الدخل القومي في العراق، وبسبب غياب كثير من المعلومات كان لا بد من القيام بزيارات ميدانية إلى العراق. تجولت في كل العراق من الشمال إلى الجنوب ورحت إلى

منطقة الأهوار. . زرت منطقة الأهوار في العمارة، وفيها هوران **اسماهما**: هور السوداء وهور البيضاء. كان ذلك في آخر شهر آب/ أغسطس عام ١٩٥٧، وفي الأهوار لا توجد مياه صالحة للشرب، لأن المياه كلها فيها ديدان، فالأهالي يأخذون المياه ويغلونها، حتى يقتلوا الديدان، ليشربوها. وأنا في الأهوار، في مشحوف(*)، كنت أتنقل بواسطة أعواد القصب، حاملاً الشمسية فوق رأسي في ذلك الجو الحار شاهدت فلاحين عراة كما خَلَقهم ربهم (من دون ملابس) يزرعون الأرز على ضفاف الأهوار.

وعندما وصلت إلى آخر الهور الثاني، وجدت بيت شيخ القبيلة، وهو البيت الوحيد الذي يملك مولداً للكهرباء، وقد استحممت هناك، في الوقت الذي كان فيه الفلاحون في المنطقة يشربون الماء الملوث بعد غليه وتخليصه من الديدان.

وفي الوقت ذاته كانت تلك المناطق تستعد لإجراء إحصاء للسكان، ذلك أن الشيخين في الأهوار كانا يحسبان ملكيتهما على أساس عدد الفلاحين الذين يعملون لديهما، وليس على أساس مساحة الأرض. . تلك الزيارة أثّرت فيّ تأثيراً كبيراً. أما الأمر الثالث الذي أثّر فيّ فكان كتاب يوسف صايغ **الخبز مع الكرامة**، عن المحتوى الاجتماعي للتنمية.

■ ***وكان آنذاك في أكسفورد أم في كامبريدج؟***

خير الدين حسيب: لا، كان في الجامعة الأميركية في بيروت.

■ ***هذا يجرنا إلى الإحساس الحاد بمسألة الفقر وضرورة تجاوزها إلى مسألة التنمية والتنمية المستقلة، وهي أحد العناصر في المشروع الحضاري. التنمية بحسب أحد التعريفات، وأظن أن اليونسكو كان لها تعريف، أن التنمية هي العلم حين يصبح ثقافة، أو العقلانية حين تصبح ثقافة. أليست مشكلتنا في أن التجربتين الوحيدتين اللتين أرادتا أن تستخدما العلم في البناء الوطني هما التجربة الناصرية والتجربة البعثية؟***

خير الدين حسيب: انظر إلى أوائل الستينيات، كان الفكر الاقتصادي الذي يعالج موضوع التنمية، يهتم بالتمويل وحده، الاقتصادي السويدي غونار ميردال درس التجربة في آسيا مع فريق اقتصادي وخرج بنتائج الدراسة هذه في كتاب اسمه **الدراما الآسيوية** (*Asian Drama*) ووصل من دراسته الميدانية إلى أن التمويل ليس هو

(*) قارب صغير مصنوع من القصب ومطلي بالقار يتحرك بواسطة قصبة كبيرة.

الأساس، وأن العوامل غير الاقتصادية وفي مقدمتها التعليم والتربية وغيرهما من العوامل تؤدي دوراً مهماً في التنمية. وبعده مباشرة كتب المرحوم د. يوسف صايغ كتابه **الخبز مع الكرامة**، وكان أول عربي يهتم بالمحتوى الاجتماعي للتنمية. وبعد ذلك بدأ الاهتمام بالجوانب المؤسسية وقضية الديمقراطية والحريات. . وفي السبعينيات كتب المرحوم الدكتور يوسف صايغ دراسة مهمة عن التنمية العربية، وأخذ كل بلد على حدة في مجلد كبير، وفي مجلد آخر كتب عن محددات التنمية العربية، وأشار بالتفصيل إلى العوامل غير الاقتصادية في عملية التنمية.

ج ـ الحلقة الثالثة (٢٢ آب/أغسطس ٢٠٠٥)

■ ***من أشهر عمليات المراجعة والنقد الذاتي المراجعة التي قام بها الدكتور خير الدين حسيب، حيث يرى أن الفكر القومي لم يحفل في صيغته التقليدية إلا بقضيتي الاستقلال عن الحكم الأجنبي ثم الخروج من التخلف الاقتصادي، أي إنه كان شبه خالٍ من المحتوى الاجتماعي والسياسي، لكن التطورات التاريخية وبخاصة الهزائم المتلاحقة قد حدت الفكر القومي على إعادة ترتيب الأولويات على أساس التكافؤ بين جميع عناصر المشروع النهضوي.***

خير الدين حسيب: الفكر العالمي كله تطور بحسب الظروف المحيطة به، بمعنى أنه من فترة الحرب العالمية الثانية حتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين والدول العربية المحتلة مهتمة بقضية الاستقلال، والاستقلال يحتاج إلى تجميع الناس، وكانت الحركات الوطنية تركّز بالتالي على موضوع الاستقلال والتحرر من الاستعمار، فلم يكن هناك تركيز على القضية الاجتماعية، لأن القضية الاجتماعية تفرّق الناس، والتحرير يحتاج إلى تجميع الناس. في بداية الخمسينيات، مع الحركة الناصرية بدأ عبد الناصر يهتم بالتغيير الاجتماعي، وقبل ذلك اهتم البعث في الأربعينيات بطرح موضوع التغيير الاجتماعي كشعار، وموضوع الاشتراكية والوحدة والحرية، الاشتراكية كشعار، لكنه شعار لم يترجم إلى شيء عملي. وأذكر أن أكرم الحوراني كان قد اهتم بموضوع الفلاحين. . . إلخ. وفي مجلس النواب السوري لم يستطيعوا إلا أن يسنّوا قانوناً من مادة واحدة وهي قضية تهجير الفلاحين من الأراضي فقط. إنما بمجيء عبد الناصر وثورة تموز/يوليو ١٩٥٢ التي أقرت وأدخلت الإصلاح الزراعي، وبعد حصول الوحدة ـ أي قيام الجمهورية العربية المتحدة ـ تم تطبيق الإصلاح الزراعي في سوريا، وبعد حصول ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، تم تطبيق الإصلاح الزراعي في العراق، ولم يكن لديهم قانون، فاعتمد قانون الإصلاح الزراعي الخاص بالجمهورية العربية المتحدة في سوريا، وبحده

الأدنى وبحسب طبيعة الأراضي، أي نسخة طبق الأصل، ثم تأثرت بذلك الجزائر وأخذت بهذا المشروع أيضاً.

في الخمسينيات والستينيات اهتمت القومية العربية، وتجربة عبد الناصر بالذات، بالتغيير الاجتماعي، ونحن في ذلك كنا نسير معه. هنا حصل اجتهاد، وأعتقد الآن أنه كان اجتهاداً غير صحيح. كان هناك اقتناع بأن الديمقراطية التي عرفتها البلدان العربية لم تتمكن من تحقيق تغيير اجتماعي سريع، فَدَعُونا نؤجل موضوع الديمقراطية، ولنركز على موضوع التغيير الاجتماعي وبعدها نعود إلى الديمقراطية. وكان هذا كما أعتقد ثغرة، لأنه على الرغم من كل التقدم الذي حصل في مصر، والمتعلق بالتغيير الاجتماعي، وبمجيء السادات، لم تكن هناك مؤسسات تؤمن بالديمقراطية، فتخلّى عنه، وتمت تقريباً تصفية القطاع العام. لذلك يجب عدم المقايضة بين التنمية المستقلة والديمقراطية.

■ ***دكتور، في ذلك الوقت كان هناك جيل كامل يفكر بهذه الطريقة.***

خير الدين حسيب: صحيح، نحن يجب أن نحكم على التجربة من هذا الجانب في الظروف التي كانت قائمة آنذاك، وفي ظل الهجمة الاستعمارية على تجربة عبد الناصر، التي نُشر عنها الكثير من الوثائق، لكن يبقى أن نستفيد من هذه التجربة للمستقبل. بعد السبعينيات وبعد وفاة عبد الناصر بدأت القومية العربية تهتم بموضوع الديمقراطية، الظروف والتجربة فرضت ذلك، وبالتالي فإن لدى الفكر القومي الآن من الأدبيات والاهتمام بالديمقراطية وحقوق الانسان أكثر مما هو موجود في أي تيار آخر أو مدرسة فكرية أخرى. نحن وجدنا أن القوالب القديمة للتصنيفات القومية المختلفة وحتى غير القومية لم تعد واردة الآن. يعني التصنيف بين قومي وبعثي وناصري. . . إلخ. كانت له ظروف تاريخية، لكن في ما يتعلق بالمستقبل فإنه لا مبرر لهذه التصنيفات. وحتى بالنسبة إلى الإسلاميين ـ وأنا أتكلم عن الإسلاميين العروبيين وفي مشروع الاستشراف التيار القومي يجب أن يتعاون مع التيار الإسلامي والتيار اليساري، أي مع القوى التي تؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية وتؤمن بقضية الوحدة العربية، حتى لو كانت هذه مرحلة نحو وحدة أكبر كما هي رؤية التيار الإسلامي. وبالتالي بدأنا حوارنا مع هذه التيارات. أول حوار كان في القاهرة عام ١٩٨٩ في ندوة أسميناها «الحوار القومي ـ الديني»، فكانت من أهم الندوات فكرياً وسياسياً لأنها جمعت كل التيارات الأساسية من الإسلاميين والقوميين، وكانت ميزتها كذلك أنه لأول مرة تجري عملية نقد ذاتي، كلُ ينقد نفسه. الإسلاميون نقدوا أنفسهم ذاتياً، وأنا قمت بعملية نقد للفكر القومي. بعدما تأسس المؤتمر القومي العربي في عام ١٩٩٠، حاولنا أن نستفيد من تجربة الحوار القومي ـ

الديني، وبدأنا بفكرة إنشاء مؤتمر قومي ـ إسلامي، مع التيار اليساري. لم تعد الفوارق مهمة أبداً، وكان هناك كلام مع الإخوان، فقالوا إن بإمكاننا أن نشترك جميعنا في إعداد المشروع الحضاري العربي، وبالتالي إذا كانت هناك ملاحظات فَلْنبدِها، لكن لا توجد خلافات تبرر عدم إقامة هذا الحوار. وبالنسبة إلى الإسلاميين كلفني المؤتمر القومي العربي بالإعداد لهذا المؤتمر القومي ـ الإسلامي، وكانت هناك اتصالات مع جميع التيارات الإسلامية الموجودة عربياً. ولم تكن الخلافات في ما بينهم تقلّ عن الخلافات الموجودة بين القوميين. وفي عام ١٩٩٤ عقدنا المؤتمر القومي ـ الإسلامي واتفقنا على برنامج مشترك في ما يتعلق بالديمقراطية والتعددية السياسية، وفي ما يتعلق بالوحدة العربية . .

■ ***بما أنك، د. حسيب، تفضلت بذكر التجربة الناصرية، وأنت كنت في بداياتك قومياً ناصرياً، ولو أنك تعتبر الآن أن الناصرية مجرد لحظة من لحظات تطور المشروع القومي، عرفت عبد الناصر شخصياً وعرفت الرئيس حافظ الأسد شخصياً أيضاً، ما هو تقييمك لتجربتهما؟***

خير الدين حسيب: عبد الناصر في تقديري أنا ـ وقد أكون مخطئاً ـ كان متقدماً على الشعب المصري والشعوب العربية عموماً في نظرته الاجتماعية السياسية، وكان متقدماً على القوى السياسية في داخل مصر حتى في ما يتعلق بالشعارات التي كان يطرحها. ما قام به عبد الناصر كان يتجاوز حتى الشعارات. ما كان يطرحه، كان يتناول مجالات عديدة: في موضوع الإصلاح الزراعي وفي موضوع التنمية المستقلة والتصنيع وفي موضوع التعليم المجاني، كذلك في موضوع تحرير الأجزاء العربية التي كانت لا تزال تحت الاستعمار ـ ولا أتصور أن الاستعمار كان سيرحل عن جنوب الجزيرة العربية وعدن لولا دور عبد الناصر. وفي أفريقيا أدى عبد الناصر دوراً كبيراً في تحرير أفريقيا. عبد الناصر كان لي أكثر من لقاء معه. في عام ١٩٦٣ كنت أدرس التجربة الاشتراكية في مصر وسوريا وقابلته، وتناقشنا في عدد من الأمور، وبخاصة في **الميثاق** الذي صدر في عام ١٩٦١. وكانت له نظرة في الاشتراكية العلمية، وقد ناقشته في الاشتراكية العلمية وهل المقصود بها الماركسية؟ تبين لي أنه لم يكن يقصد الماركسية. وبعد لقائنا بفترة قصيرة كان هناك احتفال «عيد العلم»، وكان عبد الناصر يلقي خطاباً في هذه المناسبة، وانتهز عبد الناصر الفرصة ليوضح هذا المفهوم. وكان الأخ أديب الجادر موجوداً في القاهرة، فقال له: قل لخيري إنني قد أجبت عن سؤاله. وقد قال لي في إحدى المرات إنه يقرأ في الاقتصاد، لأن الاقتصاديين يقولون أحياناً إذا حصل كذا يحصل كذا، ولكن الاقتصادي لا يعطي جواباً قاطعاً.

كان عبد الناصر شخصية فريدة، ولا أتوقع مجيء مثلها. ولسوء الحظ أنه رحل وهو في منتصف الطريق، ولم تتح له الفرصة للتحضير والاستعداد لعبور القناة وتكملة المشوار. لو عبر هو القناة لكانت النتيجة اختلفت عما حضل عام ١٩٧٣.

الرئيس حافظ الأسد بدوره كان لا شك شخصية لها حضورها، ولا شك لدي في أنه قومي عربي. لقد أخبرَني أنه منذ كان في الثانوية وهو ينتمي إلى حزب البعث. وقد تسلّم الحكم عام ١٩٧٠، ولكن مع تغير الظروف العربية وغياب عبد الناصر، وأنا قلت له هذا الأمر في أحد لقاءاتنا، لم يستطع أن يحقق أهدافاً إيجابية، لكنه استطاع أن يمنع وقوع بعض الأحداث السلبية. ولا شك في أن وجود المرحوم الرئيس حافظ الأسد أعطى سوريا دوراً عربياً واقليمياً ودولياً أكبر من المعطيات الموضوعية المتاحة لسوريا، وهذا ما لاحظناه بعد غيابه، فدور سوريا تضاءل كثيراً كما حصل في الأردن كذلك، فالملك حسين أيضاً كان أكبر من الأردن، وبعد غيابه رجعت الأردن دولة صغيرة ودورها محدود.

■ ***بما أنك ذكرت بالنسبة إلى الرئيس الراحل عبد الناصر أنه كان سابقاً للقوى السياسية وسابقاً حتى للرأي العام المصري، المركز ـ وعودة إلى مركز دراسات الوحدة العربية ـ يقوم بدور كبير في الإنتاج الفكري، وتقريباً هو المصبّ الذي تصب فيه كل قنوات الإنتاج الفكري العربي، فهل تعتقد أن هذا الإنتاج يقوم بدور له تأثير في الرأي العام عربياً؟***

خير الدين حسيب: عالمياً لم يتم التوصل حتى الآن إلى مقياس موضوعي لكيفية تأثير أي فكر معين أو كتاب أو مقالة في الناس، فحتى الآن يستعملون معيار كم مرة هذا الكتاب أو المقالة يشار إليهما في مؤلفات أخرى (Citation Rate). وفي ما يتعلق بهذا المقياس، ليست لدينا دراسة ميدانية موضوعية، لكن بالنسبة إلى الكتب والأبحاث التي تكتب عن الوطن العربي، أستطيع أن أقول وبكل تواضع إن نصف المصادر التي تستعمل هي كتب المركز ومجلة **المستقبل العربي** والإصدارات الأخرى عن المركز. هذا جانب، أما الجانب الآخر فهو زيادة المبيعات، ففي الوقت الذي تعطى فيه أوصاف مختلفة للفكر القومي، أستطيع القول على الرغم من هذه الزيادة في المبيعات والإقبال عليها، وبكل تواضع، إن هناك تدافعاً للتعاون مع المركز سواء أكان عربياً أم دولياً، ونحن في طريقنا الآن لإصدار مجلة فصلية باللغة الإنكليزية للدراسات عن الوطن العربي ستسمى **الشؤون العربية المعاصرة** (*Contemporary Arab Affairs*)، بالتعاون مع جامعة برنهام (Burnham) وجامعة إكستر (Exeter) في بريطانيا، ونأمل أن يصدر العدد الأول في بداية عام ٢٠٠٦. كذلك نحن على وشك أن نفتتح مركزاً متواضعاً في واشنطن، وهو مركز للدراسات الأمريكية والعربية، لأننا في

حاجة إلى الإطلالة أكثر لمعرفة ما يدور فكرياً وسياسياً في الولايات المتحدة الأمريكية.

■ ***من منطلق المعرفة الجادة والبحثية، ينشر المركز إنتاجه ومجلته في الوطن العربي، وزيادة على إنتاج المركز طبعاً هناك فكرة المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي - الإسلامي تجمع تيارات فكرية ليس لها ممثلين داخل بلدانها، وحتى بعضهم لا يُسمح لهم بالعودة إلى بلدانهم وحتى بزيارة بعض البلدان العربية، هذا يطرح عليكم مشكلة هي مشكلة الرقابة، فكيف تتعاملون مع مشكلة الرقابة في الوطن العربي؟***

خير الدين حسيب: دعني أوضّح أولاً بشأن المؤتمر القومي العربي وما وراء استراتيجيته؛ نحن لم نتقيد بالمفهوم التقليدي لمن هو قومي عربي. القومي العربي على مستوى الوطن العربي، هو من تنطبق عليه شروط العضوية، أي من يؤمن بالأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي. قد يكون قومياً عربياً، أو إسلامياً أو يسارياً أو ليبرالياً. . . إلخ.

بعد السنوات الأولى من عمل المركز، اقتنعت الرقابات العربية باستقلالية المركز. ولذلك من باب الإنصاف القول إنها تعاملنا معاملة تفضيلية، أي لو فرضنا أن هناك مقالة في صفحة أو صفحتين لا توافق عليها الرقابة فإنها لا تمنع المجلة كلها، بل تنزع هذه الصفحات، ونحن وبعد أن استقرت المجلة، أحياناً ننشر مقالة نعرف مسبقاً أن بلداً ما سيمنعها. عندئذ نأخذ هذه المخاطرة ونجازف، ولكن الخط الأحمر الذي نقف عنده هو عدم نشر شيء قد يؤدي إلى منع جميع مطبوعات المركز من الدخول إلى بلد معين. ونحن مركز يدعو إلى التغيير ومنذ البداية واجهنا هذا الموضوع؛ نحن مع جرعات صغيرة تزداد تدريجياً، بدلاً من جرعات كبيرة تؤدي إلى منع المجلة والكتب من الدخول، وبالتالي لا تتحقق الغاية. نحن يهمنا الوصول إلى القارئ العربي.

■ ***طبعاً من ضمانات الوصول توافر الموارد المالية التي تحفظ للمركز استقلاليته، ما هو الوضع المالي الحالي للمركز؟***

خير الدين حسيب: للأسف الشديد، وكما ذكرت لك في حلقة سابقة، منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن، باستثناء مرة واحدة، لم نستلم أي مساعدة من أي حكومة. لقد اعتمدنا منذ البداية على تطوير مبيعاتنا. مبيعات كتب المركز والمجلة تغطي حوالى ٦٠ في المئة من مصروفاتنا. إن ميزانيتنا السنوية تقدر بحوالى مليون ونصف أو مليون وسبعمائة وخمسين ألف دولار. نصفها تغطيها المبيعات، وهناك مساعدات شخصية كانت تصل قبل الآن إلى حوالى الـ ٢٠٠ ألف دولار سنوياً، الآن لا تتجاوز حوالى ٨٠ ألف دولار سنوياً. وهناك أعضاء مجلس الأمناء يساعدون في هذا المجال.

وفي السنوات الأخيرة تم إنشاء وقفيات للمركز. تم إنشاء وقفية باسم جمال عبد الناصر، وهي بقيمة حوالى مليون و١٠٠ ألف دولار، الدخل منها ينفق على جائزة كل سنتين؛ جائزة عبد الناصر، ومشاريع فكرية وندوات حول عبد الناصر. نشرنا تقريباً نصف الفترة السياسية من حياة عبد الناصر السياسية، وكذلك من خطبه.

وتم إنشاء وقفية أخرىَ باسم عبد الله الطريقي. وعبد الله الطريقي هو من أوائل من نادوا بالوحدة العربية، ووقفيته تصل إلى مليون دولار، وقد جمعنا أكثر من ٦٠٠ ألف دولار، ولها كذلك جائزة سنوية وفكرية وكرسيّ استشارية. ومنذ أسابيع قليلة تم إنشاء وقفية ثالثة باسم الأستاذ عبد المحسن قطان، وهو عضو مجلس أمناء، ومن أهم الذين دعموا المركز. وتتركز هذه الوقفية على القضية الفلسطينية، وسيكون هناك كرسي للقضية الفلسطينية وأبحاث عملية تطبيقية حول القضية الفلسطينية. لكن لا يزال لدينا عجز سنوي يقدر ما بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ألف دولار. لكننا بحاجة إلى دعم حتى إننا لا نستطيع أن نعقد الآن ندوة كبيرة من دون توفير تمويل. بدأنا بحذر شديد التعامل مع بعض المؤسسات الدولية لتمويلنا. مثلاً المعهد السويدي بالإسكندرية نتعاون معه بشكل كبير الآن. من ناحية أخرى، أنشأنا قسماً للخدمات الطباعية يوفر لنا سنوياً ما بين ٧٠ ألفاً و٨٠ ألف دولار. وعلى أي حال تعوّدنا على التعايش مع الفقر.

■ ***«الخبز مع الكرامة» . .***

بالنسبة إلى العراق، إن المركز مهتم كثيراً بالبحث وعقد الندوات حول العراق. وفي ما يتعلق بالمسألة العراقية، فقد تنبأت منذ سنوات بأن غزو العراق أمريكياً سيعنى بالسيرورة التاريخية، بداية نهاية الامبراطورية الأمريكية.

خير الدين حسيب: بالنسبة إلى موضوع العراق بدأ المركز يهتم به منذ غزو العراق واحتلاله، لأننا نعتقد أن ما يحدث في العراق سيؤثر في الأمة العربية والوطن العربي كله وسيؤثر إقليمياً وحتى دولياً. إلى أي حد ستبقى أمريكا القوة الوحيدة الألمع في العالم؟ لا أزال أعتقد أن هدف أمريكا الامبراطورية والمحافظين الجدد سينكسر بمجرد أن ينكسر الوجود الأمريكي في العراق، ولا بد من أنك لاحظت في التصريحات الأخيرة أنهم يلاقون المزيد من المصاعب ويرغبون في التفاوض مع المقاومة . . . إلخ. أعتقد أن نهاية الاحتلال الأمريكي للعراق أقرب كثيراً مما يعتقد البعض. هناك مقاومة تزداد انتشاراً وتزداد عملياتها النوعية. وهناك قوى احتلال أمريكية تزداد ضعفاً، لأن عدداً من دول التحالف سحبت قواتها، وآخرين سيفعلون الشيء نفسه. وأمريكا نفسها ستجد نفسها مجبرة على ذلك. وقد

زاد عدد القتلى عن ١٧٠٠، وهو ليس كبيراً، ولكن عدد الجرحى ارتقع بحسب التقديرات من نحو ٢٦ ألفاً إلى ٥٤ ألفاً. وتقديرات البنتاغون هو أن نصفهم لا يستطيع العودة إلى حياة طبيعية. أمريكا تجد صعوبة في تجنيد أشخاص. هناك ٥٠٠٠ فروا من الجندية، وهناك ٥٥٠٠ مُنحوا لجوءاً سياسياً في كندا. إن لديهم صعوبات في التعويض، ولذلك فإن عدد القوات الأمريكية انخفض من ١٦٠ الفاً إلى ١٣٠ ألفاً، وعدد القوات المسماة بقوات التحالف انخفض كثيراً. إنهم يزدادون ضعفاً، والروح المعنوية بحسب التقارير منخفضة، وهذا نتيجة تأثر الجيش الأمريكي في العراق بما يحدث في أمريكا والرأي العام وأعضاء الكونغرس، حتى إن الجمهوريين يطالبون بتحديد جدولٍ للانسحاب.

كنت، ولا أزال، متفائلاً بأن نهاية المشروع الأمريكي وبداية انهيار هذا الحلم سيكونان في العراق.

■ ***بهذا سيداتي سادتي تبلغ هذه الحلقة من «مسارات» مع الدكتور خير الدين حسيب تمامها. حتى لقائنا معكم في حلقة قادمة، هذا مالك التريكي يحييكم. دمتم في أمان الله.***

د. حسيب، شكراً.

(٢)

جولـــة أفـــق:
أمريكا ـ العراق ـ الوحدة ـ المركز(*)
(١٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥)

● مفهوم الوحدة العربية الذي ندافع عنه تطور كثيراً عن المعنى القديم الاندماجي للوحدة.

● قدر غير قليل من الإحباط والسلبية يسود في الشارع العربي.

● التغيير لن يكون بالعنف. . . إنما يتطلب تكوين جبهات من التيارات السياسية.

● الديمقراطية ممارسة. . وهي كالسباحة لا يمكن تعلمها بقراءة كتاب: **كيف تتعلم السباحة؟**

● مركز دراسات الوحدة العربية مدين لوجوده في لبنان بما حققه من إنجازات.

(*) مقابلة لإذاعة «الشرق»، أجراها يقظان تقي مع خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية في ١٠/ ٩/ ٢٠٠٥، والآراء الواردة فيها شخصية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء المركز. ونشرت في: **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣٢١ (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥)، ص ٣٦ ـ ٥٢، بعنوان: «جولة أفق لإذاعة الشرق مع خير الدين حسيب: أمريكا ـ العراق ـ الوحدة ـ المركز».

■ ***يسعدني أصدقائي المستمعين أن يكون ضيف الـ (Magazine) لهذا الأسبوع مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية الدكتور خير الدين حسيب.***

فارس من فرسان الكلمة، المثقف والمفكر العربي الوحدوي، الملتزم بعمق بقضايا أمته. شخصية رصينة اضطلعت بدور مركزي عبر إدارته مركز دراسات الوحدة العربية، المؤسسة الفكرية العربية، لا نغالي إذا قلنا، الوحيدة خلال ثلاثة عقود مضت التي اهتمت بمجمل العناوين، بمساحات التنوير، واستقطبت مئات العناوين في دراسات ونتاجات المفكرين والباحثين العرب. والأهم نحن أمام شخصية معنوية فكرية مستقلة، وبحيادية إيجابية تتويجاً لتجربة شخصية وسياسية مثمرة لأكاديمي على سعة الفكر وجدارة الفكرة التأسيسية في استشراف واقع جديد ومستقبل جديد للوطن العربي.

د. خير الدين حسيب نادرة هي طلاّتك الإعلامية، وهي مدروسة جداً ومكثفة، لكن الملاحظ أن إيقاعها اختلف في السنوات الأخيرة في سلسلة محاورات ونقاشات، ربما لأن وتائر التحولات أصبحت أسرع، والتحديات أكبر، والتفاعل الجدلي ربما أكثر من السابق.

حسيب: أولاً، أنا أحب أن أشكرك على تقديمك، وأحب أن أشكر إذاعة «الشرق» على إتاحة هذه الفرصة في هذا اللقاء. والإجابة عن سؤالك هي أنني كنت منطلقاً في عملي في مركز دراسات الوحدة العربية من الحرص على إقامة مؤسسة، ذلك أن ما ينقصنا عربياً وحتى في التاريخ العربي هو وجود مؤسسات. لذلك كنت حريصاً في هذا المركز، في هذه التجربة، على التركيز على المؤسسة وليس على أشخاص، وكنت زاهداً في المقابلات الإعلامية سواء السمعية منها أو البصرية. التغيير الذي تفضلت به فعلاً حصل، لكن أحد الأسباب الرئيسة لحصوله هو ما حدث في العراق. . احتلال العراق وما يحصل في العراق. شعرت أن من واجبي ومن واجب مركز دراسات الوحدة العربية أن نتصدى لهذا الموضوع، ليس لكوني عراقياً، لكن لاقتناع لديّ بأن ما يحصل في العراق سيؤثر إيجاباً أو سلباً في الأمة العربية وفي كل الوطن العربي وفي الوضع الإقليمي، لا بل في الوضع الدولي. نجاح الولايات المتحدة، لا سمح الله، في البقاء في العراق واستكمال العملية السياسية، والوصول إلى حكومة موالية للولايات المتحدة، وعقد اتفاق معها لإقامة قواعد عسكرية في العراق، ذلك كله سيؤدي إلى نتائج كارثية على المنطقة العربية ابتداءً من سوريا ثم لبنان، وكذلك على إيران، وبالتالي إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. والأمريكيون لم يخفوا هذا. في المقابل، فإن نجاح الشعب العراقي والمقاومة الوطنية العراقية الشريفة في إخراج الأمريكيين وإجبارهم على الانسحاب سيؤدي إلى بداية

انكسار المشروع الإمبراطوري الأمريكي، وسيؤدي إلى نتائج أكثر من اعتيادية، وإلى تغييرات كبيرة في المنطقة . . سيؤدي إلى زلزال.

■ ***إذاً، لنا عودة إلى هذه المواضيع تفصيلياً. ولكن طرحت موضوع الخطر المحدق في الوطن العربي؛ السيد عمرو موسى أمس في الدورة العادية ال ١٢٤ لجامعة الدول العربية، نقل عنه أن هناك قلقاً ليس فقط على لبنان ولكن على الوطن العربي ككل، قال: «الوضع خطير للغاية والأخطر هو غياب المبادرات كأن هناك نوعاً من الاستسلام التلقائي لمجريات الأمور والقبول بكل ما يعرض من سياسات وعروضات ومخرجات تكون مصلحتها على حساب العرب وحساب مصالحهم وسلمهم وتوافقهم». هذا يوضح مدى خطورة ما يجري. علماً أنكم حاولتم منذ العام ١٩٧٨، أتصور، عبر مركز دراسات الوحدة العربية استشراف هذه المرحلة بتقديم مُدخلات من ضمنها كل ما يطرح اليوم من شعارات عن حقوق الإنسان، والديمقراطية، والمجتمعات المدنية، وسوف نعود إلى طرح هذه العناوين، تمهيداً لمخرجات تتفاعل مع هذه المدخلات ومع الرأي العام العربي، ونحن الآن أمام ظروف ومسار مؤلم للأحداث، أذكّرك أننا نحن الآن عشية ١١ أيلول/ سبتمبر ذكرى الأحداث المؤلمة أيضاً.***

حسيب: دعني أقول إنه، مع الأسف الشديد، وخلافاً لما هو متوقع، وخلافاً لما هو منصوص عليه في اتفاقية الدفاع العربي المشترك التي وقّعت عليها جميع الدول العربية، من المفروض وفقاً لهذه الاتفاقية أنه إذا حصل أي اعتداء على أي بلد عربي، فجميع الدول العربية ملزمة بمساعدة هذا البلد بكل الوسائل بما فيها الوسائل العسكرية، والأمر نفسه ينطبق في حال وقوع تهديد عليها ـ فإن ما حصل هو العكس تماماً. إذا اطلعنا على مذكرات بوب وودورد (Bob Woodward) في كتابه **خطة الهجوم** *(Plan of Attack)*[١]، وعلى كتاب قائد القوات المركزية السابق تومي فرانكس (Tommy Franks) **الجندي الأمريكي** *(American Soldier)*[٢]، سنجد وقائع لا يمكن الإنسان العربي إزاءها إلا أن يصاب بالذهول. سنجد أن بعض الدول العربية ساهم في التحريض على الهجوم على العراق، وأن دولاً عربية أخرى أتاحت للقوات البريطانية والأمريكية الانطلاق منها في الهجوم على العراق. ولا أريد أن أدخل في هذه التفاصيل التي سبق أن أشرت إليها في مناسبات سابقة.

استفاقة الأستاذ عمرو موسى ـ الأمين العام لجامعة الدول العربية ـ مشكورة،

---

(١) Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York: Simon and Schuster, 2004).

(٢) Tommy Franks with Malcom McConnell, *American Soldier* (New York: Regan Books, 2004).

وإن جاءت متأخرة. الذي حصل أنه حتى بعد احتلال العراق لم يَدعُ إلى مؤتمر قمة لبحث ما حصل في العراق. وبدل أن تقاوم الجامعة العربية والدول العربية احتلال العراق سعت إلى التطبيع مع الاحتلال. فما يسمى بـ «مجلس الحكم المؤقت» الذي أنشأه الاحتلال، وبريمر كان الحاكم العسكري، اعترفت به الدول العربية، وعاد العراق إلى الجامعة العربية وكأن شيئاً لم يكن. وبالتالي، أنا لا أقول الأستاذ عمرو موسى وحده، بل الجامعة العربية ـ بما فيها أعضاؤها ـ مسؤولة عن تسهيل الأمور للاحتلال. وموقف الجامعة العربية أدى إلى أن تأخذ الأمم المتحدة كذلك موقفاً مماثلاً. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة اعترفت بأن وجودها في العراق هو احتلال، إلا أن الأمم المتحدة قَبِلَتْ هذا الأمر الواقع. وبالتالي أنا آمل أن تنتبه الجامعة العربية والدول العربية الأعضاء إلى خطورة ما يحدث في العراق، وأن نتائج ما يحصل في العراق، خيراً أو شراً، ستنعكس عليهم بدرجات مختلفة.

■ ***كم يؤلمك خير الدين حسيب الإشارة الأخيرة للسيد طالباني إلى أنه تماهياً مع الجامعة العربية، تم إدراج بند أو إشارة إلى عروبة العراق في الدستور العراقي الجديد؟ هل هناك تشكيك في عروبة هذا البلد حتى نضع إشارة على دستور عراقي جديد؟***

حسيب: الذي حصل منذ احتلال العراق أن الولايات المتحدة وأجهزتها الإعلامية المختلفة وحتى في داخل العراق لم تعد تتكلم عن الشعب العراقي، إنما عن عرب وأكراد وتركمان وكلدانيين، وعن الشيعة والسنّة . . . إلخ. وغذوا هذه الاتجاهات وشكّلوا ما يسمى مجلس الحكم المؤقت بناءً على هذه الاعتبارات الطائفية، وبناءً على معلومات وتقديرات غير صحيحة. إن الدستور أو ما يسمى مشروع الدستور، الذي لم يحسم أمره، والذي يشكّك البعض في قانونيته هو موضع خلاف كبير بين أفراد الشعب العراقي.

دعني أبيّن للسادة المستمعين أنه خلافاً لما يقال عن العراق إنه تركيبة موزاييك وغير ذلك، فالعراق ٨٠ في المئة من شعبه عرب، و٩٥ في المئة منهم مسلمون. وبالتالي لا يوجد ما يبرر هذا. ونسبة الأكراد بحسب إحصاء سنة ١٩٥٧، وهم الذين يتمسكون به لأنه تم قبل ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨، هي ١٦,٤ في المئة، وهذا لا يبرر كل ما جاء في ما يسمى بـ «مشروع الدستور». كل الدساتير السابقة منذ ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٨ نصّت على أن العراق جزء من الأمة العربية. في عام ١٩٥٨، بعد ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٨، وفي عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٤ في قانون الحكم الذاتي، اعترف بأن في العراق قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية، ومنح الأكراد حكماً ذاتياً. لكن هذا لا يبرر لنسبة ١٦ في المئة أن يُلغوا عروبة ٨٠ في المئة من الشعب العراقي. لقد ذكروا في مشروع الدستور «أن العراق جزء من الأمة

الإسلامية والشعب العربي في العراق هو جزء من الأمة العربية»، ثم ظهرت اعتراضات كالتي تمت من الأخ عمرو موسى، وفي حدود معلوماتي أن التعديل الذي تم هو «أن العراق عضوٌ فاعلٌ في جامعة الدول العربية وملتزم بميثاقها»، فلم يعيدوا النصوص الأصلية كما كانت: «العراق نفسه جزء من الأمة العربية». وهذا أمر لا يرضي الشعب العراقي، إضافة إلى وجود أشياء خطيرة في موضوع الفدرالية وتوزيع السلطات. هناك أشياء خطيرة جداً في الدستور تمهّد لتقسيم العراق وإضعافه، وهذا جزء من السياسة الأمريكية. السياسة الأمريكية لا تريد حكومة مركزية قوية في العراق نظراً إلى إمكانياته وموارده؛ فهناك أرض وأنهار ونفط وشعب، وكلها يمكن أن تقيم بلداً متقدماً وقوياً، لهذا لا يريد الأمريكيون أن تنشأ في العراق حكومةٌ مركزية قوية، وبلدٌ يأخذ دوره الإقليمي. وحتى السياسة النفطية تم تقسيمها ما بين الحكومة المركزية والأقاليم، علماً بأن هذا موضوع لا يمكن أن تبتّ فيه الأقاليم. فإذا أردت أن تعمل حفراً وتنقيباً في منطقة معينة، أو تمد أنبوباً في منطقة معينة، لا يمكن الأقاليم أن تشارك في عملية من هذا النوع، ولا بد من وجود خطة مركزية. والمحزن أيضاً أنه خلال الفترة ما بين عام ١٩٩١ وحتى احتلال العراق في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣، عقد الإخوة الأكراد اتفاقيات مع بعض الشركات الثانوية لاستكشاف النفط في منطقتهم. ومشروع الدستور يشرِّع جميع الاتفاقيات التي عقدها الإخوة الأكراد خلال تلك الفترة وجميع القوانين التي أصدروها في تلك الفترة، وهو شيء لا يمكن قبوله، يعني أن تصدر قراراً بأثر رجعي. في الحقيقة هناك عدد كبير من الثغرات في الدستور لا يمكن قبولها عراقياً ولا عربياً.

■ ***د. خير الدين حسيب، أنت ابن العراق وتعرفه جغرافياً وناساً وبيئةً وتاريخاً. نحن في حاجة إلى تشريح قانوني لموضوع الفدرالية. ولكن هل فعلاً نحن أمام هذا الإعصار العراقي الذي من شأنه ـ طبعاً بحسب ما ذكرتم منذ لحظات حول عدم رغبة أمريكا في قيام دولة عراقية قوية، وفي التمهيد أيضاً لإضعاف الدولة العربية كمفهوم لصالح جماعات متشددة من هنا لصالح ديماغوجية دينية بما يجري تداوله من صيغ فدارلية تنتج مذهبيات وطوائف ـ بالضرورة ستنتج ثقافة عنف متضاعفة في المنطقة، وتباعداً تاريخياً وتباعداً وحدوياً للأسف، وهذا ما عالجتموه منذ عام ١٩٧٨ حتى اليوم، والذي هو وعي أهمية الوحدة العربية؟***

حسيب: أنا أعتقد أن مشروع الدستور هذا سيؤدي إلى نتائج كارثية بالنسبة إلى العراق، إذ سيتحول إلى عراق غير العراق الذي كنا نعرفه في السابق. وسيكون بداية التخلف في المجتمع العراقي، وبداية تدخل الدين في السياسة، علماً أن هناك مذاهب مختلفة إضافة إلى موضوع الشيعة والسنّة. إن السنة أنفسهم لديهم مذاهب

مختلفة، وبالتالي إذا دخلنا في هذا المدخل فمن الصعب توحيد المجتمع. العراق، بعد ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨، سبق أن سن قانون الأحوال الشخصية، وهو قانون متقدم بكل المعايير. الآن حاولوا في ما يسمى «مجلس الحكم المؤقت» العودة عن هذا القانون، ولكن حدثت ردود فعل قوية، وقد التفوا حوله بمواد مختلفة في الدستور وأنشأوا بموجب مشروع الدستور هذا مرجعية تضم بعض رجال الدين حتى تبتّ في ما إذا كانت القوانين التي تُسنّ تتعارض مع الشريعة الإسلامية وثوابت الإسلام أم لا.

نحن نتجه نحو شيء قريب من الصيغ المتبعة في إيران، مثل لجنة صياغة الدستور وما شابه ذلك، وهذا شيء جديد على العراق. العراق منذ تأسيسه حتى احتلاله مؤخراً، لم يسبق للمؤسسة الدينية ـ لا الشيعية ولا السنّية ـ أن تدخلت في تأليف الوزارات العراقية وفي إعداد القوانين. كان البرلمان أو أية جهة تحكم، سواء «مجلس قيادة الثورة» أو غيره، كانا يبتان في هذا. المؤسسة الدينية دورها كان محدوداً جداً. لهذا فإن العراقيين متنبهون، ولحسن الحظ بعض الدول العربية بدأت تتنبه إلى هذا، لكن في النتيجة الشعب العراقي هو الذي سيقرر حين يتخلص من الاحتلال.

■ ***د. خير الدين حسيب، طبعاً قرار غزو العراق منذ العام ١٩٨٨ كما أشرت، التداعيات التي نتجت منه معروفة. وبعد أربع سنوات من الحرب على الإرهاب دخلنا في حزمة من الرعب في غير مكان، كما ذكرت ليس العرب والمسلمون هم المستائين من أمريكا، ولكن الغرب أيضاً. الدكتور غسان العزي يتحدث عن عودة أمريكية للخروج من الأحادية باتجاه تعددية أوروبية، لكن يبدو أن مفاعيل هذه التعددية أكثر ضرراً، وهي تصب في خانة المنطقة العربية، كما أشار من ضمنها القرار رقم ١٥٩٥. إن المغطس الأمريكي سيدفع باتجاه الهروب إلى الأمام، وبالتالي المزيد من المسارات المؤلمة في المنطقة العربية تحديداً.***

حسيب: أمريكا الآن تدفع ثمن مغامرتها في العراق. مؤخراً تم استطلاع للرأي العام على عينة مؤلفة من ١١ ألفاً من الولايات المتحدة وعشر دول أوروبية حول العلاقات ما بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة. بحسب هذا الاستطلاع، فإن نسبة ٧٢ في المئة من الأوروبيين لا يوافقون على سياسات بوش الدولية، فعلى الرغم من أن الأمريكان أكثر اهتماماً الآن بالأوروبيين، لكن أكثر من الثلثين من الأوروبيين لا يوافقون على السياسات الأمريكية. لقد أعلن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان بشكل واضح أن الحرب على العراق كانت غير قانونية. لم تكن هناك أسلحة دمار شامل، ولم تثبت علاقة للعراق بالقاعدة. ثم لجأوا إلى موضوع الديمقراطية، ونحن

نشهد كيف أن ما يحصل في العراق الآن أبعد ما يكون عن نموذج يحتذى به للديمقراطية. قال كوفي أنان في تصريح أخير لإذاعة الهيئة الإذاعية البريطانية «بي. بي. سي» (B.B.C.) اللندنية، إن غزو العراق الذي قادته الولايات المتحدة حوّل هذا البلد إلى مركز للإرهاب أسوأ مما كان في أفغانستان في ظل حكم طالبان.

أمر آخر، صموئيل هانتنغتون، معروفة نظرياته، ففي مقابلة نُشرت في **الفايننشال تايمز** يوم ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥، قال إنه في أوائل عام ٢٠٠١ وقبل أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، هناك مؤسسة في أمريكا اسمها الوكالة الاتحادية لإدارة الطوارئ (Federal Emergency Management Agency) حذرت الإدارة الأمريكية من ثلاثة أخطار يمكن أن تكون قاتلة. **الأول**، أنه يمكن شن هجوم من قبل الإرهابيين على مدينة نيويورك. **والثاني**، إعصار (Hurricane)ويمكن أن يغطي نيو أورليانز، مثل إعصار كاترينا الذي حصل. **والثالث**، زلزال في سان فرانسيسكو. إدارة بوش لم تهتم بأي من هذه التحذيرات الثلاثة، وركّزت على العراق الذي لم يرد في تلك التحذيرات، كما يقول هانتنغتون.

■ ***هذا سيضاف إلى الانتقادات الحالية لاتجاه سياسة إدارة بوش، والحرب على العراق وإعصار كاترينا وسوء التعامل معه.***

حسيب: شخص مثل صموئيل هانتنغتون يجب أن يُحسب له حساب. وهو بعد ذلك يذكر التفاصيل، كيف أن حرب العراق أدت إلى إنفاق كثير من المخصصات التي كانت مطلوبة لمنع آثار الإعصار على لويزيانا، وبعض الحرس الوطني الذي كانت هناك حاجة إليه في مثل هذه الأزمات أُرسلوا إلى العراق، وبالتالي اتضح تأثير حرب العراق في ما يحصل الآن في الولايات المتحدة.

■ ***بأي حال، الأرقام في إعصار كاترينا لافتة: عشرة آلاف ضحية حتى الآن.***

حسيب: لم يتأكدوا من العدد بعد، قد يكون أقل أو أكثر.

■ ***لكن بالضرورة أكثر من ضحايا ١١ أيلول/ سبتمبر بالتأكيد، هذه نقطة محسومة. وكلفة إعادة إعمار ما دمره لحد الآن بلغت ١٧٠ مليار دولار، ونحن نتكلم في ظل وضع عالمي من عدم التكافؤ الاقتصادي والاجتماعي، وتحديات الفقر والجوع والإيدز.***

حسيب: الجوانب الاقتصادية، الآثار الاقتصادية لغزو العراق، ويضاف إليها الآن آثار ما يحصل في لويزيانا أكثر بكثير مما هو مفهوم عند الرأي العام العربي عموماً. إن العجز في الميزانية الأمريكية في هذه السنة يصل إلى حوالى ٥٠٠ مليار

دولار، والسنة التي بعدها سيكون بالحجم نفسه أو أكثر. الدولار انخفض بحوالى ٣٠ في المئة، وأحياناً أقل وأحياناً أكثر. ديون أمريكا زادت وتجاوزت ٥ تريليونات دولار. الآن كارثة لويزيانا ستزيد العجز في الميزانية. وأمريكا كذلك تواجه صعوبات عسكرية في العراق، والمقاومة تزداد قوة وانتشاراً.

■ ***أنت تنبأت بأن غزو العراق سيؤدي إلى انهيار الإمبراطورية الأمريكية.***

حسيب: ولا أزال أعتقد هذا، وربما يكون ذلك أقرب مما يتصور البعض. ويعتمد ذلك على ما يحدث داخلياً في العراق، وإلى أي حد ستتسع المقاومة السلمية والعسكرية. وسيتوقف هذا إلى حد كبير على المدى الذي سيلتحق به التيار الصدري، تيار مقتدى الصدر، بالمقاومة العراقية. التيار الصدري حتى الآن بدأ بالمقاومة المسلحة في مدينة الصدر والنجف وكربلاء وغيرها. والآن بدأ بالمقاومة السلمية وبتظاهرات تطالب بالخدمات... إلخ، لكن التحاقه بالمقاومة المسلحة وانضمامه إليها سيسرّعان في عملية إجبار أمريكا على الانسحاب.

■ ***د. خير الدين حسيب، هل يعقل بعد سنوات من الاحتلال، ألا تنجز دراسة تفصيلية شمولية عن المقاومة العراقية باستثناء الدراسة التي نشرتموها، والتي تعكس جانباً من شمولية الموضوع، على أهمية أن يكون هناك دراسة فعلاً عن المقاومة العراقية ـ طبيعتها وجذورها، ومن يقوم بالعمل؟***

حسيب: هناك دراستان أساسيتان. الدراسة التي أعدها الخبير في الدراسات الاستراتيجية في أمريكا أنتوني كوردسمان (Anthony Cordesman)، ونشرنا ترجمة شبه كاملة لها في مجلة **المستقبل العربي**[٣]؛ والمعلومات التي قدمتها في مقابلة مع فضائية «المستقلة» حول المقاومة العراقية ونُشرت أيضاً في مجلة **المستقبل العربي**[٤]. وهناك معلومات متفرقة في تقارير أخرى حول الموضوع. لا أريد أن أعيد ما جاء في هذه الدراسة لأنها متوافرة لمن يريد الاطلاع عليها. هناك شيء اسمه مقاومة وطنية عراقية، وهناك شيء اسمه أعمال إرهابية. الأعمال الإرهابية هي التي تُنسب أحياناً إلى الزرقاوي، وأحياناً إلى آخرين. الزرقاوي ليست له علاقة عضوية بالمقاومة، في حين يوجد تنسيق بين كل أطراف المقاومة الأخرى المختلفة.

---

(٣) أنتوني كوردسمان، «المقاومة المتطورة في العراق،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٨ (آب/ أغسطس ٢٠٠٥)، ص ٣٤ ـ ٧٩.

(٤) خير الدين حسيب، «حول التطورات في العراق: المقاومة تقوى وتنتشر والقوات الأمريكية تضعف،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٧ (تموز/ يوليو ٢٠٠٥)، ص ٦ ـ ٣٧.

■ ***هل هو شخصية واقعية؟***

حسيب: نعم هو شخصية واقعية، لكن الصورة عنه مضخمة، مضخمة من قبل الولايات المتحدة حتى تخلق «بعبعاً»، وهي تنسب أشياء مختلفة إلى الزرقاوي، وكذلك هناك مسؤولية أطراف من المقاومة العراقية من أجل التخفي وعدم الكشف عن الوقائع، فهم أحياناً ينسبون بعض الأعمال إلى الزرقاوي، وأحياناً أخرى ينسبونها إلى غير جهة.

■ ***جزء من توريث مجموعة معقدة من الأفكار، توريث سياسة العنف.***

حسيب: هناك أعمال ليست للزرقاوي علاقة بها. هناك جهات أمريكية، جهات موساد، جهات إيرانية، حتى جهات داخل العراق بما في ذلك أجهزة الدولة.

■ ***الموضوع مستفيض ويحتاج إلى حلقة كاملة، عودة إلى مركز دراسات الوحدة العربية، هذا المركز الذي بدأتم فيه في السبعينيات. . شيء لافت يخلط المرء بين خير الدين حسيب البيروتي وخير الدين حسيب العراقي. أمر لافت أن تكونوا قد بدأتم في محاضرات عن الديمقراطية في الوطن العربي في العام ١٩٧٨، وفي العام ١٩٨٣ نظمتم ندوة عن «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي»، وهي الشعارات الإصلاحية التي يرددها الرئيس بوش بعد العام ٢٠٠١. أيضاً كان من اللافت أن يُنشأ مركز دراسات الوحدة العربية بعد شهر واحد من اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، حيث كان هناك، ولا يزال، توتر بين الفكرة الوحدوية العربية والواقع التجزيئي في داخل الدولة القطرية. مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٧٨، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٥، كم بلغ عدد العناوين التي نشرتموها لغاية الآن؟***

حسيب: أكثر من ٥٠٠ كتاب، في المجالات كافة: فكر قومي، ثقافة، سياسة، اجتماع، اقتصاد، وفي مختلف جوانب المجتمع العربي الأخرى.

■ ***كل الكتّاب العرب شاركوا في هذه النهضة الفكرية؟***

حسيب: قبل أن أجيب عن سؤالك، أود أن أنتهز هذه الفرصة لأوجه تحية إلى لبنان. لو لم يكن المركز في لبنان لما أتيحت له هذه الدرجة من حرية التعبير، وهذه الدرجة من الاستقلالية، وهذه الخدمات التي مكنته من الاستمرار من أول عام ١٩٧٨ حتى الوقت الحاضر، على رغم كل ظروف الحَرب الأهلية. إن المركز مدين لوجوده في لبنان بما قد يكون حققه من إنجازات.

■ ***ماذا يعني خير الدين حسيب بيروتي، خير الدين حسيب عراقي، ما الفرق بين بغداد وبيروت؟***

حسيب: من الصعب أن أفرق أساساً، أنا شخص أحاول قدر الإمكان أن أعيش

المبادئ التي أؤمن بها. لبنان فيه مزايا كثيرة. أولاً لا تشعر بالغربة في لبنان، اللبنانيون يتعاملون معك أحياناً كما لو أنك أنت صاحب البيت وهم الضيوف، ولا توجد مشكلة غير قابلة للحل بطريقة أو بأخرى في لبنان. الخدمات متوافرة على رغم كل ظروف الحرب الأهلية التي مر بها البلد. المركز لم يتوقف يوماً واحداً عن العمل، و**المستقبل العربي** استمرت بالصدور بانتظام حتى خلال الحرب، وحتى خلال توقف مطار بيروت، كنا نرسلها براً أو بحراً، ومن ثم تُشحن من هناك. وكان هذا نوعاً من رسالة إلى العالم الخارجي، والعرب بشكل أساسي، أن لبنان لا يزال على قيد الحياة، فالحقيقة أن المركز مدين للبنان. وإذا سألتني العراق أو لبنان، فمن الصعب أن أجيبك عن هذا السؤال.

■ ***٥٠٠ عنوان موسوعة في شتى مناحي الحياة في الوطن العربي، درست كل القضايا التي تهم كل الأقطار العربية، مبيعات وفق أرقامكم تجاوزت المليون ومائتي ألف نسخة من الكتب، مجلة «المستقبل العربي» أشهر منشورات المركز تصدر بانتظام منذ ثلاثة عقود حتى خلال الغزو الإسرائيلي لبيروت. موضوعات هذه الدورية على غاية من الأهمية، وبخاصة في عرضها أهم الموضوعات التي تهم الباحث العربي. تجزمون بأن ما يصدر، غالبية الإصدارات، جزء كبير من مرجعياتها الفكرية من منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، وبخاصة في ما يتعلق بمناحي الحياة العربية. السؤال المبرر والذي يطرح نفسه: كيف حافظتم على استقلالية عمل مركز دراسات الوحدة العربية في ظل فروقات هائلة بين قطر وآخر وبين نظام آخر؟***

حسيب: هذه كانت من أهم المشكلات التي واجهت المركز، موضوع المحافظة على الاستقلالية، وبخاصة أننا نعمل من لبنان، واستقلالية المؤسسات الإعلامية هناك علامات استفهام كثيرة حولها. ولذلك كنا في حاجة إلى ممارسة يومية، فخلال الحرب الأهلية، على سبيل المثال، نحن فرضنا على أنفسنا عزلة شديدة. أنا لم أتصل بالأطراف اللبنانية والفلسطينية المختلفة المتصارعة، على الرغم من أن قسماً منهم أصدقاء. على سبيل المثال أبو عمّار أعرفه منذ عام ١٩٦٥ قبل أن يُعلن عن نفسه، لكن طيلة وجوده في بيروت لم أتصل به، ولم ألتقِ معه، وهكذا بالنسبة إلى أمور أخرى.

■ ***ومع ذلك الموضوع الفلسطيني شغلكم مثلما شغل الأمة العربية على مدار ثلاثة عقود متتالية.***

حسيب: بعد فترة قصيرة، الرقابات العربية والأنظمة العربية اقتنعت باستقلالية المركز، منشوراته والمجلة والكتب. ومن باب الإنصاف نقول إنها بدأت تعاملنا معاملة

متميزة تفضيلية بالنسبة إلى المطبوعات العربية الأخرى. على سبيل المثال، وردت في عدد شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٥ من المجلة مقالة حول البحرين وتطورات المجتمع المدني والظروف السياسية فيه، فعوضاً عن أن يمنعوا العدد كله في أحد البلدان العربية المجاورة، نزعوا هذه المقالة من العدد، وأحياناً كان يتم نزع صفحة، ولكنهم لا يمنعون العدد كله. ومن باب الإنصاف أيضاً أن هناك تحسناً في قضايا الرقابة، فبعض الكتب التي مُنعت في الأردن سابقاً تمّ الآن السماح بها. طبعاً، الاستقلال لا يتم إلا بالاستقلال المالي كذلك، ونحن نعاني هذا الأمر، حيث لم نصل بعد إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي والاستقلالية المالية، وإن كنا قد طورنا مبيعاتنا بحيث تغطي حوالى ٦٠ في المئة من نفقاتنا، وميزانيتنا ميزانية متواضعة.

■ ***تتحدث عن ٦٠ في المئة، يعني أن هناك، إلى حدٍّ ما، قارئاً عربياً.***

حسيب: خلافاً لما يقال عن موت العروبة وحصارها وغير ذلك، عندنا مؤشرات تشير إلى العكس. مجلة المركز يتم توزيع حوالى ١٠ آلاف نسخة منها شهرياً، ولو أن لدينا إمكانيات مالية لتحمّل خسارة أكثر لكان يمكن أن نرفع هذا الرقم إلى أكثر من ذلك، لأنه في ما عدا الاشتراكات ـ عندنا حوالى ٧٥٠ اشتراكاً تحقق دعماً فائضاً ـ فإن بقية التوزيعات المباشرة ـ في ما عدا أعداد محدودة توزع في بلدان الخليج ـ في بقية البلدان العربية للمجلة تتمّ بخسارة، حيث تباع في هذه البلدان بأقل من كلفتها. ونحاول الآن استكمال استقلالنا المالي، وقد قطعنا خطوات لا بأس بها.

■ ***ملاحظٌ أنه في السنوات الأخيرة تصدّيتم لموضوع فيه حركة وديناميةٍ، تقومون بإعداد دراسات عن أمريكا وأفريقيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا، وأنشأتم المنظمة العربية للترجمة وسوف نتحدث عنها لاحقاً، ومشروع ببليوغرافيا الوحدة العربية من العام ١٩٠٨ إلى العام ٢٠٠٠، أي كل ما يتعلق بالوحدة العربية.***

حسيب: بالنسبة إلى القارئ العربي تحدثت عن المجلة، أما بالنسبة إلى مبيعات الكتب في السنوات الأخيرة، فلدينا زيادة تتراوح بين ١٥ و٢٥ في المئة. وفي سنة ٢٠٠٣ كانت الزيادة ٢٥ في المئة، وفي السنة الماضية (٢٠٠٤) كانت هناك زيادة بنسبة ١٥ في المئة، والسنة الحالية أتوقع أن تكون الزيادة في حدود ٢٠ في المئة، وبالتالي هذا مؤشر على أن هناك إقبالاً على مطبوعات المركز ومنشوراته والموضوعات التي يطرحها. المركز في غياب العمل الرسمي الوحدوي يحاول أن يساعد أو يساهم في قيام مؤسسات وحدوية. وكانت ضمن اهتماماتنا المبكرة قضية الديمقراطية منذ عام ١٩٨٣. وعلى هامش ندوة **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي** التي عقدت في قبرص آنذاك أنشأنا المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وأصبحت بعدها مستقلة ولها

مجلس أمناء ولجنة تنفيذية، ومقرها في القاهرة، وتصدر تقارير سنوية مهمة حول أحوال حقوق الإنسان في الوطن العربي بشكل صريح وواضح. ومذاك كلما يكون هناك حدث مهم حول انتهاك حقوق الإنسان في أي بلد عربي تصدر هذه المنظمة بياناً بشأنه. وهي تُصدر نشرة شهرية.

■ ***أحد عناوين لقائنا الأساسي معك هو الوحدة العربية بين النظرية والواقع. فعلاً هذا المشروع، يعني المسائل التي طرحتموها في مطلع الثمانينيات مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية والحريات وقضايا التنمية على اختلافها، لماذا بقيت في إطار المشروع النظري ولم تتحول إلى أفكار مباشرة في الواقع؟***

حسيب: كل الأحداث التي تمت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية تؤكد أهمية قضية الوحدة. الدراسات المستقبلية كلها تشير إلى أنه في هذا القرن، الدولة أو مجموعة الدول التي تعدّ أقل من ٣٠٠ مليون لا تستطيع أن تنافس في العالم. ولذلك انظر إلى أوروبا، لقد بدأت في مشروعها في الوقت نفسه الذي بدأ العرب يتحدثون فيه عن مشروعهم في الوحدة أو الاتحاد في أوائل الخمسينيات، ولكنها وصلت الآن إلى الاتحاد الأوروبي، أما نحن فلا نزال نحاول تنفيذ اتفاقية جديدة لمنطقة التجارة الحرة التي كنا قد بدأنا فيها في أوائل الخمسينيات.

■ ***أنت تحمل درجة دكتوراه اقتصاد من جامعة كامبريدج، هل كان المطلوب الانطلاق من المفتاح الاقتصادي للوصول إلى صنع قرار موحد على صعيد المنطقة؟***

حسيب: أنا عندي دراسة شخصية حول هذا الموضوع. كان المدخل الاقتصادي للوحدة العربية مطروحاً، وكان مطروحاً أيضاً أن المدخل الاقتصادي يمكن أن يساعد في تحقيق وحدة اقتصادية. أنا درست العلاقات التجارية ما بين عدد من الدول العربية، ولاحظت تطور العلاقات السياسية فيما بينها. كانت الدراسة للعلاقات ما بين مصر وسوريا، وسوريا والعراق، ومصر والعراق، والسعودية ومصر، فوجدت أنه على العكس، فبدلاً من أن تمهد العلاقات الاقتصادية لعلاقات سياسية متطورة أكثر، فإن هذه العلاقات الاقتصادية اسْتعملت لأغراضٍ سياسية. وكانت تتطور إيجاباً أو سلباً في ما بينها في ضوء تطور العلاقات السياسية بِينها، وليس العكس.

■ ***ما حصل في الاتحاد الأوروبي تحديداً؟***

حسيب: نعم. هذا حصل في سوريا قبل الوحدة وبعد الوحدة وبعد الانفصال، العراق ومصر، والسعودية ومصر، والأردن والعراق . . . إلخ. فهذا المدخل فشل لعدم وجود ديمقراطية في البلدان العربية.

■ ***ألم ترتب القضية الفلسطينية أيضاً أعباءً هائلة على المجتمعات العربية للخمسين سنة المقبلة؟***

حسيب: هذا صحيح. لكن هذا التبرير لا يكفي، وبخاصة أن موضوع تحرير فلسطين أُسقط منذ ١٥ عاماً، والكلام الآن عن المفاوضات والحل السلمي، أنا أعتقد أن السبب الأساسي لذلك هو غياب الديمقراطية. في الاتحاد الأوروبي بعد أن يبرموا اتفاقاً إذا أخلّ أحد أعضاء الاتحاد ـ أو إحدى الحكومات ـ في تنفيذ هذا الاتفاق، فهو يعرف أنه بعد سنة أو سنتين سيأتي دور صندوق الاقتراع، فإذا كان هذا الإخلال قد أضرّ بمصالح الناس، سيرى عاقبة ذلك في نتيجة الانتخابات.

■ ***هذا ما حصل على صعيد التصديق على دستور الاتحاد الأوروبي؟***

حسيب: . . أما عندنا فيمكن أنبوب نفط أن يتوقف الضخ منه، والحدود أن تغلق، مع أنها تضر بمصالح الشعوب، لكن الأنظمة لا تهتم بهذا لأنه لا توجد ديمقراطية. الأنظمة العربية الحالية، على الرغم من فشلها، هي الأطول عمراً في التاريخ العربي المعاصر.

■ ***الحديث عن مشروع مؤسسة مركز دراسات الوحدة العربية هو حديث عن حلم طبعاً واستراتيجية بناء هذه الوحدة ووعي هذه الوحدة، بأي حال هذه الوحدة هي مطلب غربي اليوم، أقله اقتصادياً، أي إن منظمة التجارة العالمية والاتحاد الأوروبي لم تعد مطلباً قطرياً أو محلياً، لكن هذا المشروع كمراجعة، صحيح أنه كان مشروعاً نظرياً، لكنه كان مشروع تحديث وتطوير على صعيد المجتمع العربي، ما هي سقوف المجتمعات العربية، الفروقات في الأنظمة أم الفروقات الدينية؟ المجتمع العربي يبدو أكثر خطراً من الدولة في رفضه أحياناً التطور والحريات والديمقراطية، دائماً نحمل المسؤولية على الدولة، في حين تبدو المجتمعات العربية في بعض الأحيان أشد خطورة.***

حسيب: الخلافات الموجودة داخل المجتمع في أي بلد عربي معين تحدث في معظم الدول في العالم. لنأخذ مثالاً بريطانياً: الفرق بين الاسكتلنديين والإنكليز، وفي ويلز. هناك فروقات كثيرة. في داخل البلد الواحد في لبنان ترى خلافاً ما بين الناس في الجنوب وبين الناس في بيروت، وهذا لا يبرر عدم الوحدة. نحن تقدمنا كثيراً في طرح موضوع الوحدة، ولا يزال يقال من دون معرفة التطور الذي حصل في هذا المجال إن الوحدة تعني دولة اندماجية، وهذه الدولة الاندماجية غير صالحة. في الحقيقة لم يعد أحد يقول بدولة اندماجية، نحن منذ مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي في أواخر الثمانينيات أخذنا بالوحدة الاتحادية، وهذه هي التي يتم

النقاش الآن حولها. كان هناك كلام عن الدولة القطرية، وإن الدولة القطرية يجب أن تلغى، وأن تقوم الوحدة. منذ مشروع الاستشراف في آخر الثمانينيات أجرينا مصالحة مع الدولة القطرية، والوحدة تبدأ من الدولة القطرية على الرغم من فشل الدولة القطرية في المجالات الرئيسية. تبدأ الوحدة من الدولة القطرية، وتدريجياً، مثلما حصل في الاتحاد الأوروبي، تتنازل الدولة القطرية عن بعض صلاحياتها لمؤسسة أخرى اتحادية تمارس هذه الصلاحيات تدريجياً.

واهتممنا من ثَمّ بمحتوى الوحدة، ومن هنا طوّرنا الأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي. فبالإضافة إلى الوحدة أصبحت هناك قضية الديمقراطية، وقضية العدالة الاجتماعية، وقضية التنمية المستقلة، وقضية الاستقلال الوطني والقومي، وقضية التجدد الحضاري. ونحن الآن نعمل في مرحلة إعداد هذا المشروع الحضاري بعد انعقاد الندوة التي نظمناها في فاس في المغرب لهذا الغرض، ودراساتنا كلها تصبّ الآن في هذا الاتجاه. هناك - إذاً - تطورات كثيرة في موضوع الوحدة. وليس من الضروري أن تكون الوحدة شاملة لكل البلدان العربية، فمن الممكن أن تدخل الدول العربية التي تعتقد أن لديها مصلحةً في هذه الوحدة، وبعد أن تنجح التجربة يمكن أن تنضم دول عربية أخرى إليها. وليس من الضروري أن تدخل كل دولة في جميع مستويات الوحدة، بل يمكن أن تدخل دولة في المستوى السياسي، بينما يمكن أن تدخل أخرى في المستوى الاقتصادي أو في المستوى العسكري . . . إلخ.

تجربة الاتحاد الأوروبي تجربة غنية، ونحن قمنا بدراسة خاصة حول تجربة الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى دراسات عن التجارب الوحدوية الأخرى.

■ ***للاستفادة من تلك التجربة، في الحقيقة الوقت لن يتسع لعرض مجمل نشاطات مركز دراسات الوحدة العربية. أتصور أنه لا يوجد مكتبة عربية لباحث أو أستاذ جامعي أو طالب إلا وفيها جزء كبير من إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية يكون بالتأكيد إحدى مرجعياتها، لكن اللافت من بعض العناوين التي استعرضتموها، والتي هي استشراف لفترة مستقبلية: ندوة حول «الفساد في الوطن العربي»، وأنشأتم المنظمة العربية لمكافحة الفساد، والذي هو الآن شعار عالمي يطال حتى من ضمن ما يطال إصلاح الأمم المتحدة. وأيضاً تسعون في المرحلة المقبلة حسبما عرفت لإصدار مجلة فصلية باللغة الإنكليزية للدراسات المتعلقة بالشؤون العربية المعاصرة بالتعاون مع جامعتي درهام (Durham) وإكستر (Exeter) في بريطانيا، وسيكون الإصدار الأول في عام ٢٠٠٦، ومركز متوقع في واشنطن للدراسات الأمريكية والعربية والذي بدأ فعلاً، هذا بالإضافة إلى ندوة في تموز/ يوليو ٢٠٠٥***

كانت حول «مستقبل العراق» وهذه الندوة مهمة جداً. أيضاً من المهم تتبع إصداراتكم الأخيرة حول استشراف «إسرائيل ٢٠٢٠»، وهي دراسات لافتة. كل هذه الدراسات لماذا لم تدخل في حساب الميدان العربي. . ما الذي يمنعها؟

حسيب: إذا كان الكلام حول الأنظمة وسياساتها، فنحن راعينا في كل الدراسات التي تهم صانع القرار في السنتين الأخيرتين أن صنّاع القرار في البلدان العربية قد لا يكون لديهم الوقت الكافي لقراءة الدراسة كاملة، فأصبحت كل دراسة الآن تصدر معها خلاصة في حدود ٢٠ ـ ٣٠ صفحة تسمى «خلاصة تنفيذية» تتصدّر الكتاب، وبالتالي مَن لا يستطيع قراءة الدراسة كلها يقرأ هذه الخلاصة.

وعملنا سلسلة من الدراسات حول كيف يصنع القرار في الدول الكبرى في العالم في ما يتعلق بعلاقاتها العربية: في أمريكا، في روسيا، في الاتحاد الأوروبي، في تركيا، في إيران، وهناك دراسة عن بريطانيا نوشك على إنجازها. والآن بدأنا بمشروع دراسة حول كيف يصنع القرار في البلدان العربية في محاولة لترشيد القرار في هذه البلدان. لا أستطيع أن أقول مدى تأثير هذه الدراسات في صانع القرار العربي، وتقديري أنه محدود، لكن على صعيد المجتمع العربي أعتقد أنه ذو تأثير كبير، ودليل ذلك أن كل الكتابات التي هي عن البلدان العربية والوطن العربي، أستطيع أن أجازف بالقول إن نصف مصادرها التي تستعملها في هذه الدراسات هي من كتب المركز ومجلة **المستقبل العربي**.

■ ***إلى أي مدى يمكن أن يخرج هذا المشروع من المؤتمر والندوات والأوراق إلى التفاعل الجدلي في المجتمع مع الشارع العربي، أي الحوار. . الجدلية. . والتفاعل؟***

حسيب: هذا سيتم على قدر تطوّر قضية الديمقراطية في الوطن العربي.

■ ***هل يلفتك أن الانتخابات الرئاسية يشارك فيها ٢٣ في المئة فقط من المواطنين في بلدٍ عربي ما مثلما حصل في مصر، فماذا يفعل الـ ٧٣ في المئة الآخرون؟***

حسيب: هناك قدر غير قليل من السلبية والإحباط في الشارع العربي، وإعادة الحيوية إليه في هذا المجال تحتاج إلى وقت. وهناك بداية تحرك في مصر، وهناك تحرك جيد في العراق وفي غيرهما. لكن هذه التحركات تحتاج إلى وقت. المهم أن القوى الوطنية والمعارَضَة يجب أن تحددا كيف تتعاملان مع الأنظمة القائمة. لم يعد من الممكن، أو هذا ما يبدو لي، قيام ثورات شعبية بمعنى الثورات الشعبية التي تستخدم العنف، ويمكن أن تكون آخر ثورة هي تلك التي حصلت في إيران، أما في الأماكن الأخرى التي حصل فيها ما يشبه الثورات الشعبية ـ في إندونيسيا مثلاً ـ فإنها كانت نتيجة تحييد الجيش لعوامل داخلية وخارجية. وسيلة التغيير الأخرى التي كانت سائدة في البلدان

العربية وهي الانقلابات العسكرية، فهي أولاً ليست مرغوباً فيها، لأنها فشلت في معظمها، ولأنها لم تعد ممكنة، فالأنظمة تعلّمت كيف تحتوي مؤسسة الجيش. إذاً لا يوجد غير المعارضة السلمية البعيدة عن العنف، وهذا يحتاج إلى القوى السياسية المختلفة، وإقامة نوع من جبهات وكتلة تاريخية مؤلفة من التيارات الرئيسية تلتقي حول برنامج معين، وتستمر في الضغط على الأنظمة، وتنتزع منها مكاسب بصورة تدريجية.

■ ***لكن هذا يطرح خطورة نسبية الأوراق والمداخلات في علاقة النظرية في المجتمع، وسبق أن طرحت عليك هذا السؤال، هناك أمور جديدة يرفضها المجتمع العربي والإسلامي، وهناك في مراحل كثيرة أخطر من الدولة، هناك صراع بين قوى المجتمع. . لم تعد فقط الدولة العربية المانعة للتطور أو الحرية أو الديمقراطية أو الفكر المدني، فهل علينا أن نأخذ هذه الأشياء في نظر الاعتبار في حواراتنا وأبحاثنا ومناقشاتنا؟***

حسيب: يجب على القوى الحية في المجتمع أن تقتنع، وأن تعتاد على أن الكثير من الحقائق نسبية، وتعترف بوجهة النظر الأخرى. والحوار والنقاش يكونان وسيلة للإقناع، وليس لفرض السلطة. وهذه قضية لا تتم بين ليلة وضحاها، فقضية الديمقراطية هي ممارسة، مثل الذي يتعلم السباحة، فهو لا يستطيع أن يكتفي بقراءة كتاب: **كيف تتعلم السباحة**؟ إذ لا بد أن ينزل إلى البحر أو النهر لتعلم السباحة.

■ ***ممارسة يومية، كذلك العروبة؟***

حسيب: نحن انتبهنا في كثير من الندوات والمؤتمرات إلى أن المشاركين لا يعرفون كيف يقدمون اقتراحاً أو يعدلون اقتراحاً، كما إنهم لا يعرفون عن قضايا إدارة الجلسات. . . إلخ. في الغرب هناك مرجع بعنوان **روبرتس رولز** (Robert's Rules)، ومَن لا توجد لديه قواعد خاصة يلجأ إليه[٥]. ونحن انتهينا الآن من ترجمة هذا المرجع الذي يقع في ٦٠٨ صفحات، فهو سيساعد الناس على التعلم كيف يديرون الاجتماعات، ويقدمون الاقتراحات، وما هو النصاب، وغير ذلك من الأمور الأولية. أمامنا طريق قد يكون طويلاً، لكنه ممكن ويجب أن نسلكه. إلى أي حدِ سوف تُعتمد هذه الأنظمة، ويتم تطويرها؟ وإلى أي حدِ سوف يأتي حكام مقتنعون بقضية الديمقراطية، ويساهمون في تطوير المجتمع؟ على سبيل المثال لولا نهرو في الهند، الذي كان قد درس في جامعة كامبريدج، ويعرف تجربة اتحاد الطلبة، ولولا

(٥) هنري إم روبرت الثالث [وآخرون]، **قواعد النظام الديمقراطية «قواعد روبرت التنظيمية للاجتماعات»**، ترجمة عبد الله بن حمد الحميدان (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥).

نيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا، ما كانت التجربة الديمقراطية سارت ونشأت واستمرت في الهند وفي جنوب أفريقيا كما حدث. هناك مجموعة عوامل.

■ ***أيضاً خسرنا جمال عبد الناصر في مرحلة مبكرة إلى حد ما.***

حسيب: إلى أي حد تستطيع أن تقنع الشعوب العربية بأن تفيق من حالة الغيبوبة هذه التي تمر فيها؟ فهذه مسؤوليتنا جميعاً، مسؤولية فكرية ومسؤولية سياسية.

■ ***أيضاً أحد الموضوعات المهمة التي بدأتم فيها هي المنظمة العربية للترجمة. لكن السؤال: هل فعلاً تركزت استراتيجية للترجمة لما تطرحه من أهمية استراتيجية ملحة وشاملة باعتبارها جسر عبور إلى الآخر أو مجيء الآخر إلينا، وعبر طرقنا؟ بالتأكيد هي مشروع ضروري، لكن هناك أسئلة كثيرة تطرح حول الترجمة: هل هي مشروع فردي أو مشروعات لتسويق أيديولوجيات وأفكار تقليدية أم مشروع مؤسسات؟ من يختار الترجمة؟ من يترجم؟ هل هي بديل مثلاً من تعلم اللغات اليوم؟***

حسيب: أنا مسرور لأنك أثرت هذا الموضوع. أنا أشرت إلى أن المركز بسبب غياب العمل الرسمي الوحدوي حاول إنشاء عدد من المؤسسات الوحدوية. إضافة إلى المنظمة العربية لحقوق الإنسان، أنشأنا جمعيات مهنية مثل الجمعية العربية للعلوم السياسية، وللاجتماع، وللفلسفة، وللبحوث الاقتصادية . . . إلخ . ، والترجمة قضية مهمة في المشروع النهضوي العربي. إذا أخذنا الحضارة العربية الإسلامية في العصور العباسية الأولى، فقد بدأت تطورها بعملية الترجمة، وبعد الترجمة تمت عملية هضم واستيعاب ومن ثمّ إبداع. إن عملية الترجمة هي عملية ضرورية، ولهذا فإن المركز على مدى سنتين عمل في التحضير لها، وقام بعملية مسح للترجمة في البلدان العربية، ومن ثم عقدنا ندوة وأنشأنا المنظمة العربية للترجمة، والآن صدر عنها أكثر من ١٥ كتاباً، ولديها برنامج واسع للترجمة. وهناك لجان متخصصة في مختلف العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، وهي تختار أمهات الكتب وأصول المعرفة. وهناك شبكة من المتخصصين العرب تساهم في هذه اللجان وفي اختيار الكتب، وهناك لجنة عليا تدققها، وبعدها تتم الموافقة عليها، ويساهم فيها مترجمون من مختلف الأقطار العربية. نحن في الوقت نفسه مهتمون بالترجمة الآلية. واستطعنا أن نحصل للمنظمة على وقفية تبلغ أكثر من مليون دولار، والآن وقفت على أقدامها، وعندها الحد الأدنى الذي يعطيها الاستمرارية. بعدها أنشأنا في ضوء الندوة التي عقدناها حول «الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية» المنظمة العربية لمكافحة الفساد، وصدر مرسوم من الحكومة باعتبارها منظمة دولية غير حكومية ولديها صفة دبلوماسية، والآن هي تعمل فعلاً، ورئيس مجلس أمنائها الرئيس سليم الحص. وفي الوقت نفسه نشتغل على مشروع كبير

عن الجاليات العربية في الخارج، ونأمل بعد أن ننتهي من الدراسات أن نقوم بعقد ندوة للجاليات العربية.

■ ***وبخاصة أنها أثبتت دوراً هائلاً في السنوات الأخيرة مناصراً للقضايا العربية أقله الوقوف ضد الحرب.***

حسيب: ونحن كذلك مهتمون بالذاكرة التاريخية للجيل الجديد، يعني كم من الجيل الجديد سمع باسم ساطع الحصري وقسطنطين زريق؟ نحن ننشر الأعمال الكاملة لمثل هؤلاء المفكرين. لقد نشرنا أعمال ساطع الحصري وأعمال قسطنطين زريق، وأعمال ياسين الحافظ، وهناك عدد من أعمال مفكرين آخرين في الطريق إلى النشر.

■ ***أخشى ما نخشاه سيدي د. خير الدين حسيب، أن لا يبقى من مخزون هذه الذاكرة العربية والحلم بالوعي بالوحدة العربية إلا مخزونكم، ما أصدرتم من كتب يشكّل مكتبة عربية كاملة.***

حسيب: أنا متفائل، الرسائل التي تصل إلينا ـ أحياناً يصلنا رسائل من السجون ـ تشجعنا على أن هذا العمل غير ذاهب سدى. والآن نستفيد من الإنترنت، وعندنا موقع للمركز، وللشهر الثالث تصدر المجلة كاملة على الإنترنت. ويستطيع من يريد أن يأخذ منها مقالة أو عدداً كاملاً، وقد وضعناها مجاناً الآن ولفترة تجريبية لمدة ستة أشهر إلى أن يعتاد عليها القراء، وبخاصة في أمريكا وأوروبا. الببليوغرافيا التي عملنا عليها من عام ١٩٠٨ إلى عام ٢٠٠٠ كذلك سوف ننشرها على الإنترنت، وكذلك مشروع المجلة باللغة الإنكليزية. وللأسف فإن إمكانياتنا المالية تحدّ من الطموح العملي. نحن مركز فقير في إمكانياته المالية، لكنه غني بفكره واستقلاليته وطموحاته. إن شاء الله نستطيع أن نستمر.

■ ***نحن في خريف حزين بالتأكيد، وفي جملة من الإحباطات، ولكني أتصور أنه إذا خرج هذا المخزون من الكتاب إلى الشارع العربي الذي يبدو أنه شارع شبابي بامتياز اليوم وفقاً للإحصائيات، أتصور أن الصورة ستكون أكثر تفاؤلاً وإيجابية، على رغم صعوبة هذا المسار الشاق على مدى خمسين عاماً، نذكّر الأصدقاء المستمعين أن مسار الحداثة في أوروبا استغرق ٣٠٠ سنة من القرن السادس عشر، وتخللته حروب وإبادات وحروب إثنيات . . . إلخ.***

حسيب: أنا أسافر كثيراً، إلى البلدان العربية وخارج البلدان العربية، وبعض الناس الذين ألتقي بهم ولا أعرفهم يعرفون عن المركز الشيء الكثير، ويعبّرون عن مشاعرهم الإيجابية تجاهه. وحتى خارج البلدان العربية هناك الكثير من المؤسسات

التي تريد أن تتعاون مع المركز، ونحن لا نجد صعوبة في هذا، لكننا نتأنى، ونحرص كثيراً عند التعاون مع المؤسسات الأجنبية على أن تكون مستقلّة. وعلى الرغم من وضعنا المالي نمتنع عن التعاون أو الحصول على دعم من بعض المؤسسات التي نعتقد أنها غير مستقلة. أنا متفائل بمستقبل المركز، وعمله نموذج للعمل المؤسسي.

■ ***متفائل بمستقبل المركز ومتفائل كذلك بمستقبل المنطقة على الرغم من كل الصعوبات التي تمر بها، على اعتبار أن الديمقراطية هي ممارسة يومية وعلى اعتبار العروبة أيضاً ممارسة يومية؟***

حسيب: لو أن الظروف مؤاتية والأوضاع العربية والأنظمة العربية والجامعة العربية تقوم بما يجب، وبما بإمكانها فعله. وإضافة إلى ذلك هناك فرصة تاريخية، منها الفرصة المتاحة الآن حول استعمال ورقة النفط العربي. النفط انتقل الآن من سلعة يتحكم فيها المشتري إلى سلعة يتحكم فيها البائع، ومعظم احتياطي النفط موجود فعلاً في المنطقة العربية. كان يمكن استعمال هذه الورقة للضغط في تحقيق الكثير لقضايانا العربية سواءً في موضوع العراق أو في موضوع فلسطين أو في مواضيع أخرى مهمة. إن المستقبل لا نملك إلا أن ننظر إليه بتفاؤل، وتجربة المركز في هذا المجال أننا بدأنا بفكرة، ولم نكن نملك أي شيء آخر. وتبيّن أنه إذا توافرت الإرادة يمكن تحقيق المعجزات، وهناك مثل بالإنكليزية يقول: (Where There is a Will There is a Way)، يعني «حينما تتوافر الإرادة هناك طريق ما لتحقيقها». وهذا ما نقوم به، وأشكرك على هذه المقابلة التي أعتقد أنها ستساهم كذلك في رفع معنويات المجتمع.

■ ***شكراً لحضورك، أكيد أن العناوين كثيرة والمركز غني، والموضوعات معك غنية، ولكن لا بد من سؤال أخير عن القلب، صحيح أنك في بيروت، لكن القلب أيضاً يبقى في بغداد أمّ الدنيا. سبق أن نظمتم ندوة عن «مستقبل العراق»، فدعنا نخرج بخلاصات حول مستقبل العراق . . هذا البلد الطيب العريق في حضارته.***

حسيب: ندوة «مستقبل العراق». نحن انطلقنا في هذه الندوة من أن المقاومة مشغولة بعملية المقاومة المسلحة، والقوى الأخرى السياسية مشغولة بأمور أخرى، ومرحلة ما بعد التحرير تحتاج إلى رؤى وبرنامج، فعملنا مشروع دستور وقانون انتخاب وقانون أحزاب وبرنامجاً لإعادة الإعمار وبرنامجاً للنفط والسياسة النفطية وللتعويضات ولإعادة تكوين الجيش العراقي . . . إلخ. وعقدنا ندوة حضرها أكثر من مئة شخصية من العراقيين من داخل العراق وخارجه، فناقشوا هذه المشروعات،

وفي ضوء المناقشات أعدنا النظر فيها. والآن كلها موجودة على موقع المركز على الإنترنت لمن يريد الاطلاع عليها. وهي مطروحة للنقاش، بحيث إنه في اليوم الذي يتم فيه تحرير العراق تستطيع الحكومة الانتقالية التي ستأتي أن تستفيد من هذا البرنامج الذي سيكون أمامها، أو تعدّل أو تغيّر فيه. أي سيكون هناك أساس تعتمد عليه[٦].

■ ***د. خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية أريد أن أشكرك على هذه الإطلالة معنا، الإطلالة الكبيرة لشخصية فكرية كبيرة جداً، عايَشَتْ مساراً بين «الخبز والكرامة» على الصعيد الفردي وعلى الصعيد الجماعي العربي. هذا الوطن العربي يستأهل كل الخير، يستأهل المستقبل الواعد للخروج من هذا الخريف المحزن، ما دمنا في ذكرى مؤلمة ومحزنة، إلى أفق إنساني كبير ومنفتح وعروبة منفتحة ومتجددة وديمقراطية، ومستقبل واعد للشباب العربي لواقع جديد نخرج فيه من الأفكار الشمولية إلى واقع جديد وما بعد واقع هذا الواقع.***

د. شكراً لك د. خير الدين حسيب على أمل أن يكون لنا لقاءات متواصلة، وبخاصة أن يكون الفكر العربي في الواجهة والضوء.

حسيب: أريد أن أشكرك على اهتمامك بالمركز، وعلى مدى اطلاعك على أعماله. إنك في مداخلاتك وفي أسئلتك وفرت عليّ الكثير من الإجابات، لأنك مطّلع على تفاصيل الأعمال التي نقوم بها في المركز. فأحب أن أشكرك على هذا الاهتمام، وأشكر كذلك إذاعة «الشرق» على اهتمامها بكل ما ينتج المركز، وعلى اهتمامها بإتاحة هذه الفرصة للحديث عن هذا الموضوع.

■ ***شكراً لك د. خير الدين حسيب، وشكراً لأعزائي المستمعين. وإلى اللقاء في الأسبوع المقبل إن شاء الله.***

---

(٦) صدرت وقائع تلك الندوة في كتاب مستقل، انظر: **برنامج لمستقبل العراق بعد إنهاء الاحتلال: الدستور ـ قانون الانتخاب ـ قانون الأحزاب ـ إعادة البناء ـ النفط ـ الإعلام ـ الجيش ـ القضية الكردية ـ التعويضات: أعمال ندوة مركز دراسات الوحدة العربية حول «مستقبل العراق»** (بيروت: المركز، ٢٠٠٥).

القسم الثاني

مــن الحصــار إلــى الغــزو

(٣)

الفكر القومي، والعمل القومي، ومحنة العراق(*)
(٢٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٢)

■ د. خير الدين حسيب أهلاً وسهلاً بك. نحن الآن على الهواء مباشرةً. أعزائي المشاهدين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحييكم من شاشة الحرية من شاشة تلفزيون «المستقلة» في لندن، ونرحب بكم في هذا اللقاء الخاص. لقاء غير عادي، أسميناه في إعلاناتنا طيلة الأيام الماضية جولة أفق مع عَلَـم من أعلام الثقافة العربي المعاصرة، لا يحتاج إلى أن نبالغ في إطرائه؛ ولكن بعضُ الإنصاف وليس كل الإنصاف أن نقول فيه إنه اسم لامع وبارز ورئيسي في الثقافة العربية على امتداد العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، ولعله هرم من أهرامات الثقافة العربية المعاصرة. فرد ولكنه فرد أكثر نجاعة وعملاً وعطاء من مؤسسات كثيرة. وهو أنشأ مؤسسات لها إشعاعُها البارز ومكانتها المرموقة في الساحة الثقافية العربية وفي الساحة الفكرية العربية. ولذلك نخصص أمسية الخميس هذه الليلة لهذه السهرة مع جولة أفق في المحطات الرئيسية البارزة لعطائه في الساحة الفكرية والثقافية العربية. وأنا أعد كل مشاهدينا الأعزاء الذين يستمتعون بعطلة نهاية الأسبوع في المشرق العربي بأن سهرتنا هذه سوف تكون هدية جميلة جداً لهم في عطلتهم، كما في عطلة مشاهدينا في المغرب العربي وفي أوروبا وفي كل مكان، لأننا نتحدث حَقيقة مع ضيف يندر مثله في الساحة الفكرية العربية. هذا وقلنا منذ البداية إننا لا نريد إطراءَه كثيراً. وإذا أردتم

(*) أجريت هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب على قناة «المستقلة» في ٢٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢، وقد حاوره فيها الدكتور محمد الهاشمي الحامدي.

أن تعرفوا أسباب هذه الأوصاف فكونوا معنا في هذا اللقاء الذي نستضيف فيه الدكتور خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، والمبادر الأساسي إلى تأسيس المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان. د. خير الدين حسيب نوّرت «المستقلة» في لندن.

حسيب: شكراً لك الأخ الهاشمي، وأنا سعيد بوجودي في «المستقلة». إنني نادراً ما أظهر على التلفزيون، فخلال الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية ظهرت مرتين فقط بدعوة من الأخ غسان بن جدو، وهذه هي المرة الثالثة. كما أود أن أشير إلى أنني أتحدث بصفتي الشخصية، ولا يعكس ما سأقوله بالضرورة موقف مركز دراسات الوحدة العربية.

أولاً: البدايات في العراق

■ أنا أشكرك جزيل الشكر على تلبية هذه الدعوة، وأنا حقيقة مسرور أن أقدم هذه الحلقة معك، وسعيد بهذا الحوار الذي أرجو أيضاً أن يكون، وأعوّل كثيراً إن شاء الله على أن يكون، إضافة حقيقية إلى هذه الحوارات التي تفخر بها الفضائيات العربية. وأنا واثق أنه حوار نادر من نوعه.

د. خير الدين حسيب تقريباً الأغلبية الساحقة من وجوه النخبة العربية العاملة في الساحة الثقافية وفي الساحة الفكرية تعاملت معك، قرأت الكتب والحصاد الكبير لمركز دراسات الوحدة العربية. على ما أظن ٧٠ في المئة أو ربما ٨٠ في المئة من طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية لا بد من أن يرجعوا ويستشهدوا بِ، ويعودوا إلى ـ المراجع والكتب التي أشرفتم على إصدارها طيلة هذه السنوات. ولدينا مشكلة في الحقيقة من أين نبدأ هذه العقود الزاخرة بالعمل والعطاء؟ لكن إن سمحت لي فلنحاول أن نبدأها من بداياتها. نريد أن نأخذ البداية الأولى قبل تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية، وهو على حد علمي أُسس في بيروت في لبنان، وقبل أن تأتي إلى لبنان كنت في العراق، وعملت أيضاً في العراق، فهل يمكن أن نبدأ من البدايات في العراق؟

حسيب: وُلِدْتُ في الموصل في العراق، ويقال في أول آب/ أغسطس ١٩٢٩، وتوفي والدي بعد خمسة عشر يوماً من ولادتي، وإلى الآن أنا لا أعرف شكل والدي ولا أملك له صورة ولا أثراً. وتبنّاني جدّي، وكان وضعه الاجتماعي جيداً حيث كان يملك قرى وأراضي وقطعان أغنام. وفي فترات معينة، عشت عيشة مرفهة مع جدي. وكان ينعقد عنده مجلس يومي. حتى أعمامي لم يكن باستطاعتهم أن يدخلوا المجلس، وذلك بحسب التقاليد التي كانت متبعة حينذاك؛ أما أنا، فكنت أجلس

بجانب جدّي في صدر المجلس. ولذلك اعْتَدْتُ منذ طفولتي على الجدية، ولم أكن ألعب مع الأطفال إلا نادراً. وكان لوجودي مع جَدّي وفي المجلس معه تأثير بالغ في طابع الجدية الذي ترك بصماته عليّ مبكراً في طفولتي.

وبعدها توفي جدي في أواخر الثلاثينيات، وبدأ أعمامي يبيعون أملاكه، فباعوا كل ما كنا نملكه من أراضٍ. كما سبق ذلك، وقبل وفاة جدي، حصول عاصفة ثلجية أضاعت قطعان الغَنم التي لم يعثر لها على أثر. ووصلنا بعد وفاته وبسبب كل ما سبق إلى مرحلة لم نكن نستطيع فيها أن نؤمّن قُوتَنَا اليومي. فأنا عشت، إذاً، حالتي الغنى والفقر، وبالتالي لا يُوجد لديَّ عقدة الغنى ولا عقدة الفقر. وهذا الأمر ساعدني في حياتي كثيراً.

تخرجت في الثانوية في الموصل عام ١٩٤٧، وكان عليَّ أن أعيل عائلتي، وبخاصة أن أخاً لي ضابطاً كان مريضاً يتلقى العلاج في لبنان. واضطررت إلى تأجيل الالتحاق بالجامعة لأبقى في الموصل وأتعين في وظيفة صغيرة ككاتب في متصرفية الموصل (تسمى المتصرفية محافظة حالياً). راتب خريج ثانوية في ذلك الوقت كان ثمانية دنانير عراقية. ولم تكن هناك وظيفة شاغرة إلا بستة دنانير، وأنا قبلت بها، على اعتبار أنه مع غلاء المعيشة يصبح الراتب أحد عشر ديناراً، أي حوالى أربعة وثلاثين دولاراً شهرياً. وبقيت أعمل ثلاث سنوات في متصرفية الموصل، وفي السنة الرابعة فُتحت كلية التجارة والاقتصاد في بغداد، وتَسَجَّلْتُ فيها وكنت موظفاً في الوقت نفسه في الموصل. في السنة الأولى كنت آخذ إجازات اعتيادية وأداوم في الكلية ولمدة لم تتجاوز الثلاثة أشهر خلال السنة الدراسية الأولى. وكان صديق لي يرسل إلي المحاضرات، وكنت الرابع في نتائج امتحانات السنة الأولى. ثم نقلت وظيفتي إلى بغداد في وزارة الداخلية، وكنت أداوم في الوزارة وفي الجامعة، ثم تخرجت وكنت الأول في الكلية. وفي السنة نفسها التحقت بمدرسة لندن للعلوم الاقتصادية (London School of Economics)[1] في لندن وتابعت الماجستير فيها، ثم ذهبت إلى جامعة كامبريدج (Cambridge) وتابعت الدكتوراه هناك، وعدت إلى العراق في أوائل شباط/ فبراير ١٩٦٠.

■ ***كيف كان الوضع السياسي عام ١٩٦٠، وهل كنت مهتماً به في ذلك الوقت؟***

حسيب: كانت فترة عبد الكريم قاسم. ومنذ أن ذهبت إلى بريطانيا انخرطت

---

(١) على رغم أنها تابعة لجامعة لندن إلا أنها مشهورة أكثر من جامعة لندن نفسها وتعرف في العالم باسمها وليس باسم جامعة لندن، ويطلق عليها عادة اسم مختصر هو (.L. S. E).

في العمل القومي، فبعد وصولي إليها بشهرين أو ثلاثة انْتُخِبْتُ رئيس جمعية الطلبة العرب في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والعلوم السياسية، ثم انْتُخِبْتُ رئيس الجمعية العربية في جامعة لندن، ثم كنت نائب رئيس رابطة الطلبة العرب في بريطانيا. وعندما ذهبت إلى جامعة كامبريدج انتخبت رئيس الجمعية العربية فيها.

■ *إذاً أنت عريق في النشاط العربي العام.*

حسيب: حاولت دائماً أن أوفق بين التزاماتي الدراسية والتزامات العمل العام. وكانت مدة بعثتي سبع سنوات، وأنهيتها في خمس سنوات وعدت إلى العراق. وربما استعجلت العودة. وحين أستعيد ذلك اليوم، يخامرني الشعور بأنه ربما كان من المفيد إقامة سنتين إضافيتين هناك. كنت قد ذهبت في بعثة على حساب وزارة النفط. ووزارة النفط والحكومة العراقية كان لهما اتفاق مع شركات النفط، وكانت الأخيرة ترسل بموجبه سنوياً خمسين طالباً من خريجي الثانوية للدراسة في بريطانيا في تخصصات مختلفة وعلى حساب شركات النفط الأجنبية حينذاك. قبل ذلك كان كل الذين يرسَلون للحصول على درجة جامعية أولية (بكالوريوس) (Undergraduate)، وبعدها أصبحت الوزارة ترسل بعثات قليلة للدراسات العليا (Postgraduate)، وأنا كنت من ضمنهم. وعندما عدت، نسّبوني للعمل في شركة النفط العراقية (IPC). وكنت مسؤولاً عن قسم الإحصاء والأبحاث. عملياً لم يكن لديَّ شغل يذكر. كانت فقط وظيفة مع سكرتيرة. ولكن راتب شركة النفط كان ثلاثة أضعاف راتب أستاذ الجامعة. وبعد عدة شهور، قمت بتقديم طلب إلى وزير النفط، طلبت فيه نقلي إلى الجامعة، وتخليت عن الراتب الخاص بشركة النفط.

بدأت حياتي حياة بسيطة، ولا يتوفر لدينا كل ما نحتاج إليه. كان أول ما فعلته هو أني استأجرت داراً متواضعة، وقد أهداني أحد الأقرباء كراسي حديدية، واشترى لنا آخر بعض الفرش للنوم. وكان لي ابن عم يعمل ضابطاً، وكانت هناك حوانيت للجيش يستطيع المرء أن يشتري منها بالتقسيط، فأمّن لنا هذا حاجات المطبخ بالتقسيط. وبعد مدة في التدريس في كلية التجارة والاقتصاد، تم تعييني في عام ١٩٦١ مديراً عاماً لاتحاد الصناعات. وأعطتني هذه الوظيفة فرصة للاطلاع على الصناعة العراقية من الداخل. وكنت أمثل كذلك اتحاد الصناعات في «لجنة التنمية الصناعية» التي تحدد الإعفاءات من الرسوم الجمركية على استيرادات المشاريع الصناعية من المكائن والمواد الأولية المستوردة، وهذا أعطاني فرصة لأكوّنَ صورة من الداخل. بعد ذلك، وفي صيف ١٩٦٣، تم تعييني محافظاً للبنك المركزي. وبقيت أشغل ذلك المنصب إلى آخر عام ١٩٦٥.

في تموز/يوليو ١٩٦٤، كانت هناك رغبة باتخاذ بعض الإجراءات الاشتراكية، وكنت قد قمت، منذ عام ١٩٦٢، بمبادرةٍ مني بالسفر إلى مصر وسوريا لدراسة التجربة الاشتراكية هناك.

كنت أنا والذين أرتبط معهم سياسياً مهتمين بقضية الوحدة. وكان الوضع في العراق متسماً بعدم الاستقرار السياسي وبغياب نظام ديمقراطي. وقد أمسك رجال الأعمال عن الاستثمار في مشاريع جديدة مخافة أنَ تفاجئهم الأحداث، وبخاصة مع التداخل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية واحتمال صدور أي قرار مفاجئ من دون أن يطّلع عليه أحد أو يبدي رأيه فيه مسبقاً. وأنا أفهم تماماً أن ذلك الجبن لدى رأس المال طبيعيّ.

كانت الأزمة الاقتصادية قائمة، وكان عدد من المشاريع الصناعية يتلقى دعمَ حمايةٍ من منافسة المنتوج الأجنبي المماثل، لضمان السوق للإنتاج المحلي، كما كانت تلك المشاريع تتمتع بإعفاءات من الرسوم الجمركية على المواد الأولية المستوردة، وكذلك من ضريبة الدخل، وإعفاءات غيرها. وبسبب هذه التشجيعات والامتيازات كان قسم منها يحقق أرباحاً تتراوح أحياناً بين ٥٠ في المئة إلى ٧٠ في المئة سنوياً. لكن هذه الأرباح لا يعاد استثمارها جزئياً أو كلياً في مشاريع جديدة، على رغم نسبتها العالية جداً، كما يجب، أو كما يحدث في النظام الرأسمالي الحر. هكذا كان وضع العراق: كان في حاجة إلى تنمية، وفي حاجة إلى استثمارات جديدة. كما كانت هناك حاجة إلى إعادة صياغة أوضاع البنوك، فالبنك لا يعمل برأسماله. البنك رأسماله مثلاً ربع مليون أو نصف مليون دولار، لكن ودائعه تبلغ عشرة ملايين وعشرين مليوناً. هذه الودائع التي تعود غالبيتها إلى الناس تكون تحت تصرف البنك، فكيف توجَّه هذه الودائع؟ صاحب البنك يهمه أن يحقق أكبر ربح ممكن، ومن مصلحته أن يموّل التجارة مثلاً، لأن الفترة الزمنية ما بين عملية الاستيراد والبيع تأخذ أربعة أو ستة أشهر، بينما منح قرض لإنشاء مشروع صناعي يأخذ إنشاؤه ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات على الأقل، وبعدها فقط يبدأ بتسديد القرض للبنك. وعلى سبيل المثال كان أحد البنوك، وهو البنك البريطاني للشرق الأوسط ورأس ماله كان ربع مليون دولار على ما أذكر، قد أعطى قرضاً لشركة النفط الأجنبية آنذاك (IPC) بعشرة ملايين دينار، وهي من ودائع العراقيين لديه، لأن الفائدة في العراق كانت أقل من الفائدة في بريطانيا. وهذه الشركة الأجنبية من المفروض أن تمول عملياتها من رأسمالها من خارج العراق وليس من ودائع العراقيين. طبعاً من جانب البنك كانت العملية سليمة لأنه أعطى القرض لشركة واحدة بدلاً من أن يعطيها لمئة مقترض أو أكثر، وبذلك تكون مصاريفه الإدارية أقل، كما أن قرضه مضمون أكثر. وبالنسبة إلى شركة النفط

فإنها دفعت فائدة أقل مما لو أخذت القرض من بريطانيا حيث مقرها. لكن بالنسبة إلى العراق هذه الودائع من المفروض أن تستخدم في عملية التنمية في العراق وهي ودائع عراقية، فهل من المعقول أن يمول العراق بعض عمليات شركات النفط الأجنبية في العراق؟ وقد اطلعت على كثير من هذه الأمور نتيجة وجودي في اتحاد الصناعات العراقية، وفي البنك المركزي حيث أتيح لي كذلك الاطلاع على الصورة من الداخل.

أنا لست ماركسياً، ولذلك لا أنطلق فكرياً من حتمية الملكية العامة لوسائل الإنتاج، ولو كنت في أمريكا فمن المحتمل أنني ما كنت اتجهت هذا الاتجاه. لكن الوضع العراقي حينذاك كان خاصاً ومختلفاً، وكانت أحداث معينة في حياتي في العراق قد أثرت في توجهي التقدمي. ففي سنة ١٩٥٧، أثناء التحضير للدكتوراه في جامعة كامبريدج، ولحاجتي إلى معلومات ميدانية خاصة لتقدير الدخل القومي في العراق، زرت العراق كله وذهبت إلى منطقة العمارة في الأهوار، وكان ذلك في أواخر شهر آب/ أغسطس وكانت فترة حر شديد. ولم تكن هناك وسيلة للانتقال في الأهوار إلا بواسطة «المشحوف» الذي يتم تحريكه بالقصبة. وكان هناك في منطقة العمارة اثنان من الأهوار، واحد اسمه «هور البيضا» والآخر «هور السودا». وفي الأهوار لا يوجد مياه صالحة للشرب، والمياه فيها دود، والناس لا تستطيع أن تشرب المياه من دون أن تغليها لكي يقتل الدود. وكان في آخر الهور الثاني منزل الشيخ، وكان عنده مولّد كهربائي، فاستحممت عنده. وفي أثناء السير في الهور رأيت أناساً من دون ملابس (مصاليخ) يزرعون الشلب (الرز) بأرجلهم وتحت الحر الذي تجاوز حينذاك الخمسين درجة مئوية. وقد أثرت هذه الزيارة، إضافة إلى ما شاهدته في مناطق أخرى من العراق، كثيراً في رؤيتي وتفكيري الاجتماعي، وبخاصة في ما يتعلق بالإقطاع وأوضاع الكثيرين من الفلاحين. لقد مررت أثناء تجولي في هورَي «البيضا» و«السودا» على شيخي الهورين هناك، وتحدثت معهما طويلاً، وكانا يعدان ملكيتهما بعدد الفلاحين الذين يشتغلون عندهما، وليس بالمساحة، أي بكذا هكتار أو بكذا دونم. وكانوا يشكون بأنه كان لديهم ١٢٠٠ فلاح وأصبح لديهم ٨٠٠ فلاح، حيث هاجر الباقون إلى المدن، وبخاصة بغداد. كما اطلعت من قرب ومن الداخل على قطاع الأعمال وسوء الاستعمال الجاري فيه.

كما كان لكتاب المرحوم الدكتور يوسف صايغ **الخبز مع الكرامة**[٢] الذي يعالج البعد الاجتماعي للتنمية، والذي صدر في أوائل الستينيات، تأثيره الفكري عليّ،

---

(٢) يوسف عبد الله صايغ، **الخبز مع الكرامة: المحتوى الاقتصادي الاجتماعي للمفهوم القومي العربي** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦١).

إضافة إلى التأثيرات الفكرية التي تأثرت بها أثناء وجودي في بريطانيا، وبخاصة الاشتراكية الديمقراطية ومدرسة الجمعية الفابية (Fabian Society) التي كنت أتابع نشاطها الفكري بنهم.

ونتيجة كل ذلك، ففي تموز/يوليو ١٩٦٤ صدرت القرارات الاشتراكية في العراق، وتم تأميم قطاع البنوك وشركات التأمين والصناعات الرئيسية، كما تم إشراك العاملين في الإدارة والأرباح، وتم أيضاً تعديل قوانين ضريبة الدخل والإرث لتحقيق عدالة أفضل في توزيع الدخول والثروات، وتم إنشاء «المؤسسة الاقتصادية» لإدارة القطاع العام الصناعي وقطاع التأمين والتجارة، وتم أيضاً إنشاء «المؤسسة العامة للمصارف» لإدارة قطاع البنوك[٣].

■ *هل هذا في عهد عبد الكريم قاسم؟*

حسيب: لا، هذا في عهد الرئيس عبد السلام عارف. وأنا بالإضافة إلى عملي في البنك المركزي أصبحت رئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة، ورئيساً للمؤسسة العامة للمصارف بحكم وظيفتي كمحافظ للبنك المركزي العراقي.

■ *التي هي وزارة ضخمة للصناعة والاقتصاد؟*

حسيب: لا، هي مؤسسة مستقلة فيها حرية العمل. العمل في القطاع العام يحتاج إلى إدارة مختلفة عن إدارة الدولة، وإلى نظام خاص للعمل. لقد أقمنا نظاماً خاصاً للعاملين في المؤسسة الاقتصادية أسميناه «قواعد العمل في المؤسسة الاقتصادية». وبعد أن تركت مهمتي فيها، أُلغيت المؤسسة الاقتصادية. ولا تزال قواعد الخدمة هذه، والتي وضعت في عام ١٩٦٤، وحتى الآن وبعد ثمانٍ وثلاثين سنة، تعتمدها الدولة، فكل مؤسسة جديدة تُنشأ من قبل الدولة ينص قرار أو قانون إنشائها غالباً على أن تُطبق عليها «قواعد الخدمة المعمول بها في المؤسسة الاقتصادية **الملغاة**».

وقد رجعت إلى التدريس في جامعة بغداد بعد ما تقدمت باستقالتي من العمل في البنك المركزي في أواخر عام ١٩٦٥.

■ *خلاف مع المسؤولين؟*

حسيب: خلاف مع رئيس الوزراء المرحوم عبد الرحمن البزاز، ووزير المالية شكري صالح زكي.

---

(٣) انظر: خير الدين حسيب، **نتائج تطبيق القرارات الاشتراكية في السنة الأولى** (بغداد: مطبعة دار الجمهورية، ١٩٦٥).

■ ***كان خلافاً حول السياسة الاقتصادية؟***

حسيب: نعم.

عدت إلى جامعة بغداد، وطوال الفترة التي كنت فيها في اتحاد الصناعات والبنك المركزي لم أترك الجامعة، بل كنت محاضراً فيها. عدت إلى الجامعة إذاً، وفي سنة ١٩٦٧ عُينت عضواً في مجلس إدارة شركة النفط الوطنية بعد إعادة تنظيمها.

وخلال تلك الفترة تم إصدار القانون رقم ٩٧ الذي يمنع إعطاء امتيازات للنفط في العراق لشركات أجنبية. وكانت هناك حقول مكتشفة، وكان من بينها في ذلك الوقت الحقل المشهور «حقل الرميلة»، وقد قررنا استثماره استثماراً مباشراً، وأخذنا قرضاً من بنك الرافدين التابع للقطاع العام لتمويله بمبلغ خمسة ملايين دينار (حوالى ١٨ مليون دولار).

وكان قد صدر عام ١٩٦١ القانون رقم ٨٠ في زمن عبد الكريم قاسم، والذي بموجبه استرجعت الدولة جميع الأراضي غير المستثمرة من شركات النفط والتي تبلغ حوالى ٩٩,٥ في المئة من أراضي العراق التي كانت كلها ضمن امتيازات شركات النفط الأجنبية وتُرك لها حوالى ٠,٥ في المئة فقط. ولكن لم تستطع أي حكومة عراقية أن تتعاقد مع أية شركة نفط لاستثمار الأراضي التي استعادتها الدولة من شركات النفط، لأن شركات النفط كانت تمنعها وتهددها بإقامة دعاوى عليها مدّعية أن هذه الأراضي تعود قانونياً إليها. ولأول مرة استطعنا أن نتفق مع فرنسا لاستثمار أحد الحقول في العمارة بواسطة ما يدعى «اتفاقية خدمة» (Service Contract)، ووقعنا تلك الاتفاقية مع شركة «إيراب» (ERAP) الفرنسية التي تملكها الدولة. وهكذا ولأول مرة يوضع القانون رقم ٨٠ موضع التطبيق[٤].

وفي النصف الأول من عام ١٩٦٨ كنا على وشك توقيع اتفاقية ثانية مع اليوغسلافيين، ولكنهم كانوا بطيئين.

وبعد ذلك حدث أن ارتفعت أسعار الكبريت في العالم؛ وكانت لدى العراق كميات كبيرة من الكبريت لم تستخرج بعد، ما حَدَا عدة شركات على التنافس عليها بما فيها شركة بان أميركان (Pan American) الأمريكية. وكنا قررنا أن يتم الاستثمار عن طريق الاستثمار المباشر وليس عن طريق الامتيازات.

---

(٤) لمزيد من التفاصيل حول الاتفاق مع «إيراب»، انظر: خير الدين حسيب، «نحو سياسة نفطية وطنية في العراق،» **دراسات عربية**، السنة ٤، العدد ٧ (أيار/مايو ١٩٦٨)، ص ٣ ـ ١٦ و١٢٠ ـ ١٢٥.

وهكذا دخلنا في عام ١٩٦٧ والنصف الأول من عام ١٩٦٨ في معركة غير متكافئة مع شركات النفط العملاقة، ومع شركة بان أميركان الأمريكية ومن وراءها. وهذا كان أشبه بمعركة بين قزم وعملاق.

ثم حصل تغيير في تموز/ يوليو ١٩٦٨، حيث أزيح الرئيس عبد الرحمن محمد عارف وجاء بعده عبد الرزاق النايف رئيساً للوزراء، وهو واجهة أمريكية. وجاءوا يبحثون عني صباح يوم ١٧ تموز/ يوليو قصد توقيفي، فاختفيت، إلى أن انقلب البعثيون على الانقلابيين، وسيطروا على الحكم في ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨؛ وحينها عدتُ إلى منزلي لأنه لم تكن لديّ مشكلة مع «حزب البعث». وبعدها بيومين، جرى اعتقالي، وبقيت في السجن سنتين ونصف السنة تقريباً.

■ *سنتان ونصف زمن أحمد حسن البكر.*

حسيب: نعم، زمن أحمد حسن البكر.

■ *لماذا أوقفوك؟*

حسيب: دورة تدريبية! إنني أسمي هذه الاعتقالات السياسية «دورات تأديبية» ويعتمد طول مدة الاعتقال على مدى صلابة الموقوف والعلاقة طردية بينهما!!

■ *عندما كانوا يحققون معك، ماذا كانوا يريدون؟*

حسيب: لم يكن هناك تحقيق جدّي، وكان توجيه بعض الأسئلة أحياناً مقدمة لأمور أخرى!!

■ *فقط وضعوك في الحجز؟*

حسيب: بلادي وإن جارت علي عزيزة.

خرجت من السجن في عام ١٩٧٠ بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، وعدت إلى عملي للتدريس في الجامعة، وبقيت فيها إلى عام ١٩٧٤. وفي عام ١٩٧٤ بدأت مشاكل مع بعض الطلبة ونُصحت بأن أترك العراق.

■ *ما هي هذه المشاكل؟*

حسيب: الطلاب يقدّمون تقارير عن الأستاذ وعما يقوله أثناء التدريس. . .

■ *الطلاب المؤيدون للحكومة؟*

حسيب: نعم، فنُصحت بترك العراق. فذهبت إلى بيروت في تموز/ يوليو

١٩٧٤ لأشغل منصباً في إحدى المنظمات الاقليمية التابعة للأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا (ECWA)). وكان لديَّ عرض للعمل فيها لمدة سنتين. ومنذ ذلك الوقت وأنا مقيم في بيروت. وفي آذار/ مارس ١٩٧٥، التقيت صدفة بمجموعة من الإخوة العرب في بيروت من المهتمين بالعمل الفكري لقضية الوحدة العربية، وأسسنا مركز دراسات الوحدة العربية.

■ *تركت السياسة في العراق، ألم يكن لديك حافز أن تعود، وأن تعتبر إقامتك في بيروت مؤقتة؟*

حسيب: أنا منذ أن تركت العراق إلى بيروت قمت برياضة نفسية، أولاً حتى أتخلص من الحقد، لأن فترة السنتين والنصف التي قضيتُها في السجن حصلت فيها أحداث مؤسفة. كان لا بد من هذه الرياضة النفسية للتخلص من أي حقد متراكم. وبعدها فكرت كيف يمكن أن أساهم في قضية الوحدة، وما هي أفضل طريقة لإفادة الأمة العربية.

■ *أنت تفكر في المشروع العربي؟*

حسيب: أنا كنت دائماً أفكر في الإطار القومي العربي، ومنذ البداية، ونتيجة التفكير وصلت إلى قرار الابتعاد عن السلطة كلياً أياً كانت الأوضاع في العراق، والتفرغ للعمل الفكري المتوجه نحو تحقيق الوحدة العربية.

■ *قرار صعب، لأن السياسة فيها إغراء رهيب، فكيف وأنت كنت جزءاً منها في قطاع حساس هو قطاع النفط؟*

حسيب: أنا كنت في البنك المركزي وكان بإمكاني أن أشغل أي منصب، وفي عام ١٩٦٣ طلب مني البعث الذي كان في السلطة آنذاك قبول منصب وزير المالية بعد استقالة صالح كبة، ولكنني اعتذرت. وفي بعض الأوقات كنت أرشح بعض الوزراء، ولكنني لم أقبل أن أكون وزيراً، لأن منصب الوزارة يفرض قيوداً غير عادية على الإنسان في ظروفنا الخاصة مما لا أطيقه، ولهذا لم أرغب في أن أكون وزيراً. هذا القرار اتخذته منذ ذلك الوقت. ولكن بعد انتقالي إلى بيروت اتخذت القرار بالابتعاد عن السلطة كلياً. وحتى الآن أنا سعيد بذلك القرار الذي اتخذته وغير نادم عليه. وهو قراري لما تبقّى من حياتي. وأعتقد أن المثقف العربي، وبعضهم على الأقل، يستطيعون أن يكونوا أكثر استقلالية في آرائهم، وأن يقدموا نصائح وأفكاراً أكثر موضوعية من خلال ابتعادهم عن السلطة. والآن دعنا نأتي إلى مركز دراسات الوحدة العربية.

ثانياً: مركز دراسات الوحدة العربية: ظروف النشأة

■ ***في الفترة التي عملت فيها في المركز جاء وزراء كثيرون في العراق وذهبوا. ولكن الآن نحن نتكلم عن مؤسسة عربية عريقة جداً. هل لك أن تحدثنا عن ظروف النشأة؟***

حسيب: في عام ١٩٧٤ صادف وجود عدد من الإخوة من أقطار عربية مختلفة: د. سعدون حمادي، د. بشير الداعوق، أ. برهان دجاني، د. وليد الخالدي، د. يوسف صايغ.. وكنا كلنا بعد هزيمة ١٩٦٧ نفكر لماذا حدث ما حدث؟ ولماذا فشلت تجربة وحدة «الجمهورية العربية المتحدة» ولم يتقدم العمل الوحدوي العربي الرسمي؟ ووصلنا إلى نتيجة أن أحد أسباب الهزيمة وانتكاس الوحدة والعمل الوحدوي السياسي الرسمي هو أن العمل السياسي الوحدوي لم يرافقه فكر وحدوي يدعم هذه الحركة إلى الأمام ويطورها. وبالتالي وصلنا إلى أن هناك حاجة إلى عمل فكري وحدوي حتى يقتنع الناس بقضية الوحدة، ليس عاطفياً فقط وإنما فكرياً أيضاً وبناءً على مصلحتهم، حيث الوحدة غاية ووسيلة في الوقت نفسه. ولذلك قررنا أن نؤسس مركز دراسات للوحدة العربية غير تابع لأية حكومة أو أي حزب، ويكون له مجلس أمناء من أقطار عربية مختلفة، وأن نقبل التبرّعات من أية جهة مستعدة لأن تقدمها ولكن من دون أن تطلب شروطاً. وقمنا باتصالات أولية مع عدد من الإخوان في مصر وفي سائر الأقطار العربية. كان لدينا اتصال بالإخوة الأخضر الإبراهيمي (الجزائر)، ومحمد الميلي (الجزائر)، ومصطفى الفيلالي (تونس) وآخرين. وتشكل مجلس أمناء من خمس وثلاثين شخصية من أقطار عربية مختلفة.

وأعلنّا في آذار/مارس ١٩٧٥ عن قيام مركز دراسات الوحدة العربية(٥). ولم يكن لدينا غير الفكرة والإرادة، وهذا هو «نيشان» تجربة المركز، والمثال على أن الإنسان إذا توفرت لديه الإرادة يمكن أن يصنع المعجزات.

■ ***تأسّسَ في بيروت التي كانت عاصمة حرة وفيها حيوية فكرية.***

حسيب: وبعدها بشهر بدأت الحرب الأهلية، فعقدنا الاجتماع التأسيسي في الكويت في كانون الثاني/يناير ١٩٧٦، وصادقنا على النظام الأساسي والداخلي للمركز، وانتخبنا لجنة تنفيذية، واخترنا الدكتور عبد الله عبد الدائم مديراً عاماً للمركز. ولعدم إمكانية بدء العمل في لبنان، قررنا أن نفتح مكتباً

---

(٥) انظر الكرّاس التعريفي، بعنوان: **مركز دراسات الوحدة العربية: التأسيس، الأهداف، المناهج** (بيروت: المركز، [د. ت.]).

مؤقتاً في الكويت إلى أن تتحسن الأوضاع في بيروت، فنعود إليها.

كان الاعتقاد في ذلك الوقت أن الحرب مؤقتة ستستمر فقط لعدة شهور، وفعلاً استأجرنا مكتباً وأثثناه وسمَّينا مديراً مؤقتاً له الأخ محمد الخولي. لكن سوء الحظ لاحقنا إلى الكويت. ففي سنة ١٩٧٦ تم تعليق الدستور في الكويت، ولم يكن ممكناً فتح حساب في البنك ولا صَندوق بريد. فبقينا سنة كاملة من دون أي عمل. فأخذنا قراراً بالعودة إلى بيروت. عدنا وبدأنا العمل في ١/ ١/ ١٩٧٨. ولنا حتى الآن ٢٤ سنة. وكنا قد بدأنا من الصفر. واستأجرنا مقراً وأثثناه. ثم صدرت مجلة المركز **المستقبل العربي** في ١/ ٥/ ١٩٧٨. وكانت تصدر مرة كل شهرين، ومنذ ١/ ١/ ١٩٨٠ أصبحت شهرية ولا تزال شهرية حتى الآن. وكانت خلال ما يسمى «الحرب الأهلية» في لبنان إحدى العلامات على أن لبنان لا يزال على قيد الحياة. فقد كان المطار مغلقاً وكنا نبعث بالمجلة إما إلى عمَّان أو إلى قبرص أو إلى دمشق براً، ومن هناك نشحنها جواً. وكان المشتركون يستلمون الأعداد بشكل منتظم. مجلة **المستقبل العربي** حتى الآن صدر وبيع منها حوالى مليونَيْ نسخة. ثم بدأنا بإصدار الكتب.

وقد تلقّى الدكتور عبد الله عبد الدائم عرضاً من اليونسكو للعمل فيها، فكُلِّفتُ بالقيام بالعمل كمدير عام بالوكالة بالإضافة إلى عملي في الأمم المتحدة. وكنا حاولنا مع أخوين آخرين، هما المرحوم الدكتور لبيب شقير، والدكتور يحيى الجمل للعمل كمدير عام للمركز. وقد وافق د. لبيب شقير (رحمه الله) ونظمنا له حفل استقبال في القاهرة، ولكنه تلقى عرضاً من صندوق النقد العربي، فقبل العرض هناك وتركنا. وفي أوائل الثمانينيات انتقلت منظمة الأمم المتحدة إلى بغداد، فاستقلت منها، وتفرغت كلياً للعمل في مركز دراسات الوحدة العربية.

■ ***في ذلك الوقت كان لديكم بناية خاصة بالمركز؟***

حسيب: كنا مستأجرين طابقاً كاملاً من شقتين، وبدأنا في إصدار الكتب، وبدأنا من الصفر كما قلت، ولم تكن لدينا خبرة في الموضوع. وإضافة إلى المجلة التي تحدثت عنها، أصدرنا حتى الآن ٤٠٠ دراسة[٦]، وتمثل كتبنا المنشورة مكتبة عن الوطن العربي بجميع أوجهها. ومن هذه الـ ٤٠٠ كتاب بعنا حتى الآن أكثر من مليون نسخة[٧]. ومقاييس النضال عندنا كانت إدخال مطبوعات المركز إلى أكبر عدد ممكن من الأقطار العربية.

---

(٦) كان ذلك عند إجراء المقابلة، أما عدد الكتب المنشورة حتى (منتصف عام ٢٠٠٤) فقد وصلت إلى ما يزيد على ٤٧٠ دراسة منشورة.

(٧) تجاوزت مبيعات كتب المركز حتى عام ٢٠٠٤ المليون ومائتي ألف نسخة.

■ *تحايل على الرقابة؟*

حسيب: يكاد يكون لكل بلد عربي قصة معنا في هذا الأمر. والحمد لله الآن مطبوعاتنا تدخل إلى كل البلدان العربية ما عدا كتاباً يمنع هنا أو آخر يمنع هناك، أو عدد مجلة يُمنع هنا أو آخر يمنع هناك. لكن من باب الإنصاف، وبعد أن تأكد للحكومات العربية أن المركز مستقل وغير تابع لأية جهة، باتت تعاملنا معاملة تفضيلية عموماً سواء السعودية أو سوريا أو غيرهما. فإذا حَصَل وكان في مقالة أو عدد من المجلة صفحة ليسوا راضين عنها لا يمنعون العدد كله، بل ينزعون تلك الصفحة.

■ *وهذا لا بأس به.*

حسيب: إضافة إلى الكتب والمجلة، نحن نعقد ندوات كبيرة سنوياً، وأحياناً أكثر من ندوة في السنة. وحتى الآن نظمنا خمساً وثلاثين ندوة كبيرة إضافة إلى ندوات صغيرة يشارك فيها بين عشرة إلى خمسة عشر مشاركاً، أو ندوة حول موضوع معين من أربعة أو خمسة أو سبعة أشخاص. والآن نركز على عقد حلقات نقاشية حول موضوع معين مهم وساخن. ونعدّ أوراق عمل تكون مادة خلفية للمناقشة، على أن تقترح المناقشة رؤى وتصورات مستقبلية وعملية. والحلقات النقاشية تكون مغلقة، كما يتنوع المشاركون فيها من حلقة إلى أخرى تبعاً لطبيعة الموضوع واختصاص المشاركين. ثم تنشر ورقة العمل مع المناقشات في المجلة، أو في كتاب مستقل إذا كان الحجم يسمح بذلك.

كذلك ندعو عدداً من المحاضرين لإلقاء عروض فكرية في لبنان. ولقد كانت أول ندوة عقدناها في بيروت بعد نهاية الحرب الأهلية هي ندوة «لبنان وآفاق المستقبل» في العام ١٩٩٠[٨]. ولأول مرة منذ خمسة عشر عاماً يأتي باحثون لبنانيون مما كان يسمى بالمنطقة الشرقية إلى ما كان يسمى بالمنطقة الغربية ليشاركوا في هذه الندوة التي انعقدت في فندق البريستول. وعلى مدى سنة، عقدنا حلقات نقاشية شهرية تناول بعضُها قضايا تخص لبنان، وشارك فيها لبنانيون من كل التوجهات، وحصل بينهم تفاعل كبير.

■ *لم تتعرض في لبنان للمضايقة بعد كل هذا؟*

حسيب: حتى يحافظ المركز على استقلاليته، وحتى يبتعد عن المشاكل اللبنانية

(٨) انظر: **لبنان وآفاق المستقبل: أوراق ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٩١).

الداخلية، فرضت على نفسي عزلة شديدة، وابتعدتُ عن كل أطراف الصراع. وكان ذلك حتى مع الفلسطينيين. مثلاً أنا أعرف «أبو عمار» منذ عام ١٩٦٥ على ما أذكر وقبل أن يُعْلَن عن قيام حركة «فتح»، حيث التقيت به في منزل الدكتور طاهر كنعان في بيروت. وطوال وجودي في بيروت، لم ألتق به أبداً لكي لا أكون طرفاً في الصراع. هكذا حافظنا على استقلالية المركز، حيث تمثل هذه الاستقلالية أهم ما يملكه المركز.

■ ***والنزاع السوري ـ العراقي، ألم يؤثر عليك في لبنان؟***

حسيب: لي علاقة شخصية بالمرحوم الرئيس حافظ الأسد. وكان دوري دور التقريب ما بين الموقفين السوري والعراقي قدر الإمكان. وهذه قصة طويلة ليس هنا مجال سردها.

■ ***حينما تتحدث عن ملايين النسخ التي تباع من المجلة والأربعمائة كتاب والندوات، فإننا نعرف أنها تكَوّن مصدراً من مصادر الدخل ومصدر سرور للقائمين على المشروع. الآن، كيف كان أثر المركز في الحياة العربية، ما المقياس الذي تقيسون به نجاحكم في أداء رسالتكم في الوطن العربي؟***

حسيب: في الغرب، في أمريكا بشكل خاص وفي بريطانيا، عندما يقيّمون تأثير أي كتاب، يُحصُون كم مرة يشار فيها إلى هذا الكتاب أو ذاك في كتب أو أبحاث تصدر في ما بعد. وللأسف لا يوجد لدينا مثل هذا المعيار أو هذه الطريقة لصعوبة تطبيقها. لقد قام المركز من خلال الندوات، بدور مهم في تحقيق التلاقي والتفاعل ما بين المفكرين والمثقفين في المغرب العربي وفي المشرق العربي. كما كان من مقاييس النضال لدينا أن نُدخل مطبوعات المركز إلى كل بلد عربي لم تكن تدخل إليه سابقاً، ثم أن نتمكن من إشراك باحثين من تلك البلدان. وقد ساهم في نشاط المركز وفعالياته باحثون ومفكرون من المغرب العربي والخليج العربي إضافة إلى المشرق العربي ووادي النيل. وأول ما استطعنا اختراقه من بلدان المغرب العربي كانت تونس، وبمساعدة من الأخوين الطاهر لبيب وعبد العزيز عاشوري.

■ ***الطاهر الآن في بيروت.***

حسيب: في المنظمة العربية للترجمة ويشغل منصب مديرها العام. ومن ثم انتقلنا إلى المغرب والجزائر وغيرهما والحمد الله الآن المساهمات من الإخوان في المغرب العربي مساهمات كبيرة، وبعضهم قُدِّمَ عربياً من خلال المركز: مجلَّةً وكتباً وندوات.

■ ***في المشرق العربي كنتم تعملون فقط في نطاق مصر ولبنان وسوريا، لكن أيضاً، وإلى حدّ، الخليج واليمن.***

حسيب: في ندوات المركز يلتقي باحثون ومثقفون من جميع الأقطار العربية، ويلتقي فيها من بعض البلدان العربية مفكرون لا يلتقون مع بعضهم في بلادهم. وهذا ما سمح بتواصلٍ أكبر. ومثلما قلت لك، المركز يعتبر استقلاليته أساس عمله وأساس وجوده وعلى قاعدة العمل بصيغة «**الخبز مع الكرامة**». نحن في أول سنوات التأسيس (ثلاث أو أربع سنوات)، ومن خلال أعضاء مجلس الأمناء، حصلنا على تبرعات من بعض الحكومات العربية. حصل المرحوم عبد الله الطريقي (عضو مجلس أمناء المركز) على تبرع بنصف مليون دولار من الكويت. ونجح الأخ أحمد السويدي من الإمارات (عضو مجلس الأمناء) بأن يجمع على دفعات ما يعادل نصف مليون دولار أو أكثر، فضلاً عن مبالغ أخرى ب: ١٥٠ ألف دولار من ليبيا، و١٠٠ ألف من قطر، و٥٠ ألفاً من البحرين، و١٥٠ ألفاً من العراق في وقت متأخر. وبلغ مجموع المساعدات التي حصلنا عليها من البلدان العربية أقل من مليونيْ دولار خلال الأربع والعشرين سنة الماضية. وهي توقفت منذ سنة ١٩٨٠ وحتى الآن.

■ ***من سنة ١٩٨٠ وحتى الآن!***

حسيب: لم نطلب.. ولم يصلنا قرش واحد، ما عدا تبرّعاً من الشيخ سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة بمبلغ ٣٠٠ ألف دولار بعد أن اطلع على مقالة نشرها د. عبد الإله بلقزيز في جريدة **الخليج** عن مركز دراسات الوحدة العربية، وأشار في خاتمتها إلى ضائقة المركز المالية واحتمال إغلاقه إن استمرت أوضاع الاختناق المالي.

من البداية قررنا أن نعتمد بشكل متزايد على دخل مطبوعاتنا. نحن نسوّق كتبنا والمجلة، ولدينا وكلاء في كل الأقطار العربية. ووصلنا في مراحل إلى درجة أن عائدات المطبوعات تمول حوالى ٦٠ في المئة من مصاريفنا. أما الآن، فتمول حوالى النصف. وأسسنا صندوقاً ماليّاً لدعم موارد المركز. وضعنا صيغاً مختلفة: صيغة «عضو مؤازر» يستلم جميع مطبوعات المركز وله الحق في أن يحضر كل ندوات المركز كمراقب وله الحق في أن يقدم مقترحات إلى المركز حولِ شؤون المركز، ونرسل له سنوياً تقريراً عن وضع المركز. وهذه الصيغة مقابل مبلغ خمسة آلاف دولار لمدى الحياة أو ألف دولار سنوياً. وهناك صيغة أخرى نسميها صيغة «عضو مشترك» في مطبوعات المركز ونرسل له المطبوعات فيدفع إما ثلاثة آلاف دولار لمدى الحياة أو خمسمائة دولار سنوياً. بدأنا هذا الترتيب منذ خمس سنوات تقريباً. الآن تحصّل لنا من مساهمات المشتركين المؤازرين والمشتركين مدى الحياة حوالى نصف مليون دولار.

ودخلها هو لدفع ثمن المطبوعات التي ترسل لهؤلاء الأشخاص.

ثم أسسنا وقفية لعبد الناصر بتبرُّعٍ من أحد الإخوان في الجزيرة العربية بمليون دولار، ارتأى تواضُعاً عدم ذكر اسمه.

■ ***دراسات خاصة بعبد الناصر؟***

حسيب: حول الموضوعات التي تتضمن اهتمامات ثورة ٢٣ تموز/يوليو، وهي واسعة كالوحدة العربية والاستقلال الوطني والقومي والتنمية . . . إلخ. واستحدثنا من الوقفية «جائزة جمال عبد الناصر» قيمتها خمسون ألف دولار. حصل على الجائزة الأولى الأستاذ محمد حسنين هيكل تبرع بها للمركز، وعلى الجائزة الثانية الأخ جاسم القطامي من الكويت وتبرّع بها للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. ثم أسسنا وقفية ثانية للمرحوم عبد الله الطريقي بالطريقة نفسها. جمعنا منها حتى الآن ٦٠٠ ألف دولار، ولا نزال نطمح في أن نصل بها إلى المليون دولار.

■ ***هل هناك قسم مالي للمركز يتابع هذه الأمور؟***

حسيب: طبعاً هناك. وبدأنا الآن في تأسيس وقفية للمرحوم برهان الدجاني.

نشاط المركز توسع كثيراً وللأسف الشديد المصروفات زادت. وفي السنتين الأخيرتين كان لدينا عجز كبير: بلغ في سنة ٢٠٠٠ حوالى ٥٣٩ ألف دولار؛ وفي سنة ٢٠٠١ بلغ ٦٣٣ ألف دولار، ما اضطرَّنَا إلى أن نسحب مبالغ من صندوق الدعم المالي. وإذا ما استمر الوضع المالي على ما هو عليه، فإن ما لدينا لن يكفي سوى لسنة واحدة. وقد اضطررنا إلى بيع مكتب المركز في لندن. وقد يعطينا هذا نفساً لمدة سنتين. ونأمل خلالها أن نجد طرقاً لحل هذه المشكلة الخانقة.

ثالثاً: المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي

■ ***ربما كان سعر دبابة عربية واحدة لا تقاتل كافياً لحلّ عجز المركز المالي. بعد أن تحدثنا عن العراق والانتقال إلى لبنان وتأسيس المركز، سنتحدث الآن عن أفكار أخرى للمركز علاقة بها مثل المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان والمنظمة العربية للترجمة، وسنأخذ في النهاية بعض المكالمات والأسئلة من بعض السادة المشاهدين، ونريد أن ننتقل الآن إلى المؤتمر القومي العربي. كيف تأسس وما علاقته بعملكم؟***

حسيب: فكرة المؤتمر نشأت سنة ١٩٨٩ تحت القصف خلال ما سمي محلياً بـ«حرب التحرير»، حيث كان العماد ميشال عون يقصف على مواقع في ما كان يسمى

بيروت الغربية حيث يوجَد سَكَني وبكثافة نيران شديدة. وقد أصيبت شقتي في المنارة ببيروت، ما اضطرني إلى الانتقال إلى فندق الكافالييه حيث لديه ملجأ آمن تحت الأرض. وأمام شدة القصف، لم يكن لدينا إلا أن نفكر. لاحظت أن عمل المركز لا يكفي وحده، ولا بد من أنشطة تدعم هذا العمل. ولاحظت أن الأمة العربية فقدت أية مرجعية قومية، بعد أن كان عبد الناصر يمثل مرجعية إلى حد كبير، في الخمسينيات والستينيات، أي حين كانت إذاعة «صوت العرب» يبلّغ رسالة قومية إلى كل مواطن عربي، وحين كنا نضبط أوقاتنا على نشراته الإخبارية كي نعرف ما هو الموقف القومي في هذه المسألة أو تلك (وأنا اليوم لا أفتح محطات القاهرة إلا إذا مررت عليها صدفة وأنا أبحث عن محطة ما). الآن لم يعد هناك مرجعية، ولم تستطع دولة عربية أو مجموعة دول عربية أن تمثل تلك المرجعية. في الوقت نفسه، أثبتت صيغة العمل الحزبي أنها لم تكن إيجابية دائماً. لذلك فكرت في صيغة لتجمع فكري سياسي أسميناه «المؤتمر القومي العربي»، لا يهدف إلى أن يكون حزباً ولا يسعى إلى السلطة، ويكون مفتوحاً لكل من يؤمن بالأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي التي هي: الوحدة، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستقلة، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدد الحضاري. ووصلت كذلك إلى استنتاج أن كل القوالب القديمة لم تعد تصلح، وإن كانت لها ظروف ومبررات تاريخية، أما التقسيمات إلى ناصري وبعثي وشيوعي وماركسي وقومي عربي . . . إلخ . ، فلم تعد تعني شيئاً. وهكذا فتحنا باب المؤتمر لكل شخص يؤمن بالأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي. ولذلك عندنا إسلاميون، يساريون وآخرون من كل الأطراف. وعقدنا أول اجتماع تأسيسي في تونس في نيسان/ أبريل ١٩٩٠.

■ *قبل حرب الخليج؟*

حسيب: نعم، وتم وضع تصور للمؤتمر. ولسوء الحظ حدثت في آب/ أغسطس حرب الخليج الثانية؛ فاجتمعنا في الأردن في نيسان/ أبريل ١٩٩١ وتم إقرار النظام الأساسي والداخلي، وتم انتخاب أمانة عامة، وأُنتخبت أميناً عاماً للمؤتمر. وتألفت الأمانة العامة من خمسة وعشرين عضواً، وأُقر حقّ إضافة خمسة آخرين إليها. وبدأنا بالعمل؛ وبدأت تدريجياً فكرة المؤتمر تترسخ، حيث كان كثيرون يعتقدون أنه حزب، وأن لديه خطة غير معلنة وغير ذلِك. لكن هذه المخاوف زالت الآن وكل الأنظمة العربية الآن تعرف أن هذا تيار فكري سياسي، ولا يريد إلا أن يسعى ليكون مرجعية قومية شعبية. عقدنا مؤتمرات في تونس، في الأردن، في بيروت، في المغرب، في الجزائر، في مصر. وفي البحرين عقد آخر مؤتمر في نيسان/ أبريل من هذا العام، وهو كان أكبر مؤتمر حيث حضره أكثر من ٢٠٠ عضو. عضوية المؤتمر الآن تجاوزت ال ٥٠٠ شخصية ممثّلة بصفتها الفردية.

■ ***أتدفعون لهم تذاكر السفر؟***

حسيب: لا كلهم يتحملون نفقات سفرهم لأنه لا يوجد لدينا تمويل للمؤتمر. ونحن نحاول أن نؤسس وقفية للمؤتمر. ومن خلال أعضاء المؤتمر جمعنا ٨٠ ألف دولار؛ ومؤخراً، أثناء وجودي في لندن، حصلنا على تبرع بـ ٢٠ ألفاً، ونحاول تدريجياً أن نزيد الوقفية إلى أن تصل إلى مليون دولار، والتي مع الاشتراكات السنوية التي لدينا، وهي حوالى ٤٠ إلى ٥٠ ألف دولار، تكفي الحد الأدنى من نفقات عقد المؤتمر.

■ ***المؤتمر يعقد سنوياً إذاً؟***

حسيب: المؤتمر سنوي وكل ثلاث سنوات يتم انتخاب أمين عام وأمانة عامة.

■ ***أمينه العام الحالي. . من هو؟***

حسيب: الأمين العام الحالي هو الأخ ضياء الدين داوود[(٩)]، وقبله كان الأخ عبد الحميد مهري وقبله أنا. نحن حاولنا أن يكون المؤتمر القومي نموذجاً للديمقراطية ومنها تداول المسؤولية، فعملنا على أن لا يتم التجديد للأمين العام إلا مرة واحدة. وأنا حتى قبل انتهاء الفترة الثانية من مسؤوليتي، ونتيجة بعض التناقض بين عملي في المركز وعملي في المؤتمر فضلت التفرغ للمركز وجاء الأخ عبد الحميد مهري بعدي. أما الأخ ضياء الدين داوود، فتنتهي مهمته في السنة القادمة. وستكون هناك انتخابات لأمين عام جديد وأمانة عامة جديدة. كما أننا نقوم كل سنة، وأثناء الاجتماع السنوي للمؤتمر، بإجراء تقييم نقدي للمؤتمر. وفي المؤتمر الأخير، قدمت تقييماً نقدياً وكان من ضمن مقترحاته إعطاء فرصة للأجيال الجديدة لتتدرب وتأخذ فرصة وتأخذ مسؤوليات. ولدينا في المؤتمر أعضاء من ثلاثة أجيال، والحد الأدنى للعمر في العضوية هو ٣٠ سنة. فعندنا جيل ٣٠ ـ ٤٥، وجيل ٤٥ ـ ٦٠، وجيل ٦٠ وما فوق.

■ ***لكن لم تكفكم فكرة المؤتمر القومي العربي، وبعدها بفترة وجيزة جاءت فكرة المؤتمر القومي ـ الإسلامي.***

حسيب: عندما تأسس مركز دراسات الوحدة العربية، وقبل اندلاع الثورة الإيرانية في أول ١٩٧٩، كانت أول ندوة عَقَدَها المركز هي «القومية العربية

---

(٩) كان ذلك في تاريخ إجراء المقابلة. أما الأمين العام الحالي للمؤتمر القومي العربي هو الأستاذ خالد السفياني، الذي انتخب في الدورة السابعة عشرة للمؤتمر التي عقدت في الرباط ـ المغرب خلال الفترة ٥ ـ ٨ أيار/ مايو ٢٠٠٦.

والإسلام»[10] لإزالة أي غموض أو أي لبس في ما يتعلق بالصلة بين القومية العربية والإسلام، لأن المحتوى الأساسي للقومية العربية هو محتوى حضاري إسلامي. كانت هذه الندوة واحدة من أهم ندوات المركز. وبعدها في عام ١٩٨٥ أقدمنا على إطلاق مشروع كبير هو «استشراف مستقبل الوطن العربي» خلال الثلاثين سنة القادمة، أي إلى عام ٢٠١٥. وبعد إنجاز هذا المشروع، عقدت ندوة لمناقشة نتائجه في تونس في عام ١٩٨٧، وكانت ندوة كبيرة شارك فيها أكثر من ١٠٠ مشارك.

وقد انتهى المشروع ـ الذي تبنّى ثلاثة مشاهد (سيناريوهات)[11]: التجزئة، والتعاون الإقليمي أو الوظيفي، والوحدة الفدرالية ـ إلا أن هناك حاجة إلى مشروع حضاري عربي وإلى التفاعل مع كل التيارات الرئيسية الموجودة.

■ *أظن بأن هذا هو الكتاب؟*

حسيب: هذا كتاب **مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات** وهو صدر بالعربية والإنكليزية[12]. وهو مجرّد التقرير العام للمشروع الذي صدرت دراساته التفصيلية في عدة كتب عن المركز.

■ *من يرغب في أن يشتريه يتصل بكم طبعاً في المركز.*

حسيب: الكتاب موجود في الأسواق. ولكن لمن يرغب توجد طريقة أخرى، هناك موقع للمركز على الانترنت يستطيع أن يشتريه مباشرة من الموقع، وهو <http://www.caus.org.lb>.

■ *نعود إلى سؤالنا الذي كان عن موضوع المؤتمر القومي ـ الإسلامي.*

حسيب: منذ تأسيسه، كان **المركز** مهتماً بهذا الجانب. ونتيجة مشروع الاستشراف، انعقد حوار بين القوميين والإسلاميين في عام ١٩٨٩ في ندوة «الحوار القومي الديني» في القاهرة[13]. وكانت أيضاً من أهم الندوات من حيث التأثيرات

---

(١٠) انظر: **القومية العربية والإسلام: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ١٩٨٨)، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨١.

(١١) انظر القسم الثالث من كتاب: **مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي**، المشرف ورئيس الفريق خير الدين حسيب، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢).

(١٢) المصدر نفسه، وقد صدر بالإنكليزية تحت عنوان: *The Future of the Arab Nation: Challenges and Options*, supervisor and team leader Khair el-Din Haseeb (London; New York: Routledge; Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 1991).

(١٣) **الحوار القومي ـ الديني: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ١٩٨٩).

الثقافية والسياسية؛ حيث نوقشت فيها كل الأمور. ولأول مرة أقدم القوميون والإسلاميون على ممارسة نقدٍ ذاتي. وكانت نتائجها هائلة. وفي ضوء نتائج هذه الندوة، وبعد أن تأسس المؤتمر القومي العربي، طرحنا فكرة إنشاء مؤتمر قومي ـ إسلامي، وتم الاتفاق عليه، وكُلفت بالاتصال لهذا الغرض، فأخذت العملية وقتاً للاتصال بكل الساحات وكل التيارات سواءً القومية أو الإسلامية. وتم إنشاؤهُ في عام ١٩٩٤ وعُقِد أول مؤتمر له في السنة نفسها. كما جرى الاتفاق على برنامج عمل مشترك سياسي وفكري في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والوحدة العربية، والموقف من أمريكا، والديمقراطية والتعددية السياسية وبرنامج عملي للقاءات وحوارات ونشاط مشترك . . . إلخ. وفي المؤتمر الأول كان يمكنك أن تفرق بين من هو إسلامي ومن هو قومي من خلال خطابه. وتأكد ومن دون مبالغة أن ذلك لم يعد ممكناً في المؤتمر الثاني لأنه حصل تقدم كبير في الحوار والانسجام. وأكثر بلد تم فيه هذا التفاعل هو لبنان. وأنت تعرف أنه في لبنان أثناء الحرب الأهلية كان يُكتَبُ على بعض الحيطان في شارع الحمراء: لا للعروبة، لا للصهيونية! . . إلخ. الساحة التي لا تزال مستعصية بسبب خلافات داخلية محلية هي ساحة الكويت. ويحاول كل من الأمين العام للمؤتمر القومي العربي والمنسق العام للمؤتمر القومي ـ الإسلامي إيجاد صيغة للعمل المشترك بين المؤسستين.

■ ***من هو منسق المؤتمر القومي ـ الإسلامي: هل هو من اليمن؟***

حسيب: المنسق الأول كان د. أحمد صدقي الدجاني من فلسطين، وبعده ـ الآن ـ الأخ الدكتور محمد عبد الملك المتوكل من اليمن[(١٤)].

■ ***هل سيظل هو المنسق؟***

حسيب: في المؤتمر القادم سيكون هناك منسق آخر.

■ ***في أي فترة من المتوقع سيعقد المؤتمر القادم؟***

حسيب: ستحدد ذلك لجنة المتابعة في المؤتمر.

■ ***ألا توجد هناك صعوبات دخول بعض الأعضاء من الإسلاميين مثلاً إلى بعض البلدان التي ينعقد فيها المؤتمر؟***

حسيب: ربما، ولكن إذا ضاقت بنا الحيلة يبقى لبنان الملجأ.

---

(١٤) توفي الدكتور أحمد صدقي الدجاني في ٢٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣. كما انتخب الدكتور عصام العريان منسقاً عاماً للمؤتمر القومي ـ الإسلامي في الدورة الخامسة للمؤتمر التي عقدت في بيروت خلال الفترة ١ ـ ٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤.

رابعاً: المنظمة العربية لحقوق الإنسان والمنظمة العربية للترجمة

■ ***ساحة حرة، هذا يردنا إلى موضوع الحرية وحقوق الإنسان، وكان لكم يد أيضاً في تأسيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان.***

حسيب: نحن في المركز، وفي غياب العمل الوحدوي الرسمي، كنا مهتمين بإنشاء بنى تحتية وحدوية. وموضوع حقوق الإنسان كان رئيسياً في برنامج عملنا. ولذلك عقدنا ندوة شهيرة بعنوان **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي** عام ١٩٨٣[١٥]. لم نستطع أن نعقدها في أي بلد عربي، فعقدناها في ليماسول في قبرص. وبعد انتهاء الندوة عقدنا مؤتمراً تأسيسياً لإنشاء المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وتمت المصادقة على نظامها الأساسي وانتخاب مجلس أمناء لها. وبعد ذلك أصبحت مستقلة، ومقرها الآن في القاهرة، وتقوم بدور مهم في رصد أوضاع حقوق الإنسان في الوطن العربي، وفي محاولة بناء رأي عام مناهض لسياسة انتهاك حقوق الإنسان في البلدان العربية.

■ ***الأمين العام الآن هو الأستاذ محمد فائق.***

حسيب: أمينها العام هو الأخ الأستاذ محمد فائق، وفيها مجلس أمناء، وتصدر سنوياً تقريراً عن حقوق الإنسان في الوطن العربي. ويوجد فيه قسم عام وقسم عن كل بلد عربي وعن انتهاكات لحقوق الإنسان التي تحدث فيه. كما تصدر نشرة شهرية كذلك. وأية حالة تصلهم عن انتهاكات حقوق الإنسان في أي بلد عربي، يتصلون بالحكومة المعنية بها ويسألون عن ذلك الانتهاك، وإذا لم يحصلوا على جواب أو كان الجواب غير مرضٍ يعلنون عنها في نشرتهم الشهرية ثم السنوية في ما بعد.

■ ***هل لكم صلة أيضاً بالمنظمة العربية للترجمة؟***

حسيب: نحن في المؤتمر القومي العربي، وضعنا استراتيجية وخطة عمل قومية في التسعينيات. ومن بعض تلك الطموحات في الخطة كانت فكرة إنشاء «منظمة عربية للترجمة»، و«جمعيات عربية مهنية». بعض الجمعيات العربية المهنية أنشأناه من قبل: جمعية عربية للعلوم السياسية، وجمعَية عربية لعلم الاجتماع، وجمعية عربية للبحوث الاقتصادية، ثم في ما بعد أنشأت الجمعية العربية للفلسفة.

---

(١٥) نشرت وقائع الندوة في كتاب صدر عن المركز تحت عنوان: **أزمة الديمقراطية في الوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ٢٠٠٢).

وقد أصبحت جمعيات مستقلة. وكانت المشكلة هي كيف تمول هذه الجمعيات، لأنه إذا لم تكن مستقلة في تمويلها، فستتدخل فيها الحكومات. فقمنا بإنشاء «مؤسسة ثقافية عربية» لتمويل هذه الجمعيات بما فيها المركز. وتم جمع مليوني دولار كوقفية لها، وهي مستقلة عن المركز، ولها مجلس إدارة يجتمع سنوياً، وفي ضوء الدخل المتحصل سنويّاً من الوقفية يجري توزيع الدعم على المؤسسات الثقافية المختلفة. ويُؤخذ بنظر الاعتبار نشاطها في السنة الماضية والسنة اللاحقة ووضعها المالي.

■ *من يشرف عليها، هل المركز مثلاً؟*

حسيب: أنا بصفة شخصية، عضو مجلس أمناء وعضو مجلس إدارة فيها، ومعنا الأخ عبد المحسن قطان والأخ جاسم القطامي والدكتور أحمد يوسف أحمد والدكتور فادي مغيزل.

■ *تشرف على هذه الجمعيات كلها؟*

حسيب: لا تشرف عليها، بل تشرف على تمويلها، نحن لا نتدخل في شؤون الجمعيات الأخرى. وجزء من خطة العمل القومي هو إنشاء منظمة عربية للترجمة. الترجمة مهمة كثيراً في أي مجتمع أو حضارة. الحضارة العربية ـ الإسلامية، في زمن العباسيين، بدأت بالترجمة. وبعد الترجمة، وأثناءها، جرت عملية الهضم ثم الإبداع. قمنا في المركز بإجراء دراسات مَسْحِيَّة عن حالة الترجمة في البلدان العربية، وبعدها دراسة جدوى أولية، وعقدنا ندوة لمناقشة الموضوع[١٦]، ثم أنشأنا المنظمة العربية للترجمة وهي مستقلة الآن. وجمعنا لها وقفية بقيمة مليون دولار ونسعى الآن لجمع مليون دولار آخر. وبحسب دراسة الجدوى الأولية تحتاج إلى وقفية بمبلغ خمسة ملايين دولار. وقبل آخر السنة ستبدأ في نشر عدد من الكتب التي ترجمتها. وهي مستقلة الآن.

■ *من مديرها العام؟*

حسيب: مديرها العام حالياً هو الأخ الدكتور الطاهر لبيب من تونس، وأنا رئيس مجلس الأمناء. وقد حصل مركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة قبل سنتين على صفة منظمة دولية غير حكومية، أي لها صفة دبلوماسية وحصانة

---

(١٦) انظر: **الترجمة في الوطن العربي: نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ٢٠٠٠).

دبلوماسية، حيث صدر مرسوم خاص من الحكومة اللبنانية لكل واحدة منهما[١٧].

■ ***في هذه الأعمال والمبادرات التي لها نوعية كلها، المؤتمر القومي العربي، المؤتمر القومي ـ الإسلامي، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، هذه الجمعيات الثقافية والفكرية الممتازة، هل هناك أي حكومة عربية تميزت من غيرها من الحكومات بإبداء تفهم وتقدير وتشجيع لهذا العمل؟ هناك حكومات مهتمة بعض الشيء بالفكر والثقافة.***

حسيب: إذا كَفَوْنا شرَّهم فهذا يكفي.

■ ***المؤتمر القومي العربي قبل الأخير انعقد في العراق في بغداد، وأنت حضرت هذا المؤتمر، هل هذه كانت أول مرة تعود فيها إلى بغداد بعد خروجك من العراق؟***

حسيب: لا، أنا عدت إلى العراق عدة مرات. رجعت مرة في عام ١٩٧٦، حيث كان عندنا مؤتمر إقليمي عن المياه. وفي عام ١٩٨٤ كان هناك اجتماع لمجلس أمناء المركز دعا الدكتور سعدون حمادي إلى عقده في بغداد. وفي عام ١٩٩١ وجه لي الرئيس صدام حسين دعوة لزيارة بغداد ومقابلته لبحث بعض الأمور، ثم كرر الدعوة مرة ثانية وذهبت في أواخر تموز/ يوليو ١٩٩١ إلى بغداد لمدة أسبوع أو عشرة أيام والتقيت به.

■ ***هل قابلته في المرة الأخيرة خلال المؤتمر القومي العربي؟***

حسيب: نعم، قابلناه. . وفد من خمسة أشخاص من المؤتمر القومي العربي، ومن ثم قابلته على انفراد لفترة قصيرة.

■ ***هل لدى الرئيس العراقي شعور بأن هذه الأعمال التي كنا نتكلم عنها، المركز والمؤتمر والمنظمة، لها صلة بالعراق لأن مواطناً عراقياً أشرف عليها ورعاها؟***

حسيب: بالنسبة إلى المؤتمر القومي العربي، نحن حريصون على أن يعقد قدر الإمكان في كل بلد عربي، ونطلب من البلد الذي تعقد فيه الدورة أمرين: **أولاً** أن كل من يدعى إلى المؤتمر يُسْمَحُ له بأن يدخل وطبعاً أن يخرج. **وثانياً** أن تُحتَرم حرية التعبير للمشاركين. وأشهد من باب الحق أنه لم يتدخل أي شخص كان في أعمال المؤتمر القومي العربي الذي عقد في بغداد؛ ولو تدخل لرُفض التدخل، بل تَمَتَّع المؤتمر بحرية كاملة أثناء انعقاده في بغداد مع كرم ضيافة كبير.

---

(١٧) المرسوم رقم (٤١٧٤) تاريخ ١٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠ الخاص بمركز دراسات الوحدة العربية، والمرسوم رقم (٢٨٠٣) تاريخ ١٤ نيسان/ أبريل ٢٠٠٠ الخاص بالمنظمة العربية للترجمة.

خامساً: الوضع في العراق

■ *دعنا نتكلم الآن عن العراق، العراق الآن بالنسبة إلى كثيرين من العرب جرح في الضمير العربي، هناك حصار مستمر منذ سنوات طويلة، وهناك احتمال ضربة مختلفة نوعياً هذا العام أو العام المقبل تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وهناك معارضة عراقية مدعومة من الخارج. ما هو تحليلك للوضع في العراق د. خير الدين؟*

حسيب: أنا لا أريد أن أعود إلى ملف حرب الخليج الثانية. **أولاً**، النظم العربية كلها غير ديمقراطية، وربما تختلف في درجة عدم ديمقراطيتها. **ثانياً**، بالنسبة إلى أمريكا، السمات الرئيسية للنظام العراقي لم تتغير خلال العشرين أو الثلاثين سنة الماضية. ومع ذلك، فأمريكا تعاونت مع العراق خلال الثمانينيات وزودته بمعلومات وبأسلحة وقروض . . . إلخ. لماذا يتغير موقف أمريكا من العراق الآن مع أن السمات الرئيسية للنظام هي نفسها حتى اليوم؟ نحن الآن في وضع نستطيع أن نفهم فيه الأمور أكثر من السابق بعدما نشرت المذكرات عن حرب الخليج الثانية. لقد نشر شوارزكوف مذكراته بعد حرب الخليج[١٨]، وهي في قسمين، الأول عن حرب فييتنام التي شارك فيها، والثاني عن حرب الخليج. يقول ما يلي: في عام ١٩٨٨ عُيِّنَ قائداً للقوات المركزية في أمريكا، وهي ما نسميه نحن بقوات التدخل السريع. وفي عام ١٩٨٩ طُلب منه تقييم الأخطار التي تتعرض لها أمريكا في الشرق الأوسط. ويحكي عن الزيارات التي قام بها إلى الخليج ومصر والسعودية. وعاد في أواخر عام ١٩٨٩، وقدم تقريراً قال فيه، وأنا استعمل تقريباً كلماته، بأن الخطر الأول والرئيسي هو العراق. ولذلك يُلاحظ أنه من أواخر عام ١٩٨٩ وبداية عام ١٩٩٠ بدأ الكلام عن المدفع الكبير، وأوقفوا القروض من بنك التصدير الأمريكي للعراق، وبدأ الإعلام في أمريكا وبريطانيا يحرّض ضد العراق. لماذا تغير هذا الموقف؟ يقول شوارزكوف إن لدى القوات المركزية تدريباً سنوياً، والتدريب الخاص لعام ١٩٩٠ لأول مرة يُخطط على أساس أن العدو هو العراق، وليس الاتحاد السوفياتي كما كان الأمر سابقاً.

وبدأ التدريب في تموز/ يوليو ١٩٩٠، وتداخل مع حرب الخليج. وفي مجال التحضير لهذا التدريب، وقبل أن تبدأ حرب الكويت، وُضعت الأهداف التي تقصف وكل التفاصيل الخاصة به. أنا لا أذكر هذا لتبرير غزو الكويت لأن لديَّ موقفاً

(١٨) H. Norman Schwarzkopf, *It Doesn't Take a Hero: General H. Norman Schwarzkopf, the Autobiography*, written with Peter Petre (London: Bantam Press, 1992).

معلناً في ندوة عقدناها في القاهرة في نيسان/ أبريل ١٩٩١[19]. أنا لا أبرر غزو العراق للكويت، على رغم أن الغزو العراقي للكويت كان حلقة في سلسلة حلقات لها ما قبلها وما بعدها، وهي مجموعة أخطاء تم الرد على كل منها بأخطاء وخطايا أكبر منها: استفزاز الكويت للعراق، غزو العراق للكويت، التدخل الأمريكي في السعودية، مؤتمر القمة، الحرب على العراق . . . إلخ. لكن لماذا أرادت أمريكا أن تضرب العراق؟

ما حدث أنه خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية، حيث أمريكا ودول أخرى ساعدت العراق لمصالح خاصة بها، استطاع العراق أن يستفيد من التكنولوجيا التي أُمِدَّ بها، وأن يطور بعض الأسلحة التي تشكّل نوعاً من الردع لإسرائيل. غير أن أمريكا اعتبرت ذلك غيرَ مقبول استراتيجياً، ويشكل خطراً على إسرائيل وعلى مصالحها، ولذلك كان المطلوب ضرب العراق. وأنا مجدَّداً لا أبرر موضوع غزو العراق للكويت. هذا موضوع آخر وخطأ وفخ وقع فيه العراق وساعد على ضربه باسم الشرعية الدولية ومن خلال تحالف دولي ما كانت الولايات المتحدة لتستطيع تجميعه لولا دخول العراق للكويت.

أريد أن أتحدث عن الوضع الآن، دخلت أمريكا في أفغانستان وقد صمتت لفترة عن العراق، وثبت عدم وجود أي صلة للعراق بموضوع القاعدة والأفغان العرب. لكن إسرائيل تعتبر العراق عدواً رئيسيّاً لأن موقفه ضد التسوية يعرقل مخططاتها. وهي الآن تحاول أن تضغط على أمريكا لدفعها إلى ضرب العراق. ما هي احتمالات ضرب العراق؟ **أولاً**، بقدر المعلومات المتوفرة، الرئيس بوش الابن، ونتيجة ضغوط إسرائيلية ونتيجة الضغوط من اليمين الأمريكي المتطرف (المحافظون الجدد)، والأصولية المسيحية المتطرفة، واهتمامه بالانتخابات المقبلة حيث يريد أن يجدد، اتخذ قراراً بضرب العراق، لكن كيف ومتى؟ هذا لم يتخذ فيه قرارٌ بعد. المعلومات التي لدي أن الرئيس بوش الابن طلب، في الأسبوع الماضي، من كوندوليزا رايس مسؤولة الأمن القومي أن تجتمع مع رامسفيلد وكولن باول، وأن يرفعوا التوصيات إلى الرئيس بوش حول كيف ومتى يضرب العراق. وكان من المفروض أن يُقدم التقرير في عطلة نهاية الأسبوع الفائت. هل قدّم، أم لم يتم تقديمه، لا أعرف؟

المعلومات المتوافرة كذلك أنهم لا يستطيعون أن يضربوا العراق الآن قبل أن

(١٩) انظر: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٢ (بيروت: المركز، ١٩٩٧).

ينظر مجلس الأمن الشهر القادم في موضوع النفط مقابل الغذاء. وهناك محاولات من روسيا وحتى من بريطانيا للوصول إلى اتفاق في مجلس الأمن حول المفتشين يحفظ ماء الوجه لأمريكا وللعراق. إذا حصل هذا، وإذا كانت أمريكا مهتمة بالمفتشين فقط وليس بتغيير النظام، فيمكن أن يُعطى مجال لتأخير أو تأجيل الضربة على الأقل. إضافة إلى هذا العامل، فإن تطور الأوضاع في أفغانستان يشير إلى أن الوضع لم يستقر فيها، ونحن نعلم الآن ماذا يحدث. وهناك توقعات أنه خلال الربيع قد يشتد نشاط القاعدة وطالبان. وهناك عامل آخر لا نرحب به وليس لنا سيطرة عليه، هو احتمال أن تقوم القاعدة بعملية أخرى في مكان ما وفي شكل ما. ومن الصعب جداً أن تضرب أمريكا العراق بوجود الوضع الحالي في فلسطين، وحيث الشارع العربي خلال الأسبوعين أو الثلاثة الماضية معبأ. فإذا ضربوا العراق واستعملوا سيناريو استخدام قوات برية، فأعتقد أنه من غير المحتمل أن يسمح أي بلد عربي بمرور قوات برية منه إلى العراق، وإذا ما حصل ذلك فستكون هذه بداية لانهيارات أخرى.

في عدد من مجلة **فورين أفيرز** *(Foreign Affairs)* التي يصدرها «مجلس العلاقات الخارجية» في أمريكا، هناك مقالة مهمة لعضو في المجلس، يقترح فيها سيناريو (مشهداً)، يفند السيناريوهات الأخرى، ويعتقد فيه أنه لتغيير النظام تحتاج أمريكا إلى ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف جندي في العراق[٢٠]. ويعتقد أن الصعوبة ليست فقط في هذا، مع الضحايا الأمريكية التي ستقع، ولكن في ملء الفراغ الذي سيحدث بعد تغيير النظام. أنا شخصياً أعتقد حتى وإن هدأت الانتفاضة، لا سمح الله، فإن أمريكا غير قادرة على تغيير النظام في العراق، وأن يستقر لها المقام هناك. فقد تضرب العراق لأسبوعين أو أربعة أو أكثر وقد تحتل العراق، ولكن في ما يتعلق بالوضع الداخلي في العراق، أعتقد ـ في حدود المعلومات المتوافرة لدي ـ أن هناك ترتيبات وخططاً وإجراءات قد تجعل أمريكا في وضع صعب وبكلفة بشرية عالية. وحتى إذا ما نجحت في دخول العراق، فسيكون ذلك بمثابة المرحلة الأخيرة في انهيار إمبراطوريتها. أشعر بقدر من التفاؤل إذا قررت أمريكا أن تحتل العراق.

■ ***هل يجوز الحديث الآن عن التقارب العراقي السعودي الكويتي بعد الذي حصل في قمة بيروت؟***

حسيب: أنا أعتقد أن ما حدث كان خطوة مهمة، وكانت مبادرة جيدة جداً من العراق. وأعتقد أنه حصل تقارب بين العراق والسعودية، وبين العراق والكويت،

---

(٢٠) انظر: Kenneth M. Pollack, «Next Stop Baghdad?,» *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002), p. 43.

ولكن مع السعودية ربما أكثر. وإذا استمرت السياسة العراقية الحالية على هذا النحو، أعتقد أننا سنشهد زيادة في التبادل التجاري وتحسين العلاقات.

سادساً: الرد على المداخلات

■ ***د. حسيب طبعاً أخذنا أكثر الوقت للأسئلة والاستفسار، وذلك على حساب السادة المشاهدين، ومع ذلك اسمح لي أن أتوقف للحظات، ومعنا ضيف عزيز على الهاتف هو المفكر العربي والإسلامي الدكتور محمد عمارة من القاهرة. د. محمد عمارة مرحباً بك.***

د. عمارة: أولاً أحيي الدكتور خير الدين حسيب، وأقول إنه نموذج للإنسان بكل معاني الكلمة، ونموذج للشخصية العربية القومية بمعناها الواسع الأفق، وإن د. خير الدين حسيب مدرسة من المفروض أن يتعلم منها الكثيرون، ليس فقط القوميون وانما أيضاً كل التيارات الفكرية في وطننا العربي والإسلامي. إن د. خير الدين حسيب منظم مدرسة كبيرة تحتاج إلى دراسة وإلى استخلاص الدروس والتعلم منها، بل يمكن أن أقول إن مكانة الأحزاب بعد أن أصابها ما أصابها من التراجع، وجدت خيرَ عوضٍ عنها في المؤسسات الفكرية والمؤسسات التي تؤدي دوراً سياسياً، وإن لم تكن مؤسسات ذات عنوان سياسي، والتي ساهم د. حسيب في إنشائها، ومنها المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي، وهما مؤسستان جديرتان بالتقدير للمشروع الذي تحملانه، وللقواعد التي تقومان عليها. إن الدكتور خير الدين حسيب مدرسة تستحق أن يتعلم منها الكثيرون، وأنا أتمنى له دوام الصحة والتوفيق ودوام العطاء والإنجاز. وأتمنى لأحلامه أن تتحقق ولمشروعاته أن تمثل إطاراً جامعاً في تيارات الأصالة لأمتنا العربية والإسلامية.

■ ***شكراً جزيلاً لك د. عمارة على هذه المساهمة الطيبة. شكراً لك مع التحيات والأشواق. طبعاً كلمات جميلة وتستحق أكثر منها د. حسيب. في الحقيقة لا أريد أن أدع مواطناً عربياً من الأهواز ينتظر كثيراً هو د. عبد الله مرحباً بك يا دكتور.***

د. عبد الله: السلام عليكم. د. خير الدين، نحن شعب في الأهواز أرجو أن تهتموا بنا ثقافياً وإعلامياً.

■ ***طالما تتحدثون باللسان العربي، فيمكنكم الاستفادة من مطبوعات المركز.***

حسيب: أريد فقط أن أقول له إن المركز يعمل على تحسين العلاقاتِ العربية ـ الإيرانية، وأعتقد أننا قطعنا شوطاً كبيراً في هذا المجال، وأنه كلما تَحسَّنَ وضع العلاقات العربية ـ الإيرانية سيتحسن وضع الإخوان العرب في الأهواز.

■ ***ما هي توقعاتك من قراءة المشهد الراهن في فلسطين؟***

حسيب: لاحظنا لأول مرة أن الإدارة الأمريكية والرئيس بوش يطلبان انسحاب إسرائيل من مناطق السلطة الفلسطينية، ولكن إسرائيل لا تستجيب أو تستجيب جزئياً، والإدارة الأمريكية تتراجع. هل هو تقسيم أدوار؟ هل هو تمثيل؟ أم هو يعني أن أمريكا غير قادرة على إجبار شارون على الانسحاب؟ ما نحتاج إليه هو إدامة الانتفاضة الفلسطينية. من دون الانتفاضة الفلسطينية، ومن دون استمرارها ستكون استراحة المحارب طويلة. أحد الأمور التي تدعونا إلى التفاؤل هو هذا الموقف الشعبي، هذه الهبّة الشعبية العربية التي لم تحدث منذ زمن طويل. وهذه الحملة من التبرعات، وهذا الاستعداد لدعم الانتفاضة، فضلاً عن أن إسرائيل حتى الآن لم تستطع أن تدخل غزة ولا أعتقد، وقد أكون مخطئاً، أنها ستدخل غزة. إذاً تلاحظ أن إسرائيل في نابلس قامت بالقصف، قصفت نابلس وقصفت جنين وهما من معاقل المقاومة. أما غزة فكلها مخيمات ما عدا جزءاً قليلاً، والأغلبية الساحقة من مقاتليها راديكاليون. وفي حدود معلوماتي، فإن المقاومة في غزة تملك أسلحة لم تكن متوفرة لدى المقاومة في الضفة الغربية، مثل سلاح آر. بي. جي. المضاد للدبابات؛ وهم حطموا ثلاث دبابات. ولذلك أعتقد أن الانتفاضة لن تتأخر كثيراً قبل أن تستأنف. وكما أن المقاومة في لبنان أدت إلى سقوط شارون، فأعتقد أن الانتفاضة في فلسطين ستُستأنف وتؤدي إلى سقوط شارون. ولكن إذا كان للمرء أن يتمنى، فيتمنى الوحدة الوطنية للمقاومة الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها، وأن تكون هناك استراتيجية للمقاومة، وحساب منفعة وكلفة، منفعة ليس بالمعنى المادي ولكن بالمعنى السياسي. يحتاج موضوع العمليات الاستشهادية للوقوف أمامه ودراسته والاتفاق على استراتيجية حوله، وأن لا يُتْرَكَ الموضوع للمبادرات الفردية التي مهما كان إخلاص الشخص، فإنها قد تؤدي إلى نتائج يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني كله.

■ ***هذه نقطة حساسة جداً تلك التي تشير إليها الآن. لقد ضربت على وتر حساس جداً جداً، ويصعب الآن أن يتكلم فيه المثقفون والسياسيون العرب، وهو موضوع العمليات الاستشهادية، هكذا يسميها الفلسطينيون، ولكن تعلم أنه في لندن وفي العالم الغربي يسمونها عمليات انتحارية أو عمليات إجرامية كما يقول الأمريكيون. إلى أي مدى القيادات الفلسطينية جاهزة لمراجعة وتقييم هذا الأسلوب في العمل؟***

حسيب: أنا ذكرت أنه لا بد للقيادات الفلسطينية من أن تناقش هذه المسألة وتتفق على استراتيجية واحدة حولها. القضية الفلسطينية ليست قضية عربية فقط، ولكن لها اليوم بعداً إقليمياً وبعداً دولياً. ولا بد من الاهتمام بنمط عمليات المقاومة، ومدى تأثير بعض هذه العمليات في الرأي العام العالمي والغربي. لا شك في أن المقاومة مشروعة،

وهي غير الإرهاب الذي يتكلم عنه بوش بنفاق. العمليات التي كان يقوم بها «الجيش الإيرلندي» كانت تعتبرها بريطانيا إرهاباً، بينما كان الأمريكيون يعتبرون مقاتليه «مقاتلي حرية» (Freedom Fighters). وكانت تُرسل إليهم تبرعات من أمريكا. فلماذا هناك ليسوا إرهابيين، ولماذا المساعدات والتحويلات لا تحجب؟ لا شك في أن المقاومة مشروعة بكل المعايير الدولية والأخلاقية. في ما يتعلق بالأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧، فإن الإسرائيليين الموجودين إما جنود وإما مستوطنون. وفي الحالين، هم محتلون اغتصبوا الأرض. وبالتالي، فالعمليات الاستشهادية ضد المؤسسة العسكرية في الضفة الغربية وغزة وضد المستوطنين هي عمليات مشروعة بكل المقاييس، وحتى في الغرب لا تنتقد هذه العمليات. الخلاف يبدأ حينما يتعلق الأمر بالعمليات الاستشهادية في فلسطين ١٩٤٨ أو إسرائيل كما يسمونها. إذا كانت العمليات الاستشهادية في فلسطين ١٩٤٨ موجهة إلى المؤسسة العسكرية، أعتقد أنها مشروعة بكل المقاييس لأن لها علاقة بما يحدث. أما بالنسبة إلى المدنيين، ففي هذا الأمر خلاف. هناك وجهة نظر تقول إن هؤلاء جميعهم جنود احتياط في الجيش الإسرائيلي، وبالتالي فهم جزء من المؤسسة العسكرية. وهناك وجهة نظر أخرى تقول إن هؤلاء هم الجيل الثاني الموجود في إسرائيل، بعد ٥٤ عاماً على اغتصاب فلسطين. وبالتالي هم ليسوا مسؤولين عن قيام إسرائيل، ولم يساهموا في هذا وليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه، وبالتالي وجهة النظر هذه تقول إن هذه العمليات الاستشهادية ضد المدنيين في داخل فلسطين ١٩٤٨ يجب أن يتم تقييمها من جديد، وتقييم مدى فائدتها أو ضررها بالنسبة إلى القضية الفلسطينية. وأياً كان القرار الذي سيتخذ يجب أن يكون متفقاً عليه. هذا موضوع من الموضوعات العاجلة التي أعتقد أنها تستحق المناقشة. اليوم هناك افتتاحية في صحيفة **هيرالد تريبيون** منقولة عن صحيفة **واشنطن بوست** كانت تناقش هذا الموضوع، وهناك تحول تدريجي في الرأي العام الأمريكي حول موضوع فلسطين وحول شارون. طبعاً، في بريطانيا الوضع أفضل، لكن في أمريكا كذلك هناك تحول متدرج. فهذا في ما أظن موضوع من الموضوعات المهمة التي ينبغي فتحها أمام مناقشة فلسطينية وعربية واسعة.

■ ***هناك غضب في الشارع العربي، وغضب من الحكومات العربية، فما الذي يمكن أن تفعل الحكومات العربية لفلسطين ولم تفعله؟***

حسيب: يا أخ هاشمي، في التاريخ المعاصر للبلدان العربية لم توجد فترة كانت لدينا فيها إمكانيات أكثر من الإمكانيات الحالية؛ وفي الوقت نفسه، لم نشهد فترة نحن فيها ضعفاء مثل الفترة الحالية. أمريكا تستعمل التجارة والعلاقات الاقتصادية كوسيلة ضغط، هي إلى الآن تقاطع كوبا، وأحياناً تمنع تصدير بعض الأشياء إلى روسيا، وأحياناً إلى الصين، فمن حقنا نحن أن نستعمل السلاح الاقتصادي ولا

نستورد سلعاً أمريكية قابلة للاستبدال، واستيرادها من مصادر أخرى. دعنا نأخذ مثالاً، ما الذي يمنعنا من شراء طائرات إيرباص بدل بوينغ، فهي طائرات ممتازة. والشركات الأمريكية لا تصنّع طائرات مدنية فقط، بل طائرات عسكرية أيضاً. والتقدم في تصنيع هذه الأخيرة يحتاج إلى البحث العلمي، وجزء من ثمن هذه الطائرات يُصْرَف لتمويل الأبحاث. إذاً، سنساهم بحرمان أمريكا من هذا التطوير أو بجزء منه على الأقل، وذلكَ من خلال عدم شراء الطائرات الأمريكية. ثم ماذا يضيرنا لو استبدلنا السيارات والثلاجات والغسالات والسجائر من صنع أمريكي بغيرها من صنع أوروبي أو ياباني؟ كما أن هناك الودائع العربية، العامة والخاصة، في البنوك الأمريكية، وأمور أخرى غيرها، ويمكن استعمالها كأدوات ضغط على أمريكا.

ما لم تشعر أمريكا أن مصالحها ستتأثر، فلن تغير سياستها. إن السياسات الخارجية في العالم لا تقوم على الأخلاق والمبادئ، بل تقوم على المصالح. إذا لم يشعر أصحاب المصالح أن مصالحهم تتأثر، ويضغطوا على الإدارة الأمريكية لتغيير الصورة، فستبقى أمريكا كما هي.

■ ***يجب على الحكومات العربية أن تخاف لأن لديها علاقات مع أمريكا وتخاف أن تستهدفها أمريكا.***

حسيب: علاقات الحكومات العربية مع أمريكا غير سوية، لأن كل حكومة عربية وحدها ضعيفة بالضرورة، ولكن، لو اتخذت سياسة مشتركة لاختلف الأمر.

■ ***لن يقدروا، الآن الملك المغربي اليوم في أمريكا، وكذلك ولي العهد السعودي، الملك المغربي يحتاج اليها من أجل قضية الصحراء، ويطلب دعمها إذا أراد أن يحبط المحاولات الجزائرية ضد المغرب.***

حسيب: ثمة طريقة أخرى اتبعت في الخمسينيات والستينيات على عهد الرئيس عبد الناصر الذي رفض التساوق مع السياسات الأمريكية وحفظ استقلال القرار المصري، وكان مع ذلك يأخذ مساعدات..

■ ***من دول أخرى؟***

حسيب: حتى أمريكا عرضت عليه مساعدات.

■ ***هل تستطيع اثنتان وعشرون دولة أن تقوم بهذا؟***

حسيب: نأخذ الدول الرئيسية. إذا أخذنا السعودية ومصر وسوريا والعراق، هذه وحدها تكفي. ثم لا بد من تفعيل دور مصر وإيجاد بديل عربي مضمون وغير خاضع للابتزاز للمساعدات الأمريكية، لأنه تحت ضغوط المساعدات الاقتصادية

والعسكرية الأمريكية ستظل مصر مشلولة. وهنا يصح القول المأثور «لا حرب من دون مصر ولا سلام من دون سوريا ولا تطبيع من دون السعودية».

■ *نريد أن نأخذ مداخلةً من الأخ أبو علي من القاهرة، أخ أبو علي مرحباً بك.*

أبو علي: السلام عليكم. شكراً لك وللدكتور العزيز خير الدين حسيب. نحن بحاجة إلى أمثال الدكتور خير الدين حسيب لكشف بعض الغموض لكثير مما هو غامض بالنسبة إلى الشعب العربي. وأنا أريد أن أشكره على إلقاء الضوء ولو بسرعة على ما حصل وما يحصل بالنسبة إلى العراق. وفي الحقيقة كان كلامه منطقياً جداً، ولكن عندي سؤال للدكتور خير الدين هو أنه منذ الساعات الأولى لدخول القوات العراقية للكويت بدا أن بعض الدول العربية تريد أن تنتهز هذه الفرصة، وكأنها كانت تنتظر هذه الفرصة لتدمير العراق. وأنت تعرف يا دكتور من خلال قراءاتك لمذكرات الكثيرين من الذين شاركوا في حرب الخليج الثانية أنه كان بالإمكان إيجاد حل سلمي ومنطقي وعادل وعقلاني بدل الحرب، لكن هناك من أراد أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه. ووجدنا في الحقيقة أمراً غريباً جداً، وهذا ما أشار إليه في فقرات كثيرة من كتبه الأستاذ سعد البزاز، وهو أن بعض الحقد كان مدفوناً في صدور بعض الإخوة العرب على العراق، ووجدوا وكأنها فرصة تاريخية للانقلاب على هذا الشعب الذي دفع الثمن للأسف عن أخطاء الكويتيين، وعن أخطاء وسياسات الحكومات العربية. أنا أسأل لماذا؟ هل هو حقد؟ هل هو اختلاف أيديولوجي مع النظام في العراق؟ في الحقيقة أتمنى من د. خير الدين أن يلقي نظرة على هذا.

■ *شكراً لك أخ أبو علي، د. حسيب ما هو تعليقك على ما قاله الأخ أبو علي؟*

حسيب: الأخ أبو علي، مهما حاولنا أن نبحث في الماضي، فنحن لا نستطيع أن نغير ما حصل فيه. كل ما نستطيع هو أن نستنتج عبراً ودروساً منه. والشعب الكويتي هو جزء من هذه الأمة وما حصل حصل، وتبيّن أن ما حصل كانت تأثيراته سطحية، لأن الشعب الكويتي سرعان ما عبّر عن أصالته العربية حين اندلعت الانتفاضة الفلسطينية، فقام بتظاهرات وقدّم تبرعات . . . إلخ. وهناك أغنية عراقية تقول «خلي المجروح بجرحه ولا تَفتح له جرح جديد»[21].

---

(٢١) لمزيد من التفاصيل والإيضاحات حول حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، انظر، على سبيل المثال فقط: محمد حسنين هيكل، **حرب الخليج: أوهام القوة والنصر** (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢)؛ سعد البزاز: **حرب تلد أخرى: التاريخ السري لحرب الخليج، ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣** (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ورماد الحروب: **أسرار ما بعد حرب الخليج** (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥)، و Majid Khadduri and Edmund Ghareeb, *War in the Gulf, 1990-91: The Iraq-Kuwait Conflict and its Implications* (New York: Oxford University Press, 1997).

■ ***هل يوجد بديل حقيقي من الدعم الأمريكي لمصر، لأن هذا موضوع حساس جداً؟***

حسيب: أنا أعتقد أن العراق بالدرجة الأولى، وكذلك السعودية، وربما الإمارات، إذا أطال الله عمر الشيخ زايد، تستطيع تقديم هذا البديل وهو ليس بكثير. الرئيس حسني مبارك بحسب ما قيل لي يقول إن قيمة المساعدات الحقيقية إذا طُرحت منها رواتب الخبراء وبعض السلع التي يأخذونها لا تزيد على ٥٠٠ مليون دولار، وهذه ستتناقص. إن مليار دولار وليس فقط ٥٠٠ مليون دولار لمصر لن يصعب على العراق والسعودية والإمارات تقديمها، أو ربما حتى الكويت. لكن العراق وحده قادر على هذا في ما أعتقد.

■ ***طبعاً، حلم كبير. تخيل لو قيل للمواطنين العرب أن يؤمنوا هذا المال من أجل مصر، فلا أحد يمكن أن يقوم بهذا.***

حسيب: ممكن، أنت تتكلم عن مليار دولار، وهو مبلغ زهيد على دول غنية. وهو زهيد سياسياً أيضاً لأننا بحاجة ماسة إلى تفعيل دور مصر.

■ ***مطلوب أيضاً أن تطرح القيادة المصرية هذا الموضوع: موضوع دورها السياسي في المنطقة.***

حسيب: أنا لا أريد أن أبرر موقفها، لكن القيادة المصرية مترددة وخائفة لأن وضعها الاقتصادي صعب جداً، والأمريكيون يمكن أن يدفعوا نحو انهيار الوضع النقدي والجنيه المصري إذا أرادوا.

■ ***أود أن آخذ تعليق الأخ أبو فهد من المملكة العربية السعودية، الأخ أبو فهد أهلاً بك.***

أبو فهد: مرحباً د. خير الدين، أنا معجب جداً بالحديث معك واللقاء تابعته من البداية، وبدلاً من أن نتكلم في التاريخ، دعنا نتكلم في الحاضر. ومن كلامك قلت إن أمريكا هي التي أوقعت العراق في فخ الكويت، من هي الدولة التي قد توقعها أمريكا الآن في فخ، وما هو هذا الفخ؟ وما هي نصائحك لهذه الدولة.

حسيب: في حدود المعلومات المتوافرة لدي وفي حدود اقتناعاتي ـ ولا أتكلم من عاطفة ـ أعتقد أن أمريكا إذا هاجمت العراق واستعملت قوات برية تؤدي إلى إلحاق ضرر كبير ودائم بالعراق، فإن العراق سيكون مقبرة للقوات الأمريكية، وستكون مغامرتها نهاية للامبراطورية الأمريكية. وهذا اقتناعي، وآمُلُ إن شاء الله أن

لا أكون مخطئاً. بالنسبة إلى الدول العربية أتمنى أن لا يقع أحد في فخ، لأنه ليس من مصلحتها الوطنية القطرية أن تقع في الفخ.

■ ***أريد أن أرحب الآن بالدكتور قيس جواد العزاوي من فرنسا. د. قيس مرحباً بك.***

قيس العزاوي: مرحباً بالدكتور خير الدين حسيب. أنا لست محايداً عندما أتحدث عن الدكتور خير الدين حسيب لأنني أعتبره أستاذي، وقد عملت في مركز دراسات الوحدة العربية فترةً قرابةَ خمس سنوات في ظروف صعبة جداً، وبوجود الدكتور حسيب تَمَكَّنّا من تجاوز كل الصعوبات، وتمكنّا كمركز أن نثبّت أقدامنا في ساحة عربية من الرمال المتحركة. في الواقع أصبح مركز دراسات الوحدة العربية بفضل الإدارة الحكيمة والباحثين الجادين من كل الدول العربية واحداً من أكثر مراكز الدراسات العلمية والأكاديمية في الوطن العربي بروزاً، وأعطى الوجه الحضاري للعمل البحثي الأكاديمي. هذا من ناحية أكاديمية، أما من الناحية النضالية، فأنا لا أكون محايداً عندما أتحدث عن المركز، بل أنا ما زلت آمل أن يأخذ المركز على عاتقه النهوض بأمور وقضايا عديدة، وأنا عارف بالأزمة الاقتصادية التي يمرّ بها المركز وبالجهد المبذول. لكني أعتقد أن علينا الآن التوجه نحو العالم الخارجي. ثَبَّتْنَا أنفسنا في الوطن العربي وفرضنا احترامنا على الأنظمة العربية والشعوب وقلنا كلمتنا، ولكن على ما يبدو المعركة في العالم هي المعركة الإعلامية، ويجب أن تخاض أيضاً خارج الوطن العربي لإقناع الناس. كما بنيت إسرائيل بواسطة المهاجرين اليهود في الخارج، وبواسطة الجماعات التي عقدت مؤتمراً في سويسرا، وما زالت اللوبيات الصهيونية تدافع عن إسرائيل، فيجب أن نتوجه نحن أيضاً إلى الخارج. وهذا الكلام أقوله بكل حرقة لأنني أعيش في الغرب وأعرف ما أهميته. ودائماً أتوجه إلى الدكتور حسيب وأتمنى أن يعطي الأهمية لهذه الموضوع. أتمنى أن نقوم بعدد من الحوارات ليس على طريقة الحوار العربي ـ الأوروبي الكلاسيكي، وإنما هناك صيغ أخرى جديدة. لماذا لا ننظم ـ مثلاً ـ مؤتمراً للإعلاميين العرب في الخارج، وكثيرون منهم يعملون في مؤسسات إعلامية أجنبية، وقادرون على التأثير إذا ما توفرت برامج عمل ولجان تنسيق؟ وكما تفضل د. خير الدين حسيب وذكر، يعاني المركز مشكلة مادية، لكنه لا يعاني نقصاً في الأفكار والمشاريع، ومنها مثلاً مشروع الجاليات العربية في الخارج. نحن في أوروبا حوالى ٣٠ مليون مسلم. إذا أردت أن تجمع إمكانياتهم الاقتصادية، فهي أكثر من الإمكانيات الاقتصادية في الوطن العربي.

لقد تمكنّا لأول مرة في تاريخ فرنسا أن نلعب الورقة العربية بذكاء، وكل

مختبرات التحليل الانتخابي تقول إن العرب أقبلوا على الانتخاب بنسبة كبيرة جداً، وكانت تسكنهم القضية الفلسطينية. ولأول مرة يُهزم اللوبي الصهيوني في فرنسا هزيمة نكراء. كل القادة المرتبطين باللوبي الصهيوني انتهوا سياسياً. وهذه أول مرة نتحرك فيها على هذا النحو، فكيف إذا تحركنا بشكل أفضل؟ أنا أدعو صادقاً إلى أن تلتفت كل الدول العربية إلى مركز دراسات الوحدة العربية والمؤسسات الجماهيرية الحقيقية، وكلها مؤسسات عجزت دَول عن تأسيسها. وقلت لك إنني سأتكلم ولست محايداً، وأتمنى أن يستمر هذا المركز ويحقق أهدافه.

■ ***شكراً د. قيس، سوف أدع الدكتور حسيب يعلق على حديثك.***

حسيب: الأخ قيس، شكراً على كل ما قلته. أريد أن ألخص بكلمتين: العين بصيرة واليد قصيرة. و**﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾**(٢٢). ولكن أعدك بأنني سأعمل كل ما يمكن عمله بخصوص الاقتراحات التي تحدثت عنها.

■ ***صديقنا د. علي عقلة عرسان من سوريا. د. علي عقلة مرحباً بك.***

د. علي عقلة عرسان: مرحباً بكم ومساء الخير للدكتور خير الدين حسيب.

حسيب: **أهلاً الأخ علي.**

■ ***أهلاً بك دكتور، نحن الآن قمنا برحلة مع الدكتور حسيب بدأناها بالموصل وبغداد، وانتقلنا إلى بيروت وإلى إسهامات كثيرة في العمل على الساحة الثقافية والفكرية العربية. ويسرنا أن نأخذ انطباعاتك خاصة أنه لديك علاقة بهذه التجارب التي يخوضها المركز.***

حسيب: د. علي عضو في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي.

علي عقلة عرسان: في الحقيقة جهود د. خير الدين حسيب معروفة ولها ثمرات واضحة في الحياة الفكرية والنضالية العربية. وأنا أحيّي جهوده في مركز دراسات الوحدة العربية الذي يقدم أشياء جادة ومهمة. ولكن يبدو لي أنها لا تصل بشكل واسع إلى من ينبغي أن تصل إليهم، ولا سيما في مجال صنع القرار. ولكن ليس المركز هو المسؤول عن ذلك، مع وجود الحاجة الماسة إلى أن تصل حصيلة أعمال المركز ومراكز الأبحاث في الوطن العربي إلى صانع القرار العربي. ولكن هناك أهمية للتوقف عند جهد آخر متميز قام به الدكتور خير الدين حسيب مع آخرين في المؤتمر القومي العربي وفي المؤتمر القومي ـ الإسلامي، وهو موضوع الحوار وتقريب وجهات النظر.

---

(٢٢) **القرآن الكريم**، «سورة البقرة،» الآية ٢٨٦.

■ ***يبدو أن الخط من سوريا انقطع، هل تشعر الآن أن هذا الحوار يثمر في الساحة العربية تسامحاً أكبر بين التيارات؟***

حسيب: أعتقد أن الحوار قطع مرحلة طويلة وكبيرة، وكل طرف يطرح رأيه وبشكل حضاري. عقدنا اثني عشر مؤتمراً سنوياً للمؤتمر القومي العربي، وثلاثين ندوة كبيرة. ويندر أن يحدث أن يرفع أحد الصوت في أثناء المناقشات. النقاش حوار حضاري هادئ، وأعتقد أنه تتكون مدرسة جديدة من خلال هذه التجربة.

■ ***د. علي عقلة عرسان عاد معنا إلى الخط، تفضل دكتور.***

علي عقلة عرسان: الحوار الذي ينشأ في إطار المؤتمر القومي لم يعد فقط مقتصراً على مشاركة التيار القومي، وإنما هناك تيارات أخرى داخل المؤتمر القومي تدخل في الحوار وتشارك حتى في القيادة، على الرغم من أنه كان لها في السابق مواقف ضد القومية ككل وأحكام قاسية على القوميين بشكل عام. ولكن التيار القومي استطاع ومن خلال رحابة صدره ومسؤولياته أن يفتح حواراً، وأن يستوعب الجميع في بوتقة هي في الأصل عمل قومي للأمة ككل. ولكن الإطلالة التي قام بها التيار القومي على مدى أوسع هي المؤتمر القومي ـ الإسلامي حيث بدأت هناك عملية حوار حقيقية بين التيار الإسلامي والتيار القومي والتيار اليساري الاشتراكي أو الشيوعي. وأثمرت هذه العملية تفاهماً أكبر، ووقوفاً على المشترك بشكل أثبت وأعمق. ولكن هذا يحتاج إلى تغيير جوهري ليس المسؤول عنه الدكتور خير الدين حسيب أو أي مسؤول، وإنما المسؤول عنه الأحزاب والمفكرون والمسؤولون عن التنظيم حيث يجري تغيير حقيقي في التوجه، وليس مجرد مجاملات أو محاولات تقارب في اللقاءات المعلنة، لأن التغيير يجب أن ينعكس في استراتيجية عمل مشترك. وهذه الاستراتيجية يجب أن لا تتوقف عند حدود رؤية مثقفين ومناضلين وسياسيين محايدة للأمور في الوطن العربي أو مراقبة أو تقدم تحليلاً وتكتفي بالتحليل. لا بد من أن ننتقل إلى مرحلة أخرى من الأداء فيها مجمل ما تتفق عليه هذه التيارات الفكرية والسياسية المهمة في الوطن العربي، وفيها مجمل ما تتفق عليه على أرض الواقع نضالاً وعملاً وتوجهات ليغير الواقع العربي ويقارب بين الأنظمة ويقارب بين الأحزاب، ولكي تنشأ على أرضية هذا المشترك مدرسة ذات تيار واضح يغير في معاني وتوجهات العمل العربي استناداً إلى رؤية فكرية.

وأنا أقول بشيء من الحيطة، مع تأكيدي على أننا جميعاً شركاء في هذا، إنه لا بد من مواجهة حسم الخيارات، فنحن في المؤتمر القومي العربي أو المؤتمر القومي ـ الإسلامي ما زلنا نشير في بيانات وقرارات وأحياناً توجهات إلى شرعية دولية وإلى

قرارات معينة وإلى تسويات. لقد ثبت من خلال كل المجريات، ولا سيما مجريات الأحداث الأخيرة والنزوع العنصري النازي الصهيوني، أن الصراع مع الكيان الصهيوني صراع وجود. وما لم يحسم المثقفون والمفكرون والمناضلون العرب موقفهم من هذا الأمر، فلن يستطيعوا التأثير في الأنظمة العربية لتأخذ خياراً غير الخيار الذي سوّقته وفرضته، وأستطيع القول إنها أذلتنا به، هو خيار السلام الاستراتيجي الوحيد. وهذا الخيار الوحيد أدى إلى استسلام مستمر وتنازلات مستمرة. وهذه الأمة لم تهيّئ نفسها لتمتلك قوة تحمي بها حتى خيار السلام الذي تختاره، بينما العدو فاتح المجال لكل الاختيارات، ويعلي شأن خيار العدوان وإعمال القوة فينا في كل المجالات. فهل نستطيع نحن أن نفرض من موقع مبدئي ثابت رؤية بعيدة الأمد للصراع وللمشروع الصهيوني العنصري الاستيطاني الذي يستهدف المشروع العربي بكل مقوماته وبكل أدواته؟ إن هذه المؤتمرات مؤثرة، ونحن ندعوها إلى فتح جميع الخيارات وفي مقدمتها خيار التحرير وإعداد النفس والجيوش وإعداد الاستراتيجيات كلها للاختيارات ككل، وعلى رأسها خيار التحرير، لأن هذا العدو إذا سالمناه ووقّعنا اتفاقيات معه، فإنه عندما تدعوه حاجاته التوسعية ويأتي بمهاجرين جدد سوف يعتدي علينا ويشنّ الحرب ويوسّع من استيطانه تلبية لما يسميه مجاله الحيوي ومصالحه. ومن ثم إذا لم نكن قادرين على رد هذا العدوان، فسوف نخضع لاعتداءات جديدة. والمثال هؤلاء الذين وقّعوا معه اتفاق أوسلو أو سواه الذين هم اليوم محاصرون في غرفة واحدة. هذا الكيان يحتاج منا إلى مراجعة يقوم بها المثقفون والمفكرون وقادة الرأي، ولا سيما أن هناك نخبة منهم في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي لضرورة فرض إعادة النظر في خيار واحد هو السلام الاستراتيجي. إضربونا، نحن نحتاج السلام، اقتلونا، نحن نتمنى السلام، نحن مع السلام، لكن كيف نحمي هذا السلام؟ أقول إنه لا بد من أن نعمل عملاً مجدياً لفتح جميع الخيارات، ومنها خيار التحرير بالدرجة الأولى، وامتلاك قوة على أرضية العمل والإيمان والعمل به، ولا نكتفي بتقديم تقرير عن حال الأمة وهو تقرير موضوعي صحيح، لكنه يأخذ حسابات سياسية في الموضوع، ولا يأخذ مبادئ حسابية فكرية قومية جذرية، ونحن بحاجة إلى هذه الجذرية. فانظر إلى المثقفين الأمريكيين، في ١٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٢، أي بعد حوالى خمسة أشهر من أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، قدموا مذكرة موجهة إلى العرب والمسلمين، ولكنها بالدرجة الأولى تنطوي على أمرين رئيسين: أن تعطي الحق للإدارة الأمريكية بأن تعلن الحرب على الإرهاب، وعلى الشعوب والدول الأخرى، وتعلن وقوفها مع الإدارة الأمريكية في شنّ حرب على هذه الدول، وتتذرع بأنها صاحبة قيم.

■ ***شكراً د. عرسان. الدكتور خير الدين حسيب له تعليق على ما قاله د. علي عقلة عرسان، ثم السؤال الأخير في البرنامج.***

حسيب: هناك نقطتان رئيسيتان طرحهما الأخ علي عقلة عرسان. في ما يتعلق بالتحرير نحن نتفق معك في كل ما قلته. إن المركز قام قبل سنتين أو ثلاث بندوة كبيرة ووضع استراتيجية وخطة عمل للصراع العربي ـ الإسرائيلي، وإذا قرأت المجلد الثاني الذي يبيّن الاستراتيجة وخطة العمل ستجد كل ما تريده موجوداً هناك(٢٣). وإذا قرأت افتتاحية **المستقبل العربي** بعنوان «الانتفاضة الفلسطينية . . . إلى أين؟» ستجد الجواب عن الأسئلة التي أثرتها(٢٤).

إن المؤتمر القومي العربي هو أول من رفض مؤتمر مدريد قبل أن يعقد في عام ١٩٩١، ولا يزال هذا موقفه من الموضوع. أكيد هناك مجال أكثر لتفعيل وجهة النظر هذه، لكن نحتاج اليك يا دكتور علي عقلة معنا لبلورة كل هذه الأفكار.

■ ***د. خير الدين حسيب، في نهاية هذه الجولة، هل أنت متفائل، أنت متفائل في موضوع العراق، ولكن هل أنت متفائل في موضوع الوحدة والوضع العربي بشكل عام، بعد الآمال والتجارب . . هل الوحدة العربية ممكنة؟***

حسيب: ما حدث في الأسابيع الثلاثة الأخيرة نتيجة الانتفاضة أثبت أن هناك أمة عربية فعلاً. فما معنى أن يكون هناك تظاهرة بين مليون وثلاثة ملايين في المغرب، ومليون في اليمن، ولأول مرة تظاهرات في الخليج: في قطر، عُمان، البحرين، والكويت . . . إلخ؟ هذا يعني أن هناك أمة حية ما زالت موجودة.

العالم كله متوجه نحو الوحدة والتكتلات الكبيرة. هذه أوروبا التي فيها لغات مختلفة وتاريخ مختلف وحروب نشبت فيما بينها، دخلت الآن ليس فقط في الجانب الاقتصادي، بل أقامت الاتحاد الأوروبي، وهي متجهة نحو إنشاء فدرالية. هذه أمريكا فعلت الشيء نفسه مع كندا والمكسيك. وهذه دول جنوب شرق آسيا. نحن لدينا لغة واحدة وتاريخ واحد ومصير واحد ولم نفعل شيئاً.

أنا لا أريد أن أقفز على الدولة القُطرية، والدولة القطرية بغض النظر عن رأينا فيها باتت أمراً واقعاً. لكن هذا لا يمنع من الاستفادة من التجربة الأوروبية. إن

---

(٢٣) انظر: **العرب ومواجهة إسرائيل: احتمالات المستقبل: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ٢ ج (بيروت: المركز، ٢٠٠٠)، ج ١: **الدراسات الأساسية**، ج ٢: **نحو استراتيجية وخطة عمل**.

(٢٤) **المستقبل العربي**، السنة ٢٥، العدد ٢٧٩ (أيار/مايو ٢٠٠٢)، ص ٦ ـ ٩.

الكيانات بقيت، لكنها تنازلت عن بعض السيادات الخاصة لصالح سيادة مشتركة. ونحن ندرس الآن فعلاً هذا الموضوع، ولدينا دراسة تُعَدّ في المركز عن تجربة الاتحاد الأوروبي وكيفية الاستفادة منها عربياً[٢٥].

حول النقطة الأخيرة التي أثارها د. علي عقلة عرسان حول موضوع صانع القرار وكيف يستفيد من عمل المركز، أقول: نحن بدأنا، ولا نزال نستكمل، سلسلة من الدراسات عن كيف يصنع القرار في الدول الرئيسية التي تتعامل مع العرب. عندنا دراسة عن أمريكا، ودراسة عن الاتحاد الأوروبي وروسيا وتركيا وإيران، والآن دراسة عن بريطانيا[٢٦]. وهذه كلها ترسل إلى الرئيس الأعلى ووزير الخارجية. وكلها مجاناً حتى يقرأوها. والدراسات الأخرى التي نقوم بها والتي يمكن أن يستفيد منها صانع القرار نرسلها إلى كل الجهات، وحتى الآن لم نستلم ولو رسالة شكر من أي واحد منهم!

■ ***لكن السؤال هو كيف يصنع القرار في البلدان العربية؟ أريدك في نهاية الحوار أن تقدم الكلمة التي تود أن تختم بها البرنامج.***

حسيب: أكيد، إن الأنظمة العربية مقصّرة في واجبها، وهي أنظمة ـ كما قلت لك في البداية ـ لاديمقراطية بدرجات مختلفة من عدم الديمقراطية. ولا بد لها أن تنتبه إلى أن دعم الشعب لهذه الأنظمة هو أهم وأحسن بكثير من دعم أمريكا وغيرها لها، لأن لأمريكا مصالح، وعندما تتغير هذه المصالح، فسيتغير بالتالي الدعم. عليها أن تقوم بواجبها تجاه الانتفاضة الفلسطينية. وهنا يجب أن لا نعول فقط على

(٢٥) صدرت هذه الدراسة في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. انظر: حسن نافعة، **الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤).

(٢٦) انظر: **كيف يصنع القرار في الوطن العربي: أبحاث ومناقشات الندوة العلمية التي عقدت في القاهرة**، مكتبة المستقبلات العربية البديلة، عملية صنع القرار العربي، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)؛ فواز جرجس، **السياسة الأمريكية تجاه العرب: كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟**، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠)؛ محمد مصطفى كمال وفؤاد نهرا، **صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية-الأوروبية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)؛ نورهان الشيخ، **صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية ـ الروسية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)؛ جلال عبد الله معوض، **صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية ـ التركية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)، ونيفين عبد المنعم مسعد، **صنع القرار في إيران والعلاقات العربية ـ الإيرانية**، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢).

وتقوم حالياً الدكتورة روزماري هوليس (Rosemary Hollis) ـ رئيسة برنامج الشرق الأوسط في Chattam House التابع للمعهد الملكي للشؤون الدولية في بريطانيا (International Institute of International Affairs) ـ وبتكليف من مركز دراسات الوحدة العربية، بإعداد دراسة حول بريطانيا، بعنوان: «Britain and the Arab World: The Contemporary Policy Agenda».

الحكومات، فكل فرد في حدود إمكانياته يستطيع أن يساعد وأن يقوم بذلك، فمن يستطيع أن يتبرع يتبرع، ومن يستطيع أن يقاطع فليفعل ذلك. بعض الإخوان الفلسطينيين في دبي قاموا بمشروع لتوأمة العوائل؛ هناك عوائل في فلسطين فقدت أبناءها، وكل واحد يتبنى إعالة عائلة، فيرسل إليها مبلغاً شهرياً من ١٥٠ دولاراً، وإذا لم يستطع الفرد الواحد ذلك، فيمكن لاثنين أو ثلاثة أشخاص أن يتشاركوا في ذلك. إنني شخصياً أتبنى عائلة عن طريق مبلغ شهري، وذلك بإصدار تعليمات للبنك لتحويل ١٥٠ دولاراً كل شهر. قال لي الأخ المسؤول عن هذا الموضوع إن برنامج التوأمة شمل ٣٥٠٠ عائلة. لماذا لا نستطيع فِعْلَ ما فَعَلَه المؤتمر الصهيوني في هذا المجال؟ لا شك في أن إمكانياتنا المالية أقل، لكنها ليست قليلة. بعد ذلك، على المتمولين العرب أن يقوموا بدورهم. في الغرب يؤسسون وقفيات كثيرة بأنواع مختلفة، وقسم منها يُدْفَع لتمويل المؤسسات الثقافية. هل نستنتج أن معظم المتمولين العرب غير مثقفين وغير مقدرين للثقافة؟! أعتقد أن عليهم واجباً تجاه وطنهم وأمتهم وثقافتها. ومن غير المعقول أن مركزاً مثل مركز دراسات الوحدة العربية يعاني أزمة مالية، وقد ينهي نشاطه بعد سنة أو سنتين، وكل هذه الأموال العربية موجودة!

■ *شكراً جزيلاً للدكتور خير الدين حسيب على هذه الجلسة الممتعة. وأتمنى حين نلتقي مرة أخرى أن تكون قد تحسنت أوضاع المركز. شكراً للدكتور خير الدين حسيب، وإلى كل الجهد الذي تبذله أنت ومساعدوك.*

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٤)

الاستراتيجيا الأمريكية تجاه العراق والوطن العربي(*) (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢)

الأخ الرئيس سليم الحص

الأخت رئيسة اللجنة الثقافية

الأخوات والإخوة

أود أن أبدأ المحاضرة بملاحظتين: **الملاحظة الأولى** هي أنني أتحدث بصفة شخصية، وما أقوله لا يمثل بالضرورة رأي مركز دراسات الوحدة العربية. و**الملاحظة الثانية** أن معظم ما سأقوله يستند إلى مصادر، ووقت المحاضرة لا يسمح بذكر جميع المصادر، ولكنني أثناء المناقشة وبعدها مستعد لأن أقدمها لمن يريد من السادة. وحيثما يكون هناك رأي خاص سأقول إنه رأي خاص.

بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر الماضي أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) ابتداءً قسماً خاصّاً للتضليل الإعلامي: هكذا كانوا يسمونه. وبعد ردود الفعل السلبية السيئة في العالم حول هذا الموضوع، تم دمج هذا القسم في قسم آخر، ولكن بقيت المهمات المطلوبة نفسها. ولذلك، أنا أرجو أن نكون على حذر شديد حول ما نقرأ في المصادر من معلومات وتسريبات، لأنه غالباً ما تكون لأغراض معينة، وأحياناً للتضليل الإعلامي.

(*) ألقى الدكتور خير الدين حسيب هذه المحاضرة في «ندوة العمل الوطني» حول العراق التي أقيمت في مركز توفيق طبارة في بيروت في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢.

عندما ذهبت لدراسة الماجستير في عام ١٩٥٤ إلى «London School of Economics» لاحظت أن أحد المتطلبات الرئيسية الإجبارية لدراسة طلبة الاقتصاد في الدرجة الجامعية الأولى هي أن يدرسوا الفلسفة. وكنت حائزاً على الشهادة الأولى من بغداد، فاستغربت علاقة الفلسفة بالاقتصاد. بعدها أدركت أن الفلسفة تعلم المرء أن ينظر إلى جذور الأشياء، وألا يضيع في التفاصيل. ولهذا سأحاول أن أقدم تلخيصاً للاستراتيجية الأمريكية من عام ١٩٨٩ حتى الآن وبشكل سريع. وفي ضوء ذلك سيكون من الممكن أن نفهم ما حصل ويحصل، وأن نكوّن رؤية للمستقبل.

في أواخر الثمانينيات، وبانتهاء الحرب الباردة، وصلت أمريكا إلى اقتناع مفاده أنه في السابق كانت القوة العسكرية هي المعيار الأول والرئيس لتحديد من هي القوى الكبرى في العالم. وعلى هذا الأساس، كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي القوتين الكبريين في العالم. وبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، لم تعد القوة العسكرية هي المعيار الأول والرئيسي لأنه لم يعد هناك عدو أو ما يسمونه «Global Enemy». وبدأ العامل الاقتصادي يأخذ أهمية متزايدة. وبنظرة مستقبلية، رأت الولايات المتحدة أنه بازدياد أهمية العامل الاقتصادي لن تستطيع أن تكون قوة كبرى وحيدة بعد اليوم، فالاتحاد الأوروبي يعادل ناتجه القومي الناتج القومي للولايات المتحدة؛ والصين يُتَوَقَّع أن يصل الناتج القومي فيها إلى الناتج القومي الأمريكي في عام ٢٠١٠ أو عام ٢٠٢٠، ثم هناك دول جنوب شرق آسيا. ولذلك كانت أمريكا بحاجة إلى ورقة اقتصادية تتعامل بها مع الغرب، ومع الصين، ومع اليابان، وتتحكم فيها. من هنا نشأت فكرة السيطرة على النفط ليس لتوفير حاجة الولايات المتحدة فقط، بل لاستعماله كورقة ضغط في علاقات الولايات المتحدة مع القوى الاقتصادية الرئيسية الأخرى في العالم. وهذه الورقة هي الورقة التي تستطيع من خلالها أن تتحكم في توريد النفط وفي أسعاره، وبالتالي تكون أوروبا واليابان والصين والهند كلها مرتهنة لها.

كانت هذه هي البداية. وفي عام ١٩٨٨ عُين شوارزكوف قائداً للقوات المركزية، وهي ما كانت تسمى قوات التدخل السريع عندنا. وفي عام ١٩٨٩ أُرسل شوارزكوف إلى «الشرق الأوسط»، (والكلام الذي أقوله موجود في كتاب شوارزكوف الذي نشر فيه مذكراته، وفيه قسمان: القسم الأول عن فييتنام، والقسم الثاني عن «عاصفة الصحراء»، وأنا أتكلم عن أول ستين صفحة من القسم الثاني)[١].

(١) H. Norman Schwarzkopf, *It Doesn't Take a Hero: General H. Norman Schwarzkopf, the Autobiography*, written with Peter Petre (London: Bantam Press, 1992).

يقول شوارزكوف إنه طُلب منه، بعد انتهاء الحرب الباردة، تحديد من هم أعداء أمريكا في «الشرق الأوسط». ويذكر تفاصيل سفره إلى الخليج وإلى مصر والمقابلات التي أجراها، وأنه عاد في أواخر عام ١٩٨٩ وقدم تقريراً مفاده أن العراق هو الخطر الأول. وكان هناك تدريب سنوي للقوات المركزية، وكان هذا التدريب يجري في العادة على أساس أن الاتحاد السوفياتي هو العدو. وبعد انتهاء الحرب والباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، ولأول مرة، وضع التدريب السنوي لعام ١٩٩٠ على أساس أن العراق هو العدو. هذا التحول حَصَلَ في أواخر عام ١٩٨٩. ولذلك، نلاحظ أنه من بداية عام ١٩٩٠ بدأ الكلام عن المدفع العملاق وعن معدات صنع القنبلة النووية. . . إلخ. علماً أن ما يسمى بالمدفع الكبير كان تمهيداً لإيجاد الذرائع لضرب العراق، حيث سبق لأمريكا أن أعطت العراق تسهيلات ائتمانية من خلال بنك الاستيراد والتصدير الأمريكي، ثم توقف ذلك وبدأت الضغوط الاقتصادية. حينها كان العراق يحاول جدولة ديونه مع معظم الدائنين. وبدأت الضغوط للتسديد، وكانت اقتصادية ابتداءً.

وهنا جاء الاستفزاز الكويتي ـ وأرجو أن لا يساء فهم ما سأقوله، فأنا ضد غزو العراق للكويت مهما كانت الأسباب، ولكني سأحاول أن أبيّن خلفيات ما جرى. لقد كان العراق خارجاً من حرب مع إيران، وبحاجة إلى إعادة إعمار، وبحاجة إلى تسديد بعض الديون، فقامت الكويت والإمارات لأسباب غير مقنعة بزيادة إنتاج النفط وتخفيض سعر البرميل منه. وقد أدت زيادة الإنتاج عن المقرر في حصتهما في الأوبك إلى انخفاض أسعار النفط بسبب زيادة العرض عن الطلب، وأدى ذلك بالتالي إلى انخفاض عائد العراق من نفطه المصدّر.

وهناك مراسلات بين بعض المسؤولين في الكويت ووكالة المخابرات الأمريكية (السي. آي. إي.) حول الضغط الاقتصادي على العراق، والتفاصيل منشورٌ قسمٌ منها في كتاب هيكل عن هذا الموضوع[٢]. العراق أخطأ بالخطوة التي أَقْدَمَ عليها حتى يستبق الحرب عليه، والتي توقع أنها قادمة. لقد أخطأ في غزوه الكويت. نعم، الضربة كانت ستأتي، ولكنها لم تكن لتتم بهذا التحالف، وبهذه المدة من القصف الجوي. أما لماذا كانت الضربة آتية في جميع الأحوال سواءِ أدخل العراقُ الكويت أم لم يدخلها، فلأن نفطه ـ ونفط الخليج ـ كان مستهدفاً من قبل أمريكا المتطلعة إلى أن تسيطر عليه كما أشير إلى ذلك سابقاً. كما كان هناك موضوع الموقف من إسرائيل،

---

(٢) انظر: محمد حسنين هيكل، حرب الخليج: **أوهام القوة والنصر** (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢).

وأمريكا تعتقد، سواءً عن صواب أم عن خطإ، أن العراق عقبة في التسوية ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ناهيك بأن العراق خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية استفاد من التقانة التي زودته أمريكا وبريطانيا بها، فبدأ يطور قدراً قليلاً من الردع الذي أصبح يمثل خطراً على استراتيجية أمريكا في المنطقة وعلى إسرائيل. لن أدخل هنا في حرب الخليج، لكنّ من المفيد أن تعرفوا (والكلام الذي أقوله منشور في الكتب والمذكرات التي نشرت بعد حرب الخليج الأولى والتي نشرها كولن باول وشوارزكوف وسكوكروفت وبوش نفسه وبيكر)[٣] أنه بعد أن دخل العراق الكويت، وكان ذلك يوم ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠، ذهب تشيني، وكان وزير دفاع آنذاك، مع شوارزكوف (قائد القوات المركزية) إلى السعودية واجتمعا في الرياض مع العائلة الحاكمة بحضور الملك فهد والأمير عبد الله وبعض الوزراء، وشرحا لهم «الخطر» الذي يمثله العراق، وقدما لهم صوراً مزوّرة من الأقمار الاصطناعية تبين أن وحدات من الجيش العراقي دخلت السعودية، لإقناعهم أن هناك خطراً، علماً أن ثمة اتفاقية أمنية بين العراق والسعودية، وقد أُبرِمَت قبل غزو الكويت. وقد ساهمت مصر في ذلك أيضاً، ونشرت جريدة **الجمهورية** خبراً عن لواءَيْن عراقيين دَخَلاَ السعودية. وفي الطبعة الثانية من الجريدة في اليوم نفسه أسقطوا الخبر. كان هذا يوم ٥ آب/ أغسطس، وأثناء اللقاء مع القادة السعوديين، توقع الوفد الأمريكي أن الجلسة ستتأجل ليتداول الأوّلون في الأمر ويتخذوا قراراً. ولكن في آخر الجلسة هَزَّ الملك فهد رأسه إيماءً بالموافقة. الوحيد الذي أبدى ملاحظة كان الأمير عبد الله الذي شكك في قول تشيني وشوارزكوف بأن القوات الأمريكية ستنسحب بعد انتهاء مهمتها. مرة ثانية هذا الكلام جاء بالحرف الواحد في كتاب شوارزكوف[٤]. وبعد ذلك، سافرا إلى مصر وقابلا الرئيس حسني مبارك في الإسكندرية. وقبل أن يلتقياه، كان جيمس بيكر قد أخذ موافقة الرئيس حافظ الأسد على المشاركة. وأثناء المقابلة مع حسني مبارك، حصلت مصر على ستة مليارات دولار وعلى شطب بعض الديون. وفي الجلسة نفسها وافق حسني مبارك على دخول القوات الأمريكية ووافق على مشاركة الجيش المصري وإرسال فرقتين، وأعطى أوامره بذلك، وأوامره بتقديم التسهيلات المصرية. كما طلبا منه استعمال بعض المطارات المصرية لطائرات «B52»،

(٣) Colin L. Powell with Joseph E. Persico, *A Soldier's Way: An Autobiography* (London: Hutchinson, 1995); Schwarzkopf, Ibid; George Bush and Brent Scowcroft, *A World Transformed* (New York: Knopf, 1998), and James A. Baker, *The Politics of Diplomacy: Revolution, War, and Peace, 1989-1992* (New York: Putnam, 1995).

(٤) Schwarzkopf, Ibid.

فطلب وقتاً للتفكير. ولذلك، كان اجتماع القمة الذي عقد يوم ١٠ آب/ أغسطس ١٩٩٠ اجتماعاً لتغطية القرار الذي اتخذ قبل ذلك، وبُدئ بالتنفيذ. هذا فقط للعلم حول ما حصل، والتواطؤ العربي الذي جرى مع أمريكا.

بعد أن انتهت حرب الخليج، حاول وزير الدفاع تشيني وفريق عمل من ضمنه بول وولفويتز ـ نائب وزير الدفاع الآن ـ أن يضعوا الخطوط والأهداف العامة للاستراتيجية الأمريكية الجديدة. وقد نشرت جريدة **هيرالد تريبيون** بتاريخ ٢٠ أيار/ مايو ١٩٩١ الخطوط العامة العريضة لهذه الاستراتيجية التي ورد فيها **أن أمريكا لن تسمح لأية قوة أخرى في العالم أن تنافسها على أن تكون هي القوة الوحيدة**. لكن بوش الأب لم ينجح في الانتخابات، وبالتالي ذهب تشيني والفريق الذي معه. الآن، قبل أن يُنتخب بوش الابن عام ٢٠٠٠، كانت هذه الاستراتيجية هي المتفق عليها بين بوش الابن وتشيني. وعندما وصلا إلى السلطة، كانت هذه الاستراتيجية ستوضع للتنفيذ سواء حصلت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ أو لم تحدث. والحقيقة أن أحداث أيلول/ سبتمبر ساعدت على إخراج العملية تحت عنوان محاربة الإرهاب، لكن موضوع ١١ أيلول/ سبتمبر لم يكن السبب الرئيسي لهذه الاستراتيجية. ويوم ٢٥ آذار/ مارس في السنة هذه (٢٠٠٢) نشرت تفاصيل كثيرة عن هذه الاستراتيجيات ستوضع في **نيويوركر** تحت عنوان «The Next World Order» لنيكولاس ليمان (Lemann)[٥]. وقبل يومين، نشرت تفاصيل هذه الاستراتيجية التي تحدثت عن بعض عناصرها.

نأتي الآن إلى ما يتعلق بالعراق ومن ثم القضية الفلسطينية. العراق يملك ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم؛ وهناك من يعتقد أن الاحتياطي في العراق لا يقل عن احتياطي السعودية إن لم يكن أكثر، وبالتالي فإن موضوع وضع يد أمريكا على نفط العراق قضية تعتبرها أمريكا **أولاً** حيوية وأساسية بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى. **والسبب الثاني** هو فرض تسوية على الشعب الفلسطيني بشروط أمريكية ـ إسرائيلية وحاجتها إلى ضرب العراق الذي يرفضها[٦] ويضع موقف الأنظمة العربية

---

(٥) Nicholas Lemann, «The Next World Order: The Bush Administration May Have a Brand-New Doctrine of Power,» *New Yorker* (1 April 2002).

(٦) انظر على سبيل المثال لا الحصر الوثيقة الأمريكية التي نشرت جريدة **الشرق الأوسط** ترجمة عربية كاملة لها عن المقابلة التي تمت في السفارة العراقية في باريس بين هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة، والدكتور سعدون حمادي وزير خارجية العراق آنذاك، والموقف الذي عبّر عنه الدكتور سعدون حمادي حول موقف العراق من إسرائيل كدولة. انظر: **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤. ويجد القارئ صورة لها في الصفحة ٤٥٦ من هذا الكتاب. أما النص الأجنبي للوثيقة، فيجده في الصفحة ٤٤٧ من هذا الكتاب.

في حرج. والسبب **الثالث** هو أسلحة الدمار الشامل في ما يتعلق باحتمال خطرها على إسرائيل وعلى استراتيجية أمريكا في المنطقة. لقد اختلقوا قصة طرد العراق للمفتشين في العام ١٩٩٨، وهذا غير صحيح. وأنا هنا لا أتحدث دفاعاً عن العراق فحسب، بل لأن الموضوعية والنزاهة تقتضي قول الحقائق كما هي من دون تزوير. في أواخر عام ١٩٩٨، بحِسب الكتاب الذي نشره باتلر(٧) الذي كان آخر رئيس تفتيش، قال إن الولايات المتحدة طلبت منه أن يغادر هو والمفتشون العراق، علماً أن باتلر معيَّن من قبل الأمم المتحدة. وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة بدأ القصف الأمريكي على العراق. العراق لم يطرد المفتشين إذاً. المفتشون هم الذين اختاروا مغادرة العراق. هذا عدا عن أن عدداً كبيراً من المفتشين ـ وبحسب إفادة رولف إيكيوس: رئيس فرق التفتيش سابقاً لجريدة سويدية ولهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) كان يعمل لحساب المخابرات الأمريكية (CIA)، وكان كثيرون منهم يجمعون معلومات عن تحركات الرئيس العراقي وعن اتصالاته.

إذاً ليس العراق من أخرجهم بل هم من خرج بأمرٍ أمريكي، هذا **أولاً**. **ثانياً** بدأ العراق مفاوضات مع الأمين العام، وقدم عدداً من الأسئلة؛ تسعة عشر سؤالاً لتوضح موقف الأمم المتحدة حولها. للأسف الشديد قدمها العراق باللغة العربية ولم يقم بترجمتها إلى الإنكليزية لكي يطلع عليها الأجانب. على سبيل المثال، يتعلق بعض الأسئلة التي أراد العراق إجابة عنها من الأمم المتحدة بما لدى الأمم المتحدة من ضمانات بأن لا يكون في فريق التفتيش الجديد برئاسة هانز بليكس جواسيس كأولئك الذين دُسُّوا في فرق التفتيش السابقة وباعتراف الأمم المتحدة نفسها. كما كان هناك سؤال عن الضمانات التي يمكن أن يحصل عليها العراق بعدم الاعتداء العسكري عليه من طرف أمريكا في حال قبوله عودة المفتشين. كما كانت هناك تساؤلات عن موقف الأمم المتحدة من الخرق الأمريكي ـ البريطاني لميثاقها وللقانون الدولي بفرض مناطق حظر جوي في شمال العراق وجنوبه من دون تخويل أو موافقة من الأمم المتحدة، ومن تصريحات مسؤولي الإدارة الأمريكية بأن هدفها تغيير النظام السياسي في العراق.

هناك مناقشات كثيرة حول موضوع مخالفة أمريكا ميثاق الأمم المتحدة وإثارتها موضوع الدفاع عن النفس في حالة الاعتداء أو التهديد بالاعتداء (خطر وشيك). وقيل بوضوح إن العراق لا يمثل تهديداً أو خطراً مباشراً على الولايات المتحدة، وإنه

---

(٧) Richard Butler, *The Greatest Threat: Iraq, Weapons of Mass Destruction, and the Crisis of Global Security* (New York: Public Affairs, 2000).

لا صلة له بما حصل في أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، ناهيك بأن ميثاق الأمم المتحدة لا يسمح باستعمال القوة إلا بموجب قرار بحسب مقتضيات الفصل السابع، وله شروطه، وهذا ما لا ينطبق على العراق.

إن الإدارة الأمريكية نفسها كانت مضطربة في هذا الموضوع، فقبل ثلاثة أو أربعة أيام قالت كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي إن العراق على علاقة بموضوع الإرهاب مع القاعدة. وفي اليوم نفسه قال كولن باول إن العراق ليست له علاقة بالقاعدة، والهدف هو توجيه ضربة إلى أسلحة الدمار الشامل. أمّا تشيني، فقال كلاماً آخر. قال إن العراق مشترك في عمليات القاعدة. وأخيراً قال سكوكروفت ـ الذي كان مستشار بوش الأب ولا يزال أحد المستشارين السياسيين لبوش الابن ـ إن هذا الكلام غير صحيح ولا توجد لدى أمريكا أدلة، بل على العكس، إن الرئيس العراقي على قائمة الأشخاص الذين تريد القاعدة اغتيالهم. هناك في داخل الإدارة الأمريكية إذاً هذا التناقض في المعلومات. وللأسف الشديد يأخذ الإعلام العربي ما يرسل إليه من الإعلام الأمريكي وغير الأمريكي وينشره كما هو حتى بالعناوين نفسها!

لقد كان الرئيس بوش الابن ينوي مع رامسفيلد والآخرين أن يذهب إلى الحرب على العراق منفرداً، لكن الضغوط الداخلية الأمريكية والضغوط الأوروبية، بما فيها المعارضة البريطانية، كانت تدفع باتجاه عدم تأييده في ضرب العراق إلا إذا كان ذلك من خلال الأمم المتحدة. لهذه الأسباب ذهب إلى الأمم المتحدة يوم ١٢ أيلول/ سبتمبر الحالي (٢٠٠٢)، وطرح عدداً من الطلبات على العراق لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وقسم منها لا علاقة له بالأمم المتحدة. لقد أثار موضوع الديمقراطية في العراق، لكن العراق ليس البلد العربي الوحيد الذي ليس ديمقراطياً. وأمريكا نفسها تعاملت وتعاونت مع العراق وزوّدته بالتقانة فيما سمات هذا النظام لم تتغير اليوم عمّا كانت عليه سابقاً.

يقولون: أسلحة الدمار الشامل. إن بليكس نفسه يقول إنه لا توجد معلومات من المفتشين السابقين عن أن العراق يملك أسلحة دمار شامل، ولكن ليس هناك ما يثبت أن العراق لا يملكها، وبالتالي، فذهاب المفتشين هو لإبداء الرأي في الموضوع.

إن لدى أمريكا أربعة خيارات في العراق، وهي في رأيي تخوض فيها جميعاً في وقت واحد. ثلاثة منها ما بين الآن و٥ تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. **الخيار الأول** هو جمع معلومات استخباراتية عن الأماكن التي يوجد فيها الرئيس العراقي؛ الأماكن التي ينام أو يعمل فيها. وإذا تمكنوا من الحصول على هذه المعلومات سيقومون بهجمة

جوية مكثفة بأسلحة يسمونها «Smart Bombs». **الخيار الثاني** هو اغتيال الرئيس العراقي، و**الخيار الثالث** هو تنظيم انقلاب داخل العراق. وقد أحضر الأمريكيون قوات جوية وقوات مارينز قد يستعملوها لهذا الغرض. والتقدير الأمريكي أن احتمالات نجاح هذا السيناريو لا تتجاوز ١٠ في المئة إلى ٢٠ في المئة، وربما أقل، وهناك مصادر أخرى غير حكومية تعتقد أن نسبة نجاحه ستكون صفراً.

أما **الخيار الرابع** فهو ما بعد ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر (موعد الانتخابات النصفية للكونغرس الأمريكي عام ٢٠٠٢)، وسيأتي في حال فشل الخيارات الثلاثة، وهو الخيار العسكري. وحول هذا الخيار سيناريوهات (مشاهد) مختلفة تبحث فيها هيئة أركان القوات الأمريكية في البنتاغون. ويقال إن النتائج التي توصلت إليها هي أن غزو العراق وتغيير النظام فيه يتطلبان حشد قوى عسكرية ضخمة لا تقل عن ٢٠٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف من القوات البرية[٨]. ولأنها ستكون حرب مدن، في جانب كبير منها، فستكون هناك ضحايا كبيرة بين الجنود الأمريكيين. وإذا كان للعراق أسلحة دمار شامل، فالطريقة المضمونة لاستعمالها هي أن يُغْزَى العراق، لأنه إذا كان الرئيس العراقي يعرف أنهم قادمون كي يقضوا عليه، وكانت لديه أسلحة دمار شامل فإنه سوف يستعملها للدفاع عن نفسه وعن نظامه. وكانت توصيتهم ضد هذا الخيار. وقد ذهب رئيس هيئة الأركان وقائد القوات المركزية إلى الرئيس، وأخبراهُ بالأمر، لكنهما قالا: إذا قرر الرئيس غزو العراق فنحن كعسكر مستعدون لتنفيذ ما يقرره الرئيس. هذا الخيار الأخير يهيئون له، ولكن بعد الانتخابات النصفية في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر. وثمة عوامل عديدة ستحدّد مدى قدرة الأمريكيين على تنفيذ ذلك الخيار، منها النتائج التي ستسفر عنها الانتخابات النصفية في أمريكا، وأوضاع القوات الأمريكية في أفغانستان التي يبدو أنها تزداد سوءاً مع تزايد التفجيرات واغتيال نائب الرئيس . . . الخ. وإلى تلك العوامل يضاف العامل الاقتصادي في الولايات المتحدة.

إن الاقتصاد الأمريكي في حالةٍ سيئة الآن؛ البورصات في انخفاض شديد، وأهمية البورصات بالنسبة إلى الرأي العام الأمريكي تعود إلى أن حوالى ٧٠ في المئة من الشعب الأمريكي لديهم أسهم في البورصة، وهذا جزء من دخلهم. كما أن صناديق التقاعد تستثمر بعض أموالها في الأسهم، وبالتالي كلما انخفضت قيمة أسهمهم، أثر ذلك في تقاعدهم. وأخيراً بالنسبة إلى القاعدة، فهل ستقوم بعمل آخر الآن أم لا؟

---

(٨) انظر: Kenneth M. Pollack, «Next Stop Baghdad?,» *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002), p. 43.

نحن لا نتمنى ذلك، لأن كل النكبات في العالم بتنا ندفع ثمنها. نحن دفعنا من خلال احتلال فلسطين ثمن اضطهاد ألمانيا لليهود، فضاعت فلسطين، أو على الأقل حتى الآن. والقاعدة اليوم سهّلت عملية إخراج هذه الاستراتيجية الأمريكية، فما هي مصلحتنا في عمليات أخرى قد تدفع بجنون الإدارة الأمريكية الحالية إلى نهاياته؟!

ثم ماذا سيحصل للانتفاضة؟ في البداية حاول مستشارون لبوش أن يقنعوه بأنه لا يمكن مهاجمة العراق قبل حل القضية الفلسطينية، ولذلك في البداية نشطوا في هذا الاتجاه. لكن رأي الصقور سرعان ما انتصر. ورأيهم أن الشارع العربي لا يُخاف منه. إنه يَهُبُّ ثم يخمد. وليس من الضرورة حل القضية الفلسطينية قبل غزو العراق، بل على العكس، فالقضاء على العراق وعلى النظام الموجود فيه سيساعد على حل القضية الفلسطينية لصالح رؤية أمريكا وإسرائيل، لأن الفلسطينيين سيكونون معزولين، وهذا سيسهّل الحصول على ما تُريده منهم الإدارة الأمريكية. ولذلك جمد موضوع فلسطين، ويقال إن صفقة بين شارون وبوش أُبْرِمَتْ بحيث يساعد شارون بوش في انتخابات ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر مع اللوبي الصهيوني، لأنه عادة ما يصوّت ٨٠ في المئة من اليهود للديمقراطيين، و٢٠ في المئة منهم يصوتون للجمهوريين. ومقابل هذا يطلق بوش يد شارون في فلسطين باسم «مكافحة الإرهاب». ولمعلوماتكم، فأمريكا نفسها لديها جالية كبيرة من إيرلندا، وفي شمال إيرلندا كانت هناك عمليات تفجير تُوقِعُ الضحايا بين المدنيين يقوم بها من تسميهم بريطانيا **بالإرهابيين** وتسميهم الولايات المتحدة **بالمقاتلين من أجل الحرية**. وكانت تجمع لهم تبرعات لمساعدتهم وتمويلهم، ولم تعتبر أمريكا ذلك مساعدة إرهاب. وهناك أمثلة أخرى.

أما بالنسبة إلى احتمالات الحرب، ففي حدود معلوماتي أن العراق مستعد للحرب حتى لو وقعت غداً، لكن لا يُتوقع أن يستطيع العراق أن يهزم أمريكا بعظمتها وكل التقانة التي لديها، لكنه سيقاوم بقدر ما يستطيع. وهو اتخذ لذلك إجراءات مستفيداً من تجربة حرب ١٩٩١. وعملية دخول المفتشين إلى العراق مجدَّداً ساعدت في أخذ الوهج من خطاب بوش الابن في الأمم المتحدة، وستعطي العراق فرصة زمنية جديدة، لكنها لن تمنع بالضرورة الغزو الأمريكي لأنه ـ كما قلت في البداية ـ هو جزء من مخططات وُضِعَت سلفاً. وفي الوقت نفسه لا يوجد مبرر لمجلس الأمن لاتخاذ قرار بضرب العراق بعد أن قبل الأخير عودة المفتشين إلى أراضيه.

أما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، فأعتقد الآن أنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع العراق. أولاً إذا تصاعدت الانتفاضة ستضعف إمكانية شن أمريكا حرباً على العراق. وإذا سيطرت أمريكا ـ لا سمح الله ـ عليه، فالقضية الفلسطينية للأسف ستتعرض

للتصفية بشكل أو بآخر. ويمكن حتى مشروع شارون الخاص بالترانسفير أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ. المخطط الأمريكي كما ذكرت لا يتعلق فقط بالعراق، فبعد العراق هناك قائمة أهداف أخرى: إيران مستهدفة بضرب كل المنشآت الصناعية التي تدّعي أمريكا أنها تقوم بصنع أسلحة الدمار الشامل، وسوريا ولبنان ستُقدَم لهما مطالب محددة إما أن ينفّذاها وإما أن يُهَاجَما.

أمّا السعودية، ولا أعلم تفاصيل الصفقة التي تمت بين بندر وبوش أخيراً، ولكني أتحدث بحسب ما هو موجود من معلومات، وسيعاد ترتيب البيت السعودي. ولذلك أيضاً علاقة بنفط العراق، إذ إن إعادة ترتيب البيت السعودي قد تقتضي توقف نفط السعودية لفترة، وبالتالي سيكون على نفط العراق أن يعوّض النقص الناتج من ذلك التوقف.

وهكذا، فبعد أن تنتهي ترتيباتهم في منطقة «الشرق الأوسط»، فإنهم سيتوجهون إلى باكستان والهند والصين في آخر المطاف، وبالتالي تكون استراتيجيتهم قد تحققت.

على أن هذه الاستراتيجية ليست قدراً، فهم جرَّبوها مع كوبا كاسترو منذ أربعين عاماً من دون فائدة. ولدينا في الدراسات المستقبلية أن المستقبل عبارة عن خيارات مختلفة وليس قدراً. وكل خيار من الخيارات له متطلباته وله ثمن معين، والخيار الذي نختاره يعتمد على مدى رغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن.

بقي أن نتساءل عن الموقف العربي وإمكانياته؟ للأسف الشديد بدا لأول وهلة بعد اجتماع القمة، وبعد اجتماع وزراء الخارجية العرب، أن العرب اتفقوا على اعتبار أي اعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء على الكل، ورفضوا التهديد الأمريكي بغزو العراق. لكن بعد خطاب بوش في مجلس الأمن كشف قسم من الأنظمة العربية عن أوراقه الحقيقية، وأكّد ما قاله ديك تشيني من أن الحكام العرب يقولون له شيئاً ويصرحون لشعوبهم وللعالم بشيء آخر! هكذا تَسَرَّع بعض الحكومات العربية في كشف الأوراق للأسف الشديد، فقال إنه سيؤيد عملية عسكرية ضد العراق إذا أجازها مجلس الأمن! حتى الأردن، وعلى رغم المعاملة السيئة للغاية التي عومل بها أخيراً من بوش، يذهب في هذا الاتجاه! وهناك معلومات عن القواعد الأردنية التي وضعت للاستخدام ضد العراق. ولديَّ النص الذي قال فيه الملك عبد الله الثاني إن العراق يتحمل مسؤولية ما سيحدُث له إذا لم يطبق قرارات الأمم المتحدة.

ماذا نستطيع أن نفعل؟ أنا أعتقد أن هناك حاجة إلى تحريك الشارع العربي على أوسع نطاق للضغط على الأنظمة. إن هناك اتفاقيةً للدفاع العربي المشترك صدرت

عام ١٩٥٠[٩]. وأكاد أجزم أن معظم ـ حتى لا أقول كل ـ الحكام العرب لا يعرفون عنها شيئاً ولم يقرأوها. الاتفاقية هذه تنص على ضرورة ردّ العدوان على أي بلد عربي بوصفه عدواناً على الدول العربية كافة. وقد وقّعت عليها الدول العربية كافة. وعليه، فالمطلوب من الشارع العربي أن يضغط على الأنظمة لتفعيل هذه الاتفاقية. وفي أضعف الأحوال لمنع الأنظمة العربية من تقديم الدعم أو التسهيلات أو القواعد الموجودة فيها للعدوان.

والمطلوب من العراق أيضاً أن يهتم بالوضع الداخلي، فلا بد من أن يشعر العراقيون أنهم في مقاومتهم للأمريكيين إذا غزوا بلادهم، يدافعون عن وطن وليس عن حزب أو شخص، فعندما دخل الغزاة النازيون إلى الأراضي السوفياتية وحاصروا مدينة ستالينغراد، لم يقل ستالين للسوفيات دافعوا عن الحزب الشيوعي السوفياتي، بل دافعوا عن وطنكم. ومن هذا المنطلق، فالقيادة العراقية بحاجة لِتُطَمْئِنَ الشعب العراقي على مستقبله الديمقراطي. يجب أن تكون هناك حرية وتعددية سياسية وصحافة حرة حتى يشعر كل عراقي أن لديه شيئاً يدافع عنه، وأن لديه أملاً في المستقبل.

العراق بحاجة إلى أن يرتب علاقاته العربية بشكل أفضل. ومصر بحاجة إلى تفعيل دورها. للأسف الشديد فالقيادة المصرية، تحت ضغوط أمريكية أو هي متصورة أنها تحت الضغوط الأمريكية، شبه مشلولة، والدور الذي كانت تؤديه حتى الآن هو أقرب إلى دور تسويق السياسة الأمريكية في المنطقة وليس العكس. ولا نستطيع أن نغيّر القيادة أو ننتظر تغيير القيادة في مصر. يقول الرئيس مبارك إن قيمة المساعدات الأمريكية الفعلية لا تزيد على ٥٠٠ مليون دولار. إنها ملياران، لكن أكثرها يذهب إلى الخبراء والقروض . . . إلخ. فإذا أمكن لجهة عربية أو أكثر أن توفّرَ لمصر بشكل مضمون وغير خاضع للابتزاز هذه المساعدة يمكن أن تُحرِّك مصر وتفعّل دورها. وأنا أعتقد أنه أخذاً بنظر الاعتبار الضغوط على الدول النفطية، فإن العراق ـ في رأيي ـ هو الوحيد الذي يمكن أن يوفر هذا البديل. وكان للعراق في أواخر عام ١٩٩١ اقتراح قيام اتحاد فدرالي بين العراق وسوريا والأردن وفلسطين، ويكون مفتوحاً لانضمام مصر وغيرها في ما بعد، على أن يخصّص العراق عائد مليون برميل يومياً، أي حوالى ستة أو سبعة مليارات دولار لمصر وسوريا والأردن وفلسطين، وقد وافق عليه الرئيس صدام، غير

---

(٩) انظر: «معاهدة للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية وملحقها العسكري،» في: جامعة الدولة العربية، **مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع الهيئات الدولية** (القاهرة: الجامعة، ١٩٧٨)، ص ٣٠ ـ ٤٥.

أن الرئيس حافظ الأسد رحمه الله لم يستجب للاقتراح الذي نقلتُه إليه.

يبقى موضوع الكويت. الكويت لديها قضية تسميها الأسرى، والعراق يسميهم المفقودين. يقولون إن لدى العراق ٦٠٠ شخص، يجب عليه أن يكشف عن مصيرهم. والعراق يتساءل ما الذي يُفيده إبقاء هذا العدد من الأشخاص، وهو أعاد آلافاً منهم وقسم منهم ضباط كبار؛ وَهو الذي وافق على تخطيط الحدود بينه وبين الكويت. ولأول مرة في تاريخ مجلس الأمن تحدد الحدود بين دولتين، على الرغم مما لحق حقوقَه في الخليج من إجحافٍ بسبب ذلك. وهناك لجنة من الأمم المتحدة ومجلس الأمن ممثل فيها، إلى جانب العراق السعودية والكويت، وفيها عضو أمريكي وآخر بريطاني وعضو فرنسي على ما أظن. ويعتقد العراق أنه ما دام هناك عضوان أمريكي وبريطاني، فلن يَسْمَحَا بحلّ المشكلة، وسيضعان عقبات. فلندع الكويت تختار أية لجنة ثانية عربية دولية محايدة. الكويت تقول إنها لا تريد أن تخرج عن قرار مجلس الأمن في اتجاه لجنة أخرى لا تستند إلى قرار مجلس الأمن. أنا أعتقد أنه على العراق أن يحاول أن يقدم أية معلومات ممكنة عن هؤلاء الأشخاص. هو يدّعي أنه ليست لديه أية معلومات، ولكن يمكنه إعلان أسمائهم ومن لديه معلومات عنهم يُمنَح مكافأة مثلاً. ومن الإنصاف أن نسجل للعراق استعدادَهُ لاستقبال الصليب الأحمر، ومنظمة العفو الدولية، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان للنظر في هذه المسألة التي أعتقد أن قسماً من الكويتيين له مشاعر حقيقية تجاهَها لا ينبغي أن تغطيه محاولة قسم آخر منهم استغلالها لمجرَّد إدامة الحصار على العراق.

أعتقد أن هناك حاجة إلى تحريك الشارع العربي. وثمة أشياء يمكن أن نقوم بها: المقاطعة، ودعم الانتفاضة، والضغط على الحكومات. إن هذا الموقف المخزي للحكومات الذي ظهر في الأيام الأخيرة لا يمكن السكوت عليه، ويجب على كل واحد أن يقوم بدور في هذا الموضوع. ثم يجب أن نهتم بالغرب، وبالرأي العام الغربي. إن هذا يحتاج منّا إلى لغة مختلفة. ويجب أن نوقف هذا الوهم من أن هناك إعلاماً داخلياً وآخر خارجياً، فالإعلام واحد، وكل ما يقال في الداخل يُذَاع في الخارج. على سبيل المثال، قال طه ياسين رمضان عن هانز بليكس (رئيس هيئة المفتشين على أسلحة الدمار الشامل في العراق المقترح) إنه جاسوس. يا أستاذ يا كريم، أنت بعد شهر قد تستقبله في بغداد، فكيف ستتعامل معه بعد ذلك؟ إن مثل هذا الكلام لم يعد جائزاً، ولا أحد يمكن أن يفهمه في العالم الخارجي!

بالنسبة إلينا، هناك اتجاه إلى عقد مؤتمر قومي عربي استثنائي في بيروت يومَيْ ١٠ ـ ١١ تشرين الأول/ أكتوبر القادم (٢٠٠٢) وستُعرض عليه قضية الانتفاضة الفلسطينية والقضية الفلسطينية وقضية العراق وقضية القرار الخاص بسوريا (قانون

محاسبة سوريا) الذي بدأ الكونغرس يناقشه، وموضوع لبنان والمياه والمقاومة، والقضية السودانية.

وهنالك محاولة جادة يوم ٢٨ من الشهر الحالي بمناسبة ذكرى الانتفاضة ولدعم العراق، أن تكون هناك تظاهرات شعبية سلمية في معظم العواصم العربية وفي بريطانيا وهولندا وواشنطن. وهناك محاولة أخرى للتنسيق بين موضوع الانتفاضة والقضايا العربية الأخرى، وستجتمع لجنة تحضيرية على هامش المؤتمر القومي العربي الاستثنائي للتنسيق بين فلسطينيي ١٩٦٧ وفلسطينيي ١٩٤٨ وفلسطينيي الشتات والمؤتمر القومي العربي في ما يتعلق بالساحات العربية المختلفة، وأن يعقد مؤتمر كبير بعدها يضم حوالى ١٠٠ شخص، وتشكل لجنة أو هيئة تنسيقية لكي تكون حركة الشارع العربي حركة منسجمة وفي وقت واحد. والآن نحن بصدد إعداد أوراق عمل واقتراحات في ما يجب أو يمكن عمله. أنا أعتقد أن هناك أولوية لمنع غزو أمريكا للعراق ودعم الانتفاضة. إن القضية لا تخص العراق ـ أؤكد مرة أخرى ـ بل تخص كل العرب، وتخص غير العرب مثل إيران وتركيا. وبالنسبة إلى العرب، لا تخص العراق فحسب، بل تخص سوريا ولبنان والسعودية ومصر، وكل هذه الأقطار مهددة، وسيعاد ترتيب شؤونها إذا احتُلَّ العراق. وقد نعود إلى مرحلة نهاية الحرب العالمية الأولى والاستعمار المباشر، ونعود إلى الصفر في قضية التخلص من الاستعمار لا سمح الله، أو إلى المرحلة التي قبلها، وهي المرحلة العثمانية عندما كان السلطان يعيِّن والياً هنا أو هناك. وقد يمتد العقاب فيشمل جميع المؤسسات الوطنية والقومية المناهضة للسياسة الأمريكية بما فيها المؤسسات العلمية العربية.

شكراً سيدي الرئيس.

المناقشات

نهى الحسن

في الحقيقة نحن عاجزون عن الشكر لهذه المعلومات الغنية والمهمة التي أدلى بها الدكتور خير الدين حسيب، ونشكره ونقدر له كل التقدير ما أدلى به من رؤية للهجمة الأمريكية على المنطقة وواقع الوطن العربي. والآن نفتح باب النقاش.

سليم الحص

شكراً د. حسيب على هذه المحاضرة القيمة، لقد أغنانا بمعلوماتها الموضوعية بالفعل. وقد سلط الأضواء على كثير من التفاصيل التي تغني الموضوع، فشكراً لك يا

د. خير الدين حسيب. فقط أريد أن أبدي ملاحظة صغيرة. من سياق ما قاله د. خير الدين حسيب نفهم أن الحملة الأمريكية ذات أهداف إسرائيلية أو صهيونية. وهذا يعني أن إسرائيل وأمريكا متوافقتان على السياسة ذاتها. يبدو وكأنه ليس لأمريكا استراتيجية خاصة بها في «الشرق الأوسط»، بل هناك استراتيجية إسرائيلية تتبناها أمريكا في سياستها الخارجية. وهو ما يعني أن الحملة إسرائيلية وليست أمريكية.

خير الدين حسيب

الأخ الرئيس، أنا لا أميل إلى هذا. أنا أعتقد أن هناك لقاء مصالح ما بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وفي داخل الولايات المتحدة هناك لوبي كبير من اليهود الصهاينة متغلغل في المراكز المختلفة ويشارك في صنع القرار. وليس من شك في أن إسرائيل ستكون إحدى الأدوات الرئيسية للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، سواء في العراق أو في فلسطين. وأخشى ما أخشاه أن تدفع القضية الفلسطينية ثمن هذا الحلف الأمريكي ـ الإسرائيلي، وبخاصة في هذه المرحلة التي يشكل فيها ضرب العراق أفضل فرصة لتحقيق المشروع الصهيوني ما لم يستطع استكمال تحقيقه.

عصام نعمان

هناك أخطار كما قرأنا في صحيفة **الحياة** وفي صحيفة إسرائيلية هي **يديعوت أحرونوت**. في صحيفة **الحياة**، كتب مراسلها في عمان سلامة نعمات مقالة ضمنها معلومات خطيرة من قبيل أن الطائرات الأمريكية الحربية ضربت في الآونة الأخيرة ليس فقط الدفاعات الجوية العراقية، ولكن قواعد الاتصالات والسيطرة والتحكم التي تمد الدفاعات الجوية بالمعلومات والتعليمات، وأن من شأن ذلك إزالة كل الدفاعات الجوية العراقية على حدود العراق الغربية والجنوبية والشمالية، وهذا يعتبر بمثابة بدء للحرب. أكثر من ذلك قال إن قوات أمريكية برية أو مظليين هبطوا في المواقع التي جرى تدميرها للدفاعات الجوية العراقية. هذا ما قالته جريدة **الحياة** بلسان مراسلها في عمان. أما جريدة **يديعوت أحرونوت**، فقالت منذ أيام إن ضربة العراق ضربة تكتيكية، وإن الضربة الاستراتيجية ستكون للسعودية. أما في النهاية، فإن المكافأة أو الجائزة الكبيرة هي مصر. أود منك أخي د. خيري أن تعلق، هل تعتبر ما قالته الصحيفتان من قبيل التضليل الذي أشرت إليه من أن أمريكا تعتمد في هذه الآونة تضليل العرب ببعض المعلومات والأخبار، أم هو حقيقة؟ وما تعليقك في هذا المجال، وشكراً.

خير الدين حسيب

دكتور عصام، لو كنتُ في الإدارة الأمريكية لأمكنني أن أجيبك. لكن في حدود المعلومات المتاحة: أولاً في ما يتعلق بضرب مراكز الدفاع الجوي العراقي، هذا حصل، وأمريكا وبريطانيا زادتا الطلعات في مناطق الحظر الجوي، والغرض الأساسي هو امتحان إمكانيات الدفاع الجوي، لأن العراق لأكثر من مرة نجح بأن يحسّن دفاعاته الجوية. إنهم يريدون أن يعرفوا مقدار ما حصل من تقدم في الدفاعات الجوية بالمقارنة مع عام ١٩٩١. والعراق شعر بهذا، وهو في حدود معلوماتي لا يستعمل الأجهزة المحسنة التي حصل عليها، لكي لا يدع المجال للأمريكيين ليعرفوا مسبقاً مدى قدرته الدفاعية. أما في ما يتعلق بالمطار الذي قُصف في الموصل، وبخاصة القاعدة الجوية «H3»، فقد قُصف الرادار فقط، والمطار نفسه لم يقصف.

وفي ما يتعلق بموضوع مصر، فهي واردة في المخطط. إن مصر هي مركز ثقل عربي أساسي، وتمثل حوالى ٢٨ في المئة إلى ٣٠ في المئة من سكان الوطن العربي، ناهيك بالإمكانيات الثقافية والعسكرية وغيرها، فالجائزة أفهمها أنا بهذا المعنى، الجائزة هي مصر. ما يحدث في مصر خيراً أو شراً يتأثر به كل الوطن العربي.

موضوع السعودية مطروح، وهناك مقالة في مجلة **فورين أفيرز** *(Foreign Affairs)* حول النفط السعودي[١٠]. وليس النفط السعودي وحده ما يستهدفونه. هناك سعي أمريكي إلى السيطرة على النفط في آسيا الوسطى والقوقاز. وهناك معلومات من مصادر أمريكية عن مشروع مدّ خط أنبوب من آسيا الوسطى إلى أفغانستان ثم باكستان. . . وفي أفريقيا سيطروا على البلدان التي يوجد فيها نفط، وآخرها السودان الذي يريدون السيطرة عليه، وتركوا البلدان الفقيرة التي لا يوجد فيها نفط، وفيها الإيدز والفقر وغيرهما، تركوها لأخينا معمّر القذافي ليعطيها المال.

نهى الحسن

لذي ثلاثة أسئلة[١١] موجهة إليك د. حسيب.

السؤال الأول: ما رأيك في اقتراح الرئيس مبارك على الرئيس صدام حسين أن يتخلى عن الحكم وأن يلجأ مع عائلته وأعوانه إلى مصر وضمان سلامته كما حصل لشاه إيران، أليس في ذلك حل لتجنب ضرب العراق؟

---

(١٠) انظر: Edward L. Morse and James Richard, «The Battle for Energy Dominance,» *Foreign Affairs*, vol. 81, no. 2 (March-April 2002).

(١١) تولت د. نهى الحسن تلاوة أسئلة الحضور الموجهة إلى د. خير الدين حسيب.

خير الدين حسيب

هذا ينطبق على كل الحكام العرب، وهو مبدأ خطير إذا سُمح بتطبيقه على العراق، فيمكن أن تطبقه الولايات المتحدة على أي حاكم عربي آخر لا يعجبها!

نهى الحسن

السؤال الثاني من أ. مروان: ذكرت أكثر من مرة أن العراق عقبة أمام التسوية، فلتوضح ذلك. في رأيك، هل هناك إعادة تقسيم للمنطقة العربية؟

خير الدين حسيب

في حدود معلوماتي، وقد أكون مخطئاً، لا يوجد مشروع لتقسيم العراق، بل المشروع هو السيطرة على العراق. إسرائيل تريد التقسيم، لكن أمريكا ليست في هذا الوارد. ومن التجربة التاريخية، إن السيطرة على بلد موحد نفطياً أفضل من أن يكون مقسماً، لأن التعامل في الحالة الأخيرة يكون مع أكثر من حكومة أو دولة فيه.

نهى الحسن

هل هناك أطماع تركية؟

خير الدين حسيب

في السياسة الخارجية والدولية لم تعد هناك مبادئ ولا أخلاق، بل هناك مصالح. قبل حرب الخليج الثانية، كانت نصف صادرات تركيا تذهب إلى ثلاثة بلدان عربية، وبالذات: العراق وليبيا والسعودية. هذا فضلاً عن النفط والأيدي العاملة. وهذا يعني أن مصالح تركيا الاقتصادية هي مع المنطقة العربية.

نهى الحسن

السؤال الثالث: إذا كان العامل الاقتصادي يحمل الإدارة الأمريكية الحالية على ضرب العراق لاحتلال منابع النفط، وبالتالي للسيطرة الاقتصادية، فلماذا برأيك لا يتصدى الأوروبيون والآسيويون فعلياً لهذا المخطط الذي يدعمونه، فهل أصابهم ما أصاب العرب من عدم إدراكٍ لمصالحهم ومن عجزٍ، كيف لا يدافعون عنها؟

خير الدين حسيب

الدول الأوروبية تحاول، ولكن كما يقول المغاربة: الله غالب. هم يحاولون؛ ولكن مثلما لديهم مصالح مع المنطقة العربية، كذلك لديهم مصالح مع أمريكا.

موقفهم من القضية الفلسطينية أفضل بكثير. مؤخراً المشروع الذي قدمته الدول الأوروبية وتبنته الجهات الأربع: روسيا والاتحاد الأوروبي وأمريكا وممثل الأمم المتحدة، هو في الأساس مشروع أوروبي. لكن الآن جرى إحياؤه ووضعوا له خطة لثلاث سنوات. وأنا أعتقد أنه أحد جوانب الصفقة التي تمت بين بندر بن سلطان وبوش، فحتى تستطيع السعودية أن تشترك مع أمريكا في ضرب العراق يحركون لها القضية الفلسطينية، ويوهمون الفلسطينيين أنهم قدموا لهم شيئاً. هذه المعلومات المتوافرة لدي، وقد أكون على خطإ.

نهى الحسن

سؤال: د. حسيب، نتذكر منذ سبعة أشهر عندما هاجمت أمريكا بعض الشيء السعودية. وكان الإسرائيليون تحدثوا عن أن لهم أصولاً تاريخية في الجزيرة العربية. فهل هناك علاقة لهذا بذاك؟

خير الدين حسيب

لا يهتم الأمريكيون بالتاريخ كثيراً لأنه لا تاريخ لهم. هناك مصالح. واعتقادي أنه حتى لو أبرم بندر صفقة معهم فعلاً، وحتى لو طَمْأَنَ ذلك السعوديين فسيأتون إليهم. الشريف حسين رحمه الله وعده الإنكليز بوحدة عربية ودولة عربية. فماذا حدث من هذا؟

نهى الحسن

سؤال: أشكر د. حسيب على ما قاله. أحب أن أقول إن أكثر الناس التي تتضرر مصالحُها هي من العرب. والعرب نوعان: شحاذون أو أصحاب أموال، وهؤلاء الأخيرون أموالهم موجودة في أمريكا وأوروبا وغيرها، فما مصلحتهم في معاداة أمريكا وأوروبا التي قد تستولي على أموالهم؟ نحن بدل أن نحرك الشارع العربي، بدل أن تكون لدينا الجرأة كي نقول إن الحاكم الفلاني جاسوس والفلاني خائن، لماذا نتلطى دائماً ببعض الأشياء التي نبررها بأن مصالحنا تقتضي ذلك؟ نحن قبل أن نطلب من الآخرين أن يساعدونا، فلنساعد أنفسنا، ونحن قادرون على حماية أنفسنا.

خير الدين حسيب

كل واحد عليه مسؤولية أن يقوم بواجبه. في ما يتعلق بطريقة التعبير أنا أميل إلى استعمال لغة حضارية حتى في نقد الأمور. أنت تستطيعين أن تعبّري بالخطاب نفسه أو بلغة أو بجملة حضارية، فأنا معك. لكن في الظروف الحالية ما هو المتاح أمامنا

غير توعية الناس حتى تستطيع أن تدافع عن مصالحها؟

نهى الحسن

سؤال: قلت إن مصالح تركيا هي أكثر من ٥٠ في المئة منها مع الدول العربية.

خير الدين حسيب

كان ذلك قبل حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١.

نهى الحسن

سؤال: أليست العلاقات التركية ـ الإسرائيلية مصمَّمَة لضرب العراق ولضرب الأسلحة النووية في إيران ولضرب الأسلحة في سوريا، ما رأيك؟

خير الدين حسيب

أعتقد أن سوريا قامت بدور كبير في تفادي ضربة من تركيا، وتعمل بشكل عقلاني ومدروس لتحسين العلاقات السورية ـ التركية. أنا بالمنطق نفسه أفكر في العلاقة بتركيا. تركيا بلد مسلم وصديق، أو بالأحرى نحتاج إلى أن يكون صديقاً، أما إسرائيل فعَدُوّ. ثم لا ينبغي لك أن تنسي أن تركيا عضو في حلف الأطلسي، وهناك قواعد أمريكية في تركيا، وهي تتلقى مساعدات من أمريكا، فضلاً عن أن ديمقراطيتها لم تمنع المؤسسة العسكرية من أن تتدخل بقوة في الحياة السياسية التركية لتحقيق ما يسمى الحفاظ على مبادئ الجمهورية التركية.

نهى الحسن

نقدّر مرة أخرى مساهمتك معنا في هذا اللقاء، ونشكرك د. خير الدين حسيب على تلبية الدعوة.

(٥)

الحرب الأمريكية على العراق... إلى أين؟(*)
(نيسان/أبريل ٢٠٠٣)

نكتب هذه السطور ونحن في اليوم الثاني عشر من هذه الحرب التي تشنّها الولايات المتحدة وبريطانيا (مع مساهمة رمزية من أستراليا) على العراق؛ فهل هي فعلاً حرب ظالمة ولأهداف تتجاوز العراق؟ وما هو موقف العرب منها؟ وما هي نتائجها الأولية حتى الآن؟ وما هي احتمالات المستقبل؟

أولاً: قانونية الحرب وأهدافها

١ ـ تشنّ هذه الحرب على العراق خلافاً لميثاق الأمم المتحدة، الذي أعطى للدول **حق الدفاع عن النفس** إذا ما تعرضت إلى **اعتداء مسلح** عليها أو تعرضت إلى **تهديد وشيك** (Immediate Threat)، وهي شروط لا تتوفر في حالة العراق، حيث لم يقم باعتداء مسلح على الولايات المتحدة و/أو بريطانيا، كما إنه لا يمثل تهديداً وشيكاً لهما. كما تشن الولايات المتحدة وحليفتها هذه الحرب على العراق من دون موافقة من مجلس الأمن وبعد أن فشلت في الحصول على تخويل منه لمثل هذه الحرب.

٢ ـ تتجاوز هذه الحرب العدوانية على العراق أهدافها المعلنة وغير المعلنة العراق فحسب، وتتجاوز تدمير القوة العسكرية للعراق، إلى الحفاظ على أمن اسرائيل وعدم

(*) نشرت هذه الدراسة للدكتور خير الدين حسيب في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٥، العدد ٢٩٠ (نيسان/أبريل ٢٠٠٣)، ص ٦ ـ ٢٣.

تهديد استراتيجية امريكا وأهدافها في المنطقة، والسيطرة على نفط العراق ضمن استراتيجية أوسع للسيطرة على نفط العالم بشكل أو بآخر، لاستعماله كورقة اقتصادية ـ سياسية تتحكم من خلال تحديد تدفقاته وأسعاره في فرض استراتيجيتها العالمية وسياساتها، كقوة كبرى وحيدة في العالم، على أوروبا واليابان والصين وغيرها المستوردة للنفط والمعتمدة اقتصادياً عليه؛ «وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بما يضمن ويحافظ على المصالح الأمريكية» وهو ما صرح به وزير خارجيتها أمام الكونغرس الأمريكي قبل فترة قصيرة من بدء هذه الحرب.

ونخرج من هذا كله إلى أن أهداف هذه الحرب تتعدى العراق، وهي بداية لتغيير النظام الدولي وتحكّم الولايات المتحدة به، وأن هذا التغيير لن يقف عند حدود العراق، بل من المتوقع أن يتجاوزه إلى سوريا ولبنان ودول عربية أخرى ومن ضمنها السعودية ومصر، ثم إيران، ومن بعدها إلى كوريا الشمالية وباكستان والهند، وآخرها الصين على المدى الأبعد. وفي هذا الإطار الأوسع، يجب فهم هذه الحرب العدوانية على العراق، وموقف الأطراف العربية والإقليمية منها، ثم موقف دول العالم الأخرى المستهدفة جميعاً منها بدرجات وتوقيتات مختلفة.

ثانياً: الموقف العربي بين الواجب والواقع

وإذا كانت هذه هي الأهداف من هذه الحرب التي بدأت بالعراق لتتجاوزه إلى أقطار عربية أخرى بأشكال مختلفة، فما هو الموقف العربي منها؟ وما الذي يحدد واجبات العرب جميعاً في مثل هذه الحالة؟

١ ـ الواجب العربي في الحرب على العراق

أ ـ من **ناحية الالتزامات القانونية العربية البحتة في مثل هذه الحالة**، فقد حددت معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية[(١)]، والتي انضمت اليها وصادقت عليها جميع الدول العربية الحالية، تلك الالتزامات في ثلاث مواد رئيسية:

لقد نصت **المادة الثانية** من المعاهدة، في حالة تعرّض أي من الدول العربية إلى اعتداء مسلح عليها، على ما يلي:

«تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلّح يقع على أية دولة أو أكثر منها، أو على

(١) انظر: «معاهدة للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية وملحقها العسكري،» في: جامعة الدول العربية، **مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع الهيئات الدولية** (القاهرة: الجامعة، ١٩٧٨)، ص ٣٠ ـ ٤٥.

قواتها، اعتداء عليها جميعاً. ولذلك فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعي ـ الفردي والجماعي ـ عن كيانها، تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها، وبأن تتخذ على الفور، منفردة ومجتمعة، جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما».

كما نصت **المادة الثالثة** من المعاهدة، في حالة تعرّض أي من الدول العربية إلى تهديد بالاعتداء عليها على ما يلي:

«تتشاور الدول المتعاهدة في ما بينها، بناء على طلب إحداها كلما هددت سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها أو أمنها. وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها في اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف».

كما منعت المادة الثالثة من المعاهدة أياً من الدول العربية الدخول في اتفاقات مع دول أخرى غير عربية تتناقض مع التزاماتها في هذه المعاهدة، حيث نصت على ما يلي:

«تتعهد كل من الدول المتعاقدة بألا تعقد أي اتفاق دولي يناقض هذه المعاهدة، وبألا تسلك في علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكاً يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة».

إن القانون الدولي يفرض **أولوية الاتفاقات الإقليمية** (وبينها ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك في إطارها) على الاتفاقات الثنائية بين أي دولتين. ومن المؤكد أنه في حالة إرغام أي من الدول الداخلة في اتفاقات ثنائية تتعلق بالقواعد أو التسهيلات أو ما شابهها من جانب الطرف الآخر فيها (الولايات المتحدة) **على استخدامها ضد إرادتها**، يكون من واجبها أن تعلن عن ذلك **وتعرض الأمر في شكوى مباشرة إلى مجلس الأمن.**

يتضح من كل ما سبق، **أن على الدول العربية جميعاً أن تشارك في الدفاع عن العراق، بما في ذلك المشاركة العسكرية، وأن الحرب الأمريكية على العراق تعتبر حرباً عليها جميعاً، وأنه ليس من حقها عقد اتفاقات ثنائية مع دول غير عربية تهدّد الأمن القومي العربي، ناهيك بتحريم استعمال أية تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة تتضمنها تلك الاتفاقات في الاعتداء على العراق.**

ب ـ **أما الواجب العربي من حيث القرارات العربية على المستويات المختلفة** التي

اتخذتها جامعة الدول العربية ومؤتمرات القمة واجتماعاتها على مستوى وزراء الخارجية حول الموضوع، فيمكن تلخيصه بما يلي:

(١) قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بيروت (إعلان بيروت)، ولا سيما القرار رقم ٢٢٧ تاريخ ٢٨ آذار/ مارس ٢٠٠٢، في ما يتعلق **بالتهديدات الأمريكية للعراق** والتي نصت على ما يلي:

ـ «يطالب القادة باحترام استقلال وسيادة العراق وأمنه ووحدة أراضيه وسلامته الإقليمية».

ـ «يرحب القادة باستئناف الحوار بين العراق والأمم المتحدة الذي بدأ في جو ايجابي وبنّاء استكمالاً لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة».

ـ «ويطالبون برفع العقوبات عن العراق وإنهاء معاناة شعبه الشقيق بما يؤمّن الاستقرار والأمن في المنطقة».

ـ «تدارس القادة **التهديد بالعدوان** على بعض الدول العربية **وبصورة خاصة العراق وأكدوا رفضهم المطلق ضرب العراق** أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية».

(٢) قرارات اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في الدورة غير العادية بشأن النظر في التطورات والاحتمالات الخطيرة التي تواجه المنطقة العربية رقم ٦٢٥٧ بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢، في ما يخص العراق:

ـ «إن مجلس الدول العربية على المستوى الوزاري المنعقد في مقر الأمانة العامة بدورته غير العادية بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢ بعد أن تدارس تطورات المسألة العراقية في ضوء القرار رقم ١٤٤١ عن مجلس الأمن بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٠٢،

ـ وانطلاقاً من التزامه بمبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة وأحكام القانون الدولي، وتأسيساً على التزام الدول العربية بميثاق جامعة الدول العربية كافة معاهداتها،

يقرر:

١ ـ التأكيد على قرارات مجلس الجامعة وعلى رأسها القرار رقم ٢٢٧ الصادر عن قمة بيروت بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٢ وكذلك قرار مجلس الجامعة الوزاري رقم ٦٢١٦ بتاريخ ٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

٢ ـ بعد أن اطلع المجلس على قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢) يرحب

بما ورد فيه من أن مجلس الأمن هو المرجعية المنوط بها تقييم تقارير المفتشين ويأخذ بعين الاعتبار ما صدر من بيانات أمام مجلس الأمن من أن هذا القرار لا يشكل أساساً للجوء إلى استخدام القوة العسكرية ضد العراق، ويطالب الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي قدمت تطمينات للجمهورية العربية السورية، العضو العربي في مجلس الأمن، بالالتزام بما تقدمت به من أن القرار لا يشكل ذريعة لشنّ الحرب على العراق ولا يتضمن التلقائية للجوء إلى العمل العسكري.

٣ ـ الترحيب بقبول العراق عودة المفتشين الدوليين من دون شروط والمطالبة بمواصلة التعاون بين الأمم المتحدة والعراق لحل جميع المشاكل العالقة بصورة سلمية تمهيداً لرفع العقوبات عن العراق وانهاء الحصار المفروض عليه ووضع حد لمعاناة شعبه.

٤ ـ مطالبة فرق المفتشين بممارسة مهامها بمهنية وبكل حياد وموضوعية وعدم الإقدام على أي أعمال استفزازية، وذلك لضمان مصداقية عملها والمطالبة بمشاركة خبراء عرب في فرق المفتشين.

٥ ـ استمرار التزام الدول العربية بالحفاظ على أمن وسلامة العراق وسيادته ووحدة أراضيه بالقدر نفسه من الالتزام بالحفاظ على أمن وسلامة وسيادة الدول العربية كافة، وتأكيد استمرار رفض الدول العربية المطلق ضرب العراق باعتبار ذلك تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية.

٦ ـ دعوة مجلس الأمن امتداداً لما قام به لإزالة أسلحة الدمار الشامل في العراق إلى إلزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية والمطالبة بالإسراع في تنفيذ الفقرة الرابعة عشرة من قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (١٩٩١) الخاصة بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل، وبوجه خاص إزالة أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية لما تشكله من تهديد للأمن القومي العربي وللأمن والسلم الدوليين.

٧ ـ الطلب إلى الأمين العام مواصلة جهوده ومتابعة الاتصالات مع الحكومة العراقية والأمم المتحدة وغيرها من الأطراف المعنية في هذا الشأن».

(٣) قرارات اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري بدورته غير العادية حول العراق، بتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٣:

ـ «التزام الدول العربية **بالحفاظ على أمن وسلامة جمهورية العراق ودولة الكويت، ووحدة أراضيهما، ورفض الدول العربية للعدوان على أي منهما أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية مثلما هو تهديد للسلم والأمن الدوليين.**

- التأكيد على ضرورة **امتناع دولهم عن تقديم أي نوع من المساعدة والتسهيلات لأي عمل عسكري يؤدي إلى تهديد أمن وسلامة العراق ووحدة أراضيه.**

- **الترحيب باستمرار تعاون العراق مع المفتشين** وبناء أرضية من الثقة المتبادلة، تقوم على أساس أن تعاون العراق مع المفتشين بغية إنجاز مهامهم بأسرع وقت ممكن سوف يصبّ في مصلحة جميع الأطراف. وفي المقابل، **فإن مواصلة المفتشين لعملهم بموضوعية ونزاهة** أمر سيشجع على الوصول إلى نتائج مرضية، ويسهل تجاوز العقبات والصعوبات التي يمكن أن تعترض تعاون الجانبين. ويحثون أعضاء مجلس الأمن على **منح المفتشين الوقت الكافي لإنجاز مهامهم التي حددها المجلس** لتنفيذ القرار ١٤٤١.

- يدعو الوزراء مجلس الأمن الدولي إلى **تفعيل قراراته ذات الصلة، وبخاصة الفقرة ٢٢ من القرار ٦٨٧** (١٩٩١) التي تنص على **رفع الحصار المفروض على العراق**، ويؤكدون تضامنهم مع الشعب العراقي الذي عانى الحصار منذ أكثر من عقد من الزمن... كما يدعو مجلس الوزراء إلى **تنفيذ الفقرة ١٤ من القرار المذكور** التي تنص على جعل الشرق الوسط منطقة خالية من **جميع أسلحة الدمار الشامل**، النووية، والجرثومية، والكيميائية، **من دون استثناء أي دولة بما في ذلك إسرائيل** التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل.

- مواصلة العمل مع الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وحركة عدم الانحياز، من أجل **تكثيف الجهود الدولية الرامية إلى تجنيب العراق الحرب، وإلى وقف الحشود والتهديدات العسكرية الموجهة إلى العراق والمنطقة.**

- **تنبيه المجتمع الدولي إلى مخاطر العدوان العسكري المبيّت على العراق وشعبه ووحدة أراضيه**، وكذلك التحذير من **التداعيات الخطيرة للحرب على المنطقة** التي عانت ويلات حروب كثيرة، وما زالت تعاني استمرار سياسة الاحتلال والتدمير الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وضد حقوقه الوطنية المشروعة. ويؤكد الوزراء أن اللجوء إلى خيار الحرب دليل ليس فقط على عجز مجلس الأمن عن أداء مهامه في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، بل هو دليل على فشل النظام الدولي برمته، الذي يجب أن يعتمد على ميثاق الأمم المتحدة كمرجعية لا غنى عنها للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين في العالم.

- **رفض جميع المخططات والسياسات الرامية إلى فرض تغييرات على المنطقة وإلى التدخل في شؤونها** وتجاهل المصالح المشروعة لدول وشعوب المنطقة وقضاياها العادلة».

(٤) قرار مؤتمر القمة العربية رقم ٢٤٣ بتاريخ ١/ ٣/ ٢٠٠٣ في شرم الشيخ حول التهديدات الخطيرة التي يتعرض لها العراق، وما يتهدد الدول العربية من مخاطر، واحتمال تطورات الموقف إلى مواجهة عسكرية وتداعياتها الخطيرة على المنطقة وعلى الأمن القومي العربي:

«إن مجلس الجامعة على مستوى القمة.

١ ـ بعد أن ناقش الوضع الخطير المتعلق بتطورات الأزمة العراقية.

٢ ـ وإذ يؤكد قراره الصادر في قمة بيروت رقم ٢٢٧ الذي أكد الرفض المطلق لضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية.

٣ ـ وإذ يعبّر مجدداً عن ترحيبه بالتأكيدات التي قُدمت للجمهورية العربية السورية، العضو العربي في مجلس الأمن، إزاء القرار ١٤٤١ (٢٠٠٢)، وبأن هذا القرار لا يشكل ذريعة لشن حرب على العراق ولا يتضمن التلقائية للجوء للعمل العسكري، وذلك تعبيراً عن الموقف العربي المؤيد للشرعية الدولية المتمثلة بمجلس الأمن وبمهمة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق.

٤ ـ وإذ يجدّد الترحيب بموافقة حكومة العراق على عودة المفتشين وضمان حرية حركاتهم بالكامل وتمكينهم من أداء مهمتهم المكلفين بها من قبل مجلس الأمن بأقصى درجة من الفعالية والموضوعية.

٥ ـ وإذ يشيد بالمواقف العالمية المعارضة لاستخدام القوة ضد العراق باعتبار أن الحرب ستؤدي بتداعياتها الخطيرة إلى عدم الاستقرار في المنطقة وفي العالم.

٦ ـ وفي ضوء ما تقوم به الدبلوماسية العربية من اتصالات مكثفة مع الدول الأعضاء في مجلس الأمن وعلى الساحة الدولية ومع جمهورية العراق لضمان تجنب اندلاع حرب في المنطقة، وتحقيق أقصى تعاون بالنسبة إلى عملية التفتيش تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢).

٧ ـ وإذ يأخذ علماً بالتقارير التي قدّمها رئيسا فريقي التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق إلى مجلس الأمن، وخصوصاً التقارير المقدمة في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٣ والتي أشارت إلى التقدم الذي تم إحرازه من خلال تعاون العراق مع المفتشين.

٨ ـ وانطلاقاً من مسؤولية مجلس الأمن في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وإيمانه بوجوب اضطلاع المجلس بدوره في معالجة الأزمة العراقية بكل جوانبها، تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة والمحافظة على سيادة العراق واستقلاله ووحدة وسلامة أراضيه ورفع العقوبات عنه.

٩ ـ وفي ضوء المخاطر الجمة والتداعيات السلبية التي تحيط بأي عمل عسكري ضد العراق وشعبه والمحاولات الإسرائيلية لاستغلالها في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى تفريغ الأراضي الفلسطينية المحتلة من سكانها، وإقامة المستوطنات الإسرائيلية فيها، وزيادة معاناة الشعب الفلسطيني.

يقرر:

١ ـ **تأكيد الرفض المطلق لضرب العراق**، أو تهديد أمن وسلامة أي دولة عربية، **باعتباره تهديداً للأمن القومي العربي وضرورة حل الأزمة العراقية بالطرق السلمية في إطار الشرعية الدولية.**

٢ ـ دعوة جميع الدول لمساندة الجهود العربية الهادفة إلى تجنب الحرب، وأن ذلك يتحقق من خلال استكمال تنفيذ العراق لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢).

٣ ـ المطالبة بإعطاء فرق التفتيش المهلة الكافية لإتمام مهمتها في العراق ودعوتها إلى مواصلة توخي الموضوعية في استكمال هذه المهمة.

٤ ـ التأكيد على مسؤولية مجلس الأمن في عدم المساس بالعراق وشعبه، وفي الحفاظ على استقلاله وسلامة ووحدة أراضيه، والتأكيد على ضمان أمن دول الجوار العراقي وسيادتها وسلامة أراضيها.

٥ ـ التأكيد على **امتناع دولهم عن المشاركة في أي عمل عسكري يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضي العراق وأي دولة عربية.**

٦ ـ الإعراب مجدداً عن التضامن مع الشعب العراقي الذي عانى لسنوات طويلة، وبأن الوقت حان لرفع العقوبات عن العراق في إطار تنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة ولا سيما القرار ٦٨٧ (١٩٩١).

٧ ـ قيام مملكة البحرين بتشكيل لجنة رئاسية بالتشاور مع الدول الأعضاء تضم الرئاسة السابقة والحالية والقادمة والأمين العام للجامعة، بالإضافة إلى الدول الراغبة في الانضمام إليها، وذلك للقيام بالاتصال مع الأطراف الدولية المعنية ولعرض الموقف العربي عليها، وبخاصة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وكذلك التشاور مع الحكومة العراقية في إطار قرارات القمم العربية حول العراق الشقيق، وذلك لبحث سبل مواجهة التحديات الخطيرة التي يواجهها العراق وما يتهدد الدول العربية من مخاطر واحتمالات.

٨ ـ **إن شؤون الوطن العربي وتطوير نظمه أمر تقرره شعوب المنطقة، بما يتفق مع مصالحها الوطنية والقومية، بعيداً عن أي تدخل خارجي، وفي هذا الإطار يستنكر**

القادة ما يتردد من محاولات رامية إلى فرض تغييرات على المنطقة، أو التدخل في شؤونها الداخلية وتجاهل مصالحها وقضاياها العادلة.

٩ ـ اعتبار نزع أسلحة الدمار الشامل في العراق جزءاً من نزع أسلحة الدمار الشامل في المنطقة بما في ذلك إسرائيل، طبقاً للفقرة ١٤ من قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (١٩٩١).

١٠ ـ الاستمرار في المتابعة الدقيقة لتطورات المسألة العراقية».

(٥) قرارات مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في الدورة غير العادية المنعقدة في القاهرة حول الحرب على العراق بتاريخ ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٣.

وقد تمّ في هذا الاجتماع الذي عقد بعد خمسة أيام من بدء الحرب على العراق، الموافقة في شبه إجماع على إدانة العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق، وعلى اعتباره انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وخروجاً على الشرعية الدولية وتحدياً للرأي العام العالمي، وعلى المطالبة بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الغازية من الأراضي العراقية وتحميلها المسؤولية المادية والأخلاقية عن العدوان، وعلى تأكيد عدم المشاركة في أي عمل عسكري يمسّ سيادة وأمن ووحدة أراضي العراق وأية دولة عربية أخرى، وعلى المبادرة إلى طلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لوقف العدوان وسحب القوات الغازية، والاستعاضة من مجلس الأمن إذا تعذر انعقاده أو تعذر صدور قرار عنه بعقد جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ القرار المطلوب.

٢ ـ الواقع العربي من الحرب على العراق

على رغم كل وضوح «الواجب» والالتزامات العربية القانونية في مثل حالة الغزو الأمريكي للعراق بحسب معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، وعلى رغم وضوح الواجب العربي والتزاماته بحسب القرارات العربية على المستويات المختلفة من مؤتمرات القمة العربية واجتماعات وزراء الخارجية العرب، فإن الاستجابة العربية لذلك «الواجب» وتنفيذ الالتزامات قد اختلف بين «الواقع العربي الرسمي» و«الواقع العربي الشعبي»:

أ ـ الواقع العربي الرسمي

يمكن تسجيل الملاحظات التالية حول هذا الواقع:

(١) لم ينفّذ أي من الأطراف العربية التزاماته تجاه العدوان على العراق، بموجب معاهدة الدفاع العربي المشترك، وبموجب قرارات مؤتمر القمة ووزراء الخارجية

العرب، التي تعتبر الاعتداء على العراق اعتداءً عليها جميعاً، وما يترتب على ذلك من تقديم الدعم العسكري للعراق والمشاركة في رد الاعتداء الذي تمّ حتى من دون قرار أو موافقة من مجلس الأمن.

(٢) ويا ليت أن الموقف العربي الواقعي وقف عند هذا الحد، بل إن الحرب الأمريكية على العراق تُشَنّ أرضاً وبحراً وجواً من أراضٍ وموانئ وقواعد عربية في الخليج، وبأسلحة وعتاد تمر في مياه عربية، وتسهيلاتٍ لوجيستية تنطلق من دول عربية أخرى، خلافاً للالتزامات العربية المترتبة بموجب معاهدة الدفاع العربي المشترك وقرارات القمة ووزراء الخارجية العرب، التي نصت الأخيرة منها على «ضرورة امتناع دولهم عن تقديم أي نوع من المساعدات والتسهيلات لأي عمل عسكري يؤدي إلى تهديد أمن وسلامة العراق ووحدة أراضيه».

(٣) والأدهى والأمرّ أن بعض الأنظمة العربية الخليجية، وأطرافاً أخرى عربية، تولت إخراج **«المسرحية الأمريكية» بالطلب من الرئيس العراقي «التخلي عن السلطة»** ترضية لأمريكا ومنعاً لعدوانها. ولم يكتف بعضها بذلك، بل حاول تسويق هذه الفكرة والحصول على دعم بعض الأطراف الأوروبية لهذا المشروع، خلافاً لالتزاماتها القانونية والقرارات العربية المشار إليها سابقاً، وعلى رغم أن مثل هذه **«الفكرة «أو المبادرة» مرفوضة مبدئياً وغير قابلة للتحقيق عملياً.**

من الناحية المبدئية، كيف يطلب من رئيس نظام دولة عربية التخلي عن السلطة وهو الضحية والمعتدى عليه، على الرغم من مخالفة مثل هذا الطلب للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وعلى رغم قرارات وزراء الخارجية العرب في ٥/ ١١/ ٢٠٠٢ ومؤتمر القمة العربية في شرم الشيخ في ١/ ٣/ ٢٠٠٣، التي نصّت الأولى منها على «رفض كافة المخططات والسياسات الرامية إلى فرض تغييرات على المنطقة وإلى التدخل في شؤونها. . . إلخ.»، ومخالفته قرار مؤتمر القمة الأخير من أن «شؤون الوطن العربي وتطوير نظمه أمر تقرره شعوب المنطقة بما يتفق مع مصالحها الوطنية والقومية، بعيداً عن أي تدخل خارجي، وفي هذا الإطار يستنكر القادة ما يتردد من محاولات رامية إلى فرض تغييرات على المنطقة أو التدخل في شؤونها الداخلية . . . إلخ.»؟

ومن **الناحية العملية**، فإن كل من يعرف طبيعة النظام العراقي لا بد من أن يعلم مسبقاً بأنه إضافة إلى الاعتراض المبدئي على هذه «الفكرة ـ المبادرة»، فإنه من غير المتصور أن يقبل الرئيس العراقي مثل هذا الطلب وهو المعتدى على بلده في هذه الحالة. ثم ما هي الضمانة لـ «القادة» العرب بأن هذه السابقة لا يمكن أن تتكرر مع أي واحد منهم في المستقبل القريب أو البعيد؟

(٤) وباستثناء سوريا ولبنان واليمن، لم يصدر عن أي نظام عربي بصورة مستقلة أية إدانة للعدوان الأمريكي على العراق، بل إن أحدها حمّل العراق نفسه مسؤولية ما سيحيق به وبالدول العربية الأخرى وما سيلحق بها من أضرار نتيجة هذا الاعتداء الأمريكي!! وإن هذه الأنظمة في ما عدا الثلاثة المشار إليها، هي ما بين خائف، أو ساكت، أو متواطئ سراً أو علناً، مع هذه الحرب الظالمة على العراق.

ب ـ الواقع العربي الشعبي

(١) أطلق التهديد الأمريكي للعراق ثم العدوان عليه استنكاراً شعبياً عربياً واسعاً تجلى **في التظاهرات الصاخبة والواسعة والمتتالية في معظم الأقطار العربية**، باستثناء الخليج العربي، عدا البحرين، وعدا مواقف التيارات الإسلامية المختلفة في الكويت الرافضة الحرب، وكذلك موقف بعض النخب السعودية الرافضة الحرب، وفي استنكار بعض النخب الخليجية بمذكرات مكتوبة ومنشورة للتهديدات والعدوان الأمريكي، **وفي مبادرات شعبية لإرسال متطوعين إلى العراق** للمشاركة في مقاومة المعتدي الأمريكي، **وبالتشديد على مقاطعة السلع الأمريكية القابلة للاستبدال.**

(٢) وقد قام «**المؤتمر القومي العربي**» بجهد واسع في هذا المجال، فإضافة إلى إطلاقه أو مساهمته في الكثير من الفعاليات الشعبية، فإنه قام بالجهد الأساسي في المحيط العالمي، وبخاصة الغربي منه، فتنفيذاً لقرارات سابقة للمؤتمر القومي العربي السنوي الأخير الذي عقد في البحرين خلال عام ٢٠٠٢ ولمقررات الأمانة العامة واللجنة التنفيذية للمؤتمر، قامت الأمانة العامة للمؤتمر بما يلي:

ـ إرسال رسائل إلى **الملوك والرؤساء العرب**، قبل اجتماع مؤتمر القمة العربية في شرم الشيخ، وبتوقيع أعضاء الأمانة العامة جميعاً، تحدّد مسؤولياتهم وما هو مطلوب منهم، مع رسائل مستقلة إلى الملوك والرؤساء العرب التي ينطلق العدوان الأمريكي من قواعد وتسهيلات في أراضيها و/ أو مياهها.

ـ إرسال نداءات مستقلة ومختلفة، بأسماء جميع أعضاء المؤتمر القومي العربي، مع تعريف قصير لموقع كل منهم، إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير، تضمنت تحذيرات واضحة من العواقب الإقليمية والعالمية الوخيمة التي ستترتب بالتأكيد على المضي في شن حرب ضد العراق، تجاهلاً لجميع مظاهر المعارضة التي أبدتها ملايين من جماهير هذين البلدين وعشرات الملايين الذين تظاهروا في معظم بلدان العالم معلنين إرادة الشعوب ضد هذه الحرب غير المشروعة.

ـ توجيه نداء بأسماء جميع أعضاء المؤتمر القومي العربي إلى كل أعضاء مجلسي

الكونغرس الأمريكي، الشيوخ والنواب، وأعضاء مجلس العموم البريطاني، تضمن تنبيهاً بالأخطار والمخاطر التي ستترتب على حرب تُشن ضد العراق لا تستند إلى أدلة وتقع في وقت لا يشكل فيه العراق أي تهديد لأي من بلدان العالم، وتطلب منهم العمل على تفادي العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق.

ـ توجيه تحية وتقدير، بأسماء جميع أعضاء المؤتمر، وبصيغ مختلفة، إلى الرئيس الفرنسي شيراك، وإلى المستشار الألماني غيرهارد شرودر، وإلى الرئيس الصيني، على موقفهم في مجلس الأمن ورفض استعمال القوة وشن العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق.

ـ توجيه رسالة شكر مباشرة إلى رئيس البرلمان التركي، السيد بولنت ارنيل، على موقف البرلمان التركي في معارضة الحرب على العراق ورفض استخدام القواعد والمنشآت والجيش التركي لأغراض العدوان العسكري الأمريكي على العراق، كما قامت وفود من أعضاء الأمانة العامة في كل من القاهرة وبيروت وعمان وصنعاء والجزائر والمغرب بمقابلة السفير التركي في كل منها وتقديم الشكر من خلالهم إلى البرلمان التركي على موقفه.

ـ وجّه المؤتمر بأسماء جميع أعضائه رسائل مستقلة إلى أعضاء مجلس الأمن، أشادت فيها بمواقف مناهضي الحرب، ونددت بمواقف الحكومات المؤيدة لشن حرب ضد العراق.

ـ كما وجّه المؤتمر بأسماء جميع أعضائه رسائل مستقلة إلى كل من السيد خامنئي والرئيس خاتمي، طالباً فيها أن يسمع العالم أصوات الشعب الإيراني في مدنه الرئيسية عالياً ضد هذه الحرب وأن تطلق طاقة الاعتراض عليها في جماهير الشعب الإيراني، والتي هي ليست فقط دعوة لمصلحة العراق، وإنما هي أيضاً لمصلحة إيران التي وضعتها أمريكا ضمن «محور الشر» ولمصلحة السلام في المنطقة والعالم، كما طالبهما بالاستجابة لمطلب شعبي واسع النطاق بأن تبرم معاهدة للدفاع المشترك بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية العربية السورية والعراق، ليكون هذا المثلث درعاً استراتيجياً في مواجهة الأخطار التي تواجهها هذه الدول من الولايات المتحدة ومن الكيان الصهيوني.

ـ كما وجّه المؤتمر بأسماء أعضائه جميعاً رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي أنان، يطلب منه فيها تحمّل مسؤولياته باستعمال كل صلاحياته للمساهمة في رد العدوان على العراق.

ـ وقد نبه المؤتمر القومي العربي في رسائله كافة إلى أن تعاون العراق مع المفتشين

الدوليين قد ثبت كحقيقة واقعة بشهادة رئيس هيئتي التفتيش الدوليتين، بحيث أصبح واضحاً أن عملية نزع أسلحة التدمير الشامل هي عملية جارية بالفعل على الأرض ولا تتطلب شيئاً سوى الوقت الكافي اللازم للتحقق من نتائجها.

ـ كما وجه المؤتمر القومي العربي، بأسماء أعضائه كافة، نداءين إلى كل من الرئيس الجزائري، عبد العزيز بوتفليقة، وإلى العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح، طالب فيهما أن يطلقا المجال لشعبي بلديهما للمشاركة في التظاهرات الشعبية العربية التي تعارض شنّ الحرب العدوانية على العراق.

ـ وقامت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، بعد بدء العدوان على العراق، بإصدار عدد من البيانات والنداءات، وساهمت في إطلاق التعبيرات الشعبية المختلفة عن رفضها ومقاومتها لهذه الحرب العدوانية، وكذلك بإرسال المتطوعين العرب إلى العراق وتقديم أشكال مختلفة من الدعم.

ـ كما تقوم الأمانة العامة للمؤتمر، من خلال بعض أعضاء الأمانة العامة، باتصالات واسعة ومكثفة مع أصدقائها في بعض البلدان الغربية وبعض مراكز الدراسات والمؤسسات فيها، لحثها ودفعها إلى القيام بأنشطة مختلفة ضد الحرب على العراق والعمل على إيقافها.

(٣) وتسعى القوى الشعبية العربية، من خلال وسائل سلمية مختلفة، للضغط على الأنظمة العربية لتحمّل مسؤولياتها والالتزام بتنفيذ ما وافقت عليه وأقرته، وإيقاف بعضها المشاركة في هذه الحرب من خلال التسهيلات التي تقدمها للقوات المعتدية على العراق.

(٤) ونخلص من ذلك إلى أن الواقع العربي الشعبي للموقف من الحرب العدوانية على العراق متقدم كثيراً على واقع الموقف الرسمي، ويمكن بقدر أكبر من التنظيم وتحديد أهداف مرحلية له أن يساهم في تفعيل الموقف الفعلي للأنظمة العربية والضغط على بعضها لزيادة دعمها الحالي للعراق، ودفع الخائف والساكت منها لأخذ مواقف علنية واضحة لرفض الحرب على العراق وتقديم عون فعلي.

ثالثاً: النتائج الأولية للحرب على العراق

يمكن تلخيص النتائج الأولية للحرب الأمريكية ـ البريطانية على العراق، بما يلي:

١ ـ **الصمود البطولي للشعب العراقي** بمختلف فئاته وأطيافه، وبشكل جاء مخالفاً للتوقعات الأمريكية ـ البريطانية، ولتوقعات الكثير من الأنظمة العربية التي

راهنت على سرعة النجاح السريع للعدوان واحتلال العراق ولإسقاط النظام، بل تجاوز الصمود البطولي للعراق كل حدّ، وتحققت آمال وأحلام الشعوب العربية في هذا الصمود. وخلافاً لكل الحرب النفسية المكثفة التي شنتها الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية بالتبعية، على العراق وعلى العرب عموماً، والتي يساهم فيها بعض الإعلام العربي الرسمي والخاص التابع، فلم يستقبل الشعب العراقي الجيوش الغازية بالورود، ولا انهار الجيش العراقي النظامي واستسلم لها، ولا استطاعت وحشية هجماتها الجوية عزل القيادة العراقية ومنعها من إدارة المعركة ومقاومة العدوان والدفاع عن العراق وشعبه.

٢ ـ وخلافاً لكل التوقعات للجوء أعداد كبيرة من العراقيين إلى الأقطار المجاورة، وكما يقول أحد الصحافيين العرب[٢] لم يصل حتى الآن لاجئ عراقي واحد إلى المخيمات التي نصبت في الأردن وسوريا وبقية الدول المجاورة، انتظاراً لأفواج اللاجئين العراقيين الذين توقعت القوات «المتحالفة» ووكالات الأمم المتحدة أن يصل عددهم إلى الملايين مع الأيام الاولى لبدء الحرب على العراق»، بل كانت هناك **هجرة عكسية عراقية إلى العراق**، إذ عاد الآلاف من العراقيين الذين كانوا في الخارج إلى العراق.

ولم يكتف العراقيون برفض مبدإ ترك الأرض ومواجهة الآلة العسكرية الأمريكية والبريطانية، بل رفضوا حتى دعوات بعض الدول العربية التي تسعى إلى استغلال هذه القضية للتسول باسم العراقيين، واستثمار مخيمات اللاجئين لتعويض انحيازه السياسي إلى القوات المتحالفة، وتغطية إجراءاته السياسية ضد النظام العراقي.

٣ ـ وترتب على هذا الصمود، كما يقول هذا الصحافي العربي «أن صمود العراقيين على أرضهم زاد صعوبة الحرب، وتدخّل في تعقيد العمليات والخطط العسكرية. . . . . . . والأهم أن **العراقيين قدموا للشعوب العربية درساً غالي الثمن في الوطنية والصمود** . . . ».

ويضيف «لكن مفهوم الوطنية عند أبناء الرافدين أكبر من حسابات السياسيين وأمنيات الانتهازيين وتجار الحروب».

٤ ـ انكشف للمعتدين والغازين للعراق أن الحرب القصيرة التي كانوا يتوقعونها لم تتحقق وأن الضحايا البشرية للمعتدين تجاوزت كثيراً توقعاتهم، وأنهم بدأوا يتكلمون عن حرب طويلة وضحايا كثيرة.

---

(٢) داود الشريان، في: **الحياة**، ٢٧/٣/٢٠٠٣، ص ٣.

٥ ـ تمكن العراق حتى الآن من **تحطيم مقولة «الحرب التكنولوجية»** التي طبّل الأمريكيون لها كثيراً، واستطاع حتى الآن تحييد الكثير من تلك التكنولوجيا بأساليب كثيرة مبتكرة لم نشهد حتى الآن إلا مقدمات لها وتنتظرنا مفاجآت كثيرة فيها، على رغم القصف الجوي الوحشي لمناطق مدنية كثيرة في العديد من المدن العراقية ولبعض البنى التحتية، وخلافاً لاتفاقية جنيف.

٦ ـ **أمريكا وبريطانيا**، وهما **الخارجتان على القانون الدولي** وميثاق الأمم المتحدة ومجلس الأمن، تطالبان العراق بتطبيق اتفاقية جنيف على أسراهما وقتلاهما.

٧ ـ زالت التوقعات الاقتصادية الأولية في العالم عند بدء الحرب، واستناداً إلى التوقعات الأمريكية بأن **مرحلة عدم الاستقرار** ستنتهي قريباً استناداً إلى أن الحرب ستكون قصيرة وسريعة، وأن العالم سينتقل بعدها سريعاً إلى مرحلة إعادة بناء العراق والاستقرار في العالم، فقد تبيّن في أواخر الأسبوع الأول للحرب، ولا يزال، أن التوقعات بحرب سريعة وقصيرة لم تتحقق، وأن الحرب ستطول ولمدة لا يمكن التنبؤ بها الآن. ولذلك، وبعد صعود موفّق في أسعار الأسهم في البورصات العالمية وانخفاض أسعار النفط العالمية، عادت الأسعار في البورصات إلى الانخفاض وعادت أسعار النفط إلى الارتفاع، بعد أن كشف الأسبوع الأول للحرب عن استمرار حالة عدم الاستقرار نتيجة احتمال أن تطول الحرب، وأن نتائجها لم تعد محسومة في الوقت الحاضر.

وسيؤثر عدم الاستقرار هذا في **الانخفاض في أسعار البورصات**، كما سيؤثر في الدخل الحالي والمستقبلي للشعب الأمريكي الذي يساهم حوالى ٧٠ بالمائة منه بامتلاك قدر من الأسهم والسندات التي تمثل جزءاً من دخله الحالي، إضافة إلى تأثيرها في مدخراته وراتب تقاعده في المستقبل. كما أخذت **أسعار النفط بالارتفاع** ثانية، على رغم قيام إحدى الدول الخليجية الرئيسة بزيادة إنتاجها بحوالى ٦٠٠ ألف برميل يومياً تعويضاً من النقص في صادرات العراق، على رغم أنها غير ملزمة بذلك، لأن المتسبب في انخفاض إنتاج العراق، وبالتالي المعروض من النفط في العالم، هي الدول المعتدية على العراق، أي أمريكا وبريطانيا، والتي يجب أن تتحمل أمام العالم المستورد للنفط مسؤولية ارتفاع أسعار النفط التي تسببت بها.

إن استمرار الحرب وإطالة أمدها، وعدم الاستقرار الاقتصادي الذي سيترتب عليها، سيؤثر سلبياً في الاقتصاد الأمريكي بالدرجة الأولى، إضافة إلى تأثيراتها الواسعة في الاقتصاد العالمي ككل، وسيشكل ذلك، طالما استمرت الحرب وحالة

عدم الاستقرار هذه، ضغطاً على الإدارة الأمريكية لإنهاء الحرب بشكل أو بآخر، وبالتالي سيكون له تأثير شعبي سلبي مباشر في أمريكا بشكل خاص.

٨ ـ يقول أحد الكتّاب السياسيين في جريدة **الهيرالد تريبيون**، تعليقاً على هذه الحرب، إن **هناك قوتين كبِريين في العالم: الأولى هي أمريكا، والثانية هي الرأي العام الدولي. وسيؤدي استمرار** صمود العراق، وإطالة أمد الحرب فيه وتزايد المجازر والضحايا، إلى استمرار وتصاعد حملة الاحتجاجات العالمية الواسعة ضد الحرب والعدوان على العراق وما سيشكله ذلك من ضغوط، وبخاصة للرأي العام الأمريكي والعالمي لوقف الحرب.

٩ ـ هناك مؤشرات متكررة ومتزايدة حول نقص في التنسيق بين القوات الأمريكية والبريطانية التي تغزو العراق، وقد تسبب ذلك عن ضحايا بشرية وتصادم وفقدان طائرات مختلفة، وكثرت مقولة «النيران الصديقة» سواء ما كان منها حقيقياً أم تخفيفاً للخسائر الفعلية التي كبّدها العراق لهذه الجيوش. كما إن هناك مؤشرات تتسرب من خلال الصحافيين الأجانب المرافقين للقوات الأمريكية وتشير إلى تدهور في معنويات تلك القوات.

كما طفت على السطح مؤخراً خلافات بين القيادات المدنية والعسكرية في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) حول خطة المعركة وتنفيذها على الأراضي، والتي أدت إلى توقف مؤقت، قد يطول وقد يقصر، في الزحف إلى بغداد. كما إن تركيا رفضت، حتى الآن، السماح للقوات الأمريكية البرية والجوية استعمال القواعد والمطارات التركية لفتح جبهة شمالية على العراق، واكتفت حتى الآن، وعلى رغم الضغوط الكثيرة التي مارستها الولايات المتحدة عليها، بالسماح للقوات الأمريكية بالمرور فقط من الأجواء التركية ومن دون التوقف فيها.

١٠ ـ لم تستطع القوات الأمريكية والبريطانية العثور حتى الآن على أية أسلحة دمار شامل في العراق، وهو أمر إذا ما استمر خلال بقية مدة الحرب سيدحض كل الحجج التي قدمتها امريكا وبريطانيا للاعتداء على العراق بزعم أنه لا يزال يملك أسلحة دمار شامل وتصبح لاغية، وتصبح الحرب غير الشرعية على العراق عدواناً ظالماً. وعلى الرغم من توقعات الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية، فإن العراق لم يستعمل حتى الآن أية أسلحة دمار شامل في تصديه للقوات الغازية، وهو دليل إضافي على عدم امتلاك العراق لتلك الأسلحة.

رابعاً: احتمالات المستقبل

١ ـ قبل الإشارة إلى المشاهد (السيناريوهات) الممكنة لتطور هذه الحرب الظالمة على العراق، لا بد من الإشارة إلى الملاحظات والتحفظات التالية:

أ ـ إن الدراسات المستقبلية تشير إلى **أن المستقبل ليس قدراً محتوماً، وأن هناك بدائل مختلفة لهذا المستقبل** بعضها أفضل من بعض، ولكل منها ثمن ومتطلبات مختلفة، **ويعتمد المشهد (السيناريو) الذي نختاره على مدى رغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن المطلوب لذلك المشهد**، ويؤدي التخطيط والتنفيذ والإرادة دوراً رئيسياً في ذلك.

ب ـ وعلى رغم المعطيات التي بانت خلال الاثني عشر يوماً من بدء الحرب على العراق، إلا أن هناك احتمالات وتطورات عسكرية وسياسية واقتصادية قادمة من الصعب التنبؤ بها بدقة الآن.

ج ـ لقد حاولنا في حدود المعلومات والاتصالات والاستشارات التي أتيحت لنا من مصادر مختلفة، وبعيداً عن التفكير في المرغوب (Wishful Thinking)، أن نخضع تلك الرغبات إلى المعطيات المتوفرة حالياً من تلك المصادر، وفي حدود ما يمكن إنسانياً تحقيق ذلك.

٢ ـ وفي حدود التحفظات المشار اليها أعلاها يمكن توقع المشاهد التالية، بحسب تقديرنا لاحتمالات حصولها:

أ ـ مشهد استمرار الصمود وفشل العدو في السيطرة على بغداد، ويفترض ويتوقع هذا المشهد ما يلي:

(١) أن يستمر صمود العراق، قيادة وشعباً، حتى بعد استئناف العدو زحفه على بغداد ومحاصرتها، وأن يفشل في اقتحامها والسيطرة عليها أو القضاء على القيادة العراقية.

(٢) يتوقع في هذا المشهد أن تزداد الخسائر البشرية والمادية للعدو، إلى حدود لا يستطيع تحمل المزيد منها.

(٣) أن تؤثر الظروف المناخية ودرجات الحرارة المرتفعة في الأداء العسكري للجيشين الأمريكي والبريطاني وفي معنوياتهما وفي استمرار القتال.

(٤) أن يزداد تدهور الأوضاع الاقتصادية في الولايات المتحدة، فضلاً عن استمرار تدهور أسعار البورصات، وربما ارتفاع أسعار النفط، بسبب عدم معرفة نتائج الحرب وموعد انتهائها.

(٥) أن يحاول العدو التعويض عن فشله في احتلال بغداد و/ أو القضاء على القيادة العراقية، **وزيادة القصف الجوي على بغداد والمدن الرئيسية الأخرى** التي لم يتمكن من احتلالها.

(٦) استمرار وتوسيع العمليات الاستشهادية ضد العدو.

(٧) أن يتطور الدعم السوري واللبناني واليمني للعراق، وأن تبقى مواقف الأنظمة العربية الأخرى على ما هي عليه حالياً أو تشهد التحسن البسيط والشكلي فيها.

(٨) أن تستمر الوحدة الوطنية العراقية بأشكالها الحالية، بل تزداد تماسكاً، وأن يشعر جميع العراقيين والعالم، كما يتيقن بعض العراقيين «الوطنيين» في الخارج، أن **هذه الجيوش الغازية هي «جيوش احتلال» وليست «جيوش تحرير».**

وسيترتب على هذا المشهد ما يلي:

(١) الوصول إلى مأزق للجيوش الغازية وعدم استطاعتها احتلال بغداد والقضاء على القيادة العراقية، مما سيضطرها إلى التفكير ثم التفتيش عن حل يحفظ لها ماء الوجه.

(٢) **زيادة المعارضة الشعبية العربية والدولية للحرب على العراق والمطالبة بوقفها** وسحب الجيوش الغازية من العراق.

(٣) تحسن ملحوظ في موقف الأنظمة العربية الساكتة أو الخائفة من نتائج هذا المشهد على مستقبلها، وأن تتخذ مواقف علنية أكثر جرأة ومعارضة للولايات المتحدة ولاستمرار الحرب وطلب انسحاب الجيوش الغازية.

(٤) حصول ارتباك شديد في موقف الأنظمة العربية المتواطئة والمتعاونة مع الولايات المتحدة وبريطانيا في الحرب على العراق، وظهور ضغوط شعبية، وبدرجات متفاوتة، على تلك الأنظمة لتحقيق وربما ايقاف دعمها للحرب الأمريكية على العراق، وتطور مواقف تلك الأنظمة بدرجات مختلفة بالضغط على الولايات المتحدة لوقف الحرب وانسحاب جيوشها.

(٥) تحرك فرنسا وروسيا والصين وسوريا في مجلس الأمن لإيجاد حل يضمن حفظ ماء الوجه لأمريكا، ويقوم على الأسس التالية:

ـ وقف الحرب وانسحاب الجيوش الأمريكية والبريطانية من العراق خلال مدة محدودة.

ـ تعليق العقوبات على العراق لمدة ستة أشهر، يتم خلالها إعادة إرسال المفتشين

عن أسلحة الدمار الشامل إلى العراق، وأن يتم رفع العقوبات نهائياً على العراق بعد تقديم المفتشين تقريراً إلى مجلس الأمن يؤكد عدم عثورهم على أية أسلحة للدمار الشامل.

ـ أن يقرر المجلس بعد انتهاء مدة الأشهر الستة وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل تعويض العراق من الدمار والخسائر المادية والبشرية التي ألحقتها الحرب به، وأن تتحمل الدول المشاركة في الحرب وتلك التي قدمت التسهيلات لتلك الحرب مسؤولية هذه التعويضات.

(٦) أن تقوم القيادة العراقية، بعد تحقيق ما تضمنته الفقرة (٥) أعلاه، بالإعلان عن برنامجها للتغييرات السياسية في النظام ومن منطلق الانتصار واستكمال ودعم الوحدة الوطنية بما يلي:

ـ الإعلان عن، والاستفتاء على، دستور جديد مؤقت يضمن استكمال تحقيق التعددية السياسية والحريات العامة الرئيسية، وضمان حقوق الإنسان المنصوص عليها في الشرائع الدولية، واجراء انتخابات حرة ونزيهة وتحت إشراف المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية لمنع أي تشكيك فيها، وأن يقر «المجلس المنتخب» الدستور المؤقت بعد إجراء أي تعديلات عليه، وفصل الحزب عن الدولة، واستقلال السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بعضها عن بعض، وأن يتم تنفيذ هذه الإجراءات المعلن عنها تدريجياً وخلال مدة لا تزيد على السنة.

(٧) **عقد قمة عربية** للوصول إلى ما يلي:

(أ) **تعديل ميثاق جامعة الدول العربية** بإعطاء عدد من الأصوات مختلف لكل دولة عربية بحسب معايير محددة، كما هو متبع في الاتحاد الاوروبي وحتى في مجلس الاتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة.

(ب) وضع معاهدة الدفاع العربي المشترك موضع التنفيذ وانشاء قوة عربية مشتركة على غرار ما هو موجود في حلف الأطلسي، وبما يضمن تطمين الدول العربية الصغيرة على أمنها.

(ج) إلزام الدول العربية التي توجد فيها قواعد أجنبية أو تمنح تسهيلات عسكرية وأمنية مختلفة للدول الأجنبية وخلافاً لمعاهدة الدفاع العربي المَشترك، بأن تتخذ الخطوات اللازمة لإنهاء هذه الالتزامات مع الدول الأجنبية خلال مدة تحددها القمة، وتتزامن مع إنشاء الجيش العربي المشترك، وتجميد عضوية أي دولة عربية لا تلتزم بذلك.

(د) إعادة رسم سياسة عربية جديدة لتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير وضمان حق عودة اللاجئين.

ب ـ مشهد نجاح العدو في احتلال بغداد والقضاء على القيادة العراقية أو اختفائها

مع أنه لا يمكن استبعاد هذا المشهد كلياً إلا أن احتمالات نجاحه، في تقديرنا، ضعيفة وسيترتب على هذا المشهد ما يلي:

(١) احتلال الجيش الأمريكي للعراق.

(٢) استمرار المقاومة للاحتلال بأشكال مختلفة، وبخاصة إذا تمكنت القيادة العراقية من تفادي القضاء عليها.

(٣) عدم استطاعة أمريكا تحقيق الاستقرار في العراق وعدم تمكنها من إقامة حكومة عراقية مؤقتة فاعلة.

(٤) انتقال الصمود العراقي وتحويله إلى حرب تحرير بأشكال مختلفة.

(٥) احتمال محاصرة أمريكا لكل من سوريا ولبنان وايران ومطالبتها بأمور محددة.

(٦) دخول الأمة العربية في مرحلة جديدة من الاستعمار الأمريكي مشابهة للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى مع استعمار أشد وطأة من الاستعمار البريطاني والفرنسي.

خامساً: خاتمة

تلك هي المشاهد المختلفة التي يحتمل أن ينتهي اليها مستقبل الحرب على العراق. وإذا كان العراق يقوم قيادة وشعباً بكل ما يمكن أن يقوم به، وأنه صامد حتى الآن، إلا أن تحقيق المشهد الأول ونتائجه متوقف على استمرار وتزايد الموقف الشعبي العربي ومدى نجاحه في الضغط على الأنظمة العربية الخائفة والساكتة والمتواطئة لتطوير مواقفها ايجابياً، ولزيادة احتمالات نجاح المشهد الأول، وذلك إذا كانوا عرباً حقاً، لأنه سوف يأتي **﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. إلا من أتى اللهَ بقلب سليم﴾**[٣].

ويبقى أن نظل متفائلين بأن هذه الأمة لن تستسلم وستبقى تناضل حتى تحقق أهدافها، طال الزمن أو قصر، وستظل الشعوب العربية مصدر الأمل في مستقبل أفضل، ويقدم العراق نموذجاً جديداً لهذا الأمل.

---

(٣) القرآن الكريم، «سورة الشعراء،» الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

القسم الثالث

مـن الاحتـلال إلـى المقاومـة

(٦)

صدمة الاحتلال وموجبات النهوض الوطني(*)
(٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٣)

■ ***بداية د. خير الدين حسيب ماذا يعني لك اليوم سقوط بغداد بهذه السرعة؟ وهل كنت تتخيل أنت العراقي، والذي يعرف العراق جيداً والشعب العراقي، أن يستسلم العراقيون بهذا الشكل، وأن لا يقاوموا وسط بغداد؟***

حسيب: لا شك في أن شيئاً ما قد حصل خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

■ ***ما هو هذا الشيء؟***

حسيب: غير واضح حتى الآن، لأنه كان من المفترض أن تكون المعركة الفاصلة في بغداد، وأخذاً بنظر الاعتبار أنه لا تزال هناك إحدى عشرة فرقة عسكرية عراقية: فرقة في العمارة، وفرقتان في الموصل وفي تكريت وفي بغداد، وهذا ليس كلامي أنا، ولكن قبل ساعة، أكّد رئيس الأركان «مايرز» هذا الأمر. حصل شيء ما لا أعلم بالضبط ما هو.

■ ***هروب صدام حسين؟***

حسيب: لا، لا تُسَمِّهِ هروباً. أولاً ما يقال من أنه حَدث قصف أول أمس على

(*) مقابلة أجريت مع الدكتور خير الدين حسيب على قناة الفضائية اللبنانية للإرسال (LBC) يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، ونقتطف من هذه المقابلة التلفزية ـ التي جرت مساء يوم احتلال بغداد ـ الفقرات التي تحدّث فيها د. خير الدين حسيب رداً على أسئلة الأستاذ مارسيل غانم الذي أدارها، أو مناظرةً مع المشاركين معه فيها: د. فواز طرابلسي وأ. غسان شربل.

مكان كان الرئيس صدام حسين مجتمعاً فيه مع قيادته وأنه قَضَى فيه، فذلك غير صحيح.

■ *كيف تأكدت من هذا؟*

حسيب: لا تسألني عنِ هذا.

■ *معلومات خاصة بك، إذاً الرئيس لم يقتل كما يقال؟*

حسيب: في حدود معلوماتي، هذا الكلام غير صحيح. وما يقال عن أنه عقد صفقة مع روسيا، وأنه التجأ إلى السفارة الروسية وهو موجود الآن في موسكو، أستطيع أن أقول بقدر من الاطمئنان إن هذا غير صحيح. الرئيس صدام حسين لا يزال يقاوم في العراق.

■ *يقاوم في العراق، أين؟*

حسيب: لا أعتقد أنه من المصلحة أن أقول أكثر مما قلته. المهم أنه لم يستسلم، وما زال حيّاً يقاوم في العراق.

■ *لا نستطيع أن نسأل من أين لديك هذه المعلومات الطازجة، وحضرتك قادم من لندن؟*

حسيب: هذه المعلومات ليست من لندن، لأن التطورات حصلت بعد قدومي من لندن بأربع وعشرين ساعة.

■ *إذاً الرئيس صدام لا يزال حياً يرزق، ولا يزال يقاوم.*

حسيب: في حدود ما لدي من معلومات.

■ *من داخل العراق أو من داخل بغداد؟*

حسيب: أنا قلت من داخل العراق وليس من داخل بغداد.

طرابلسي: أولاً ما يشغل بالي أن الدكتور خير الدين لا تزال له علاقات تسمح له بالحصول على مثل هذه المعلومات من النظام العراقي، أنا لا يوجد لدي معلومات، ولكن لدي تقديرات. أنا أريد أن أعبر عن الحزن الشديد لسقوط بغداد، وأنا في رأيي أن الشعب العراقي لم يدافع عن هذا النظام وأهل هذا النظام لم يدافعوا عن النظام أيضاً. أما إذا كان الرئيس العراقي وقيادته موجودين خارج بغداد، فهذا غير مشجع، وهذا يعني أنهم موجودون في منطقة هي مسقط رأس الرئيس. في البداية كان رأيي أنه يجري التضحية بكل العراق والتركيز على مركز السلطة المركزية

الذي هو بغداد، الآن أعتقد أن ما يجري التركيز عليه هو بلدة رئيس الجمهورية، وهذا أمر مؤسف ويؤكد أن هذا النظام ليس للعراق بل لشخص.

■ ***قبل أن أعطي الكلام للأستاذ غسان شربل حول ما يعني له مشهد اليوم، ما هو تعليقك د. خير الدين حسيب على ما قاله الدكتور فواز طرابلسي؟***

حسيب: لا أرى ما هو السبب الذي يدعو الأخ فواز الذي أعزه وأحترمه إلى إبداء أسفه من موقفي. أنا أدافع عن العراق.

■ ***ألا تدافع عن النظام أيضاً؟***

حسيب: لا أنا أدافع عن العراق، وأنا لدي عائلة وأهل في بغداد والموصل، ولا أدري من منهم توفي ومن منهم ما زال حياً. وكوني تتوافر لدي هذه المعلومات، فهذا لا يعني بالضرورة أن هذه المعلومات مصدرها النظام في العراق. وأعتقد أن الأخ فواز تسرّع في هذا الكلام، وكنت أظن أنه يعرف موقفي تماماً. أنا أدافع عن العراق، والعراق للعراقيين. وأياً كان النظام الموجود، ولكن عندما تصل القضية إلى الوطن فأنا مع الوطن. وأريد فقط أن أضيف أنه إذا كان قد فوجئ بما حصل في بغداد، فأنا كذلك. وكما قلت، هناك شيء ما حصل خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، ولا أدري بالضبط ما هو؟! إن نظاماً يمكن أن ينتهي، ويمكن الرئيس العراقي أن ينتهي، لكن الشعب العراقي باقٍ، وأنا أختلف تماماً مع الأخ فواز طرابلسي في عدم انتباهه إلى هذا الأمر. العراق قاوم، وكانت مقاومته في العديد من الأماكن بطولية. وخلافاً لكل التوقعات الأمريكية، لم يُسْتَقْبَل الجيش الأمريكي بالورود، ولم تستسلم أية قطعة من القطعات. ومن أول لحظةٍ في الحرب كان الكذب الأمريكي والتلفيق واضحين، حيث قالوا إن الفرقة ٥١ استسلمت، وتبيّن لاحقاً أن هذه الفرقة لم تستسلم، وقالوا إن قائد الفرقة استسلم، وقائد الفرقة لم يستسلم.

■ ***هناك بعض المحطات العربية د. خير الدين حسيب يُتابع وينقل الصور المتلاحقة عمّا يجري في هذا اليوم في بغداد . .***

حسيب: أنا لا أريد أن أدخل في تقييم المحطات العربية، هناك بعض المحطات غَيَّر خَطَّه بنسْبة ١٨٠ درجة. أنا أتحدث عن المقاومة، وهي لا ترتبط بشخص. هناك احتلال أجنبي للعراق، وهذه ليست المرة الأولى التي يُحتل فيها العراق. احتل في عام ١٩٢٠. ولكن هذا الاحتلال سيدفع العراقيين ـ اليوم ـ إلى خوض حرب تحرير، وإلى المقاومة بكافة الأشكال. وهي مقاومة سيمارسها الشعب العراقي مع صدّام أو من دون صدّام.

■ ***لا أقصد استفزازك، د. خير الدين، ولكن أقصد أن أصل مع شخص محترم مثلك إلى فهم ما يجري. هذه الصور التي ظهرت على التلفزيون اليوم، على كل وسائل الإعلام، لا تظهر أن العراقيين منزعجون من دخول الأمريكيين، ربما ارتاحوا من نظام صدام حسين، ولكنهم أيضاً مسرورون من دخول البريطانيين.***

حسيب: أولاً بغداد فيها ٥ إلى ٦ ملايين نسمة، وطول بغداد ٥٠ كلم. الغزاة دخلوا ساحة التحرير. ومن يعرف بغداد، يعرف أنه عندما تعبر جسر الجمهورية تصل إلى ساحة التحرير. بعض المناطق الكثيفة السكان لم يدخلوها. وما يجذب الانتباه أن كل القوى التي كانت تدافع ـ الحرس الجمهوري والفدائيين والجيش النظامي والناس ـ غير موجودة في الشارع. كيف اختفوا كلهم في وقت واحد؟ لو أن القيادة انهارت، فكيف لها أن تعطي تعليمات بالانسحاب الكامل؟

■ ***سؤالي التالي، هل هي نهاية نظام أم أكثر؟***

حسيب: الأخ مارسيل، أولاً ليس العراق هو من سعى إلى هذه الحرب، بل هي فُرِضت عليه. العراق قَبِلَ من مجلس الأمن قرارات مذلة حتى يتجنب الحرب. وأمريكا وبريطانيا قالتا إن هناك أسلحة دمار شامل، وإن المفتشين لم يقدروا على كشفها، وأعطيت لهم صلاحيات في القرار رقم ١٤٤١ تتضمن تعجيزاً ومع هذا قُبِلَتْ. وحتى الآن لم تعثر الجيوش الغازية المعتدية على أية قطعة سلاح من أسلحة الدمار الشامل، **وربما لن تعثر أبداً**. وبالتالي هذه الحرب باطلة وظالمة وعدوانية. من ناحية أخرى، ليس من المفروض أو من المتوقع أن يحارب العراق ويقاوم أمريكا وبريطانيا بكل قوتهما العسكرية. لكن هناك فرقاً بين بلد يقاتل وقد ينهزم بشرف، وبين بلد يستسلم. الشعب العراقي أعطى مثلاً خلافاً لما يقوله الأخ فواز، وأعطى مثلاً في الصمود وفي المقاومة على خلاف ما يقول. «أمّ قصر» لا يوجد فيها غير ٤٠٠٠ شخص، وهذه المدينة قاومت فترة طويلة والخسائر التي تكبدها الأمريكيون معروفة. لدى الأمريكيين أكثر من ١٠٠ قتيل، فضلاً عن طائرات أُسقطت، وأول أمس أُسقطت طائرة في بغداد خلال الليل. لا ينبغي أن نقلل ما قدمه الشعب العراقي. إضافة إلى هذا، وإلى أول أمس، وعلى الرغم من أن الدعاية التي قام بها الأمريكيون عن الأسلحة الموجودة لديهم مثل القنبلة الإلكترونية التي تعطل كل شيء، ظلت القيادة في العراق مسيطرة على كل القوات وعلى سير العمليات إلى أول أمس في الليل.

■ ***يا دكتور، عندما تعرف أن صداماً لا يزال حياً، وأنه لم يقتل وأنه موجود في منطقة ما في العراق، فأكيد أنك تعرف ما حصل ما بين الأمس واليوم.***

حسيب: تأكد لو كنت أعرف لكنت قلت لك، لأن من حق الناس أن تعرف.

■ ***لماذا لا نأخذ بهذا السيناريو: أن صدام حسين هرب مع أركانه الأساسيين؟***

حسيب: في الحرب، يمكنك أن تنتقل من جبهة إلى جبهة أخرى. لقد احتُل ثلاثة أرباع ستالينغراد وبقي فقط ربع في يد السوفيات عندما دافع عنها ستالين، وبعدها استطاعوا أن يحرروها. هل من المفروض أن يبقى القائد في بغداد إذا أراد أن يدافع عن كل الوطن أو يقود معركة؟ أنا لستُ متأكداً من أننا كنا جميعاً متوقعين المعركة في بغداد. لكنني فعلاً لا أعرف ما حصل. وعندما أتحدث عن المقاومة، فأنا أعرف أنها لن تنجح سريعاً في طرد الاحتلال، وسيتطلب منها ذلك وقتاً طويلاً.

■ ***د. طرابلسي، كان عندك توضيح أو تعليق على ما تفضل به الدكتور حسيب، والسؤال التالي: هل نحن أمام نهاية نظام أم أكثر، خصوصاً أن رامسفيلد تحدث هذا المساء عن انهيار في بغداد يذكّره بسقوط جدار برلين، فهل هذا عقد سقوط الأحزاب الاشتراكية العربية، كما انهارت الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية في العقد الماضي؟***

طرابلسي: أولاً ليست أحزاباً اشتراكية، ولا تدّعي أنها أحزاب اشتراكية، وليس باقياً لها من الاشتراكية سوى ذكريات القمع والأجهزة الأمنية والاستبداد بالناس، هذا **أولاً**. **ثانياً**، أعتقد أن الحرب فُرضت على العراق، ولكن كان يمكن تجنبها. أنا أعتقد أن القائد الوطني هو من يعرف أحياناً كيف يجنب شعبه الحرب. فهل هذا استسلام؟ تقول لي: الهزيمة بشرف. أين الهزيمة بشرف؟ في ما عدا إذا أثبتت الأيام أن هناك خطة عسكرية ذكية جداً هي الخروج من بغداد، ثم تطويق الأمريكيين في بغداد والهجوم عليهم من كل فئات الجيش العراقي، وأنا أتمنى ذلك، فإن لديَّ انطباعاً أن هناك قائداً ترك عاصمته، وذهب إلى بلدته. وهذه مشكلة، لأن هذا يعني أن بلدته أهم من وطنه. وإذا كان لديه شيء آخر أو معركة أخرى، فنحن بانتظارها. لكن الدكتور خير الدين طرح علينا معادلتين متناقضتين: **الأولى** أنه موجود وحي ويتأهب للمقاومة، و**الثانية** تقول إن هناك انهياراً ما حصل. فهاتان لا تتطابقان..

حسيب: في ما يتعلق بالأخ فواز، أنا قلت إن شيئاً ما حصل خلال الأربع والعشرين ساعة السابقة. أنت تناقش الموضوع من زاوية الديمقراطية في العراق، وأنا أناقشه من زاوية مصير العراق والوطن العربي بأجمله والنظام العالمي. أمريكا لا تريد أن تحتل العراق من أجل أن تتخلص من نظام صدام حسين أو من أسلحة الدمار

الشامل. إن العراق هو الخطوة الأولى، وفقاً لما صرح بذلك كولن باول نفسه، لإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط بما يحقق المصالح الأمريكية. فأنا أدافع عن العراق لأن هذه مقدمة للدفاع عن الوطن العربي كله ضدّ المخطط الأمريكي كله الذي يريد أن يحكم النظام العالمي.

الأخ فواز طرابلسي يضع على عينيه نظارات سوداء ويرى كل شيء أسود. أنا لا أناقش الموضوع من زاوية النظام. أنا أقول ليست للقضية علاقة حتى بـ ١١ أيلول/سبتمبر. إن خطة الحرب مقررة منذ عام ١٩٩١ بعد انتهاء حرب الخليج. كان تشيني حينها وزير دفاع، وفي اجتماع كان معه فيه ريتشارد بيرل، وبول وولفويتز، وزلماي خليل زاده، وضعوا الخطة لهذا الغرض، ثم جرى تعديلها في عام ١٩٩٢. لكن الجمهوريين لم ينجحوا في الانتخابات. وعندما جاء بوش الابن مرشّحاً، نشرت كوندوليزا رايس مقالة أثناء المعركة الانتخابية في مجلة **فورين أفيرز** *(Foreign Affairs)*[(١)] عن السياسة الخارجية الأمريكية ومصالح الحزب الجمهوري. وقد اعتمدت أفكارُ هذه المقالة في رسم الكثير من عناصر السياسة الخارجية الأمريكية. هذه وقائع سابقة لأحداث ١١ أيلول/سبتمبر، و١١ أيلول ساعد فقط على الإخراج، والقضية ليست مرتبطة فقط بالعراق. أنا لا أناقش الحرب العراقية ـ الإيرانية، ولا غزو الكويت ومسؤولية النظام عنه، أنا أناقش هذه الحرب الأخيرة: الغزو الأمريكي للعراق، وأقول إن النظام غير مسؤول عن هذه الحرب، فقد فعل كل ما يمكن فعله لتجنبها. وأنا مطّلع على التفاصيل ومستعد للمناقشة في التفاصيل، لذلك قال أعضاء مجلس الأمن والمفتشون إنهم لم يعثروا على أي سلاح في العراق؛ لكنهم قالوا إنهم يحتاجون إلى مدة أكبر لكي يؤكدوا عدم وجوده. والدول الكبرى: فرنسا وألمانيا وروسيا والصين، طلبت تمديد فترة التفتيش. إن أمريكا لا يوجد لديها قرارٌ من مجلس الأمن، وما فعلته في العراق يخالف القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة الذي يقول إنه يجوز الدفاع عن النفس في حالتين: في حالة وجود اعتداءٍ مسلح؛ والعراق لم يعتدِ على أمريكا؛ وفي حالة وجود اعتداء «**وشيك**»؛ والعراق لا يمثل اعتداءً وشيكاً على أمريكا. وبالتالي، فأمريكا مخالفة للميثاق الدولي، ولا يوجد لديها قرار من مجلس الأمن يخوّلها شن الحرب.

تعليق سالم مشكور (الصحافي العراقي): نبدأ بكلام الدكتور خير الدين

---

(١) انظر: Condoleeza Rice, «Campaign 2000: Promoting the National Interest,» *Foreign Affairs*, vol. 79, no. 1 (January-February 2000).

حسيب الذي سمعته منه مراراً وتكراراً في ندوات سابقة. الدكتور يحاول أن يفصل بين الحرب الأخيرة والحروب السابقة والأحداث السابقة لها خلال العقدين الأخيرين، وأنا أعتقد أن هذا خطأ كبير جداً. الحرب الأخيرة هي نتاج لكل الجرائم السابقة، والحروب السابقة، ومنها حرب الكويت.

بالنسبة إلى صدام حسين، سواء بقي على قيد الحياة أو لم يبق، ليس مهماً، ولكن المهم أن كابوسه انتهى عن رأس العراقيين، وللأسف انتهى بيد الأمريكيين. وهذا ما ساقنا إليه المنطق الشوفيني العربي القومي الذي رعى الاستبداد ودافع عنه وبرر له وأوصل العراقيين إلى درجة يفضلون فيها الشيطان على صدام حسين. المشاهد التي عرضتها الفضائيات اليوم والأمس تؤيد ما كنا نقوله دائماً ونتحمل الشتائم والاتهامات بسببه. والرجل المسنّ الذي كان يمسك حذاءه ويضرب به صورة صدام حسين، أظن أنه كان يعبّر عن معاناة وعما يختلج في صدور العراقيين. نحن تعودنا كعرب أن لا نعترف بأخطائنا وأن لا نواجه أنفسنا، فنحن نكابر على جروحنا وعلى أخطائنا ونصرّ عليها. ومن كارثة إلى كارثة، والله أعلم إلى أين سنصل.

حسيب (رداً على سالم مشكور): أنا لا أحب أن أعلق على كلام الأخ سالم في ما عدا نقطة واحدة، وهي أنه تحدث عن تبرير حرب العراق على الكويت. إذا لم يكن قد قرأ موقفي، فيجب عليه أن يقرأه. نحن أول من عَقَدَ ندوة عن «**أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي**» في القاهرة في نيسان/ أبريل ١٩٩١[٢]. وفيها عبّرتُ عن رأي واضح ومنشور ضد اجتياح العراق للكويت، وبالتالي نرجو عدم الثرثرة في هذا الموضوع.

■ ***ستتحدث حول ارتباط اسم صدام حسين بالأحداث الكبرى، أريد أن أسمع تعليق د. خير الدين حسيب على النقاط التي أثارها الأستاذ غسان شربل حول المرحلة المقبلة.***

حسيب: في ما يتعلق بالقول إنه كان من الممكن إنقاذ العراق بتخلي الرئيس صدام حسين عن السلطة، فهناك وجهان للمسألة: هناك ناحية مبدئية، وأخرى عملية. من الناحية المبدئية لا ميثاق الأمم المتحدة ولا القانون الدولي، ولا قرارات

---

(٢) انظر: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٢ (بيروت: المركز، ١٩٩٧).

القمة العربية في بيروت وفي شرم الشيخ، ولا قرارات مجلس وزارء الخارجية العرب . . . إلخ . ، تسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد ومنها العراق، أو تغيير نظامه السياسي بالقوة. أمريكا هي صاحبة الفكرة وسَوَّقتها، وتمّ إخراجها عربياً. من حيث المبدأ القضية ليست قضية شخص معين، أو الرئيس صدام حسين أو غيره. لكن إذا حدث هذا، فسيقولون غداً للرئيس المصري إرحل، وللملك السعودي إرحل، وهكذا، وبالتالي تعينّ أمريكا حكاماً على بلدان المنطقة مثلما كان يعين الأتراك لنا ولاة على لبنان وغيره. من الناحية المبدئية لا يجوز هذا ولا يجوز لأحد أن يطلب هذا، ولا يجوز لنا نحن ـ وأياً كان الشخص الذي يُطْلَب منه التنحّي ـ أن نسمح أو نؤيد شيئاً من هذا النوع. الشعوب هي التي تقرر.

من الناحية العملية، الذي يعرف شخصية الرئيس صدام حسين، يعرف أنه لا يمكن أن يُقدم على عمل من هذا النوع.

■ *أي عمل؟*

حسيب: أن يتخلى عن السلطة ويرحل موفَّراً رأسَه، علماً أنه قبل بدء الحرب على العراق بيومين أو ثلاثة قال رامسفيلد إنه حتى لو تخلى صدام حسين عن السلطة، فنحن سنغزو العراق. فإذاً كل هذا الكلام عن التنحّي لا معنى له.

شربل: يؤخذ على الرئيس صدام حسين الإفراط في القسوة، فأية مراجعة للمحطات التي سبقته تظهر وكأن القسوة كانت حاضرة دائماً في التاريخ العراقي الحديث. لقد كانت ثورة عام ١٩٥٨ ثورة حقاً، لكن رافقتها مجزرة أنهت العائلة الحاكمة. وفي الوقت ذاته كانت نهاية عبد الكريم قاسم مأساوية. وقد قتل عبد السلام عارف بحادث هليكوبتر، ولم تكن نهاية عبد الرحمن عارف مأساوية لأنه استسلم ولم يتمسك بالقصر. ثم بعد ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ كانت القسوة حاضرة أيضاً، فالشركاء العسكريون الذين كانوا في ١٧ تموز/ يوليو، والذين فتحوا باب القصر الجمهوري ومكنوا «حزب البعث» من العودة إلى السلطة، أُبعدوا في ٣٠ تموز/ يوليو. الرئيس صدام حسين شخصياً وضع الرشاش في صدر عبد الرزاق النايف وأخرجه من القصر واقتاده بالسيارة وأخرجه من البلد إلى المنفى. حتى في ما سُمي بتجربة قائدين في قيادة واحدة، أعتقد أن الرئيس أحمد حسن البكر سلم السلطة وقبل بلقب الرئيس السابق كي لا يستحق لقب الرئيس الراحل. في السياسة العراقية هناك غياب للرحمة. دعنا نتذكر: عبد الإله عُلِّق وتم تقاسم جثته. نوري السعيد سُحل في الشوارع.

■ ***ما هو السحل أستاذ غسان؟***

شربل: السحل هو جزء من ممارسات القسوة، وأبلغني الضابط الذي أمر بمواراة جثة نوري السعيد، أن الناس كانت تبحث عن أجزاء من الجثة.

■ ***هي إذاً قريبة من قصة التمثال اليوم؟ أقصد حين تم التعاطي مع تمثال صدام حسين من خلال الصراع على القطع المتناثرة.***

شربل: المخيف اليوم هو يقظة هذه المشاعر بالثأر، وأنا كنت أقول إن العراق كله جروح، نحن اليوم يمكننا أن ننتقد موقف القوى الكردية، وهذا الجرح الجديد الذي أضافته العلاقة العربية ـ الكردية داخل العراق. لكن عندما نسمع مسعود البارزاني يتحدث عن ١٨٠ ألف قتيل منهم آلاف من عائلته: ثلاثة إخوة و٢٦ من الأقارب المباشرين على يد نظام الرئيس صدام حسين، يصبح لا بد من التوقف لفهم الدوافع الموجودة لدى الناس، وتأثير ما تختزنه الذاكرة على القرارات. الشيء نفسه في الجنوب، في الانتفاضة التي أعقبت حرب الخليج الثانية، لهذا السبب هناك خوف من مدرسة ترسّخ خيار إمّا القصر وإما القبر. هذه وقائع في التاريخ العراقي الحديث، للأسف مشاهدُهُ مؤسفة ومليئة بالجثث.

حسيب: الأخ غسان، أنا كنت خلال ما يُسمى بالحرب الأهلية في لبنان طيلة أحداثها. وما أستطيع أن أقوله هو أنه خلال الحرب الأهلية خلصتمونا نحن العراقيين من عقدة العنف والسحل وغيرها. . وأنتم فعلتم للأسف أكثر مما يفعله العراقيون. الغرائز عندما يُطلق العنان لها تصنع الكوارث. إذا عدتَ إلى كتب فرويد، تجد أن أصل الغرائز شرير، لكن الأخلاق والتهذيب يُؤَنْسِنَانِها. فيجب ألاّ ندخل في هذا، وأفضّل أن نتكلم عن مستقبل العراق من أن نتكلم عن ماضيه. أرجو أن تتأكد أنه لا يوجد لديّ أي وتر قطري، هذا الحسّ ميت عندي تماماً، وأنا أتكلم عن لبنان كما أتكلم عن العراق، وقس على ذلك.

■ ***د. خير الدين حسيب، واضح أن لا أحد يصدّق ما حدث اليوم، ولكن ما انعكاس ما جرى على الأنظمة، على الأمة العربية، على القومية العربية، هل لدينا خطة لمواجهة المرحلة المقبلة؟***

حسيب: أنا أعتقد أن إحدى إيجابيات هذه الحرب، على رغم كل الشهداء الذين استشهدوا، وعلى الرغم من التدمير المادي للعراق، هو أنها كشفت حقيقة هذه الأنظمة أمام شعوبها. عندما كنت أدرس في جامعة كامبريدج، كان لدينا أستاذ يدرسنا موضوع مشاكل الاقتصاد البريطاني المعاصر، وكانت هناك مشكلة في ميزان

المدفوعات تتمثل في أن هناك مبلغاً يمثل وديعة كبيرة أجنبية مودعة لدى بريطانيا، إذا سُحبت من بريطانيا إلى الخارج فيمكن أن يؤدي ذلك إلى انهيار نقدي، فسأله أحد الطلاب، قائلاً: إذا سُحِبَت هذه الوديعة فماذا يحدث؟ فقال له القضية تشبه امرأة تلبس فستاناً مفتوح الصدر ومن دون وجود ما يعلقه على رقبتها (Strapless Dress) والذي يجعل الفستان معلقاً ولا يسقط، ولكن الخوف هو مما يحدث إذا سقط الفستان. إن بوش سحب الفستان وسقط وعَرَّى الأنظمة. للأسف الشديد موقف الأنظمة العربية لم يأخذ بنظر الاعتبار ميثاق الدفاع العربي المشترك، ولا مؤتمرات القمة، وقرارات مجلس وزراء الخارجية العرب. أولاً المادة الثانية من ميثاق الدفاع العربي المشترك تعتبر أي اعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء على البقية، وتعتبر أنها كلها في حالة حرب. والمادة العاشرة من الميثاق لا تسمح لأي دولة عربية أن تعقد اتفاقية ثنائية مع أي بلد غير عربي يهدد الأمن القومي العربي. إذاً من المفترض أن هناك اعتداء أمريكيّاً ـ بريطانياً على العراق يجعل الدول العربية كلها في حالة حرب. ولا يجوز أن تعقد كل الدول الخليجية اتفاقيات ثنائية مع أمريكا. وفي القانون الدولي الاتفاقية الإقليمية لها أولوية على الاتفاقية الثنائية، ويعني ذلك أن ميثاق الدفاع العربي المشترك له أولوية على أية اتفاقات أخرى تناقضه. هذه المواقف النظرية والقانونية مؤسَّسَة للنظام العربي، لكن للأسف الشديد، فإن الدول العربية، وباستثناء سوريا ولبنان وإلى حد ما اليمن، هي ما بين «ساكتة» أو «خائفة» أو «متواطئة سراً» أو «علناً».

■ ***ولكن ماذا ترك صدام حسين لهذه الأنظمة حتى تقف معه؟***

حسيب: هناك واجب اسمه الواجب القومي، والحقيقة أن العراق لم يتخلّف عن أداء هذا الواجب تجاه البلدان العربية الأخرى. في عام ١٩٧٣، اشترك سرب عراقي كامل من طائرات «هوكر هنتر» في الجبهة المصرية وفُقِدَ معظمه في المعركة. وفي عام ١٩٦٧، اشترك العراق في الحرب. وإذا لم تكن الأنظمة العربية ترغب في الوقوف مع العراق، فإنها تنسى أن دورها سيأتي بعد سقوط العراق.

من المؤسف أن مصر لم تُسَوِّق فقط المشروع الأمريكي بطلب التنازل عن السلطة، ومن أجل تثبيت الموافقة الأمريكية على ولاية العهد في مصر، بل حاولت أيضاً أن تسوّق هذا الموضوع حتى لدى فرنسا وألمانيا. وأنا أرغب في أن تُكْشَف كل هذه الأمور. أما الدول الخليجية، فمن أراضي الكويت هاجمت القوات الأمريكية العراق، وكنت أتمنى أن لا تُقِدْمَ الكويت على هذا، لأن الخلاف سيتعدى كونه خلافاً ما بين نظامين، ليصبح خلافاً ما بين شعبين. لقد

قتلت الطائرات والجنود الذين انطلقوا من الكويت الشعب العراقي.

■ *الكويت يفصل بين النظام والشعب العراقي، وهم يرسلون مساعدات.*

حسيب: لا يموت إلا أبناء الشعب العراقي بسبب السماح للعدوان بالانطلاق من جواره. مقر القوات البرية في الكويت، ومقر القوات البحرية في البحرين، والمقر الذي يدير العمليات كلها في قطر، والمقر الذي تُدَار منه المعركة الجوية يقع في قاعدة سلطان في السعودية. وبالتالي، كما قلت لك، فالحكام العرب ما بين ساكت وخائف ومتواطئ سراً أو علناً، هذا هو الموقف. وقد تعرّى هذا الموقف.

■ *ما العمل إذاً؟*

حسيب: أنا أعتقد أنه أمامنا مرحلة، إما أن تأخذ فيها هذه الأنظمة موقف شعوبها وتتصالح مع شعوبها وتغير من سياساتها، أو أنها ستنتهي بشكل أو بآخر.

■ ***د. خير الدين حسيب أريد أن أختم معك حول صدام، عاشق السلطة المطلقة، ومواصفات صدام الشخصية، وكيف يراه من عملوا معه، وتداعيات الموضوع على القضية الفلسطينية؟***

حسيب: الموضوع ليس موضوع الرئيس صدام حسين ونظامه، والذين يقفون ضد الاحتلال ـ وأنا منهم ـ ليس دفاعاً عن النظام السابق ولكن موقفهم هو دفاعٌ عن العراق كوطن، ورفض للاحتلال الأجنبي كوسيلة لتغيير أي نظام عربي بما فيه العراق. وفي ما يتعلق بمستقبل العراق، وهل ستستمر المقاومة الآن أو ينجح الأمريكيون والبريطانيون في الاستيلاء الكامل على العراق، فأنا أعتقد أن المقاومة ستستمر، والمطلوب من الأنظمة العربية أن لا تعترف بأية حكومة يقيمها الاحتلال.

■ *برأيك، هل يمكن هذه الدول العربية أن لا تعترف بالحكومة؟*

حسيب: هذا سوف يظهر لاحقاً. ثانياً، أرى أن لا يتعاون أي عراقي وطني مع سلطات الاحتلال في مراكز سياسية وفي مراكز إدارية كبرى، مع الإقرار بالحاجة إلى تسيير الخدمات الضرورية، فهذه لا بد منها. على المستوى العربي أعتقد أن سوريا مهددة، ليس بالضرورة، بعملية اجتياح أو غزو، وسيُطلب منها أن تستجيب لمطالب محددة، مثل موضوع «حزب الله» في الجنوب ونزع سلاحه مع بقائه سياسياً، وتصفية مكاتب المقاومة الفلسطينية في دمشق، وبعض التغييرات الداخلية. إذا استجابت، قد يُرْفَع عنها الضغط، وإذا لم تستجب فقد يحركون إسرائيل وغيرها ضدها. الموقف

التركي موقف متميز، وهو أفضل وأشرف من موقف معظم الحكومات العربية للأسف الشديد. الموقف الإيراني كان موقفاً متردداً انتهازياً وقد تطور قليلاً مؤخراً، لكنه للأسف أقل كثيراً من الموقف التركي. وكان موضع خيبة أمل، على الرغم من أننا نعمل منذ خمس عشرة سنة على تطوير العلاقات العربية ـ الإيرانية. بالنسبة إلى القوى الشعبية، وهو ما تفضل به الأخ فواز، أنا أعتقد أن هذه الهجمة الأمريكية لا يمكن إيقافها إلا بشرط قيام كتلة تاريخية من التيارات الوطنية كلها: يسارية وقومية وإسلامية عروبية، لأن الكل مُهَدَّدٌ: الواحد تِلْوَ الآخر.

■ ***شكراً د. خير الدين حسيب.***

حسيب: أنا أقول لك إن ما حدث حتى الآن ليس إلا بداية الزلزال، وستكون له نتائج عربية وأمريكية وبريطانية.

(٧)

المقاومة العراقية: من هي؟ وما هي أساليبها؟(*)
(٢٥ آذار/مارس ٢٠٠٤)

● المبررات المعلنة. . . والأسباب الحقيقية لاحتلال العراق.

● انتهت الحرب الباردة وفجأة أصبح العراق ـ بدلاً من الاتحاد السوفياتي ـ الخطر الاستراتيجي رقم واحد.

● سلاح النفط هو الأداة الاستراتيجية لمنع أي منافسة لأمريكا على موقع الدولة العظمى الوحيدة.

● أرقام الضحايا الأمريكيين لعمليات المقاومة العراقية هي لحَمَلَة الجنسية الأمريكية. . . ومن عداهم لا يدخلون في الحساب.

● المجموعات المتعاملة مع الاحتلال الأمريكي والنظم العربية تتحمل معاً المسؤولية عما حدث وقد يحدث للعراق والوطن العربي.

● المخرج الأساسي لأمريكا من ورطتها في العراق هو في دور الأمم المتحدة.

● تاريخياً وعقائدياً ونضالياً. . . العراق لا يعرف الطائفية.

(*) أجرى هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب الدكتور محمد الهاشمي الحامدي على قناة «المستقلة» الفضائية في لندن يوم ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٤، وذلك ضمن برنامج «نبض الشارع»، ونشرت تحت عنوان: «حوار حول الملف العراقي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٣ (أيار/مايو ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠.

● الدولة الكردية مقبولة فقط إذا شملت كل أكراد المنطقة. . . أما أن تتحكم أقلية في أغلبية العراقيين فأمر غير جائز.

● للمقاومة العراقية أوجه كثيرة غير الوجه المسلح. . والمقاومة بالموقف، التي يبديها آية الله السيستاني، أحد أهم الوجوه.

● أنا أقول للعراقيين إن مصيرهم كله مشترك، ولا فرق بين إسلامي وقومي عربي وبعثي ويساري وشيعي وسني. . على العراقيين أن يتوحدوا، لأنه من دون الخلاص من الاحتلال لا يوجد أمل للعراق.

مشاهدينا الكرام في الموصل وبغداد والناصرية والبصرة وكل مدن العراق وأريافه. مشاهدينا الكرام في مكة المكرمة، في القاهرة، في القيروان، وفي مراكش، وفي كل أنحاء العالم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. أحييكم من قناة «المستقلة» في لندن، من منبر الحوار الديمقراطي الفكري والتاريخ والسياسة، وأقدم لكم على الهواء مباشرة هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم، برنامج نبض الشارع. في هذه الحلقة نستضيف الكاتب والمفكر العراقي والعربي المعروف الدكتور خير الدين حسيب. نركز على شخصيته العراقية وإن كانت غالبية كبيرة من المهتمين بالعمل العربي يعرفون الدور المتميز للدكتور خير الدين حسيب على الساحة العربية، مؤسساً ومديراً لمركز دراسات الوحدة العربية، ومؤسساً رائداً في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي والعديد من مبادرات العمل العربي المشترك في الجانب الثقافي عن طريق الطابع الأهلي. ولكن، كما قلت، في هذه الليلة نتحدث إلى مواطن عراقي وإلى كاتب عراقي وإلى سياسي عراقي سبق أن عمل في الستينيات محافظاً للبنك المركزي العراقي بدرجة وزير، وفي السنوات الماضية هو مثل غيره تابع تطورات القضية العراقية وشارك في ندوات كثيرة حولها، ولا شك في أنه تحدث إلى شخصيات عراقية كثيرة أيضاً حول ما جرى وحول ما يجري. والليلة، مشاهدينا الكرام، نستطلع رأي الدكتور خير الدين حسيب في ما جرى في العراق. تذكرون بعد تلك المقابلة التي أجريتها معه السنة الماضية قبل الغزو، أو أكثر من سنة من الآن، وتوقعاته للأمور. الخطة إذاً الغربية في غزو العراق نفذت ومضى الآن على سقوط بغداد أكثر من سنة، ويتوقع أن تتغير الأوضاع أيضاً بشكل جوهري في الثلاثين من حزيران/ يونيو. وهناك الآن قانون انتقالي للدولة العراقية أو دستور مؤقت جديد. فكيف يقيم د. خير الدين حسيب كل ما جرى في بلاده، وكيف ينظر إلى مستقبلها. هذا هو بشكل عام المحور الرئيسي لهذه المقابلة، وإن شاء الله نعطيكم فرصة في جزء منها للمشاركة بها في مداخلات وتعليقات.

■ ***د. خير الدين حسيب أهلاً وسهلاً بك. البداية هي بسؤال بسيط جداً، ولكن طويل جداً، ما رأيك في ما جرى في العراق؟***

حسيب: من الأسباب المعلنة لاستهداف العراق كان موضوع أسلحة الدمار الشامل وعلاقة العراق بالقاعدة وبالإرهاب. وتبينّ الآن بما لا يقبل الشك أنه لا توجد أسلحة دمار شامل، ولم تثبت أية علاقة للنظام السابق بالقاعدة، وبالتالي لا بد من التساؤل عما هي الأهداف الحقيقية لأمريكا في العراق؟ أنا لا أريد أن أعود إلى تفاصيل من الماضي، لكن أعتقد أن استهداف العراق بدأ في أوائل عام ١٩٨٩، حوالى فترة انتهاء الحرب الباردة، وحين عين شوارزكوف قائداً لقوات التدخل السريع (المركزية)، وطلب منه زيارة الشرق الأوسط وتقييم الأخطار التي تواجه أمريكا في الشرق الأوسط. وفي أواخر عام ١٩٨٩، وهذا كلام يصفه في مذكراته التي نشرها بعد عاصفة الصحراء (الفصل الأول كان عن حرب فيتنام، والفصل الثاني عن عاصفة الصحراء)، وفي أول ستين صفحة من القسم الثاني من الكتاب الذي عنوانه *(It Doesn't Take a Hero)*[(١)]، حيث يصف جولاته، ثم يقول إنه في أواخر ١٩٨٩ قدم تقريراً يقول فيه إن الخطر الأول والرئيس على مصالح الولايات المتحدة هو العراق. بالإضافة إلى هذا، فإن قوات القيادة المركزية الأمريكية تقوم كل سنة بتمرين (سنة ١٩٩٠ خطط التمرين على أساس أن العدو هو العراق، وليس الاتحاد السوفياتي كما كان في السابق). ويسرد تفاصيل التحضيرات والأهداف التي تقصف. وبدأ فعلاً التدريب في تموز/ يوليو ١٩٩٠ وتداخل مع الحرب. ولهذا لاحظنا أنه في أول عام ١٩٩٠ بدأت الحملة الإعلامية على العراق حول «المدفع الكبير» وما شابه لتمهيد الرأي العام الغربي.

كذلك تبينّ أن موضوع العراق لا علاقة له بموضوع ١١ أيلول/ سبتمبر، بل كان هذا عاملاً مساعداً في الإخراج فحسب. في عام ١٩٩١ بعد انتهاء الحرب، شكلت لجنة برئاسة تشيني، وكان وزير الدفاع، لوضع استراتيجية للولايات المتحدة. وتسرب بعض المعلومات عنها إلى جريدة **نيويورك تايمز**، وجزء من هذه الاستراتيجية يقول إن الولايات المتحدة لن تسمح بأي حال من الأحوال أن تنافسها دولة أخرى أو مجموعة من الدول، وأنها ستكون هي القوة الأعظم الوحيدة في العالم. وأثارت هذه التسريبات ضجة كبيرة في العالم، ثم أعادوا النظر فيها في عام ١٩٩٢.

بعد ذلك، وبسبب خسارة بوش الأب في الانتخابات، تأجلت العملية إلى ما

---

(١) انظر: H. Norman Schwarzkopf, *It Doesn't Take a Hero: General H. Norman Schwarzkopf, the Autobiography*, written with Peter Petre (London: Bantam Press, 1992).

بعد عام ١٩٩٧ حين شكلوا مجموعة أخرى باسم القرن الأمريكي القادم، ثم جاء بوش الابن في عام ٢٠٠١، وبدأ بالتنفيذ. هناك مؤشرات كثيرة حول هذا: وزير الخزانة الذي استقال أونيل. بوب وودورد في كتابه: **بوش في حالة حرب**(٢)، يقول في أول اجتماع حدث بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، إن مجموعة رامسفيلد وولفويتز طرحت الهجوم على العراق قبل التحقق من الجهة التي نفذتها، وكان جواب بوش الابن أن حضّروا الخطط الموجودة لديكم وسننظر فيها. إن موضوع ١١ أيلول/ سبتمبر ساعد في إخراج موضوع الحرب. والسؤال هو: إذا كان العراق لا توجد لديه أسلحة دمار شامل، وليست له علاقة بالقاعدة، وكولن باول نفسه يقول إنه لم يثبت وجود علاقة له مع القاعدة، فما الغرض من وراء غزو العراق؟

لقد قررت أمريكا أن لا تسمح لأي دولة أو مجموعة دول بأن تنافسها على زعامة العالم، أو أنها ستكون أكبر دولة في العالم، فكيف لها أن تقوم بهذا، كيف ستمنع الاتحاد الأوروبي من أن ينافسها، وكيف تمنع الصين والهند والدول الأخرى؟ إن كونها متفوقة بالأسلحة لا يكفي. لأنه إذا تفوق الاتحاد الأوروبي عليها اقتصادياً، ماذا تفعل، هل تهاجمه؟ فهذه أيضاً قوى نووية. لقد كان من الضروري الإمساك بورقة النفط، ليس بمعنى الحصول على حاجات أمريكا، لا، وإنما الإمساك بورقة النفط في العالم كله. العراق لديه ثاني احتياطي في العالم، والمناطق النفطية كلها ستتم السيطرة عليها، مثل الذي حدث في بلدان وسط آسيا. إن الغرض هو الإمساك بالورقة النفطية، لأن أوروبا تعتمد على النفط، وكذلك الصين والهند واليابان، فبذلك ستكون لدى أمريكا ورقة اقتصادية تتحكم فيها، في التصدير وفي الأسعار.

■ ***لسائل أن يسأل، أمريكا تتعامل مع دول نفطية كثيرة من دون أن تغزوها، وعلاقاتها بها طيبة، فما الذي يدعوها إلى الحرب إذا كان يتعلق الأمر فقط بالسيطرة على النفط والتحكم فيه؟ لقد كان من الممكن أن تقيم علاقات طيبة مع العراق كما تقيمها مع الدول الأخرى، وربما أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين بأخطائه الكثيرة والكبت الشديد الذي قام به في العراق هو الذي سهّل عليها الأمر، والدليل على ذلك أن أمريكا احتلت العراق وتحكمه، وبسرعة شكلت مجلس حكم فيه أبرز القوى السياسية العراقية، يعني: «الإخوان المسلمون» و«حزب الدعوة» و«الحزب الشيوعي».***

حسيب: لو أمسكت أمريكا بورقة النفط، وخفضت سعر النفط إلى ١٠ دولارات، ستتوقف روسيا مثلاً عن التصدير لأن الكلفة عندها عالية، فهي تستطيع

---

(٢) انظر: Bob Woodward, *Bush at War* (New York: Simon and Schuster, 2002).

أن تؤثر في اقتصادات المناطق المختلفة إذا أمسكت بورقة النفط. وإذا لم تمسك بها، فإن أوروبا ستتعامل مباشرة مع الدول المنتجة، وكذلك اليابان. هذا هو **السبب الأول**

أما **السبب الثاني** غير المعلن فهو العراق كموقع استراتيجي وكبداية لشيء أوسع. وهذا لم يخفه الأمريكيون، فكولن باول وغيره صرحوا بأن العراق هو بداية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

■ ***أمريكا تريد أن تكثف وجودها في العراق إذا أرادت أن تحتل الدول الأخرى؟***

حسيب: الهدف هو السيطرة والهيمنة، أمريكا عندها قوات موجودة في الكويت، وفي البحرين، وفي قطر، وفي الإمارات، وفي عدن، وفي السعودية نجد الأمريكيين خائفين من قواعد الإرهاب، فنقلوا قسماً من قواتهم هناك إلى العراق وإلى قطر.

السبب الثالث هو إسرائيل، فالعراق كان يشكل خطراً على إسرائيل، وبالتالي هذا كان هدفاً إسرائيلياً أمريكياً مشتركاً. إذا قرأت محضر الاجتماع الذي حصل بين د. سعدون حمادي وهنري كيسنجر في السفارة العراقية في فرنسا حول موضوع إسرائيل، ترى التباين في السياستين(٣).

العراق هو البداية بالنسبة إلى أمريكا، فإذا نجحت في الاستقرار في العراق والقضاء على المقاومة، فإني أعتقد أن الخطوة الثانية ستكون سوريا فإيران ومصر والسعودية.

أولاً: المقاومة. . . من؟

■ ***إذا نجحت في القضاء على المقاومة، هل لديك أي صورة عن هذه المقاومة في العراق، ما هويتها؟ هل يعرف أحد إذا كانت هناك مقاومة أو لا؟ هناك أعمال، نعم، لكن هل يوجد جسم عسكري، جسم سياسي؟ هل توجد مطالب وهل توجد رؤية؟***

حسيب: في الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ما بين ٨ ـ ١١ آذار/ مارس ٢٠٠٤(٤). كان ثمة حوالى ١٣٥ مشاركاً، ٥٠ منهم كانوا عراقيين، ٤٠

---

(٣) انظر نص الوثيقة بالعربية كما نشرت في جريدة **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤. ويجد القارئ صورة لها في الصفحة ٤٥٦ من هذا الكتاب. أما النص الأجنبي للوثيقة، فيجده في الصفحة ٤٤٧ من هذا الكتاب.

(٤) انظر: **احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ٢٠٠٤).

من الداخل و١٠ من الخارج. لا أحد منهم استطاع أن يعطي صورة متكاملة، إنما كلٌ يتحدث عن المنطقة الموجود فيها، وتبيّن أن الأربعين شخصاً الذين أتوا من داخل العراق، معظمهم لا يعرف بعضهم بعضاً سابقاً، وبالتالي لا يوجد تبادل معلومات بينهم حول المقاومة. إنني أتابع ما ينشر في التقارير الأمريكية والصحافة البريطانية وحتى الإسرائيلية. وهناك تقارير متناقضة بين ما يصرح به بريمر والقادة الأمريكيون في المناطق المختلفة وبين ما ينشر في الصحافة، بمعنى أن بعض التقارير الأمريكية يشير إلى أن ٩٥ في المئة من المقاومة هم من أتباع النظام السابق، فيما هنالك تقارير تقول إن النظام السابق أعدّ للمقاومة قبل سنة، وأن قياداتها لا علاقة لها بالقيادات السياسية. في الحقيقة أنه من الصعب أن تحدد من يقوم بالمقاومة. أما بشأن ما يقال عن القاعدة، فلم تقدم قوات الاحتلال في العراق أي دليلٍ حتى الآن عن وجود أعضاء منها من الذين اعتقلتهم وحققت معهم. هناك بقايا من جماعة تسمى «أنصار الإسلام» وهم كانوا في منطقة حلبجة في السليمانية، وقبل الحرب وفي أثناء الحرب قصفتهم القوات الأمريكية بالتعاون مع حزب «الاتحاد الوطني الكردستاني»، وهو تابع للأخ جلال طالباني وقضي على معظمهم، وبقي قسم يقدره البعض بمئة، ويقدره البعض الآخر بأكثر، قيل إنه تسرب إلى بغداد ويقوم بأعمال مقاومة.

■ ***ما هي الحقيقة عن الضحايا بين القوات الأمريكية؟***

حسيب: هناك مقاومة، ويجب أن نعرف أن الأرقام التي تنشر عن ضحايا القوات الأمريكية ليست صحيحة. لماذا؟ لأن الجيش الأمريكي الموجود في العراق مؤلفٌ من أربعة أقسام: قسم **أول** من الجنود يحمل الجنسية الأمريكية، والأرقام التي تنشر عن القتلى هي الأرقام الحقيقية. القسم **الثاني** من جنود مقيمين في الولايات المتحدة لديهم إقامة (غرين كارد)، وهؤلاء لا تنشر الخسائر البشرية بينهم، وهناك اتفاق مع عائلاتهم على أن قوات الاحتلال ليست ملزمة بإعادة جثثهم إلى أمريكا. وهناك مجموعة **ثالثة** ليست لديها جنسية أمريكية ولا «غرين كارد»، ولكن جنودها تطوعوا على أمل أن يحصلوا بعد الحرب على الجنسية، وهؤلاء كذلك لا يدخلون في الحسابات. أما القسم **الرابع** فيتعلق بمن يقومون بالخدمات العسكرية كخدمات الطبخ والغسيل، وهي خدمات خصخصتها أمريكا في السنوات الأخيرة. وقد أوكلت هذه الخدمات إلى متعهدين أمريكيين. والخسائر التي تحصل في أوساط هؤلاء الجنود والعاملين لا تحسب، كما أن قسماً من هؤلاء من المترجمين. وبالتالي فإن الأرقام التي تنشر عن الضحايا القتلى ليست الأرقام الحقيقية. سأعطيك مثالاً إضافياً: الجرحى الأمريكيون ينقلون إلى قاعدة أمريكية في ألمانيا، وفيها مستشفى وهو أهم مستشفى. وقد صرحت مديرة المستشفى قبل حوالى أربعة أشهر في مقابلة مع صحيفة

أمريكية بأن عدد الجرحى من الجيش الأمريكي الذين وصلوا إلى هذا المستشفى كان ٧٧٣٢ في ذلك الوقت. هذا عدا الجرحى الذين نقلوا ليعالجوا في العراق وفي الكويت.

■ ***نسبة كبيرة من العراقيين الذين عاينوا تفجيراتٍ في مدارس أو مواقع مدنية عراقية، لديهم حيرة في هذه المسألة، ما الذي يجري في العراق؟ علماً بأن العمل العسكري يحتاج إلى قيادة سياسية وإلى أهداف سياسية.***

حسيب: العراق غابة مكشوفة، ويمكن القوات الخاصة الأمريكية أو مجموعات إسرائيلية أن تقوم بعمليات، كما يمكن ذلك لقوى أخرى. إن الذين يأتون من العراق من العراقيين يؤكدون أن تركيز المقاومة هو على قوات الاحتلال. الأحداث التي تحصل بالنسبة إلى المتطوعين في الشرطة ناجمةٌ عن أن هؤلاء يعتبرون متعاونين مع قوات الاحتلال، وأنهم مسؤولون عن محنة الشعب العراقي. ويقال إنهم لا يهاجمونه مباشرة، بل ترسل إليهم تحذيرات بترك الخدمة. ولست أدري ما صحة هذا الكلام. ولكن من حيث المبدأ أعتقد أن استهداف المدنيين عمل يسيء إلى المقاومة ويمرر مخططات أجنبية.

■ ***هل هناك أي جناح سياسي لهذه المقاومة، بناءً على ما قلت؟***

حسيب: أنا لا أعمل هناك، إنما تصلني بالبريد الإلكتروني تفاصيل عن عمليات المقاومة العراقية كل يوم. بالنسبة إلى البرنامج، أنا واحد من الذين يتساءلون في هذا الموضوع. البعض يقول إن القضية لا تحتاج إلى تعقيدات، فهناك هدفان أساسيان هما: التحرير والديمقراطية، والأمر لا يحتاج إلى الكثير من التفلسف والتعقيد. وإن المقاومة في وضعها الحالي لا تستطيع أن تطرح برنامجها لأن ذلك قد يثير خلافات، أو قد يكشفها سياسياً.

■ ***هل هناك أية منظمة سياسية تطرح أهدافاً معلنةً ولها علاقة بالمقاومة؟***

حسيب: هناك بيانات تطلع باسم حزب البعث، ولا أدري إلى أي مدىً للحزب علاقة بالمقاومة أو مدى سيطرته عليها.

ثانياً: الانتخابات بين الشرعية واللاشرعية

■ ***هل سمعت بالتحالف الوطني العراقي؟***

حسيب: هناك قوى سياسية كثيرة ظهرت في العراق، والانتخابات ستبيّن حقيقة هذه الأحزاب إذا جرت انتخابات حقيقية.

■ ***إذا أرادت أن تدخل الانتخابات، وتقول إنها تبيّن أوزان الأحزاب، فهذا يتناقض مع قضية المقاومة، لأن الأمريكيين يقولون: أيها العراقيون لا حاجة لرفع السلاح والمقاومة لأننا أيضاً سنسلمكم السيادة في الثلاثين من حزيران/ يونيو.***

حسيب: الأمريكيون يقولون كذلك إنه في ٣٠ حزيران/ يونيو سيسلمون السيادة للحكومة المؤقتة، ولكن سيكون عندهم قواعد عسكرية في العراق.

■ ***يبقون كأصدقاء بطلب من الحكومة الجديدة.***

حسيب: من يضمن لهم أن الحكومة ستضمن لهم البقاء في العراق، إلا إذا كانت حكومة من صناعتهم؟ العراق له تاريخ عريق من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٥٨: مقاومة الاحتلال البريطاني. ما هو الفرق؟

■ ***الفرق كبير الآن: الأمريكيون معهم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ومعهم حزب الدعوة، والحزب الإسلامي العراقي السني، والحزب الشيوعي، على الأقل أربعة من الذين أذكرهم، وأعتذر من الإخوة الذين يسمعوننا إذا نسيت أسماء أحزابهم. الآن يقولون إنه معنا الأحزاب الرئيسية في العراق ما عدا حزب البعث، فإذاً ستكون الحكومة في النهاية من روح هذه التيارات.***

حسيب: ألا يوجد تيار قومي في العراق؟

■ ***أنا أعرف أن هناك بعض الناصريين.***

حسيب: ليس تيار ناصريين، هناك تيار قومي عريض، ولا تنسَ أن أكثر من ٨٠ في المئة من الشعب العراقي عربي.

■ ***يدفع ثمن سياسة الرئيس صدام، هكذا يقولون.***

حسيب: اليوم هناك تصريح لآية الله السيد السيستاني يقول إن النظام السابق لم يكن طائفياً، كان دكتاتورياً. وبالتالي لا يمكن أن تحاسب قطاعاً كبيراً من الشعب على أساس ما عمله نظامٌ لم يمارس الديمقراطية حتى داخل الحزب.

■ ***الذي يجعل أمريكا في وضع مريح، أن هذه التيارات الرئيسية موافقة ومتعاونة ويقولون إنهم سيتعاونون مع الأمريكيين من دون مقاومة لبلورة وضع جديد.***

حسيب: هذه التيارات كانت في الخارج، وهذه تعاونت مع الأمريكيين في الاحتلال وجاءت على الدبابات الأمريكية، وأنا لا أريد أن أدخل في التفاصيل حول أشخاص بعينهم. لكن مجلس الحكم أغلبيته أشخاصٌ جاء بهم الأمريكيون، ولدى الأمريكيين أكثرية في كل ما يتفرع عن هذا المجلس: الوزراء، مجلس إعداد الدستور.

لذلك، فهذا المجلس غير شرعي، ولا يمثل أغلبية الشعب العراقي، وسيتبين ذلك عندما تُجرى الانتخابات، إذا جرت.

■ ***سنأتي إلى موضوع الانتخابات بعد لحظات، ولكن السؤال الذي يدور في خاطر الكثيرين وهم يشاهدونك.***

مشاهدينا الكرام هذا البرنامج يأتيكم مباشرة من قناة «المستقلة»، وضيفنا هو د. خير الدين حسيب، هو السياسي والكاتب والمفكر العربي والعراقي والمدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية، والمؤسس الرئيسي لمنظمات عربية كثيرة، منها المؤتمر القومي العربي، والمؤتمر القومي الإسلامي. السؤال الذي يدور في خاطر الكثيرين من الناس ولا يزالون يبحثون عن إجابة عنه: كيف تيسّر للجيش الأمريكي ومن سانده من الجيوش الأخرى أن يحتل العراق كلها ويدخل بغداد في ثلاثة أسابيع تقريباً؟

حسيب: الاستفسار الأصح هو: من كان يتصور أن بإمكان الجيش العراقي المحاصر منذ ١٣ سنة وخرج من حرب الخليج بعد الكويت، أن يقاوم أمريكا بكل جبروتها العسكري والتكنولوجي لثلاثة أسابيع؟

■ ***لماذا قاوم العراقيون في أم قصر والناصرية، ثم انهارت الأمور في الطريق إلى بغداد، وكان الكثيرون من الكتاب العرب يتوقعون أن تدوم المقاومة لأشهر؟***

حسيب: أنا لست عسكرياً كي أفهم بالأمور العسكرية، لكني أتابع ما ينشر في الصحافة الأمريكية، وأتابع التقارير التي تصدر عن مراكز الدراسات حول الحرب. في البنتاغون يقولون إنه نتيجة الغارات المستمرة التي شنّت على بغداد، حتى قادة الجيش الأمريكي الموجودون في القطاعات لم يكونوا يعرفون أنهم سيدخلون بغداد بالسرعة التي دخلوا بها، لأنهم كانوا قد قضوا على أي مقاومة أخرى. الحرب غير متكافئة ولا يمكن أي عاقل أن يتصور أن يتغلب الجيش العراقي أو يهزم الجيش الأمريكي.

■ ***لو كان للنظام العراقي أي قدر من المشروعية، كان يمكن الجنود أنفسهم أن يتفرقوا، ثم تظهر مقاومة بشكل من الأشكال. السؤال المحير أن أم قصر عسكرياً واجهت وأخرت تقدم التحالف لمدة وكذلك الناصرية، فكيف تبخرت مئات الآلاف من الجنود في طرفة عين؟***

حسيب: أنا لا أستطيع أن أجيبك، لأنني لا أعرف ماذا كان يدور في داخل النظام، لكن تبيّن أن التقارير أو المعلومات التي تسربت عن أنه كانت هناك خيانة ليست صحيحة. إن الأشخاص الذين ذُكرت أسماؤهم موجودون في السجن، وكما ذكرت لك كان يقال إن النظام كان يعتقد أنه لن يستطيع أن يقاوم أمريكا وهيأ للمقاومة من حيث المال والتدريب والسلاح.

■ ***إذاً أنت تقول إن ثمة احتمالاً بأن ما هو موجود هو مقاومة النظام؟***

حسيب: ممكن، وهناك تقارير بهذا المعنى. حتى سكوت ريتر[٥] الذي كان من المفتشين الدوليين عن الأسلحة يقول إنه في عام ١٩٩٦ ذهب إلى مكان قريب من أبو غريب على أساس أن يبحث عن أسلحة دمار شامل، فرأى مؤسسة تعلم العراقيين كيف يصنعون متفجرات يدوية، فاستغرب وذهب إلى مكان آخر قرب معسكر الرشيد، فرأى مدرسة أخرى يعلمونهم فيها كيف ينسفون الدبابات ويستعملون المواد المنتجة محلياً. جاء هذا في مقالة نشرها في إحدى الصحف الأمريكية، ويقول فيها إنه قدم تقريراً حول هذا الموضوع وبعث نسخة منه إلى المخابرات الأمريكية (سي. آي. إي.). هناك معلومات وردت في تقرير نشره الصحافي العربي علي بلوط في **الدايلي ستار**[٦]، ونشر في عدد من الجرائد: **الشراع** و**العربي** وغيرهما، تشير إلى تحضيرات قبل سنة. قد تكون صحيحة، وقد لا تكون صحيحة. لكن الأمريكيين أنفسهم يعترفون الآن بأن هذه العمليات نوعية، إذ من يمكن أن يسقط الأباتشي؟ ثم على ماذا يدل النجاح بمنع قوات الاحتلال من استعمال مطار بغداد؟

■ ***هل أفهم أنك ترجّح أن الذي يجري الآن له علاقة بشكل أو بآخر بترتيبات للحكومة العراقية السابقة؟***

حسيب: لا يوجد احتلال في العالم تم ولم تظهر مقاومة لهذا الاحتلال، وبالتالي ظهور المقاومة أمر طبيعي، لكن يجدر الانتباه إلى أنه عادة ما بين بدء الاحتلال والمقاومة، تمضي شهور أو أكثر، أما المقاومة في العراق، فبدأت بعد أيام. وقد ساعد على ذلك حل الجيش والقوات الأمنية الأخرى.

■ ***الجيش العراقي يقول مثلاً إنه كان هناك حجم كبير من الخوف والضغط الذي تمارسه الحكومة، وعندما رأوا الأمريكيين قادمين رأوا أن الدولة ضعفت هيبتها، وكذلك الحكومة، وكذلك الرئيس صدام حسين. فانفرط عقدهم وكل واحد أخذ سلاحه وذهب. أنا أقول هذا السؤال لأن بعض الحكومات العربية الأخرى يمكن أن تهاجم، والنظرية هذه تقول إن هناك في بعض الدول وضعاً شبيهاً بالعراق تماماً، لأن الناس فعلاً مكبوتة بشكل هائل، وإذا جاء الأجنبي، فحتى الجيش نفسه سيغتنم الفرصة ويخرج على الحكم.***

حسيب: يعني في حدود ما نقل من تقارير، وبخاصة ما نقله الصحافيون

---

(٥) انظر: Scott Ritter, «Defining the Resistance in Iraq: It's Not Foreign and It's Well Prepared,» *Christian Science Monitor*, 10/14/2003.

(٦) انظر: Ali Ballout, «Is Saddam Hussein's Post-War Plan Unfolding?,» *Daily Star*, 21/8/2003.

البريطانيون في صحيفتي **الغارديان والإندبندنت** وغيرهما، الشعب العراقي لم يقاوم ولكن لم يرحب بالاحتلال.

■ ***بعد مئات السنين سيقال إن أمريكا دخلت إلى العراق في نيسان/أبريل وعملت مجلساً مؤقتاً شاركت فيه الأحزاب الرئيسية التي ذكرتها لك.***

ثالثاً: أحزاب الخارج مسؤولة

حسيب: هذه الأحزاب كانت في الخارج. النظام على مدار ٣٥ سنة لم يسمح لأي قوة سياسية أخرى بأن تمارس العمل السياسي أو التنظيم السياسي، حتى حزب البعث كان يعمل كجهاز من أجهزة الدولة الأخرى، ولم يكن حزباً يمارس عملاً سياسياً. وبالتالي الناس تحتاج إلى وقت لتنظم نفسها وتعطي رأيها. ثم كم «حزب دعوة» موجود؟ هل هناك واحد فقط؟ ثم كم «حزباً شيوعياً» موجود؟ لا أريد أن أدخل في التفاصيل. هذه القوى لا تمثل الشعب العراقي، وهي مسؤولة عن مساعدة الأمريكيين في احتلال العراق وما سيترتب على ذلك على المنطقة العربية كلها.

■ ***ما الذي يدفع أي بلاد في أي مكان في العالم أن تجلب الاحتلال لنفسها؟ لا بد من أن تكون هناك أوضاع شاذة أو غريبة، أو أن يصبح الاحتلال أحسن من النظام القائم.***

حسيب: أكيد كان هناك وضع شاذ وغريب، ولكن هل العلاج هو الاحتلال؟ هناك كتاب صدر بالإنكليزية قبل حوالى ثلاثة أشهر، اسمه *Weapons of Mass Deception*[(٧)]، ترجم إلى العربية وصدر منذ فترة قصيرة، هذا يبين لك إلى أي حد الإعلام والتضليل والدعاية أدت دوراً في الحرب. يروي لك أشياء من قبيل أن هناك شركة علاقات عامة هي التي أسقطت تمثال صدام حسين. هذه الشركة استأجرت ١٤٣ شخصاً لإسقاط التمثال، ولا يظهر ذلك على شاشات التلفزيون. وهو يحكي قصصاً عن الحرب مع الكويت والصراع في داخل الكونغِرس حول الموافقة أو عدم الموافقة على الحرب ضد العراق في عام ١٩٩١.

---

(٧) انظر: Sheldon Rampton and John Stauber, *Weapons of Mass Deception: The Uses of Propaganda in Bush's War on Iraq* (New York: Jeremy P. Tracher/Penguin, 2003).

وقد صدر الكتاب بالعربية تحت عنوان: **أسلحة الخداع الشامل: استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق** (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤).

■ ***أنا قرأت فقط غلاف الكتاب، الزميل جهاد الخازن يقول لو كان الأمر بيدي لجعلت كل ناخب أمريكي يقرأ الكتاب، ولترجمته ووزعته مجاناً في كل بلد عربي، وخصوصاً العراق، ولعل جامعة الدول العربية تفعل. وواضح أن الجامعة لم تفعل. الدار العربية للعلوم هي التي بادرت.***

حسيب: هذا الكتابَ يشرح كيف أن شركة العلاقات العامة التي جاءت مع الأمريكيين هي التي اخترعت فكرة «المؤتمر الوطني العراقي»، وهي التي اختارت الشخص الذي يرأسه.

■ ***هل يمكن أن يقول لك هذا الشخص نفسه العكس: أنا وظفت المسألة لأن لي عدواً هو صدام حسين؟***

حسيب: ما تعاملت قوى كبرى مع أشخاص أو تنظيمات إلا وكان ذلك لمصلحة القوى الكبرى. عندما اتفق النظام في العراق مع شاه إيران، سقطت الحركة الكردية في ٢٤ ساعة. الكونغرس عمل تحقيقاً للجنة يسميها «Pike's Committee» وفيها كل البرقيات، وبعد أن انتهت حاجتهم إلى الأكراد انتهت حركة هؤلاء بسرعة.

■ ***للتاريخ، د. خير الدين حسيب، حتى لو أرادت أمريكا أن تخطط كل هذه المؤامرات، لا يمكنها أن تفعل ذلك إلا بوجود ما يبرر تدخلها. لا يمكنها بسهولة مثلاً أن تقول: أنا أريد أن أغزو مصر، إذ على الرغم من كل المشاكل الموجودة فيها، هناك تيارات وطنية عديدة مختلفة مسموح لها بالعمل. هل لك أن تقول كمفكر قومي عربي إن حزب البعث بقيادة الرئيس صدام حسين مارس من الظلم الشديد ما جعل العراق هدفاً سهلاً للطامعين؟***

حسيب: النظام مسؤول عن هذا، لا شك. لكن معيار النظام في الظلم لم يكن على أساس طائفي. إذا كان هناك شيء جيد في النظام، فهو العدالة في الظلم.

■ ***الآن سنتوقع رؤساء عرباً مسؤولين، قادة يحضرون الحوار، رؤساء أجهزة الاستخبارات يقيمون الآن ويحصلون على معلومات جديدة. بصفتك شخصية عراقية معروفة، يهمني أن يسمعوا منك لأن الكثير منهم ارتكبوا في بلدانهم أعمالاً بشعة، وهذا ما نخاف منه. هذا الاستبداد سيؤدي بالوطن العربي إلى داهية.***

حسيب: العرب يتحملون مسؤولية ما حصل، الحرب لم تكن حرباً أمريكية ـ عراقية، كانت حرباً أمريكية ـ عربية على العراق.

■ ***ماذا تقصد بعربية ـ أمريكية؟***

حسيب: الدول العربية من دون استثناء. الدول العربية كانت ما بين «ساكت»

أو «خائف» أو «متواطئ علناً» أو «متواطئ سراً». إن العرب مسؤولون، وبخاصة أن اتفاقية الدفاع العربي المشترك تقول: إذا تعرضت دولة عربية إلى اعتداء، فالدول العربية كلها ملزمة بالدفاع عنها بما فيها استعمال جيشها. وكذلك إذا هُددت عسكرياً من دولة غير عربية، فالدول العربية ملزمة بردّ التهديد عنها. وكذلك لا يجوز لأية دولة عربية أن تعقد اتفاقية عسكرية أو أمنية مع أية دولة غير عربية تؤثر في الأمن القومي العربي. فأين موقف الدول العربية من ذلك؟

■ ***أنت تعرف أنهم يحكون في بعض الجرائد أنهم يجتمعون في القمة ويعرفون أن الآخر يكيد لهم.***

رابعاً: مسؤولية النظم العربية

حسيب: القوات الأمريكية من أين أتت؟ هناك قوات جوية وقوات بحرية وقوات برية، وقد جاءت القوات الأجنبية من خلال دول عربية، ولو لم تسمح هذه الدول «العربية» للقوات الأمريكية والبريطانية باستعمال أراضيها وقواعدها لما استطاعت غزو العراق. وكان الموقف التركي أفضل من مواقف هذه الدول العربية.

■ ***الآن نعود إلى موضوع العراق، نتحدث عن المستقبل حتى الدروس الماضية أو ظروف ما جرى، أولاً عندما جاء خبر اعتقال صدام حسين، هل فوجئت؟***

حسيب: أنا كنت أتابع يومياً الإعلام الأمريكي والبريطاني والإسرائيلي. يبدو أن الأمريكيين استطاعوا أن يحدّدوا المنطقة التي تنقّل فيها صدام حسين وقسموها إلى قطاعات وبدأوا يفتشون في كل قطاع. وهناك روايات مختلفة عن واحد من أقربائه أو حرسه الخاص، أوقف وانهار واعترف وساعدهم، وروايات عن أشياء أخرى. لكن لم يكن الأمر مفاجئاً كثيراً وأنا لا أعرف لماذا أوقفوه ثم اعتبروه أسير حرب.

■ ***إذاً د. خير الدين حسيب، هل هناك أي أسرار في موضوع التعامل الأمريكي مع اعتقال صدام حسين، خلال فترة اعتقاله وما بعدها؟***

حسيب: موضوع أمريكا والديمقراطية في العراق كذبة كبرى، أولاً انقلاب عام ١٩٦٨ الذي قام به أساساً عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود انقلابٌ أمريكي، وشارك فيه ناصر الحاني الذي كان سفير العراق في بيروت، إضافة إلى لطفي العبيدي الذي كان صلة الوصل مع البكر، وآخرين منهم الملحق العسكري في بيروت لدولة عربية. والبعث شارك فيه لأنه لم تكن لديه قوة عسكرية في بغداد حتى يقوم بذلك وحده. البعث قام بانقلاب آخر في نهاية تموز/ يوليو ١٩٦٨، وتم ترحيل عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود. ثم قام البعث بتصفيات متتالية للقوى التي لا تريدها

أمريكا، فبدأ بعد ٣٠ تموز/ يوليو بالقوميين فقط، وكنت أنا من القوميين الذين اعتقلوا. اعتقلت في ما كان يسمى «قصر النهاية»، وقد كان قصراً وحوّل إلى سجن وسموه «قصر النهاية»، بمعنى نهاية الإنسان. وكان هناك قاطع كبير كله زنزانات على الجهتين يسمونه «قاطع الطيارين الناصريين». لقد أخضع شباب في عمر الزهور في العشرينيات لدورة تأديبية في «قصر النهاية»، ثم هناك قسم آخر تم إرساله إلى وظائف مدنية، وقسم ثالث أحيل على التقاعد. بعدها تعاون الأكراد في السبعينيات مع البعث. لقد أعطى حكم البعث الأكراد في اتفاقية آذار/ مارس للحكم الذاتي أكثر مما حصلوا عليه أو كان يمكن أن يحصلوا عليه تحت أي نظام آخر، فاشتركوا في الوزارة، ثم انقلب على الأكراد وتعاون مع الشيوعيين، وبعدها انقلب على الشيوعيين. إن هذه الأطراف المختلفة تمت تصفيتها، وهذا يفيد أمريكا التي لم تكن تريد قوميين وحدويين وناصريين، ولا شيوعيين.

■ ***هل يعني هذا أنك تقول إن صدام حسين كان عميلاً؟***

حسيب: أنا لا أقول هذا، ولكن كان هناك لقاء مصالح. لا أعتقد أنه عميل، أعتقد أنه لم يكن هناك طريقة أخرى ليصل إلى السلطة. بعدها جاءت الحرب مع إيران. من شجع العراق على الحرب؟ أمريكا شجعته. زوّدته بأسلحة وتكنولوجيا، وكان يوجد في السفارة الأمريكية في بغداد فرع خاص للسي. آي. إي.، كانوا يزوّدون العراق بصور الأقمار الصناعية، وعندها كانت العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا مقطوعة. وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣ جاء رامسفيلد هذا نفسه إلى العراق وقابل طارق عزيز وصدام حسين لمدة ثلاث ساعات وكتب تقريراً بأن صدام حسين شخص جيد ويمكن التعاون معه. ثم عاد بعد ثلاثة أشهر، فقابله مرة ثانية وأعادوا العلاقات.

■ ***ماذا يوجد لديك إذاً من معلومات حول معاملة صدام حسين كأسير حرب؟***

حسيب: أنا لا يوجد لدي معلومات، عندي استنتاج وهو أنه إذا حاكموه الآن سيثير في محاكمته من القضايا والمعلومات ما سيسيء إلى بوش الابن والأب، وبالتالي سيكون ذلك عاملاً كي يخسر بوش الانتخابات، لذلك قرروا أن يعاملوه وفقاً لاتفاقية جنيف.

■ ***الآن أنت ذكرت في تقييمك أن الظلم والاستبداد كانا سبباً من أسباب ما جرى للعراق، وأنت انتقدت الذين تعاونوا مع الولايات المتحدة الأمريكية. هؤلاء الآن هم في الوضع الحالي يتحركون تدريجياً نحو التعاون مع السلطة والاتجاه لتسليم السلطة إلى العراقيين في الثلاثين من حزيران/ يونيو، ما رأيك في هذا؟***

حسيب: إنني لا أزال أنتقد أولئك الذين تعاونوا مع الولايات المتحدة، إذ لا

نستطيع أن نخدع أنفسنا. أمريكا تقول إنها سوف تعمل اتفاقاً عسكرياً لإقامة قواعد عسكرية في العراق إذا طلبت الحكومة منها ذلك. إنها تنوي أن تأتي بحكومة توافق على هذا، وأعضاء مجلس الحكم موافقون على هذا، فأين الوطنية، ولماذا نحتاج إلى قواعد عسكرية؟

■ ***المنطق يقول إذا خرج الأمريكيون مباشرة، سيعود ربما الحكم السابق لتسلم الحكم؟***

حسيب: يمكن أن يسلموا السيادة للأمم المتحدة مؤقتاً، وتأتي قوات دولية، ويمكن أن تكون عربية، من مصر وسوريا والسعودية، كما يمكن أن تكون دولية، وكلما تدخل قوات دولية ينسحب الأمريكيون تدريجياً.

خامساً: الانتخابات الأمريكية عامل فاصل

■ ***أعطني اقتراحك المحدّد لما ينبغي أن يحصل في رأيك أنت، لو كان الأمر لك، ماذا ينبغي أن يحصل في العراق؟***

حسيب: الذي سيقرر مصير العراق والمنطقة هو الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة.

■ ***بأي معنى؟***

حسيب: إذا جُدد لبوش في الانتخابات ونجح سيقوم بتنفيذ بقية المشروع الذي عناوينه إقامة دائمة في العراق، وتصفية الوضع في سوريا وفي إيران ومصر والسعودية، ليس بمعنى غزو، بل ستقدم مطالب لسوريا ومصر وإيران والسعودية. إذا نفذوا نفذوا، وإذا لم ينفذوا يخرج لهم عشرون قصة. بدأت الأمور الآن في سوريا، ويتحدثون عن أسلحة دمار الشامل.

نجاح أو عدم نجاح بوش في الانتخابات يعتمد على عاملين اثنين: **الأول** هو المقاومة في العراق، إذا استمرت المقاومة في العراق سيتكبد الأمريكيون خسائر بشرية، ولن يتحمل ذلك المواطنون الأمريكيون. صحيح أن الجثث التي تعود تحطّ بها الطائرات في الليل ولا تقام طقوس للأهالي لتسليم الجثث، لكن الأهالي يتسلمونها من الكنيسة هم وأصدقاؤهم. وبذلك، فإن هناك قطاعاً متزايداً من الناس يتأذى من موضوع الحرب وما يجري فيها.

والعامل **الثاني** هو الوضع الداخلي في أمريكا. الوضع الاقتصادي أولاً، ثم الوضع السياسي. الوضع الاقتصادي ليس في صالح بوش حتى الآن. لقد استلم

بوش الإدارة وعنده فائض في الميزانية يقدر بحوالى ٢٦٠ مليار دولار. أما هذه السنة، فلديه عجز مقداره ٥٠٠ مليار دولار، ويتوقع أن يكون في السنة القادمة ٥٠٠ مليار دولار أيضاً. أما قيمة الدولار، فقد انخفضت ما بين ٣٥ و٤٠ في المئة.

■ ***الفرق ليس كبيراً بينه وبين جون كيري، لو فاز جون كيري كيف سيكون الفرق؟***

حسيب: الفرق الأساسي بين بوش وكيري هو أن بوش يقول إن أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، وأمريكا لا تحتاج إلى الآخرين ويمكن أن تقوم بما تريد. وهذا ما جربه في العراق، وبالتالي إذا نجح سيستمر في المشروع، أي بسياسة الانفراد (Unilateralism) في النظام العالمي و«الهيمنة» عليه. أما كيري، فهو كذلك مهتمٌ بقوة أمريكا، لكنه يريد العمل من خلال تعاون وتوافق دوليين، ومن خلال مجلس الأمن (Multilateralism). وهو يريد أمريكا أن «تقود»، لا أن «تهيمن» كما يريد بوش.

■ ***إذا فاز كيري، هل سيسحب القوات الأمريكية من العراق؟***

حسيب: لا، سيعطي دوراً أساسياً للأمم المتحدة، وقد يدعو إلى نشر قوة دولية في العراق، قد يكون الجيش الأمريكي جزءاً منها، ولكن ليس هو المسيطر فيها، وتكون قيادتها للأمم المتحدة. كما سيسلم الجانب السياسي للأمم المتحدة. هذا ما هو معلن عن كيري حتى الآن.

■ ***في رأيك في ٣٠ حزيران/ يونيو، هل لديك معلومات عن مدى اتساع قاعدة الحكومة وطريقة تسليمها؟***

حسيب: سيبذلون جهدهم، فإما أن يعملوا «ليوجرغا» عراقية، يختارون هم الأسماء بالتعاون مع بعضهم، أو يوسّعوا مجلس الحكم ويختاروا منه حكومة. لكن إذا لم ينجحوا في ذلك، فسيكون أحد الأسباب هو المقاومة، والموقف المشرّف لسماحة آية الله السيد علي السيستاني الذي يقاوم بالموقف. وقد استطاع أن يعرقل ويحبط الكثير من المشاريع التي أعدت للعراق. ولا أعتقد أنه سيقبل تمرير إيجاد حكومة انتقالية، ما بين أول تموز/ يوليو وما بين نهاية السنة.

■ ***ما الذي سيحصل فعلياً؟ العراقيون يشاهدوننا الآن، ما هي توقعاتك فعلياً، أنت قلت إذا اعترض آية الله السيستاني ستختلط الأوراق، لكن عملياً ما هي الاحتمالات التي يمكن أن تتحقق في العراق؟***

حسيب: يستمر الوضع الحالي، والآن في كل وزارة هناك مستشار، والمستشار هو الوزير، وبالتالي يمكن أن يستمر هذا الوضع.

سادساً: لا تاريخ للطائفية في العراق

■ ***من هو الرئيس المقبل للعراق؟***

حسيب: إذا خسر بوش في الانتخابات، أعتقد أن المخرج الأساسي للعراق وللأمريكيين هو تسليم السيادة المؤقتة للأمم المتحدة التي بإمكانها أن تختار رئيس وزراء يكون محل إجماع، أي شخص مثل ناجي طالب، وهو من الضباط الأحرار، وكان رئيس وزراء في عام ١٩٦٧. صحيح أنه شيعي من الناصرية، لكنه قومي عربي ناصري. وتصبح هناك وزارة كلها تكنوقراط حتى لا يحدث اختلاف وتجري انتخابات، ويضع المجلس دستوراً.

■ ***هل لديك كباحث وأكاديمي عراقي معلومات قريبة من الصحة ترجع على أرض الواقع شيئاً عن عدد الشيعة والسنّة في العراق؟***

حسيب: هناك كثيرون لا يعرفون خلفية وتاريخ العراق ويقومون بإسقاطات من لبنان وبلدان أخرى على العراق، وهذا غير صحيح. لم يحدث بين الشيعة والسنّة في العراق، وخلال التاريخ العراقي كله، أي اصطدام طائفي، فالشيعة في العراق معظمهم يتحدرون من قبائل عربية، قسم منها هاجر إلى الجنوب وتشيّع. كان يكفي أن يتشيّع رئيس القبيلة لكي تتشيّع القبيلة برمتها. وقبيلة مثل قبيلة شمر جزء منها في الشمال هم سنّة، وجزء منها في الجنوب هم شيعة، فهل تتصور أن يتقاتل أبناء قبيلة في ما بينهم لأن بعضهم سنّي وبعضهم الآخر شيعي؟

لا يستطيع العرب السنّة في العراق أن يزايدوا على الشيعة في الوطنية، ولا في القومية العربية. وفي ثورة العشرين كانت قيادات رئيسية منها شيعية. ولم يتأسس حزب في العراق على أساس طائفي، والأحزاب القومية المهمة كان رؤساؤها شيعة، فقد كان رئيس حزب الاستقلال الشيخ محمد مهدي كبه، ونائب الرئيس صدّيق شنشل، وهذا الحزب هو خليط. وفي الجبهة الشعبية كان محمد رضا الشبيبي، وسعد الصالح من حزب الأحرار. ولا يوجد حزب في العراق أو قوة سياسية على أساس طائفي، حتى حزب البعث وحركة القوميين العرب كان عدد من أمنائهما العامين من الشيعة، ولم يقوما على أسس طائفية. وفي تاريخ العراق كان سبعة من رؤساء الوزراء شيعة. كما إنه في النظام السابق كان اثنان من رؤساء الوزراء من الشيعة، ولم يكن هناك اختلاف طائفي، كما إنه كان هناك اثنان من رؤساء الوزراء من الأكراد، وكان هناك نائب لرئيس الجمهورية كردياً، وقد تقلد الأكراد أعلى المناصب في الجيش وفي وزارات الداخلية وغيرها.

■ ***هناك أرقام متضاربة حول الأعداد، فأعطنا فكرة عن هذا الموضوع.***

حسيب: أولاً، بالنسبة إلى عدد الشيعة والسنّة العرب، لا توجد أية إحصائية في العراق حول هذا الموضوع، وكل الكلام الذي يقال هو كلام تخميني، علماً أنه لا يهمني إذا كانوا ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ في المئة. لكن أصل المعلومات يعود إلى فترة الاحتلال البريطاني، حيث كان الاحتلال يعيّن ثلاثة قناصل: واحد في بغداد، وواحد في الموصل، وواحد في البصرة. وفي كل سنة كان القناصل يقدمون تقارير لوزارة الخارجية عن المنطقة التي يوجدون فيها. وهذه تقارير ممتازة للغاية وموجودة في مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة لندن (London School of Economics). هؤلاء يقدمون تخمينات، فلواء البصرة «يخمنون» عدد سكانه ثم يخمنون أن الموجودين في البصرة هم ٤٠ في المئة سنّة، و٦٠ شيعة، والعدد ليس دقيقاً ولا أساس له، وكذلك التقييم. ثم جاء حنا بطاطو وأنجز دراسة سياسية اجتماعية عن العراق، مبدياً تحفظاً على كل هذه الأرقام ومستعملاً أرقام القناصل البريطانيين. ولكن ترك الجميع كل التحفظات وأخذوا بهذه الأرقام، وهي مجرد تخمينات لا تستند إلى قاعدة معرفية حقيقية. أول تعداد منتظم كان عام ١٩٤٧، وبعدها جرى التعداد كل عشر سنوات، وآخرها كان في عام ١٩٩٧، ولا يوجد في التعداد أي سؤال عن: هل أنت شيعي أو سنّي؟ هناك سؤال عن الديانة، هل أنت مسلم أو مسيحي أو غير ذلك؟ وبالتالي لا يوجد أي إحصاءات ومعلومات دقيقة عن موضوع الأعداد. ومؤخراً في قناة «الجزيرة» كان هناك حوار مع الدكتور حارث الضاري، وكان معه السيد أحمد منصور، وذُكر أن عدد السنّة في العراق كان بين ٥٦ و٥٨ في المئة، أي أن الشيعة ليسوا الأغلبية. وأنا أعتقد أن هذا موضوع هدفه إلهاؤنا به وبث روح الفتنة الطائفية في العراق. إن العلاقة بين السنّة والشيعة في العراق علاقة متداخلة من الزواج المختلط، إلى الانتماء المشترك للحزب الواحد، إلى الوحدة الوطنية داخل الوطن الواحد.

■ ***يقال إن السنة في العراق يؤيدون تأجيل الانتخابات، لأنهم خائفون من أن انتخابات حرة سوف تعطي الشيعة الأغلبية في الحكم. ولذلك أنا أريد، لأنك أكاديمي معروف وغير طائفي بإجماع الناس، أن تعطيني فكرة عن هذا الموضوع.***

حسيب: سبق أن قلت إن الكثير من العراقيين لا يفرقون بين شيعي وسنّي لا في الوظائف ولا في الجامعات. وكما قلت السنّة العرب لا يستطيعون أن يزايدوا على الشيعة في القومية والعروبة. وعدد من الناس الذين نحن رضعنا منهم القومية كانوا شيعة، لذلك فإن مواقف السيستاني لا تختلف عن مواقف بعض القيادات السنّية في ما يتعلق بالانتخابات.

■ ***وماذا تؤيد أنت؟***

حسيب: الانتخابات يجب أن لا تتم تحت إشراف قوات الاحتلال، يجب أن تتم تحت إشراف الأمم المتحدة أو حكومة شرعية ذات سيادة.

سابعاً: حقيقة المسألة الكردية

بالنسبة إلى موضوع الأكراد، فهذه قضية مختلفة، الأكراد يتمسكون بإحصاء عام ١٩٥٧[٨]، وهو الإحصاء الذي حصل قبل ثورة تموز/يوليو، ويعتقدون أنه أفضل إحصاء، وكان ثمة سؤال في الإحصاء عن اللغة الأم، ونتيجة هذا استخرجوا نتائج الإحصاء. خلافاً لما يقوله الأكراد، فإن نسبتهم في عام ١٩٥٧ كانت ١٦,٤ في المئة من سكان العراق. وبالتالي، فالكلام عن ٢٠ و٢٥ في المئة ليس وارداً. وعلى فرض أن الزيادة السكانية لكل فئات الشعب العراقي جرت بالنسبة نفسها من النمو، فإذا افترضنا أن عدد سكان العراق هو الآن ٢٤ مليوناً، والنسبة بقيت كما هي، فعدد الأكراد الآن هو في حدود ٤ ملايين. التركمان نسبتهم ٢,٢ في المئة في احصاء عام ١٩٥٧، حيث كان عددهم ١٢٦,٨٠٦، وإذا افترضنا بقاء هذه النسبة نفسها وإذا طبقناها على الحالي للسكان وهو ٢٤ مليوناً، فيكون عددهم ٥٢٨,٠٠٠، وليس مليونين ولا ثلاثة، كما يتردد ويقال. إن هذه كلها معلومات.

■ ***هذا الكلام سيفرح الأكراد لأن عندهم مشكلة كبيرة مع التركمان.***

حسيب: هذا لن يفرحهم. مدينة كركوك يا سيدي، التركمان فيها ٣٧,٦ في المئة، والأكراد ٣٣,٣ في المئة، والعرب ٢٢,٥ في المئة.

■ ***العرب الآن يُخرجون من كركوك.***

حسيب: أغلبية مدينة كركوك ليست كردية، وحتى إذا أخذنا لواء كركوك كله، فالأغلبية ليست كردية، وإنما هي ٤٨,٢ في المئة، والباقي عرب وتركمان.

■ ***د. خير الدين حسيب، هل توافق على المطالب الكردية الآن وأقلها الفدرالية، أو من الناحية النظرية يقال لماذا كل القوميات لديها دولها، ولماذا نحن الأكراد تعترضون على أن تكون لنا دولة مستقلة؟***

حسيب: في اتفاقية سيفر تمّ تقسيم كردستان إلى ثلاثة أقسام بين العراق وإيران

---

(٨) انظر: العراق، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧**، ٢ ج في ٢٦ (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٥٧).

وتركيا في الوقت نفسه الذي تم فيه تقسيم المشرق العربي إلى دويلات بموجب اتفاقية سايكس ـ بيكو. وبالتالي لم يكن العرب هم الذين قسموا كردستان وضموا جزءاً منها إلى العراق، فنحن العراقيين غير مسؤولين عما أصاب الأكراد.

■ ***لم يكن هناك دولة اسمها كردستان؟***

حسيب: بلى، كانت هناك مجموعة تسمى كردستان تحت الحكم العثماني. الآن حق تقرير المصير يختلف إذا كان هذا ضمن العراق فقط أو إذا كان ضمن كردستان كلها. وإذا نشأ وضعٌ يتاح للأكراد فيه في كل كردستان تقرير المصير واختاروا الانفصال والاستقلال، فيكون من حقهم أن يستقلوا في كردستان كلها وليس فقط في العراق، أي أن يعطى لهم هذا الحق في تركيا وإيران وفي العراق.

أما في العراق، فحق تقرير المصير يجب أن يتحقق ضمن وحدة الكيان العراقي. العراق لا يستطيع أن يعطي حق تقرير المصير للأكراد بما فيه الحق في الانفصال، فتقوم دولة كردية جزئية، ويدخل العراق في مشاكل مع تركيا وإيران، وهذه لا تهدد فقط الأمن القومي العراقي ولكن تهدد الأمن القومي العربي. وبالتالي، فالمبدأ أن المواطنين أياً كانت قوميتهم ودينهم ومذهبهم متساوون في الحقوق والواجبات. وأنا لا أمانع أبداً في أن يكون رئيس جمهورية العراق كردياً أو شيعياً، أو سنّياً، أو تركمانياً. إذا توفرت فيه المؤهلات. إن للأكراد خصوصية خاصة في ما يتعلق بثقافتهم، وهذه يجب أن تؤمّن إلى أقصى حد ممكن. ولكن ما طرح في ما يسمى قانون إدارة العراق، لا يجوز لأقلية ١٦ في المئة أن تتحكم بدستور لكل الشعب العراقي.

■ ***إذاً أنت تؤيد آية الله السيستاني في انتقاداته؟***

حسيب: أنا أؤيد أن تصير هناك هيئة تأسيسية منتخبة انتخاباً حراً وليس تحت الاحتلال، ويكون فيها أكراد، أسوة بباقي فئات الشعب العراقي، ويقع فيها توافق، ثم يجري إعداد دستور يحدد الحقوق والواجبات. لا يوجد دستور في العالم تحدد فيه أقلية حقوق الأكثرية أو مصير المجتمع كله.

■ ***لكن الأكثرية لن تعطي الحقوق للأقلية؟***

حسيب: في العراق يجب أن لا يحكم على موقف بعض الحكام إزاء الأكراد على أنه موقف الشعب العراقي. إذا قامت الديمقراطية في العراق، فأعتقد أن إخواننا الأكراد سيمارسون حقوقهم في المواطنة كاملة، ويحق لهم أن يأخذوا كل حقوقهم الثقافية وما إلى ذلك. أما أن يتحكموا في مصير العراق كله، فهذا لا يجوز، وبخاصة

أن قياداتهم كانت متعاونة مع الأمريكيين وساهمت في مجيئهم إلى العراق.

هناك كذبة كبرى عما يسمى بـ «الديمقراطية في كردستان» وأن هذه واحة للديمقراطية، وأن النموذج الكردستاني سيعمم على كل العراق. لا توجد لا واحة ولا ديمقراطية. «الحزب الديمقراطي» الذي يرأسه الأخ مسعود البارزاني وحزب «الاتحاد الوطني» الذي يرأسه الأخ جلال الطالباني عبارة عن ميليشيات مثل تلك التي كانت في لبنان. لا يوجد هناك انتخابات ولا ديمقراطية، والانتخابات الوحيدة التي صارت عام ١٩٩٤ بقيت سنة. حتى نتائج الانتخابات لم يعملوا بها، وبقيت حكومة موحدة فترة قصيرة ثم انفصلا. والآن هناك حكومة في السليمانية وحكومة في أربيل، ولا ديمقراطية ولا انتخابات. وقد مضت سنة منذ أن سقط النظام ولم يستطيعوا أن يوحّدوا أنفسهم، علماً أن هناك قوى سياسية أخرى مثل «الحزب الإسلامي الكردستاني» لها نفوذ واسع، وآخر انتخابات لاتحاد الطلبة كان هو الحزب الذي سيطر على ما علمت. . . أنا لا أريد أن أتدخل في هذه الأمور، ولكني حريصٌ على أن لا أحكم على إخواننا الأكراد من خلال جلال الطالباني ولا مسعود البارزاني.

ثامناً: الرد على المداخلات

سنعطي مجموعة من المداخلات وكل واحدة لا تتجاوز دقيقتين. نبدأ بالعراق مع الأخ داوود الباغستاني.

- **اتصال من كردستان العراق: داوود الباغستاني.**

الباغستاني: أولاً، نحن في كردستان لا نقول إننا مثل سويسرا نموذج ديمقراطي، ولكننا مقارنةً مع جيراننا فإن وضعنا ليس الأسوأ. ولا نقول مئة في المئة أحسن، لكنه ليس أسوأ.

ثانياً، أنا لا أتفق مع الدكتور حول عدد التركمان أو الأكراد أو الشيعة، وفي الحقيقة المسألة ليست العدد بقدر ما هي العقل. ليت التركمان كانوا ٥ ملايين أو ١٠ ملايين على أن يكونوا عاقلين يفهمون مصالحهم الوطنية.

■ ***يا أخ داوود كيف تقول ليتهم كانوا عاقلين، همَ عاقلون.***

الباغستاني: أنا أريد أن أقول: إذا كانوا عاقلين وعندهم انتماء وطني ويحسون بوطنهم، فالمشكلة ليست بالعدد، المشكلة الموجودة الآن هي مشكلة الديمقراطية. الدكتور يقول إن الأكراد والأطراف الأخرى يمكن أن يشكلوا هيئة تشريعية تشرّع وتعمل، وتكون ديمقراطية. والديمقراطية تحل مشكلة العراق. ألا يعتقد أن ٣٥ سنة

أو أكثر من نصف قرن من الظلم ومن الدكتاتوريات المتواصلة في العراق تحتاج إلى سنوات، وهناك أجيال عانت هذه الدكتاتوريات في العراق؟ هل يعتقد أنه بعد سنتين أو ثلاث سيترك الأكراد المطالبة بحقوقهم. أصلاً هناك إنكار للحقيقة. بالنسبة إلى الأكراد صارت انتخابات، وهناك برلمان كردي، وحدث خلاف بين الأحزاب الكردية، هذا صحيح، مثلما حدث بين كل الأحزاب وبين حركات التحرر، وحتى في الثورة الفلسطينية والثورات الأخرى. ولكن أنا أتفق مع الدكتور في أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تأت بالديمقراطية إلى العراق، أو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وأنا أعتقد أن هذا المشروع ينقصه الكثير، ولو كان جاداً، لكان مطلوباً أن يحل الخلاف العربي ـ الإسرائيلي في الدرجة الأولى.

● **الأخ هاشم العبيدي، عراقي مقيم في السويد.**

العبيدي: في ما يتعلق بحقوق الأكراد، إن الفدرالية المرسومة في قانون إدارة الدولة المعد من قبل بريمر غايته الأساسية تشكيل مجلس للبت في الاتفاقات الأمنية والعسكرية غير المشروعة، لتكبيل العراق. في ما يتعلق بالفدرالية، من المعروف أن النظام الفدرالي يكون بين دولتين أو أكثر. أنا أؤيد بحرارة ما قاله د. حسيب وأشدّ على يديه. بالنسبة إلى المسألة، لماذا لا يرد نص يمنع الانفصال أو ما يمهد له أو ما يدعو إلى الانفصال. فإذا أخذ البرلمان الكردي قراراً بالانفصال، فماذا يكون قرار الحكومة المركزية. يجب أن يكون هناك نص في الدستور الدائم يمنع الانفصال.

● **الأخ محمد في دبي.**

محمد من دبي: **أولاً**، بدأ الدكتور بعلاقة القاعدة يقول إنه لا توجد علاقة، ونحن نعرف أن علاقة القاعدة مع النظام السابق علاقة قوية، وهي التي تفجر في الوقت الحاضر في العراق وتقتل الأبرياء، وهناك تعاون قوي مع البعثيين، والشعب العراقي مظلوم. القاعدة والبعثيون لا يخافون ربنا، يقتلون الأبرياء والمدنيين ويفجرون الفنادق التي فيها ناس عزل. **ثانياً**، أنتم أيها المدافعون عن صدام لا تريدون الخير للشعب العراقي، ولا يوجد مقاومة في العراق، وهذا تخريب من النظام السابق والقاعدة والمجرمين في حق الشعب العراقي. أما بالنسبة إلى الأمريكيين، فلهم فضل في تحرير الشعب العراقي. الحكومات العربية كلها عندها علاقات مع الأمريكيين. لماذا فقط العراق قامت عليه «العيطة» بينما كل الدول العربية فيها أمريكيون؟

■ ***أنت تقول إن الأمريكيين لهم فضل في تحرير الشعب العراقي، كم تتوقع نسبة العراقيين الذين يرون هذا الرأي؟***

محمد من دبي: في تقديري الـ ٢٤ مليوناً يؤيدون إلا قليلاً ممن عندهم طائفية،

هم خائفون من المجلس، وحتى الأخ الذي يتناقش عنده طائفية قوية بعض الشيء.

● **الأخ جاسم البغدادي في بريطانيا.**

البغدادي: الحقيقة أنا أتفق مع طروحات د. حسيب، ولا أعتقد أنه يهاجم المجلس لكونه يضم بعض العمائم، فكلنا نحترم العمائم وعلى رأسهم السيد علي السيستاني حفظه الله، وهذه العمائم هي التي حفظت العراق لفترة طويلة. فليكفّ الإخوان عن النظرة الطائفية البغيضة لتدمير العراق وتشتيته إلى فئات حتى يسهل على المستعمر حكم العراق. ولا يدخل المستعمر إلى العراق إلا على الطريق الطائفي، ولا توجد طائفية في العراق. وقد أثبتت الأحداث وسوف تثبت أن العراق كتلة واحدة، عرباً وأكراداً سنّة وشيعة. أما عن تسلط بعض الفئات، وبخاصة بالنسبة إلى الزعامات الكردية، على إرادة الشعب الكردي، فإنها في الحقيقة لا تمثل الرأي الكردي. انظر إلى اللحمة العربية والكردية في الخارج، فهناك لحمة غير مشهودة ويلتف العرب والأكراد ويريدون وحدة العراق على رغم وجود زعامات كردية غير منتخبة، ولا تختلف عن أي حاكم عربي أو إسلامي متسلط على إرادة شعبه. أما بالنسبة إلى الزعامات الكردية التي تريد أن تستغل الظلم الذي وقع عليها نتيجة بعض الممارسات الحكومية الخاطئة، والتي تعرضت لها فئات أخرى من الشعب العراقي للحصول على مكاسب غير شرعية، كما اتخذت الحركة الصهيونية الأعذار نفسها بناءً على الممارسات النازية الخاطئة، فهذا غير صحيح وسوف يجلب الدمار للشعب العراقي ككل، وللإخوة الأكراد كذلك، وعلى الدول المجاورة مثل إيران وتركيا.

■ ***إذاً أنت تؤيد رأي د. حسيب في معالجة القضية الكردية.***

البغدادي: طبعاً، وهذا هو الأسلوب الصحيح.

● **الأخ نشأت من لندن.**

نشأت من لندن: الموضوع لا يحتاج إلى كل هذا التعقيد، الذي ساعد الاحتلال هو متعاون، والذي هو ضد الاحتلال يعتبر مقاوماً. ومحاولة الربط بين المقاومة وإيذاء الشعب العراقي هي عملية التفاف على المقاومة الأصلية. وأنا أحترم رأي الدكتور، وكل ما قاله تقريباً هو الشيء الذي يعتقده كل العراقيينَ. إن الطائفية غير واردة في العراق لأن العراقيين تمازجوا وأصبح متعذراً على المرء أن يعرف أصله. الأهم من ذلك كله مصلحة العراق ووحدته.

● **اتصال من أبو حمزة من الموصل.**

أبو حمزة من الموصل: تحياتنا للدكتور حسيب، هذا شخص يشرّف العراق لأنه

من وطنيته لا يفرق بين سنّة وشيعة وأكراد، ونحن نريد منه أن يظهر في ندوات كثيرة حتى يراها الإخوان والمواطنون الشرفاء، حتى لا نقع في فخ التفريق بين الشيعي والسنّي.

● **عبد المنعم من أبو ظبي.**

عبد المنعم من أبو ظبي: السؤال عن واقع القوميين العرب، وإلغاء الزحف الصليبي على الأمة ابتداء من العراق، ومن ثم على جميع الدول العربية، هل هناك مخرج غير القومية العربية، هل يمكن أن يكون التيار الإسلامي هو المخرج للأمة أو للعراق أو أي دولة أخرى؟

● **اتصال من الأخ الدليمي من بغداد.**

الدليمي من بغداد: باختصار أحيي الدكتور الجالس أمامك، ورأيه هو رأي كل الشعب العراقي، سنّة وشيعة وأكراداً، ولو أن العراقيين سمعوا قناة «المستقلة» كلهم، سوف ترون غداً تظاهرات تؤيد كل الكلام الذي قاله الدكتور اليوم.

■ ***أنت تقول إن ما قاله د. حسيب اليوم هو معبر عن رأي الشعب العراقي كله؟***

الدليمي: معبر جداً وكلام حيادي، وليس طائفياً أو عنصرياً.

■ ***أنت والأخ المتصل من الموصل ستدعونني أسأل د. حسيب إذا كانت لديه نية للترشح لرئاسة العراق في الانتخابات القادمة، إذا كان الكلام كما تتحدثون الآن.***

والآن الجزء الأخير من هذا الحوار مع الكاتب والمفكر العراقي العربي المعروف د. خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية.

حسيب: لي تعليق أولي على ما سمعت من المداخلين.

بالنسبة إلى الأخ داوود، إن الإحصاءات التي ذكرتها إحصاءات رسمية، وهي عندي في مجلدات كاملة، وكل من يريد هذه الإحصاءات يستطيع أن يطلبها على البريد الإلكتروني لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت لنرسلها إليه. بالنسبة إلى الأخ محمد من دبي، موضوع القاعدة مفتعل. لدينا في العراق بشكل كبير وربما في بعض الدول العربية الأخرى خلط شديد وتداخل ما بين الإشاعات والسياسة. وفي موضوع القاعدة وعلاقتها بالنظام السابق، أنا لا أتحدث دفاعاً عن النظام السابق، إنما أتحدث استناداً إلى ما قاله وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كولن باول في تصريح رسمي معلن إنه لم تثبت هناك أية علاقة ما بين النظام السابق والقاعدة.

بالنسبة إلى الوضع الحالي، أنا كذلك لا أتحدث استناداً إلى معلومات شخصية أو استنتاج أو تحليل، إنما هناك تقارير رسمية وتقارير صحافية بريطانية وأمريكية من العراق وتصريحات المسؤولين العسكريين الأمريكيين، وكلها تشير إلى أنه لم يثبت حتى الآن أن للقاعدة علاقة بهذه التفجيرات. أما الذين يقال عنهم إن لهم علاقة بذلك، فهم «أنصار الإسلام» الذين بقي منهم مئة، أكثر أو أقل، ويقال إن لهم علاقة بالقاعدة. ومن هنا يأتي الحديث عن الموضوع.

أنا لا أؤيد تفجيرات الفنادق وغيرها. هؤلاء أناس مدنيون يجب ألا يكونوا هدفاً.

أما من يتكلم عن الأمريكيين والديمقراطية، ويقول إن الأمريكيين سيقيمون لنا ديمقراطية، فليعلم أن الأمريكيين ليس من مصلحتهم أن تقوم ديمقراطية في مجتمعاتنا، فإذا قامت الديمقراطية، فنحن لن نشتري الأسلحة التي نشتريها الآن. اشترت البحرين وقطر طائرات إف ـ ١٥ وإف ـ ١٦، ماذا ستفعلان بها ومن هو العدو؟ والإمارات اشترت طائرات بثمانية مليارات دولار، فما الغرض منها غير دعم الصناعة الأمريكية؟ كذلك إذا قامت الديمقراطية لن يبقى سعر النفط كما هو. نحن نصدّر النفط ونأخذ عوائد، ثم نستورد سلعاً صناعية. لكن السلع الصناعية في الغرب ارتفع سعرها، والأسعار الحقيقية للنفط اليوم هي أقل مما كانت عليه في عام ١٩٧٣. بعبارة أخرى، إننا نخسر من النفط وندفع أكثر لشراء السلعة نفسها التي كنا نأخذها في السابق. ولو كان سعر النفط يرتفع بالنسبة نفسها لارتفاع السلعة الصناعية نفسها في الغرب، لكان يجب أن يكون سعر البرميل اليوم حوالى الستين دولاراً. لهذا، ليست الديمقراطية في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية. لو كانت هناك ديمقراطية وانتخابات حرة، فهل سيوافق الشعب الكويتي على أن تبقى قواعد عسكرية في أراضيه، والأمر نفسه بالنسبة إلى قطر والإمارات وعُمان. أما نموذج أمريكا الديمقراطي، فنحن نختبره في العراق! فأين هي الديمقراطية؟ انظر إلى التقارير التي صدرت عن المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، وتقارير صحافية أمريكية، وتقارير المحطات التلفزيونية في البي. بي. سي. ١ و٢، والقناة ٤ . . . إلخ. هل هذه هي الديمقراطية؟

بالنسبة إلى موضوع العمائم، فهذا وترٌ ميت بالنسبة إلي نهائياً، ولا أريد أن أدخل فيه.

وبالنسبة إلى الإخوة هاشم العبيدي وأبو حمزة والأخ من بغداد، أنا أشكرهم على مداخلاتهم.

أما بالنسبة إلى الأخ عبد المنعم الذي تكلم عن القومية العربية، وهل يمكن أن يكون التيار الإسلامي بديلاً، فقد آن الأوان أن نفهم أن هذه قوالب سابقة لم تعد تصلح الآن، وبالتالي ما لم نَعُدْ كلنا إلى رشدنا، ويكون هناك كتلة تاريخية تجمع تيارات القومية العربية والحركة الإسلامية والحركة اليسارية التي تؤمن بالتحرير والديمقراطية، فلا يوجد أمل في أن نتخلص من الاحتلال والاستعمار. وعليه، دعونا نتحرر من قيود الماضي وننظر إلى المستقبل.

■ *الناس يشعرون أن حديثك يعبّر عنهم، هل عندك نية أن تعود إلى العراق؟*

حسيب: عندما طلب مني ترك العراق، قمت بتقييم المرحلة السابقة وتوصلت إلى قرارٍ مع نفسي، هو الابتعاد عن السلطة والتفرغ للعمل الفكري الوحدوي الذي أعمل فيه. وأنا أشعر أنني حققت جزءاً مما كنت آمل أن أحققه في العمل السياسي. أما إذا كان البلد في حاجة إلى أن أقدم له خدمة معينة في مرحلة قصيرة، فأنا لن أتردد في هذا، وهو أمرٌ متروك للظروف. ولكن من حيث المبدأ، أنا بعيد عن العمل السياسي المباشر.

تاسعاً: علاقة العراق والكويت

■ *ما هو مستقبل العلاقة بين العراق والكويت؟*

حسيب: من المصلحة أن نكون صريحين في هذا الموضوع. النظام السابق عندما غزا الكويت لم يأخذ رأي الشعب العراقي. أخذ قراره بنفسه. ولكن عندما غزت القوات الأمريكية العراق، فإن أغلبية الشعب الكويتي كانت مؤيدة لغزو العراق ولحصاره. لا توجد لدي معلومات مباشرة، ولكن أخشى إذا استمرت هذه الظاهرة أن ينتقل الخلاف من خلاف بين نظامين إلى خلاف بين شعبين، لأن الشعب العراقي ليس من السهل أن يغفر، فالمطلوب هو جهد من الطرفين لمعالجة هذا الأمر. وهناك قضية التعويضات والحدود، وهناك قضية ديون. . . إلخ. علينا أن نتعامل مع هذه الظاهرة كدولتين عربيتين متجاورتين، ونحن جزء من هذه الأمة، علينا أن نحل مشاكلنا بأنفسنا، أو من خلال جامعة الدول العربية، وذلك بأن تقوم بتحكيم يتفق الطرفان على الالتزام بنتائجه.

■ *تحكيم على ماذا يا دكتور؟ انتهى موضوع الحدود مع الأمم المتحدة.*

حسيب: ليس المهم أن تقنعني، أنا شخصياً لا يهمني فقط أرض موجودة في الكويت أو العراق، فالعراق لديه ما يكفي من النفط، وكذلك الكويت. وأنا كشخص وحدوي لا أستطيع أن أتكلم عن الحدود. القضية الوحيدة في ما يتعلق

بالحدود ما بين العراق والكويت، هي أنه يقال إن العراق يحتاج إلى إطلالة على الخليج أكبر من الإطلالة الحالية لأسباب تتعلق بالأمن القومي العربي. أنا لا أستطيع أن أقول إن هذا الكلام صحيح أم لا، ولكن يمكن أن يبتّ فيه فنيون عسكريون عرب ومن خلال اتفاقية الدفاع العربي المشترك. هم الذين سيحدّدون هل هناك فعلاً حاجة أم لا.

■ ***دكتور حسيب، الكويت سوف تجيبك أنه إذا كانت دولة بحاجة إلى منفذ بحري، هل تنتزعه من دولة أخرى؟***

حسيب: أنا لا أدعو إلى هذا، وأنا معارض لغزو العراقِ الكويتَ منذ البداية، ولكن أنا أتكلم عن علاقة طويلة الأمد، ولا يمكن العراقيين أن يقبلوا بعد أن يتخلصوا من القوات الأمريكية أن تبقى قوات أمريكية في الكويت تكرر المأساة حينما تريد. يمكن قوات عربية مشتركة ضمن اتفاقية الدفاع العربي المشترك أن تأتي لتطمئن الكويت من خلال انتشارها على جانبي الحدود (قوات مصرية، سعودية، سورية. . . إلخ، ولكن ليس أمريكية).

■ ***الكويتيون يقولون إن الكثير من العراقيين مرتاحون لدور الكويت في تحريرهم من صدام حسين. وهناك شخصيات عراقية تقول هذا.***

حسيب: أنا لا أريد أن أعطي أهمية لما يذكر حول هذا في بعض الصحافة الكويتية. هناك تقارير من الصحافيين البريطانيين منشورة في بعض الصحافة البريطانية تشير إلى أن هناك عدداً غير قليل من السيارات التي تأتي من الكويت إلى العراق تكون موضع استهداف عسكري.

■ ***أنت في رأيك أن هناك مشكلة والحوار المباشر مطلوب؟***

حسيب: إما حوار من خلال العائلة العربية، أو إذا تعذر ذلك يتعامل العراق والكويت كدولتين متجاورتين وليستا جزءاً من الأمة العربية. لا يوجد علاقة أكثر من هذا، فيذهبان إلى محكمة العدل الدولية للتحكيم أو أي صيغة أخرى تبتّ في ذلك، لأنه مثلما للكويت تعويضات وقبضت قسماً غير قليل منها، فإن العراق الآن سيطالب الكويت والأردن والسعودية وأمريكا وكل من ساعد في احتلال العراق، بتعويض. أمريكا لم تسقط نظاماً فقط، إنما قضت على دولة. المهم أن يتفق البلدان على أن لا يلجآ إلى القوة، في حل خلافاتهما، وان تحل بالطرق السلمية.

■ ***الآن الحكومة العراقية الحالية التي سوف تكون ممثلة في القمة العربية تشعر بالامتنان للكويت وأمريكا للدور الذي قامتا به.***

حسيب: لا أريد أن أكرر ما قلته، هؤلاء ينطبق عليهم ما حصل عند احتلال

الإنكليز العراق عام ١٩٢٠ وتعيينهم مستشارين في كل وزارة، حيث كان المستشار هو الوزير الحقيقي. حينها قال أحد الشعراء العراقيين ساخراً:

في أي مملكة يباع شهيدها ... للخائنين الخادمين أجانبا

مستأجرين على خرابِ ديارهم ... ويكافأون على الخراب رواتبا

وقِيلَ أيضاً في قصيدة أخرى:

المستشار هو الذي شرب الطِّلا ... فعلامَ يا هذا الوزير تعربدُ

عاشراً: ليس كل البعثيين مجرمين

■ ***هذا رأيك في موضوع مجلس الحكم، هل لديك تعليق على سياسة استئصال البعث والبعثيين على أساس حكم الاستبداد الذي أشرفوا عليه في العراق؟***

حسيب: أنا أعتقد أن هذا لا ينطبق فقط على البعث. يجب أن تتاح فرصة للذين تضرروا من هذه الإجراءات منذ عام ١٩٥٨ حتى الآن لأن يقدموا شكوى بأية جرائم ارتكبت، على أن تشكل هناك لجنة دولية فيها المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، والصليب الأحمر . . . لتقبّل هذه الشكاوى. وهذا ليس فقط ضد البعث والنظام السابق. ففي عام ١٩٥٩ ارتكب الأكراد والشيوعيون مجازر في الموصل وكركوك. وفي عام ١٩٥٨ قتل أناس أبرياء ونصبت مشانق في الشوارع. ينبغي أن يفتح مجال التحقيق من عام ١٩٥٨ إلى الآن. هذه اللجنة ستستلم شكاوى وتحقق، وعندما يصبح هناك مجلس منتخب، يقرر كيف يتعامل مع هذا الأمر. وهناك أمثلة في العالم مختلفة، فهناك تجربة جنوب أفريقيا، وتجربة شمال أيرلندا، وتجربة لبنان، وهناك أيضاً تجربة ما بعد الحرب العالمية الثانية مع كل من ألمانيا واليابان. إن المجلس يقرر بعد أن يتيح فرصة للرأي العام لأن يناقش هذه الأمور، وبعد أن تهدأ العواطف يقرر كيف يتعامل مع هذه القضايا.

لا يمكن الحديث عن ديمقراطية مع عزل سياسي. حتى العزل السياسي الذي مارسه عبد الناصر لا أوافق عليه. لا توجد ديمقراطية مع عزل سياسي. من حق البعثيين الذين لم يسرقوا أو ينهبوا أو يرتكبوا جرائم أن يمارسوا العمل السياسي مثل غيرهم.

■ ***لكن هل يقبل المجتمع بهم بعد المشاكل والمحن التي مر بها الشعب العراقي؟***

حسيب: نحن قلنا إن مرتكبي الجرائم والمخالفات يحالون إلى المحاكمة، ويتم التعامل معهم كما يقرر المجلس، ويعطى مجال للناس لمناقشة الموضوع. آن الأوان لأن

يقرر الشعب العراقي أصالةً عن نفسه، فلا صدام حسين، ولا بول بريمر، ولا ما يسمى مجلس الحكم الانتقالي المعين، يملك الحق في أن يقرر نيابة عنه. بل الشعب العراقي وحده هو من يقرر كيف يتعامل مع هذه القضية وغيرها.

حادي عشر: موقف إيران المحيّر

■ ***الأتراك يعترضون على دولة كردية، ولذلك يتوقع منهم أن يبقوا باستمرار ضد مسألة انفصال الأكراد، ولكن هل صحيح أن إيران لها «أجندة» مختلفة، ولها نفوذ وثقل كبيران في الداخل العراقي؟***

حسيب: طوال نحو ١٥ سنة، من خلال مركز دراسات الوحدة العربية، ومن خلال المؤتمر القومي العربي، يوجد تيار عربي يسعى إلى أن تكون إيران جزءاً من العمق الإسلامي للأمة العربية، وأن تتحول من عدو محتمل إلى صديق محتمل. ونظمنا عدداً من الندوات في هذا الموضوع، وعملنا على الدفع في هذا الاتجاه وحققنا نتائج أولية إيجابية. موقف إيران من الحرب الأخيرة محيّر وغير مقبول. ما معنى الحياد الإيجابي؟ وما معنى إرسال وفدٍ لزيارة مجلس الحكم، واستقبال وفدٍ من هذا المجلس في طهران. حتى إن أحد أعضاء هذا المجلس الذي زار إيران بلغ به الكرم إلى حدّ أنه تبرع لإيران بحقها في التعويضات عن حربها مع العراق، على اعتبار أن هذا واردٌ بحسب قرار الأمم المتحدة، مع أنه لا يوجد قرار من الأمم المتحدة بالتعويض لإيران، بل هناك قرار حول من هي الجهة التي بدأت الحرب، ولم يتم الفصل في هذا. لا يوجد شيء يقر إعطاء تعويضات لإيران.

كما أن الإيرانيين كانوا يحاولون أن يبيعوا ويشتروا مع الأمريكيين في ما يتعلق بالعراق، وكانت منظمة «مجاهدين خلق» أحد أثمان هذه الصفقة. أقول آسفاً أنا غير مرتاح للموقف الإيراني، ولا أعتقد أن هذا سيخلص إيران في الزمن الأبعد من خطر أمريكي إذا لا سمح الله استقر الأمريكيون في العراق.

■ ***إذا أي مواطن يشاهدنا، وضع نفسه موضع رئيس أو قائد لإيران، وجواره نظام حكم شن حرباً على إيران لمدة ثماني سنوات، وقتل عائلات وضرب واحتل مدناً إيرانية، ثم جاء طرف ثالث أراد أن يتخلص من ذلكَ النظام، لماذا لا يسكت؟ فبالنسبة اليه هذا انتقام له من صدام حسين.***

حسيب: الأمور لا ينظر إليها من هذا المنظار الضيق. أولاً، إيران والنظام العراقي السابق تبادلا الزيارات وعقدا اتفاقات وبدآ حواراً في موضوع الأسرى وعقدا اتفاقات، آخرها كان قبل سنتين أو ثلاث في طهران بعد تولي وزير الخارجية

الجديد. بالنسبة إلى إيران، أنا أقول هذا من زاوية المصلحة الإيرانية البحتة، أنا أعتقد أن هذه السياسة لن تؤدي إلى نتيجة معهم، والشيء نفسه بالنسبة إلى سوريا. إن هذه المحاولات كلها للترضية والتطمين التي قدموها، وللتعاون الذي أبدوا الاستعداد له، لن تؤدي إلى نتيجة. ونحن نرى الآن التصعيد على إيران. إن إيران تخسر إسلامياً في موقفها من العراق، إذ يجب أن لا يربط موقفها بالنظام. وبالنسبة إلى العراق، هذا بلد أصبح تحت الاحتلال، فيجب على إيران أن لا تقف هذا الموقف، لأنه إذا استقر الأمريكيون في العراق سيكون ذلك خطراً عليها.

■ ***بالنسبة إلى الدول العربية، بحسب رأيك، هل هي قادرة على وضع أية استراتيجية للتعامل مع الوضع الجديد؟***

حسيب: لحسن الحظ أن الدول العربية لا تستطيع أن تعرقل المقاومة، وإلا كانت أمريكا ضغطت عليها لتوقفها، كما إنها لا تستطيع أن تساعد المقاومة التي لا تحتاج إلى ناس مدربين ولا إلى تمويل، وهي تعمل من دونهم. الأمريكيون يتحدثون عن دول الجوار، وبخاصة العربية، بزعم أنه يدخل منها متسللون. المقاومة ليست بحاجة إلى مئة أو مائتين يأتون من سوريا والأردن. ثم بأي حق تقوم أمريكا باستقدام جيوش من اليابان وإيطاليا وإسبانيا وأستراليا وبلغاريا والسلفادور وغيرها، وليس عند هذه الدول مشكلة مع العراق، فيما هو ممنوع على العرب أن يرسلوا متطوعين إلى العراق، ولديهم اتفاقية دفاع عربي مشترك.

■ ***الحكومة العراقية الحالية هي التي تطلب ذلك.***

حسيب: يجب أن نحسم هذا الموضوع، هذه الحكومة غير شرعية وليس لها حق، والأفضل أن نسمع من بريمر نفسه.

■ ***الآن في ختام هذه الحلقة، كيف يبدو المستقبل القريب في العراق، هل أنت متفائل بأن ما دعوت إليه سوف يتحقق؟ أم أنت متشائم وتظن أن أمريكا ستنجح بتنفيذ استراتيجيتها على مدار العشرين سنة المقبلة، كيف ترى الأمور؟***

حسيب: المستقبل ليس قدراً محتوماً، هناك بدائل مختلفة، وهناك بدائل أفضل من أخرى. ولكن إلى أي حد نحن قادرون على ـ وراغبون في ـ دفع ثمن الخيار الأفضل. هذا يعتمد على العراقيين، على المقاومة، وهنا المقاومة ليست فقط المقاومة المسلحة. أنا أعتبر أن ما يقوم به آية الله السيستاني هو نوع من المقاومة لا يقل عن المقاومة المسلحة. إنه المقاومة بالموقف. وهذا التصعيد المستمر لن يمكّن الأمريكيين من أن يستقروا. لكن المحطة الحاسمة هي الانتخابات في أمريكا، وحتى الآن حتى مجلة **الإيكونومست** (*Economist*) في عدد أخير تؤكد هذا. نحن في الندوة التي عقدها

المركز أخيراً عن احتلال العراق وتداعياته[٩]، دعونا مايكل هدسون من أمريكا، وإيريك رولو من فرنسا، وكان في رأيهم أن الاحتمال الأرجح حتى الآن هو عدم نجاح بوش في الانتخابات، وهذا يعني بداية نهاية الاحتلال للعراق.

■ ***د. خير الدين حسيب، الآن لو طلبت منك آخر مداخلة في حلقة اليوم، ماذا تقول مباشرة للعراقيين الذين يتابعونك الآن على شاشة «المستقلة»؟***

حسيب: أنا أقول للعراقيين إن مصيرهم كله مشترك، ولا فرق بين إسلامي وقومي عربي وبعثي ويساري وشيعي وسنّي، إذا ما اتحدوا وأحبطوا كل المحاولات لإذكاء الفتنة الطائفية. وأنا أستطيع أن أقول، من خلال الندوة التي عقدناها في بيروت، وكان فيها ٥٠ مشاركاً من العراقيين، إنني لا أعرف، هل هم من الشيعة أو السنّة أو إلى أي مذهب ينتمون، ما عدا عشرة تدل عليهم أسماؤهم، فضلاً عن تركماني واحد. . لكن اللقاء كان يدعو إلى التفاؤل، لأنه تبدو هناك محاولات لقيادات جديدة. وستسمع في المستقبل كثيراً عن الشيخ جواد الخالصي، وعن الدكتور حارث الضاري، وابنه اللامع الدكتور مثنّى حارث الضاري، وقيادات أخرى. هؤلاء، أولهم شيعي، والآخران سنّيان، ويلتقون مع قيادات أوسع ستشكل قيادات لعمل وطني يقضي على بذور الفتنة الطائفية. وعلى العراقيين أن يتوحدوا لأنهم من دون الخلاص من الاحتلال لا يوجد أمل للعراق، بل سنعود إلى أوضاع ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

■ ***د. خير الدين حسيب، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، والكاتب والمفكر العربي العراقي المعروف، شكراً جزيلاً لك.***

---

(٩) احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية.

(٨)

مصير الأمة العربية في ميزان العراق(*)
(كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤)

التفاؤل والتشاؤم مقولتان قديمتان قدم وجود الوجدان الإنساني. . . يرتفع نجمهما في أوقات مثل هذه، في توديع عام واستقبال عام جديد. ولا تزال هذه الوتيرة مستمرة على الرغم من أن حسابات التفاؤل والتشاؤم أصبحت أشبه بطقوس خرافية غير عقلانية في عصر لا فضاء لها فيه.

إنما تبقى حتمية قراءة دروس عام مضى واحتمالات ما سيأتي به عام بدأ حاملاً ميراث ما قبله.

ومن وجهة نظر عربية صافية ـ بغضّ النظر عن اعتبارات التشاؤم والتفاؤل وعن التقييمات القومية والأيديولوجية والسياسية. . . إلخ ـ فإن **عام ٢٠٠٣ كان عام احتلال العراق. . وبالضرورة ـ ولأنه كان أيضاً عام مقاومة الاحتلال ـ فإن سنة ٢٠٠٤ ستكون سنة مصير احتلال العراق، وبالتالي مصير الوطن العربي والأمة العربية، وبخاصة مستقبل القضية الفلسطينية وحتى مصير الوضع الاقليمي والنظام الدولي.** فلقد أصبح هذا كله يتوقف على مدى نجاح الولايات المتحدة في الاستمرار في احتلال العراق، وإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط، أو فشلها واضطرارها إلى الانكفاء منسحبة من العراق.

* * *

(*) نشرت هذه الدراسة للدكتور خير الدين حسيب في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٢٩٩ (كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ١٠، بعنوان «مصير الأمة العربية في ميزان العراق ٢٠٠٤».

أرادت النخبة الحاكمة الأمريكية الإيهام بأن عام ٢٠٠٣ سيكون عام التخلص من الإرهاب وبأن غزو العراق هو نقطة العبور إلى تحقيق تلك الغاية. ومن أجلها أطلقت كل أشباح أسلحة الدمار الشامل التي جالت والتي لم تجل بخيال كتاب روايات الخيال العلمي. لكن جدول أعمال الإدارة الأمريكية الحالية المعلن وغير المعلن أوسع من ذلك بكثير، إذ يشمل إقامة نظام «ديمقراطي» في العراق يكون ـ بحسب تعبيرات المسؤولين في هذه الإدارة ـ نموذجاً تعيد أمريكا على أساسه رسم خريطة الشرق الأوسط بحسب جدولها المعلن، في حين أن جدول أعمالها غير المعلن هو السيطرة على العراق كموقع استراتيجي وإقامة قواعد عسكرية فيه، وكذلك السيطرة على نفط العراق حيث تستكمل بذلك سيطرتها على نفط الخليج العربي كله، بالإضافة إلى سيطرتها بشكل أو بآخر على مناطق إنتاج النفط في وسط آسيا وأفريقيا ليكون النفط ورقة بيدها تتحكم في تصديره وأسعاره، وبذلك تكون هذه السيطرة ورقة مساومة لديها وورقة تتحكم بها في علاقاتها مع أوروبا والصين واليابان بشكل أساسي. وهي مناطق تعتمد اعتماداً كلياً (أوروبا) أو شبه كلي (اليابان) على النفط المستورد.

***

لكن عام ٢٠٠٣ لم يلبث أن تحول إلى عام الخوف. **ومن يمكنه أن يتابع بلاغات السلطات الأمنية الأمريكية عن رفع مستوى التأهب تحسباً لهجمات إرهابية داخل أمريكا إلى الذروة ولا يتذكر قول الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت: «ليس هناك ما ينبغي أن نخاف منه سوى الخوف نفسه»**. وها هو جورج و. بوش يعكس الآية، فيعتبر أن على الأمريكيين أن يتسلحوا بالخوف في مواجهة الإرهاب ـ فهو أثار من الذعر فوق ما تحتمله أعصاب الأمريكيين. . على الرغم من تدريبهم الثقافي المستمر ـ سينمائياً وتلفزيونياً ـ على حياة الرعب.

وعلى غرار أسطورة الملك ميداس الذي أصبح كل شيء يلمسه يتحول إلى ذهب، ولم يدرك إلا متأخراً أن هذه لعنة من الآلهة وليست هبة، أصبح كل شيء يتحول بين يدي الإمبراطور الأمريكي الجديد إلى معضلة، إلى محنة، إلى عش للثعابين تلتف حول يديه. لقد تحول العراق بالنسبة إلى أمريكا من انتصار سريع إلى ورطة كبرى، إلى مستنقع تجد نفسها غارقة فيه، وقبلها تحول الاقتصاد الأمريكي نفسه من باب الفائض في ميزانيتها وازدهارها الاقتصادي إلى باب العجز والضائقة، إذ يتوقع أن يتجاوز العجز في الميزانية الأمريكية لعام ٢٠٠٣ حوالى ٥٠٠ مليار دولار، وأن يصل هذا العجز إلى مثل هذا الرقم أو ربما أكثر منه في عام ٢٠٠٤، كما أن من

المتوقع أن يستمر في عام ٢٠٠٤ الانخفاض الشديد في سعر الدولار في الأسواق العالمية مقابل العملات العالمية الرئيسة (مثل اليورو والين).

حتى القبض على صدام حسين تحول من جائزة كبرى إلى معضلة أكبر، وبدأ الأمريكيون يشعرون أنهم كالقابض على جمرة نار. . . حيث يريد المحافظون الجدد أن تتحول محاكمة صدام حسين إلى أعظم استعراض أمريكي للديمقراطية كما تصنعها القوة المسلحة. . . وأن تصبح بالتالي الصوت الحاسم الذي يقرر فوزهم بفترة الرئاسة الثانية لبوش حين يكون عام ٢٠٠٤ قد اقترب من نهايته. لكنهم ورئيسهم لا يعرفون هل سيضطرون إلى طلب محاكمة سرّية لصدام كما أشيع مؤخراً على ألسنة بعض أعضاء ما يسمى «مجلس الحكم المؤقت»، أم سيلجأون إلى تخديره قبل السماح بمحاكمته علناً أمام كاميرات التلفزيون؟ هل يطلبون من حلفائهم العراقيين أن يصدروا حكم الإعدام وينفذوه سريعاً، أم يستخدمون «عجز العراقيين عن إجراء محاكمة طويلة» بين ذرائع الاستمرار في حجب استقلالهم وسيادتهم عنهم؟

* * *

على أن نجاح بوش أو فشله في الانتخابات القادمة يعتمد على أمور ثلاثة: **الأول** مدى نجاح واستقرار الاحتلال الأمريكي في العراق، **والثاني** حال الاقتصاد الأمريكي خلال عام ٢٠٠٤ حتى موعد الانتخابات في تشرين الثاني/ نوفمبر، **والثالث** ما ستنتهي إليه الأوضاع في أفغانستان التي تشير الدلائل فيها إلى أنها عادت تشكل تحدياً للإدارة الأمريكية مع التصاعد المطرد لمقاومة طالبان، وما يترتب على ذلك من مخاوف من عمليات «إرهابية» ذات نطاق عالمي.

هذا الرئيس الأمريكي مصمّم ـ وقد يكون قادراً ـ على أن يجعل من عام ٢٠٠٤ عام فوزه بفترة رئاسة ثانية يلتقط فيها أنفاسه ليتابع أداء ما تدفعه إلى أدائه نخبة المحافظين الجدد. فقط عليه أن يقفز فوق حواجز لا تبدو لها نهاية: المقاومة المسلحة، مخاطر محاكمة صدام حسين، مخاطر التذبذب بين احتقار حلفاء أمريكا وأصدقائها واللجوء إليهم في طلب العون للخروج من ورطته العراقية، مخاطر الغلو في إثارة خوف الأمريكيين من أشباح الإرهاب بما يلحقه هذا من أضرار بالاقتصاد الأمريكي وبطريقة الحياة الأمريكية، وحتى بوضوح الطريق الأمريكي إلى أي هدف كان. وشاء أو لم يشأ فإن العراق يحتل الفضاء الزمني الممتد من عام ٢٠٠٣ إلى نهاية عام ٢٠٠٤. ومجمل التحديات التي تواجه السياسة الخارجية الأمريكية وصناعها وصناع قراراتها على طول هذه المساحة وعرضها ليس مصيره بيد أمريكا والقيادة العسكرية أو السياسية الأمريكية، بقدر ما هو بيد المقاومة العراقية والشعب العراقي. لهذا تتردد

التساؤلات ـ وبخاصة منذ أن وقع صدام حسين في الأسر ـ عما إذا كانت هذه الخطوة تعني أن المقاومة ستنحسر، وهو ضرب من أحلام اليقظة يراود عقول مديري حملة بوش الانتخابية ومنظّري تيار المحافظين الجدد، أم تعني أن المقاومة ستشتد وتتسع قاعدتها، وهو الواقع الذي تؤكده أحداث الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٣. وهو ما أعلنه وأكده قائد عسكري أمريكي كبير في العراق يوم ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٣، وفي الوقت نفسه، وجدت النخبَة التي يترأسها بوش من المناسب أن تشغل الأمريكيين حملة «تخويف» من الإرهاب، في اعتراف ضمني منها بأن احتلال العراق لم يكفل أماناً لأمريكا والأمريكيين.

وحتى إن الهدية التي تلقاها جورج و. بوش من طرابلس الغرب قبيل أعياد الميلاد ورأس السنة تحولت بين يديه إلى ثعبان سامّ. . . تحولت إلى دعوة للضغط على إسرائيل للتخلي عن ترسانتها النووية وما تملكه غير ذلك من أسلحة الدمار الشامل. فهل يمكن أن يقدم فريق بوش في واشنطن ـ في سنة انتخابات رئاسية ـ على الضغط على فريق شارون في تل أبيب؟

على أي الأحوال، فإن «إنجاح» بوش في الانتخابات الرئاسية القادمة هو الهدف الرئيسي له ولمجموعة المحافظين الجدد المحيطة به. وكل شيء آخر يخضع لهذا الهدف. موقف الإدارة الأمريكية من كل ما عدا «إنجاح» رئيسها في الفوز بفترة رئاسية ثانية ـ سواء كان أمراً داخلياً أو خارجياً ـ يخضع لهذا الهدف. هذه هي نصيحة مستشار البيت الأبيض للشؤون الداخلية كارل روف التي ينصاع لها الجميع. لكن من يمكنه أن يقول إن المقاومة لا تدرك أهمية دورها في التأثير في حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية ونتيجتها؟ من يمكنه أن يتصور أن المقاومة يفوتها أن تدّخر أغلى عملياتها للوقت الحاسم من عام ٢٠٠٤ بالنسبة إلى مصير فريق المحافظين الجدد؟

***

قبل عام ـ عندما كانت سنة ٢٠٠٣ في بداياتها ـ بدا أن العالم كله كان في مظاهرة عظمى غير مسبوقة ضد شن الحرب على العراق. والآن **تشير المعلومات المتوفرة إلى أن العالم سيشهد عودة لهذه الظاهرة خلال وقت قصير، إذ تجري الاستعدادات والتحضيرات لتظاهرات واسعة النطاق في أمريكا وأوروبا ـ ومن المؤكد أن تمتد إلى قارات العالم الأخرى ـ ضد احتلال العراق وضد استمرار العدوان على استقلاله وسيادته. والموعد هو يوم ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٤، حيث سيكون المطلب الأساسي في التظاهرات العالمية في الذكرى السنوية الأولى لسقوط بغداد هو انسحاب الجيوش المحتلة من العراق وتسليم المسؤولية إلى الأمم المتحدة.**

إن العالم يتهيأ بجدية لإعادة مشاهد الاعتراض والرفض بوجه أمريكا والمحافظين الجدد، وكذلك ـ وبالمنطق ذاته ـ بوجه إسرائيل.

معركة ٢٠٠٤ الحاسمة لانتخابات الرئاسة الأمريكية محكوم عليها منذ الآن بأن تجري على أرض العراق وأن تتحدد نتيجتها فيها. والنتيجة ستحدِّد بدورها إذا كان خطر النخبة الأمريكية الحاكمة الآن سيستمر لأربعة أعوام أخرى. . . أم إن تحالفاً غير مكتوب بين المقاومة العراقية والمعارضة الأمريكية للحرب والاحتلال ونزيف الدم الأمريكي والانتفاضة العالمية ضد خطر النازية الأمريكية الجديدة سيضع نهاية لهذا الإرهاب الرسمي.

***

إن جدول أعمال (أجندة) فريق المحافظين الجدد لعام ٢٠٠٤ يبدو واضحاً. . وأوضح ما فيه أنه يريد أن يبدو برنامجاً «حميداً» يعد بنقل السلطة والسيادة إلى العراقيين في منتصف العام إنما ظاهرياً فحسب. . . فالوعد لا يعدو أن يكون نقلاً شكلياً للسلطة والسيادة من دون انسحاب الجيش الأمريكي وروافده من الجيوش الأخرى التي تحتل العراق. وهذا يتبعه انكفاء للقوات الأمريكية إلى قواعد عسكرية في مواقع محددة من العراق يجري بالفعل بناء بعضها في الوقت الحاضر، وعلى أمل أن ينجح الاحتلال في إقامة حكومة عراقية «عميلة» له توقّع معه على «معاهدة دفاع مشترك» تسمح للولايات المتحدة بالاحتفاظ بتلك القواعد، وكل ما يترتب عليها من نتائج. . . بما في ذلك ضمان الحفاظ على تلك «الحكومة العراقية» وأية «حكومة عراقية» على شاكلتها، وبالتالي ترتيب الانتخابات لمجلس تأسيسي وإعداد الدستور بحسب مصالح الولايات المتحدة قبل وفوق كل المصالح الأخرى. لكن **هذه «الأجندة» الأمريكية الرسمية ـ ككل خطب العرش الإمبراطورية ـ مرهونة بالتجربة على أرض الواقع. وستكشف تطورات ٢٠٠٤ جوانبها الخفية التي لم تعد كذلك، وتلك التي لا تزال خفية. ومنها خطة نقل القواعد العسكرية الأمريكية التي ظلت رابضة في أوروبا الغربية طوال حقبة الحرب الباردة إلى العراق** بذريعة أن تؤدي دورها في حقبة الحرب على الإرهاب. إن العراق أقرب إلى حقول نفط الشرق الأوسط الأخرى وحقول نفط القوقاز وقزوين. وقد بدأ الحديث في الأيام الأخيرة من سنة ٢٠٠٣ حتى عن نقل القوات الأمريكية من السعودية إلى قواعد في العراق. وثمة مؤشرات كثيرة إلى أن واشنطن تتباعد عن الرياض بدرجة لم يسبق لها مثيل تمهيداً لإتمام هذا في العام الجديد.

ويدعو البرنامج الأمريكي نفسه بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، لفظياً، إلى

التمسك بسياسة دولتين: إسرائيلية وفلسطينية. . . وعند هذا الحد ينتهي أي تحرك فعلي نحو تحقيق هذا الجانب من «جدول الأعمال». ولا يمكن أحداً أن يتوقع أي تحرك بهذا الاتجاه في عام ٢٠٠٤ الذي ستسيطر عليه الحملة الانتخابية إلى بدايات تشرين الثاني/ نوفمبر.

* * *

وأياً كانت درجة وضوح «جدول أعمال» فريق المحافظين الجدد، فإن ممارسات هذا الفريق منذ مجيئه إلى السلطة تنذر بأخطار ومخاطر إقليمية وحتى كونية، فهي «أجندة» تدخل في إطار فكر أيديولوجي يقوم على اعتقاد بأن اللحظة التاريخية الراهنة هي فرصة لا تفوّت لأمريكا لإحكام سيطرتها على العالم بلا منازع ولا منافس.

فهل ستستمر الولايات المتحدة في انتهاج سياسة الانفراد بالقرار والفعل عالمياً (Unilateralism) وفي اتخاذ قرارات تعاقب حلفاءها ـ كما فعلت باستبعاد الشركات المنتمية إلى بلدان عارضت حربها على العراق؟ أم ستعود إلى الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي (Multilateralism)؟

* * *

هل يمكن أن يكون عام ٢٠٠٤ ـ إذاً ـ عام تحديد المصير الأخير لنخبة المحافظين الجدد برئاسة بوش؟ يبدو أنه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

إن عام ٢٠٠٤ يبدأ وللولايات المتحدة وجود عسكري في ما لا يقل عن ستين بلداً أجنبياً كلها خارج القارة الأمريكية، في ما وراء البحار، ومعظمها بلدان فقيرة، ليس بين أي منها والولايات المتحدة حرب معلنة. الغالبية الساحقة من الأمريكيين لا تعرف شيئاً عن هذه البلدان ولا تعرف حتى عن وجود قوات أمريكية فيها. لكن بالنسبة إلى بلد واحد بينها جميعاً ـ هو العراق ـ يبدو الوضع استثنائياً في أبعاده وتأثيراته، على العراقيين وعلى الأمريكيين وعلى العالم الخارجي. . . وبطبيعة الحال ابتداءً من الوطن العربي.

* * *

وبالنسبة إلى العرب، فإن الدراسات المستقبلية تبيّن أن المستقبل ليس قدراً محتوماً، فهناك دائماً بدائل ـ «مشاهد أو سيناريوهات» ـ بعضها أفضل من بعضها الآخر، ولكل منها متطلباته، ويعتمد تحقيق أي بديل أفضل على مدى القدرة والرغبة

في توفير متطلبات هذا «البديل الأفضل». ولحسن الحظ، فإن العراق قادر وراغب وحده في تحقيق البديل الذي يضمن تحرير العراق وانسحاب القوات المحتلة منه، وهو لا يحتاج حالياً ومن أجل ذلك إلى دعم الأنظمة العربية . . التي تتوزع بين ساكت أو خائف أو متواطئ سراً أو علناً مع الإدارة الأمريكية، ولحسن الحظ فإن المتواطئين منهم غير قادرين على تحمل عبء دعم الاحتلال الأمريكي الحالي وإفشال المقاومة كما فعل كثيرون منهم بالمشاركة الفعلية المعلنة وغير المعلنة في تقديم التسهيلات لاحتلال العراق، وعلى رغم ما تفرضه عليهم التزاماتهم القانونية التي تمليها عليهم «اتفاقية الدفاع العربي المشترك»، وهم جميعهم موقّعون عليها.

***

وبعد . . فإن المسافة بين التشاؤم والتفاؤل ـ في مثل هذه الأوقات الدقيقة والصعبة ـ أوسع بكثير من أن تقاس. لكن أصحاب الإرادة المقاوِمة يستطيعون عبورها بل إلغاءها. فقط «متى؟» هو السؤال اللغز: هل يتم هذا في سنة ٢٠٠٤ أو بعدها ـ إنه السؤال الذي لا يمكن أحداً أن يجيب عنه، إلا المقاومة العراقية والشعب العراقي. وعندما يتحقق انسحاب المحتل الأمريكي من دون شروط يكون العراق قد كسب الحرب على رغم أنه خسر «معركة» غزوه من قبل أمريكا، فالمهم في النتيجة النهائية هو «كسب الحرب» وليس «خسارة معركة».

(٩)

المأزق الأمريكي في العراق... وغياب دور الأمم المتحدة(*)
(٦ أيار/مايو ٢٠٠٤)

● أنا أعتقد أن أمريكا الآن في مأزق، وأنها سقطت في المستنقع العراقي..

● الأمريكيون لا يعرفون العراق جيداً: لا يعرفون نسق القيم في العراق، ولا يعرفون معنى الكرامة عند العراقي.

● للعراق تاريخ طويل في مقاومة القواعد العسكرية، وهناك كثيرون ضحوا وماتوا في سبيل ذلك.

● للأسف لو كان بإمكان معظم الأنظمة العربية أن تتدخل الآن في العراق لفعلت ذلك لمصلحة أمريكا.. ولو استطاعت أن تعطّل المقاومة العراقية لفعلت ذلك من دون تردد.

● الأخضر الإبراهيمي لن يتورط في موضوع تقدّم فيه الأمم المتحدة تغطية للأمريكيين في احتلال العراق.

● أنا أعتقد أنه إذا كانت الأمم المتحدة تريد أن تنجح، فيجب أن يكون مجلس الرئاسة مكوناً من أشخاص ثلاثة غير حزبيين، ورئيس الوزراء والوزراء من التكنوقراط، وليسوا تحت السيطرة الأمريكية.

(*) أجرى هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب عرفات حجازي على قناة «NBN» اللبنانية يوم ٦/٥/٢٠٠٤، وذلك ضمن برنامج «الملف»، ونشرت في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٤ (حزيران/يونيو ٢٠٠٤)، ص ٦ - ٢١، بعنوان «حوار حول مستقبل العراق».

● لو كان الأمريكيون جادين فعلاً في الخروج من العراق قبل نهاية السنة ومهتمين بالأمن، فلماذا حلّوا الجيش؟

● لا يمكن أن تكون الانتخابات في العراق حقيقية وحرة تحت الاحتلال.

● أصبح معروفاً أن هناك عملاء من الموساد في العراق ساهموا في تدريب الأمريكيين على هذه الوسائل.. وما يجري في العراق يكاد يكون صورة طبق الأصل لما يحدث في فلسطين المحتلة.

● في موضوع التعذيب هناك ١٣ حالة من الانتهاكات، و١٣ شخصية قيادية مسؤولة عنها.

● إن مصير العراق والأمة العربية ودول الجوار غير العربية والنظام العالمي يتوقف على ما يحدث هذه السنة في العراق.

■ *أسعد الله أوقاتكم، بعد عام ونيف على الاحتلال الأمريكي للعراق، تغيرت وقائع وحقائق، وجرت مياه كثيرة تحت الجسور. فشتّان ما بين وقفة بوش على أرض بارجته الصلبة قبل عام مفعماً بنكهة النصر وغرق جنوده في وحل العراق. العراق بعد عام من الاحتلال تبدو صورته باهتة أمام ألوان الدم والدمار ووقع أصوات الانفجارات التي لا تهدأ. زلزال الاحتلال ضرب كل شيء، غَيَّرَ معالم كل شيء: نظام الحكم، مؤسسات الدولة، العلاقات الدولية والاقليمية... إلخ، لم يعد أي شيء كما كان. الأمريكيون فوجئوا بما لم يكن في الحسبان: أمن منفلت، مقاومة ضارية، اقتصاد يتراجع، مجلس حكم يترنّح، وتحالف دولي يتصدع، والمخاوف والشكوك تذهب في كل اتجاه والأصوات ترتفع حتى داخل الإدارة الأمريكية مُنْذِرَةَ بفييتنام جديدة.*

قوات الاحتلال التي سقطت في الفخ تحاول الخروج منه: استعانت بالأمم المتحدة لتنفيذ نقل السلطة إلى العراقيين وتشكيل حكومة انتقالية والبدء بالتحضير لانتخابات عامة مطلع السنة المقبلة. لكن السؤال هو: أي سلطة وأي سيادة ستسلم للعراقيين؟ وأي حكومة انتقالية وبأي صلاحيات ستحكم؟ أي قوة متعددة الجنسية سيقرر مجلس الأمن إرسالها إلى العراق؟ ما هو مصير قوات الاحتلال؟ من يحفظ الأمن؟ هل تتوقف المقاومة؟ كلها أسئلة صعبة تطرح قبل شهرين أو أقل من استحقاق نقل السلطة إلى العراقيين.

للقراءة في هذا الوضع الغامض والصعب والمعقد، «الملف» يستضيف الدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية للحديث عن واقع العراق

ومستقبله. وقبل أن نفتح الحوار نرغب بمشاركتم معنا بالإجابة عن السؤال التالي بنعم أو لا، السؤال هو: هل تؤيد الاستعانة بالبعثيين السابقين لإحلال الأمن في العراق؟ اتصل على الرقم ١٠٤٦ وأعطني رأيك.

■ ***دكتور كمدخل لحوارنا الليلة، بعد مرور عام ونيف على الاحتلال، هل تعتقد أن الأمريكيين وقعوا في الفخ الذي نصبوه في العراق، فلا هم قادرون على الخروج منه، لأن الخروج منه مكلف، وأما البقاء فيه فمكلف أكثر؟***

حسيب: بغض النظر عن النيات، أعتقد أن أمريكا خططت للحرب أكثر مما خططت لما بعد الحرب. وهناك عدد من الدراسات نشرت في مجلة **فورين أفيرز** *(Foreign Affairs)* في سنة ٢٠٠٢ تشير إلى أن الصعوبة ليست في احتلال العراق، وإنما الصعوبة في ما بعد الاحتلال. لذلك قدروا أن أمريكا تحتاج إلى قوات تتراوح ما بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ ألف جندي، وهذا ما حصل. أمريكا نجحت في احتلال العراق، ولم يكن من المتصور أن الجيش العراقي المنهك منذ حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١، والمحاصر على مدار ثلاث عشرة سنة، يستطيع أن يقاوم الجيش الأمريكي مع كل التقانة المتوفرة لديه. إضافة إلى ذلك، فإن الخطة العسكرية العراقية كانت ـ على ما يبدو الآن ـ تعتقد أن الجيش الأمريكي سيحاول احتلال المدن وقد هَيَّأَ العراقيون للمقاومة داخل المدن، ولكن الخطة الأمريكية تفادت المدن، مكتفية بتطويقها، محاوِلةً الوصول بأسرع ما يمكن إلى بغداد، وحصل ما حصل.

أنا أعتقد أن أمريكا الآن في مأزق، وأنها سقطت في المستنقع العراقي، ولم تستقبل بالورود كما قالوا لها، وكما ظنت أو كما قِسْمٌ منها ظن. صحيح أن معظم العراقيين لم يقاوم، ولكنهم لم يرحبوا بالاحتلال، لأن للعراق تاريخاً طويلاً مع الاحتلال. الأمريكيون لا يعرفون العراق جيداً: لا يعرفون نسق القيم في العراق، ولا يعرفون معنى الكرامة عند العراقي.

■ ***يعني على الرغم من وجود مراكز دراسات . . .***

حسيب: الطغمة التي دفعت إلى الحرب، كما يبيّن وودورد في كتابه الأخير: *(Plan of Attack)*[(١)]، أعني طغمة رامسفيلد وولفويتز وتشيني وبيرل وفيث، لم يكن رموزها يملكون أية خلفية في معرفة المنطقة، على عكس ما تُفِيدُ به التحضيرات التي قامت بها وزارة الخارجية. لذلك، فإن الذي سيقرر مصير أمريكا في العراق هو الانتخابات الأمريكية. إذا استمرت المقاومة واتسعت كما يبدو في الأيام الأخيرة ـ

---

(١) Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York: Simon and Schuster, 2004).

حيث انتشرت إلى كربلاء والنجف والديوانية وغيرها ـ وإذا كان هناك ضحايا أكثر مما تتحمل أمريكا، فإن الأمور ستدفعها إلى خيار التسريع بالخروج من العراق. إن إحدى مزايا أمريكا أنها براغماتية؛ ولذلك فهي قد تغير مواقفها بنسبة ١٨٠ درجة إن وجدت مصلحتها في ذلك، كما إن مصلحة الرئيس الأمريكي ورغبته في الفوز في الانتخابات قد تتطلبان ذلك. ولذلك قد يُجبرون على الرحيل وتسليم الأمور للأمم المتحدة، ولكنهم سيحاولون أن يبقوا إلى آخر يوم ممكن في العراق، لأن مخططهم أوسع من العراق.

■ ***إذاً ألا تعتقد أنه في محاولة للخروج من الفخ العراقي يحاول الأمريكيون الآن الاستنجاد بالأمم المتحدة، وتسمية الأخضر الإبراهيمي والرهان عليه على ترتيب نقل السلطة إلى العراقيين؟ هل يمكن أن تنقذهم الأمم المتحدة؟***

حسيب: حتى الآن، وبانتظار قرار جديد من مجلس الأمن يحدد دور الأمم المتحدة، فإن دور الأمم المتحدة حالياً هو، كما أعلن الإبراهيمي ووافق على ذلك كوفي أنان ومجلس الأمن، اختيار حكومة مؤقتة ومجلس رئاسة والتحضير للانتخابات. وفي شهر تموز/ يوليو سيتم عقد اجتماع لـ ١٠٠٠ أو ١٥٠٠ عراقي يمثلون اتجاهات مختلفة لاختيار مجلس استشاري يضم ما بين ١٠٠ إلى ١٥٠ شخصاً، على أن يكون هذا المجلس بمثابة برلمان استشاري جديد يساعد الحكومة في التخطيط، على أن تكون الحكومة حكومة انتقالية لتصريف الأعمال، ومهمتها الرئيسية إجراء الانتخابات في موعد لا يتجاوز كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥.

■ ***سنعود إلى الحديث بالتفصيل عن مهمة الأخضر الإبراهيمي وعن دور الأمم المتحدة، لكن طالما نحن بصدد الحديث عن مآزق، ألا تعتقد أن العرب هم أيضاً في مأزق؟ الحرب تدور على أرض عربية وهم لا يستطيعون أن يستقيلوا من دورهم، وبخاصة أن الحرب على مقربة من حقول النفط. هناك دعوات دولية ودعوات إسلامية ـ د. حسيب ـ لكي يتدخل العرب في العراق من خلال إرسال قوات تحت يافطة أو تحت علم الجامعة العربية. هل تعتقد أن من مصلحة العراقيين أن تدخل القوات العربية إلى العراق؟ هل هذا يفيد؟ وهل هذا يعطي بعض الدور للعرب؟***

حسيب: الأخ عرفات، بعد حرب الخليج الثانية، وبعد احتلال الخليج وانتشار القواعد الأمريكية، أصبحت الولايات المتحدة عضواً رئيسياً فاعلاً، وإن كان غير رسمي في مؤسستين هما جامعة الدول العربية ومنظمة الأوبك. هذا ما تبيّن في الاحتلال الأمريكي للعراق. الحرب لم تكن حرباً أمريكية فقط، كانت حرباً أمريكية ـ

عربية على العراق شاركت فيها معظم النظم العربية إما «بالسكوت» أو «بالخوف» أو «بالتواطؤ المعلن» أو «بالتواطؤ الخفيّ». من أين تحركت القوات الأمريكية لاحتلال العراق؟ من أين تحركت الطائرات والبارجات؟

إنني أحيل على كتاب وودورد، ففيه معلومات مفصلة حول الأدوار التي أدتها دول جوار العراق ودول عربية أخرى غير مجاورة في تسهيل عملية احتلاله من قبل القوات الأمريكية[٢]، وأتوقع أن تقوم الحكومات المعنية بالرد على ما جاء فيه من اتهامات.

■ ***دكتور، أنت تعرف أن نظام الرئيس صدام حسين كان مشكلة بالنسبة إلى كثير من الدول العربية، الآن اختلف الوضع، نحن لا نتعاطى الآن مع الوضع العراقي الراهن، العراقيون بحاجة إلى مساعدة من أشقائهم العرب، كيف يمكن العرب أن يساعدوا العراقيين؟***

حسيب: للأسف، لو كان بإمكان معظم الأنظمة العربية أن تتدخل الآن في العراق لَفَعَلَتْ ذلك لمصلحة أمريكا، لأن الحرب قامت بمساعدتها، ومن دونها لم يكن ممكناً أن تقوم الحرب. موقف تركيا كان أفضل من موقف الأنظمة العربية. فلذلك، من حسن حظ العراق أنها لا تستطيع أن تعرقل عمل المقاومة، بسبب أن المقاومة لديها مقاتلون مدرَّبون ولديها سلاح، ولديها الحد الأدنى من التمويل من التبرعات. ولو استطاعت الأنظمة أن تُعَطِّل المقاومة لفعلت ذلك من دون تردّد.

■ ***سنتحدث عن المقاومة، لأنه يوجد مقاومات في العراق، ولا أدري عن أية مقاومة تتحدث، سنتحدث عنها بالتفصيل. نعود إلى مهمة الإبراهيمي، قلت إن الإبراهيمي عاد للعمل على الوصول إلى صيغة سياسية لعملية نقل السلطة إلى العراقيين، لكن هذه المهمة موضع خلاف وجدل داخل العراق، فهناك أعضاء في «مجلس الحكم» يؤيدون مهمة الإبراهيمي وآخرون يعترضون عليها ويعتبرون أن العراق ليس بحاجة إلى أوصياء، إذ إنهم ليسوا قطيع غنم ولا قطيع بقر، حتى يتدخل الإبراهيمي. كيف تنظر أنت إلى مهمة الإبراهيمي؟ وما هي الشروط التي تراها ضرورية لإنجاح دوره في عملية نقل السلطة؟***

حسيب: سؤال مهم جداً. الإبراهيمي لم يأت بمبادرة من الأمم المتحدة، وإنما جاء بمبادرة وبإلحاح من الولايات المتحدة.

---

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٢، ٢٣٦ ـ ٢٣٩، ٣١٢ ـ ٣١٥، ٣٧٩، ٣٨٨ ـ ٣٨٩ و٤٠١.

■ ***وبطلب من «مجلس الحكم».***

حسيب: ما يسمى «مجلس الحكم»، لا يقدّم ولا يؤخر في الموضوع.

■ ***يعني مجرد واجهة؟***

حسيب: الذي يريده بريمر يعمله هؤلاء، لكنهم لا يقدمون ولا يؤخرون، هُمْ فقط مشغولون بتعيين أقاربهم وأزلامهم، وقسم منهم مشغول بالاستفادة من هذه المرحلة، وبالتالي، دورهم محدود. وإذا كانوا معارضين لمهمة الأخضر الإبراهيمي، فلأنهم يعتقدون أنها ستُنْهِي دورهم، وبخاصة أن المقترح من الإبراهيمي كما يبدو، أن تكون الحكومة حكومة تكنوقراط، يتم فيها استبعاد السياسيين بمعنى المنتمين إلى أحزاب، وأن يقوم مجلس رئاسة من ثلاثة أشخاص غير حزبيين.

■ ***حول هذه المسألة دكتور، هل لديك أسماء؟ نقرأ في الصحف أن هناك عدنان الباجه جي مرشح أن يكون رئيس حكومة أو رئيساً، وإبراهيم الجعفري، وأسماء أخرى مطروحة. هل باعتقادك يمكن هذه الأسماء أن توحي بالثقة للعراقيين؟ وكيف سيتم التوزيع؟ هل وفق حصص طائفية؟ وهل هذا يتناسب مع الوضع القائم في العراق؟***

حسيب: بحسب ما قيل على لسان الإبراهيمي، وبحسب ما ذكر في تقريره(٣)، وكذلك في المقابلات التي تمت معه في بعض الفضائيات العربية، هو لا يريد أحداً من الحزبيين أن يشارك في هذه الوزارة، وبالتالي يتطلع إلى إمكانية تشكيل مجلس رئاسة ووزارة من غير الحزبيين. ومن هذا المنطلق، يمكن استبعاد كل من يجري الكلام عنهم، لأن لهؤلاء جميعاً أحزاباً.

■ ***قرأت اليوم، أن بعض أعضاء مجلس الحكم هدَّد بأن «قانون إدارة الدولة» قد يتخلون عنه، وكأنهم هم الذين وضعوه.***

حسيب: زعم الفرزدقُ أنْ سَيَقْتُلَ مَربعاً   أَبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مَربعُ

كل ما حدث، كل المآسي التي حدثت، كل الأشياء في سجن أبو غريب، في الفلّوجة، في النجف وكربلاء، لم تهزّهم ولم تحركهم.

---

(٣) انظر تقرير مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى العراق، الأخضر الإبراهيمي، والمقدّم إلى مجلس الأمن، في الجلسة رقم ٤٩٨٤، بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠٤، والمتوافر على موقع الأمم المتحدة على الإنترنت: <http://www.un.org>.

مظفر النواب شاعر عراقي تعرفه، لديه قصيدة فيها يصف الأنظمة العربية والحكام، يقول:

تـتـحـرّك دكّـة غـسـل الموتـى أما أنتم فلا تتحرك لكم قصبة

■ ***تبدو قاسياً عليهم، يعني نحن أمام استحقاق داهم وهو الشاغل الآن بالنسبة إلى العراقيين هو موضوع ٣٠ حزيران/ يونيو. السؤال، لمن ستنقل السلطة في العراق؟ هل تكون السيادة كاملة كما يريدها العراقيون؟ أم هل ستكون سيادة منقوصة كما يريد الأمريكيون وكما عبّروا عن ذلك؟ وهل هذه الخطوة ستقدم وتؤخر في مسار القضية العراقية؟***

حسيب: الأخ عرفات، هناك فرق بين ما يريده الأمريكيون وما يطمح إليه الأخضر الإبراهيمي. الأخضر الإبراهيمي مبعوث للأمين العام ومكلف بمهمة معينة، ونحن يجب أن لا نحكم عليه كرجل قومي عربي جزائري، هو ذاهب لأداء مهمة معينة وبتفويضات معينة. أنا بحسب معرفتي للأخضر الإبراهيمي، أستطيع القول إنه لن يتورط في موضوع تُقَدِّم فيه الأمم المتحدة تغطية للأمريكيين في احتلال العراق.

■ ***لا يمكن أن يوفر غطاء دولياً للمأزق الأمريكي؟***

حسيب: هو لن يقوم بذلك، يمكن أن تفعل ذلك الأمم المتحدة أو غيرها، لكني لا أعتقد أنه يمكن أن يقوم بهذا الدور، وينهي حياته السياسية بهذا الموقف. وكما فعلت أمريكا مع «مجلس الحكم» تريد أن تفعل مع الحكومة المؤقتة ومجلس الرئاسة: تريدهما أداةً لخدمة مصالحها. تَصَوَّر أن الأمريكيين، وقبل أن يعرفوا من هي الحكومة المؤقتة وقبل أن يعرفوا نتيجة الانتخابات والحكومة التي ستنبثق عن الانتخابات، يقولون إن الحكومة القادمة سيعقدون معها اتفاق دفاع بموجبه يكون لهم قواعد في العراق! كيف لهم أن يعرفوا أن الحكومة القادمة في العراق ستعطيهم هذه القواعد؟ للعراق تاريخ طويل في مقاومة القواعد العسكرية، وهناك كثيرون ماتوا وضحّوا في سبيل ذلك، وهذا تمّ قبل ثورة ١٩٥٨. في عام ١٩٥٨ حتى معاهدة دفاع بغداد تم إلغاؤها. إن العراق لا يمكن أن يقبل بقواعد عسكرية، ما هو الغرض من هذه القواعد العسكرية؟ يجب أن تقنع العراق ما هو الغرض من القواعد العسكرية.

أنا أعتقد أنه إذا كانت الأمم المتحدة تريد أن ينجح الإبراهيمي في مهمته، فيجب أن يكون مجلس الرئاسة من أشخاص ثلاثة غير حزبيين، ورئيس الوزراء والوزراء من التكنوقراط وغير تابعين لأحد، وليسوا تحت السيطرة الأمريكية.

■ *هذه هي الفكرة التي يستند إليها الإبراهيمي.*

حسيب: إضافة إلى ذلك، أنا لا أعرف موقف الأمم المتحدة من مسألة غير قابلة للجدل وهي أنه لا يمكن أن تتم انتخابات حرة تحت الاحتلال الأمريكي، وبالتالي فإن الانتخابات المقدر لها أن تتم في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥ ويُحضَّر لها من الآن، يجب أن يسبقها صدور قرارٍ من مجلس الأمن يُحدِّد تاريخاً لجلاء القوات الأمريكية وغير الأمريكية من العراق في موعد لا يتجاوز ٣١ كانون الأول/ ديسمبر القادم.

■ *ومن سيحفظ الأمن يا دكتور؟ من سيحفظ الأمن في العراق؟*

حسيب: وهل الأمن موجود الآن في العراق؟

■ *على الأقل لم تنشب حرب أهلية.*

حسيب: هذا ما عملوا له طويلاً، دائماً كنت تسمع من المسؤولين الأمريكيين، ومن الإعلام الأمريكي، ما معناه أنه إذا خرجنا ستنشب هناك حرب أهلية. لا يا أخي، لن تَحدُثَ حرب أهلية على الرغم من كل محاولاتهم. هم يحاولون أن يهندسوا انشقاقات بين الشيعة والسنّة، ثم داخل كل منهما. لكن تاريخ العراق لم يشهد مثل هذا الانشقاق والصدام بين أهله طيلة تاريخه؛ ويجب عدم إسقاط حالة الانقسام الطائفي والمذهبي التي كانت في لبنان على العراق. في العراق الوضع مختلف، الشيعة معظمهم ـ في ما عدا قلّة صغيرة من أصول إيرانية ـ قبائل عربية تشيعت قبل ٢٠٠ إلى ٣٠٠ سنة. قسم منها هاجر من شمال العراق إلى جنوبه والحوزة العلمية ساعدتهم، فقد تَشَيَّعَ الشيخ ومن ثم تبعتْه القبيلة كلها فتشيعت، ولا تزال حتى الآن قبائل مثل شمّر: في الشمال سنّة، وفي الجنوب شيعة، والجبور في الشمال سنّة، وفي الجنوب شيعة. كما إن العرب السنّة في العراق لا يستطيعون أن يزايدوا على العرب الشيعة في العروبة ولا في القومية العربية. العرب الشيعة كانوا قيادات رئيسية في ثورة ١٩٢٠، وكل الأحزاب القومية التي تشكلت كانت مزيجاً من الشيعة والسنّة، وكان رئيس «حزب الاستقلال» الشيخ محمد مهدي كبّه (شيعي) ونائب الرئيس كان محمد صدّيق شنشل (سنّي).. وكذلك الأحزاب الأخرى. لم يكن في العراق حزب طائفي يقوم على أساس طائفة واحدة. ونحن رضعنا القومية على أساتذة قسم منهم كانوا شيعة. لا يستطيع أحد أن يزايد على الشيعة في العروبة. أما ما يقال إن الظلم كان أكثر على الشيعة وعلى الأكراد ممَّا كان على السنّة، فإنه يعود إلى أنه في الوضع الذي كان موجوداً، كل واحد ينظر من زاويته إلى أنه مظلوم. لكن إذا كان هناك شيء يذكر للنظام السابق في هذا الموضوع، فهو أنه مارس «عدالةً في الظلم».

■ ***ظلم كل الناس ولكن بالسوية.***

حسيب: المعيار لم يكن طائفياً في الظلم، كان سياسيّاً يرتبط بمدى خطر الشخص أو المجموعة على أمن النظام أو على شخص رئيس النظام حسبما يقدره النظام. أنا غير متخوف من أي شيء من هذا النوع، وكانت هناك تجارب بالنسبة إلى الفلّوجة والنجف.

■ ***الآن الجيش ما زال في طور التكوين وسنأتي على ذكره، لكن حتى الآن لم يتجاوز عدد القوات المسلحة العراقية، المُجهَّزة بأسلحة خفيفة، والتي لم تخضع لدورات تدريبية، ولم تحمل بعد عقيدة قتالية، الحَدَّ الذي يسمح لها بأن تضبط الأمن، وبخاصة أن هناك ستة ملايين قطعة سلاح إذا لم يكن أكثر لدى العراقيين، والميليشيات ما زالت تتمتع بسلاحها، فكيف يترك الأمريكيون؟***

حسيب: لو كان الأمريكيون جادين فعلاً في الخروج من العراق قبل نهاية السنة، ومهتمين بالأمن، فلماذا حلّوا الجيش؟ أَلَمْ يَحُلُّوا الجيش والأجهزة الأمنية الأخرى لكي يبرروا بقاءهم لفترة أطول؟ إنهم لم يسقطوا نظاماً فقط، بل قضوا على الدولة. ثم ما معنى أن تترك بغداد وغيرها ما بعد سقوطها، يومين للنهب والسلب؟ كان يمكن أن يعلنوا منع تجول يحول دون هذا كله مثلاً. الجيش العراقي كان عدده حوالى ٥٠٠ ألف، وكان بإمكانهم ـ والآن بإمكانهم ـ أن يفرضوا على أي ضابط أو جندي كانت له علاقة بحزب البعث ويريد أن يستمر في علاقته مع حزب البعث مغادرة الجيش، والذي ينهي علاقته بحزب البعث ولن تكون له علاقة حزبية مستقبلية يمكن أن يستفاد منه في الجيش. بعبارة أخرى أن يكون في العراق جيش غير حزبي وغير سياسي يخضع للقيادة السياسية.

■ ***هذه النظرة غير متفق عليها في الداخل العراقي، لأن هناك الكثير من الناس متخوفون من عودة الضباط أو العسكريين، لأن هذا يشكل خطراً على الأمن، هكذا قالوا في تصريحاتهم.***

حسيب: أولاً، الجيش العراقي ـ وبخاصة الجنود ـ هو جيش إجباري وليس جيش متطوعين، وبالتالي يضم جميع فئات الشعب، وَكان هو البوتقة التي تصنع الاندماج الاجتماعي بين كل الطوائف. فمن أين ستأتي بالجيش؟ هذا هو الجيش. إذا كان هناك أفراد شاركوا في جرائم يُستبعَدون ويحالون على المحاكمة حينما تقوم حكومة شرعية منتخبة. على أن باب المحاكمات إذا انفتح، ينبغي ألاّ يدخله هؤلاء فقط، بل كل من ارتكب جريمة سياسية منذ العام ١٩٥٨ حتى الآن، لأن العام

١٩٥٩ شهد مجازر في كركوك والموصل ارتكبها الأكراد والشيوعيون. وللمجلس المنتخب أن ينظر في الطريقة الأنسب لمعالجة الموضوع.

■ ***إشارة إلى أن حصيلة الاستفتاء من قبل المكالمات التي وردت جاءت النسبة ٦٠ قالوا «نعم» للاستعانة بالبعثيين السابقين لإحلال الأمن في العراق و٤٠ قالوا «لا» لهذه الاستعانة. دكتور، كنا نتحدث عن موضوع نقل السيادة إلى العراقيين؛ كولن باول قال بوضوح إن على الحكومة المقبلة أن تقبل أن تكون السيادة منقوصة لأن القوات المسلحة لا بد من أن يترك لها حرية العمل وحرية التحرك، وبالتالي هم لا يفرضون هذا الأمر على الحكومة المقبلة إنما بالتفاهم معها، وحتى الرئيس شيراك حذّر من أن أي قرار سيصدر من مجلس الأمن يجب أن يكون واضحاً في تحديد الدور الذي سيوكل إلى الأمم المتحدة، وهو حذّر أيضاً من أن تكون عملية تسليم السلطة عملية صورية ورمزية، وأن يبقى كل شيء في يد الأمريكيين، كيف تنظر أنت إلى هذه الصورة؟***

حسيب: مجلس الأمن وفرنسا وروسيا وألمانيا أرادوا فعلاً أن يخرجوا العراق من هذه الأزمة. وإذا أرادت أمريكا أن تخرج من هذا المستنقع وأمامها الانتخابات، أعتقد أنه ليس أمامها إلا أن تسلم الموضوع إلى الأمم المتحدة، والأمم المتحدة تتولى إنشاء الحكومة الجديدة، وأن يحدد قرار مجلس الأمن موعداً لانسحاب القوات الأمريكية من العراق. لا يمكن أن تكون الانتخابات حقيقية وحرة تحت الاحتلال.

■ ***أنت في رأيك يجب أن تكون هناك جدولة زمنية لخروج القوات؟***

حسيب: وقبل نهاية السنة الحالية.

■ ***ربما تجد الأمم المتحدة استحالة في عملية الاستغناء عن القوات الأمريكية.***

حسيب: خلال هذه الفترة، الستة أشهر، الأمم المتحدة والحكومة الجديدة تشرف على إعادة تكوين الجيش العراقي، وفق أسس سليمة، أمامها ستة أشهر والجيش العراقي موجود، وحتى لا تزال بعض أسلحته مُخبَّأة. وضباطه موجودون كما تبيَّن في الفلّوجة، والذين نودي عليهم للدخول إلى الفلّوجة أنهوا المشكلة في المدينة سريعاً، فيما لم يستطع الأمريكيون بكل قوتهم أن يدخلوها.

■ ***لماذا لجأوا إلى هذا الخيار؟ ألا تعتقد أن في هذا رسالة يريدون أن يوجهوها إلى الشيعة؟***

حسيب: هذا ما قلته في البداية من أن الأمريكيين براغماتيون. عندما كان الخيار أن يدخلوا الفلّوجة عسكرياً ويحتلوها ويقدموا عشرات ومئات القتلى من

الأمريكيين، الأمر الذي سيؤثر في بوش في الانتخابات، فضّلوا الخيار الثاني، أي الاستعانة بفوج من الجيش العراقي السابق، لأنه سيوفّر عليهم كثيراً.

■ ***كيف سيوفقون إذاً في معالجة مشكلة مقتدى الصدر، وبخاصة أن هناك مدينتين مقدستين عند الشيعة، وقد حذرت المراجع من أن الدخول إلى هاتين المدينتين خط أحمر وقد يترتب عليه تداعيات خطيرة؟***

حسيب: كنت أتمنى أن ينسق السيد مقتدى الصدر بشكل أكبر مع المرجعية في النجف، أي مع الحوزة العلمية في النجف. الآن لا أستطيع أن أتصور أن الحوزة ستبقى ساكتة أمام هذه الضحايا. قبل يومين كان هناك ٦١ قتيلاً واليوم مساء في آخر الأخبار قيل إن هناك ٤١ من القتلى. أنا أعتقد أن المسألة قد تحل على غرار الحل في الفلّوجة. أمّا إذا استطاعوا إلقاء القبض على مقتدى الصدر، فلا أعتقد أن المقاومة ستتوقف، لكنها ستأخذ أشكالاً أخرى: عمليات منفردة في بغداد وغيرها مثلاً. لا تَنْسَ أن لدى مقتدى الصدر في مدينة الثورة (الآن تسمى مدينة الصدر) قاعدة شعبية من حوالى مليونين، ولسبب أو لآخر هم وراءه. وهناك مناطق أخرى في بغداد مثل مدينة الحرية ومدينة الشعلة كذلك لديه مؤيدون فيها، وبالتالي ساحته ليست فقط النجف وكربلاء. ثم هناك عمليات في العمارة والديوانية وغيرهما. وأعتقد أن المرجعية قد تخسر بعض بريقها إذا تركت مقتدى الصدر لمصيره.

■ ***كنا نتكلم عن أن المسألة الأمنية تتقدم ما عداها من حيث الأولوية. يعني من دون أمن لا ديمقراطية ولا إعمار ولا يمكن القيام بأي شيء. وبما أن القوات العراقية التي يعمل الأمريكيون على تشكيلها لا يوجد لديها معنويات، وغير راغبة في الاصطدام بأبناء شعبها، وشاهدنا كيف أنهم رفضوا أن يطلقوا النار على أبناء الفلوجة. لذلك ربما حاولوا الخروج من هذا المأزق بالاستعانة بضباط الجيش السابق.***

حسيب: الأخ عرفات، مخططهم الأولي بعد أن حلوا الجيش أن يؤسسوا جيشاً خلال ثلاث سنوات من أربعين ألف جندي. الوقائع أجبرتهم على التغيير، وقد قال وزير الدفاع أمس أو اليوم إن العدد سيصل إلى ١٥٠ ألفاً خلال ثلاث سنوات. هل يمكن العراق أن يكون عنده ٤٠ ألفاً في الوقت الذي تمتلك فيه إيران نصف مليون، وفي الكويت أكثر من ٤٠ ألفاً!

■ ***يجب أن يأخذوا في عين الاعتبار دول الجوار.***

حسيب: هم كانوا يعملون هذا على أساس أنهم باقون في العراق.

■ ***ربما بدأوا يشعرون أن بقاءَهم قد لا يطول. ولكن بانتظار هذه الفترة، تقول إنه خلال ستة أشهر يجب أن ينسحبوا، وهذا أمر فيه استحالة، حتى إن الفرنسيين والألمان وحتى الدول العربية التي تريد إنهاء الاحتلال الأمريكي لا يتصورون أن يكون خروج القوات الأمريكية بسرعة. ربما بحسب ما ذكرت قد يلجأ مجلس الأمن إلى إصدار قرار يعترف بشرعية الحكومة المقبلة، ومن ثم يمكن أن يطلب تشكيل قوة متعددة الجنسيات، هنا بإمكان العرب أن يضغطوا، وبإمكان الأوروبيين أن يضغطوا أيضاً من أجل تشكيل قوة تأتي تحت علم الأمم المتحدة وبإمرة الأمم المتحدة، وقد تكون الولايات المتحدة الأمريكية مساهمة فيها.***

حسيب: هذا حل ممكن، ولكن في الوقت نفسه قد تعيد الحكومة المؤقتة تشكيل الجيش العراقي، والقوة المتعددة الجنسيات كلما دَخَلَ قسمٌ منها ينسحب الأمريكيون تِبَاعاً.

■ ***يقال إن هذه الحكومة، دكتور حسيب، لن تكون لديها صلاحيات، فهذه مرحلة انتقالية من سبعة أشهر، وكل ما هو مطلوب من هذه الحكومة أن تسيِّر الأمور اليومية للناس، لا يحق لها أن تعقد اتفاقات أمنية تعطي الأمريكيين حق إقامة قواعد، مثل هذه الأمور مُنَوطة بحكومات شرعية منتخبة وفق الأصول الدستورية.***

حسيب: هذا يعتمد على مجلس الأمن والأمم المتحدة: هل ستكون غطاء شرعياً للاحتلال الأمريكي، أو تريد أن تساهم في تحرير العراق؟ إذا أرادت تحرير العراق وتخليصه من الاحتلال، فالقرار بيدها هي بالاتفاق مع أمريكا إذا وافقت. وإلا فإن هذه الحكومة المؤقتة إذا عينت وبَقيت قوات الاحتلال، فلن تتوقف المقاومة، وبالتالي يستحيل إجراء انتخابات بوجود عمليات مقاومة.

■ ***ما هي معلوماتك دكتور عن هذه المقاومة، هل هي مقاومة عشوائية، هل هي مقاومة منظمة، هل لها خيوط مرتبطة بالخارج، ومن ثم كم نوعاً من المقاومات داخل العراق؟***

حسيب: منذ أن سقطت بغداد حتى الآن، هناك تقارير مختلفة ومتضاربة حول المقاومة. هناك من يقول إن النظام السابق كان مُهَيِئاً للمقاومة قبل سنة من سقوط بغداد، وحتى في تقارير سكوت ريتر[٤] يتحدث أنه في عام ١٩٩٦ قام بزيارة أماكن في ضواحي بغداد للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل، حيث رأى مواقع يصنعون

---

(٤) انظر: Scott Ritter, «Defining the Resistance in Iraq: It's Not Foreign and It's Well Prepared,» *Christian Science Monitor*, 10/11/2003.

فيها متفجرات يدوية، وذهب إلى مكان آخر، فَوَجَدَ مدرسة للتدريب على استعمال المتفجرات لتفجير الدبابات، وقدَّم تقريراً بذلك. حتى في الفلوجة لديَّ تقارير أمريكية تقول إن الأمريكيين كانوا يعتقدون في البداية أن أكثرية الناس الموجودة في الفلوجة قادمة من الخارج، وبعد أن انتهت العملية يقولون إن عدد القادمين من الخارج هو ١ في المئة وإن البقية عراقيون. هل هناك تنسيق أم لا؟ التقارير الأمريكية تقول إن هناك تنسيقاً بين من يقومون بالمقاومة في المناطق المختلفة: بغداد، والفلوجة، والرمادي، والموصل، وكركوك وغيرها.

■ ***يعني لا بد من أن يكون هناك غرفة عمليات سرية هي التي تقوم بضبط المسألة.***

حسيب: هناك قدر من التنسيق بشكل يضمن عدم كشفهم. من الصعب تقديم معلومات دقيقة جدّاً وشاملة، لكن هناك بيانات تصدر باسم القيادة العامة للمقاومة الوطنية، تشير إلى أن هناك تنسيقاً بين قواها.

■ ***ما علاقة هذه المقاومة بالمقاومات الأخرى التي لا يمكن أحداً أن يطلق عليها اسم مقاومة، بل هي عمليات إرهابية.. هذه التي تطال يومياً العراقيين المدنيين: تفجير السيارات، قتل رجال الشرطة العراقيين وهؤلاء مدفوعون للحفاظ على بلدهم، فما ذنبهم إذا كانت قوات الاحتلال موجودة؟***

حسيب: جميع هذه الأعمال: التفجيرات التي تصيب المدنيين، أو الشرطة العراقيين، أو الأناس الأبرياء، مدانة، وليست للمقاومة، ولا يمكن اعتبارها مقاومة.

■ ***كيف يمكن الخلاص منها؟***

حسيب: هذا قسم منها يعتقد أن الأمريكيين وراءَه، وقسم آخر يعتقد أن إسرائيل وراءه، ثم قسم يعتقد أن جهات أخرى وراءه.

■ ***القاعدة مثلاً، أسامة بن لادن وجماعته.***

حسيب: حتى الآن لم يثبت في التحقيقات التي قام بها الأمريكيون مع المقاتلين الذين ألقوا القبض عليهم، وبحسب المصادر الأمريكية نفسها، أن أحداً منهم من القاعدة. بعد اغتيال محمد باقر الحكيم، لماذا لم ينشروا نتائج التحقيق؟ من قام بالعملية وبالعمليات الأخرى التي استهدفت مقر الأمم المتحدة؟ لماذا لم ينشروا نتائج التحقيق؟

■ ***والسفارات؟***

حسيب: هذه العمليات مدانة وغير صحيحة، وهي قد تكون هادفة إلى تشويهَ صورة المقاومة.

■ ***ولكن كيف يمكن الخلاص منها دكتور؟***

حسيب: لقد توقف كثير من العمليات التي تستهدف المدنيين والفنادق في الفترة الأخيرة.

■ ***المقاومة الحقيقية، المقاومة الوطنية، ألا تستطيع أن تضبط هذه الحالات الشاذة، والنتوءات التي تظهر حولها؟***

حسيب: أصبح معروفاً أن هناك عملاء من الموساد في العراق ساهموا في تدريب الأمريكيين على هذه الوسائل، وما يجري في العراق يكاد يكون صورة طبق الأصل لما يحدث في فلسطين المحتلة.

■ ***ما هو الدور الذي يمكن أن تؤديه دول الجوار بالنسبة إلى مستقبل العراق وبالنسبة إلى إعادة الأمن والاستقرار فيه؟***

حسيب: أنا لا أعتقد، بناء على المعلومات التي ذكرتها لك، أن دول الجوار تريد للعراق أن يتحرر وللأمريكيين أن يخرجوا، لأن هذا سيؤدي إلى تغييرات أساسية في دول الجوار كلها.

■ ***وإذا خرج الأمريكيون؟***

حسيب: إذا خرج الأمريكيون والعراق منتصر وديمقراطي، فإن هذا سيحدث زلزالاً عربياً. أكثر الدول المجاورة تريد العراق لا حياً ولا ميتاً للأسف الشديد.

■ ***ألا تتوقع أن تحدث فتن داخلية، دكتور، وبخاصة عندما سيبدأ توزيع الحصص والمغانم؟ هناك طوائف تشعر أنها غبنت طويلاً لا بد من أن تأخذ حقها، وهناك طوائف كانت تنعم بخيرات ثم أتى هذا الزلزال لينقص بعض هذه الحصص؟ والأكراد أيضاً تراودهم أحلام، وربما وجدوا أن الفرصة ملائمة. يعني تداخل كل هذه الطموحات والرؤى مع بعضها، ألا يمكن أن ينجم عنه صراعات؟***

حسيب: في ما يتعلق بالخوف من خلافات الحصص، أولاً لن تقوم حكومة حقيقية إلا في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥ بعد إجراء الانتخابات واختيار الحكومة، هذا إذا جَلا الاحتلال عن العراق.

■ ***من سيضع قانون الانتخاب؟***

حسيب: قانون الانتخاب تضعه الحكومة المؤقتة، وعلى أساسه تجرى الانتخابات. لكن الدستور يضعه المجلس المنتخب الشرعي. أنا أؤكد لك أن العراق لا يحتاج إلى أية مساعدات خارجية لإعادة بناء البلد وتطويره، فخلال هذه السنة

صدَّرت قوات الاحتلال نفطاً بما قيمته أكثر من ٨ مليارات دولار. وخلاف ما يقال من أن العراق حتى يستعيد إنتاج النفط بمعدلاته السابقة يحتاج إلى ١٨ ملياراً، ففي تقرير أمريكي أخير أعده خبير أمريكي على معرفة واسعة بنفط العراق ونُشر كملحق في مجلة ميز (MEES)[٥] وَرَدَ أنه حتى يعود العراق إلى إنتاج الكمية نفسها التي كان ينتجها قبل احتلال العراق (٣,٥ مليون برميل يومياً تقريباً) يحتاج إلى مليار دولار فقط. وهذا يمكن أن يأخذه من بنك الرافدين أو من أي مكان في الخارج. كما ذكر أن كل زيادة في طاقة الإنتاج بمليون برميل يومياً يحتاج فقط إلى مليار ومائتي مليون دولار. العراق بعد حرب ١٩٩١، وخلال ستة أشهر أعاد الكهرباء والماء والهاتف وتصليح الجسور وكل شيء. اليوم، وبعد سنة، فإن خطوط الهاتف غير معادة كلها، والكهرباء توزَّع بمعدل ثلاث ساعات، وثلاث ساعات تنقطع . . . وهكذا بقية الخدمات.

■ ***ألا تعتقد أن المعرقل هو الوضع الأمني الذي لا يسمح؟***

حسيب: هناك الوضع الأمني، والفساد، والروتين، وهناك قضايا كثيرة.

■ ***العمال والمهنيون من جنسيات مختلفة الذين جاءوا لإصلاح الكهرباء ومصافي النفط تعرضوا لعمليات اغتيال.***

حسيب: صحيح أن هناك قسماً تعرَّض لذلك، ولكنه لم تحدد الجهة التي وراء ذلك.

■ ***في إطار المخاوف التي ترد في ذهن المواطن العربي أن الدستور المؤقت نَصَّ على اعتماد الفدرالية التي يعتبرها البعض صفة مقنعة للوصول إلى دولة اتحادية في العراق. هل هناك خوف على وحدة العراق وبخاصة أن هذه الفدرالية لم تحدد، هل هي فدرالية طائفية، أو فدرالية إدارية، أو فدرالية مناطقية عرقية، ما طبيعة هذه الفدرالية؟***

حسيب: يوجد في الدستور العراقي منذ عام ١٩٢٤ وحتى سقوط بغداد مادة تقول إن العراق جزء من الأمة العربية. هذه المادة أسقطت في هذا الدستور المؤقت

(٥) انظر: Helmut Merklein, «Who Needs Big Oil in Iraq: The Case for Going It Alone,» *Middle East Economic Survey* (MEES) (12 January 2004), p. D 2.

انظر أيضاً ترجمة للتقرير بالعربية في: هيلموت ميركلين، «عام على احتلال العراق (ملف): دعوا للعراق نفطه.. وعائداته: وجهة نظر أمريكية مغايرة،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٣٠٢ (نيسان/ أبريل ٢٠٠٤)، ص ٢٦ ـ ٣٣.

(قانون الحكم المؤقت) وأشير بدلاً من ذلك إلى أن هناك قوميتين عربية وكردية، والشعب العربي في العراق جزء من الأمة العربية وليس العراق كله!

الأخ عرفات، ٩٥ في المئة من الشعب العراقي مسلمون، و٨٠ في المئة عرب، ونسبة الأكراد في العراق، وخلافاً لما يقولون من أنها ٢٠ أو ٢٥ في المئة، هي - بحسب إحصاء ١٩٥٧ - ١٦,٤ في المئة، وهم يريدون الاعتماد على إحصاء ١٩٥٧[٦]. حتى في كركوك، فإن الأكثرية فيها ليست أكراداً، بل تركمان وعرب. وحتى في لواء كركوك كله الأكثرية ليست كردية. هناك جهل وغوغائية في هذا الموضوع. ثم أية فدرالية يريد الأكراد؟ فليتفقوا في ما بينهم في البداية. أما ما يقال من أن هناك ديمقراطية في منطقة كردستان ويريدونها أن تعم على العراق كله، فهو كذبة كبيرة. في منطقة كردستان، وتحت الحماية الأمريكية الجوية، جرت انتخابات في عام ١٩٩٤، ولم يتفقوا على نتائج الانتخابات، وقسموا المقاعد في ما بينهم. أول سنة كانت الحكومة موحدة وبعد ذلك اختلفوا. والآن هناك حكومة في السليمانية، وأخرى في أربيل. ولقد وقع تهجير من منطقة إلى منطقة أخرى، وحَصَلَ قتال، وجماعة جلال الطالباني احتلت أربيل، ومسعود البارزاني استعان بقوات صدام لاسترجاعها. ثم أين الانتخابات في هذه «الأحزاب»؟ هم عبارة عن ميليشيات مثل تلك التي كانت في لبنان، واحدة يرأسها جلال الطالباني، وأخرى مسعود البارزاني، ولا يوجد انتخابات أو غيره، وهم بحاجة إلى ديمقراطية حقيقية مثل بقية العراق.

■ ***يمكن أن يكون السواد الأعظم من الأكراد غير موافق على هذا؟***

حسيب: أنا أعتقد أنه يجب عدم النظَر إلى إخواننا الأكراد الذين نعتز بهم من خلال مسعود البارزاني وجلال الطالباني. يجب أن يعطوا فرصة حتى ينتجوا قياداتهم، ولا يمكن «مجلس حكم معين» أن يقرر مستقبل دستور العراق، ويدع أقلية تقرر مستقبل الأغلبية. هذه عملية يجب أن تتم بالتوافق.

■ ***كيف يتوافق الأكثرية في مجلس الحكم على أن يكون الشعب العربي في العراق جزءاً من الأمة العربية، وهناك طعن في عروبة العراق؟ هناك ممثلون داخل مجلس الحكم لهم تاريخهم النضالي ووجودهم على الأرض ولهم حيثياتهم، وما كان من المفترض أن يقبلوا بتمرير هذا الأمر.***

حسيب: في العشرينيات، بدأ الإنكليز في تطبيق العملية نفسها: في كل وزارة

---

(٦) انظر: العراق، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧**، ٢ ج في ٢٦ (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٥٧).

مستشار، والمستشار هو الوزير الحقيقي، والأمر نفسه الآن في ما يسمى بالوزارات العراقية، والمستشار هو المقرر النهائي، وليس الوزير. وقد أوحت هذه الظاهرة لشاعر عراقي في حينه بقصيدة يَرِدُ فيها البيت الشعري التالي:

المستشار هو الذي شرب الطِّلا فعلامَ يا هذا الوزير تعربدُ

■ ***في ما تبقى لدينا من وقت دكتور، ما زال لدينا بعض المواضيع، موضوع تعذيب الأسرى والسجناء العراقيين الذي قوبِلَ بموجة استنكار عالمية واسعة وحتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، الضجة ما زالت قائمة ولم تهدأ بعد، وهناك مطالبات باستقالة وزير الدفاع رامسفيلد وتحميله مسؤولية ما حصل، لأنه كان أمامه تقرير منذ خمسة أشهر ووضعه في الدرج ولم يُطْلِعْ عليه أحداً. وهناك رؤوس بحسب ما تقول الصحافة الأمريكية يجب أن تطير مقابل هذه القنابل التي انفجرت في وجه بوش، وبخاصة أن الصحف الأمريكية تحمّل رامسفيلد المسؤولية عن ذلك.***

حسيب: التقرير الذي كشف هذه الفضائح هو تقرير أعده الجنرال أنطونيو تاغوبا(٧). هذا التقرير نشر قبل يومين (في ٤ أيار/مايو ٢٠٠٤) في ٥٣ صفحة. وقد تم إعداد التقرير في شهر شباط/فبراير، وبدأ في كانون الثاني/يناير، وقبله كان هناك تقرير آخر يشير إليه. المضمون لا يعترف فقط بالانتهاكات والتعذيب الذي حدث ويعدد الحالات، بل يذكر كذلك الحالات التي تقدم بها أشخاص عراقيون معتقلون، وقد أدلوا بشهادات ومعلومات حولها يعتقد التقرير أنها صحيحة. ثم يذكر أنواع هذه الأشياء التي قاموا بها: مجموعة الانتهاكات الصارخة داخل أبو غريب والتي ارتكبتْها عناصر الشرطة العسكرية الأمريكية، ومن بينها تصوير معتقلين، رجالاً ونساءً، بالفيديو والكاميرا وهم عراة، وإرغام معتقلين ذكور على ارتداء ألبسة نسائية داخلية، وتطويق رقاب ذكور معتقلين بجنزير كلب والتقاط صور فوتوغرافية معهم، وإقدام عناصر من الشرطة العسكرية على ممارسة الجنس مع إحدى المعتقلات، وهو انتهاك خطير لم تذكره وسائل الإعلام الأمريكية، ويتجاوز الانتهاكات التي يعدها تقرير المعتقلين الأحياء لتشمل موتاهم، إذ خلص إلى أن جنوداً أمريكيين صوروا جثث المعتقلين العراقيين. كما أكد التقرير أن هؤلاء العناصر تلقوا مديحاً من رؤسائهم لإقدامهم على هذه الأعمال، وذكروا أنهم حصلوا على إشادة منهم. وهناك ١٣ حالة من انتهاكات التعذيب يشير إليها التقرير، ويذكر بعدَها حوالى ١٣ شخصاً من

---

(٧) نشر الملخص التنفيذي لتقرير تاغوبا تحت عنوان: Antonio M. Taguba, «US Army Report on Iraqi Prisoner Abuse,» NBC News, 4/5/2004.

وقد نشر النص الأصلي للتقرير كاملاً على أكثر من موقع على الإنترنت. انظر أيضاً: <http://www.indybay.org/news/2004/05/1679599.php>.

تسلسل القيادات مسؤولين عن الأعمال التي تمت، ويوصي بعقوبات مختلفة عليهم.

■ ***ألا تعتقد أنه كان يجب أن تأخذ هذه القضية أبعاداً أكثر أهمية بالنسبة إلى العرب والعراقيين، أليست هذه تعتبر جرائم حرب؟***

حسيب: هذه جرائم حرب. وكانت المعلومات متاحة أواخر السنة الماضية، وهذا التقرير هو تحقيق ثانٍ بناء على تحقيق أولي.

■ ***هل يستطيع العراقيون أن يطالبوا الآن بمحاكمة دولية؟***

حسيب: مَنْ مِنَ العراقيين يقوم بذلك؟ هل الذين في «مجلس الحكم»؟

■ ***أنا قرأت أن أفراداً عراقيين متضررين يمكن أن يقدموا دعوةً إلى المحكمة الجنائية.***

حسيب: هناك ١٢ شخصاً في لندن أقاموا دعوة. ولحسن الحظ أنه مهما قلنا عن الإدارة الأمريكية، هناك صحافة ووسائل إعلام عدد منها مستقل ومؤسسات مستقلة. بعد يومين (٨ أيار/ مايو ٢٠٠٤) ستبدأ لجنة خاصة في القوات المسلحة استجواباً في الكونغرس حول ما حدث، وستظهر كل الفضائح.

■ ***أمس، (٥ أيار/ مايو ٢٠٠٤) نشرت «الواشنطن بوست» المزيد من الصور.***

حسيب: **الواشنطن بوست ونيويورك تايمز**.

■ ***يبدو أن هذه سياسة، كانت هذه هي القاعدة، وعدم التعذيب هو الشاذ.***

حسيب: **الواشنطن بوست ونيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز** تقول أمس إن بوش أَنَّبَ رامسفيلد لأنه لم يخبره بما حدث. وهناك تقريران، أحدهما كان قد نشره روبرت فيسك في صحيفة **إندبندنت** *(Independent)*[(٨)] يوم ٢ أيار/ مايو ٢٠٠٤. التقرير الأمريكي يقول إن هذه ليست غريبة على المجتمع الأمريكي، بغض النظر عن بوش والتزامه بالدين، لكن المجتمع الأمريكي من أكثر مجتمعات العالم استهلاكاً للصور الخلاعية في الفيديو والإنترنت، وهو أكثر بلد فيه شذوذ جنسي، والتقرير يذكر نوعية الوسط الذي قَدِمَ منه هؤلاء المتطوعون، والحياة التي تَعَوَّدوا عليها، ولذلك فإنه ليست غريبة عنهم هذه الأعمال.

قال روبرت فيسك في صحيفة **إندبندنت** (Independent)[(٩)] يوم ٢ أيار/ مايو

---

(٨) Robert Fisk, «The «Good Guys» Who Can Do No Wrong,» *Independent*, 2/5/2004.

(٩) المصدر نفسه.

٢٠٠٤ كذلك إن «Lancashire Regiment» هي التي قامت بهذه الأعمال، وتحدث عن تاريخها وعن أعمال مجيدة قامت بها في تاريخها، وكذلك عن أعمال مشينة قامت بها من هذا النوع، وبالتالي هو لا يعتقد أن القضية هي فقط حالات استثنائية خاصة، وطبعاً هذه وجهة نظر. أما التقرير الذي نشر في **الواشنطن بوست** يوم أمس ففيه استجواب وشهادات لحوالى ٣٠ فرداً من السجناء. للأسف الشديد هناك تقرير في **الواشنطن بوست** وتقرير آخر اليوم (٦ أيار/ مايو ٢٠٠٤) في جريدة **الزمان، وهما** يشيران إلى أن بعض المحققين في سجن أبو غريب لم يكونوا أمريكيين، بل كانوا من نظام عربي مجاور.

■ ***لماذا يستعينون بهم؟***

حسيب: لا أدري، ولقد شاركوا في عملية التعذيب، هذا ما يقال. وأنا أتمنى أن توضح الحكومة المعنية هذا الأمر، لأن استقرار هذا الكلام في ذهن العراقيين ستكون له نتائج وخيمة.

■ ***لهذا، البعض يتساءل لماذا أحجمت الولايات المتحدة الأمريكية عن الدخول في المحكمة الجنائية الدولية، ألأنها لا تريد أن تعرض قواتها المسلحة للمساءلة بجرائم الحرب؟***

حسيب: روبرت فيسك يذكر اليوم (٦ أيار/ مايو ٢٠٠٤)[١٠] في تقريره أنه كانت هناك سيارة فيها أشخاص، تم قصفها بالطائرة، فقتل اثنان، والثالث كان مجروحاً على الأرض، والهليكوبتر فيها فيديو يصور مع الصوت كل التفاصيل من أول العملية إلى آخرها. لقد كان الطيار يسأل القيادة: ماذا نعمل بهذا الجريح الذي يزحف؟، فقيل له: إضربه هو والسيارة. وهذا ممنوع وفقاً لاتفاقية جنيف. هذه هي الديمقراطية الأمريكية.

■ ***في موضوع العلم العراقي الذي أثار جدلاً واسعاً حول ألوانه ومغازي الأفكار التي فيه: البعض منتقد، البعض موافق، البعض يعتبر أنه لا يحمل أي قيم عراقية ولا حضارة عراقية. والبعض قال إنه يشبه العلم الاسرائيلي إلى آخر هذا الجدل. وهناك تظاهرات خرجت. ألا تعتقد أنه كان من الأسلم أن يكون موضوع رسم العلم العراقي بعناوينه ومضامينه من حكومة شرعية منتخبة تتحمل هي هذا الموضوع؟***

حسيب: هذا صحيح. لماذا الإسراع في هذا الأمر؟ وحتى إذا أرادوا أن يضعوا

---

(١٠) Robert Fisk, «Pictures of Wounded Men Being Shot Censored by TV,» *Independent*, 6/5/2004.

علماً، ومع أنهم مجلس غير شرعي، كان عليهم أن يعلنوا عن مسابقة، وأن يراعوا أن العلم العراقي، وأعلام عدد من الدول العربية، مأخوذة من علم الثورة العربية، وألوانه استمرت من دون تغيير، وقد اكتفى النظام السابق بأن أضاف إليه كلمة الله أكبر. إن بلداً فيه ٩٥ في المئة مسلمون، و٨٠ في المئة عرب، يجب أن يعكس عَلَمُهُ تاريخَه وميراثَه، وبالتالي لا العِراق ولا العلم ملك لنظام معين.

■ *كنت تفضل إذاً أن يبقى العلم كما هو؟*

حسيب: أن يبقى كما هو إلى حين تأتي حكومة جديدة منتخبة من مجلس منتخب.

■ *هل من الضروري تغيير العلم؟*

حسيب: لا حاجة إلى تغيير العلم. ورئيس اللجنة الذي اختار العلم، والذي أعد أخوه العلم، يقول إننا لم نقم بإعلان الأمر، والإعلان الوحيد ظهر في جريدة الاحتلال التي اسمها **الصباح**، كما طلبنا من أعضاء مجلس الحكم أن يدعو كل منهم فناناً يعرفه إلى المشاركة.

■ ***في نهاية هذه الحلقة، دعني أسألك ونختم، لا أدري إذا كان لديك قدر من التفاؤل.. هل تكون نهاية حزيران/ يونيو المقبل بداية مرحلة جديدة لولادة عراق جديد ديمقراطي، أم ستكون مرحلة من الآلام أو المزيد من الآلام التي يعيشها العراق والشعب العراقي؟***

حسيب: الأخ عرفات، أنا من المقتنعين أن مصير العراق والأمة العربية ودول الجوار غير العربية، والنظام العالمي، يتوقف على ما يحدث في العراق، وأن هذه السنة ستكون حاسمة للعراق وللمنطقة والعالم. هذه السنة هي سنة انتخابية. ما لم يسقط بوش سنمر بمحنة طويلة وقد نرجع إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. ونجاح بوش أو سقوطه يعتمد على عاملين أساسيين: **الأول** ما يحدث في العراق والمقاومة بشكل أساسي، وهذا الأمر سيجبره على الانسحاب من العراق. **والثاني** ما يحدث داخل أمريكا نفسها، ففي أمريكا كان العامل الاقتصادي هو الذي يقرّر، أما الآن، فقد دخلت السياسة. في كتاب **بوب وودورد** *Plan of Attack*[11] كشف الكاتب أشياء كثيرة، والكتاب لم يصدر إلا منذ أسبوعين فقط، وسيحتاج إلى وقت حتى تأخذ المعطيات الواردة فيه دورها. والكتاب المهم كذلك هو لريتشارد كلارك بعنوان

(١١) انظر: Woodward, *Plan of Attack*.

Against All Enemies(١٢) الذي كان مسؤولاً عن حرب الإرهاب في الإدارة الأمريكية الحالية وقد استقال احتجاجاً. وبوب وودورد لديه كتاب سابق اسمه *Bush at War*(١٣)، وهناك كتاب سابق صدر أيضاً اسمه *Weapons of Mass Deception*(١٤)، يبينّ كيف أن شركات العلاقات العامة استُخدمت في الحرب وما إلى ذلك من الفضائح. وأنا أتمنى عليكم أن تهتموا إعلامياً بهذه الكتب الأخيرة، وبخاصة كتاب وودورد الأخير وريتشارد كلارك، وقبله كتاب أونيل الذي كان وزيراً للخزانة، وأن تُعِدّوا حلقة تستضيفون فيها شخصين اثنين أو ثلاثة لمناقشتها. وأنا من خلال الـ NBN أوجه دعوة إلى كل وسائل الإعلام العربية أن تهتم بتلخيص ونشر مراجعات لهذه الكتب حتى تعلم الشعوب العربية حقيقة ما تقوم به أنظمتها، وما يحصل في العالم.

■ ***شكراً جزيلاً د. خير الدين حسيب، وشكراً لمتابعتكم وإلى اللقاء.***

---

(١٢) انظر: Richard A. Clarke, *Against All Enemies: Inside America's War on Terror* (New York: Free Press, 2004).

(١٣) Bob Woodward, *Bush at War* (New York: Simon and Schuster, 2002).

(١٤) انظر: Sheldon Rampton and John Stauber, *Weapons of Mass Deception: The Uses of Propaganda in Bush's War on Iraq* (New York: Jeremy P. Tracher; Penguin, 2003).

وقد صدر الكتاب بالعربية تحت عنوان: **أسلحة الخداع الشامل: استخدام الدعاية في حرب بوش على العراق** (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤).

(١٠)

الوضع العراقي الراهن وقضايا المستقبل(*)
(٩ تموز/يوليو ٢٠٠٤)

● الحكومة العراقية الانتقالية امتداد لما كان يسمى سلطة الائتلاف أو حكم الاحتلال، والطريقة التي تم بها اختيار هذه الحكومة تشير إلى ذلك.

● يقولون إن هذه الحكومة تمثل كل الأطراف الرئيسية: إذاً أين الأحزاب القومية؟ أين التيار اليساري؟ أين التيار الإسلامي العروبي؟ أين تيار مقتدى الصدر؟

● العراقي يُحكم عليه ـ سواء أكان في داخل العراق أم في خارجه ـ من خلال موقفه السياسي والوطني.

● يجب أن تقتنع قوات الاحتلال الأمريكية أنها المشكلة وليست الحل، وأن المقاومة كانت نتيجة الاحتلال، وأن الاحتلال لن يكون قادراً على تحقيق الأمن داخل العراق، وأن عليه أن يسلم الجانب السياسي والأمني للأمم المتحدة.

● لا بد من إشراف عربي ودولي على الانتخابات في العراق.

● أعتقد أن المقاومة ستستمر في العراق، وستتوسع أفقياً ونوعياً.

● الشعب العراقي وحده له الحق في أن يقرر محاكمة صدام حسين أو غيره من خلال المجلس الوطني.

(*) لقاء خاص مع الدكتور خير الدين حسيب أجراه الدكتور محمد الهاشمي الحامدي لقناة «المستقلة» بتاريخ ٩/٧/٢٠٠٤، ونشر في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/أغسطس ٢٠٠٤)، ص ٦-٣٩، بعنوان «حوار حول الوضع العراقي الراهن وبعض قضايا المستقبل».

● دور إخواننا العرب الأمريكيين يجب أن يكون حاسماً في الانتخابات. . أرجو أن ينظروا إلى أن عدم التجديد لبوش ينقذ المنطقة العربية والأمة العربية من دمار محتّم.

■ *بسم الله الرحمن الرحيم، أيها المشاهدون الكرام، في الموصل، وفي بغداد، وفي أربيل، وفي الناصرية، وفي أم قصر، وفي كركوك، وفي الفلّوجة، وفي النجف، وفي كربلاء، وفي الأنبار، وفي كل ركن وناحية من أنحاء العراق، وفي نواكشوط وفي داكار وفي أديس أبابا وفي جوبا وفاس وفي صعدة وصنعاء وتعز وفي العين وفي العيون وفي كل أنحاء العالم، أرحب بكم إلى سهرة الليلة على قناة «المستقلة».*

أهلاً وسهلاً بكم جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ومرحباً إلى سهرة صريحة أخرى من السهرات التي نغطي فيها الملف العراقي ونستمع فيها إلى، ونحاور فيها ممثلين لأبرز الاتجاهات الفكرية والسياسية المعنية بالشأن العراقي وبخاصة من بين العراقيين. الحوار يدور في قناة «المستقلة» بحرية، هذه القناة التي تطمح إلى أن تكون كما هي بعض شعاراتها منبر الحوار الديمقراطي في الفكر والتاريخ والسياسة وبرلمان المشاهدين العرب الحر المفتوح الذي يدور الحوار فيه بعيداً عن مقص الرقابة، وقناة حوار الأديان، وقناة الحوار بين الثقافات والحضارات. ضيف السهرة لهذه الليلة كما تم الإعلان عنه منذ عدة أيام هو المفكر والسياسي والكاتب العراقي المعروف الدكتور خير الدين حسيب. سبق أن استضفناه في قناة «المستقلة». يعرفه المهتمون بالعمل العربي العام وبخاصة بالعمل الفكري العربي من خلال إدارته لأهم مؤسسة بحثية فكرية في الساحة العربية خلال العقود الثلاثة الماضية، أعني مركز دراسات الوحدة العربية. يعرفه المتابعون للمؤتمر القومي العربي ونشاطه لأنه هو المؤسس الأبرز للمؤتمر القومي العربي والأمين العام الأول لهذا المؤتمر؛ ويعرفه أيضاً المعنيون بنشاط المؤتمر القومي ـ الإسلامي لأنه أيضاً قاد عملية تأسيس هذا اللقاء الفكري بين التيارين القومي والإسلامي؛ ويعرفه قراء مجلة «المستقبل العربي» التي تصدر منذ ستة وعشرين عاماً عن مركز دراسات الوحدة العربية باعتباره رئيس تحريرها؛ ويعرفه العراقيون أيضاً ككاتب وكأحد أبناء العراق ونخبته، وكمسؤول سابق أيضاً في الستينيات قبل أن يُعتقل في العراق ويغادره ويستقر في بيروت منذ ثلاثين عاماً. ويركز جهده الكامل على العمل في مركز دراسات الوحدة العربية، ثم في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي. الحوار سيأتيكم على الهواء مباشرة وإن شاء الله بعد أن نستمع إلى آراء الدكتور خير الدين حسيب في أهم معطيات الوضع العراقي الجديد، مشاهدينا الكرام، سوف ندير الحوار بينكم وبينه، حيث نستقبل مكالماتكم للتعليق على ما قال،

ولطرح الأسئلة عليه على أرقام الهاتف والفاكس التي تظهر أمامكم على الشاشة. فأهلاً بكم إلى سهرة الليلة على قناة «المستقلة».

■ ***د. خير الدين حسيب الحمد الله على السلامة ومرحباً بك.***

حسيب: أهلاً بك.

أولاً: الحكومة الانتقالية

■ ***د. خير الدين حسيب منذ التقينا آخر مرة في تلك الفترة كانت أمور الحكم في يد السيد بول بريمر السفير الأمريكي، وفي الحقيقة المندوب السامي الأمريكي إذا جاز التعبير، في العراق آنذاك. في ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤، يعني يومين أو ثلاثة قبل الموعد المقرر، سلم بول بريمر برسالة قضائية ورسمية السلطة والسيادة للحكومة العراقية الجديدة التي يرأسها السيد أياد علاّوي. ما هو موقفك من الحكومة الجديدة في العراق؟ هل ترحب بها؟ هل ترى أن السلطة والسيادة عادت إلى العراق؟ هذا هو المحور الأول الذي نريد أن نبدأ منه الحوار، فتفضل.***

حسيب: شكراً الأخ الحامدي على هذه الدعوة وعلى هذه المقدمة. في ما يتعلق بما يسمى الحكومة العراقية الانتقالية، أنا أعتقد أنها امتداد لما كان يسمى سلطة الائتلاف أو حكم الاحتلال. الطريقة التي تم بها اختيار هذه الحكومة ومواصفات الوزراء الموجودين فيها ـ معظمهم على الأقل ـ تشير إلى ذلك. وخلافاً لما ذكره الأخ الأخضر الإبراهيمي في تقريره المقدم إلى مجلس الأمن حول كيفية تشكيل هذه الحكومة، وسأتطرق في ما بعد إلى ما قاله في هذا الموضوع. الحكومة، هذه حكومة ظِلّ لقوات الاحتلال. رئيس الحكومة ـ وكما أشارت تعليقات جميع وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة ـ على علاقة بالمخابرات المركزية الأمريكية ومعها المخابرات البريطانية (MI6)، وذهبت **نيويورك تايمز** إلى حد القول إنه تم تجنيده منذ العام ١٩٩٢ من قبل السي. آي. إي. وهو على قائمة الذين تُدْفَع لهم الرواتب من المتعاملين مع تلك المخابرات.

■ ***طبعاً هذا حديث لـ «نيويورك تايمز». وهي ربما قد تكون أيضاً تقصد الإساءة إلى الحاكم الجديد.***

حسيب: هناك شبه إجماع في وسائل الإعلام في مختلف اتجاهاتها على هذه المعلومات. والأغرب من هذا والمفجع أكثر أن رئيس هذه الحكومة المؤقتة اعترف بعلاقته مع السي. آي. إي. ومع المخابرات البريطانية وعدد آخر لا أذكره من أجهزة المخابرات التي تحدث عنها.

■ ***هل هذا كلامه هو؟***

حسيب: نعم، هذا كلامه هو.

■ ***ربما كان يقصد أنه تعاون مع دول أجنبية لتغيير الأوضاع في العراق لخدمة وطنه.***

حسيب: علاقات رئيسَ الوزراء للحكومة المؤقتة أو ما يسمى بالحكومة المؤقتة معروفة بين كل العراقيين، وبالتالي أنا أعتقد أن هذه حكومة ظل. أما السؤال: إلى أي مدى تمثل الشعب العراقي؟ فيجيب عنه استطلاع للرأي قامت به سلطة الاحتلال، قبل حلّها شكلياً، حول عدد من القضايا من ضمنها سؤال عن الأشخاص المفضلين لدى المُسْتَطْلَعَة آراؤُهم ومدى ما يتمتعون به من ثقة لدى الشعب العراقي، وعن الأحزاب السياسية الموجودة في العراق. وهذا الإحصاء قامت به سلطة الاحتلال، وبالتالي إذا كان هناك من تزوير في النتائج، فيجب أن يكون تزويراً لصالح سلطة الاحتلال أو للذين تعيِّنُهم. ومع ذلك، أشارت نتائج استطلاع سلطة الاحتلال إلى أن نسبة الذين يؤيدون رئيس الوزراء الجديد هي ٢,٢ في المئة. سُئلوا كذلك عن الحزب الذي تمثله (حركة الوفاق الوطني)، وكانت النتيجة ٢,٢ في المئة. وهذا هو الذي كان على الأخ الأخضر الإبراهيمي أن يعرفه أو أن تكون سلطة الاحتلال قد أطلعته عليه. وليس من حقه أن يقول في تقريره إلى مجلس الأمن إن أياد علاوي جاء بتأييد أغلبية الشعب العراقي. وللمعلومات، فإن جميع أعضاء «مجلس الحكم الانتقالي» حصلوا على نسبة تأييد تتراوح بين صفر و٨ في المئة كحد أقصى.

■ ***يعني من تأييد أبناء الشعب العراقي، أو العينة التي تم استطلاعها؟***

حسيب: من الاستطلاع الذي قامت به سلطة الاحتلال، وهناك استطلاعات أخرى. سلطة الاحتلال هذه في الاستطلاع الذي قامت به تقول إن ٩٢ في المئة يعتقدون أن القوات الأمريكية قوات محتلة، وهناك ٥٥ في المئة ممن يشعرون أكثر أمناً إذا تركت القوات الأمريكية فوراً. كما أن ٤١ في المئة ذكروا أن على الأمريكيين أن يتركوا فوراً[1]. أضِفْ إلى ذلك أن ١٨ وزيراً من الوزارة كانوا في أمريكا، ومعظمهم

---

(١) انظر: John Solomon, «Poll of Iraqis Reveals Anger Toward US,» *Associated Press*, 15/6/2004, <http://www.commondreams.org/cgi-bin/print.cgi?file=/head/ines04/06/5-08.htm>; «Iraqis' Opinions on U.S. «Grim»,» *Washington Times*, 17/6/2004, p. 1; «Public Opinion in Iraq: First Poll Following Abu Ghraib Revelations, Baghdad, Basrah, Mosul, Hillah, Diwaniyah, Baqubah, 14-23 May 2004,» <http://wid.ap.org/documents/iraq/cpapoll_files/slide0030.htm>, and «While Ambivalent about the War, Most Iraqis Report a Better Life, an ABC News Poll: Iraq - Where Things Stand,» <http://www.cpa-iraq.org/government/polling.html>.

لقد تم هذا الاستطلاع للرأي العام المشار إليه في المصادر الثلاثة الأولى المشار إليها من قبل «سلطة =

جاء مع قوات الاحتلال، ويدينون بولائهم لقوات الاحتلال أولاً. والأخ الأخضر الإبراهيمي في تقريره إلى مجلس الأمن، المنشور في عدد تموز/ يوليو من **المستقبل العربي** مع قرار مجلس الأمن(٢)، يتحدث عن كفاءة أغلبية الوزراء! ليت الأخ الأخضر الإبراهيمي يخبرنا ما هي كفاءات وزراء هذه الحكومة، وما مدى التناسب بين مسؤوليات بعض الوزراء واختصاصاتهم، ثم ما المؤهلات التي تؤهل بعض هؤلاء لاستلام وزارات السيادة؟ لا أريد أن أتكلم أكثر من هذا على هذه الحكومة التي جاءت لإقامة الديمقراطية في العراق واضطرت بعد أيام قليلة إلى إعلان ما سُميّ «**قانون السلامة الوطنية**» وهو في الحقيقة ما نسميه نحن في العراق **الأحكام العرفية**، إذ أصدروا «قانون السلامة الوطنية» وفيه كل قبائح الأحكام العرفية التي عاشها العراق وشاهدها في فترات مختلفة، والتي مارستها وتمارسها سلطات الاحتلال: أعني التوقيف من دون قرار من المحكمة، والسجن لمدة غير محدودة وغيرها مما يتعارض مع حقوق الإنسان والديمقراطية التي يتشدقون بها، وكل هذه الأشياء المشار إليها في هذا القانون الجديد كانت ولا تزال تمارس فعلاً من قبل قوات الاحتلال.

■ ***لو استعرت عبارة حكومة ظل، واعتبرتها ملخصاً لوصفك هذه الحكومة، وأردت أن أجادلك بأن أعرض عليك وجهة نظر مؤيدي الحكومة، ماذا تقول أو بماذا تجيب إذا لاحظت أن الحكومة هذه، كما يقول أنصارها، تتمثل فيها تيارات سياسية متعددة من التيارات العراقية، فيها «حزب الدعوة»، وفيها «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، وفيها «الحزب الإسلامي» (وهو تنظيم تابع لـ «الإخوان المسلمين») و«الحزب الشيوعي». وعليه، إذا كنت تلاحظ على وزرائها أنهم كانوا يعيشون في الخارج، فإن شخصيات من النخبة العراقية كثيرة كانت تعيش في الخارج ومنهم الدكتور خير الدين حسيب نفسه.***

حسيب: الإنسان يُحْكَمُ عليه سواء كان في الداخل أو في الخارج من خلال

= الائتلاف المؤقت» وشمل ست مدن هي: بغداد، البصرة، الموصل، الحلة، الديوانية، وبعقوبة (خلال الفترة ما بين ١٤ ـ ٢٣ أيار/ مايو ٢٠٠٤)، وذلك من خلال لقاءات مباشرة للمستجوبين في هذه المدن الست والذي يقول التقرير إنها تمثل الفئات المختلفة في القطر، وأن نسبة الخطإ في النتائج هي حوالى ٤ في المئة. وتشير هذه التقارير أيضاً إلى أن ٧١ في المئة من المستجوبين ذكروا بأنهم قد فوجئوا بالصور المذلة وبقصص إساءة المعاملة من قبل الأمريكيين، وأن ٥٤ في المئة ذكروا بأنهم يعتقدون أن جميع الأمريكيين يتصرفون مثل الحراس في أبو غريب.

كما أشار الاستطلاع إلى أن ٨١ في المئة من العراقيين قد تكوّن لديهم انطباع أفضل عن السيد مقتدى الصدر عما كان عليه انطباعهم قبل ثلاثة أشهر، وأن ٦٤ في المئة ذكروا أن أعمال مقاومة أتباعه قد جعلت العراق متحداً أكثر.

(٢) انظر مقابلة السيد الأخضر الإبراهيمي مع الآنسة راغدة درغام في: **الحياة**، ٣٠/٦/٢٠٠٤، ص ١٥، حيث أشار في جواب عن سؤال من راغدة درغام أنه «على المقاومة العراقية إعادة النظر في عملها فور نقل السلطة»!! انظر أيضاً: «نص خطاب الأخضر الإبراهيمي، المستشار الخاص للأمين العام حول إعلان الحكومة العراقية المؤقتة،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٥ (تموز/ يوليو ٢٠٠٤)، ص ١٤٠ ـ ١٤٧.

موقفه السياسي والوطني. وأنا لا ألوم الناس الذين اضطرتهم ظروفهم الأمنية أو المعيشية إلى أن يلجأوا إلى الخارج، ولكن ولاء هؤلاء لمن؟ «مجلس الحكم» الذي تتحدث عنه مر بامتحانات مختلفة ولم يعترض على أي من المجازر التي قامت بها قوات الاحتلال. هل اعترض على ما حدث في سجن «أبو غريب» مثلاً؟

■ *ندد بعد أن ظهرت الأخبار على ما أظن.*

حسيب: أنا لم أطلع على هذا، قد يكون قد حدث ذلك.

■ ***لكن صحيح أنه لم يَسْتَقِلْ أحدٌ بعد ظهور فضيحة أبو غريب إلا وزير حقوق الإنسان بعد فترة، ويبدو أنه قدم مطالب ولم يُسْتَجَبْ لها فاستقال.***

حسيب: دعني أعطك نموذجاً من تصرف أحد أعضاء «مجلس الحكم».

■ *إذا أمكن من دون تسميته.*

حسيب: أنا لن أسميه، وهو حصل على ثناء كبير من الأخ الأخضر الإبراهيمي في تقريره. الوزارة السابقة تمت تسميتها من قبل أعضاء «مجلس الحكم» وبموافقة «سلطة الاحتلال». أحد هؤلاء الأشخاص من أعضاء «مجلس الحكم» وهو رئيس حزب، وفي مقابلاته وندواته يعطي الانطباع الإيجابي والجيد، رَشَّحَ شخصاً لإحدى الوزارات، والمعلومات التي سأقولها الآن نقلاً عن وزير حالي في الحكومة المؤقتة الحالية وفي كلام مباشر إلى صديق التقى به مؤخراً. يقول صاحب الإفادة إن هذا الوزير الذي عُين، عَيَّنَ وكيلَ وزارةٍ في الوزارة التي عُهدت إليه وليس لديه سوى شهادة جامعية أولية في المحاسبة ولم يمارس عملاً إدارياً، وكان معظم وقته في السجن أو في الخارج. ويقول الوزير الحالي إن ذلك الوزير عَيَّنَ ثمانية مدراء عامين لوزارته كانت أعلى مؤهلاتٍ لأي واحد منهم هي الشهادة الثانوية، وهناك من بينهم من هو خريج ابتدائية وخريج متوسطة. هذا ناهيك ببقية الوزارات، التي تم مَلْءُ معظم الوظائف فيها من الموالين وغالباً بغض النظر عن الكفاءات. وعندما جاءوا إلى تعيين وكلاء وزراء، كان هناك حوالى ٨٣ وكيل وزارة مرشحاً. هناك من رشح ابنه أو أخاه أو قريبه أو موالياً له. ثمة وزارات تحتاج إلى أكثر من وكيل وزارة، لكن بعضها الآخر لا يحتاج إلى أكثر من وكيل. ومع ذلك تم تعيين أكثر من وكيل للوزارات التي فيها الآن خمسة وأربعة وحتى ثمانية وكلاء وزارة وهكذا!

■ ***هذه إذاً ليست مشكلة لقوات الاحتلال، هذه مشكلة بعض العراقيين مثلاً.***

حسيب: لم يكن في وسع «مجلس الحكم» اتخاذ قرار تعيين وكيل وزارة إلا بموافقة سلطات الاحتلال، وكان هناك مستشار أمريكي أو أكثر في كل وزارة وهو

الذي كان من يوافق على ترشيح الوزير. وكانت سلطة الاحتلال تتساهل معهم في أمور ثانوية، من أجل تمرير القضايا الرئيسية من دون اعتراض منهم.

■ ***أنت في الواقع الآن ذكرت وزيراً في الوزارة السابقة، وهو ربما يسمعنا ويمكن أن تكون له مبررات.***

حسيب: أنا شخصياً لا أعرف اسمه ولا أعرفه شخصياً، ولكن هذه المعلومات هي من وزير حالي في الحكومة.

■ ***قد يكون الوزير الحالي من حزب آخر ويريد أن يكيد لذلك الوزير الذي ربما اجتهد في اختيار أفضل المتاح، وربما كانت هناك معلومات أخرى. لكنك لم تجبني عن النقطة الرئيسة: هذه الحكومة تتمثل فيها الأحزاب العراقية المشهورة، وحتى قوات الاحتلال عندما أرادت تسليم السلطة للحكومة اختارت أن تسلّمها منطقياً لائتلاف حزبي. ما هو البديل إذا لم تسلمها لائتلاف حزبي؟***

أودّ أن أذكّركم. مشاهدينا الكرام أننا نتابع الآن ونستضيف اليوم في سهرة الليلة على قناة «المستقلة» الوجه العراقي والقومي العربي المعروف الدكتور خير الدين حسيب ونستمع إلى آرائِه. بدأنا بسؤاله عن الحكومة العراقية، وسوف نسأله عن تعليقه على محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وعن المقاومة في العراق والفرق بينها وبين الإرهاب، وعن الأكراد، وعن الجيش العراقي الجديد، وعن التعويضات، وعن العلاقة العراقية الكويتية، وعلاقة العراق الجديد بدول الجوار، ونسأله عن الانتخابات الأمريكية المقبلة وأثر المعطى العراقي في مسار الانتخابات. الذين يتابعون معنا هذا اللقاء موعودون بحوار صريح في هذه الملفات كلها مع أنني أذكر أننا سنفتح بعد الاستماع إلى آراء الدكتور خير الدين حسيب الهاتف للمشاهدين ليسألوهُ مباشرة وليحاوروه أيضاً في ما قال. إذاً بالنسبة إلى قولي إن هذه الحكومة ائتلافية، ما هو ردك على هذا؟

حسيب: سبق أن أشرت لك أن استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال أشار إلى أن أعضاء مجلس الحكم جميعاً حصلوا على ما بين أقل من واحد إلى ٨ في المئة من تأييد العراقيين، فأي تأييد شعبي لهذه الأحزاب تتكلم عنه؟ هذه ليست حكومة أحزاب مؤتلفة. هناك أكثر من حزبَ يحمل اليوم اسم «حزب الدعوة». وهذا حال «الحزب الشيوعي» حيث هناك أكثر من حزب شيوعي منها «الحزب الشيوعي ـ الكادر» وكذلك «الحزب الشيوعي ـ القيادة المركزية» وهما يتخذان خطاً وطنياً ضد الاحتلال وكل ما ترتب عليه. و«الحزب الإسلامي» الذي يرأسه محسن عبد الحميد، ويشارك في الحكومة كما شارك في «مجلس الحكم»، يعيش

صراعاً داخلياً حول سياساته. أما «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، فهو يعاني سكرات الموت على ما أعتقد، وهو أُنشئ أساساً عام ١٩٨٠ بعد لجوء المرحوم محمد باقر الحكيم إلى إيران. أما بعد وفاته، فأعتقد أنه ضَعُفَ كثيراً، وبخاصة بعد ذهاب مقتدى الصدر إلى النجف وكربلاء والكوفة، وتعبئة الجوّ الشيعي الجنوبي ضد الاحتلال وضد سياسات التعاون معه. تقول أنت إن الحكومة هذه تمثل كل الأطراف الرئيسية، فهل هذا هو ما تشير إليه نتائج استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال؟ أين الأحزاب القومية؟ أين التيار اليساري؟ أين التيار الإسلامي العروبي؟ أين تيار مقتدى الصدر؟ مقتدى الصدر قد لا تكون قوته الأساسية في النجف وكربلاء والكوفة، وإنما في بغداد، في مدينة الصدر التي يقال إن عدد سكانها مليونان، ولسبب أو لآخر يقفون وراء خطه السياسي. في بغداد هناك منطقة اسمها «الحرية» ومنطقة اسمها «الشعلة»، أهلها أساساً جاءوا من ريف الجنوب وكوّنوا حزام فقر حول بغداد، وفي زمن عبد الكريم قاسم تم بناء هذه المدينة، وتم شق مجرى نهري فرعيّ اسمه «قناة الجيش» وتم نقلهم إلى هذه المدينة. إن قطاعات كبيرة من الناس ضد الحكومة وأعلنوا معارضتهم لها ولسياساتها. أما اعتزامها عقد اجتماع «عام» لاختيار «مجلس وطني» مؤقت (أي لوياجرغا عراقية) من ١٠٠٠ عضو، وتشكيل مجلس استشاري منه في حدود مئة عضو، فإن معظم القوى السياسية الوطنية رفضت المشاركة فيه، وأعلنت عن مقاطعته بما في ذلك مقتدى الصدر والمجلس التأسيسي الوطني العراقي.

ثانياً: خيار المقاومة

■ ***أنت ترى أن الحكومة لا تمثّل. الآن ما هي الخيارات الأخرى؟ في الخيارات الأخرى هناك خيار المقاومة، وقد تحدثتَ عنه في الحوار الماضي الذي أجريتُه معك قبل شهرين أو ثلاثة، هل ما زلت ترى أنه توجد مقاومة في العراق؟ وهذا هو المحور الثاني في حوارنا بعد الحكومة.***

حسيب: القضية ليست ما أعتقد أنا، القضية هي ما يحدث على الأرض.

■ ***كيف تقرأ ما يحدث على الأرض؟***

حسيب: في اليوم الذي أعلنت الوزارة المؤقتة قانون الأحكام العرفية (أي «قانون الدفاع عن السلامة الوطنية»)، تم هجومٌ للمقاومة في وضح النهار على مقر رئيس الوزراء وعلى مقر حزبه. عدد القتلى الذي يذاع لا يقول الأرقام الصحيحة، ومع ذلك، فما يُعلَن يُبيّن مدى تزايد المقاومة. الطائرات الأمريكية المروحية

(هليكوبتر) التي تسقطها المقاومة، والأهداف الثابتة والمتحركة للاحتلال التي تقصفها المقاومة يومياً هي الدليل على ذلك. خذ التقارير الأمريكية على سبيل المثال عن معركة الفلّوجة. في البداية كانت تقول إن أغلبية المقاتلين عرب غير عراقيين. وعندما انتهت المعركة، اجتمعت القيادات في البنتاغون وأجرتْ تقييماً للحصيلة وقدمت تقريراً للرئيس بوش، والتقرير يقول إن عدد العرب غير العراقيين كان لا يزيد على ٢ في المئة[٣]، وإن المعركة في الفلوجة كانت تديرها، بحسب تعبيرهم هم وليس تعبيري، هيئة أركان على مستوى عالٍ جداً من الكفاءة والقيادة، وأنه كلما غيَّر الأمريكيون تكتيكاتهم، كانت هيئة القيادة تغير بشكل أفضل.

قبل يوم أو يومين في سامراء اعترفوا بمقتل خمسة من الأمريكيين وجرح عشرين. لا يمر يوم من دون عمليات مقاومة.

■ ***هناك من يرى أن أكثر الضحايا من عمليات العنف أو المقاومة ـ طبعاً بحسب الجهة التي تتكلم ـ هم من العراقيين.***

حسيب: يجب أن نميز بين أمرين: المقاومة ضد الاحتلال والمتعاونين مع الاحتلال من العراقيين، وعمليات التفجير والاغتيالات التي تطال المدنيين، فهذه الأخيرة أعمال إرهابية وليست ضمن المقاومة. وأنا شخصياً أدين هذه الأعمال وأعتقد أن الذين يؤيدون المقاومة يدينون هذه العمليات، والمقاومة ليست مسؤولة عن هذا. نحن نعرف أن هناك مخابرات إسرائيلية («الموساد») موجودة في العراق، وهناك عمليات يقوم بها الاحتلال بالواسطة، وهناك قوى أخرى مجاورة تقوم بها بحسب مصالحها. هذه لا يمكن تصنيفها، في رأيي، ضمن أعمال المقاومة. المقاومة

---

(٣) وقد ذكرت جريدة *USA Today* في عددها الصادر بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠٠٤ في مقالة كتبها الصحافيان بيتر إيسلر (Peter Eisler) وتوم سكويتيري (Tom Squitieri) وبعنوان «الأسرى الأجانب قليلون في العراق ودور «الجهاديين» في الحرب غير واضح»، أن المقاتلين المشكوك في أنهم أجانب يمثلون أقل من ٢ في المئة من مجموع الـ ٥٧٠٠ أسير الذين تم احتجازهم على أنهم يمثلون أخطاراً أمنية في العراق، وأن هذا هو أحد المؤشرات القوية حتى الآن على أن العراقيين هم المسؤولون بدرجة كبيرة عن المقاومة العنيدة ضد الولايات المتحدة. وأضاف التقرير أنه منذ آب/ أغسطس الماضي فإن قوات التحالف قد أوقفت ١٧٧٠٠ شخص في العراق اعتبروا مقاتلين أعداء أو يمثلون خطراً أمنياً، وأن ٤٠٠ منهم كانوا مواطنين أجانب، بحسب الأرقام التي زودت بها في الأسبوع الماضي القيادة العسكرية للولايات المتحدة المسؤولة عن عمليات الاعتقال في العراق، وأن أكثر هؤلاء المعتقلين تم إطلاق سراحهم بعد أن وجد مجلس المراجعة بأنهم لا يشكلون أخطاراً مهمة، وأن ٥٧٠٠ فقط بقوا قيد الاعتقال، وأن ٩٠ منهم فقط هم مواطنون أجانب. ويضيف التقرير أن هذه الأرقام تمثل أكثر التقديرات دقة حتى ذلك التاريخ حول تركيبة المقاومة، وتبين أن بعض موظفي الإدارة الأمريكية قد غالوا في تقديرهم دور المحاربين الأجانب، أو الجهاديين من البلدان العربية الأخرى. كما يبين التقرير أن هذه الأرقام تشير إلى أن العراق ليس جذاباً كثيراً للإرهابيين الأجانب، كما أكد بعض منتقدي الإدارة.

هي التي تتوجه إلى قوات الاحتلال أساساً والمتعاملين معها، والمقصود بعمليات الإرهاب هذه الإساءة إلى سمعة المقاومة وإضعاف التأييد الشعبي لها.

■ ***في كل الدنيا، د. خير الدين حسيب إذا ظهرت مقاومة مسلحة يكون لها تعبير سياسي ما. حتى لو وقع تمرد عسكري غالباً ما يكون له وجه سياسي. مثلاً، مع أن المقارنة صعبة جداً، هناك تمرد في دارفور في غرب السودان وعمليات عسكرية، ولكن هناك أناس يفاوضون سياسياً. لكن أين الوجه السياسي لهذه الأعمال في العراق؟***

حسيب: أنا لا أدري إلى أي حد أنت مطلع على ما يصدر عن هذه الجهات المقاومة.

■ ***أنا أعرف أنه في بيروت وقع اجتماع لهيئة شعبية لدعم العراق، وأنه ربما شاركت فيه شخصيات عراقية ذات صفة سياسية. ولكن إلى الآن، وأنا متابع بشكل يومي للوضع في العراق، لا يوجد، في حد علمي، ما يمكن تفسيره بجناح سياسي لهذه المقاومة.***

حسيب: هناك قسمٌ من المقاومة أعلن في ٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣ المنهاج السياسي والاستراتيجي للمقاومة العراقية. وهناك «المقاومة الإسلامية الوطنية» التي أصدرت كذلك بياناً عن النشأة والدوافع والمرجعية والتنظيم والتطور والهيكل التنظيمي. . وهناك أيضاً «المقاومة الإسلامية» ولديها برنامج. وهناك مقاومة تصدر بياناتها باسم «المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية»، وفي ١/ ٤/ ٢٠٠٤ صدر عنها بيان وبرنامج متكامل وتحت عنوان «الدعوة إلى الحكومة: المقاومة العراقية تعلن برنامجها السياسي: حكومة انتقالية لمدة عامين بعد طرد الاحتلال». وفيه تفاصيل كثيرة.

وكل هذه البيانات والبرامج أتلقاها بالبريد الإلكتروني ولا أعرف من هي الجهات التي ترسلها.

■ ***في الغالب هذه الجهات ترسل بالبريد الإلكتروني إلى كل وسائل الإعلام والمؤسسات.***

حسيب: لا أعرف، إلا أن هناك قسماً من المهتمين بالشأن العام وهم من الداخل في العراق غير مطلعين وغير عارفين بهذه التفاصيل. ولكن كل أطراف المقاومة متفقون على قضيتين: قضية «التحرير» وقضية «الديمقراطية». هذا هو البرنامج، وهناك تفاصيل تختلف بين طرف وآخر.

■ ***مع كل هذه الأسماء والبيانات التي أشرت إليها واستعرضتها، هل يوجد جهة تتمتع بمصداقية، يمكن للناس أن تلجأ إليها بشكل عام في العراق؟ إذا سألت أي مراقب في الشأن العراقي، هل تعرف أية جهة تنتمي إليها المقاومة، من الصعب أن تجد جواباً لسؤالك. فالأشخاص الذين أنشأوا المؤتمر التأسيسي، عقدوا مؤتمراً صحافياً ومن بعده لم يكن لهم صدى حقيقي.***

حسيب: من قال هذا؟ إذا كان هناك تعتيم إعلامي عليهم، فهل هذا يعني أنهم غير موجودين؛ على العكس هم يتوسعون وينشطون ويصدرون بيانات ويتخذون مواقف. هم يتألفون أساساً من قوميين وإسلاميين وطنيين. والأهم أنهم من مشارب ثقافية و«مذهبية» مختلفة، بحيث يتخطون أي انقسامٍ طائفي، ويَرُدُّون بائتلافهم على كل دعوات الحرب الأهلية الداخلية.

■ ***د. خير الدين حسيب نريد أن نتأكد من أن هذا الكلام ليس أمنيات، قد يكون هناك بعض القوميين يتمنى أن تكون هناك مقاومة تضم سنة وشيعة . . . إلخ، فيخلط الأماني بالواقع.***

حسيب: البيان التأسيسي وبرنامج هذا المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي وأسماء الأمانة العامة منشورة في **المستقبل العربي**(٤). إن كون بعض الناس لا

---

(٤) توضيحاً للذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على ذلك المصدر، فإن الاجتماع التأسيسي لِ «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي» تم في بغداد يوم ٨/ ٥/ ٢٠٠٤ وضم الشخصيات العراقية المعارضة للاحتلال، وتشمل الإسلاميين، والقوميين العرب، والمستقلين. وقد اعتبر المجتمعون، على حد تصريح الدكتور حارث الضاري أن المهمة الأولى للمجتمعين كعراقيين هي **العمل على وحدة الشعب العراقي**، ومن ثم **العمل لإعطاء نهاية للاحتلال من خلال جميع الوسائل المشروعة**، انظر: BBC World Monitoring، نقلاً عن: وكالة AFP بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠٤.

كما جاء في البيان التأسيسي (للمؤتمر التأسيسي الوطني العراقي) أن الذرائع التي ساقتها قوى العدوان لاحتلال العراق، مثل نزع سلاح الدمار الشامل و«تحرير» الشعب العراقي من الدكتاتورية «ادِّعَاءات ثَبَتَ زيفُها وعدمُ مصداقيتها»، وأن الاحتلال «عمل على إسقاط الدولة العراقية» بدافع السيطرة على العراق وعلى ثرواته لفرض الهيمنة على النظام الدولي والوطن العربي والعالم الإسلامي. وقد دعا البيان جميع علماء العراق المسلمين وجميع الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية في العراق «إلى التوقيع على وثيقةِ عهد وتبنّي ميثاق تفاهم وعمل وطني» يجمع العراقيين «على كلمة سواء»، داعياً إلى المشاركة في «المؤتمر التأسيسي» وفق ثوابت إسلامية وطنية وقومية عرضها في أربعة عشر مبدأ هي: رفض الاحتلال الأجنبي للعراق رفضاً باتاً وكل ما يترتب عليه من نتائج . . . والعمل بكل السبل والوسائل المتاحة والمشروعة لمقاومة هذا الاحتلال حتى خروج آخر جندي محتل»؛ و«الالتزام المطلق بوحدة العراق أرضاً وشعباً وسيادةً، ورفض أية محاولات لتقسيمه على أساسٍ عرقي أو مذهبي»؛ و«الدعوة لانبثاق هيئة موحدة لعلماء المسلمين في العراق» لتوحيد موقف العراقيين ضد الاحتلال؛ و«اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي من مصادر التشريع»؛ و«العمل على التداول السلمي للسلطة وإعادتها إلى صاحبها الشرعي والوحيد شعب العراق. . . وانتخاب جمعية تأسيسية وطنية»؛ و«رفض الدكتاتورية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً واحترام حريةِ التعبير»؛ والتأكيد على أن العراق «جزء لا يتجزأ =

يعرفون عن هذا شيئاً، فلأن هناك تعتيماً إعلامياً عليهم.

■ ***ثمة من عَلَّق هنا في وسائل الإعلام البريطانية قائلاً إن حكومة ذات سيادة تحتاج إلى ١٦٠ ألف جندي لحمايتها. كيف في رأيك تستطيع هذه الحكومة أو أية حكومة في العراق أن تستغني عن القوات الأجنبية؟***

حسيب: أنا أعتقد أنه في المرحلة الأولى يجب أن تقتنع قوات الاحتلال الأمريكية أنها «المشكلة» و«ليست الحل»، وأن المقاومة كانت نتيجة الاحتلال، وأن الاحتلال لن يكون قادراً على تحقيق الأمن داخل العراق. وهذا الكلام لا أقوله أنا شخصياً، وإنما يقوله الكونغرس، وتقوله الخارجية الأمريكية، ويقوله البنتاغون، ويقوله كبار المفكرين في أمريكا. فإذا هم جَادُّونَ فعلاً في موضوع الأمن، فعليهم أن يسلموا الجانب السياسي والأمني للأمم المتحدة.

■ ***وليس إلى علاّوي. ولكن المشكلة هنا أن الأمم المتحدة باركت حكومة علاّوي.***

حسيب: للأسف الشديد، الأمم المتحدة كانت «شاهد زور». وكل الترتيبات

= من الأمة العربية والتأكيد على هويته الإسلامية والعربية»؛ والتأكيد على «عدم جواز القوانين الصادرة والتي ستصدر عن أية جهة كانت تحت الاحتلال»؛ و«اعتبار كل دعوى أو تصرف أو سلوك من شأنه زرع الفُرقة وبث الفتنة في صفوف الشعب على أسس عرقية أو مذهبية أو دينية جريمة ترقى إلى مستوى الخيانة العظمى للعراق»؛ والتأكيد على أن «القضية الفلسطينية قضية العرب والمسلمين المركزية الأولى»؛ و«تأكيد وتكريس روح الولاء للوطن العراق وتحريم الولاء لغيره»؛ و«العمل على إعادة دور القوات المسلحة الوطنية وحل المليشيات»؛ و«التأكيد على المسؤولية الكاملة... لدولة الاحتلال عن كل ما لحق بالشعب العراقي»؛ و«العمل على إقامة دولة القانون».

وقد تقرر تشكيل أمانة عامة للمؤتمر من خمسة وعشرين شخصية، وتم اختيار ست عشرة شخصية لهذا الغرض وترك الباب مفتوحاً لاختيار آخرين من القوى التي ستنضم إلى المؤتمر في ما بعد: آية الله حسن البغدادي، أ. صبحي عبد الحميد، د. حارث الضاري، الشيخ جواد الخالصي، د. أحمد الكبيسي، أ. عصام عايد، أ. زكي جميل حافظ، الشيخ قاسم الطائي، الشيخ محمد الآلوسي، د. محمد عبيد الكبيسي، د. عبد الكريم هاني، د. وميض نظمي، د. عبد الرزاق الهيتي، أ. سلمان عبد الله، الشيخ علي عبد العزيز، أ. عبد الجليل المهداوي. وقد اختير الشيخ جواد الخالصي أميناً عاماً لمدة ستة أشهر، والدكتور وميض نظمي ناطقاً رسمياً باسم المؤتمر. انظر: «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي: البيان التأسيسي والبيان الختامي، بغداد، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ ـ ٨ أيار/مايو ٢٠٠٤ م،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٥ (تموز/يوليو ٢٠٠٤)، ص ١٩٧ ـ ١٩٩.

وقد نشرت جريدة *Guardian* البريطانية في ما بعد، وبتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٤ مقابلة لمراسلها جوناثان ستيل (Jonathan Steel) في بغداد مع الشيخ جواد الخالصي (الرئيس الحالي للمؤتمر التأسيسي الوطني العراقي) بعنوان: «القائد العراقي يبحث عن طريق سلمي للتحرير، حزب جديد يوحد الشيعة والسنّة والأكراد والمسيحيين». كما تضمنت مقالته مقابلة أيضاً مع د. وميض نظمي. وقد أنهى جوناثان ستيل مقالته بالعبارة التالية حول هذا الحزب: «إنه يستحق إعلاماً وتأييداً أكثر» (It Deserves More Publicity and Support).

التي تمت قام بها بريمر وشخص آخر أُرسل مع الأخ الأخضر الإبراهيمي اسمه روبرت بلاكويل. بلاكويل كان مساعد كوندوليزا رايس في ما يتعلق بشؤون العراق وسبق الأخضر الإبراهيمي في الذهاب إلى العراق، وهو لا يزال موجوداً هناك وسيكمل المهمة. والآن اختاروا شخصاً آخر ليحل محله مع كوندوليزا رايس، واسمها ميغان أوسيلفان[٥]، وحسبما يقول آندرو كارد، كبير موظفي البيت الأبيض، فإنها أفضل من روبرت بلاكويل!

■ ***أنت تقول سلموها للأمم المتحدة ثم تقول إن الأمم المتحدة تواطأت وأنها شاهد زور.***

حسيب: الوضع في العراق الآن يشبه ما كان سابقاً تحت سلطة الاحتلال، ولكن بدل الحديث عن الاحتلال أصبح الحديث عن أياد علاوي، وبدل الحديث عن الجيش الأمريكي وقوات الاحتلال الأخرى فقد أصبحوا يتحدثون «عن القوات المتعددة الجنسيات». . . تغيرت الأسماء فقط! في اجتماعات مجلس الأمن في مرحلة الإعداد للقرار رقم ١٥٤٦، حاولت فرنسا والصين وروسيا أن تُدْخل تعديلات على مشروع القرار بحيث يجري تحديد مدة نهائية لانسحاب ما يسمى بالقوات المتعددة الجنسيات، وبحيث يُنَصّ على أن هذه القوات لا تتحرك داخل العراق إلا بموافقة الحكومة العراقية، ولكن. . .

■ ***فماذا جرى؟***

حسيب: صرَّح رئيس وزراء الحكومة المؤقتة في بغداد بأن الحكومة لا تريد تحديد موعد نهائي للانسحاب، وأوعز إلى وزير خارجيته بأن يعبّر عن هذا الموقف في مجلس الأمن، وهو ما فعله حين خاطب أعضاء المجلس سائلاً: لماذا يَطْلبون للعراقيين أكثر مما يطالب به العراقيون؟!

---

(٥) قال السيد آندرو كارد، كبير موظفي البيت الأبيض، نقلاً عن: **الشرق الأوسط**، ٨/ ٧/ ٢٠٠٤، ص ٣، إن إدارة الرئيس بوش اختارت ميغان أوسيلفان التي كانت مستشارة لسلطة التحالف المؤقتة في العراق مسؤولة عن العراق في مجلس الأمن القومي. ويضيف السيد آندرو كارد، بحسب ما نقلته جريدة **الشرق الأوسط**، أن هذا الاختيار يعتبر هزيمة لتجمّع المحافظين الجدد. . . ويعتبَر أيضاً مؤشراً لتحول داخل البيت الأبيض يقوده كارد، الذي كان أقل المتحمسين لغزو العراق. . . وكانت أوسيلفان خبيرة في شؤون الشرق الأوسط في معهد بروكينغز الذي يعتبر معتدلاً بين معاهد ومراكز البحوث في واشنطن. وكتبت تقارير عن العراق مالت فيها نحو تحاشي الحرب، بحسب رأي آندرو كارد. وبعد بروكينغز، ذهبت أوسيلفان إلى وزارة الخارجية حيث عملت في قسم تخطيط السياسة الذي يقدم استشارات لوزير الخارجية. وبعد غزو العراق كانت واحدة من «الجناح المعتدل» من الخبراء والخبيرات الذي أرسل للعراق لتقديم استشارات إلى سلطة التحالف، بحسب قوله.

■ ***هل كان يخفى على مجلس الأمن أن الذين تكلموا باسم العراق هم أيضاً معينون من طرف الولايات المتحدة؟ كان من الممكن لمجلس الأمن أن يقول إنه لا يوافق على هذا التعيين.***

حسيب: طبعاً لا يخفى عليه. أعضاء مجلس الأمن عدا بريطانيا وأمريكا أدخلوا تعديلات مهمة على القرار رقم ١٥٤٦، ولو تركوا الأمر للحكومة العراقية لكانت قبلته كما قدمته أمريكا إلى مجلس الأمن.

■ ***ما هو الحل؟***

حسيب: الحل هو أن تَنْفُضَ أمريكا يدها من الموضوع، وأن تستلم الأمم المتحدة ملف العراق سياسياً وأمنياً، فتختار رئيس وزراء وحكومة غير حزبية من كفاءات مشهود لها بالكفاءة والخبرة والوطنية، وهي كثيرة في العراق، وأن تشرف على الانتخابات لتشكيل حكومة شرعية. إذا بقينا في الوضع الحالي، وبسبب المقاطعة المتزايدة للجنة التي ستشرف على اختيار الأعضاء الألف، فسيتم اختيار هؤلاء بالطريقة نفسها التي اعتمدت في اختيار «مجلس الحكم الانتقالي» وفي اختيار الحكومة الحالية. وبذلك، تضمن سلطة الاحتلال الأغلبية التي ستسمح لها بالسيطرة على المجلس. وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه الحكومة هي التي ستضع قانون الانتخابات، وهي التي ستشرف عليها، فستكون النتيجة أن كل شيء سيأتي مُفَصَّلاً على مقاسهم: قانون الانتخابات، والمجلس المنبثق عنها، والحكومة القادمة. وعندها، سيكون في وسع هذه الحكومة «المنتخبة» أن توقع اتفاقات أمنية طويلة الأمد مع الولايات المتحدة بما يُبْقي قوات هذه الأخيرة لفترة طويلة.

■ ***أنت لو كنت مكان الرئيس الأمريكي، أو الحكومة الأمريكية، أو أي مسؤول في الإدارة الأمريكية التي استثمرت كل هذ المال والجهد والبشر والطاقات لاحتلال العراق أو لتحرير العراق، فهل تقبل أن «تخرج من المولد بلا حمص» وفعلاً تخرج من العراق وتنسحب منه؟***

حسيب: ما يشغل بوش اليوم هو إعادة انتخابه في الانتخابات القادمة في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. هذا أولاً. ولكن من زاوية ثانية قد يكون من ميِّزات الأمريكيين أنهم براغماتيون. وحين تضطرهم مصالحهم إلى أن يغيروا سياستهم في العراق، فسيفعلون. سأعطيك مثالاً، في الفلُّوجة عندما حصلت المعركة هناك، هددوا بأنهم سيقتلون ويسحقون ويدمّرون، وقبل يومين من الاتفاق، قالوا إنهم سيجتاحون الفلوجة. لكنهم قدَّروا أنهم إن اجتاحوا الفلّوجة، ستكون خسائرهم فادحة جداً بحيث إنهم لن يتحملوها حتى وإن سيطروا على المدينة ومحقوا ما فيها.

فقاموا بمفاوضة مع المقاومة على اتفاق يسحب كل الجيش الأمريكي ويؤتى بلواءٍ عراقي أفراده من أبناء الفلّوجة وغير الفلّوجة ومن المتعاطفين مع المقاومة. الأمر نفسه ينطبق بالنسبة إلى الانتخابات الأمريكية القادمة. من حيث المبدأ سيحاول الأمريكيون البقاء في العراق إلى آخر يوم ممكن. لكن إذا استمرت المقاومة، وأعتقد أنها ستستمر وتتوسع أفقياً ونوعياً (وهي تتوسع الآن، هناك عمليات في الحلة، وفي السماوة، وفي البصرة، إضافة إلى بغداد نفسها في مختلف المناطق بما فيها مدينة الصدر)، ووصلت الضحايا إلى حجم لا يتحمله المجتمع الأمريكي ويُؤثر في رأي الشعب الأمريكي في الانتخابات القادمة، ووجد صانع القرار الأمريكي أن من الضروري أن ينسحب فسوف ينسحب.

■ ***على فرض أن الأمريكيين قبلوا بتسليم حقيقي للأمم المتحدة، وأن هذه ستعين حكومة غير حزبية، هل يوجد طرف سياسي يمكن أن يستثمر نشاط هذه المعارضة وهذه المقاومة في انتخابات؟***

حسيب: لا بدّ من إشراف دولي وعربي على الانتخابات. حالياً بعثة الأمم المتحدة أعدت مسودة قانون للانتخابات، وهذا القانون يجب أن ينشر على الناس، ويُنَاقَش، ومن ثم يُقَرُّ قانون الانتخابات والجهة الدولية تشرف على الانتخابات. لا توجد هناك انتخابات نزيهة في العالم ١٠٠ في لمئة، وإذا صارت ٩٠ في المئة، فهذا طيب.

■ ***ألا يمكن أن يتاح هذا في الوضع الحالي؟***

حسيب: لا.

■ ***أياد علاّوي ملتزم بالانتخابات، في وقت شكّك في إمكانية احترام موعد الانتخابات، ثم عاد يقول بأن الحكومة ستحترم موعدها.***

حسيب: نحن لا نتحدث عن النيات. قوات الاحتلال و«مجلس الحكم» ـ الذي كان رئيس الوزراء الحالي عضواً فيه ـ سيطروا على البلد عاماً وثلاثة أشهر، فماذا فعلوا؟

■ ***الحكومة لن تتنازل في الغالب عن سلطاتها والقوات الأمريكية أيضاً لن تنسحب، فكيف تنسحب بعد كل هذا الجهد والاستثمار؟***

حسيب: هناك فرق بين من يريد أن يلعب القمار ويستمر في الخسارة، وبين مَن يتطلع إلى تشرين الثاني/ نوفمبر القادم، إلى الانتخابات ويريد أن ينجح في الانتخابات.

■ ***تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل قريب، فرضاً إذا بقيت الأوضاع كما هي عليه في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم.***

حسيب: سيسقط، وإذا سقط، ستختلف الصورة كثيراً.

■ ***إذا جاء كيري ماذا سيحدث؟***

حسيب: تريد أن نبحث موضوع كيري؟

■ ***سنناقش موضوع كيري لاحقاً، دعنا نذكّر السادة المشاهدين بموضوع حوار الليلة. ضيفنا الوجه العربي والعراقي المعروف، الليلة نركز على شخصيته العراقية، الدكتور خير الدين حسيب وجه من وجوه التيار القومي في العراق وفي العالم العربي. جلستنا لكي نستطلع فيها رأيه كشخصية عراقية بارزة مهمة حول الحكومة العراقية وآفاق التطور السياسي في العراق، وسنسأله عن صدام حسين، وعن الأكراد، وعن علاقات العراق بجيرانه، والجيش الجديد. بالنسبة إلى الرئيس صدام حسين، سبق أن حدثتَ مشاهدي «المستقلة» أنك التقيتَه بمناسبة عقد دورة المؤتمر القومي العربي في بغداد.***

حسيب: هو الذي طلب أن يلتقي وفداً من المؤتمر.

ثالثاً: محاكمة صدام حسين

■ ***كعراقي طبعاً لا أدري كيف كانت مشاعرك وأنت ترى صورته في المحاكمة؟***

حسيب: من حيث ما جرى ومن حيث الموضوع بشكل عام. من حيث ما جرى أعتقد أن المحاكمة أو جلسة التحقيق كانت لأغراض انتخابية أمريكية. وكان الأمريكيون يأملون في أن تكون هذه المحاكمة لصالح بوش في الانتخابات، وتبينّ لهم في النهاية عكس ما سعوا إليه. لقد أساءت لهم وعدلت الصورة التي كانت عند الكثير من الناس عن الرئيس صدام حسين عندما تم توقيفه. والعراقيون والعرب عموماً ينظرون إلى هذا الموضوع من زاويتين: **الأولى** تتعلق بموضوع صدام حسين، **والثانية** تتعلق برئيس عربي يساق في السلاسل ويُهان بالشكل الذي تم بغض النظر عمّن يكون ذلك الرئيس. هذه أدت إلى ردود فعل، وأنا أعتقد أن حصيلتها كانت سلبية بالنسبة إلى الأمريكيين، وبالنسبة إلى ما يسمى الحكومة المؤقتة. هو تحت حراسة أمريكية والجلسة الأولى للمحاكمة تمت في قاعدة أمريكية والحراس أمريكيون، ورئيس المحكمة معين من قبل سلطة الاحتلال (بريمر)، ولا بد من أنك قرأت التقارير التي نشرت حول المحاكمة وحول رئيس المحكمة وعلاقاته.

■ ***أين النقاط الأخرى في الجلسة التي ترى أنها صبّت لصالح صدام؟***

حسيب: أنا أعتقد أن القضية لا تتعلق بالرئيس صدام حسين فقط، وأن القضية تتعلق بما تم ارتكابه من جرائم منذ ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ حتى يوم ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، أي احتلال بغداد. أنا أعتقد أنه من حق أيّ كان لديه شكوى أن يقدم هذه الشكوى، وأن يتم اختيار لجنة تحقيق محايدة، قد تكون فيها الأمم المتحدة أو الجامعة العربية، تحقق في جميع هذه الشكاوى من ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ حتى الوقت الحاضر، لأنه في ١٤ تموز/ يوليو حصلت أحداث تستحق التحقيق.

■ ***ثورة تموز/ يوليو هذه من كان زعماؤها، شيوعيين أو بعثيين أو. . .***

حسيب: كان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وهما اللذان قاما بالثورة.

■ ***في نهاية الأسبوع سهرة الملفات المستقلة مع زميلنا الدكتور منذر يونس سوف تكون عن ثورة تموز/ يوليو، الآن أريد أن أعرف هل هي محسوبة على تيار أيديولوجي أم لا؟***

حسيب: في البداية كانت تمثل الجميع، كانوا على اتصال بالجبهة الوطنية التي تمثل كل القوى الوطنية. في عام ١٩٥٩ حدثت مذابح في كركوك والموصل قام بها الشيوعيون والأكراد. وفي عام ١٩٦٣ جرت إعدامات «للشيوعيين». ومن عام ١٩٦٨ إلى الآن وقعت حوادث أخرى. إنك لا تستطيع أن تركز على عام ١٩٦٨ إلى الآن فقط من دون كل هذا السياق، بل يجب أن تأخذ الفترة كلها. من يريدون أن يقدموا الشكاوى، يقدمون هذه الشكاوى ثم يأتي المجلس الوطني المنتخب ويبتّ في كيفية التصرف مع هذه الحالات: هل بالمحاكمات أم بغيرها. وله أن يستفيد من الخبرة التاريخية في معالجة هذه الأمور منذ الحرب العالمية الثانية: في ألمانيا، وفي اليابان، وكيف تمت معالجتها في بريطانيا حول أحداث شمال إيرلندا، وكيف تمت معالجتها في جنوب أفريقيا وفي لبنان وفي تجارب أخرى كثيرة في العالم.

■ ***إذا رجعنا إلى محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، رأينا كيف نقلت وسائل الإعلام انطباعات مختلفة للناس: في منطقة الرئيس العراقي وسامراء موقف، وفي المناطق الأخرى من العراق موقف آخر.***

حسيب: أنا لا أعتقد أن هذه اللقطات التي نقلتها بعض الفضائيات العربية ووسائل إعلام أخرى تعبر بشكل موضوعي عن حقيقة مشاعر الناس، فهي في الغالب انتقائية وفي حدود المتاح لهم من مقابلات.

■ ***في بيروت حيث تقيم كيف كان الجو العام؟***

حسيب: في حدود ما أنا مطلع، وأنا اتصالاتي قليلة مع الناس، إلا أنني أقرأ الجرائد وأشاهد الفضائيات، وأعتقد أن أحسن ما كتب في هذا الموضوع - في رأيي - هو ما كتبه الأخ جوزيف سماحة في افتتاحية في جريدة **السفير** (بتاريخ ٢/٧/ ٢٠٠٤) وهو فعلاً من أروع ما كُتب في الموضوع.

■ ***إذاً أنت بحسب رأيك، أن محاكمة صدام حسين صبت في صالحه هو وليس في صالح من رتب المحاكمة.***

حسيب: هذا الانطباع هو الذي عندي من خلال ما سمعت وقرأت بما في ذلك افتتاحية **نيويورك تايمز** حول الموضوع.

■ ***صدام حسين انتهى سياسياً في العراق، أليس كذلك؟ أو ما زال بعض أنصاره يقولون إنه لا يزال لديهم أمل في أن تطول المحاكمة والأوضاع تختلف؟***

حسيب: لمعلوماتك الجلسة القادمة من المحاكمة، أو هكذا ما هو مقرر حتى الآن، لأن من الممكن أن يغيروا موعدها، هي ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥، بعد الانتخابات، بعد أن تكون الانتخابات في أمريكا قد انتهت.

■ ***هذا المتوقع، المتوقع أن تطول، بالنسبة إلى التيار القومي في العراق، هل ما زالت لديهم مراهنة على صدام حسين، كيف ينظر التيار القومي في العراق؟***

حسيب: هناك عدد كبير من العراقيين، والقوميون منهم، قد يكون معظمهم ضد النظام الذي كان سائداً، بسبب مسألة الدكتاتورية، ولكنهم رافضون لتغيير النظام عن طريق الاحتلال ورافضون للاحتلال، ونتائج استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال، والذي أشرت إليه سابقاً، أحسن دليل على ذلك.

■ ***بالنسبة إلى صدام حسين، موقفها منه، أريد أن أتأكد من النقطة هذه، هناك من يقول إنه ما زال لديه أرضية سياسية وإن القوميين يعتبرونه رمزاً من رموزهم.***

حسيب: هذا كله تخمينات وانطباعات، لأنه إذا أردتَ أن تتحدث عن «حزب البعث»، فكيف تعرف موقف «حزب البعث»؟ البيانات الصادرة حتى الآن سواءً عن المقاومة، والتي لها علاقة بالرئيس صدام، أو عن الحزب، لم تتخلَّ عن صدام حسين. هذا بحسب المعلومات المتوافرة، وقد يجوز أن تكون هناك أشياء أخرى لا أعلم بها وغير مطلع عليها. لكن من الصعب الحديث في هذا الموضوع لأن المقاومة سرية ويقال إن حزب البعث أعيد تنظيمه في بغداد والموصل والبصرة.

والمهم أن لا ننسى أنه بدأ يتحدث لغة مختلفة، ففي البيان الذي ذكرته لك في الأخير والصادر في ١ نيسان/ أبريل، والبرنامج الذي عرضه يتحدث عن دستور جديد وعن تعددية سياسية وديمقراطية وانتخابات رئيس الجمهورية بترشيحات متعددة وليس بمبايعة.

رابعاً: التيار القومي والكتلة التاريخية

■ *د. خير الدين حسيب أنت رمز للمدرسة القومية في العالم العربي.*

حسيب: في الحقيقة أنا لم تعد لديَّ العصبية التي تتصورها، أنا اليوم أعتبر القوميين هم الذين يؤمنون بالأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي والتي هي: الوحدة، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستقلة، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدد الحضاري. فهذا الذي يجمعني مع أي واحد منهم، يجمعني معك أو مع أي واحد آخر. وأصارحك القول إن هناك إسلاميين عروبيين، وهناك يساريون، هم أقرب إليّ من بعض القوميين. هذا هو المعيار الذي آخذ به في الموضوع وليس التسميات أو الخلفيات السابقة.

■ ***سنعود إلى الخلفيات السابقة في فهم العراق، من هو التيار القومي في العراق؟ ظننت أن عنوان حوارنا الليلة سيقودنا، من خلال الأطروحات التي ستقدمها، إلى التعرف على أطروحات الفكر القومي في العراق.***

حسيب: نحن في المركز ـ وأنا شخصياً ـ ندعو إلى شيء أكبر من التيار القومي، نحن نعتقد أن المشاكل التي تواجهنا، وبخاصة قضايا الاحتلال وأطماع القوى الكبرى في المنطقة لا تستطيع أية قوة سياسية (حزب أو تيار) وحدها أن تواجهها، وأنه لا بد من قيام ما أسميها «كتلة تاريخية». والفضل الأول في التسمية للدكتور محمد عابد الجابري. هذه القوى التي تؤمن بالأهداف الستة للمشروع الحضاري العربي هي التي تستطيع مجتمعة أن تواجه تلك المشاكل والتحديات، وإلا من دونها سَتُصفَّى هذه القوى والتيارات واحداً بعد الآخر. الأمريكيون لا يحبون القوميين ولا يحبون اليساريين ولا يحبون الإسلاميين. فالقضية قضية وقت.

■ ***حتى نختم مسألة القوميين في العراق، الآن «حزب البعث» هل ما زال موجوداً وناشطاً في العراق؟***

حسيب: «حزب البعث» موجود والحركة القومية العربية موجودة ولديها جريدة تصدر أسبوعياً اسمها **راية العرب**، وهي جزء من المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي. وهناك قوى أخرى قومية غير عاملة ضمن «الحركة القومية العربية».

■ ***يقولون إن التيار البعثي كان تياراً دكتاتورياً مستبداً ليس فيه الانفتاح الذي تتحدث عنه الآن أبداً. وهو منغلق على نفسه لم يقبل معه إسلاميين ولا يساريين. وطبعاً باع نفسه في النهاية لشخص واحد هو الرئيس صدام حسين. وإن كان أحد مسؤولاً عن احتلال العراق، فالتهمة يجب أن لا توجه أولاً إلى الذين تعاونوا مع الأمريكيين، بل إلى «حزب البعث». التيار القومي تَسَلَّم العراق حراً وسلمه محتلاً.***

حسيب: ينبغي التمييز بين أفكار البعث وممارسته. أفكار البعث في رأيي يعود الفضل الأول لها في رفع شعار الاشتراكية والتشديد على عملية التغيير الاجتماعي. القوى السياسية المختلفة الأخرى لم تكن مهتمة في معظمها بالجانب الاجتماعي، أي بالتغيير الاجتماعي. ومع أن حزب البعث كان يتعامل مع الاشتراكية كمحتوى للقومية العربية، إلا أنه كان يتعامل معها كشعار فقط، على الرغم من أنه كان شعاراً مهمّاً في تلك الحقبة. وجاء جمال عبد الناصر وحوَّل هذا التصوّر إلى إجراءات فعلية. لذلك لا نستطيع أن ندين جميع البعثيين، فهناك بعث في سوريا، وهناك بعث في أقطار عربية أخرى. وليس كل البعثيين العراقيين مسؤولين عما جرى، ولكن الذين قاموا بجرائم، هؤلاء من حق الناس أن تحاسبهم، وليس في وسعك أن تدين حزباً كاملاً وفكراً كاملاً.

■ ***ولكن ما العبرة هنا بالنسبة إلى بقية الأحزاب العربية حتى لا تكرر الأخطاء نفسها؟***

حسيب: هذا ينطبق أيضاً على أخطاء أحزاب أخرى مثل «الحزب الشيوعي» والأحزاب الكردية. فلا يتحمل «الحزب الشيوعي» كله أخطاء فترة معينة أو قيادة معينة، والأمر نفسه ينطبق على الشعب الكردي الذي لا يتحمل أخطاء قيادة «الحزب الديمقراطي الكردستاني» أو أخطاء قيادة «الاتحاد الوطني الكردستاني».

■ ***دعنا نختم محاكمة صدام حسين، ذكرنا صدام في علاقته بالتيار القومي، لماذا في رأيك اختار الأمريكيون أو الجهة المسؤولة عن الجلسة إسماعَ العالم صوت صدام حسين في فقرات قليلة؟ ولماذا هذه الفقرات القليلة جداً، والتي هي حوالى ثلاث دقائق، وَرَدَ فيها هجومه على الكويت؟***

حسيب: في البداية قالوا إن المحاكمة ستكون علنية، وستتاح الفرصة للجميع لكي يشاهد ما يدور فيها، لكن كما قلت لك الغرض الأساسي من هذه الجلسة الأولى من المحاكمة كان انتخابياً يتعلق بالرئيس بوش. ولكن عندما وجدوا، ولديهم تسجيل كامل بالصورة والصوت، أن بث هذه المحاكمة كلها سيكون لصالح الرئيس صدام حسين وضد أمريكا، اقتصروا على أجزاء منها. أما

لماذا في موضوع الكويت؟ فلإثارة الخلاف من جديد بينها وبين العراق.

■ ***أنا أحب أن أفهم هذا. أمريكا علاقتها جيدة بالكويت. وحتى لو شتم صدام الكويت أو أراد أن يلعب على هذا الوتر، فما مصلحة أمريكا في أن تلعب على هذا الوتر؟***

حسيب: لتخويف الكويتيين.

■ ***أمريكا تريد تخويف الكويتيين؟***

حسيب: نعم لتخويف الكويتيين حتى يزدادوا اعتماداً على الأمريكيين.

■ ***ولماذا لم تعتمد أمريكا النهج المقابل فتراعي الكويت وتحذف هذه الفقرة كما حذفت بقية الفقرات؟***

حسيب: على العكس هي تريد أن تثير الكويتيين على النظام السابق وتريد أن تدعهم يخافون أكثر ويحتاجون إلى الأمريكيين أكثر لحمايتهم.

■ ***فهمنا أن تكون هذه حسابات الأمريكيين، أما الرئيس صدام حسين، فلماذا تكلم بهذه العصبية عن الكويت؟***

حسيب: يجب أن تسأله هو.

خامساً: العلاقات العراقية ـ الكويتية

■ ***هل تتوقع أن الكلام هذا يمكن أن يؤثر في بعض الناس؟***

حسيب: أظن أنك سوف تسألني عن العلاقة بين الكويت والعراق في هذا الحوار.

■ ***لماذا لا نتناول هذا السؤال بما أنه مرتبط بالحديث لنعرف رأيك؟***

حسيب: بالنسبة إلى موضوع الكويت والعراق، كان اجتياح العراق للكويت في ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠ قد تم بقرار من الرئيس صدام حسين، ولم يأخذ فيه رأي أو موافقة الشعب العراقي، وهناك قطاعات كبيرة من الشعب العراقي حاولت أن تساعد وتخفف عن الكويتيين قدر الإمكان. أما بالنسبة إلى الغزو أو الاحتلال الأمريكي للعراق، فإن عليك أن تسأل: من أين أتت القوات الأمريكية؟ جاءت من الكويت وبتأييد من قطاعات من الشعب الكويتي على حد علمي. طبعاً هناك قاعدة وقوات بحرية في البحرين، وقاعدة «السيلية» في قطر، وقواعد ومطارات في بلدان عربية أخرى، خليجية وغير خليجية، وكلها وضعت تحت تصرّف العدوان والغزو.

■ ***نحن نتكلم الآن عن ملف العراق والكويت.***

حسيب: القوات الأمريكية موجودة في الكويت لـ «حماية» الكويت وليس لغزو العراق. وهناك شيء اسمه معاهدة الدفاع العربي المشترك. وهذه المعاهدة تقول إنه إذا تعرضت أي دولة عربية إلى هجوم أو إلى تهديد بالاعتداء، فعلى جميع الدول العربية أن تهرع لمساعدتها عسكرياً وغيرَ عسكرياً، وتقول أكثر إنه لا يجوز لأي دولة عربية أن تعقد اتفاقاً عسكرياً أو أمنياً أو دفاعاً مشتركاً مع أي دولة خارج المنطقة العربية إذا كان هذا يؤثر في الأمن القومي العربي.

■ ***بالنسبة إلى الكويت عدوّها كان العراق، كانت خائفة من العراق، واتفاقاتها كلها كانت لتأمين نفسها من غزو عراقي، هذا ما يقوله الكويتيون.***

حسيب: أنا أعرف ما يقوله الكويتيون، أولاً سماح الكويت بغزو أمريكا للعراق من الكويت يتجاهل أن العراقيين لم يشاركوا في اتخاذ القرار، في حين أن أغلبية الكويتيين أيدوا غزو أمريكا للعراق من الكويت. وهذا وضع مختلف، وهذا يخالف ميثاق جامعة الدولة العربية.

■ ***إذا أردت أن تفهم هذه الحال كعراقي وكعربي، لماذا أيّدَ الكويتيون، كتّاباً وغيرهم، الحرب على العراق؟ هل لأنهم كما يقولون أرادوا أن يحرروا الشعب العراقي؟***

حسيب: هم ساهموا في احتلال العراق. إذا كانت أمريكا نفسها في القرار رقم ١٤٨٣ الصادر عن مجلس الأمن اعترفت بأن قواتها الموجودة في العراق هي قوات احتلال، فكيف يجوز لكثير من الكويتيين ولغيرهم أن يقولوا إنها عملية «تحرير»؟

■ ***ماذا يترتب على هذا الوضع؟ وماذا يترتب منه على مستقبل أو حاضر العلاقة العراقية ـ الكويتية؟***

حسيب: أولاً يترتب عليه أن الكويت شاركت في الحرب على العراق لأن القوات انطلقت من عندها، فيما الحرب غير مشروعة إذ لا يوجد قرار من مجلس الأمن يخوّل الولايات المتحدة خوض الحرب، كما إن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة يخوّل الدول استعمال القوة في مجال الدفاع عن النفس في حالتين.

■ ***هل أنت تتجه إلى أن الكويت تتحمل مسؤولية مشتركة مع أمريكا؟***

حسيب: طبعاً، ولكن ليس فقط الكويت، الكويت ودول أخرى عربية قدمت المساعدة للعدوان.

إن هذه الحرب غير مشروعة ولا يوجد قرار من الأمم المتحدة بشأنها، وحتى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز للدول استعمال القوة في مجال الدفاع عن النفس إذا هوجمت لا ينطبق على حالة العراق، فالعراق لم يهاجم أمريكا، كما إنه لا يوجد هناك «خطر وشيك» بالاعتداء عليها كما تشترط حالة الدفاع عن النفس. وفي شهادته أمام الكونغرس قال جورج تينيت مدير وكالة المخابرات الأمريكية (CIA)، وقبل استقالته مؤخراً، إنه لم يشر في أي تقرير من التقارير التي قدمها إلى بوش إلى أن هناك خطراً وشيكاً. فإذاً الحرب غير مشروعة. وحتى الأسباب التي قدموها لتبرير الحرب: أسلحة الدمار الشامل والعلاقة بين العراق و«القاعدة» كلها ثبت عدم صحتها. فإذاً هناك حرب غير مشروعة قامت بها أمريكا وساعدت فيها الكويت وغيرها. ومن دون الكويت من أين يأتي الجيش الأمريكي؟ تركيا لم تسمح له، وموقف تركيا كان أفضل. والآن ما هو الحل؟

بعد أن ينتهي انسحاب القوات الأمريكية من العراق وتشكل حكومة وطنية حقيقية منتخبة من مجلس منتخب من الشعب، فإن أمامنا طريقتين لمعالجة ملف الخلاف العراقي ـ الكويتي: **الطريقة الأولى** هي أنه إذا كان العراق والكويت يعتبران نفسيهما جزءاً من الأمة العربية، فيمكن أن يأتي العراق إلى قمة عربية أو إلى مجلس الجامعة العربية ويطلب أن تحال كل قضايا الخلاف مع الكويت، سواء تعلق الأمر بمسائل الحدود أو التعويضات أو غير ذلك، على لجنة تحكيم تختارها القمة العربية ويوافق عليها الطرفان. ويتعهد الطرفان بالالتزام بما تقرره اللجنة. هذه طريقة. **والطريقة الثانية** إذا لم ترغب الكويت في هذا، وتريد أن تتعامل مع العراق كأي دولة مجاورة مثل تركيا أو مثل إيران، فمن حق العراق في هذه الحالة أن يلجأ إلى المنظمات الدولية: «محكمة العدل الدولية» وغيرها، وأن يعرض ما لديه من شكاوى وطلبات. وسيأتي يوم، عاجلاً أم آجلاً، سيطالب فيه العراق بتعويضات من أمريكا ومن بلدان الخليج كلها ومن غيرها من الدول العربية التي ساهمت في الحرب عليه. وإذا قرأت كتاب وودورد الأخير عن الحرب وهو بعنوان **خطة الحرب** (*Plan of Attack*) فسوف تعرف بماذا ساهمت هذه الدول، وستكتشف ما يَشيب له شعر الإنسان العربي خجلاً.

■ ***إذاً هناك قضية تعويضات وحدود مطروحة بين العراق والكويت.***

حسيب: طبعاً، لكن هناك طريقتين كما قلت لحلها، **أولاهما** في إطار عربي، **والثانية** في إطار القانون الدولي.

■ *د. خير الدين حسيب، اسمح لي الآن أن نأخذ مجموعة من المكالمات. في الحقيقة عندنا مكالمات من الإمارات ومن أوروبا. معي على الخط الأخ كريم بدر والأخ أبو نضال، وأول متصل هو الدكتور خالد شوكات من هولندا.*

الكاتب المعروف، خالد شوكات مرحباً بك.

سادساً: الرد على المداخلات

خالد شوكات: أهلاً وسهلاً بالدكتور خير الدين حسيب. أنا أحببت أن أحييه، وأردت أن أؤكد أنني انضممت مؤخراً إلى المؤتمر القومي العربي إيماناً مني بالمبادئ الستة التي أعلن عنها قبل قليل الدكتور خير الدين حسيب، وأريد في الحقيقة أيضاً أن أعبر للدكتور حسيب في هذه المناسبة عن عدم رضاي التام عن المسار الذي أراده المؤتمر القومي العربي وحتى أراده مركز دراسات الوحدة العربية. بالعودة إلى القضية العراقية عندي مجموعة من الملاحظات التي أعتقد أنها مهمة.

أولاً، أنا في رأيي أن لحظة سقوط بغداد ولحظة انهيار نظام الرئيس صدام حسين هي مناسبة لتقييم صادق وجدي وحقيقي وواضح وشفاف لمسار ثلاثة عقود من حكم صدام باسم «حزب البعث العربي الاشتراكي» وباسم التيار القومي العربي. ثمة مجموعة من الارتباطات لم تعد لها في رأيي أية مصداقية. الارتباط بين المشروع القومي العربي والاشتراكية، وبخاصة أن الاشتراكية في شكلها الماركسي لم يعد لها أي معنى. العدالة الاجتماعية لدينا أكثر من طريق لتحقيقها؛ يمكن أن نحققها عبر الليبرالية الاقتصادية أيضاً، في أوروبا الغربية ثمة عدالة اجتماعية أفضل في رأيي مما تحقق في الاتحاد السوفياتي أو في غيره من الدول التي سارت على النهج نفسه، وبالتالي هذه الصلة في رأيي أتت اللحظة المناسبة لمراجعتها.

الصلة **الثانية**، وهي الأهم والأخطر في رأيي، هي الصلة بين المشروع القومي العربي وحكم دكتاتوري فردي ينتهك حقوق الإنسان ويعيش على قمع الحريات العامة وعلى قمع التعددية السياسية وعلى قمع الآراء إلى غير ذلك. هذه الصلة يجب أن نقطعها أيضاً إذا ما أردنا فتح آفاق أمام المشروع القومي العربي. المشروع القومي العربي في رأيي الثابت الأساسي والوحيد فيه هو إيماننا بفكرة الوحدة العربية، وأنا أرى أن فكرة الوحدة العربية الآن لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إقامة أنظمة ديمقراطية حقيقية في جل البلدان العربية وفي مقدمتها العراق؛ أنظمة ديمقراطية تعددية تحترم حقوق الإنسان العربي وتقدسها. إن نظام صدام حسين في رأيي أساء إلى القومية العربية وإلى المشروع القومي العربي أكثر من أي نظام عربي آخر، وإذا ما

حاكمنا صدام حسين بمبادئ «حزب البعث»، سنجد أنه أكثر من خانها، وإذا ما رجعنا إلى تاريخ «حزب البعث» سنجد أن صدام حسين صفّى من قادة حزب البعث ومن البعثيين الكبار أكثر مما صفّى الأمريكيون أنفسهم.

وكما راجع الحزب الشيوعي السوفياتي نفسه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ومثلما راجع اليسار الماركسي واليسار بعامة في أوروبا الغربية نفسه بعد الحرب الأهلية الإسبانية وبعد الحرب العالمية الثانية وتحول إلى الاشتراكية الديمقراطية، ومثلما راجعت الأحزاب الشمولية العقائدية الكثيرة نفسها، على التيار القومي العربي أن يجري مراجعات جذرية وحقيقية. وعلينا كقوميين عرب أن نتحول بالدرجة الأولى إلى مناضلين ديمقراطيين في الأساس.

في ما يتعلق بالمقاومة العراقية، أو ما يسمى بالمقاومة العراقية، ففي رأيي أن هذه المقاومة غير واضحة، وأنت نفسك يا دكتور خير الدين لا تعرف رمزاً أو قائداً من قادة هذه المقاومة. كيف يمكن أن نسلم العراق لأناس مجهولي المصير والهوية، ونحن لاحظنا أنه في التاريخ كله، وبخاصة في تاريخ دول العالم الثالث أن المقاومات هذه إذا ما كتب لها النجاح عادةً ما تقيم أنظمة دكتاتورية عسكرية. يقولون نحن وصلنا إلى السلطة بالسلاح والقوة ومن يستطيع أن يتحدانا فليتحدّنا، أما نحن فلن نفرط في السلطة. ولا بد من القول إن النضال السياسي من خلال الأسلوب الألماني أو الأسلوب الياباني في العراق قد يحقق أموراً للعراقيين وللمشروع القومي العربي في العراق أفضل بكثير من السير وراء جماعات مجهولة النسب ومجهولة الهوية ومجهولة المشاريع السياسية، وربما وراءها جماعات، وربما متحالفة مع جماعات ظلامية إرهابية من نوع جماعات أبو مصعب الزرقاوي وغيره. هذا يرتب خطراً على مصالح المشروع القومي العربي في العراق. إن النضال السلمي السياسي الديمقراطي واستغلال الواقع الجديد بطريقة براغماتية مفيدان، وأنا كقومي عربي أعتبر ذلك أفضل بكثير من الأشياء المظلمة غير الواضحة. وهناك ملاحظات كثيرة لا مجال لذكرها.

وأحيي مجدداً المناضل القومي العربي الكبير خير الدين حسيب الذي فتح في الحقيقة للمشروع القومي العربي آفاقاً غير مسبوقة عام ١٩٨٣ حين نظّم ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي»، وأسس المؤتمر القومي العربي، وحقق الصلة النظرية الفكرية الضرورية بين فكرة القومية العربية والفكرة الديمقراطية. نحن كجيل جديد من القوميين العرب ندين لهذا الرجل بالكثير، فلا نريده أن يختم حياته بتأييد جماعات لا نعرفها مجهولة النسب والهوية، وشكراً.

■ ***شكراً أخ خالد شوكات، وتفضل د. خير الدين حسيب.***

حسيب: أولاً أنا أشكر الدكتور خالد شوكات على ملاحظاته، التي أتفق مع بعضها، وبعضها يحتاج إلى توضيح.

الأخ خالد، في ما يتعلق بمسار المؤتمر القومي العربي ومسار مركز دراسات الوحدة العربية، لعلك تعلم وتذكر أن أول من بدأ في شق الطريق للديمقراطية وضد الدكتاتورية كان مركز دراسات الوحدة العربية. من عام ١٩٧٩ إلى الوقت الحاضر كانت قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان مركزية في إنتاجنا الفكري. عندما بدأنا فيها، كان معظم التيار القومي العربي ومعظم التيار الإسلامي لا يؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية. ولكني أستطيع أن أقول إنه بفضل المساهمات الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية باتت أغلبية التيار القومي العربي وأغلبية التيار الإسلامي تؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية. كما كان مركز دراسات الوحدة العربية وراء إقامة «المنظمة العربية لحقوق الإنسان» التي أقيمت في قبرص على هامش ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» وأصبحت مستقلة بعد إنشائها.

أحب أن أقول كذلك إنه لم يصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية أو عن المؤتمر القومي العربي أي كلام في سطر أو كتاب أو فصل يؤيد الدكتاتورية أو يبرر دكتاتورية النظام العراقي السابق. وأنا أرجو إذا وجدتَ كلمة أو شيئاً بهذا المعنى أن تخبرني به.

في ما يتعلق بموضوع الارتباط بين المشروع القومي العربي والاشتراكية: أولاً الاشتراكية، وأنا أقصد هنا «الاشتراكية الديمقراطية»، للأسف الشديد لحقتها في التطبيق شوائب كثيرة وأصبحت ترتبط في ذهن المواطن العربي بسلبيات كثيرة، بعضها قد يكون صحيحاً ومُحِقاً، وبعضها غير صحيح. لذلك نحن استعملنا تعبير العدالة الاجتماعية، وبمعنى الاشتراكية الديمقراطية. ونأمل في آخر السنة عندما تنشر المسودة الأولى للمشروع النهضوي العربي أن نوضّح هذا المبدأ جيداً، ونحن في سبيل إعداد مسودة هذا المشروع. إننا ندرس التجارب في العالم وانتهينا من دراسة تجربة الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً. ومنذ سنتين ونحن ندرس تجربة دولة الرفاهية في الدول الاسكندنافية، وسبق أن درسنا تجارب التنمية في دول شرق آسيا ونُشرت الدراسات الخاصة بها. هذه كلها ستتم الاستفادة منها في ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية في تحديد المشروع النهضوي العربي. وأحب أن أقول لك إننا في «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي» وفي المشروع الذي يُعَدّ الآن، شدَّدنا على أننا لا نقبل بالمقايضة بين أي عنصر من العناصر الستة، أي لا نقبل بتأجيل موضوع الديمقراطية لحساب التنمية، أو تأجيل العدالة الاجتماعية لحساب التنمية. هذه العناصر الستة في رأينا غير متعارضة ويجب أن تتآلف.

الوحدة بحد ذاتها مهمة جداً، ولكن من المهم كذلك مضمون الوحدة.

■ *بالنسبة إلى النقطة الرئيسية التي ركز عليها وهي أن المقاومة غير واضحة ولا يعرف رموزها، كيف تقبل تسليم العراق لأناس مجهولي الهوية؟*

حسيب: لا يوجد احتلال في العالم قام إلا ونشأت مقاومة ضده. هذه من طبيعة الأمور. المقاومة في وضع مثل وضع العراق أحد مصادر قوتها هو سريتها. أنا مطمئن ومقتنع، وربما أكون على خطإ في هذا، وهو أنه لا توجد وسيلة لإخراج القوات الأمريكية في العراق إلا بالمقاومة بأنواعها المختلفة: مقاومة مسلحة، مقاومة سلمية، إضراب، اعتصام، تظاهرات، كل شيء. وأن يساهم كل واحد بحسب قدرته وإمكانياته. وأنا أعتقد أنه لولا المقاومة المسلحة لما تنازلت إدارة الاحتلال في العراق ووصلت إلى الوضع الموجود حالياً.

■ *الأخ كريم بدر معي من الإمارات مرحباً بك.*

كريم بدر: د. الحامدي مرحباً بك. أنا أخاطب الدكتور خير الدين حسيب لأقول له إن الخطأ التاريخي الكبير الذي وقع فيه التيار القومي هو ضرب التيار الوطني، فمنذ أيام عبد الناصر حتى هذه اللحظة وهذا الخطأ يتكرر ودفعت الأمة بسببه ثمناً باهظاً جداً. هذه نقطة. (انقطع الاتصال)

■ *الأخ كريم بدر، تفضل.*

كريم بدر: السلام عليكم وتحية إليك وإلى الدكتور الفاضل خير الدين حسيب وإلى قناة «المستقلة»، وهذه فرصة طيبة، ودعني أشد على صوت الصديق العزيز الدكتور خالد شوكات الذي يعيد توازن العراقيين بعروبتهم، وأنا أقول إن الدكتور والفكر القومي العروبي تحركا داخل العراق في صورة تيار، وهو ليس كل القوميين. وأنا أطالب الأستاذ الدكتور خير الدين حسيب بالمراجعة في هذا الموقف بالذات، وسأعود إلى هذه النقطة. إن «حزب البعث» الذي، بكل تشكيلاته وقيادته القومية والقطرية، لا يوجد فيه واحد يريد أن يقاتل ويستشهد في العراق، فالفكر الذي لا يستطيع أن ينجب شخصاً يستشهد في سبيل هذا الفكر والوطن فكر لا يستحق حتى الحياة أو أن نعوّل عليه. وبعد مرور سنة حتى الآن، وقد ذكِرت حضرتك يا د. حسيب أنه في تاريخ ٢ نيسان/ أبريل أصدر البعثيون بياناً، لكنهم لم يعتذروا للشعب العراقي، بل قالوا إن صدام حسين هو قائدنا وإننا نحن رفاق حزب البعث العربي الاشتراكي وقوات الأمن العراقية، وهم كانوا جماعة الإعدامات؛ يا سيد حسيب، حيال ذلك يجب أن يكون لنا موقف، وأنت رجل مفكر يجب أن يكون عندك موقف في المسائل التي تخص الدماء، وأنت تعوّل الآن على الحزب وتقول إنه بدأ يعيد تنظيمه في مدينة

الموصل ويعيد تنظيمه في بغداد. وهذه حقيقة دعني أعترض عليها وأشجبها.

يا سيدي أنت تدافع عن المقاومة العراقية؛ ولكن، يا أستاذي الفاضل قتل الشرطة العراقية إرهاب كما قتل المدنيين، وكذلك تفخيخ السيارات في الشوارع. الآن هناك مجزرة في العراق حقيقية. أين الفكر القومي؟ نحن نطالبكم بموقف، أنتم وقفتم قبل سقوط صدام وعقدتم المؤتمر القومي العربي في بغداد. ونحن نعتقد، وقد نكون على خطإ، أن هذا طوق نجاة رميتموه إلى صدام حسين، وأنت تقول نحن لا نبرر لصدام حسين، فلماذا أنتم لم تشجبوا المجازر التي قام بها صدام حسين إبان حكمه؟

في حديثك عن «الاتحاد الوطني الكردستاني» و«الحزب الديمقراطي الكردستاني» ـ وهما ضمير الأمة الكردية ـ تقول حضرتك ما معناه إن الأكراد كلهم خونة! «الحزب الإسلامي» العراقي «حزب الدعوة» الإسلامية «حزب الوفاق الإسلامي» «المجلس الأعلى» «الحزب الشيوعي العراقي»، هل أنت رجل مفكر يا أستاذي الفاضل الدكتور خير الدين حسيب، حتى تلغي هؤلاء الذين يمثلون ٨٣ في المئة من العراق؟ وهل يعقل أن يكونوا خونة؟ دعونا نكن موضوعيين يا أستاذي الفاضل.

■ *أستاذ كريم بدر شكراً لاتصالك والأسئلة التي طرحتها.*

حسيب: أنا أشكر الأخ كريم بدر على الأسئلة التي أثارها، وله وجهة نظر احترمها، وقد لا أتفق مع بعضها. قوله إنني أعوِّلُ على «حزب البعث»، في الحقيقة أنا لم أستعمل هذه الكلمة. أنا حاولت ـ في حدود معلوماتي وفي حدود ما أستطيع ـ أن أكون موضوعياً، وأن أنقل الصورة الموجودة في العراق كما أعرفها. لا تَنْسَ أنه كان هناك معارضون في «حزب البعث»، وأن بعضهم تعرَّض للتصفية. أنا لا أؤمن بقضية العزل السياسي، بما في ذلك العزل السياسي الذي قام به جمال عبد الناصر الذي له مكانة كبيرة لديّ.

قبل أن يسلّم بريمر السلطة شكلياً إلى الحكومة المؤقتة خلال شهر حزيران/يونيو، ٢٠٠٤، أصدر ٩٣ قراراً وقانوناً مع تعليمات، منها تشكيل لجنة للانتخابات. هذه اللجنة هي التي تقرر من يحق له الترشيح ومن لا يحق له، وفيها شروط غير ديمقراطية وتتناقض معها وتؤدي إلى عزل سياسي، ويُخشى أن تَحجُب حق الترشح عمّن تريد أن تحجبه عنه. وبالتالي، فأنا أجدد التأكيد على أن من لم يرتكب جرائم ويؤمن بالديمقراطية من حقه أن يرشح نفسه وأن يتمتع بالحق في العمل السياسي. وأنا لا أؤمن بعملية العزل السياسي من أية جهة صدرتْ وضدّ أية جهة.

في ما يتعلق باجتماع المؤتمر القومي العربي في بغداد، يا أخ كريم، المؤتمر

القومي العربي ينطلق من قاعدة تقول إن من حقه أن يجتمع في أي قطر عربي بغض النظر عن النظام القائم فيه حتى يكون على احتكاك بالناس. المؤتمر القومي العربي اجتمع في تونس، واجتمع في الأردن، وفي عمان، واجتمع في المغرب، واجتمع في الجزائر، واجتمع في مصر الموقّعة على معاهدة كامب ديفيد، وفي اليمن، وفي البحرين، وكذلك في بغداد. وبالتالي، لماذا يجتمع في القاهرة وفي عمان ونظاماهما موقّعان على اتفاقيتي كامب ديفيد ووادي عربة، ولا يجتمع في بغداد التي كانت محاصرة؟ نحن نعتقد أن تواصلنا مع الشعب العراقي مهم. أنا اخترت كرئيس لأول جلسة للمؤتمر، وعندما افتتحت الجلسة في كلمة الافتتاح لم أذكر كلمة واحدة أو أية إشارة إلى الرئيس العراقي أو أي مسؤول آخر.

■ ***في أية سنة بالمناسبة انعقد المؤتمر في بغداد؟ أظن قبل سنتين.***

حسيب: كان في العام ٢٠٠١. وقد أبدى طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء حينئذ، رغبته في إجراء لقاءٍ مفتوح مع أعضاء المؤتمر القومي العربي. ووافقنا على ذلك بشرط أن يتم اللقاء بعد اختتام أشغال المؤتمر حتى لا يعتبر جزءاً من أعمال المؤتمر، وأن يكون لأعضاء المؤتمر حرية المشاركة في اللقاء أو عدم حضوره. وفعلاً تم هذا اللقاء بعد انتهاء المؤتمر، وسُئل أسئلة في منتهى الحرج، فالدكتور عبد الإله بلقزيز ـ مثلاً ـ سأله متى ستنتقلون من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية وبعد ٣٣ سنة من الحكم؟ وطُرِحَت أسئلة كثيرة من هذا النوع. ونُقِلَ الحوارُ على التلفزيون مباشرة. وبالتالي لم يكن الاجتماع في بغداد على حساب أية مبادئ ولا على حساب الخط الديمقراطي للمؤتمر القومي العربي.

بالنسبة إلى موضوع الأكراد يا أخ كريم، إذا أنت متابع **المستقبل العربي** أو إذا كنت قد شاهدت لي لقاءً سابقاً في بيروت مع محطة «NBN»، فلا بد أن تكون قد علمت بأنني شددت على التفريق ما بين الشعب الكردي وقياداته، وسوف نتكلم عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر. وعندما أتحدث عن بعض القيادات الكردية، فإنني لا أتحدث عن الشعب الكردي الذي أعتز به وأُكِنُّ له كل تقدير ومحبة، وهو جزء من الشعب العراقي، ومن حق أبنائه أن يكونوا مواطنين من الدرجة الأولى مثل بقية المواطنين في العراق. وعندما نتحدث عن موضوع الأكراد ستسمع رأيي في هذا الموضوع.

■ ***الآن الأخ هارون محمد، الأستاذ هارون محمد مرحباً بك.***

هارون محمد: يا أهلاً وسهلاً دكتور. أنا حقيقةً لفت نظري في حديث الدكتور خير الدين قوله بأنه يجب محاكمة الفترة من ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ لغاية ٩ نيسان/

أبريل ٢٠٠٣. **أولاً** هنا أعتقد أن زجَّ ثورة ١٤ تموز/ يوليو والمرحلة التي أعقبتها في هذه المحاكمة مسألة غير شرعية. إن ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ حدث تاريخي وتعبير نضالي عن كفاح الشعب العراقي. وبالتالي، فإن هذه الثورة حققت إنجازات وتحولات لا يمكن الطعن فيها أو تجاوزها. هذه ثورة مديدة اشترك فيها الشعب العراقي كله، وفي مقدمته الجيش العراقي الباسل، ويجب عزل مرحلة ١٤ تموز/ يوليو عن المرحلة التي جاء فيها صدام حسين وسلطته في تموز/ يوليو ١٩٦٨، هذه واحدة.

النقطة **الثانية** لاحظت أن الدكتور خير الدين، في جواب عن سؤالك عن موقف التيار القومي في العراق، استخدم لغة دبلوماسية. لا أنا أقول إن التيار القومي في العراق يريد محاكمة عادلة ونزيهة لصدام حسين، محاكمة سياسية، محاكمة المرحلة بأكملها من ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ إلى ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. إن التيار القومي، وأعتقد الدكتور خير الدين يعرف ذلك، وكان أول من استهدفه انقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨، ويتذكر الدكتور خير الدين أن أوائل المعتقلين كانوا من القوميين العرب والناصريين، ويتذكر أنه في الوقت الذي كان يُزج بالقوميين والناصريين في سجن «قصر النهاية» ـ والدكتور خير الدين واحد من الذين زُجّ بهم ـ كانت الأحزاب الأخرى توقع بيانات مع صدام حسين وتشترك في حكوماته وتؤلف معه جبهات سياسية؛ وعلى هذا الأساس، فالتيار القومي يطالب بمحاكمة المرحلة بأكملها على امتداد أكثر من ثلاثة عقود، ويجب أن يُستدعى إلى هذه المحاكمة قادة أحزاب سياسية هم اليوم في الواجهة تعاونوا مع صدام حسين. ونحن في التيار القومي نعتبر أنفسنا المتضررين من حكم صدام حسين. أما بالنسبة إلى علاقة حزب البعث بالتيار القومي، فأعتقد أن الدكتور خير الدين يتذكر أن هناك طلاقاً حدث بين حزب البعث والتيار القومي في العراق منذ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١ عندما أيد حزب البعث جريمة الانفصال التي حدثت من قبل مجموعة من العسكريين السوريين التي ساعدها حزب البعث، ويتذكر الدكتور خير الدين أن ستة من أعضاء القيادة القومية وقّعوا على وثيقة الانفصال المشؤوم. وعلى هذا الأساس، فإن التيار القومي يطالب أولاً بمحاكمة سياسية وليس شخصية لصدام حسين. إن صدام حسين ليس شخصاً عادياً، ولم يرتكب جريمة محددة في إطارها الجنائي، إنما مارس دكتاتورية، حتى إنه عزل حزب البعث. إن صدام حسين اسمياً هو زعيم حزب البعث، ولكنه وضع حزب البعث على الرف.

النقطة **الثالثة**، أريد أن أشير إلى مسألة في غاية الأهمية: الدكتور خير الدين يقول إن انعقاد المؤتمر القومي في بغداد يشبه عقد اجتماعات سابقة في الجزائر والمغرب. الأمر المثير في هذا الاجتماع يا دكتور أنه في الوقت الذي اجتمع هذا المؤتمر

القومي فيه، كان لدينا من القوميين والناصريين المعتقلين في سجون ومعتقلات صدام حسين أكثر من ٥٢ فرداً. وأعتقد أن الدكتور خير الدين يعرف بعض أسماء هؤلاء: عبد الرزاق الأسدي، زيدان النعيمي، طه جزار، ياسين الدليمي وآخرون. طلبنا من عدد من أعضاء المؤتمر أن يفاتحوا السلطة القائمة يومذاك ببحث وإحالة هؤلاء على محاكم. لم يجرؤ مع الأسف لا الدكتور خير الدين ولا الأعضاء الآخرون في الوفد الذي ذهب إلى بغداد لمفاتحة صدام حسين أو طارق عزيز أو غيرهما من المسؤولين. هؤلاء حكم عليهم من عام ١٩٩٩ إلى نهاية العام ٢٠٠٢. كيف ينعقد المؤتمر القومي في بغداد وهناك قوميون وناصريون معتقلون؟ ماذا يعني هذا؟ سؤال أطرحه لوجه الله وليس لشيء آخر.

حسيب: شكراً للأخ هارون. أنا أتابع مقالاتك في **القدس العربي**. وقبلها كنت تكتب في غير **القدس العربي**. ولديَّ انطباع ايجابي وجيّد عما تكتبه. ولذلك أنا أناقشك كواحد من التيار القومي.

بالنسبة إلى المحاكمات، أنا لم أقل ينبغي محاكمة ثورة ١٤ تموز/يوليو، بل أنا قلت إن الجرائم ضد الإنسانية وضد حقوق الإنسان تبدأ من ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. لقد حصل فيها قتل وسَحْل واعتداءات، وأعتقد أنه من حق الناس أن يعترضوا على هذا. ومثلما أنك مقتنع ومؤمن ومعتز بثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، فإنني لست أقل منك اعتزازاً بها.

في ما يتعلق بموضوع التيار القومي ومحاكمة صدام حسين، أنا أجبت عن الموضوع بشكل عام، وقلت إن جميع الناس الذين لديهم شكاوى يقدمونها ويقع تحقيق فيها، والمجلس الوطني المنتخب من الشعب يقرر نوع المحاكمة ونوع العقوبات وكل التفاصيل الأخرى. أنا لم أتكلم عن عدم محاكمة صدام حسين أو غيره، فهذه قضية ليس من حقي وليس من حق غيري أن ينفرد بالقرار فيها. الشعب العراقي له الحق أن يقرر هذا من خلال المجلس الوطني المنتخب.

أما في ما يتعلق بالمؤتمر القومي العربي، فإن الإنسان يحاسب على ما يكتب وعلى ما يقول. أما النيات، فهذه علمها عند الله. أنا أتمنى عليك أن تطلع على البيان الختامي الصادر عن المؤتمر القومي العربي الذي انعقد في بغداد. إنك لا تجد فيه كلمة واحدة في تأييد للنظام، بل تجد فيه تأكيداً على الديمقراطية وحقوق الإنسان ومناهضة الدكتاتورية... إلخ. هذا الكلام كله قيل. أما في موضوع المعتقلين القوميين الذين كانوا موجودين، فلمعلوماتك قام الأخ ضياء الدين داوود، الأمين العام للمؤتمر القومي العربي آنذاك، وبناءً على المعلومات التي قدمها الأخ الدكتور

وميض نظمي حول هذه المجموعة، بمفاتحة المسؤولين في العراق في هذا الموضوع، وليس كما نقل إليك أو تعتقده في هذا، وكذلك في الأحاديث التي جرت مع المسؤولين. إن المؤتمر القومي العربي لم يطلب مقابلة، بل طُلب منه اختيار أعضاء منه للمقابلة. وفي المقابلة، أثيرت كل هذه المواضيع مع الرئيس صدام حسين بصراحة. وأستطيع أن أقول لك إن وجودنا في بغداد لم يغيّر من مبادئنا أو ممارساتنا، والتقينا بعدد كبير من الإخوان القوميين هناك ولم تكن تتاح فرصة اللقاء معهم سابقاً. ونحن طلبنا أمرين قبل الموافقة على عقد المؤتمر: **الأول** أن كل من يُدعى إلى المؤتمر يسمح له بالدخول وبالخروج، **والثاني** حرية التعبير. وقد احتُرِمت شروطُنا احتراماً تامّاً ولم يقع أي انتهاكٍ لها. وأنا أود أن أُطَمْئِنَكَ إلى أن المؤتمر لم يتنازل في بغداد ولا في غير بغداد، وأرجو أن ترجع إلى البيانات المختلفة الصادرة عن المؤتمر القومي العربي وترى إذا ما كان فيها موقف المؤتمر ثابتاً من كل القضايا، وأولها إدانة الاستبداد والقمع والدفاع الدؤوب عن الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان. لقد نهض المؤتمر القومي العربي بدور أساسي في إقناع تيارات كثيرة، ومنها الإسلامية، بموضوع الديمقراطية والتعددية السياسية التي انتهت بإقامة المؤتمر القومي ـ الإسلامي، واتفقنا على برنامج يشدّد على الوحدة العربية والديمقراطية والتعددية السياسية والموقف ضد أمريكا ودعم القضية الفلسطينية . . . إلخ.

■ ***لدي في الحقيقة اتصالات كثيرة والوقت ضيق، آخر اتصالين للأخ الدكتور سعد حسين في لندن والأخ الدكتور هاشم العبيدي في السويد. د. سعد حسين تفضل.***

سعد حسين: مساء الخير، لدي سؤالان للدكتور خير الدين. قال الدكتور خير الدين إن اللقاء مع طارق عزيز كان معلناً على التلفزيون. جزء كان معلناً وجزء لم يكن معلناً؛ وبعض الصحف قالت إن الجزء غير المعلن كان عن توزيع الصكوك على بعض الناس. وهذا كلام قيل لا نعرف صدقه من كذبه.

حسيب: الحوار كله بُثَّ على الهواء مباشرة.

سعد: ما يقال إنه لم يبث هو توزيع الحصص على بعض النفوس التي اشتراها حزب البعث من القوميين.

■ ***يا أخ سعد هذا مؤتمر، إذا أراد طارق عزيز أن يشتري على فرض، هل ينتظر مؤتمراً على التلفزيون مباشرةً لكي يفعل؟!***

سعد: عندي سؤال ثان، ماذا فعلتم أيها القوميون حتى الآن؟ جررتم الشعوب إلى تهلكة جماعية، لنعطي مثلاً: التيار القومي الحقيقي في الخليج العربي: أنجز وحدةً

اقتصادية ووحدة داخلية، وكلهم أمراء وكلهم ملوك، ومع الأسف تدّعون بأن هؤلاء الملوك والأمراء خونة وعملاء. نسأل أنفسنا: من أحسن؟

■ ***د. سعد شكراً لك. الدكتور هاشم العبيدي من السويد تفضل.***

هاشم العبيدي: السلام عليكم، أحييك وأحيي الدكتور خير الدين حسيب.

تعقيباً على كلام الأخ هارون محمد والدكتور خير الدين حسيب، ما يقصده الدكتور خير الدين حسيب على ما أعتقد ليس محاكمة ثورة ١٤ تموز/ يوليو التي قادتها حركة الضباط الأحرار، فهي ثورة وطنية قومية وأغلب الضباط الذين شاركوا الهيئة العليا (١٥ ضابطاً)، ١٢ ضابطاً منهم قوميون، وأغلبية حركة الضباط الأحرار (أكثر من ٣٠٠ ضابط) أغلبهم ٩٠ إلى ٩٥ في المئة منهم قوميون. ولكن هو يحاكم فترة حكم عبد الكريم قاسم الذي قاد انقلابه الصامت ضد ثورة ١٤ تموز/ يوليو في ٣٠ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥٨ بإزاحة نصف الثورة واعتقال القوميين والقيام بعمليات القتل والسحل التي جرت خلال الفترة. إن عبد الكريم قاسم أعدم خلال سنة ٨٧ ضابطاً قومياً، من العميد الركن ناظم الطبقجلي، والعميد الركن الشواف، والعقيد رفعت الحاج سرّي، إلى الملازم مظفر صالح. كيف لا يحاكم عهد عبد الكريم قاسم وهو عسكري، وكان قائداً عاماً للقوات المسلحة، وشكل مجلس تحقيق عسكرياً، وعرضوا عليه قائمة بأسماء الضباط الأحرار الذين أعدمهم؟ هذا بالنسبة إلى فترة عبد الكريم قاسم. وما تلاها في ثورة شباط/ فبراير ١٩٦٣، تم كرد فعل للبعثيين ضد الشيوعيين الذين سحلوا القوميين واعتقلوهم سواء في بغداد أو في الموصل أو في كركوك.

النقطة الثانية، بالنسبة إلى محاكمة فترة ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ حتى سقوط بغداد في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، فأول من اعتقل من القوميين هم البعثيون واليساريون، في معتقلات «قصر النهاية».

■ ***شكراً أخ هاشم لاتصالك، الدكتور خير الدين حسيب الآن لو سمحت لي نمر على بعض النقاط الرئيسية في الحوار.***

حسيب: أجيب في البداية عن الأسئلة والملاحظات السابقة.

السؤال الأول المتعلق بطارق عزيز، قلت إن الحوار بث كله على الهواء مباشرة. في ما يتعلق بالتيار القومي، ليس كل من حكم باسم التيار القومي يتحمل التيار القومي أو الفكر القومي مسؤوليته، وهذا ينطبق على عدد من الأقطار العربية مثل العراق وسوريا وليبيا وغيرها. أما الخليج العربي، فلم تحدث فيه وحدة اقتصادية.

عمر مجلس التعاون الخليجي اليوم صار خمساً وعشرين سنة. وإلى الآن، لم يتفقوا على وحدة جمركية ولا على عملة موحدة. لقد أنشئ لأغراض أمنية ولا يزال لأغراض أمنية. لا يمكن مقارنة التيار القومي بنجاحات أنظمة الحكم في الخليج العربي لأن أنظمة الحكم في الخليج العربي من دون استثناء ساهمت في احتلال العراق.

سابعاً: انعكاس الوضع العراقي على الانتخابات الأمريكية

■ ***لدي مجموعة مسائل رئيسية ربما أشار إليها بعض الإخوان. أريد أن أعرف انعكاس الوضع في العراق على الانتخابات الأمريكية، سألتك قبل لحظات في الحديث: ماذا يمكن أن يحصل في الانتخابات في رأيك، كيف سيؤثر العراق في الانتخابات في حال خسر بوش الانتخابات، هل سيتغير الوضع في العراق؟***

حسيب: بالنسبة إلى الولايات المتحدة فإن الذي يمكن أن يصحح السياسة الخارجية في الإدارة الأمريكية الحالية هو الشعب الأمريكي، وذلك من خلال الانتخابات. والانتخابات القادمة هي في الأسبوع الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، تؤدي السياسة الخارجية للولايات المتحدة دوراً مهماً في الانتخابات الرئاسية، وأهم موضوع في السياسة الخارجية الأمريكية الآن هو العراق. إن الذي سيقرر نتائج الانتخابات القادمة هو العراق وما سيحصل فيه من مقاومة وضحايا بشرية أمريكية. أما الوضع الداخلي الأمريكي، فله وجهان: اقتصادي وسياسي. في الجانب الاقتصادي ستكون المساءلة حول: ماذا حصل في معالجة البطالة، وماذا حصل للعملة الأمريكية، وماذا حصل لميزان المدفوعات وزيادة العجز، ومجموعة أخرى من العوامل، آخذين بنظر الاعتبار أن الانخفاض الذي تم في أسعار الأسهم في الولايات المتحدة يؤثر تأثيراً مباشراً في حياة الأمريكيين. إن الشعب الأمريكي، وخلاف معظم شعوب الدول الأوروبية الأخرى أو كلها، يمتلك حوالى ٧٠ في المئة منه أسهماً. وحتى صناديق التقاعد تستثمر في أسهم، وبالتالي الانخفاض الذي تم في أسعار الأسهم في السنوات الأخيرة من حكم بوش أدّى إلى انخفاض حقيقي في دخل الأفراد، وحتى التقاعد في المستقبل، إضافة إلى زيادة عجز ميزان المدفوعات[٦].

---

(٦) لمزيد من الإيضاح حول تأثير الأوضاع الاقتصادية للولايات المتحدة على سياستها الخارجية، انظر: زياد حافظ، «المشهد الاقتصادي في الولايات المتحدة وتداعياته على سياساتها الخارجية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، وجوليان بورغر، «حرب العراق ستكلف كل عائلة أمريكية ٣٤١٥ دولاراً،» **الغارديان**، ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٤، ذكر فيه، نقلاً عن التقرير الذي نشر يوم ٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤ من قبل معهدي «معهد دراسات السياسة» (Institute for Policy Studies)، و«السياسة الخارجية في بؤرة =

بالنسبة إلى الانتخابات الجارية، هناك أصوات تسأل، ومن حقها أن تسأل والسؤال مشروع: ما هو الفرق بين بوش وكيري؟ أنا أعتقد أن هناك فروقاً أساسية بينهما. قد لا يختلفان في سياستهما بالنسبة إلى إسرائيل، لكن هناك فروقاً أساسية تؤثر فينا وفي العالم كله. بوش عنده مخطط شامل لمنطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية؛ العراق هو البداية. وهناك تصريحات علنية لكولن باول وغيره حول أن العراق هو البداية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وبعد العراق تأتي سوريا وإيران وإعادة ترتيب البيت السعودي والمصري . . . إلخ. لا يوجد لدى كيري والديمقراطيين مثل هذا المخطط. هناك فرق إذا نجح بوش، لا سمح الله، في السيطرة على العراق ونجح في الانتخابات، فالخطوة التالية ستكون سوريا ولبنان وإيران، وليس بالضرورة عن طريق الغزو. وقد تلجأ أمريكا إلى سياسة الضغوط والإملاءات، كأن تقدم مطالب معينة إذا نفذت كان به، وإذا لم تنفذ يُلْجَأُ إلى أساليب أخرى (إسرائيل وغيرها). وقد يكون منها أيضاً ضرب المفاعلات النووية في إيران من قبل إسرائيل أو من قبل أمريكا أو الاثنتين معاً.

إن بوش يؤمن بالحرب الاستباقية، ولكن كيري لا يؤمن بالحرب الاستباقية إلا إذا كانت تهدد الأمن القومي الأمريكي مباشرةً. وبوش يؤمن بالعمل الانفرادي، فهو يريد أن ينفرد بالنظام الدولي ويريد الهيمنة الأمريكية على العالم، أي ما يسمى «Hegemony» أو العمل الانفرادي، أو ما يسمى (Unilateralism) وكيري في المقابل يؤمن بالعمل الدولي المشترك والجماعي، ودور الولايات المتحدة يكون دور قيادة (Leadership) وليس دور هيمنة. وهذه الأمور لها نتائج مختلفة. كما أن بوش متزمت أيديولوجياً وعنيد وأقل خبرة شخصية، بالمقارنة مع كيري، فهذا منفتح على آراء الآخرين وذو خبرة شخصية أكبر. هذه هي الفروق الرئيسية بين الاثنين[٧]. حالياً، وبحسب استطلاعات الرأي العام التي تمت أمس (٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٤)، بعد أن أعلن كيري انضمام إدواردز نائباً للرئيس، كان هناك استطلاعان: استطلاع لمحطة سي. بي. إس. التلفزيونية، حصل فيه كيري ونائبه على ٤٩ في المئة، أما بوش وتشيني، فحصلا على ٤٤ في المئة، أي بفارق خمس نقاط. وفي الاستطلاع الثاني

= الاهتمام» (Foreign Policies in Focus P. T. O.) بأن الولايات المتحدة قد أنفقت أكثر من ١٢٦ مليار دولار على الحرب في العراق، والتي ستكلف في النهاية كل عائلة أمريكية ما يقدر بمبلغ ٣٤١٥ دولاراً بحسب التقرير الذي أعده المعهدان. كما أشار التقرير إلى أنه إضافة إلى هذا المبلغ الذي أقره الكونغرس حتى الآن، فإن مبلغ ٢٦ مليار دولار آخر من المحتمل إنفاقه حتى نهاية العام الحالي.

(٧) حول هذا الموضوع، انظر: راغدة درغام، «حملة كيري تتنشط مع إدواردز . . . . والآن بدأ الحكم على الفوارق مع بوش ـ تشيني،» **الحياة**، ٩/ ٧/ ٢٠٠٤.

الذي قامت به محطة إي. بي. سي. الأمريكية، حصل فريق كيري على ٤٩ في المئة، وحصل فريق بوش على ٤١ في المئة، أي بفارق ثماني نقاط.

■ ***قد يُقْدم عراقيون أمريكيون معارضون لانتخاب بوش على انتخابه حين يسمعونك لمجرَّد معارضتهم موقفك.***

حسيب: إن دور إخوَاننا العرب الأمريكيين يجب أن يكون حاسماً في هذه الانتخابات، والتمني عليهم أن لا يقعوا في الخطإ الذي وقعوا فيه في الانتخابات السابقة في عام ٢٠٠٠، حيث يُعتقد أن ثلثيهم صوتوا لبوش. وأرجو أن لا ينظروا إلى القضية كقضية جمهوري وديمقراطي، ولكن أن ينظروا إلى أن عدم التجديد لبوش ينقذ المنطقة العربية والأمة العربية من دمار محتم، وعلى الأقل في الزمن القصير.

■ ***هذا رأيك في الموضوع الأمريكي، قبل أن نأخذ رأيك في الموضوع الكردي، إذا فاز كيري بحسب رأيك ما هو الانعكاس المحتمل؟***

حسيب: كيري يريد أن تعمل أمريكا من خلال الأمم المتحدة ومع المجموعة الدولية، وهو غير مسؤول عما حصل. وإذا أردنا أن نلخص في كلمات محدودة الموقف، فإن كيري يقول: بوش وضع الأمريكيين في مستنقع العراق، وهو يريد أن يخلص أمريكا من المستنقع العراقي.

ثامناً: الأكراد في الوضع السياسي الحالي للعراق

■ ***بالنسبة إلى الأكراد ما هي معلوماتك وتقييمك لوضعهم الآن في الوضع السياسي الحالي للعراق؟***

حسيب: أنا ممن يفرقون بين القيادات الكردية والشعب الكردي. الشعب الكردي هو جزء من الشعب العراقي، وهناك علاقات وثيقة جداً بينهما. هناك درجة كبيرة من الاختلاط موجودة ما بين الأكراد والعرب في مناطق مختلفة، لكني أعتقد أن القيادات الكردية لا تمثل حقيقة الشعب الكردي. وخلافاً لما يقولونه من أن كردستان واحة ديمقراطية، فالحقيقة أنها ليست واحة ولا ديمقراطية. في عام ١٩٩٤ فقط جرت انتخابات، وحتى نتائج الانتخابات لم تعترف بها القيادات الكردية، وتم تقاسم المقاعد بينهما بالتراضي. واستمر الوضع سنة واحدة فقط كانت فيها حكومة مركزية ثم انفصلا. والآن، هناك حكومة في السليمانية وحكومة في أربيل، وهناك مجلس في السليمانية ومجلس في أربيل. ليس هذا فقط، بل كان هناك أيضاً قتال مسلّح فيما بينهما، وكان هناك الكثير من الضحايا إلى حد أن جلال الطالباني احتل أربيل التابعة لمسعود البارزاني، ومسعود استعان بصدام لاستعادة أربيل. وعمليات

التهجير التي تمت من منطقة جلال إلى منطقة مسعود، ومن منطقة مسعود إلى منطقة جلال، كانت عمليات تهجير كبيرة. فأين الديمقراطية في كل هذا؟

أما عن كركوك، فيقولون بالعودة إلى إحصاء السكان الخاص بعام ١٩٥٧. لماذا ١٩٥٧؟ لأن هذا الإحصاء تمّ قبل ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨، وهم يعتقدون أن ما بعدهُ حصلت فيه تدخلات. الأرقام موجودة عندي: في مدينة كركوك، لا يشكل الأكراد الأكثرية[8]. الأكثرية هم التركمان والعرب. وفي لواء كركوك ككل، ليسوا أكثرية. وفي العراق ككل ليست نسبتهم كما يقولون ما بين ٢٠ و٢٥ في المئة، بل هم ١٦,٤ في المئة[9]. أما بالنسبة إلى لواء الموصل «والذي يسمى محافظة الآن»، فقد كانت نسبة الأكراد في مدينة الموصل بموجب إحصاء عام ١٩٥٧ ٣,٤ في المئة، ونسبة العرب ٩٤,٧ في المئة. أما في بقية لواء الموصل حينذاك، فكانت نسبة العرب ٤٤,١ في المئة، ونسبة الأكراد ٣٩,٢ في المئة، علماً بأن نسبة الأكراد في بقية لواء الموصل انخفضت كثيراً بعد إحصاء عام ١٩٥٧. وقد تم في عام ١٩٧٠، عند صدور قانون الحكم الذاتي للأكراد، فصل الأقضية الكردية التابعة للواء الموصل، وإقامة محافظة جديدة باسم محافظة «دْهوك»، والتي تضمنت قضاء دْهوك وبقية الأقضية الكردية التي كانت تابعة للواء الموصل (عمادية، وعقرة، والشيخان . . . إلخ)، وبذلك تكون نسبة الأكراد في بقية لواء الموصل قد انخفضت كثيراً بعد عام ١٩٥٧[10]. والذي يريد من المستمعين أن يحصل على التفاصيل، عليه

(٨) بلغت نسبة الأكراد في مدينة كركوك بحسب إحصاء عام ١٩٥٧، ٣٣,٣ في المئة، في حين كانت نسبة التركمان ٣٧,٦ في المئة، ونسبة العرب ٢٢,٥ في المئة، أي إن نسبة الأكراد في مدينة كركوك هي حوالى ثلث عدد السكان فقط. كما بلغت نسبة الأكراد في لواء كركوك ككل ٤٨,٢ في المئة، في حين كانت نسبة العرب والأكراد مجتمعين في لواء كركوك ككل ٤٩,٦ في المئة، أي إن الأكراد لم يشكلوا الأكثرية في عام ١٩٥٧. انظر: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥: لواءا السليمانية وكركوك**، ص ٢٤٣.

(٩) انظر: العراق، وزارة التخطيط، دائرة الإحصاء المركزية، قسم الأبحاث والنشر، **المجموعة الإحصائية السنوية العامة، ١٩٦٤** (بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٦٥)، الجدول رقم ١٢٦ حول «تصنيف سكان العراق بحسب الجنس واللغة الأصلية لسنة ١٩٥٧»، ص ١٣٠، والذي يذكر أيضاً أن نسبة التركمان في العراق عام ١٩٥٧ كانت حوالى ٢,٢ في المئة، وأنه إذا افترضنا أن عدد سكان العراق حالياً هو ٢٧ مليون نسمة تقريباً، وأن نسبة التركمان في مجموع السكان لم تتغير، فيكون عدد التركمان في الوقت الحاضر حوالى ٦٠٠ ألف نسمة، وليس ٢ إلى ٣ ملايين نسمة، كما تردده بعض الأوساط وعلى أساس غير علمي.

(١٠) انظر الجدول رقم ١٦ حول «تصنيف السكان من حيث الجنس، ولغة الأم للواء الموصل» في: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥: لواءا الموصل وأربيل**، ص ١٧١. وقد تم اشتقاق النسب المئوية من الأرقام المذكورة في الجدول المشار إليه.

وأما بالنسبة إلى ادعاءات الأكراد حول ديالى والكوت، فبالنسبة إلى لواء ديالى كانت نسبة العرب بحسب إحصاء عام ١٩٥٧ في مدينة بعقوبة «مركز اللواء» ٩٨,٦ في المئة ونسبة الأكراد ٠,٧ في المئة، وأما في باقي =

أن يرسل إلي بريداً الكترونياً إلى مركز دراسات الوحدة العربية، وأنا مستعد لتزويده بالمعلومات.

إضافة إلى هذا لا يمكننا أن ننكر أن هذه القيادات الكردية ساهمت في احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية، ثم حاولت بعد ذلك من خلال ما يسمى «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية» ـ الذي لم يعترف به قرار مجلس الأمن رقم ١٥٤٦ ـ فرض مادة هي المادة التاسعة حول ان اللغة العربية واللغة الكردية هما اللغتان الرسميتان للعراق، العراق كله. وقد نصت تلك المادة أيضاً على ضرورة أن تصدر الجريدة الرسمية **الوقائع العراقية** باللغتين. يضاف إلى ذلك أن التحدث والمخاطبة والتعبير في المجالات الرسمية في الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء والمحاكم والمؤتمرات الرسمية تكون بأي من اللغتين، بينما في كردستان تسود اللغة الكردية وحدها!

كما أعطى هذا القانون المحافظات الكردية الثلاث ما يشبه حق الفيتو على نتائج الاستفتاء على مسودة الدستور الدائم، حيث تشير الفقرة (ج) من المادة الواحدة والستين على:

«(ج) يكون الاستفتاء العام ناجحاً ومسودة الدستور مصادقاً عليها، عند موافقة أكثرية الناخبين في العراق، وإذا لم يرفضها ثلثا الناخبين في ثلاث محافظات أو أكثر». وهذا يعني أن ثلثي الناخبين في محافظات السليمانية وأربيل وذهوك يمكن أن يلغوا

= لواء ديالى فكانت نسبة العرب ٧٨,١ في المئة، ونسبة الأكراد ١٩,٢ في المئة، وبالنسبة إلى لواء ديالى ككل كانت نسبة العرب ٧٩,٣ في المئة، ونسبة الأكراد ١٨,٢ في المئة. أما بالنسبة إلى لواء الكوت، فكانت نسبة العرب في مدينة الكوت (مركز اللواء) ٩٨,٩ في المئة، ونسبة الأكراد ٠,٨ في المئة، وفي بقية لواء الكوت كانت نسبة العرب ٩٨,٩ في المئة، ونسبة الأكراد ٠,٩ في المئة، وفي لواء الكوت ككل كانت نسبة العرب ٩٨,٩ في المئة، ونسبة الأكراد ٠,٩ في المئة. انظر الجدول رقم ١٦ في: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥: لواءا ديالى والكوت**، ص ١٠٧.

وقد أظهرت نتائج الاستطلاع على مستوى العراق الذي قام به «Oxford Research International» خلال شهر شباط/فبراير ٢٠٠٤ وشمل جميع العراق على أساس مقابلات تمت مع ٢٧٣٧ مستجوباً في جميع أنحاء العراق بأن نسبة الذين لغتهم الأم العربية هي ٧٩,١ في المئة، وأن الذين لغتهم الأم هي الكردية يمثلون ١٧,٤ في المئة، وأن التركمان يمثلون ٢ في المئة. أما حول اللغة التي يتكلمونها في بيوتهم، فقد أظهر الاستطلاع أن الذين يتكلمون العربية في بيوتهم يمثلون ٧٩,١ في المئة، وأن الذين يتكلمون الكردية ١٧,٢ في المئة، وأن الذين يتكلمون اللغة التركمانية ٢,٣ في المئة. كما أظهر هذا الاستطلاع أن نسبة المسلمين الشيعة هي ٣٣,٣ في المئة، وأن نسبة المسلمين السنة هي ٤٠,٢ في المئة، وأن المسلمين من دون تمييز لطائفتهم كانوا ٢٢,٥ في المئة. كما بيّن الاستطلاع أن نسبة المسيحيين الكاثوليك هي ١,٩ في المئة، وأن نسبة المسيحيين الأرثوذكس هي ١ في المئة، وأن نسبة المسيحيين من دون تمييز هي ٠,٥ في المئة، وأن نسبة الزيدية هي ٠,٥ في المئة. انظر: Oxford Research International-National Survey of Iraq (February 2004).

استفتاءً على دستور دائم وافقت عليه أكثرية الشعب العراقي. إن إعطاء حق الفيتو للأقلية للسيطرة على قرار الأغلبية لا ينسجم مع أسس الديمقراطية الحقيقية، والمفترض أن تُبحث هذه الأمور في الجمعية الوطنية المنتخبة التي تتولى إعداد الدستور الدائم، قبل عرضه على الاستفتاء، **بالتوافق** كلما كان ذلك ممكناً.

■ ***عندما يكونون في بغداد يتحدثون باللغة الكردية، أو إذا شاركوا في اجتماع عربي يستعملونها.***

حسيب: يمكن في المجلس الوطني أن يتحدث المرء بالكردية حتى من دون أن يفهمها الآخرون.

■ ***وإذا ذهبوا إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب، هل يتحدثون بالكردية ويطلبون من عمرو موسى أن يسمح بالترجمة؟***

حسيب: الاعتراف في الوثائق الرسمية والمراسلات باللغتين، وإصدار الوثائق الرسمية بهما. ومبدأ المساواة يسري على فتح المدارس باللغتينْ وطبع الأوراق النقدية وإصدار الجوازات باللغتين. أي بلد في العالم تظهر على عملته لغتان محليتان، أو يتضمن جواز السفر لغتين محليتين؟ حين نضع الإنكليزية على العملة أو على الجواز، فلأنها لغة أجنبية. وهناك أشياء أخرى في هذا القانون لم يعترف بها قرار مجلس الأمن.

■ ***ألا يوجد احتمال بأن يكون الأكراد خائفين من ظلم العرب بعد ظلم صدام؟***

حسيب: بالنسبة إلى موضوع الخوف، سأقسم المرحلة إلى قسمين: منذ تقسيم الدولة العراقية إلى ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، ومن عام ١٩٥٨ إلى ما بعد، ففي ما يتعلق بتأسيس الدولة العراقية منذ عام ١٩٢٠ وما تلاها، ليس العرب في العراق مسؤولين عن تقسيم كردستان. لقد قسمت كردستان بموجب معاهدة «سيفر» ما بين تركيا وإيران والعراق، مثل ما حصل في «سايكس ـ بيكو» حين قسموا المشرق العربي كله (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان). فنحن العرب في العراق لسنا مسؤولين عن تقسيم كردستان.

في ما يتعلق بالتعامل مع إخوتنا الأكراد، أعتقد أنه خلال الفترة من تأسيس الدولة إلى عام ١٩٥٨ كان الأكراد يُعَاملون معاملة متميزة. مثلاً الشخص الثاني كان في العهد الملكي هو رئيس الديوان الملكي بعد رئيس الوزراء. وكان رئيس الديوان الملكي معظم الفترة أحمد مختار بابان. وخلال هذه الفترة، كان هناك اثنان من رؤساء الوزراء من الأكراد، كما كان عدد كبير من وزراء الداخلية أكراداً، وكذلك عدد كبير من المتصرفين (الآن نسميهم محافظين) كانوا أكراداً، كما أن نسبة الضباط الأكراد في

الجيش العراقي كانت أكثر من نسبتهم من السكان. وبالتالي لا يستطيع أحد أن يتحدث عن غبن في تلك الفترة. ما تلا عام ١٩٥٨ هي فترة تشابكت فيها الأمور، ومن الصعب إطلاق حكم عام لأن كل واحد يتصور أنه هو المظلوم. وأنا كما قلت في مناسبة سابقة، إذا كان النظام السابق يملك ميزة، إذا كان لك أن تعتبرها ميزة، فهي «العدالة في الظلم». لم يكن المعيار عند النظام القومية أو الطائفية، بل المعيار كان في تقدير النظام من هو الذي يشكل خطراً عليه. هذا هو المعيار، وهو الذي يفسر لماذا قاسى البعثيون منه أكثر من غيرهم.

■ ***الآن بالنسبة إلى الوضع الجديد، وضع الأكراد حالياً.***

حسيب: أنا أعتقد أن الحل يجب أن ينطلق من مبدإ «المواطنة». المواطنون متساوون في الحقوق والواجبات.

■ ***من دون فدرالية للأكراد.***

حسيب: أنا لا أحب التسمية، لأن تسمية الفدرالية اختلطت فيها الأمور وباتت لها مضاعفات كثيرة. ما يهمني هو المحتوى.

■ ***ولكن تقبل بحقوق وبحكم ذاتي.***

حسيب: هناك حكم ذاتي وحقوق مدنية. هذا من حقهم، وأنا أؤيد هذا وأطالب به.

■ ***لكن لا تقبل أن يفرضوا مثلاً اللغة الكردية على كل العراق؟***

حسيب: لماذا؟ أنا أفهم أن الذي يعمل في المنطقة الكردية يجب أن يعرف الكردية، لكن ما ذنب الناس في مناطق أخرى لكي يتعلموا لغة كردية لن يستعملوها في حياتهم. هذه مطالب أخافت العراقيين بكل توجهاتهم.

في ما يتعلق بموضوع تقرير المصير والانفصال . . . إلخ، هناك قضيتان منفصلتان. إذا ما توصل الكُرد في المستقبل، في مجموع مناطق كردستان (في تركيا وإيران والعراق)، إلى الحصول على حق تقرير المصير وقرروا الانفصال، فمن حقهم أن ينفصلوا بمن فيهم الأكراد في العراق. أما في الوقت الحالي، فلا يستطيع العراق أن يعطيهم حق الانفصال. يستطيع أن يوفر لهم حقوق المواطنة الكاملة، وأن يمنحهم الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية، لأنه لو أعطي حق تقرير المصير لهم وانفصلوا ستنفجر المنطقة بصراعات لن تنطفى حرائقها، وسيؤثر ذلك في الأمن القومي العراقي والعربي.

تاسعاً: الجيش العراقي

■ ***أخيراً في دقيقتين فقط، هل عندك أي تعليق على تكوين الجيش العراقي الجديد؟***

حسيب: نحن درسنا هذا الموضوع في ندوة أخيرة عقدها المركز، ووصلنا إلى اقتناع أنه يجب الفصل بين الجيش والسياسة. الجيش يجب أن يكون خاضعاً للقيادة السياسية، والأحزاب يجب أن تُمنع من العمل داخل الجيش. وبالتالي، أي جيش عراقي تتم إعادة تكوينه يجب أن يكون هذا المبدأ حاكماً له. وأي ضباط سابقين يريدون العودة يجب تخييرهم بين الانتماء السياسي وترك الجيش أو بين الالتحاق بالجيش وترك السياسة. والجيش العراقي هذا ليس ملكاً لحزب البعث أو لأي نظام آخر. الجيش العراقي له تاريخ وطني وقومي، عندما أُنشئ أول فوج من الجيش العراقي، في عام ١٩٢١ (فوج موسى الكاظم)، كان نشوؤه نتيجة نضال وطني حقيقي. الأمريكيون أخذوا الآن كل أسلحة الجيش العراقي (دبابات، عربات، طائرات، أدوات) وقطّعوها إلى ثلاث قطع ورموها خردة وصدروها إلى خارج العراق. حتى الجيش العراقي الآن لا يوجد لديه سلاح.

■ ***يمكن أن يقدموا له سلاحاً في ما بعد عقب تشكيله.***

حسيب: هذا موضوع آخر، هل يتسلح أمريكياً أو لا يتسلح أمريكياً، هل يبقى تحت رحمة الأمريكي أم لا؟ في هاتين الدقيقتين أريد فقط أن أقول إن التقرير الذي قُدّم من البنتاغون إلى الكونغرس عن الشرطة والجيش الذي شكلته قوات الاحتلال يقول إن ٢٠ في المئة منهم سوف يتم الاستغناء عنهم لأنهم لا يصلحون، وإن نسبة عالية منهم إما لم يقاتل مع الأمريكيين، أو انضم إلى الطرف المقابل، أو كان يسرب أخباراً إلى العراقيين المعادين لأمريكا، وبالتالي، يعتبرون أن التجربة فاشلة. وأنا لديّ تقرير في هذا الموضوع، ولكن ليس هناك وقت لذكر التفاصيل. إن العملية ليست سهلة، يجب أن يُفتح المجال لجميع العسكريين الذين يتخلون عن الانتماء السياسي الحزبي للانضمام إلى الجيش.

■ ***المشكلة أنك لا تقبل أن يتم هذا تحت حكومة أياد علاوي، أنت لا تثق في حكومة علاوي.***

حسيب: هذه النسبة التي أتكلم عنها: العشرين ألفاً، الذين سيخرجونهم كلهم، كان تجنيدهم من قبل أياد علاوي وبريمر، لأنه كان مسؤولاً في «مجلس الحكم» عن اللجنة الأمنية.

■ *ومع ذلك طلعت النتيجة غير مشجعة للبنتاغون. د. خير الدين حسيب في ضوء ما رسمته في هذه الصورة، إذا جاز السؤال، هل أنت متفائل بأن الأمور في العراق ستمضي في الاتجاه الذي تطمح إليه، اتجاه تعزيز المقاومة، تغيير الوضع في أمريكا، قبول الأمم المتحدة بلعب دور حقيقي يسمح باختيار حر للشعب العراقي أم إنه من الصعب على العراقيين الآن أو على من يرى رأيهم أن يغير هذا الاتجاه الذي تدعمه أمريكا الآن؟*

حسيب: أظن أنك كنت قد سألتني سؤالاً مماثلاً في مقابلة سابقة، وقلت لك في ذلك الوقت إن الدراسات المستقبلية تشير إلى أن المستقبل ليس قدراً محتوماً، وهناك خيارات مختلفة بعضها أفضل من بعض، ويعتمد اختيارنا للخيار الأفضل على مدى استعدادنا ورغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن المطلوب. ضمن هذه الحدود، وفي حدود معلوماتي، أنا متفائل أكثر من أي وقت مضى بمستقبل العراق والانسحاب الأمريكي منه. وإذا كانت أمريكا قد كسبت «المعركة»، فإن العراق هو الذي سيكسب «الحرب» في الأخير.

■ *د. خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية والأمين العام الأول للمؤتمر القومي العربي والوجه القومي العربي البارز في العراق وفي العالم العربي، أشكرك على إجاباتك هذه عن أسئلتي وأسئلة السادة المشاركين، وأعتقد إنْ شاءَ الله أنها ستكون مفيدة لكل السادة المشاركين.*

القسم الرابع

مستقبـل العـراق

(١١)

المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق(*)
(أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤)

مقدمة

سأحاول في هذه الورقة، وبعد ملاحظتين عامتين أوليين، أن أشير إلى الأسباب الحقيقية لاحتلال الولايات المتحدة ـ ومن معها ـ للعراق، وما نتج من ذلك من مقاومة للاحتلال في هذا البلد، ليساعدنا ذلك في فهم المشاهد المستقبلية (السيناريوهات) المحتملة لهذا الاحتلال.

أما بخصوص **الملاحظتين العامتين**، فأود أن أبدأ **أولاً** بمجازفة، بمصارحة إخواني المشاركين من العرب ومن العراقيين العرب في موضوع **الديمقراطية**. لحسن الحظ أن الديمقراطية أصبحت مطلباً متفقاً عليه بين التيارات الرئيسة في الأمة أو في

(*) في الأصل ورقة تقدم بها د. خير الدين حسيب إلى: ندوة «احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً» التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتاريخ ٨ ـ ١١ آذار/مارس ٢٠٠٤ وتحييناً لهذه الورقة، أُدخلت إضافات على مادتها بحيث تستوعب التطورات والمتغيرات التي طرأت على المشهد العراقي منذ تاريخ انعقاد الندوة ـ في آذار/مارس ٢٠٠٤ ـ حتى نهاية آب/أغسطس ٢٠٠٤: تاريخ إدخال التعديلات هذه. وقد نشرت هذه الورقة في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٧ (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠. وكذلك في الكتاب الذي ضمّ الوقائع الكاملة للندوة، أوراقاً وتعقيبات ومداخلات، انظر: **احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ٢٠٠٤). وقد تم إدخال بعض التعديلات على تلك الورقة من المصادر التي توفرت في ما بعد. وتمثل هذه الدراسة وجهة نظر الكاتب الشخصية، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر مركز دراسات الوحدة العربية.

أغلبها. لكن هذا أمر والتطبيق أمر آخر. الديمقراطية لا يمكن تعلمها بقراءة كتاب عن **كيف تطبق الديمقراطية**؟ لا بد من الممارسة، والممارسات حتى في ما يسمى المجتمع المدني أو الأهلي كما في الأحزاب لا تبشر بكثير من الخير. هذا لا يعني أن علينا أن نؤجل الديمقراطية أو أن نستغني عن الديمقراطية. على العكس، نحن في مركز دراسات الوحدة العربية، منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن مهتمون بموضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان. لا بد من تجربة الديمقراطية والتعلم من الأخطاء، ولكن في الأوضاع العربية الحالية، ثمة أنظمة تعرفون طبيعتها: معارضة أو قوى وطنية معظمها لا يريد التفاهم أو التعاون مع هذه الأنظمة، ومعظم هذه الأنظمة لا يريد التعامل مع القوى الوطنية أو المعارضة.

كيف يمكن حل هذا المأزق؟ لقد جرت تجارب محدودة في المغرب وفي الأردن ثم انتكست، وفي البحرين ثم انتكست قليلاً. وأعتقد أن أحد الأسباب هو أن الديمقراطية لم تصبح حتى الآن عندنا كشعوب، «قيمة» بحد ذاتها لها أهمية المأكل والملبس والمسكن نفسها، بحيث إذا افتقدناها كنّا مستعدين للتضحية من أجلها بما تتطلبه هذه التضحية. وسيمضي وقت غير قليل حتى تترسخ فينا هذه القيمة، ونستعد للدفاع عنها. وللأسف فقد لجأ عديد من الحركات الوطنية في الوطن العربي، بسبب قلة الصبر، وبدلاً من تبني بعض المعارضات أسلوب الضغط على الحكومات وانتزاع بعض الحقوق، إلى أسلوب الاستعانة بالمؤسسة العسكرية والانقلابات العسكرية، وما ترتب على ذلك من تولي هذه القيادات العسكرية، وبشكل متزايد، السلطة، وما نجم عن ذلك من «تريف» للسلطة وإدخال نسق قيم عشائري وقبلي، وسيادة مفاهيم التعصب العنفي الاستبدادي وإشاعة حملات العقاب الجماعي للمدن(١). كما لجأت بعض المعارضات الخارجية، ولكن بشكل أخطر، إلى الاستعانة بقوى خارجية يمكن أن تكون أمريكا، أو قوى أخرى. ومثال العراق أمامنا جميعاً لنأخذ منه العبرة(٢).

الملاحظة الثانية وهي خاصة موجهة لإخواني المشاركين من العراق. من

---

(١) حول تريف السلطة في العراق، انظر: زهير المخ، «انتصار المدينة في المشهد السياسي العراقي الجديد،» **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤، ص ٨، وغسان سلامة، «تمدن السكان وتريّف السلطة،» في: غسان سلامة، **المجتمع والدولة في المشرق العربي**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، محور المجتمع والدولة، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، الفصل ٦، ص ٢١٣ ـ ٢٤٦.

(٢) للاطلاع على شهادات الواقع التي تحسم الجدل القائم حول فرضية الاستعانة بالأجنبي من أجل التغيير في الداخل، انظر على سبيل المثال لا الحصر: فهمي هويدي، «خدمة جليلة قدمها الاحتلال الأميركي للعراق،» **الشرق الأوسط**، ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٣.

المحزن أنه منذ عام ١٩٢٠ إلى الآن لا يوجد إجماع أو شبه إجماع وطني عراقي إيجابي على ملك أو قائد أو رئيس وزراء ممن حكموا العراق. . ألا ينبغي مثلاً أن تكون للملك فيصل الأول مكانة في تاريخ العراق أكثر مما أعطته معظم كتب التاريخ؟ وهل كان من الإنصاف أن يحطّم تمثاله في بغداد بعد ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨؟ هذا مثال فقط، وهو ما ينطبق بدرجات مختلفة على آخرين في تاريخ العراق المعاصر. لقد كان هناك دائماً تركيز على السلبيات. كما إنه كثيراً ما تختلط الشائعات بالسياسة في العراق أكثر مما تختلط في غيره، ولذلك سأقول بعض الأشياء الموجهة إلى إخواننا في العراق، وسأضطر إلى قول أشياء لم أكن أبداً لأقولها لولا هذه المناسبة.

بالنسبة إلى نظام حزب البعث بعد ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨، أنا كنت بين أوائل ضحايا النظام، فقد أودعت السجن يوم ٢ آب/أغسطس وبقيت سنتين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، انتقلت فيها بين ستة سجون، منها تسعة أشهر في سجن يسمى «قصر النهاية» (يعني نهاية الإنسان)؛ ولا تزال على ساقي آثار التعذيب. وفي عام ١٩٧٤ طُلب مني مغادرة العراق، وجئت إلى بيروت وبقيت فيها حتى الآن. أقول هذا لأنني أعتقد أن علينا نحن الذين ندّعي بأننا وطنيون عراقيون أن لا ننطلق من أوجاعنا الشخصية وأن نتخلص من الحقد، ومن دون التخلص من الحقد لن تكون لنا نظرة موضوعية ولن نعطي الإيجابيات والسلبيات حقها **ونقدر الأخطار النسبية** التي تواجه العراق.

أقول هذا وأنا، كما ذكرت قبل قليل، مدرك لمدى ما بلغته لاديمقراطية النظام السابق وقسوته. ولكن من غير الصحيح أن تتصور أية جهة أو طائفة أو قومية أن هذا كان موجهاً ضدها وحدها، فإحدى «مزايا» صدام حسين، إذا كانت هذه «ميزة»، هي «العدالة في الظلم». كان يتعامل على أساس اعتبارات أخرى هي أمن النظام ومن يشكل خطراً عليه وليس على أساس اعتبارات طائفية. يجب أن نذكر هذا أيضاً مقابل كل هذه القسوة والتعسف اللذين لم ينفرد بهما العراق وحده، وربما كان الفارق بينه وبين غيره في هذا اختلافاً في الدرجة!

إن علينا أن ننصف الناس بأن نذكر إيجابياتهم[٣] بقدر ما نذكر سلبياتهم. يجب أن نتذكر أن النظام الذي أسقطه الاحتلال الأمريكي كان قد أخذ أول جائزة من اليونسكو في عام ١٩٨١ عن نجاحه في القضاء على الأمية في بلدان العالم الثالث؛

(٣) انظر: كمال ديب، **زلزال في أرض الشقاق: العراق، ١٩١٥ ـ ٢٠١٥** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣)، ص ٤٧٦.

كما أَمَّمَ صناعة النفط الأجنبية في العراق عام ١٩٧٢ بكل ما ترتب على ذلك من مواقف غربية نحوه، كما أفاد دول المنطقة بعد أن نجحت عملية تأميم النفط. ثم إن هذا النظام بنى قاعدة صناعية[٤]. وأنا إلى غاية مغادرتي العراق في العام ١٩٧٤ كنت أعرف كل المصانع بحكم المواقع التي كنت فيها في العراق. وعندما دخل مفتشو أسلحة الدمار الشامل في أواخر عام ٢٠٠٢، وكانت جولاتهم تُبَثُّ فضائياً وتبيِّن المنشآت التي يفتشونها، فوجئت بقاعدة صناعية جديدة تماماً، هي مبعث فخر واعتزاز لأي بلد يقيمها ولأي مواطنٍ فيه ولو كان معارضاً[٥]. كما يجب أن لا ننسى المساعدات التي قدمها النظام إلى العديد من الأقطار العربية وبعض الدول غير العربية، ابتداء من الدعم العسكري، كما حصل في حرب ١٩٧٣ والمساعدة العسكرية للسودان واليمن وتونس (من أجل الحفاظ على وحدتها) وموريتانيا (لصد هجوم السنغال)، وانتهاء بالمساعدات المالية السخية التي قدمها العراق لبلدان عربية وغير عربية. وهناك أمور أخرى. ويجب أن لا ننسى التحيز الفاضح في ما يركز عليه الإعلام. على سبيل المثال في ما يتعلق بكل ما ذكره الإعلام عن المقابر الجماعية في العراق. كانت هناك فعلاً مقابر جماعية مع كل فظاعتها[٦]، إلا أنها لم تكن للمعارضة فقط، فثمة مقابر جماعية للجيش العراقي الذي كان منسحباً من الكويت، لهذا كان بعض الموتى فيها بملابس الجيش العسكرية، كما كانت هناك مقابر جماعية للبعثيين الذين قُتل منهم في هذه الأحداث ألفان. . . . أرجو أن نتعامل مع هذه الأحداث برفق، وبخاصة بالنسبة إلى المستقبل بعد أن حصل ما حصل. وعسى أن يأخذ الإخوة العرب درساً من هذا.

هذا لا يعني تبرئة للنظام من سلبياته، وهي كثيرة، ولكن من حق الجيل الحالي والأجيال القادمة أن تعلم حقيقة ما جرى وأن تطّلع على الصورة كاملة.

---

(٤) انظر: «Social and Economic Development,» in: Majid Khadduri, *Socialist Iraq: A Study in Iraqi Politics Since 1968* (Washington, DC: Middle East Institute, 1978), pp. 111-140.

(٥) ديب، المصدر نفسه، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

(٦) في ما يتعلق بحقيقة المقابر الجماعية والأرقام المتداولة حولها، فقد أشارت تقارير بعض المسؤولين الأمريكيين في العراق وبعض الأطباء التابعين لقوات الاحتلال إلى أنه لم يتم أي تحليل طبي للجثث التي عثر عليها لمعرفة متى تمّ دفن الجثث، كما إن العدد الذي ذكر على أساس أن الذين عُثر عليهم في تلك المقابر حوالى ٣٠٠ ألف هو رقم تقديري لا يستند إلى أساس موضوعي، وتم تخمينه بشكل اعتباطي من دون فحص أو غيره، وتم تداول هذا الرقم من دون الرجوع إلى مصدره والتأكد من دقّته انظر: Brendan O' Neill, «Unrecorded Victims,» *Guardian*, 21/7/2004. Tony Blair and Others Claim 300,000 Bodies Have been Found in Iraqi Mass Graves. In Fact, There Have been not Official Exhumations or Count.

أولاً: أهداف الاحتلال الأمريكي للعراق

أود أن أقول أولاً إن ما حصل في العراق لم يكن غريباً أو مفاجئاً للمتابعين للاستراتيجيات الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة[٧]، لأن عدداً من المفكرين والسياسيين الأمريكيين كتبوا عن هذا، وموضوع وفكرة احتلال العراق كانا سابقين على موضوع أسلحة الدمار الشامل، وسابقين على حرب ١٩٩١، بل سابقين حتى على غزو الكويت في آب/ أغسطس ١٩٩٠.

الجنرال شوارزكوف ـ وهو الرجل الذي قاد القوات الأمريكية والمتحالفة في ما سُمّي «عاصفة الصحراء» في أوائل عام ١٩٩١ ـ كتب في مذكراته (التي نشرت بعد الحرب عام ١٩٩٢ في كتاب بعنوان: **لا يحتاج الأمر إلى بطل** *(It Doesn't Take a Hero)*[٨] أنه بعد أن عين قائداً للقيادة المركزية الأمريكية، طلب منه أن يزور الشرق الأوسط ليقيّم الأخطار التي تواجه أمريكا فيه. ونتيجة هذه الجولة وفي أواخر عام ١٩٨٩ رفع تقريراً بنتائجها قال فيه إن الخطر الأول والرئيس على المصالح الأمريكية يتمثل في العراق[٩]. ونتيجة هذا التقييم وتهيئة للرأي العام الغربي لهذا التحول ضد العراق، فقد بدأت منذ أول عام ١٩٩٠ حملة إعلامية مكثفة ضد العراق، وبخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا، كان منها موضوعا «المدفع العملاق» وإعدام بازوفت وغيرهما، وتم تجميد بعض التسهيلات الائتمانية (القروض) التي كان بنك التصدير والاستيراد الأمريكي قد منحها للعراق ولم تستعمل بعد كلها. كما إن القيادة المركزية حولت أساس خطط تدريباتها السنوية، أي من هو العدو، ابتداء من عام ١٩٩٠، من الاتحاد السوفياتي إلى العراق. لقد أصبح العراق وليس الاتحاد السوفياتي هو الهدف في هذه التدريبات. ولعل من المهم أن نلاحظ ـ ولا نزال مع مذكرات الجنرال

(٧) انظر: Nicholas Lemann, «The Next World Order,» *New Yorker* (25 March 2002).

وهو يشير في هذه المقالة إلى تقرير من ٢٧ صفحة، مختوم بختم وزارة الدفاع، ومكتوب عليه: Defense Strategy for the 1990s: The Regional Defense Strategy Secretary of Defense, Dick Cheney, January 1993.

والذي بيّن تفاصيل الخطة الاستراتيجية التي بدأ العمل عليها في أيار/ مايو ١٩٩٠، واستمر العمل عليها بعد حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩٢، وأسماء الذين شاركوا في وضعها.

(٨) H. Norman Schwarzkopf, *It Doesn't Take a Hero: General H. Norman Schwarzkopf: The Autobiography*, written with Peter Petre (New York: Bantam Books, 1992), pp. 267-308.

(٩) كما أبدى عدد من الحكام العرب للأمريكيين تخوفهم من النصر الذي حققه العراق في حربه مع إيران، وأنه خرج من الحرب ولديه جيش من مليون شخص، كما أعرب الأمين العام للأمم المتحدة حينئذ لصحافي عربي كبير عن استغرابه أثناء زيارته للمنطقة بأن رئيس دولة عربية كبيرة، إضافة إلى وزير خارجية دولة خليجية مجاورة للعراق، أبديا تخوفاً من الجيش العراقي الخارج من حربه مع إيران. وقد حاول العراق، من دون جدوى حقيقية، تبديد هذه المخاوف.

شوارزكوف ـ أن تنفيذ هذا التدريب السنوي بدأ منذ تموز/ يوليو ١٩٩٠، أي حتى قبل الغزو العراقي للكويت، وليس فقط قبل حرب الخليج (عاصفة الصحراء عام ١٩٩١) وتداخَلَ معه.

أنتقل إلى الموضوع الأول لهذه الورقة، إلى السؤال: ما هي أهداف أمريكا من احتلال العراق؟ هل كل الأهداف معلن؟ هل الأهداف المعلنة صحيحة؟ أم إن هناك أهدافاً أخرى غير معلنة؟ لقد بدأت أمريكا بالحديث عن أسلحة الدمار الشامل، وعلاقة العراق بـ «القاعدة»، وذهبت لاحتلال العراق «مع من يرغب» من دون قرار من مجلس الأمن ومخالفَة صريحة لميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز الدفاع عن النفس في حالتين: في حال التعرض لاعتداء خارجي، والولايات المتحدة لم تتعرض لاعتداء من العراق؛ أو في حال وجود «خطر وشيك» على الولايات المتحدة من دولة معينة، وقد ثبت أن العراق لم تكن عنده أسلحة دمار شامل ولا يمثل خطراً وشيكاً[١٠].

وبعدما ثبت عدم صحة هذا الأمر تحولت أمريكا إلى موضوع **الديمقراطية**، وزعمت أنها تريد أن تدخل الديمقراطية إلى العراق. ويدفعنا هذا إلى التساؤل عمّن ساهم في انقلاب عام ١٩٦٨ والمجيء بعبد الرزاق النايف؟ هناك وثائق أصبحت معروفة، وكان الأمريكيون يعرفون أن عبد الرزاق النايف[١١] وإبراهيم علي الداوود كانت لديهما قوات عسكرية في بغداد ويسيطران على الحرس الجمهوري، ولم يكن لديهما أي تنظيم سياسي، وأنهما كانا متحالفين مع «حزب البعث» الذي لم يكن يملك قوات عسكرية في بغداد، وإلا لكان قام بالانقلاب من دون الحاجة إليهما. ولذلك لم يكن مستغرباً أو غير متوقع أن يقوم «البعث» بانقلاب على عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود في ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨.

إضافة إلى هذا، فإن سمات النظام العراقي لم تتغير منذ البداية، والأساليب التي اتبعها النظام خلال خمس وثلاثين سنة لم تتغير كثيراً. ومع ذلك فإنه في ٢٠ كانون

---

(١٠) أكد مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية السيد جورج تينيت في ما بعد وقبل استقالته، وأثناء شهادته أمام الكونغرس الأمريكي، أنه لم يسبق له أن قدّم أي تقرير إلى الرئيس الأمريكي يقول فيه إن العراق يمثل خطراً وشيكاً على الولايات المتحدة.

(١١) كان يعمل قبل الانقلاب معاون رئيس الاستخبارات العسكرية، وعلى صلة وثيقة مع إبراهيم الداوود المسؤول عن الحرس الجمهوري. وكان النايف محور العلاقة العسكرية مع الولايات المتحدة. وكان من المشاركين معهم من المدنيين الدكتور ناصر الحاني (سفير العراق في بيروت) والذي عين وزيراً للخارجية في وزارة عبد الرزاق النايف بعد الانقلاب، ثم اغتيل في ما بعد، بعد انقلاب البعث في ٣٠ تموز/ يوليو، على النايف، وكذلك المحامي لطفي العبيدي والذي كان لولب الانقلاب وصلة الوصل مع الأمريكيين ومع السيد أحمد حسن البكر، وقد حكم عليه بعد ٣٠ تموز/ يوليو بالإعدام، وكان خارج العراق وتوفي في ما بعد بداء السرطان.

الأول/ ديسمبر ١٩٨٢ زار رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الحالي العراق، وكانت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مقطوعة، واجتمع مع الرئيس صدام حسين. ولدي اقتباس من التقرير الذي قدمه إلى الرئيس ريغان آنذاك، يقول فيه: «صدام حسين شخص يمكن التعامل معه». وبعدها بثلاثة أشهر زار العراق ثانية، وقابل الرئيس صدام حسين واستؤنفت العلاقات الدبلوماسية.

هذا إضافة إلى أن أمريكا شجعت الرئيس صدام حسين على حرب إيران. وكان لكل واحد أهدافه، فالرئيس صدام حسين كان يعتقد أنه كما تحول الرئيس عبد الناصر في حرب السويس من زعيم مصري إلى زعيم عربي، فإنه (أي الرئيس صدام حسين) سيحقق هذا إذا هاجم إيران وأسقط النظام. كان تقديره أنه خلال ستة أسابيع سيُسقط النظام الإيراني، فيتحول هو كذلك إلى زعيم عربي، ولم يحصل هذا.

أكثر من ذلك، فإنه خلال فترة الحرب، وكانت الولايات المتحدة تخشى من أن تنتصر إيران، فأنشأت فرعاً لوكالة المخابرات المركزية (.C.I.A) في السفارة الأمريكية في بغداد لتزويد العراق بصور مُلْتَقَطَة من الأقمار الاصطناعية.

وبعد أن انتهت الحرب، وبينما كانت أمريكا تتوقع أن تستنزف طرفيْ الحرب، وجدت أن العراق ـ على الأقل كان هذا انطباع الناس ـ خرج منتصراً ولديه جيش من حوالى مليون جندي، واستطاع أن يطور قدراً من أسلحة الدمار الشامل مثَّلَتْ لديه قدراً من الردع، وبَدا أنها تؤثر في استراتيجية أمريكا في المنطقة، وتمثل نوعاً من الخطر على إسرائيل. كان نوعاً من الردع، وليس ردعاً كاملاً.

وهكذا، بعد تحويل استراتيجية القيادة المركزية وخطط تدريبها من عدوّ أول هو الاتحاد السوفياتي إلى عدوّ أول آخر هو العراق، ومع بداية عام ١٩٩٠ بدأ الإعلام الأمريكي والإعلام البريطاني يتحدثان عن «المدفع العملاق» العراقي وغيره، مع أن مدير مشروع المدفع العملاق في بغداد كان قد نشر كتاباً في بريطانيا بعد عودته، بَيَّن فيه أن كل التفاصيل هذه كانت معروفة، وأنه اشتغل أساساً في أمريكا لتطوير المدفع العملاق، ومدير المعمل الذي اشتراه العراق من بريطانيا كان عميلاً للمخابرات البريطانية (MI5)، وبالتالي فإنهم في بريطانيا وأمريكا كانوا يعرفون كل شيء عن الموضوع، لكن الموضوع استُغِلَّ إعلامياً للتمهيد لضرب العراق. ووضِعت تفاصيل كل الخطة المعتمدة ومواقع القصف، وبدأ التدريب النظري في تموز/يوليو ١٩٩٠، وتداخل هذا كله مع الحرب[١٢].

---

(١٢) انظر: Schwarzkopf, Ibid.

لقد حاولت أن أبيِّن أن استهداف العراق أسبق كثيراً مما نتصور. وحتى أبيّن لكم تآمر بعض الأطراف العربية كذلك، فقد بدأت الولايات المتحدة بالضغط الاقتصادي على العراق منذ عام ١٩٩٠، كما ألغت بقية الائتمانات غير المستعملة بعد، والتي كانت أعطتها للعراق من البنوك الأمريكية، كما أوقفت تصدير بعض المعدات ذات التقانة المتقدمة إليه، كما كانت على العراق ديون قام بترتيب جدولتها، إلا أنه مورست ضغوط على المصارف لعدم تسهيل تلك الجدولة، وبدأت تطالب بتسديد الديون.

أكثر من هذا، قامت أمريكا بممارسة ضغوط على الكويت وعلى الإمارات لزيادة إنتاجهما من النفط أكثر من حصتهما المقررة من قبل الأوبك، ما أدى إلى انخفاض أسعار النفط. وكان العراق قد حسب حسابه على أساس سعر معين للنفط، وأدّتْ زيادة الكويت والإمارات لإنتاجهما أكثر من الحصة المقررة من «منظمة الدول المصدرة للبترول» (أوبك) إلى انخفاض سعر النفط، وبالتالي إلى انخفاض عائدات العراق من نفطه المصدَّر. هذا في حين أن هذا كله لم يزد من دخل الكويت أو الإمارات، ولذلك يصبح التساؤل: ماذا كان وراء الخطوة التي أقدمت عليها الكويت والإمارات؟

ومع أن ذلك يمثل استفزازاً غير مبرر للعراق من قبل الكويت (ومعها الإمارات)، إلا أن ذلك لا يبرر غزو العراق للكويت. وهذا كان موقفي منذ البداية، وقد عبّرت عنه في مناسبات مختلفة[١٣].

كما أحب أن أشير إلى نقطة بشأن التعامل العربي مع الأزمة. ففي يوم ٤ آب/ أغسطس ١٩٩٠ وبعد يومين من غزو الكويت، ذهب ديك تشيني (وكان وزيراً للدفاع آنذاك) وشوارزكوف (وكان قائداً للقوات المركزية) إلى الرياض وقَابَلا الملك فهد والأمير عبد الله وبعض الأمراء، ونقلا له رسالة من بوش فحواها «أن هناك حاجة لتدخل أمريكي ولمجيء القوات إلى السعودية وحماية النفط». ويحكي شوارزكوف تفاصيل اللقاء وكيف كانا يتوقعان أن يؤجل الملك فهد الاجتماع إلى يوم آخر ليتداول في أمره مع الحاشية، ولكنه وفي آخر الاجتماع هَزَّ رأسه بالموافقة، وقال: «OK» بالإنكليزية. وفي اليوم التالي (٥ آب/ أغسطس) بدأت الترتيبات لمجيء القوات. وبعدها سافرا إلى الإسكندرية وقابلا الرئيس المصري الذي وافق على التدخل

---

(١٣) انظر مداخلة خير الدين حسيب ضمن المناقشات التي دارت حول «صنع جذور الأزمة،» ورقة قدمت إلى: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٢ (بيروت: المركز، ١٩٩٧)، ص ١٦٦-١٦٩.

ووافق على استعمال المطارات والفضاء الجوي واستعمال قناة السويس. تم هذا يوم السادس من آب/ أغسطس، أي قُبَيْل اجتماع القمة العربية في اليوم العاشر منه. وبذلك كان قرار التدخل الأمريكي العسكري قد اتخذ من بعض الأطراف العربية قبل اجتماع القمة العربية، وكان اجتماع القمة تغطية لما تقرر قبلها. وهكذا تمت الحيلولة دون محاولة أي حل عربي للأزمة، وتتالت الأحداث.

أما بالنسبة إلى هدف الديمقراطية، فإن أمريكا كانت تتعاون مع نظم لها السمات نفسها الموجودة لدى النظام العراقي. والسؤال بعد هذا: هل الديمقراطية في البلدان العربية في مصلحة أمريكا حقاً؟ الواقع، أن الديمقراطية تعني مشاركة الشعوب في اتخاذ القرارات الرئيسة. فإذا أصبحت هذه البلدان ديمقراطية وأصبحت الشعوب هي التي تشارك في اتخاذ القرارات الرئيسة، فهل يمكن أن يَتَجَرَّأ بعض الحكومات العربية على شراء أسلحة كالتي تشتريها الآن من أمريكا؟ هل يمكن أن تقبل بإقامة القواعد العسكرية الموجودة فيها وأن تدفع تكاليفها؟ هل يمكن أن تقبل بيع النفط بالسعر الحالي، وهو بالأسعار الحقيقية أقل من سعر عام ١٩٧٣؟ إن موضوع نشر الديمقراطية في العراق كذبة كبرى وممارسات قوات الاحتلال الأمريكية في العراق تُكَذِّبُها، وهي خير شاهد على ذلك.

وإذا ما استبعدنا الأهداف المعلنة للولايات المتحدة لاحتلال العراق، فما هي أهدافها الحقيقية غير المعلنة؟

ثانياً: الأهداف غير المعلنة لاحتلال العراق

إن **أحد الأهداف** الأساسية هو **النفط**[١٤]، فقبل انتهاء الحرب الباردة كانت

---

(١٤) انظر: «العراق: عملاق الطاقة الذي نام طويلاً،» وهو نشر أصلاً بالإنكليزية بعنوان «Rip Van Winkle»، وقد قامت **المستقبل العربي** بترجمته ونشره بالعربية ضمن ملف «العراق تحت الاحتلال»، انظر: مؤسسة ستراتفور، «تحليل اقتصادي: العراق عملاق الطاقة الذي نام طويلاً،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٢٩٨ (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣)، ص ١٢٥ ـ ١٣٣. انظر أيضاً مقالة لشابمان (Chapman) «الأسباب الحقيقية لذهاب بوش إلى الحرب،» في: John Chapman, «The Real Reasons Bush Went to War,» *Guardian*, 28/7/2004.

ويشير الكاتب، وهو مساعد سكرتير (Assistant Secretary) سابق في الإدارة المدنية خلال الفترة ١٩٦٣ ـ ١٩٩٦، إلى عاملين وراء غزو العراق: السيطرة على النفط، والمحافظة على الدولار كعملة الاحتياطات الدولية. ويمضي جون شابمان إلى القول: إن الهيمنة على توريدات النفط العراقي، وربما قريباً التوريدات من بلدان خليجية أخرى، ستمكّن الولايات المتحدة من **استعمال النفط كقوة** (Power). ويمضي إلى القول إنه في عام ١٩٩٠، كتب ديك شيني (Dick Cheney) الذي كان حينئذ رجل نفط (Oil Man) أنه: «كل من يسيطر على تدفق نفط الخليج الفارسي فبإمكانه أن يخنق (Stranglehold) ليس اقتصادنا فقط، بل دولاً أخرى في العالم كذلك». ويشير أيضاً إلى دور النفط في اشتراك بريطانيا في الحرب على العراق، حيث يذكر «أن =

القوة العسكرية هي المعيار الأساسي لمن هي القوى الكبرى في العالم، إذ كانت أمريكا والاتحاد السوفياتي القوتين الأعظم. وبعد أن انتهت الحرب الباردة لم تعد القدرة العسكرية هي العامل الوحيد، وبدأت تبرز أهمية العامل الاقتصادي. في هذا الوقت وبعد انتهاء الحرب الباردة، قررت أمريكا أن لا تسمح لأية قوة في العالم أو مجموعة قوى أن تنافسها في كونها الدولة العظمى الوحيدة في العالم. ولما كانت القوة العسكرية وحدها لا تكفي للإبقاء على أمريكا كقوة عظمى وحيدة، فماذا تفعل بالاتحاد الأوروبي؟ هل تقصفه؟! أو الصين أو... إلخ؟! الاتحاد الأوروبي - حتى قبل انضمام الدول الخمس عشرة الأخيرة إليه - يتساوى في إجمالي الناتج القومي مع إجمالي الناتج القومي الأمريكي أو يزيد عليه بقليل. وبالنسبة إلى الصين، فإن المتوقع بحلول عام ٢٠٢٠، مع معدل نموها الحالي، أن تصل إلى مستوى الناتج القومي الأمريكي وتتجاوزه في ما بعد. وهناك أيضاً اليابان والهند. ولكي تمنع الولايات المتحدة أية قوة أخرى من أن تنافسها في السيطرة على العالم، فإن الورقة الأساس التي تحتاج إليها في ذلك هي ورقة النفط، لا بمعنى أن تحصل هي على حاجاتها من النفط، فإن حاجتها من النفط مؤمَّنة بحيث تستطيع أن تحصل عليها من دون كبير مشاكل، ولكن للإمساك بورقة النفط في العالم كورقة ضغط استراتيجية، حيث التحكمُ في تصدير النفط (العرض) وفي أسعاره، يضع كل القوى الاقتصادية العالمية تحت رحمة الشروط الأمريكية، ويحُدُّ كثيراً من قدرتها على منافسة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة.

= إنتاج نفط بحر الشمال قد وصل قمته في عام ١٩٩٩، وأنه انخفض منذ ذاك بحوالى السدس وأن الصادرات منه بالكاد تغطي الواردات، وأننا سنصبح [بريطانيا] قريباً مستورداً صافياً للنفط. ولذلك فإن تأييد بوش ربما كان يمكن تبريره لاعتبارات جيوسياسية».

انظر أيضاً محاضرة هانز سي. فون سبونيك، منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية للعراق (١٩٩٨ - ٢٠٠٠): Hans C. von Sponeck, «Iraq: Four Questions. Four Answers,» paper presented at: The European Colloqium, Brussels, 25 September 2002,

حيث أشار إلى مصادر الطاقة لدى العراق، وإلى ما قاله السناتور ريتشارد لوغار، ممثل الحزب الجمهوري، في جلسة الاستماع حول العراق التي عقدتها لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي يوم ٣١ تموز/يوليو - ١ آب/أغسطس ٢٠٠٢ حول موضوع النفط، حيث قال «لسوف ندير شؤون النفط، ولسوف نديرها جيداً. وسوف نصنع مالاً، ولسوف يساعدنا هذا في دفع نفقات إعادة تأهيل العراق لأن المال هناك». انظر أيضاً: Richard Becker, «The US and Iraq in Historical Perspective,» <http://www.internationalanswer.org>.

وهو موقع من ضمن موقع آخر على الشبكة (الإنترنت) يسمى International Action Centre (IAC) الذي أسسه رامزي كلارك والذي يتناول محاولات أمريكا للسيطرة على نفط العراق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر. والمؤلف هو المنسق في مركز IAC في منطقة الساحل الغربي، وهو عضو في: (The International Steering Committee of the International Answer Coalition).

وانظر أخيراً: Robert Freeman, «Will the End of Oil Mean the End of America?,» published by: Common Dreams News Center, <http://www.CommonDreams.org>, 1/3/2004.

تشير التوقعات الخاصة بإنتاج النفط إلى أن أمريكا قد تضطر إلى أن تستورد أكثر من حجم استيرادها الحالي، وهو حوالى ٥٥ في المئة، بمعنى أنها قد تضطر إلى استيراد حوالى ٧٠ في المئة من استهلاكها من خارج الولايات المتحدة حوالى عام ٢٠٢٥[١٥]. وبالتالي فإنها تريد أن تسيطر على مواقع النفط في العالم، الخليج ـ العراق ـ أفريقيا، وسط آسيا والقوقاز، وهذا سبب اهتمامها بالسودان، وآسيا الوسطى والقوقاز. . . إلخ. وهي إذا ما سيطرت على النفط، تكون قادرة على التحكم في توريده (العرض) وفي أسعاره، أي تكون في وضع يمكنها فيه أن تتحكم في اقتصادات الدول الغربية (أوروبا) والصين واليابان والهند، وبالتالي تضمن بقاءَها متفوقة على كل الدول الكبرى في العالم. وهي تستطيع حتى أن تؤثر في روسيا، إذا خفضت أسعار النفط إلى حد معين أقل من كلفة استخراج النفط في روسيا، وهي عالية، عندها يمكن أن تؤدي إلى وقف قسم غير قليل من صادرات روسيا.

الهدف الثاني هو ضمان أمن إسرائيل. كان العراق إحدى العقبات في طريق تسوية أمريكية بين الدول العربية وإسرائيل[١٦]. ولقد أفرجت أمريكا عن عدد من الوثائق السرية ـ ونشرت صحيفة **الشرق الأوسط** ترجمة لقسم منها. وفي وثيقة عن اجتماع هنري كيسنجر (وزير خارجية الولايات المتحدة حينذاك) مع الدكتور سعدون حمادي (وزير خارجية العراق آنذاك) في السفارة العراقية في باريس عام ١٩٧٥، يتكشّف أن العقبة الوحيدة في الاتفاق بين هنري كيسنجر والدكتور سعدون حمادي

---

(١٥) انظر: Chapman, Ibid.

(١٦) انظر مقالة روبرت بلليترو، المساعد السابق لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، تحت عنوان: «الولايات المتحدة والعراق: متى ينتهي الكابوس؟»، **الحياة**، ١٣/ ١٠/ ١٩٩٧، ص ١٧، حيث يذكر الشروط التي تتطلبها الولايات المتحدة من العراق قبل رفع الحصار الاقتصادي عنه. ويذكر ضمن تلك الشروط: «وسيكون من المهم أيضاً أن ينضم العراق إلى مجموعة الدول العربية المستعدة للعيش بسلام مع دولة إسرائيل وأن يكون مستعداً للتفاوض على معاهدة سلام في النهاية». (التشديد من كاتب الدراسة). انظر أيضاً: محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، **الكتاب الثالث**: **سلام الأوهام**: **أوسلو ـ ما قبلها وما بعدها**، ط ٢ (القاهرة؛ بيروت: دار الشروق، ١٩٩٦)، ص ٣٨٩، حيث يقول هيكل: «روى المرحوم الحسن الثاني، الملك المغربي السابق، أن «العراقيين طلبوا منه التوسط لدى الولايات المتحدة لرفع الحصار. ورد عليه الأمريكيون بالشروط التي يطلبونها لرفع الحصار عن العراق وكانت ثلاثة:

١ ـ أن يتعهد العراقيون بعدم اعتراض مسيرة السلام لا مع الفلسطينيين ولا مع الأردنيين ولا مع السوريين.

٢ ـ أن يبدأ العراق بإجراء اتصال مع إسرائيل في السر أو في العلن ـ ذلك لا يهم.

٣ ـ أن تكون بغداد جاهزة بدورها للسلام مع إسرائيل».

وكان تعليق الملك أمام سامعيه: «لم يكن في كل هذه الشروط شرط أمريكي واحد، وإنما كانت كلها كما ترون شروطاً لإسرائيل».

كانت تتعلق بإسرائيل، وبالذات حول إسرائيل ما قبل ١٩٦٧ (فلسطين ١٩٤٨)[١٧]، إذ رفض العراق الاعتراف بدولة إسرائيل. وطبعاً كان الدكتور سعدون حمادي لا يتحدث في هذا الاجتماع عن موقفه الشخصي، بل كان يتحدث باسم العراق. وقد أكد الرئيس العراقي هذا الموقف عام ١٩٩٤ في رده على عرض برفع الحصار عن العراق مقابل تسهيل التسوية والاعتراف بإسرائيل[١٨]. وقد تجلى هذا الموقف أيضاً في مقابلة ـ ديفيد روكفلر ـ الملياردير الأمريكي، مع الرئيس صدام حسين[١٩].

---

(١٧) انظر الوثيقة الرسمية الأمريكية حول أول لقاء بين هنري كيسنجر وسعدون حمادي في عام ١٩٧٥، والتي نشرتها جريدة **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤. وللحصول على الوثيقة الأصلية انظر أرشيف الأمن القومي في موقع جامعة جورج واشنطن على الانترنت تحت عنوان: «Saddam Hussein: More Secret History,» <http://www.gwu.edu/nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB107/iraq04.pdf>.

والوثيقة رقم (١) موجودة في ص ٤٤٧ من هذا الكتاب.

(١٨) في وثيقة كشف النقاب عنها مؤخراً تحمل الرقم ٢١٢٣/ ك تاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٩٤ حول رد الرئيس صدام حسين حول عرض بهذا المعنى من خلال السيد رؤوف بطرس غالي، أشار إلى أن «وهم التصور أن هناك إمكانية لتغيير موقفنا من الصهيونية تحت التلويح بإمكانية أن يأتي الفرج [رفع الحصار] عن طريقهم. . .»، ثم يمضي في القول «إنه يعتبر هذا الباب مغلقاً، وإنه لا مانع من اللقاء به، ولكن بشرط عدم طرح موضوع اللوبيَ الصهيوني معنا أبداً (انظر: الوثيقة رقم (٢) ص ٤٦٢ من هذا الكتاب).

(١٩) في مقالة لمراسلة جريدة **الشرق الأوسط** من باريس، إنعام كجه جي، بتاريخ ٤/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ٤، وبعنوان: «لم يكن بينهما سوى المترجم، لكن بغداد سربت الخبر إلى **النهار** ـ روكفلر: «حكاية لقائي مع صدام حسين»،» تقول المؤلفة كما ورد حرفياً في الصحيفة «كان قاطعاً في حديثه لكنه لم يكن عدوانياً، وأثناء جلوسي قبالته، ذلك المساء لم أكن أملك أي مبرر للاعتقاد بأنه سيحمل لقب جزار بغداد بعد فترة من الزمن».

بهذه العبارة يختتم الملياردير الأمريكي ديفيد روكفلر الفصل الذي يتطرق فيه إلى وقائع لقائه مع الرئيس العراقي السابق صدام حسين، في مذكراته الضخمة التي صدرت طبعتها الفرنسية في باريس حديثاً. والتقى روكفلر وصدام عندما كان هذا الأخير نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، آنذاك، أحمد حسن البكر. وتم اللقاء بشكل عاجل في أثناء ٢٤ ساعة أمضاها روكفلر في بغداد، على رغم انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة.

ويروي روكفلر أن العراق قطع علاقاته الدبلوماسية مع الولايات المتحدة بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، لكن البنك الذي يديره واصل الحفاظ على مراسلات قليلة مع المصرف المركزي العراقي، وكانت تلك المراسلات هي واحدة من الصلات النادرة بين البلدين. ولهذا، طلب وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر من روكفلر السعي لمد صلة ما مع حكومة بغداد، على أمل إدخال العراق في المساعي التي كانت تبذل لحل أزمة الشرق الأوسط.

يقول: «وافقت على طلب كيسنجر، وتمكنت من الحصول على تأشيرة دخول إلى العراق بمساعدة من مدير بنك الرافدين العراقي، وسافرت بهدف التباحث حول الشؤون المصرفية، لكنني طلبت مقابلة وزير الخارجية سعدون حمادي الذي كان يتكلم الإنكليزية بشكل جيد، على رغم أنه كان عدائياً معي منذ لحظة دخولي مكتبه، وازداد جفاؤه بعد أن قلت له إنني جئت بطلب من كيسنجر، حاملاً رسالة لصدام حسين. وكان رده أن الأمر مستحيل. فقلت إنني باق ٢٤ ساعة في بغداد وجاهز للمقابلة في أي لحظة من الليل أو النهار. وطلب حمادي الرسالة، فاعتذرت عن تسليمها إليه. وفي المساء نفسه، قبل خروجي إلى دعوة عشاء من مصرف =

كما أعلنت أمريكا كذلك أن العراق هو بداية مشروعها، وأنها تريد إعادة ترتيب خريطة الشرق الأوسط والمشروع الجديد «الشرق الأوسط الكبير» الذي كشف أن أحد مساعيه تغيير هوية المنطقة العربية إلى شرق أوسطية.

ثالثاً: المقاومة الوطنية للاحتلال

ولعل أهم الأحداث التي مرت بالعراق (والوطن العربي والعالم بالتالي) خلال الأشهر ما بين انعقاد هذه الندوة، وصدور الكتاب الذي يحتوي على أعمالها ومناقشاتها كاملة، هي تلك المتعلقة أساساً بالمقاومة العراقية[٢٠].

في بداية هذا العام (٢٠٠٤) ـ وبالأحرى خلال ربعه الأول ـ كنا لا نزال نسمع تساؤلات عن المقاومة العراقية، عن هويتها أو هوياتها، عن قدراتها وعن أهدافها وما ترمي إليه. ويمكنني ـ من خلال متابعة دؤوبة يومية لما يجري داخل العراق ـ أن أقول من دون خشية الوقوع في أية مبالغة، إن ظاهرة المقاومة التي بدأت خلال النصف الثاني من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، وبعد احتلال بغداد يوم ٩ نيسان/ أبريل بأيام قليلة، وما شهدته من استمرارية وتوسع أفقي ونوعي، قد أذهلت الجميع داخل العراق وخارجه.

لقد حاولت دعايات الاحتلال وأتباعه في الداخل والخارج، أن تركز وتكثف الظن بأن المقاومة لا تعدو أن تكون من عمل قوىً داخل ما سمَّتْه «المثلث السني»،

= الرافدين، أخبروني أن صدام سيستقبلني في التاسعة في مكتبه، ولما وصلت إلى هناك أدخلوني إلى غرفة صغيرة قليلة الأثاث، من دون نوافذ، وحياني صدام بلطف وتحادثنا لأكثر من ساعة عبر مترجم. وعلى رغم عدم وجود غيرنا، فإن تقريراً عن الزيارة ظهر بعد أيام في صحيفة **النهار** البيروتية».

شرح روكفلر لصدام أن هنري كيسنجر يعتقد بأن من مصلحة البلدين إقامة حوار بينهما. ورد صدام مشيراً إلى الباب الذي دخل منه الزائر وقال: «هذا الباب يمكن أن ينفرج قليلاً إذا تحقق شرطان: **أولاً** أن توقف أمريكا تزويد إسرائيل بسلاح يمكن أن يستعمل ضد العراق، وأن تؤدي دوراً حاسماً في الإقرار بحقوق الشعب الفلسطيني. و**ثانياً** أن تتوقف عن بيع السلاح لإيران، أو أن تشترط على الأقل، ألا تقوم إيران باستخدام سلاحها ضد العراق والأمة العربية». وأضاف صدام ألا أمل في إعادة العلاقات مع واشنطن طالما استمر شاه إيران في تسليح «العصاة» الأكراد. لكن هذه العقبة زالت بعد أشهر قليلة، إذ تحسنت العلاقات مع إيران. أما قضية حرمان إسرائيل من السلاح الأمريكي، فلم تكن قابلة للمناقشة. انظر كتاب روكفلر مؤخراً بالفرنسية: David Rockfller, *Mémoires*, traduit par Pierre Arnaud, Jean Bourdier et Isabelle Caron (Paris: Fallois, 2006),

والكتاب كان قد نشر أصلاً بالإنكليزية تحت عنوان *(Memoirs)*، وصدر عن دار راندوم هاوس (Random House) في نيويورك عام ٢٠٠٢.

(٢٠) ضمن ملف «حول المقاومة العراقية للاحتلال»، انظر: مثنى حارث الضاري، «المقاومة العراقية،» وسلمان الجميلي، «المقاومة العراقية وملامح تشكيل الهوية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٣ (أيار/ مايو ٢٠٠٤)، ص ٨٠ ـ ٨٨ و٨٩ ـ ١١٠ على التوالي.

ومن عمل «الفئات اليائسة حتى الموت (الانتحارية أو الاستشهادية)، ومن بقايا النظام البعثي»، وأخيراً من عمل «أجانب»(٢١) يعملون ضد مصلحة العراق والعراقيين.

وقد واجه الاحتلال في مدن الفلوجة وكربلاء والكوفة والصدر والنجف من المقاومة المسلحة ما نسف ادعاءاته من ناحية، وقوض خططه للاعتماد على «تحالف شيعي» معه من ناحية أخرى. وبدأت الجبهة الداخلية للمحتل الأمريكي (والمتحالفين معه) تستجيب لحقيقة اهتزاز تصور القدرة العسكرية الأمريكية الذي كان يعتقد أنه الفاعل الأوحد المؤثر في الأوضاع في العراق.

وقد أصبحت البيانات اليومية والأسبوعية لأجهزة الإعلام التابعة للمقاومة تشكل الجانب الأكبر من المصادر التي تستقي وسائل الإعلام العالمية منها المعلومات، بما فيها عدد هائل من الوسائل الأمريكية. ومن خلالها يتبين للعراقيين والعرب وللعالم وللمحتلين ـ أن المقاومة عراقية، وأن انتماءاتها وطنية بالدرجة الأولى وليست طائفية. حتى إن بعض المسؤولين الأمريكيين اعترفوا بأن حل الجيش العراقي كان واحداً من أكثر القرارات خطأً من جانب الإدارة الأمريكية، وكان هذا اعترافاً غير مباشر بأن قاعدة واسعة من المقاومة العراقية هي من الجيش العراقي وقوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص وقوات الأمن القومي.

لم يبق فريق من فرق المقاومة العراقية مجهولاً من حيث الهوية أو من حيث المنهج أو البرنامج أو الاستراتيجية. واتضح، بما لا يدع مجالاً لتصديق ادعاءات الإدارة الأمريكية في واشنطن أو قيادتها العسكرية في بغداد، أن المقاومة أشمل من أن تحصر في فئة أو طائفة أو حزب أو حتى في تيار، فالإسلاميون في المقاومة ـ سنّة وشيعة ـ

---

(٢١) وقد ذكر بيتر آيسلر (Peter Eisler) وتوم سكويتيري (Tom Squitieri) في جريدة **يو. إس. إي. توداي** (*USA Today*) «أن عدد المقاتلين الأجانب المشتبه بهم يمثلون ما يقل عن ٢ في المئة من الـ ٥٧٠٠ موقوف الذين تم احتجازهم باعتبارهم يشكلون خطراً على الأمن في العراق، وهو أهم المؤشرات حتى الآن بأن العراقيين هم المسؤولون بصورة أساسية عن المقاومة العنيدة ضد الولايات المتحدة. ويضيفون قائلين «بأن قوات الائتلاف كانت قد احتجزت ١٧٧٠٠ شخص في العراق اعتبروا مقاتلين أعداء أو يمثلون أخطاراً أمنية، وأن حوالى ٤٠٠ منهم كانوا من جنسيات أجنبية، بحسب الأرقام التي تم توفيرها خلال الأسبوع الماضي من قبل القيادة العسكرية في الولايات المتحدة التي تتولى إدارة عمليات الاعتقال في العراق. ويضيفان قائلين «إن معظم أولئك الموقوفين قد تم إطلاق سراحهم بعدما وجد مجلس لإعادة النظر بأنهم لا يشكلون أخطاراً مهمة، وإن حوالى ٥٧٠٠ منهم قد بقوا تحت التوقيف، وإن ٩٠ منهم فقط هم مواطنون أجانب». انظر: *USA Today*, 6/7/2004, p. 1.

كما يشير تقرير آخر قدمه البنتاغون إلى الرئيس بوش حول تقييم معركة الفلوجة أن نسبة غير العراقيين الذين اشتركوا في معركة الفلوجة لا تزيد على ٢ في المئة، وأنه كان هناك في الفلوجة «هيئة أركان» على مستوى عالٍ من الخبرة والكفاءة تخطط للمعركة. انظر: Scott Ritter, «Defining the Resistance in Iraq: It's Not Foreign and It's Well Prepared,» *Christian Science Monitor*, 10/11/2003.

والقوميون في المقاومة ـ بعثيون وغير بعثيين ـ والشيوعيون في المقاومة التقليديون منهم والمجددون[٢٢].

ولعل من الظواهر الجديرة بالتسجيل أن قوات الاحتلال تحجم عن اعتبار تزايد أعداد شهداء المقاومة (وهي تسميهم قتلى) لأنها تعرف أن هذه الأعداد دالة على اتساع نطاق المقاومة في صفوف الشعب العراقي أكثر مما هي دالة على استتباب الأمور لقوات الاحتلال وحلفائها.

وخلال الفترة التي نتناولها، فإن المقاومة العراقية استطاعت أن تحرز انتصاراً سياسياً على صعيد السياسة الاستراتيجية ضد المحتل. وتمثل هذا الانتصار من خلال حمل بعض وسائل الإعلام الأمريكية على التفكير وعقد مقارنات في ما بين فييتنام الماضي وعراق الحاضر من أوجه تماثل، هي بحد ذاتها سمات «الورطة» الأمريكية الجديدة في مواجهة المقاومة العراقية، كما أنها تشير إلى تجاوز ذلك إلى تأثيراته المحتملة في الجبهة الداخلية الأمريكية. . وبالأخص في السنة الحالية، وهي سنة انتخابات للرئاسة يتقرر فيها مصير المجموعة الحاكمة حول الرئيس جورج بوش الابن.

وخلال ذلك استطاعت المقاومة، وهي لم تبلغ من عمرها سوى خمسة عشر شهراً، أن ترغم الاحتلال على قبول تقليص تحالفاته. . . ابتداء من سقوط حكومة أثنار المحافظة في انتخابات ١١ آذار/ مارس ٢٠٠٤، وصعود المعارضة اليسارية على أساس برنامج يقضي أول ما يقضي بسحب القوات الإسبانية من العراق، الأمر الذي تم بالفعل في أعقاب تولي حكومة ثاباتيرو الجديدة مسؤولياتها. وهو انسحاب تلته انسحابات لاتينية وأفريقية متعددة لقوات دول صغيرة في أمريكا الوسطى والجنوبية التي اعتبرت أن منطق انسحاب القوات الإسبانية يفرض عليها أيضاً الاستجابة بالطريقة نفسها. وقد انسحبت من التحالف الذي تقوده أمريكا في العراق، وحددت تاريخ انسحابها قبل نهاية العام الحالي (عام ٢٠٠٤)، كل من: إسبانيا والدومينيكان وهندوراس ونيكاراغوا والفيليبين[٢٣].

---

(٢٢) انظر: حسن خليل غريب، **المقاومة الوطنية العراقية: معركة الحسم ضد الأمركة** (بيروت: العلا للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)؛ «بيانات قيادة المقاومة والتحرر في العراق،» ص ٢٥٩ ـ ٢٨٠، و«بيانات بعض الفصائل المشاركة في المقاومة العراقية،» ص ٢٨١ ـ ٣٠٧.

وانظر أيضاً موقف الحزب الشيوعي العراقي (الكادر) من المقاومة في بيانه الصادر باللغة الإنكليزية بتاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٠٤، والذي يتضمن تحليلاً للمقاومة وأطرافها وتأييدها. في: <http://docs.yahoo.com/info/terms/>.

(٢٣) من المتوقع أن تنسحب كل من تايلندا والنرويج ونيوزيلندا وأستونيا قريباً، إذ بدأت تايلندا بسحب قواتها فعلاً، كما تخطط بولندا للانسحاب في أواخر السنة الحالية، وتتفاوض أوكرانيا مع الولايات المتحدة =

كما يقع في خانة الانتصارات السياسية للمقاومة العراقية خلال هذه الفترة نفسها الضعف الشديد الذي أصاب الحليف الأكبر للولايات المتحدة، وهو حكومة بريطانيا برئاسة توني بلير، والذي أصبح واضحاً أنه ضعف يعانيه منذ الآن حزب العمال البريطاني ـ الذي قاده بلير إلى هذه الحرب والذي أدى إلى خسارة حزب العمال مقاعده في بعض الانتخابات الفرعية، والتي كان يمثلها سابقاً. كما إن هناك بعض المؤشرات إلى أن بلير قد يضطر إلى الاستقالة من رئاسة الحزب، وهو أمر إن تم فإنه سيعني انتهاءه سياسياً[(٢٤)].

لقد أكدت المقاومة العراقية قدرتها على التحرك السياسي العميق والواسع في الفضاء العراقي، ولم تشغلها عنه مسؤوليات وأخطار العمل العسكري للمقاومة المسلحة، ليس فقط بإعلان مناهجها واستراتيجياتها، ولكن أيضاً بتطوير فعاليتها وابتداع وسائل فنية جديدة في مواجهة التقنيات التي طورها جيش الاحتلال[(٢٥)] لتقليل فاعليتها.

وفي أواخر آذار/ مارس ٢٠٠٤ أعلنت المقاومة عن برنامجها السياسي الموحد الذي برزت فيه النقاط الرئيسية الأهم التالية[(٢٦)]:

= وبولندا (التي تعمل القوات الأوكرانية تحت قيادتها) على سحب قواتها من العراق. وبذلك ينخفض عدد الدول المشاركة في قوات الاحتلال في العراق من ٣٦ دولة إلى ٢٥ دولة. هذا إضافة إلى أنه لم تستجب أية دولة لطلب إرسال قواتها للمشاركة مع قوات الاحتلال الأمريكية. انظر: Stratfor, «Iraq: If the «Willing» Become the «Unwilling,» 23 March 2004.

وللحصول على نص التقرير يمكن الاطلاع على الموقع التالي على الشبكة (الانترنت): <http://www.stratfor.biz>.

(٢٤) Robert Fisk, «Can't Blair See that this Country is about to Explode? Can't Bush?,» *Independent*, 1/8/2004.

(٢٥) انظر: James Glanz, «In Iraq, New Ways to Kill, and to Counter,» *International Herald Tribune*, 17-18/7/2004 p. 1; Scott Ritter, «Saddam's People are Winning the War,» *International Herald Tribune*, 23/7/2004, and

توماس شانكر، «تقرير سري أعده البنتاغون: الهجمات والتفجيرات في العراق تنفذها عناصر استخبارات صدام وفق خطة وضعت قبل الحرب،» **الشرق الأوسط**، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ٣.

(٢٦) انظر بيان المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية ـ الجناح السياسي تحت عنوان: «المقاومة العراقية تعلن برنامجها السياسي: حكومة انتقالية لمدة عامين بعد طرد الاحتلال،» **القدس العربي**، ١/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ٤. كما صدرت بيانات أخرى حول برامج بعض فصائل المقاومة السياسية، انظر: «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي: البيان التأسيسي والبيان الختامي، بغداد، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ - ٨ أيار/ مايو ٢٠٠٤،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٥ (تموز/ يوليو ٢٠٠٤)، ص ١٩٧ ـ ٢٠١، وهو تنظيم علني، ويتضمن البيان التأسيسي برنامجاً من أربع عشرة نقطة، يتداخل معظمها مع بيان المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية المشار إليه أعلاه، إضافة إلى تضمنه أسماء أعضاء الأمانة العامة والأمين العام المؤقت والناطق الرسمي باسم المؤتمر. وانظر تعليق جريدة **الغارديان** حول هذا المؤتمر في: Jonathan Steele, «The Iraqi =

«١ ـ رفض مطلق وشامل لمنطق الاحتلال وأدواته وعناصره وكل ما ينتج منه من هياكل وعناوين وهيئات عميلة وخائنة للشعب، وندعوهم بمن فيهم أعضاء مجلس الحكم [صدر البيان قبل تشكيل ما يسمى الحكومة الانتقالية] إلى التوبة فوراً والابتعاد عن هذه النار التي سوف تحرقهم لاحقاً واعتبار كل قراراته وتوصياته باطلة لأن ما بني على الباطل يُعَدّ باطلاً.

٢ ـ استمرار المقاومة بكل أشكالها المسلحة والتعبئة الجماهيرية والتظاهرات والاحتجاجات ومقاطعة الاحتلال وهياكله بكل الوسائل الممكنة. . . حتى رحيل آخر جندي عن أرض العراق الطاهرة. ولن نقبل بأقل من ذلك أبداً، وليعلم الجميع أن من يتصدى لمهمة مقاومة المحتل وطرده وتحرير العراق هو الأجدر على قيادة العراق وإعادة بنائه، وليس في العراق مكانة للخونة واللصوص والمرتزقة.

٣ ـ بمجرد خروج المحتلين الغزاة وتحرير العراق، ندعو إلى عودة الدولة بكل مؤسساتها الوطنية والسيادية والخدمية، وعودة الجيش كمؤسسة وطنية موحدة إلى سابق عهده، أي على ما كانت عليه الأمور قبل يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣.

٤ ـ سيعلن المجلس الوطني ـ في الوقت المناسب ـ عن تشكيل حكومة وحدة وطنية انتقالية لمدة سنتين تقوم بممارسة السيادة وتمثيل العراق وتعمل على إنجاز المهمات الوطنية العاجلة وتضميد الجراح ومساعدة فئات الشعب المتضررة وتولي مهمة إعادة البناء لإدارات الدولة ومرافقها الحيوية، وكذلك المهمات الوطنية التالية:

(أ) الدعوة خلال سنتين إلى انتخابات جديدة لمجلس وطني جديد بإشراف جامعة الدول العربية والمراقبين الدوليين والهيئات الدولية المحترمة والمهتمة بالديمقراطية.

(ب) تشكيل مجلس شورى من ١٥٠ عضواً من أهل الرأي والحكمة من

Leader Seeking a Peaceful Path to Liberation: A New Party Unites Shias, Sunnis, Kurds and = Christian,» *Guardian*, 16/7/2004.

وتشير المقالة إلى مقابلة الكاتب مع الشيخ جواد الخالصي والدكتور وميض نظمي. وينهي المقالة بقوله حول «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي» أنه يستحق دعاية ودعماً أكبر «It Deserves more Publicity and Support».

انظر أيضاً: بيان المقاومة الإسلامية الوطنية تحت عنوان: «من هي المقاومة الإسلامية الوطنية كتائب ثورة العشرين؟: النشأة ـ الدوافع ـ المرجعية ـ التنظيم والتطور ـ الهيكل التنظيمي،» شبكة البصرة <http://www.albasrah.net>، وفيه تفاصيل موقف هذه المقاومة وبرنامجها. وانظر كذلك: «الخطة السياسية للمقاومة الإسلامية في العراق: بيان القيادة العامة لقوات المجاهدين والمقاومة الإسلامية في العراق،» [د. ت.]، ويتضمن عشر صفحات.

العراقيين المخلصين الذين لم تتلوث أيديهم مع الاحتلال ليكون بمثابة مجلس للحكماء، ويقدم المشورة والرأي للحكومة الانتقالية، ويشترك مع مجلس الوزراء في إعداد دستور دائم للبلاد يتضمن كل الحقوق الأساسية للمواطنين ويحافظ على وحدة العراق وانتمائه العربي، ويعرض على الاستفتاء الشعبي بعد ١٨ شهراً من تاريخ جلاء الغزاة، ويعمل مجلس الشورى والحكومة الانتقالية فوراً على إلغاء كل القوانين والقرارات ذات الصفة الاستثنائية التي صدرت سابقاً.

(ج) بعد إقرار الدستور الدائم يجتمع المجلس الوطني المنتخب ومجلس الشورى لانتخاب رئيس للجمهورية ونائب له لمدة ٥ سنوات، ويعرض اسم الرئيس على الشعب في استفتاء عام يجب أن يحصل فيه المرشح على ٦٠ في المئة من أصوات المشاركين في الاستفتاء.

(د) إطلاق الحريات السياسية بموجب قانون منظم لها، ومنها حرية تأليف الأحزاب السياسية والجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، وتنظيم عملية إصدار الصحف وإطلاق الحريات الصحافية واعتماد معايير الوطنية والكفاءة والإخلاص لتولي الوظائف العامة في الدولة وترسيخ مفهوم دولة القانون والنظام والمؤسسات.

(هـ) تشكيل مجلس أعلى لحقوق الإنسان من الشخصيات المعروفة باستقامتها ونزاهتها الوطنية يتمتع بصلاحيات واسعة، منها التحقيق والتفتيش والمحاسبة للمقصرين في انتهاك حقوق الإنسان العراقي وكرامته، ويرفع تقاريره وتوصياته إلى رئيس الجمهورية مباشرة ورئيس الوزراء والمجلس الوطني، والعمل بروح الوحدة على نبذ الطائفية البغيضة وتثبيت مبدإ المساواة أمام القوانين.

(و) تطوير قانون الحكم الذاتي لكردستان العراق بما يضمن الحقوق القومية والثقافية لإقليم كردستان ضمن إطار وحدة العراق وسيادته، ومناقشة هذه الأمور بروح الحوار والتفاعل مع القوى الكردية ضمن ثوابت الحرص على العلم والسيادة والسياسة الخارجية والأمن القومي للعراق».

ولعلنا نتساءل بعد كل هذه التطورات: **المقاومة العراقية إلى أين؟** ولست أجد إجابة أوضح ولا أكثر استجابة لمنطق التاريخ من التصريحات التي نشرت في ٢٤ حزيران/ يونيو الماضي (عام ٢٠٠٤) في تحقيق تحت عنوان «**تحرير بغداد ليس بعيداً كثيراً**»:

«بغداد عشية ما يسمى نقل السيادة إلى الحكومة الانتقالية العراقية الجديدة يوم ٣٠ حزيران/ يونيو: خرج عدد من جنرالات صدام حسين السابقين الذين تحولوا إلى أعضاء في حركة نخبة المقاومة العراقية من مواقعهم السرية لبعض الوقت ليشرحوا

وجهة نظرهم في الأحداث وليتحدثوا عن خططهم. وبحسب هؤلاء المسؤولين البعثيين فإن «المعركة الكبرى في العراق لم تقع بعد».

«لقد استعد الأمريكيون للحرب، أما نحن فقد أعددنا لما بعد الحرب. ونقل السلطة في يوم ٣٠ حزيران/يونيو لن يغير أي شيء في ما يتعلق بأهدافنا. هذه الحكومة المؤقتة الجديدة التي عيّنها الأمريكيون ليست لها شرعية في نظرنا. ليسوا سوى دمى».

أولئك الذين تحدثوا إلى **آسيا تايمز** ـ التي انفردت بنشر هذا التحقيق ـ حددوا أهدافهم بأنها «تحرير العراق وطرد التحالف . . . استعادة سيادتنا وإقامة ديمقراطية علمانية، إنما ليست تلك التي يفرضها الأمريكيون . . . بعد انقضاء أكثر من عام على بداية الحرب لا يزال انعدام الأمن والفوضى يسودان البلد. وبسبب عجز الأمريكيين عن السيطرة على الوضع والحفاظ على وعودهم فإنهم دخلوا في صراع مع السكان ككل. والمقاومة ليست محدودة بعدة آلاف من النشطين. إن نسبة خمسة وسبعين في المئة من السكان تدعمنا وتساعدنا، بصورة مباشرة وغير مباشرة، يتبرعون بتقديم المعلومات، ويخفون المقاتلين والأسلحة. وهذا كله على الرغم من حقيقة أن مدنيين كثيرين يقعون ضحايا في الخسائر المدنية في العمليات ضد الائتلاف والمتواطئين معه . . . إن كل عراقي أو أجنبي يعمل مع التحالف هو متواطئ، وبالتالي فهو هدف. الوزراء، المرتزقة، المترجمون، رجال الأعمال، الطباخون أو الخادمات . . . إن توقيع عقد مع المحتل هو شهادة وفاة».

« . . . المقاومة حالياً تجمع كل حركات النضال القومي ضد الاحتلال من دون تمييز طائفي أو عرقي أو سياسي . . . من الفلوجة إلى الرمادي بما في ذلك النجف وكربلاء والضواحي الشيعية لبغداد، المقاتلون يتحدثون بصوت واحد . . . »

«إن المعركة الكبرى لم تبدأ بعد. وتحرير بغداد ليس بعيداً كثيراً»[٢٧].

وفيما كانت المقاومة ووراءها كل القوى الوطنية والقومية والإسلامية واليسارية تعلن استراتيجياتها وبرامجها المحددة، كان الاحتلال يحاول تدارك الأخطاء والمخاطر التي وجد نفسه محاصراً بها، وبينما هي تواصل نشاطاتها المسلحة ـ وغير المسلحة ـ كان الاحتلال الأمريكي يحاول جاهداً البرهنة على أنه يعني ما يقول بشأن «نقل السلطة للعراقيين» وبشأن إجراء انتخابات في العراق . . . وظل الاحتلال الأمريكي والإدارة الأمريكية يكشفان عن تردد واضح سواء بالنسبة إلى طبيعة الإجراءات الرامية

(٢٧) *Asia Times*, 24/6/2004.

إلى هذا النقل للسلطة، أو بالنسبة إلى التواريخ المحددة لتنفيذه. بل إن الأمم المتحدة أبدت أولاً تردداً إزاء تردي الوضع الأمني في تسلم أية مسؤوليات تُرْفَع عن كاهل الاحتلال في العراق.

وعلى الرغم من أن الوضع الأمني ظل يتردى تحت أعلام الاحتلال وفي وجود قواته، فإن الهمّ الرئيس لقيادة التحالف بقي أسير محاولة التظاهر بأن ثمة تطورات نحو تسليم السلطة والسيادة للعراقيين في ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. وحرص الاحتلال على التظاهر بأن الهجمات القوية والجريئة على قواته، فضلاً عن عمليات الاغتيال ضد عملائه (في «مجلس الحكم» وخارجه ولبعض أعضاء «الحكومة المؤقتة» في ما بعد) لا تؤثر في خططه. وهكذا صدر ما أُسمي بـ «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية»[٢٨]، وجرى في ٣٠ حزيران/ يونيو إعلان تشكيل ما سُمِيّ «الحكومة المؤقتة» برئاسة الدكتور أياد علاوي، كما جرت مسرحية «اختيار» السيد غازي الياور «رئيساً للجمهورية» في الأيام التي سبقت موعد ٣٠ حزيران/ يونيو[٢٩].

جرى هذا كله بينما كانت سحابة سوداء كثيفة تحطّ على أهداف أمريكا وخططها، وبالتالي على كل من ارتبط بوجودها العسكري أو السياسي في العراق من بعيد أو من قريب، وأعني بها فضيحة مآسي التعذيب البشعة في سجن «أبو غريب» التي طالت الاتهامات فيها عدداً من المسؤولين الأمريكيين على مستويات قيادية[٣٠]. وما كان يمكن إلا أن تكشف هذه الفضيحة عن الوجه الحقيقي للاحتلال وزيف مزاعمه عن الديمقراطية وعن مساعدة شعب العراق. . وما إلى ذلك. لقد هزّت الفضيحة صورة أمريكا أكثر مما كانت في أي وقت لدى الرأي العام العالمي كله، وأظهرت حقيقة القوات الأمريكية التي يعتمد عليها تنفيذ استراتيجية الإدارة الأمريكية برئاسة بوش، ويعتمد عليها أيضاً لتنفيذ المهمة التي عهد بها الاحتلال إلى حكومة السيد أياد علاوي.

---

(٢٨) انظر: <http://64.4.30.250/cgi-bin/getmsg?curmbox = F000000001&a = e2ba1121f3c8341 f0a>.

(٢٩) حول السيرة الذاتية لأعضاء ما يسمى «مجلس الرئاسة المؤقت» و«الحكومة المؤقتة»، انظر: «Who's Who in Postwar Iraq,» compiled by Flora Symon, *Financial Times*, 13/7/2004.

(٣٠) حول تفاصيل ما حدث، انظر: Seymaur M. Hersh, «Torture at Abu Ghraib,» *New Yorker* (10 May 2004).

وحول نتائج التحقيق الذي قام به الكونغرس حول هذا الموضوع، انظر: Thomas Crompton, «U. S. Affairs Tied to Iraqi Abuse,» *International Herald Tribune*, 26/8/2004.

وقد أجبرت هذه الملابسات سلطات الاحتلال على عدد من التراجعات التي كان يبدو في بدايات الاحتلال وطوال عام كامل منه أنها تمثل خطوطاً أمريكية حمراء لا يمكن التراجع عنها، وأبرزها عملية إلغاء كل وجود للجيش الوطني العراقي بإصدار قرار حله وتسريح ضباطه وجنوده بمئات الآلاف، وكذلك إلغاء كل وجود بعثي في مؤسسات السلطة. فقد وجدت سلطات الاحتلال نفسها مضطرة إلى الإعلان عن ضرورة الاستعانة بالجيش، وأعطت ضوءاً أخضر لرئيس الوزراء المؤقت الدكتور علاوي لينتقد تسريح الجيش، كما اضطرت إلى اتخاذ موقف تمييز غير محدد المعايير بين بعثيين مقبولين وبعثيين لا يمكن قبولهم. وكشفت سلطات الاحتلال ـ التي تسمي نفسها عادة «سلطات التحالف» ـ عن مدى تخبطها في ظروف هي من صنع المقاومة العراقية بأشكالها المختلفة: المسلحة وغير المسلحة.

كذلك فقد وجدت سلطات الاحتلال ـ والإدارة الأمريكية طبعاً ـ نفسها مضطرة إلى تمزيق رجلها الأول في عراق ما بعد الاحتلال السيد أحمد الجلبي إرباً، وهو الذي حاول منذ أن كان بين أول من وصلوا بصحبة القوات الأمريكية من الخارج إلى العراق أن يبدو المرشح الأول والأقوى وربما الأوحد لرئاسة الحكم في عراق الاحتلال. وفضيحة تمزيق الجلبي بحد ذاتها ترسم صورة واضحة لا عن طبيعة علاقات أمريكا بعملائها فحسب، بل عن استعدادها الفوري لإلقائهم في القمامة إذا بدا أن ذلك يرسم صورة أفضل عن عملاء آخرين.

وفي اللحظة التي اختارت فيها إدارة بوش عزل الجلبي سياسياً، وربما وضعه في السجن في مرحلة تالية ـ كانت تختار تقريب السيد أياد علاوي، الذي كانت إحدى أهم مميزاته ـ على حد تعبير مصادر واشنطن ـ أنه آثر أن يكون وجوده تحت الأرض منذ سقوط صدام حسين، ليكون هذا المعيار الوحيد لتوفير فرصة أفضل له عندما يحين الوقت. ويقول المصدر نفسه إن أصعب مهام علاوي ستكون حمل العراقيين على تصديقه في الزعم بأنه سيعمل على التخلص من الاحتلال الأمريكي (الذي جاء به إلى رئاسة «الحكومة المؤقتة») وما يريده منه المحتل، وبخاصة أنه يوصف بأنه «لا يملك قاعدة حقيقية وينفذ في النهاية ما تريده منه الولايات المتحدة»(٣١).

وبطبيعة الحال، فإن التخبط لم يظهر في قرارات سلطات الاحتلال فحسب، إنما بدا حتى في تردد واشنطن إزاء ما بدا حتمية تغيير القيادة العسكرية الأمريكية

---

(٣١) Patrick Cockburn, «Iyad Allawi, the CIA's Stooge in Iraq,» *CounterPunch* (26-27 June 2004).

العليا في العراق بعد فشلها الأكيد في تحقيق حد أدنى من الأمن، وبعد تورطها المؤكد في فضيحة التعذيب في سجن أبو غريب. . . فقد بدا واضحاً أن كراسي القيادة تهتز بقوة تحت القيادات العسكرية. وفي أول تموز/ يوليو حل الجنرال جورج كيسي محل الجنرال ريكاردو سانشيز في منصب قائد القوات الأمريكية في العراق. ولا تزال علامات الاستفهام معلقة على مصير الجنرال جون أبي زيد قائد القيادة المركزية، وإن لم يتضح بصورة قاطعة ما إذا كان السبب الرئيس للحديث عن قرب تغييره يرجع إلى تسرب فضيحة سجن «أبو غريب»، أم أمل جورج بوش الابن في تأمين قيادة عسكرية توفر جواً أكثر قدرة وسيطرة على الوضع في الأشهر القليلة الباقية على موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية (في ٢/ ١١/ ٢٠٠٤).

وعشية «تسليم السلطة» في العراق وقبل موعدها بأيام قليلة، أصدر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في العاصمة الأمريكية واشنطن «بياناً بحثياً» قال فيه إن الجداول والرسوم البيانية الصادرة عن «مجلس الحكم الانتقالي» في العراق حول نقل السلطة يظهر المعلومات على نحو ملائم له ويعكس تقدماً حقيقياً، «مع ذلك فإن قراءة عن قرب لشهادات أمام الكونغرس مؤخراً وملخصات للبيانات الصحافية تخفي وضعاً مختلفاً كلياً».

وهذه أهم النقاط التي ذكرها هذا البيان:

- تظهر معلومات مكتب إدارة البرنامج أنه من مبلغ المساعدات المخصَّص البالغ ١٨,٤ مليار دولار، فإن المبلغ الفعلي الذي تم إنفاقه بلغ ٣٣٣ مليون دولار[٣٢].

- إن الوزارات «ستنقل» إلى سيطرة عراقية كاملة من دون طواقم كافية ومن دون تسهيلات في التجهيز، ومن دون روابط مع المحافظات والحكومات المحلية.

- إن الرزنامة الوطنية لعملية النقل مليئة بخطط أمريكية تتطلب أمناً أكثر بكثير مما هو قائم الآن، وقد يضع العراقيون سريعاً رزنامة مختلفة خاصة بهم.

- إن الجهد الرامي إلى تحسين أوضاع المياه متخلف كثيراً عن الجدول الزمني، والأهداف الرئيسة فيه لن تتحقق إلا بعد وقت طويل من عمليات نقل السلطة.

- إن الأمن الغذائي أدنى بكثير من فترة الأشهر الثلاثة المحددة للتلبية في كل مجال.

---

(٣٢) تراوحت تقديرات مصادر أخرى للمبلغ المصروف فعلاً من مبلغ المساعدات الذي أقره الكونغرس والبالغ ١٨,٤ مليار، إلى ما بين ٤٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار، أي أقل من مليار دولار، ولذلك كان الهدر في الصرف والتعاقدات التي أقدمت عليها «سلطة الاحتلال» هي من أموال العراق المختلفة.

ـ إن الأرقام المعلنة عن التسهيلات الصحية وعمليات التطعيم تخفي مشكلات كبيرة.

ـ إن التعليم في الحالة ذاتها من حيث التجهيزات والكتب والاثاث . . .

ـ إن الجهود في مجال الكهرباء لم تعد تذكر الأرقام الحقيقية في مجال توليد الطاقة. لقد تم التخلي إلى أجل غير مسمى عن هدف رفع القدرة من ٤٤٠٠ ميغاوات إلى ٦٠٠٠ ميغاوات.

ـ إن الإنتاج الفعلي للنفط هو الآن ثلثا الهدف المرسوم لشهر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤، ولا أحد يعرف متى ستتم زيادته من ٢,١ مليون برميل يومياً إلى ٢,٨ ـ ٣,٠ ملايين برميل يومياً.

ـ إن البنية الأمنية العراقية في كليتها في حالة تعني أن ما تذكره سلطة التحالف المؤقتة فارغ من المعنى إلى حد كبير من حيث تحقيق أهداف عراقية جديدة. مع ذلك لا توجد معلومات متاحة عن عدد الوحدات التي تملك السلاح الضروري والتسهيلات ووسائل الاتصال والنقل . . . إلخ.

ـ إن الرسوم البيانية عن مستوى نشاط المقاومة تظهر أنه لم يحدث تقدم حقيقي في جهود مكافحة المقاومة[٣٣].

رابعاً: المشاهد (السيناريوهات) المستقبلية المحتملة للاحتلال الأمريكي للعراق

بعد أن عالجنا أهداف الاحتلال الأمريكي للعراق، المُعْلَن منها وغير المُعْلَن، ومقاومة الاحتلال التي انبثقت في العراق، ولا تزال، وطبيعتها وأهدافها، ننتقل الآن إلى الحديث عن المشاهد المستقبلية المحتملة لهذا الاحتلال وللعراق.

إن الدراسات المستقبلية تؤكد لنا أن المستقبل ليس قدراً مفروضاً علينا. والحال هو كذلك في ما يتعلق بالعراق. هناك مشاهد مختلفة، بعضها أحسن من بعضها الآخر، ولكل منها ثمنه ومتطلباته؛ وتحقيق كل مشهد منها، وبخاصة الأفضل بينها، يتوقف على مدى قدرتنا على دفع الثمن المطلوب ومدى رغبتنا في ذلك.

---

(٣٣) Anthony Cordesman, «Scholar Statement: Figures Indicate Challenging Transition Ahead in Iraq,» Center for Strategic and International Studies [CSIS], 25 June 2004.

ما هي محددات هذه المشاهد المستقبلية؟

العامل **الأول**: إن مصير الاحتلال الأمريكي للعراق سيحدد مصير الوطن العربي والأمة العربية، بما في ذلك القضية الفلسطينية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً ومعتمداً على ما سيحصل للاحتلال في العراق، وبعض دول الجوار الجغرافي والنظام الدولي ككل، وما إذا كان سيبقى كقطب منفرد (Unilateral) أو متعدد الأقطاب (Multilateral).

العامل **الثاني**: إن سنة ٢٠٠٤ هي سنة انتخابية أمريكية، **والرأي العام** الأمريكي هو وحده القادر على عدم التجديد للإدارة الأمريكية الحالية، وما سيترتب على ذلك بالنسبة إلى الاحتلال الأمريكي للعراق.

العامل **الثالث**: إن الرئيس بوش الابن يعطي الأولوية لنجاحه في إعادة انتخابه على أية سياسات داخلية أو خارجية، بما في ذلك احتلال العراق. فإذا توفرت ظروف ملائمة يبقى حرص الإدارة الأمريكية على البقاء في العراق لأطول مدة ممكنة ولآخر يوم ممكن لتحقيق أهدافها الاستراتيجية المعلنة وغير المعلنة. وسيتوقف تحقيق أي من المشاهد المختلفة على الوضع الانتخابي للرئيس بوش الابن.

العامل **الرابع**: هناك أمور أساسية ستحدد نجاح أو فشل الرئيس بوش الابن في إعادة انتخابه، وهي:

١ ـ ما سيجري في العراق خلال هذا العام بالنسبة إلى الاحتلال الأمريكي.

٢ ـ الوضع الاقتصادي داخل أمريكا(٣٤)، فالإدارة الأمريكية الحالية استلمت الحكم وكان لديها فائض بالميزانية يبلغ حوالى ٢٦٨ مليار دولار، وتعاني ميزانية السنة الحالية عجزاً يُتوقع أن يصل إلى ٥٠٠ مليار دولار، كما يُتوقع أن يتم تجاوز هذا العجز في السنة القادمة.

كذلك، فإن الدولار الأمريكي انخفض بحوالى ٣٥ في المئة خلال سنة. وكان الدولار يستعمل باعتباره الاحتياطي الوحيد تقريباً للعملات في العالم، أما الآن، فقد

---

(٣٤) انظر الدراستين المتميزتين حول هذا الموضوع: زياد حافظ، «المشهد الاقتصادي في الولايات المتحدة وتداعياته على سياساتها الخارجية،» وفيليس بينيس، مجموعة العمل الخاصة بالعراق في معهد دراسات السياسة ومركز السياسة الخارجية في بؤرة الاهتمام، «دفع الثمن: النفقات المتصاعدة لحرب العراق: الاستنتاجات الأساسية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، ص ٥٨-٩٧ و١٠٨-١١٥ على التوالي. كما يشير أحد التقارير إلى أن حرب العراق ستكلف كل عائلة أمريكية ٣٤١٥ دولاراً. انظر: Julian Borger, «Iraq War Will Cash Each Family $3,415,» *Guardian*, 25/6/2004.

دخل اليورو ويستعمل بشكل متزايد. وهذا يعني أن كل العرب المستثمرين في أمريكا، ضاعت عليهم الفوائد، لأن الفائدة الآن لا تكاد تتجاوز ١,٥ في المئة على إيداعات الدولار. صحيح أن انخفاض الدولار يشجع صادرات أمريكا، لكنه يزيد كلفة واردات أمريكا، فهو سلاح ذو حدين. وإلى ذلك، فإن معدلات النمو خلال الفصول الثلاثة الماضية ارتفعت؛ لكنها في الربع الثاني من العام الحالي الذي نشرت المعلومات عنه، بدأت تنخفض. وحتى هذا النمو في الناتج القومي لم يستطع أن يُحسِّن وضع العمالة، وهناك أكثر من ٣ ملايين زيادة في أعداد العاطلين عن العمل منذ أن استلم بوش الابن الإدارة الأمريكية.

والعامل الاقتصادي الآخر المهم هو أن الشعب الأمريكي، وخلاف معظم الدول الأوروبية، يستثمر كثيراً في الأسهم والسندات. ويُقال إن ٧٠ في المئة من الشعب الأمريكي يستثمر فيها، وإن دخله ليس فقط من الرواتب أو الأجور التي يتقاضاها، وإن جزءاً من الدخل لغالبية الأمريكيين هو من عوائد وارتفاع قيمة هذه الأسهم والسندات، التي انخفضت بشدة الآن. وعلى رغم أنها استرجعت قسماً من انخفاضها، فإن قيمتها لا تزال أقل من السنوات التي سبقت مجيء بوش. وهذا لا يؤثر في الدخل الحالي للأمريكيين فحسب، بل في مستقبلهم أيضاً، لأن رواتب التقاعد ـ الصناديق التقاعدية التي تشمل الاستقطاعات التقاعدية ـ مستثمرة في أسهم وسندات، وبالتالي فإن انخفاضها سيؤدي إلى انخفاض الراتب التقاعدي للشخص مستقبلاً. وهكذا، فإن الوضع الاقتصادي الحالي في الولايات المتحدة وضع حرج بالنسبة إلى الرئيس الذي يريد أن ينتخبه هؤلاء الأمريكيون لفترة رئاسة ثانية.

٣ ـ والعامل الثالث هو **الكلفة البشرية للاحتلال**: فالأرقام التي تُنشر عن عدد القتلى، وكلّ ما يُنشر عن عدد الجرحى أقل كثيراً من الواقع لأسباب لا يعرفها إلا المطّلع على تفاصيل نظام الجيش الأمريكي، وهو يقوم على أساس التطوع. إن هناك أربع مجموعات داخل جيش الاحتلال الأمريكي في العراق هي: أولاً **العسكريون الذين يحملون الجنسية الأمريكية**، وهذا هو القسم الذي يعلن عن عدد القتلى فيه. **والقسم الثاني** هو لأشخاص مقيمين في أمريكا ويحملون البطاقة الخضراء (Green Card) التي تكفل لهم الإقامة، وهؤلاء لا تعلن أعداد القتلى فيهم، وهناك اتفاق معهم ومع عوائلهم أنه لو حدث أن قتلوا في الميدان، فإن الجيش الأمريكي ليس مجبراً على أن يعيد جثثهم إلى أمريكا. **والقسم الثالث هو لأشخاص يقطنون في أمريكا بصورة مؤقتة وبلا إقامة دائمية (البطاقة الخضراء) ولا جنسية أمريكية، وتطوعوا في الجيش الأمريكي** بأمل أن يحصلوا على الجنسية أو البطاقة الخضراء في ما

بعد. **والقسم الرابع هم المقاولون الأمريكان** (American Contractors). إن الجيش الأمريكي بدأ في السنوات الأخيرة يقلص دوره في ما يتعلق بالخدمات العسكرية، ولجأ إلى خصخصة الخدمات في الجيش، وتقوم شركات مقاولات بتقديم هذه الخدمات، ويجري هذا في العراق على نطاق(٣٥) واسع بما في ذلك في مجال الاستعانة بالمترجمين والحراسة والخدمات الأخرى. هذه المجموعة كذلك لا تدخل في حساب الخسائر البشرية. وبالتالي فإن عدد القتلى أكبرُ بكثير من الأرقام المعلنة.

أما بالنسبة إلى الجرحى(٣٦)، فيكفي ذكر رقم واحد كمؤشر، فالجرحى الأمريكيون الذين تتعذر معالجتهم في العراق أو الكويت ينقلون إلى المستشفى الإقليمي في قاعدة أمريكية هي قاعدة رامستين الجوية قرب لاند ستوهل في ألمانيا، التي يتوقف فيها جميع الجرحى تقريباً الذين يتم إجلاؤهم من العراق. وقد ذكرت مديرة ذلك المستشفى الكولونيل روندا كورنم (Rhonda Cornum)، في مقابلة صحافية مع جريدة **النيويورك تايمز** أن عدد الجرحى الأمريكيين الذين وصلوا إلى ذلك المستشفى كان قد بلغ ٧٧١٤، بالإضافة إلى ٦٠٠ جريح أعيدوا إلى الولايات المتحدة بسبب أمراض نفسية. وعن عدد المنتحرين يقول الجيش الأمريكي إن نسبتهم أعلى من نسبة حالات الانتحار في أية عمليات عسكرية أخرى. لذلك نحن قد لا نعلم حقيقة الأرقام، لكن الأمر المؤكد هو أن الإدارة الأمريكية تعرف، وأن هناك تعتيماً إعلامياً على الموضوع كله، وتتم عمليات التشييع في الكنائس وغيرها ـ وهناك يعرف الناس بالأمر، وبالتالي، فإن العملية ستؤثر في أصوات الناخبين إذا استمرت هذه الضحايا البشرية في الازدياد، وهو ما تشير إليه آخر المعلومات(٣٧).

---

(٣٥) يشير أحد التقارير إلى أن عددهم في العراق يبلغ حوالى عشرة آلاف، بمعدل مقاول واحد لكل عشرة جنود تقريباً. انظر: Barry Yeoman, «Outstanding War: The Growing Role of Me,» *International Herald Tribune*, 3-4/4/2004.

(٣٦) انظر: Andrew Buncombe, «The Hidden Cost of Bush's War,» *Independent*, 14/11/2003.

كما يشير التقرير إلى أن التقديرات لعدد الجرحى في الحرب الجارية في العراق أن نسبة الجرحى إلى القتلى هي ثمانية إلى واحد، في حين كانت هذه النسبة خلال الحرب العالمية الثانية ثلاثة إلى واحد. كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن عدد الجرحى المشاركين ٧٧١٤ كان في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣، أي بعد حوالى ثمانية أشهر من الحرب، ولا بد من أن يكون عدد الجرحى الآن أعلى من ذلك بكثير بعض مضي حوالى تسعة أشهر على ذلك التاريخ.

(٣٧) تشير آخر المعلومات إلى أن شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤ قد سجل ارتفاعاً عالياً في عدد ضحايا الولايات المتحدة في العراق، فإن عدد جرحى الجنود الأمريكيين والمارينز خلال شهر آب/ أغسطس وحده بلغت ١١٥٥، وهو أعلى رقم شهري يسجل منذ بدء الحرب. كما قتل خلال هذا الشهر ٦٦ شخصاً عسكرياً، وهو كذلك أعلى رقم شهري منذ أيار/ مايو ٢٠٠٣. كما تقدر المصادر العسكرية الأمريكية أن عدد الهجمات =

٤ ـ والعامل الرابع هو ما يحدث في أفغانستان الآن ومظاهر تزايد نشاط «طالبان» و«القاعدة» بصورة نلحظها إخبارياً كل يوم، بعد أن كان الإعلام يتعامل مع أفغانستان وكأنها مشكلة انتهت. وهذا العامل، وإن لم يكن في مستوى العاملين السابقين، إلا أنه عامل يدخل في الحساب أيضاً.

٥ ـ وثمة عامل آخر هو **أية مفاجآت جديدة محتملة بين الآن وموعد الانتخابات القادمة**، تميل إلى هذه الجهة أو تلك. ما هو وضع بوش الحالي في الانتخابات؟ خلال الأسابيع الأخيرة تظهر استطلاعات الرأي سواء التي أجرتها فضائية استطلاع قامت به الـ «CNN» ومعهد غالوب مع صحيفة الـ **يو. إس. إي. توداي** وغيرها أنه لو جرت الانتخابات الآن (من تنتخب؟)، لَحَصَلَ كيري على ٥٢ في المئة، وبوش على ٤٤ في المئة. وفي استطلاع آخر قامت به الـ «ABC» القناة التلفزيونية وجريدة **الواشنطن بوست**، كان السؤال: ما مدى نجاح بوش في مكافحة الإرهاب؟ كان ٦٣ في المئة من المستجيبين في صالح بوش، وعندما سألوهم عن إدارة حرب العراق كان منهم ٤٦ في المئة فقط مع بوش. وحين سألوهم عن الاقتصاد كان ٣٩ في المئة منهم مع بوش. هذه أرقام تتغير بحسب الظروف، لكنها مؤشر مهم. وقد انخفضت شعبية بوش إلى أقل من ٥٠ في المئة في الفترة الأخيرة، وهي أقل نسبة منذ أن استلم بوش الإدارة حتى الآن، وهي آخذة في الانخفاض مع استمرار المقاومة. وقد أصابها انخفاض كبير بعد فضيحة التعذيب في سجن «أبو غريب»، إلا أن شعبية بوش ارتفعت، كما هو متوقع بعد انعقاد مؤتمر الحزب الجمهوري في أواخر شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤، وتدل آخر استطلاعات الرأي العام على أن الرئيس بوش يتقدم بفارق بسيط على منافسه الديمقراطي جون كيري بالنسبة إلى الناخبين الملتزمين، حيث يتقدم بوش على كيري بـ ٥١ في المئة مقابل ٤٦ في المئة مع تأييد ١ في المئة للمرشح المستقل رالف نادر[٣٨]. وتبقى هذه

= على قواتها قد بلغ معدل ٩٥ هجمة يومياً، أي حوالى ٢,٧٠٠ هجمة خلال شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤، وهو أعلى معدل منذ أول أيار/ مايو ٢٠٠٣. انظر: Ed Blanche, «The Coming Conflagration in Iraq: Insurgents are Slowly Extending their Control,» *Daily Star* (Beirut), 11/9/2004, p. 6.

كما اعترف وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد ورئيس أركان القوات المسلحة ريشارد مايرز في ٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ أن الثوار السنّة والشيعة يسيطرون على أجزاء مهمة من وسط العراق، وأنه من غير الواضح متى ستكون القوات الأمريكية وقوات الحكومة العراقية قادرة على استرجاع هذه المناطق، والتي سيعني عدم استرجاعها تعذّر اجراء الانتخابات في أول عام ٢٠٠٥.

(٣٨) قامت بالاستطلاع وكالة «أسوشييتد برس» الأمريكية للأنباء بالتعاون مع مؤسسة «إبسوس» المتخصصة للناخبين المتوقع أن يدلوا بأصواتهم في انتخابات الرئاسة في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. انظر: **الشرق الأوسط**، ١٢/ ٩/ ٢٠٠٤، ص ٩.

الأرقام عرضة للتطورات في العراق وفي الاقتصاد الأمريكي والحملة الانتخابية للمرشحين.

فما هي المشاهد المستقبلية المحتملة للاحتلال الأمريكي للعراق في ضوء هذه المتغيرات؟

المشهد الأول: هو المشهَد المتفائل بدرجة من الموضوعية، وهو يمكن أن يتحقق في أحد احتمالين، أو كليهما معاً:

في حالة فشل الرئيس بوش الابن في الانتخابات القادمة في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤. وهذا يعني نجاح منافسه جون كيري. وهناك تساؤل مشروع في ما إذا كان هناك فرق بين الاثنين بالنسبة إلى احتلال العراق، وبخاصة أن الاثنين يتنافسان على تأييد إسرائيل.

وفي رأيي أن تلك نظرة متسرعة وتغفل الاختلافات بين الاثنين في أمور أساسية وجوهرية:

إن لدى الرئيس بوش الابن مخططاً شاملاً للتغيير في منطقة «الشرق الأوسط» والعراق بدايته، وهو يهدف إلى إعادة رسم خريطة «الشرق الأوسط» بدءاً بالعراق. أما جون كيري، فليس لديه مثل هذا المخطط الشامل للتغيير في المنطقة. أما بالنسبة إلى العراق، فهو يقول إن الرئيس بوش أدخل أمريكا في المستنقع العراقي، وإنه سيعمل على إخراج أمريكا من هذا المستنقع.

وفي حين يتصرف الرئيس بوش لتحقيق مخططه على أساس العمل الانفرادي (Unilateralism) والهيمنة على العالم (Hegemony)، فإن الرئيس المرشح جون كيري يؤمن بالعمل الدولي المشترك والجماعي (Multilateralism)، وهو يفهم دور أمريكا في النظام الدولي على أنه دور قيادي (Leadership) وليس هيمنة.

وفي حين يُعْتَبر الرئيس بوش متزمتاً أيديولوجياً وعنيداً وأقلّ خبرة شخصية ويبدو خارج سربه مع بقية العالم، فإن الرئيس المرشح جون كيري منفتح على آراء الآخرين وذو خبرة شخصية أكبر، ومرتاح أكثر تجاه الثقافة غير الأمريكية.

وفي حين يهدف الرئيس بوش إلى السيطرة على نفط العراق والخليج ومناطق أخرى في العالم، كورقة اقتصادية يتعامل من خلالها مع الاتحاد الأوروبي واليابان والصين والهند وغيرها، يعلن الرئيس المرشح جون كيري في برنامجه الانتخابي أنه يريد إنهاء اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الأوسط، مع ما يترتب على كل من النظرتين من استراتيجيات وسياسات مختلفة.

ومن المتوقع في حالة فشل الرئيس بوش في الانتخابات القادمة ونجاح الرئيس المرشح جون كيري، ولأن **الاحتلال أصبح هو المشكلة وليس الحل**، أن تنتقل المسؤولية السياسية والأمنية مؤقتاً إلى الأمم المتحدة، من خلال إدارة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة مع قوة متعددة الجنسيات تحت قيادة الأمم المتحدة، يمكن أن تكون من دول عربية صغيرة وليست لديها مصالح خاصة في العراق، كاليمن ولبنان والجزائر، على أن تتم إعادة تشكيل الجيش العراقي على أسس غير سياسية، وأن يُمنع على الأحزاب الوطنية في العراق العمل داخل الجيش الوطني، وأن يُخيّر الضباط والأفراد السابقون في الجيش المنحلّ بين الالتحاق بالجيش والتخلي عن أي نشاط سياسي سابق، إن وجد، أو أن يتركوا الجيش ويلتحقوا بالعمل السياسي أو العمل في وظائف مدنية. ويتم الأمر نفسه بالنسبة إلى قوات الشرطة والأمن والمخابرات.

وتحدد فترة انتقالية لقوات الأمم المتعددة الجنسيات لا تزيد على ستة أشهر، يتم خلالها إعادة بناء القوات المسلحة المختلفة، ويتم خلالها أيضاً انسحاب القوات الأمريكية والقوات الأخرى التي شاركت معها في احتلال العراق، وأن لا تتم الانتخابات العامة للمجلس الوطني إلا بعد جلاء القوات المحتلة جميعاً.

الثاني: في حالة نجاح المقاومة بأنواعها المختلفة، المسلحة والسلمية، في إجبار الاحتلال على انسحاب غير مشروط من العراق وإدارة شؤون العراق مباشرة، من خلال سيطرة المقاومة نفسها على معظم العراق، أو من خلال إدارة انتقالية من قبل الأمم المتحدة على غرار ما ذكرناه في المشهد السابق، سواء نجح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة أو لم ينجح.

وهنا قد نتساءل عن **مدى الدعم العربي للمقاومة**. ولحسن حظ العراق والمقاومة أن استمرار المقاومة في العراق لا يحتاج إلى دعم عربي مادي، ولو كان بإمكان بعض القوى أن تتدخل ربما كان تدخُّلُه ضد المقاومة لا معها. لقد كانت الحرب على العراق حرباً أمريكية ـ عربية، فالأنظمة العربية من دون استثناء، كانت بين «خائف» و«ساكت»، و«متواطئ علناً»، و«متواطئ سراً»[(٣٩)].

---

(٣٩) حول بعض الفضائح عن دور بعض الأنظمة العربية في التواطؤ مع الولايات المتحدة في احتلال العراق، انظر: Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York; London: Simon and Schuster, 2004), pp. 257 and 312-315.

وانظر أيضاً صفحات أخرى متفرقة حول مصر والسعودية وغيرهما. وحول تأكيد بعض الحكام العرب قبل الحرب أن «العراق يملك أسلحة دمار شامل» وأموراً أخرى مثيرة للأسى، في: Malcolm McConnell and Tomy R. Franks, *American Soldier* (New York: Harper Collins, 2004).

أما لماذا القول إن المقاومة العراقية لا تحتاج إلى الدول العربية، فلأن المقاومة عندها مقاتلون مدربون وعملياتهم تحول حتى الآن بين الأمريكيين وفتح مطار بغداد، إذ لدى المقاومة صواريخ قادرة على إسقاط الطائرات المروحية «الأباتشي» الهليكوبتر. والتقارير الأمريكية العسكرية تشير إلى أنهم يستعملون تقنية عالية جداً، وكما أشير إلى ذلك سابقاً، وعندهم ما يكفيهم من الأسلحة، أو هي متوفرة في السوق للشراء، وعندهم الحد الأدنى من التمويل، وهم بحاجة إلى دعم معنوي شعبي لوجود تعتيم شديد على المقاومة في العراق. حتى إن التلفزات العربية كانت في البداية تذكر في نشرات الأخبار أخبار المقاومة في صدارة نشراتها، أما الآن فتذكرها في الوسط، أو تؤخر ترتيبها في نشراتها. وهناك الآن تعتيم وتشويش في بعض القنوات. والمقاومة بحاجة إلى دعم من الإعلام المرئي والمسموع والمقروء.

ثم إن هذا المشهد يعتمد على نجاح المقاومة العراقية بأشكالها وأنواعها المختلفة في تأليف هيئة وطنية تكون الواجهة السياسية للمقاومة، وأن تكون مؤلفة من التيارات الرئيسة في العراق، وهي: التيار القومي، والتيار الإسلامي، والتيار اليساري، بكل أطياف وتشعبات هذه التيارات الثلاثة. ومن المفيد أن تدرك هذه التيارات أن مصيرها في الميزان، وأنه إذا (لا قدر الله) نجحت أمريكا في الاستقرار والاستمرار في العراق وفي القواعد العسكرية، فلن يكون أي من هذه التيارات الثلاثة في منجى أو مأمنٍ من الولايات المتحدة، وأنه ليس بإمكان أي منها وحده أن يجبر الولايات المتحدة وحلفاءها على الانسحاب. كما أن من المفيد أن تعلم جميع قوى المقاومة العراقية أن العراقيين قد خرجوا من «القمقم» السياسي، بعد التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، على رغم كل ما أصابهم من خسائر، وأنه من الصعب على أية جهة كانت أن تعيدهم إلى ذلك «القمقم» السياسي، وأن العراقيين بحاجة إلى «التحرير» و«الديمقراطية» ولا سبيل إلى غير ذلك. أما السياسات الداخلية الأخرى المطلوبة بعد التحرير فقد سبقت معالجتها في مقابلات أخرى منشورة في هذا الكتاب.

المشهد الثاني: السيناريو الثاني بين احتمالات المستقبل هو مشهد نقل السلطة إلى حكومة مرتبطة بالاحتلال ولا تملك فعلياً استقلالية القرار الوطني مع بقاء الاحتلال من خلال قواعد عسكرية دائمة.

ويفترض هذا المشهد نجاح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة وفشل

المقاومة في فرض الانسحاب من العراق على قوات الاحتلال. وهذا هو السيناريو الذي تشتغل عليه الإدارة الأمريكية، وبخاصة منذ إصدار «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية» وتأليف «حكومة مؤقتة» على نحو ما رأينا، وهي مؤلفة بشكل يجعلها خاضعة لمشيئة الولايات المتحدة. ولذلك تستطيع أن تحصل على أغلبية في أي تشكيل، كما في ما يسمى «المجلس الوطني الانتقالي»، وهي التي ستسن قانون الانتخابات وتشرف عليها. ولذلك فهم سيخططون على أساس أن يأتوا بمجلس مؤيد لهم. وهناك في أحد ملاحق القانون إشارة إلى أن «الحكومة المؤقتة» يمكن أن تعقد اتفاقيات عسكرية. وهذا المشهد فيه تفصيلات تدل على أنهم ليسوا في العراق فقط بسبب النفط وإسرائيل، بل إنهم يعتبرون العراق منطقة استراتيجية. وأحد الأهداف المطروحة هو تكوين مجلس أمن خليجي يتكون من دول مجلس التعاون الخليجي «الست زائد واحد» والواحد الزائد هو العراق، والكل تحت الرعاية الأمريكية. وهناك مشروع آخر يسمونه (٦+٢)، أي دول مجلس التعاون الخليجي الست زائد اثنين هما العراق وإيران، بعد أن يتمكنوا من تدجين إيران باعتبار أن إيران قد تضطر إلى ركوب هذا القطار الأمريكي والسير معهم.

المشهد الثالث: مشهد بقاء الاحتلال وغياب السيادة والاستقلال لفترة أخرى قادمة ولما بعد الانتخابات الأمريكية، حيث يفترض نجاح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة. وهو يعني أن المحاولة الحالية حتى بعد تشكيل «الحكومة الانتقالية» لن تنجح، وقد لا ينجح هدف إقامة قواعد عسكرية أمريكية، أي قد ينجُم عن ذلك انهيار «الحكومة المؤقتة» وعدم التمكن من إجراء انتخابات مباشرة لانتخاب مجلس وطني واختيار حكومة شرعية وإعداد الدستور، ثم إجراء انتخابات أخرى لمجلس وطني دائم. في هذه الحالة يبقى الوضع الراهن إلى ما بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية، حيث من المتوقع أن يستمر الرئيس بوش ويستمر المحافظون الجدد معه في الإدارة الجديدة في محاولة لتنفيذ مخططه الشامل، مهما كانت الخسائر البشرية، مع ما سيترتب على هذا المشهد من نتائج خطيرة ليس على العراق فقط وإنما على سوريا ومصر والسعودية، وإيران وما بعدها، إضافة إلى تأثيره في استمرار انفراد أمريكا بسياسة الهيمنة على النظام العالمي. والاحتمال الثاني أن يتخلى عن مخططه السابق وعن المحافظين الجدد ويحاول أن يجد صيغة انتقالية تخلصه من المستنقع الذي وجد نفسه فيه في العراق، وهو احتمال ضعيف، إذا ما وجد أنه حصل على تأييد أغلبية الشعب الأمريكي لسياسته السابقة.

خاتمـة

هكذا نرى أن جانباً في رسم صورة المستقبل يتوقف على الأمريكيين، وآخر يتوقف على المقاومة في العراق، وإلى أي حد ستؤثر في الناخب الأمريكي في الانتخابات، وثالثاً على العامل الاقتصادي الذي سيؤثر أيضاً في الناخب.

لقد كسبت الولايات المتحدة حتى الآن «معركة» احتلال العراق، ولكن المهم هو من سيكسب «الحرب»[٤٠]؟ وهناك من الأمور الموضوعية ما يبرر التفاؤل بأن العراق سيكسب «الحرب» مع الاحتلال. ولكنني أعتقد أنه إذا فاتتنا فرصة السنة الحالية ٢٠٠٤، فستكون العملية أطول وأصعب، وستتطلب ضحايا أكثر، لكن ذلك لن يعني فقداناً كلّياً للأمل، ولكنه سيعني زيادة في التضحيات والمعاناة.

---

(٤٠) التعبير مأخوذ من الرئيس نيكسون الذي أشار، عندما كان نائباً للرئيس، في محاضرة ألقاها في اتحاد الطلبة في جامعة أوكسفورد بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ والاعتداء الثلاثي على مصر «أن عبد الناصر خسر المعركة ولكنه كسب الحرب» (Nasser Lost the Battle but Won the War).

(١٢)

المقاومة تزداد قوة وانتشاراً والقوات الأمريكية تضعف باطّراد(*) (٩ حزيران/يونيو ٢٠٠٥)

- الجدول الزمني للانسحاب بدأ مطلباً للمقاومة والقوى الوطنية.. وهو الآن مطلب لبعض قادة جمهوريين وديمقراطيين في الكونغرس.
- هذه هي الجماعات التي تشكّل تنظيماتها «المقاومة العراقية» رداً على سؤال: من المقاومة؟
- الانتخابات تحت الاحتلال أنتجت حكومة تطالب باستمرار الاحتلال.
- اللعبة الإيرانية الخطرة في العراق المحتل تناقض اعتبار إيران عمقاً استراتيجياً إسلامياً للأمة العربية.
- رهان الاحتلال على التمزيق الطائفي خاسر في النهاية.
- يقول خبير في وزارة الدفاع الأمريكية: «عندما تنتهي الحرب في العراق ستدرس وزارات الدفاع والمقاومات في العالم تجربة المقاومة العراقية».

(*) أجرت هذه المقابلة مع خير الدين حسيب في لندن قناة «المستقلة» يوم ٩/٦/٢٠٠٥ ونشرت تحت عنوان: «حول التطورات في العراق: المقاومة تقوى وتنتشر والقوات الأمريكية تضعف،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٧ (تموز/يوليو ٢٠٠٥)، ص ٦ ـ ٣٦. والنص المنشور هو نص اقتصر التدخل فيه على الضرورات التحريرية. والآراء الواردة في المقابلة تعبر عن آرائه الشخصية، ولا تعبر بالضرورة عن آراء «مركز دراسات الوحدة العربية» أو **المستقبل العربي** (المحرر).

■ ***بسم الله الرحمن الرحيم، أيها المشاهدون الكرام في بغداد، في الفلوجة، في البصرة، في تكريت، في الموصل، في الناصرية، في النجف، في سامراء، في كل مدن العراق وقراه، في كل أنحاء الوطن العربي الكبير، وفي العالم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذه الحلقة الجديدة من برنامج «ضيوف وأحداث»، وهي تأتيكم على الهواء مباشرةً من قناة المستقلة في لندن. في سهرة الليلة نعيد طرح أهم وأبرز الأسئلة المتصلة بالملف العراقي على شخصية بارزة من الشخصيات العراقية، نطرح أسئلة الساعة في الشأن العراقي على مفكر وسياسي عراقي فرض نفسه بقوة في السجال والحراك والنشاط الفكري والثقافي والسياسي في المجتمع العربي المعاصر، وأصبح بعد سنوات من العطاء والعمل والإبداع والاجتهاد رمزاً من رموز التيار القومي ورمزاً من رموز التيار الإسلامي بمعنىً من المعاني، ورمزاً من رموز المحاولات الفكرية والسياسية النشطة التي تجري في العقدين الماضيين للتقريب بين النخب الفكرية والثقافية العربية بوجه خاص، وإقامة ما أسماه الدكتور محمد عابد الجابري الكتلة التاريخية بين التيارات الرئيسية في الأمة. واستحق بهذا الجهد تقديراً واسعاً في المغرب العربي وفي المشرق العربي. ومع أنه كان قليل الحديث عن الشأن العراقي لأنه كان يُعرف دائماً باهتمامه العربي وبجهده على الساحة العربية من خلال مؤسسة رائدة مشهورة أسسها وأشرف عليها هي «مركز دراسات الوحدة العربية»، ثم من خلال «المؤتمر القومي العربي» الذي قاد الدعوة لإنشائه، وكذلك من خلال «المؤتمر القومي ـ الإسلامي» الذي أشرف أيضاً على تكوينه، فإنه في السنتين الماضيتين أصبح يتحدث علناً عن الشأن العراقي لأن ما يجري في العراق الآن وما يجري على أرض العراق هو استثنائي أيضاً بكل المقاييس. وإلا من كان يصدق قبل عشر سنوات ـ مثلاً ـ أن العراق سيكون الآن بلداً محتلاً. ضيفنا أيها السادة ـ مشاهدينا الكرام ـ هو الدكتور خير الدين حسيب، أرحب به في استوديوهات قناة المستقلة. الحمد الله على السلامة وأهلاً وسهلاً بك.***

حسيب: شكراً أخ الهاشمي، وأنا سعيد أن ألتقي معك مرة أخرى.

■ ***سوف أتيح للسادة المشاهدين إن شاء الله طرح بعض الأسئلة عليك بعد أن أطرح عليك أسئلتي أنا، ويجري بينك وبينهم نقاش كما جرى في المناسبات السابقة.***

وسؤالي الأول يتصل بأطروحة كنتَ أنت دافعتَ عنها في الحوارات الماضية التي أجريتها معك عن العراق، كنت تتحدث دائماً عن وجود مقاومة في العراق. كثيرون يقولون إنه لا توجد مقاومة في العراق، إنما يوجد إرهاب أو توجد فوضى في العراق. لقد جرت الانتخابات. عندما التقينا في المرة الماضية كانت النتائج لم تعلن بعد، الآن تشكلت حكومة جديدة، وهناك آمال جديدة وتحديات جديدة. فلنبدأ

بموضوع المقاومة حتى نبدأ بداية ساخنة وقوية للحوار، هل ما زال هناك مبرر لمقاومة في العراق؟ وهل توجد مقاومة في العراق؟ ومن وجوه هذه المقاومة في العراق؟ وما هو برنامج هذه المقاومة؟ إذاً مجموعة أسئلة، نبدأ بما نستطيعه، ثم نطرح الأسئلة الفرعية، وتليها إجابتك.

حسيب: أخ الهاشمي. سوف أبدأ بمصادر أمريكية عن المقاومة(١). قبل أقل من شهر نشر أنتوني كوردسمان، الخبير في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، دراسة عنوانها «تمرد العراق المتطور»(٢)، والذي يريد أن يطلع عليها يجدها على موقع مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية على شبكة الإنترنت، وهو <http://www.csis.org>، أهمية هذه الدراسة أنها تشرح الوسائل التي تتبعها المقاومة بتفاصيل، وسيتبين لنا من قراءة الوسائل وتنظيم المقاومة وخططها والتقانة (التكنولوجيا) المتبعة أنها على مستوى عالٍ جداً، وذلك حسبما يقول كوردسمان وليس أنا.

■ ***حسبما يقول هذا الباحث الأمريكي. أنا أعطيك فرصة للبحث في هذه الأوراق، وأذكّر السادة المشاركين أن هذا الحوار، هذه الندوة، تأتيكم على الهواء مباشرة من قناة المستقلة في لندن، وضيفها المفكر السياسي العراقي الدكتور خير الدين حسيب، ومحاورها الوضع الراهن في العراق، الإرهاب في العراق، الحكومة الجديدة وإمكانية نجاحها، التيار القومي في العراق، هل بقي له موقع ووجود وتأثير؟ ونحن الآن نتحدث عن المقاومة للوضع القائم في العراق.***

حسيب: يذكر كوردسمان ضمن القسم الأول من دراسته **الأخطاء الاستراتيجية لأمريكا في العراق**، وفي القسم الثاني من دراسته يبيّن **«نمو وطبيعة تهديد التمرد»**، ثم يشير في **قسم ثالث إلى «الطبيعة المتطورة للتمرد»** في العراق. ويشير خلال ذلك إلى الوسائل التي تستخدمها المقاومة والتنسيق بين تنظيماتها وعملها، ويبيّن أن المقاومة

---

(١) هناك تقرير مهم للسيد جيفري وايت، الزميل في بيري للدفاع في معهد واشنطن، حول الموضوع والتعريف والتفريق بين «المقاومة» (Resistance)، و«التمرد» (Insurgency)، و«الإرهاب» (Terrorism). انظر: Jeffrey White, «The Assessment Challenge,» in: Washington Institute for Near East Policy, «Assessing the Iraqi Insurgency (Part I): Problems and Approaches,» 24 March 2005. (Policy Watch, no. 978).

(٢) Anthony H. Cordesman with the assistance of Patrick Baetjer, «Iraq's Evolving Insurgency,» Center for Strategic and International Studies (CSIS), 19 May 2005.

ونشرت **المستقبل العربي** ترجمة دقيقة للأقسام الرئيسة من هذه الدراسة في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٨ (آب/ أغسطس ٢٠٠٥)، ص ٣٤ ـ ٧٩. تطلق معظم الجهات ومراكز الدراسات الأمريكية حالياً اسم «التمرد» (Insurgency) على «المقاومة» (Resistance) (المحرر).

تتطور، وكلما طوّر الأمريكيون وسائل لمقاومتها تقوم المقاومة بتطوير وسائل مضادة. هناك تفاصيل مدهشة. وفي أحد التقارير الأمريكية الأخرى، يقول خبير في وزارة الدفاع الأمريكية إنه «عندما تنتهي الحرب في العراق ستدرس وزارات الدفاع والمقاومات في العالم تجربة المقاومة العراقية»(٣). وقد سبق لكوردسمان في تقارير سابقة أن أشار إلى أشياء مماثلة(٤)، كما سبق للمجموعة الدولية للأزمات(٥) أن أشارت إلى أشياء مماثلة. كما إن تقارير أمريكية كثيرة تشير إلى أن ٩٥ في المئة من المقاتلين في المقاومة هم من العراقيين(٦). وبالتالي كل ما يقال عن أن المقاومة هي من غير العراقيين، وأنها من العرب المجاهدين القادمين من الخارج هو كلام لذر الرماد في العيون وإخفاء الحقيقة.

الآن تسألني مَن هي المقاومة؟

■ ***من هي؟ فإن عراقيين كثيرين هنا عندنا وفي قنوات أخرى يقولون إنها جماعات إرهابية تكفيرية متشددة، يعني عصابات شر، باختصار، وليس مجموعات مقاومة.***

حسيب: البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر. العمود الفقري للمقاومة هو الجيش العراقي السابق. غالبيتهم وطنيون عراقيون وقسم منهم بعثيون سابقون

---

(٣) Stratfor, «The Iraqi Insurgency and the Lessons of War,» 28 January 2005.

(٤) Anthony H. Cordesman, «An Effective US Strategy for Iraq,» Center for Strategic and International Studies (CSIS), 1 February 2005.

وقد نشرت **المستقبل العربي** ترجمة كاملة للتقرير. انظر: أنتوني كوردسمان، «نحو استراتيجية أمريكية فعالة في العراق،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣١٣ (آذار/ مارس ٢٠٠٥)، ص ٣٤-٤٢.

(٥) International Crisis Group [ICG], «What Can the U.S. Do in Iraq?,» Report; no. 24, 22 December 2004.

وقد نشرت **المستقبل العربي** ترجمة كاملة للتقرير. انظر: المجموعة الدولية للأزمات، «ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل في العراق؟،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣١٢ (شباط/ فبراير ٢٠٠٥)، ص ٢٤-٥١.

(٦) انظر تحليل روبرت كورنويل [وآخرون] في: Rupert Cornwell [et al.], «Is the World Safer Now?» *Independent*, 28/1/2005.

وقد ذكر بيتر آيسلر (Peter Eisler) وتوم سكويتيري (Tom Squitieri) في جريدة **يو. إس. إي. توداي** *(USA Today)* أن عدد المقاتلين الأجانب المشتبه بهم يمثلون ما يقل عن ٢ في المئة من الـ ٥٧٠٠ موقوف الذين تم احتجازهم باعتبارهم يشكلون خطراً على الأمن في العراق. انظر: *USA Today*, 6/7/2004, p. 1.

كما يشير تقرير آخر قدّمه البنتاغون إلى الرئيس بوش حول تقييم معركة الفلوجة الأولى أن نسبة غير العراقيين الذين اشتركوا في معركة الفلوجة الأولى لا تزيد على ٢ في المئة، وأنه كان هناك في الفلوجة «هيئة أركان» على مستوى عالٍ من الخبرة والكفاءة تخطط للمعركة. انظر: Scott Ritter, «Defining the Resistance in Iraq: It's Not Foreign and It's Well Prepared,» *Christian Science Monitor*, 10/11/2003.

تابعون للنظام السابق، لكن الغالبية هم وطنيون عراقيون، وبدأوا بدايات مختلفة والتقوا مع بعضهم والآن ينسقون جميعاً في ما بينهم، وكل الفصائل الأخرى التي سأشير إلى أسمائها، فإن الجهة التي تخطط لمعظمها وتزوّدها بالتقانة (التكنولوجيا) هي الجيش العراقي من ضباط عسكريين وتصنيع حربي ومخابرات وصنوف أخرى من الجيش العراقي الذي تم حلّه وتسريحه من قبل الاحتلال. ولدى المقاومة مخابرات كفوءة، وباعتراف كوردسمان، فإن هذه المخابرات متقدمة كثيراً على مخابرات القوات الأمريكية وما يسمى الحكومة العراقية المؤقتة، ولديها قدرة على جمع معلومات عن القوات الأمريكية والقوات العراقية التي تتعاون مع القوات الأمريكية، وهي متغلغلة حتى في القوات الأمريكية[٧].

■ *هل جنسية كوردسمان أمريكية؟*

حسيب: نعم، هو أمريكي ومشهور في الأوساط الأكاديمية والعسكرية على السواء، نعود إلى السؤال:

مَن هي المقاومة؟[٨] المجموعة الأولى هي الجيش العراقي السابق، والذي يعمل تحت مسميين: الأغلبية منه تعمل تحت اسم **«الجيش الإسلامي السري»**، وهذه المجموعة تتكون من قوى من المجموعات التنظيمية والاستخبارية لأن مجموعهم من قادة وضباط الجيش والمخابرات. إن تشكيلاتهم مكتملة، أكثر قادتهم من أصول قومية عربية، وتفكيرهم مشبع بالعروبة والإسلام. كما إن لهم استراتيجية واضحة ووسائلهم واضحة، ومطالبهم السياسية واضحة، وعددهم أكثر من عشرة آلاف شخص على ما يعتقد بعض المطلعين، ويسمون أنفسهم أحياناً **«الجيش العراقي الإسلامي»**، أو **«الجيش الوطني العراقي»** وقد امتد نشاطهم إلى الديوانية والناصرية والعمارة حسبما تشير بعض المعلومات غير المنشورة.

المجموعة الثانية، التي هي جزء من الجيش العراقي، وهذه جزء أصغر وتابعة للبعثيين، جماعة حزب البعث وتعمل باسم **«جيش محمد»**[٩].

المجموعة الثالثة هي «جماعة أنصار السنة»، وهي جماعة منظمة، قسم كبير منهم تدرب في أفغانستان وعاد إلى العراق، يتبعون بأسلوب عملهم جماعة القاعدة، ولكن

---

(٧) انظر: Cordesman and Baetjer, «Iraq's Evolving Insurgency,» pp. 23-24.

(٨) المعلومات الواردة في هذه المقابلة حول مجموعات المقاومة هي معلومات خاصة غير منشورة تم الحصول عليها وتدقيقها من أكثر من جهة مطلعة.

(٩) حول علاقة البعث بالمقاومة، انظر ما جاء في: **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٤/٣/١١ حول ما كشفه المتحدث باسم الجيش الأمريكي في العراق حينئذ، الجنرال مارك كيميث عن هذه العلاقة.

ليست لهم علاقة تنظيمية معها بسبب اختلافهم فكرياً، واجتهاداً حول بعض المسائل، وعدد هذه الجماعة بحدود أربعة آلاف.

المجموعة الرابعة هي «جماعة أنصار الإسلام» وهي جماعة منظمة، تعلمت في أفغانستان وانتقلت إلى شمال العراق قبل الحرب مع الأمريكيين، وخاضت معارك ضد حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، وكانت الضربة التي وُجهت لهم في بداية الحرب قد أثرت فيهم، وأكثر هذه الجماعة من الأكراد ومعهم عدد كبير من العرب، وبخاصة من الكويت والسعودية. وكانت عملياتهم في الشمال تحديداً وانتقلت في الآونة الأخيرة إلى المحافظات في الوسط والجنوب، البصرة والعمارة، ويقودهم الملاّ غريغار، وهو مثقف ثقافة رفيعة، وله وسيلة إقناع مقبولة، وانتماؤه إلى الإسلام أكثر من انتمائه إلى العنصر الكردي، وعددهم يتجاوز خمسة آلاف.

المجموعة الخامسة «كتائب ثورة العشرين» ويُعتقد أنها مجموعة لها علاقة مع هيئة علماء المسلمين. عددهم قليل ولديهم إمكانيات مادية بسبب المساعدات التي وصلتهم من أطراف عربية ودولية، ولكن ليس لديهم الإمكانيات البشرية الكبيرة. عددهم ما بين ألف إلى ألف وخمسمائة، وكانوا ابتداءً في منطقة الفلوجة والرمادي وانتشروا الآن إلى الموصل وبغداد وديالى ومناطق أخرى.

المجموعة السادسة هي «جيش المجاهدين» وهي جماعة تشكلت من بعض الجماعات بعد الاحتلال، وكان الرابط بين هذه المجموعات هو المعاملة السيئة لهم من الاحتلال. الغالبية العظمى منهم قوميون عروبيون ناصريون يجمعون المال لشراء بعض السلاح، إمكانياتهم بسيطة، عملياتهم متفرقة، يعاونون المجموعات الأخرى عندما تكون العملية أو العمليات في مناطقهم، وعددهم أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وهذه كلها تقديرات.

المجموعة السابعة هي «مجلس شورى المجاهدين»، وهذه المجموعة تكونت من اتفاق وائتلاف عدد كبير من المجموعات التنظيمية والغرض منها هو تنفيذ عمليات ضد الأمريكيين ووقف الأخطاء الحاصلة عند التنظيمات.

المجموعة الثامنة هي «جماعة القاعدة»، وهي الأكثر تمويلاً، وهذه الجماعة لها علاقة مع مجموعات عربية أخرى ولها شبكة واسعة، تعاونها جماعات من أصحاب رؤوس الأموال السعوديين، وكذلك مجموعات من المخابرات السعودية المعادية للسلطة. هذه الجماعة يتجاوز عددها خمسة آلاف شخص، وكانت تسمى أحياناً **«جماعة التوحيد والجهاد»** وتسمى حالياً **«قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»**. ويقودها «أبو

مصعب الزرقاوي». وليست لها علاقة تنظيمية مع بقية مجموعات المقاومة(١٠).

والمجموعة التاسعة هي «المقاومة الإسلامية الأصولية (الوهابية)» وكان يرأسها الشيخ مهدي الصميدعي، الذي اعتقل منذ بضعة أشهر، ويعتقد أنها صغيرة الحجم ومحدودة الفعالية.

والمجموعة العاشرة هي «المقاومة المسلحة للمسلمين الصوفيين»، وهي محدودة العدد ويعتقد أنها فعّالة.

والمجموعة الأخيرة تتألف من جماعات إما عائلية أو تنتمي إلى منطقة معينة، وهي موجودة في كل مناطق العراق وكل محافظاته، ولكن لا رابط بينها وليس لها علاقة بهذه المجموعات العشر التي ذكرناها.

■ *هذه الآن معلومات مفصلة.*

حسيب: هل هؤلاء إرهابيون أو إنهم مقاومون للاحتلال؟

■ *الذين يقتلون الناس في الحلة، ويضربون الأبرياء، لا شك في أنهم إرهابيون.*

حسيب: هذه عمليات لا علاقة للمقاومة الوطنية الشريفة بها. هناك جهات أخرى، قسم منها ما يسمى جماعة الزرقاوي، وقسم مخابرات أمريكية، وقسم مخابرات إيرانية، وقسم موساد، وقسم من جماعة لحد الذين ذهبوا إلى إسرائيل في أعقاب تحرير جنوب لبنان، وموجود قسم منهم في العراق الآن، وقسم منهم يعملون في أعمال الخطف والابتزاز . . . إلخ وقسم يعملون كمترجمين. إن هذه الأعمال لا علاقة للمقاومة بها. وجماعة الزرقاوي هم خارج إطار المقاومة الوطنية، وبالتالي فإن المقاومة ليست مسؤولة عن أعمالهم، ومسؤولية الأمن في الدولة هي

---

(١٠) قامت الجهات الأمريكية عمداً بتضخيم دور هذه المجموعة ونسبت إليها أعمالاً كثيرة لا علاقة لها بها. كما قامت بعض مجموعات المقاومة بنسبة بعض عملياتها إلى جماعة الزرقاوي لتضليل قوات الاحتلال. انظر حول ذلك: Walter Pincus, «CIA Studies Provide Glimpse of Insurgents In Iraq,» *Washington Post*, 6/2/2005, p. 19.

حيث يقول هذا التقرير إن «المقاتلين الأجانب الذين يحسبون على أبي مصعب الزرقاوي ومقاتليه من مجموعة المتمردين المنتسبين إلى القاعدة، والذين كان يعتقد أنهم المعارضون الرئيسيون إلى جانب عشرات الآلاف من المجرمين الذين أطلق صدام حسين سراحهم قبل بدء الحرب في ٢٠٠٣، فإنهم يوصفون الآن بأنهم عناصر أقل أهمية، ولكنهم لا يزالون يمثلون مصدر خطر». وحول حقيقة الزرقاوي، انظر: «Iraq: The Struggle for Orders,» *Economist* (September 2004), pp. 49-50, and Robert Scheer, «Is Al Qaeda Just a Bush Boogeyman?,» *Los Angeles Times*, 11/1/2005.

مسؤولية قوات الاحتلال ومسؤولية ما يسمى الحكومة العراقية الانتقالية. الآن هل هؤلاء إرهابيون أو إنهم يقاومون الاحتلال؟ دعنا نرَ ما كبّدوه للاحتلال.

فقد قُتل حتى الآن من الأمريكيين ما يزيد على ١٧٠٠ عنصر، وهؤلاء هم فقط الذين يحملون الجنسية الأمريكية، كما إن هناك قتلى وجرحى بين المقاولين أو المتعاقدين[١١] الذين لا تدخلَ ضحاياهم ضمن الأرقام الرسمية للضحايا الذين يحملون الجنسية الأمريكية فقط، وهي الأرقام التي تنشرها الحكومة الأمريكية. وقد تكبدت القوات البريطانية هناك ٧٥ قتيلاً و٧٩٠ جريحاً[١٢]، فمن قتل وجرح هؤلاء أيضاً؟ عدد الجرحى في تقديرات مختلفة، تتراوح أعدادهم بين ٢٦ ألفاً إلى ٥٤ ألفاً[١٣]. وهذه

(١١) انظر: Michael Moore, «Those are not Contractors in Iraq... They are Mercenaries,» < http://www.michaelmoore.com/words/message/index.php? > ,14 April 2004.

(١٢) نشرت جريدة **الشرق الأوسط** الصادرة في لندن، بتاريخ ١٩/ ١/ ٢٠٠٥، هذه الأرقام نقلاً عن أرقام أصدرتها الحكومة البريطانية. ولكن جريدة **الأوبزرفر** البريطانية تشير إلى أنه قد تم إجلاء ٣٠٠٠ جندي بريطاني من العراق إلى بريطانيا لأسباب صحية منذ بدء العمليات العسكرية عام ٢٠٠٣.

انظر: Jason Burpee, «Soldiers Speak out as Evidence Points to High Levels of Mental and Physical Injuries in Iraq Conflict,» *Observer*, 28/11/ 2004.

(١٣) لا يمكن الاعتماد على دقة الأرقام التي تنشرها وزارة الدفاع الأمريكية. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣، أي بعد ثمانية أشهر فقط من بدء الحرب على العراق، ذكر جراح في قاعدة رامستين (Ramstein) الطبية في ألمانيا أن القاعدة الطبية قد استلمت حتى ذلك التاريخ ٩٥٠٠ مصاب من العراق والذين يحتاجون إلى جراحة وبينهم ٣٠٠٠ حالة بتر. وفي الشهر نفسه ذكر الإداري الرئيسي في مطار بغداد بأنه قد أرسل إلى خارج العراق حوالى اثنين وعشرين ألف جريح (٢٢٠٠٠) من الرجال والنساء من القوات.

وفي نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، ذكرت «جمعية المحاربين القدماء» أنها قد استلمت طلبات تعويض عجز من الجنود العائدين من العاملين في الخدمة في العراق بلغ عددها ٢٦٦٣٣ شخصاً. وبعدها بشهرين، وفي برنامج «McGlochlin»، السياسي الذي بثته CNN، فإن النقاش كان يدور حول رقم ٢٧٠٠٠، وهذا أيضاً يؤكد الأرقام المذكورة أعلاه. ومنذ نيسان/ أبريل ٢٠٠٤ وحتى كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥ (تاريخ التقرير)، أي خلال عشرة أشهر يقدر أن هناك ٢١٠٠٠ إصابة من نيسان/ أبريل ٢٠٠٤ حتى كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥.

وإذا ما أضيف ذلك إلى رقم جمعية المحاربين القدماء (٢٦٦٣٣) لما قبل نيسان/ أبريل ٢٠٠٤، يصبح المجموع ٤٨٠٠٠ إصابة. وإذا ما استخدمنا دليلاً تقريبياً بمعدل قتيل واحد لكل ثمانية جرحى، فإن عدد القتلى سيكون ٦٠٠٠ قتيل.

وفي رأي الكاتب أن الرقم الصحيح للإصابات في العراق هو حوالى ستة آلاف قتيل (٦٠٠٠) وثمانية وأربعون ألف جريح (٤٨٠٠٠)، أي ما مجموعه ٥٤٠٠٠ إصابة. وإذا كانت هذه الأرقام صحيحة، فإن البنتاغون يعلن فقط عن ٢٠ في المئة من الإصابات. وسيقول العديد من الناس بأن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، وأنهم لا يمكن أن يخفوا هذا العدد. ولكن فيتنام هي دليل مفيد، حيث ذُكر في البداية أن الـ ٦٠٠٠ شخص الذين قيل إنهم قُتلوا في أثناء العمليات (Killed in Action)، قد ارتفع عددهم إلى ثمانية وخمسين ألفاً (٥٨٠٠٠) وأضيف في ما بعد أربعون ألفاً (٤٠٠٠٠) الذين اعتُبروا مفقودين في أثناء العمليات. ولذلك فإذا كانت فيتنام مثالاً للحكم من خلاله، فإنه من المؤكد أن أرقام الإصابات في العراق قد تم التلاعب بها لأغراض الاستهلاك المحلي، وأن هذه هي بعض صور الهزيمة. انظر: Raja Mattar, «Defeat in Iraq? Real Casualty Figures,» < http://www.rense.com/general61/loses.htm > , January 2005.

ليست تقديراتي، بل تزوّدنا بها التقارير الأمريكية، وهناك تقديرات مختلفة. هؤلاء الذين جرحوا في معارك، وأكثر من نصف هؤلاء، ٥٤ في المئة، بحسب تقارير البنتاغون، جراحهم بليغة ولا يستطيعون العودة إلى الجيش[١٤]، إضافة إليهم هناك ٦٠٠ عنصر أعيدوا إلى أمريكا لأسباب اضطرابات عقلية، إضافة إلى حالات الانتحار، هذا بالنسبة إلى الأفراد.

هل نلقي نظرة على ما فعله من يسمونهم «الإرهابيين» بالمعدات الأمريكية؟

■ *تقصد الإرهابيين بمعنى من يسميهم الآخرون بالإرهابيين؟*

حسيب: أمريكا نشرت في العراق حوالى ٤٠ في المئة من معداتها العسكرية، فماذا حصل لها؟ الاستخدام غير العادي في العراق أدى إلى استهلاكها، إضافة إلى إعطاب وتدمير الكثير منها. هناك محلل عسكري يقول إن الدبابات والعربات الأمريكية من نوع برادلي المهمة الموجودة في العراق والتي اشتري معظمها في الثمانينيات استعملت (أي مشت) خمسة أمثال عمرها الافتراضي[١٥]. وقد أصبح معظمها لا يصلح إلا للمتاحف[١٦]. لقد خسر الجيش الأمريكي في العراق ٣٩٤ سيارة هامر (Hummer) وشاحنات متوسطة وثقيلة. وهؤلاء الذين يسمونهم بالإرهابيين هم الذين قضوا عليها. كما فقد الجيش ٩٧ دبابة من طراز M1 وعربات مدرعة مقاتلة وناقلات جند، وهذا الأمر يعكسه تقرير رسمي من وزارة الدفاع الأمريكية. كما يعترف التقرير أيضاً بأن رجال المقاومة دمروا ٧ دبابات من تلك التي يملكها الجيش الأمريكي، بينها ٤ من أحدث طراز دبابات أبرامز MIA7 و٣ دبابات من طراز أبرامز MIA1، وفقد الجيش ٥١ طائرة هليكوبتر من طراز أباتشي وبلاكهوك وكوبرا، أي ١٠ في المئة من طائرات الهليكوبتر الأمريكية الموجودة في العراق أسقطت من قبل المقاومة[١٧].

---

(١٤) نقلاً عن بول كريج روبرتس، الزميل في معهد الاقتصاد السياسي (من موقع لوروكويل) حسبما أشارت إليه جريدة: **الخليج**، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٤، ص ١٦.

(١٥) انظر: Andrea Stone and Dane Moniz, «Warn-out Army Equipment, 1980s Helicopters, Tanks Still in Use in Iraq,» *USA Today*, 29/1/ 2005, p. 7.

(١٦) هذا ما يقوله لورين تومبسون (Loren Thompson) المحللَ العسكري في معهد ليكسنغتون (Lexington) في إيرلنغتون في فرجينيا بالولايات المتحدة. انظر: المصدر نفسه.

(١٧) نقلاً عن تقرير للبنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) أُرسل إلى لجنتي القوات المسلحة في مجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين في ١٠ أيار/ مايو ٢٠٠٥، وأنها طلبت تمويلاً مالياً إضافياً بقيمة نحو خمسة مليارات دولار لتعويض الجيش الأمريكي وسلاح مشاة البحرية (المارينز) عن خسائرهما في المعدات العسكرية في الحرب التي تشنها الولايات المتحدة على العراق وأفغانستان. نقلاً عن: تقرير خاص من واشنطن من محمد دلبح بتاريخ ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٥.

لقد حصلت المقاومة مؤخراً على صواريخ جديدة، ولا بد أنك سمعت الرواية غير القابلة للتصديق القائلة إن طائرتين مقاتلتين F18 اصطدمتا في الجو، وبعد ذلك وجدوا حطام واحدة، والثانية لم يجدوها، والمنطق يقول إنه إذا اصطدمت طائرتان في الجو فإنهما تسقطان في الدائرة نفسها. ويبدو أن المقاومة حصلت على صواريخ أرض ـ جو جديدة أكثر فاعلية، بحسب المعلومات المتوافرة، وأصبحت تشكل خطراً على الطائرات الحربية كذلك.

■ ***المشكلة بالنسبة إلى كثيرين من العراقيين د. خير الدين حسيب، مع أنك أعطيت معلومات فيها إسهاب وفيها تفصيل، بحسب كلام كثير من ضيوفنا في برامجنا ما يلتبس عليهم هو أعمال الإرهاب، قتل الأبرياء من مدنيين وأطفال، وناس في المدارس وناس في الأسواق، يعني كيف تكون هذه مقاومة؟***

حسيب: هذه معلومات من أين مصدرها؟

■ ***من الناس الموجودين في العراق، يعني وكالات أنباء، الجيش الأمريكي، الحكومة، من الناس في الشوارع.***

حسيب: هناك قناة رسمية فضائية عراقية اسمها قناة «العراقية»، تعرض أشخاصاً واعترافات. تقول إن واحداً يعترف أنه ذبح فلاناً وفلاناً وفلاناً وقتل فلاناً وفلاناً وفلاناً واغتصب هذه وتلك . . . إلخ، وأحداث أخرى من هذا النوع. لقد بعثت **نقابة المحامين العراقية لجنة لتقصّي الحقائق** من خمسة محامين في نيسان/ أبريل ٢٠٠٥ إلى الموصل، وحققوا ورأوا المسؤولين ورأوا الأشخاص الذين اعترفوا . . . إلخ، وأصدروا تقريراً فيه قائمة أطلقوا عليها **«الموتى الأحياء»**، وفيها ما يربو على ٣٠ شخصاً الذين قالت الاعترافات إنهم ذبحوا وقتلوا . . . إلخ، فهم لا قُتلوا ولا ذُبحوا، بل لقد اعترف هؤلاء الأشخاص كذباً تحت التعذيب. وهناك قوائم أخرى تحوي اعتداءات على نساء . . . إلخ، كلها اعترافات تمت تحت التعذيب. إن الناس تسمع في قناة العراقية هذه الاعترافات وتظنها صحيحة، ولكن كم عدد الأشخاص الذين قرأوا تقرير لجنة نقابة المحامين؟ التقرير صدر في **المستقبل العربي**[١٨]، ونُشرت خلاصته في جريدة **راية العرب** في بغداد[١٩]، حتى يطّلع الناس على حقيقة ما يُنسب إلى المقاومة من أعمال.

---

(١٨) انظر: نقابة المحامين العراقية، «تقرير لجنة التحقيق عن أحداث التعذيب في العراق (الموصل)،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٧ (تموز/ يوليو ٢٠٠٥) ص ١٤٥-١٦١.

(١٩) انظر: **راية العرب**: ١٢-١٨/ ٦/ ٢٠٠٥، ص ١.

هناك إعلام أمريكي وإعلام عراقي رسمي وإعلام تابع لما يسمى بالأحزاب والميليشيات يعطي صورة مضللة للمقاومة، فالمقاومة تزداد قوة وانتشاراً، كما تزداد العمليات النوعية للمقاومة بحسب التقارير الأمريكية نفسها التي يشير بعضها إلى النجاحات التي حققتها. لقد قام مايكل إيزنستات (Michael Eisenstadt)، مدير برنامج الدراسات الحربية والأمنية في معهد واشنطن، على سبيل المثال فقط وليس الحصر، بدراسة لتقييم المقاومة العراقية نشر في ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٥[٢٠]، وبيّن فيه:

١ ـ أن المقاومة (يسميها التقرير المتمردون (Insurgents)) «**نجحت**، من خلال الموافقة أو التخويف، في إثبات نفسها كقوة رئيسية، وإن لم تكن مسيطرة، في المثلث السنّي، حيث شكلّت القيم السياسية والمعنويات العامة في أقسام كبيرة من تلك المنطقة».

٢ ـ «**ردعت** العديد من سكان المثلث السنّي من العمل في الحكومة الجديدة. ومعظم المجالس المحلية في تلك المنطقة لم تعد تعمل. كما انهارت بعض وحدات «الحرس الوطني العراقي» تحت ضغط التهديدات والهجمات».

٣ ـ «**عقّدت**، ولكنها لم تشل، الانتقال السياسي . . .».

٤ ـ «**ساهمت** في إبطاء حركة إعادة الإعمار في عدة مناطق وردعت الاستثمارات الأجنبية».

٥ ـ «**ساهمت** في مغادرة عدد من قوات الائتلاف أو التي ستغادر».

٦ ـ «**فشلت** في جعل الوجود الأمريكي غير محتمل لمعظم العراقيين، حيث إن عدداً من الشيعة والسنّة لا يزالون يقبلون بتأفف الوجود الأمريكي كضرورة لتفادي الفوضى أو الحرب الأهلية، والبعض يتسامح مع وجودها لأنهم يعتقدون أنها ضرورية لانتقال سياسي ناجح».

٧ ـ «**فشلت** في جذب أعداد كبيرة من الجهاديين من أطراف العالم الإسلامي أو التحريض على النزاع الطائفي (ولو أنهم قد ينجحون في تحقيق هذا الهدف الأخير)».

٨ ـ «والأكثر أهمية، أن المتمردين [المقاومة] **فشلوا في** إعاقة الانتقال السياسي أو إيقاف الجهود لتجنيد وتجهيز قوات الحرس الوطني . . .».

---

(٢٠) «Insurgent Accomplishments: A Balance Sheet,» in: Michael Eisenstadt, «Assessing the Iraqi Insurgency (Part II): Devising Appropriated Analytical Measures,» Washington Institute for Near East Policy, 25 March 2005. (Policy Watch; no. 979).

٩ ـ ويقول الخبير «واستناداً إلى الاعتبارات السابقة، ما هي المعايير التحليلية التي يمكن استعمالها لقياس نجاح المتمردين [المقاومة] في تحقيق أهدافهم الاستراتيجية؟»، والتي يشير إليها كما يلي:

أ ـ «**استمرار** المشاركة الواطئة المستوى للعرب السنّة في أنشطة الحكومة العراقية، في مقابل مستوىً عالٍ للتأييد الشعبي للمقاومة [لأول مرة يستعمل هذا التقرير تعبير المقاومة (Resistance)]. وسيكون من المهم التأكد من أن هذه العوامل ليس سببها تهديد المتمردين أو أنها نتيجة المجافاة الشعبية للحكومة أو أنها تأييد شعبي حقيقي للمقاومة [يذكر ثانية المقاومة].

ب ـ **الفشل** المتكرر للحكومة العراقية لتحقيق المراحل الزمنية المحددة في قانون الإدارة الانتقالي (على سبيل المثال إعداد مسودة دستور، وانتخاب حكومة دائمة) نتيجة عرقلة العرب السنّة...».

ج ـ «**عدم قدرة** قوات الحرس الوطني على تحقيق أهداف التجنيد خارج مناطق العرب السنّة الرئيسية؛ أو الغياب المتفشي والهرب بين أفراد قوات الحرس الوطني؛ أو نمو المليشيات العشائرية والحزبية نتيجة عدم وجود الثقة في قوات الحرس الوطني».

د ـ «**التحرر الشعبي** من الوهم بالعملية السياسية (بحسب ما تقيسها استطلاعات الرأي العام)، التي يمكن أن تجعل من وجود قوات الائتلاف أمراً غير حصين».

هـ ـ «**الثقة المتدنية** في فاعلية قوات الحرس الوطني وفقدان تطابق هويتها مع الحكومة العراقية (مقاسة بمعلومات الاستطلاع)، التي تؤدي إلى مشاركة سياسية واطئة المستوى ورفض التعاون مع السطات العراقية».

و ـ «**أحداث العنف الطائفي** من قبل العراقيين الذين يتصرفون من دون تحريض من مجموعات أو محرّضين من المتمردين، والتي تنتج من المنازعات الدنيوية، والظاهر أنها أمور غير سياسية».

ثم يمضي التقرير في اقتراح وسائل لمجابهة المقاومة[٢١].

أما القوات الأمريكية، فإنها تزداد ضعفاً، لماذا؟ لأن هناك القتلى والجرحى. وأما ما تسمى قوات الائتلاف الأخرى التي معها، فهناك ١٢ دولة منها انسحبت، ويمثل

---

(٢١) انظر: المصدر نفسه.

عدد القوات المنسحبة ١٠ آلاف، وسينسحب عدد آخر منهم من الآن حتى نهاية السنة، بما فيها قوات أوكرانيا وبولونيا وبلغاريا وهنغاريا . . .(٢٢).

■ ***هذه الجماعات التي تعتبرها أنت مقاومة ماذا تريد؟ ما هو برنامجها السياسي؟***

حسيب: المقاومة نشرت برنامجاً سياسياً تريد فيه انسحاب الاحتلال، وأن تكون هناك حكومة وطنية انتقالية تضع قانون انتخاب وتجري انتخابات، وتشكل مجلساً وطنياً (برلماناً)، وتختار رئيس جمهورية، وتكون هناك تعددية سياسية . . . إلخ، هذه سبق أن أعلن عنها، أما الذي لا يريد أن يقرأ فإنه لا يريد أن يعرف.

■ ***هذه مجموعات كثيرة، فكيف لها أن تتفق على برنامج سياسي؟***

حسيب: لست أنا الذي أقول، إنما كوردسمان هو من يقول، إن هناك تنسيقاً على مستوى المحافظات وعلى مستوى مركزي بين هذه المقاومة، عدا الزرقاوي.

■ ***الآن كثيرون من العراقيين يقولون إن هذا أمر في غير محله. لماذا يقولون هذا؟ أنا أكيد أن مشاهدي البرنامج يسمعون يومياً في المستقلة وغيرها من يقول إن قادة العراق اختاروا العمل السياسي، والبديل عن هذا العمل السياسي هو أن يسقط العراق مرة أخرى في يد الإرهابيين والبعثيين، وبالتالي المقاومة نفسها عمل غير مشروع لأن قوى العراق الحية لم تقل بها؟***

حسيب: هل يمكن أن تقول لي أي احتلال في العالم ظهر من دون أن تظهر مقاومة مسلحة؟

■ ***هذه عبقرية العراق، يقول الذين يتحدثون معنا، هذه العبقرية العراقية، وهذا أسلوب العراق الخاص في التعامل مع الوضع.***

حسيب: الذين يقولون إنه عن طريق المقاومة السلمية نخرج الاحتلال، دعنا نر ماذا يقولون. ماذا يقول ما يسمى رئيس العراق الحالي. لقد صرّح بعد انتخابه أن القوات الأمريكية ليست قوات احتلال، وأنها قوات تحرير، ونحتاج أن يبقوا. كما صرح ما يسمى رئيس الوزراء الحالي، وفي أثناء تشكيله الوزارة، أن انسحاب القوات

---

(٢٢) حول قوات الائتلاف التي انسحبت أو ستنسحب من العراق، انظر: الفصل السابق من هذا الكتاب. حول توقيت انسحاب كل من أوكرانيا، بولندا، هنغاريا، البرتغال، انظر: Peter Speigel, «U.S. Sees Coalition Allies Step Up Pace of Pull-out,» *Financial Times*, 27/1/2005, *and Chicago Tribune*, 18/2/2005.

حول انسحاب القوات المجرية (هنغاريا)، انظر: **القدس العربي**، ١٦/ ١١/ ٢٠٠٤، ص ١. وحول انسحاب بولندا، انظر: Jan Cienski, «Poland Confirms Plans to Remove Troops from Iraq,» *Financial Times*, 12/4/2005.

الأمريكية يؤدي إلى حمام من الدم. وهكذا بقية القيادات. فكيف سيحررون العراق؟

■ ***هم يبررون هذا، وكان معي ضيف عراقي قبل ثلاثة أو أربعة أيام، سألناه في هذا الموضوع، وقال إن انسحابها الآن يعني عودة العراق تحت سلطة الأصوليين المتطرفين والبعثيين.***

حسيب: سبب المقاومة هو الاحتلال، وعندما يذهب الاحتلال تذهب المقاومة.

■ ***إذا ذهب الاحتلال، من سيحكم العراق؟***

حسيب: حكومة عراقية مؤقتة. الأمم المتحدة تعيّن رئيس وزراء ويؤلف حكومة انتقالية غير حزبية، بعد أن يحدد الأمريكيون جدولاً زمنياً قصيراً للانسحاب، وتأتي الأمم المتحدة بقوات عربية محدودة من دول عربية لا توجد لها مصالح في العراق، مثل اليمن والجزائر وتونس، ويعيدون تشكيل الجيش العراقي وتنتهي العملية. كما إن هناك اقتراحاً بإقامة «مجلس استشاري» من ١٥٠ عضواً يعمل إلى جانب الحكومة الانتقالية وإلى حين إجراء الانتخابات والاستفتاء على الدستور.

■ ***إذاً يحكم الجيش، كيف سيشكلون الجيش؟ الآن جاري تشكيل الجيش الجديد.***

حسيب: الحكومة الجديدة هي التي تحكم، ويمكن قوات عربية متعددة الجنسية تحت علم الأمم المتحدة أن تساعد العراق. وعندما تتم هذه العملية تعلن المقاومة وقف العمليات وإطلاق النار إلى أن يخرج الأمريكيون، ومن ثم تحل نفسها.

■ ***الأغلبية الشيعية لا ترضى أن تكون في العراق قوات عربية، لأنها تقول إن قوات عربية هي لدول سنّية، لا يمكن أن تكون محل ثقة.***

حسيب: ليختاروا أي قوات أخرى يتفق عليها العراقيون، فتأتي هذه القوات وتنسحب القوات الأمريكية تدريجياً ويتم إعادة تأسيس الجيش العراقي.

■ ***إذاً المراجع الكبار في العراق مثل آية الله السيستاني ومثل الناس المتصلين به والأحزاب الإسلامية العراقية الشهيرة المعروفة تمشي في هذا الخط، وطلبت قبل يومين من الأمم المتحدة تمديد فترة بقاء القوات المتعددة الجنسيات، إذاً هي تقدر أن هذه مصلحة دينية ووطنية للعراق؟***

حسيب: هذا ما يقول به العملاء، والذين يغطون العملاء. هؤلاء الذين يطلبون والذين طلبوا من مجلس الأمن تمديد القوات، هؤلاء عملاء للقوات الأمريكية وجاءوا مع الأمريكيين، وليس عندهم خيار إلا أن يقوموا بهذا، لأن الأمريكيين يريدون هذا. أما غيرهم من الذين يغطون هذا فهم مسؤولون عن ذلك أيضاً.

■ ***دعنا نذكّر بشيء، معظم حواراتنا السابقة دوّنت ونشرت في كتاب، ويمكن أن يقرأها إنسان بعد ٥٠ أو ٦٠ سنة، يقرأ أسئلتي هذه إليك، ويذهب ليؤول ويجمع ويحسب، ويجب أن نثبت مدوّناً أرجوك، إذا أحد فرّغ هذا الحوار، بأنني أحاول أن أضع أمامك الأسئلة التي يطرحها عليك مخالفوك في الرأي.***

حسيب: وأنا أرحب بهذا، والمقابلة كلها ستُنشر في المستقبل العربي في عدد تموز/يوليو ٢٠٠٥.

■ ***أنا أود أن لا يظن القارئ أبداً، وأقول هذا بصريح العبارة، حتى لا يكون هناك مجال شبهة أو ظن أو شك، إنني هنا أطرح عليك الأسئلة التي أظن أن مخالفيك في الرأي يرغبون في طرحها عليك، وأنا لست معنياً في الحوار إلا في أداء دوري كمحاور.***

حسيب: أنا لا مانع لدي، وأرحب بأي أسئلة تُطرح عليّ.

■ ***حتى لا يأتي واحد في ما بعد ويقول أنا أخذت الموقف الفلاني وغيره، أنا في الحوار محايد أقوم بواجبي فقط كمحاور صحافي في هذه الندوة.***

حسيب: دعني أذكر لك مثالاً واحداً على التطور التقاني (التكنولوجي) عند المقاومة. حوالى ٦٠ في المئة من القتلى والجرحى في القوات الأمريكية كان نتيجة متفجرات يزرعونها في جوانب الطريق. في البداية كان هذا عملاً بدائياً حيث المتفجرة مربوطة بسلك، وتتفجر عندما تأتي قافلة من بعيد. كان الأمريكيون يرون السلك ويذهبون إلى مصدره للتفتيش عن الذين وضعوا المتفجرة ليعتقلوهم. بعد ذلك توصلوا إلى تفجيرها بطريق التحكم من بُعد (Remote Control)، وبعد ذلك طوروها بحيث تكون المسافة بعيدة. ولكن الأمريكيين طوّروا جهازاً لمعالجة هذا بحيث تنفجر الشحنة إما قبل أن تأتي السيارة أو بعدها، ولكن المقاومة التي كانت تستعمل التحكم عن بعد لموجة تردد منخفضة طورت التحكم عن بعد على موجة تردد عالية، والآن الأمريكيون يعملون على تطوير أجهزة لاستخدامها مع موجة تردد عال ويريدون شراءها بـ ٣٥ مليون دولار، لكن المقاومة تعرف هذه الأجهزة. وهناك أشياء كثيرة، مثل التكتيكات التي تستعملها المقاومة، وكوردسمان يشير إليها بتفصيل، وهي شيء مذهل.

■ ***الحكومة العراقية تقول إنها الآن تريد تأمين بغداد من هذه الجماعات، وهي تعتمد «عملية البرق» المستمرة الآن، وهي تدعو الشعب إلى التعاون حتى تتم عملية تطويق الإرهاب في العراق.***

حسيب: لا أعرف إذا كنت قد اطلعت أمس على الاحتفال الذي كان في

النجف وكربلاء مع فيلق بدر. لقد خطب السيد عبد العزيز الحكيم، من يسمى رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، في الاحتفال وقال يجب أن تستعين الحكومة بالميليشيات للقضاء على الإرهاب، وسمّى فيلق بدر. وقد أضاف السيد جلال الطالباني، وهو من يسمى رئيس جمهورية العراق، والذي كان حاضراً الاحتفال، قال: وكذلك البشمركة، أي الميليشيات الكردية، يجب أن يساعدوا العراق في القضاء على الإرهاب.

■ *أنت تعترض على هذا؟*

حسيب: نعم اعترض. هل هذه دولة أم مجموعة عصابات؟ هذه دولة أم ميليشيات؟ هم يقولون لديهم ٤٠ ألفاً مما يسمى جيش وقوات الحرس الوطني، وينفذون عملية البرق، أين عملية البرق هذه؟ العمليات مستمرة في بغداد ومناطق مختلفة في العراق. الميليشيات، ما هي الميليشيات؟ تصبح مثل لبنان في الحرب الأهلية.

■ *مؤكد أنهم يستندون إلى الاعتقاد أن هذه الميليشيا كانت قوات تحرير للعراق؟*

حسيب: هؤلاء يعملون على شكل عصابات.

■ *هؤلاء في تصوّرهم أن تكون هذه الميليشات قوات تحرير.*

حسيب: تحرير ممن؟

■ *من صدام سابقاً.*

حسيب: صدام انتهى. الآن هناك حكومة ووزير دفاع ووزير داخلية، ويقولون هناك جيش وقوات مسلحة أصبح عددها الآن ١٦٠ ألف رجل، فما معنى أن يستعينوا بالميليشيات؟

■ *أنا أفهم من كلامك هذا أنه لا يوجد لديك أي أمل في أن هذه الحكومة التي يرأسها زعيم حزب الدعوة في العراق والتي تشارك فيها أحزاب كردية وإسلامية، ليس لك أمل في هذه الحكومة وفي فرصها في معالجة الوضع العراقي؟*

حسيب: هذه الحكومة يا سيدي، لا تحكم إلا في المنطقة الخضراء التي تحرسها القوات الأمريكية، وليس لديها سيطرة على أي جزء من بغداد، وهناك فريق حماية أمريكية لكل من هذه الأحزاب وما يسمى رئيس جمهورية ورئيس الوزراء. هذه الحكومة في طريقها إلى الانتهاء، وسوف يأتي يوم تخرج فيه قوات الاحتلال وكل العملاء معها من العراق.

■ ***هؤلاء في اعتبار أنصارهم هم مناضلون عراقيون اضطُهدوا في ظل حكم الرئيس صدام حسين، وعانوا وتحملوا اللجوء ومشاكله والسجن والتعذيب، وهم الآن جاءوا لقيادة هذه المرحلة المهمة، والتي هي مرحلة استثنائية بعد تحرير العراق؟***

حسيب: هذا منطق العملاء. العملاء لهم منطقهم الخاص بهم.

■ ***أنت لا ترى وجه حق لهم في ما يقولون؟***

حسيب: عندما يتحرر العراق، وتكون هناك حكومة وطنية ومجلس وطني منتخب انتخاباً صحيحاً، فكل هؤلاء وكل المجرمين من عام ١٩٥٨ حتى الوقت الحاضر يجب أن يحالوا على المحاكمة، وهؤلاء الحاكمون الآن يجب أن يحاكموا بتهمة الخيانة العظمى لأنهم استعانوا بالأجنبي على احتلال بلدهم.

■ ***هؤلاء عندهم غطاء ديني قوي، كثيرون منهم عندهم غطاء ديني قوي؟***

حسيب: العراق منذ تأسيسه في عام ١٩٢٠ إلى الاحتلال وسقوط بغداد يوم ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، لم يسبق أن تدخلت أية هيئة دينية فيه، شيعية أو سنّية أو مسيحية أو غيرها، في تشكيل وزارة أو تعيين وزراء، ولم تتدخل في السياسة. هذه نغمة جديدة جاء بها الاحتلال لتفريق العراقيين، ولم يعد يتكلم عن شعب عراقي، بل عن شيعة وسنّة وأكراد وعرب وتركمان. نحن في العراق تعودنا على دولة غير دينية. العروبة محتواها الحضاري إسلامي، لكن ليست حكومة دينية، والشريعة هي أحد المصادر الرئيسة للتشريع، ولكنها ليست المصدر الوحيد.

■ ***هذا كلام الأستاذ أياد علاوي؟***

حسيب: لا، هذا ليس كلام علاوي، هذا هو الشيء الذي كان يسري في العراق منذ تأسيسه إلى ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ عند احتلال بغداد.

■ ***لكن إذا كان مرجع كبير مثل السيد آية الله علي السيستاني يؤيد قائمة رئيسية في الانتخابات، وهو مرجع له احترامه الكبير عند الشّيعة ولا يمكن إنساناً أن يتجاهله؟***

حسيب: هذا خطأ كبير ارتكبه السيد السيستاني، مع كل الاحترام له. لا يجوز لرجل دين أو مرجع أن يتدخل في السياسة ويؤيد قائمة معينة، هذا خطأ وسوف يُكتشف في الانتخابات القادمة عندما يخرج الاحتلال وتكون هناك انتخابات حرة،

سيُكتشف كم من الشيعة سيتبعون السيد علي السيستاني[٢٣]. هناك أناس مخلصون ذهبوا إلى الانتخابات وهم يتصورون أن هذه هي الطريقة للتخلص من الاحتلال. والآن تبين لهم أن هذه الحكومة التي جاءت في الانتخابات هي التي تريد أن يبقى الاحتلال. كانوا يتوقعون أن تتحسن الخدمات، دعنا نر، هل تحسنت الخدمات؟ هل الأمن أفضل؟ هل خدمات الكهرباء والماء أفضل؟ هل البطالة أفضل؟ فما الذي عملته الحكومة؟ الناس سوف تحكم بنفسها على ما تراه.

■ ***كان عندهم في العراق ماء وكهرباء إلى حد ما، ولكن المشكلة أنهم كانوا كالأنعام، حاشاك، يعني كالحيوانات، لا يستطيعون أن ينطقوا برأي لأن الحكومة كانت مثل حكومات عربية كثيرة الآن تفعل الشيء نفسه، تمنع عنهم الأشياء الأخرى التي تجعل الإنسان إنساناً. لا يستطيعون أن يعبّروا أو يتظاهروا، لا يستطيعون أن ينشئوا أحزاباً.***

حسيب: وهل الآن الإنسان إنسان؟ الآن، في بغداد تنقطع الكهرباء ساعات طويلة، وحالياً تنقطع في بغداد أربع ساعات، وتأتي ساعتين، وأحياناً تنقطع لمدة ٢٤ ساعة كاملة. من قبل كان عندهم كهرباء طوال ٢٤ ساعة. كان لديهم مياه شرب نقية، كان لديهم تصريف المياه القذرة، وهناك تقارير أمم متحدة لا يوجد وقت حتى أقرأها الآن. الوضع الصحي الآن يزداد تدهوراً، والحصة التموينية تتدهور كميتها ونوعيتها[٢٤].

■ ***هناك ١٠ آلاف شخص عراقي، تقول الأمم المتحدة إنهم محتجزون عند القوات العراقية والأمريكيين؟***

حسيب: أكثر، وهناك تقارير أمريكية تقول إن مسؤولين عسكريين أمريكيين وجنود عائدين من العراق يقولون إن معظم المعتقلين في سجون الاحتلال لا علاقة

---

(٢٣) حول موقف سماحة السيد علي السيستاني مما يجري في العراق، انظر: علاء اللامي، «السيستاني يراهن على الحصان الخاسر،» **القدس العربي**، ٤/ ١١/ ٢٠٠٤، وعبد الحسين شعبان، «مكان رجال الدين.. المساجد ودور العبادة،» حوار أجرته معه ماجدة صبرا، **الشراع** (٢١ آذار/ مارس ٢٠٠٥)، وخاصة في إجابته حول «دور المرجعيات»، ص ٦٣-٦٤.

(٢٤) حول الأوضاع المعيشية في العراق وتدهور الحصة التموينية وارتفاع أسعار المواد الغذائية، انظر آخر التقارير الصادرة حول الموضوع: Louise Roug, «Iraqis Struggle to Make Ends Meet as Food Rations Shrink,» *Financial Times*, 17/6/2005, and Haifa Zangana, «So Much For Illusions: Despite the Elections, Ordinary Iraqis Face a Daily Struggle to Survive Attacks, Kidnappings and Killings,» *Guardian*, 7/3/2005.

لهم بالإرهاب ولا بالمقاومة ولم يقوموا بأي شيء[٢٥]، فلماذا لا يحاكمونهم؟ هناك أناس ما زالوا منذ سنتين داخل السجون، ومنهم من له سنة أو ستة أشهر. . . إلخ.

■ ***من الذي يستطيع أن يدافع عن هؤلاء الناس الآن؟***

حسيب: هذا حكم «قراقوش»، هل سمعت به؟ لا يوجد قانون ولا نظام ولا شيء، وليس هناك من يدافع عن الموقوفين.

■ ***الأحزاب يمكن أن تدافع عندهم؟***

حسيب: أية أحزاب؟ إذا كان خصمي حاكماً، فكيف أصنع؟

■ ***فلتأذن لي أن نأخذ سؤالاً من الأخ هشام، أخ هشام في هولندا مرحباً بك.***

هشام: إذا سمحت لي بدقيقتين، وسأختصر قدر الإمكان. **الملاحظة الأولى**: التقرير الذي أشار إليه الضيف هو من ضمن تقارير كثيرة جداً تصدر في الإعلام الأمريكي والأوروبي. والحقيقة هي كثيرة وتشير إلى ما يسمى بالمقاومة. وهو ليس التقرير الوحيد الذي يشير إليه ضيفك. **الملاحظة الثانية**: الدلائل تشير في العراق على أرض الواقع فعلاً إلى أن الأمور على عكس ما ذكره التقرير ويذكره الضيف معك، فالأوضاع في وسط العراق والجنوب والمناطق الكردية هي مناطق آمنة جداً، إذ ليس هناك جيوب لما يسميها المقاومة في الجنوب والديوانية والناصرية، هذا كلام غير صحيح على الإطلاق وبخاصة في المناطق الجنوبية. وهناك عوامل كثيرة تجعل هذه المناطق آمنة. الدكتور ضيفك كان له تصريح، فهو حقيقة استهان بالملايين من العراقيين الأشراف الذين توجهوا إلى الانتخابات، فهؤلاء لم يكونوا مرغمين ولم يساقوا من قبل قوات الاحتلال، ولكن ذهبوا، وكلنا ذهبنا، لنتمتع بحق إنساني، وكانت ملايين عديدة، وكان ما يسمى بالمقاومة التي هددت الذين يذهبون إلى الانتخابات بالقتل والتدمير والتكسير وتحليل قتلهم.

■ ***لحظة أخ هشام، دعنا نأخذ هذه النقاط الأولى مجتمعة نسمع فيها جواباً، ومن ثم بعدها أعطيك فرصة للمتابعة.***

حسيب: التقرير الذي أشرت إليه هو تقرير مركز دراسات استراتيجية

---

(٢٥) نقلاً عن: *Washington Post*, 9/5/2005.

وبحسب معلومات الجنرال الأمريكي غراندينبورغ، فإن ٩٦ في المئة من المعتقلين في معتقلات الاحتلال الأمريكي في العراق هم عراقيون، ونحو ٦٠ في المئة منهم من بغداد والأنبار، كما كشف عن وجود أطفال محتجزين في المعتقلات الأمريكية في العراق. ويقول تقرير الـ **واشنطن بوست** المشار إليه إن قوات الاحتلال الأمريكي قررت توسيع ثلاثة معتقلات وفتح معتقل رابع بتكلفة إجمالية تبلغ نحو خمسين مليون دولار.

وسياسية، ويعتبر أهم مركز في أمريكا، وأنتوني كوردسمان غالباً ما يستدعى من قبل الكونغرس لتقديم شهادة في هذا الأمر. والمعلومات المذكورة، سبق أن أعطى خلاصتها في شهادة يوم ١ شباط/ فبراير من السنة الحالية، تحت القسم في الكونغرس الأمريكي. وبالتالي أنا استند، ليس فقط إلى هذا التقرير، ولكن هناك تقارير أخرى ليس هناك وقت للإشارة إليها.

في ما يتعلق بالمقاومة في الجنوب أنا ذكرت أن البريطانيين بحسب تقرير لوزارة الدفاع البريطانية الذين هم في الجنوب في البصرة، خسروا ٨٦ قتيلاً و٩٠٠ جريح، فهؤلاء من قتلهم ومن جرحهم، وكيف؟ فإذا لم تكن هناك عمليات، فكيف حصل هذا؟ وكذلك القوات الأخرى في مناطق الحلة والديوانية والناصرية. . . إلخ، فهذه معلومات عن وزارة الدفاع البريطانية التي تنشر أسبوعياً تقارير وإحصاءات عن هذه الحالات، ويستطيع من يريد أن يعود إليها ويقرأها.

في ما يتعلق بالانتخابات، فقانون الانتخاب هذا أعدّه بريمر، الحاكم الإداري الأمريكي، أي المحتل، وعمل الانتخابات نسبية في مجموع العراق كله. يمكن أن تصحّ الانتخابات النسبية، لو كانت هناك أحزاب، وهناك برامج، على مستوى العراق أو على مستوى المحافظات، لكن لا يوجد أحزاب لديها برامج ولا أعلنت أسماء المرشحين الخاصين بها. إن القانون الخاص بالمفوضية التي تشرف على الانتخابات أعدّه بريمر وأشخاص عيّنهم بريمر، وبالتالي أين الحياد في الانتخابات؟ وأي انتخابات هذه تحت الاحتلال؟ هناك في مركز كل محافظة قنصلية أمريكية(٢٦)، و٣,٥ مليار دولار من المساعدات الأمريكية تم تحويلها لأغراض الأمن ووزعت على الناس، أية انتخابات حرة هذه؟ أنا احترم الناس الذين صوّتوا، وسبق أن قلت ذلك وأقوله الآن، الغالبية الساحقة هم أناس مخلصون ووثقوا بالشعارات التي رفعت من أن هذه هي الطريق إلى زوال الاحتلال، وقسم منهم كانت استمارات الانتخاب قد وزعت عليهم في مراكز البطاقات التموينية وخافوا إذا لم يأخذوا البطاقات، وهناك قضايا أخرى مختلفة. ولكن لا أشك في أنه في أول فرصة تتاح لهؤلاء أن يدلوا بأصواتهم في انتخابات حرة قادمة سيصوّتون للأشخاص الذين يعتقدون أنهم يمثلونهم، وذلك بعد أن شاهدوا نتيجة الانتخابات الماضية: لا احتلال خرج، ولا أمن أفضل، ولا كهرباء أفضل، ولا ماء أفضل، ولا فرص عمل أكثر(٢٧).

---

(٢٦) حول دور القوات الأمريكية في الانتخابات، انظر: Calum Lynch, «U.S. Troops Role in Iraqi Elections Criticized,» *Washington Post*, 27/1/2005, p. 14.

(٢٧) يقول الدكتور جابر حبيب (الأستاذ في جامعة بغداد) إن «متابعة مناقشات الجمعية الوطنية المنتخبة التي خصصت راتباً للعضو فيها يساوي عشرة أضعاف راتب الأستاذ في الجامعة من حملة درجة الأستاذية =

■ *أخ هشام أعطيك فرصة أخيرة الآن في الحوار.*

هشام: دكتور، في الحقيقة ومن دون شك، إن ما يسمى بالمقاومة تتمتع بالتنظيم والقوة والقدرة والتسليح والتمويل، فهي قوات الحرس الجمهوري السابق، وقوات الأمن الصدّامية التي تراكمت كالجرذان عندما تعرّض العراق للاحتلال، وسابقاً هذه الأجهزة الأمنية والأجهزة الصدامية التي كانت تقتل في كل شارع وكانت تعطي هوية، ألغت الهوية العراقية، وكانت تمنح هوية المخابرات لهامشيين، وكانوا يقتلون العراقيين، فهذه القوات التي تسمى الآن بالمقاومة هي نفسها التي تقتل العراقيين في الأسواق، في أسواق الصويرة التي لا يوجد فيها أي شيء، وفي كل مكان. لم نسمع من ضيفك الكريم سابقاً، إنه الآن يتحدث عن انتخابات وأحزاب، ولكن في الماضي عندما كان يلتقي بالرئيس السابق صدام وقادة النظام السابق، لم نسمع عنه أنه كان يتحدث عن انتخابات وحرية . . . إلخ.

■ *دعه يجُيب على هذه النقطة.*

حسيب: أنا لا أتكلم عن النظام السابق، في هذا الموضوع هناك أشياء سبق أن قلتها وكتبتها ولا أحد يستطيع أن يزايد عليّ في الوطنية، أنا من أول ضحايا النظام، فقد قضيت سنتين ونصفاً في السجن وتنقلت بين سبعة سجون. ولا تزال آثار التعذيب موجودة على جسدي. وقد كنت عندما ألتقي بأي مسؤول عربي، سواء أكان الرئيس السابق في العراق أم الرئيس المصري أو السوري، أقول له رأيي بكل صراحة وكل موضوعية. وأنا كنت أدعو إلى نظام ديمقراطي ولم أغيّر هذا. وفي كل المؤتمرات، وبخاصة في المؤتمر القومي العربي السنوي كانت البيانات تشير إلى

= وبخدمة لا تقل عن ٢٥ سنة، إلى جانب مخصصات حماية وتنقل وشراء أسلحة حماية وغيرها، حيث انشغل الأعضاء ومنذ الجلسة الأولى بالتحدث عن حقوقهم التقاعدية، وعملوا على وضع التشريعات لذلك، وكأنهم مجلس إدارة شركة يقررون امتيازاتهم بعيداً عن رأي المساهمين، وهم يشرّعون حقوقاً تقاعدية لعضو جمعية لن يظل فيها أكثر من ستة شهور. وقد تواصلت إلى الأمس المناقشات حول ضرورة ضم حماياتهم إلى الجيش وجعلهم يتمتعون بحقوق أفراده وضماناته، تكلفات أمنية لجمعية يتغيب أكثر من نصف أعضائها خوفاً من الوضع الأمني، فماذا توقعوا عندما رشحوا أنفسهم للانتخابات؟». ثم يمضي بالقول مشيراً إلى تصرف الوزراء السابقين أيضاً (بعد الاحتلال) بقوله «إلى ذلك كانت الحكومة السابقة [الحكومة الأخيرة تحت الاحتلال] قد أصدرت قبل رحيلها قرارات بمنح قطع أراضي لموظفي دواوينها، ورواتب تقاعدية لوزرائها بما يعادل ٨٠ في المئة من راتبهم أثناء الخدمة، فوزير خدم ربما لشهر أو لبضعة شهور لم يعرف فيها غير المنطقة الخضراء [منطقة في بغداد تحت حماية قوات الاحتلال] والمطار يتمتع براتب تقاعدي طيلة حياته، وربما لحفدته من بعده، مع تخصيص قصور سكنية لهم استورثت من النظام السابق، وبأجر رمزي ولمدة طويلة، وسط سكوت الحكومة الحالية في سياسة تخادم واضحة، أو رغبة في «مأسسة» هذه الامتيازات لتشملهم لاحقاً». انظر: جابر حبيب، في: **الشرق الأوسط**، ١٩/٦/٢٠٠٥، ص ١١.

موضوع الديمقراطية وموضوع التعددية. . . إلخ. هذا لا مجال للمزايدة فيه.

في ما يتعلق بالوضع الحالي، هناك أعمال فيها ذبح وقتل، فإذا قرأت التقرير الخاص بلجنة نقابة المحامين سوف تلمس الأعمال التي كانت تحصل. ما يحصل الآن من مجازر ومقابر جماعية، الآن بعد الاحتلال، قسم منها لا يقل عما كان يتم في السابق. يجب أن لا يغمض الإنسان عيناً ويفتح عيناً أخرى.

هشام: هذا دفاع عن النظام السابق؟

حسيب: أنا لا أدافع عن النظام السابق، بل إن النظام السابق كان دكتاتورياً، وأقولها بملء الفم، وليس لدي ما أخفيه. إنكم كلما تُحشرون بما نعانيه نتيجة الاحتلال تعودون إلى النظام السابق. إن الاحتلال ليس البديل للنظام الدكتاتوري، فأنا أدافع عن وطن وليس عن النظام السابق.

■ ***يا أخ هشام، يقول الدكتور خير الدين حسيب في حواره إن الأطروحات التي تدافع عنها أنت هي أطروحات دفاع عن احتلال بلد، فأنت موضوعياً تدافع عن احتلال بلدك، فما هو دفاعك أنت؟ لقد دافع هو عن آرائه كثيراً، فما هو ردك على من يقول إنك فعلياً تبرر لاحتلال بلدك؟***

هشام: الاحتلال جاء وأطاح بحكم الرذيلة الذي طحن عظام العراقيين وهتك أعراضهم وأوصل البلد إلى مرحلة الخراب والدمار الشامل.

■ ***إذاً هو لهذا السبب يستحق أن يُدافع عنه، بهذا نفهم وجهة النظر، وأعطيتك وقتاً كافياً يا أخ هشام. ولنأخذ الآن السؤال التالي من أسئلة المشاهدين من الأخ سعد.***

سعد: تحياتي لك وللدكتور الوطني المخلص الدكتور خير الدين حسيب. في الحقيقة إن كل ما ذكره عن المقاومة وأعمالها هو في اعتقادي قليل جداً بحقها، وأنا أستغرب جداً أنه (المشاهد) عراقي ويقول لا توجد مقاومة. إن بوش نفسه اعترف بشراسة المقاومة وقوتها. القوات الأمريكية تحاول أن تقلل من شأنها ولا تعطي الكثير من أخبارها. سوف أعطيك مثلاً صغيراً؛ قبل أكثر من شهر ذُكر خبر مقتضب عن موضوع اشتباك المقاومة العراقية مع الموجودين في منزل خير الله طلفاح في تكريت، وحالياً هو مقر للموساد والسي. آي. إي. يحرسون أنفسهم بأنفسهم ولديهم طاقم حماية خاص ومحاط بسور إسمنتي مرتفع أعلى من الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية، ولا يسمح حتى لقوات المارينز بالاقتراب منه. في الحقيقة، كما ذكر الدكتور خير الدين حسيب، هناك للمقاومة جهاز مخابراتي متطور جداً، بحيث أصبحت لديهم معلومات عما يحدث في داخل هذا البيت من الأعمال اليومية، ومنها أنه في

يوم من الأسبوع يدخل صهريج ماء، أو سيارة خزّان، لسحب المياه الآسنة، ومن يدخل معروف لديه ومؤمن عليه. والغريب أن أحد الاستشهاديين دخل في هذه السيارة ولا أدري كيف دخل، وفي داخل المنزل فجر نفسه بالسيارة بحيث تناثرت قطع الجثث على بعد ٢٠٠ متر من المنزل.

■ ***أخ سعد، أنت تشرح الآن تفاصيل لا يوجد لدينا صراحة طريقة للتأكد منها، لقد كان الدكتور خير الدين حسيب يتحدث عن تقارير أمريكية وحجته مفهومة، وبخاصة حينما يعرض تقارير أمريكية. أشكرك على مساهمتك في الحوار. الآن وقبل أن آخذ الأخ فاهم عبد الحميد من برمنغهام، عندي سؤال آخر للدكتور خير الدين حسيب. دكتور خير الدين حسيب، هناك موضوعياً من يقول إنه مهما قلت في هذه المقاومة فإن معركتها خاسرة لأنها تواجه الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تواجه إيران التي يقول كثيرون إنها هي المستفيد الثاني الرئيسي من العراق، والعراق وقع الآن بين أيديها ولن تفرط به ثانيةً أبداً كما يرى البعض. وبالتالي فإن المقاومة نوع من الانتحار بالنسبة إلى الناس الذين يشاركون فيها.***

حسيب: هذا ما يقوله بوش وتشيني، ولكن أعضاء الكونغرس الأمريكي يقولون شيئاً آخر. بوش وتشيني أدليا بتصريحين يوم الثلاثاء الفائت. لقد قال بوش في تصريح في مؤتمر صحافي في حديقة البيت الأبيض إن الأمور تسير في العراق بشكل جيد، وإنه متفائل، إذ إن الانتخابات جرت بشكل جيد، وسوف يكون هناك دستور، وتشيني يقول أكثر من هذا. ولكن دعنا نر ما هو رأي أعضاء الكونغرس الجمهوريين قبل الديمقراطيين. لقد قال عدد من أعضاء الكونغرس الجمهوريين: «لا نستطيع أن نقول بأي ثقة بأن ما قاله هو دقيق». هذا كلام العضو في الكونغرس ستيف شابوت. ويقول عضو لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس: «أنا أعتقد أنه من غير الممكن أن نعرف إلى أي مدى نحن قريبون من التغلب على المقاومة». وهناك عضو جمهوري آخر اسمه كيرد ويلدون، ذهب مع عضو ديمقراطي آخر في زيارة إلى العراق، قال: إن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد وآخرين يضللون الأمريكيين عن عدد القوات العراقية الفاعلة، وحذر الرئيس أن عليه أن يعطي اهتماماً أكثر لقضايا الحدود، كما قال: «لا نريد أن نرفع مستوى التوقعات عند الشعب الأمريكي قبل الأوان». هناك عضو ديمقراطي آخر، وهو زعيم مجموعة الأقلية في الكونغرس، واسمه هاري ريد، يقول «إن الديمقراطيين يعارضون سياسة الرئيس بوش ويفتشون عن سياسات بديلة، وإن الإدارة فشلت في أن تكون بمستوى توقعات الناس، وإن الإدارة فشلت في توفير المعلومات الحقيقية الكاملة للشعب الأمريكي». وقال السناتور الديمقراطي جوزيف بايدين الذي كان في العراق، إن القواد العسكريين في العراق

أخبروه بشكل شخصي أن الولايات المتحدة تحتاج إلى سنتين على الأقل لتدريب العراقيين، أي الجيش والقوات المسلحة العراقية، وأنا لم أسمع بأن المتمردين يهربون، وأننا على منعطف الطريق من أي إنسان في العراق. وهناك عدد من التصريحات المماثلة صادرة عن أشخاص كلهم أمريكيون جمهوريون وديمقراطيون[٢٨].

---

(٢٨) انظر آخر التقارير المتوفرة حول ذلك في: Sheryl Gay Stolberg, «Law Makers Push Bush for Iraq Exist Strategies».

وفي تقرير آخر مماثل للصحافي هشام ملحم يذكر التفاصيل نفسها تقريباً في المصدر السابق. انظر: النهار، ١/٦/ ٢٠٠٥، ص ٧. ويبين أولاً ما صرح به الرئيس بوش مؤخراً بقوله: «جدد الرئيس جورج بوش في رسالته الإذاعية الأسبوعية تصميمه على مواصلة الحرب في العراق ضد «عدو قاس يستمتع بقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال»، وتعهد بعدم قبول أي نتيجة «أقل من الانتصار» في هذه الحرب. ونبّه الأمريكيين إلى أن إنجاز هذه المهمة لن يكون سهلاً أو بين ليلة وضحاها، ورأى أن قرار الإرهابيين جعل العراق مسرح المواجهة مع الأمريكيين، قد «حوّل العراق امتحاناً حيوياً لمستقبل أمن بلدنا والعالم الحر».

ثم يضيف في إشارة إلى التحولات الحاصلة لدى الرأي العام الأمريكي وبعض أعضاء الكونغرس التي لا تتفق مع تصريحات الرئيس بوش، بقوله: «وفي إشارة إلى انحسار تأييد الأمريكيين للحرب وازدياد مشاعر الإحباط في أوساط الرأي العام لحرب تبدو كأن لا نهاية لها»، حيث يقول: «وأتت كلمة بوش في نهاية أسبوع حافل بالتطورات الأمنية والسياسية المقلقة في العراق وفي الولايات المتحدة حيال الحرب ومضاعفاتها على مستقبل إدارة بوش، ومع وصول عدد الخسائر الأمريكية إلى ١٧١٧ قتيلاً، ونحو ١٣ ألف جريح. وفي الأيام الأخيرة أظهرت استطلاعات الرأي مدى الانحسار الكبير في تأييد الأمريكيين للحرب، والانخفاض الملحوظ في دعمهم أداء بوش في العراق والذي وصل إلى ٣٧ في المئة فقط، وفقاً لاستطلاع رأي أجرته قبل يومين صحيفة النيويورك تايمز وشبكة «سي. بي. أس.» الأمريكية للتلفزيون. وترى أكثرية من الأمريكيين الآن أن الحرب في العراق كانت خطأ».

ويضيف قائلاً: «وشهد الكونغرس بداية تطورات مقلقة لإدارة الرئيس بوش، يمكن أن تتحول إجراءات خطرة إذا استمرت في الاتجاه الذي تسير فيه، ومنها دعوة النائب الجمهوري والتر جونز الرئيس بوش إلى اقتراح جدول زمني لسحب القوات الأمريكية من العراق، صاحبه في مجلس الشيوخ اقتراح مماثل من السناتور الديمقراطي راسل فاينغولد. وجاء هذا بعد أيام من تصويت لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب بأكثرية ٣٢ صوتاً مقابل ٩ مع دعوة البيت الأبيض إلى تقديم خطة للكونغرس حول إقامة حكومة مستقرة في العراق لها قدرات عسكرية، كمقدمة «تسمح بتقليص الوجود الأمريكي» في العراق. في غضون ذلك، يكثر الحديث في أوساط الكونغرس وفي أوساط مراكز الأبحاث عن أفضل السبل لاعتماد «استراتيجيا خروج»، أي انسحاب من العراق بأقل ضرر ممكن».

ويقول أيضاً: «وفي خطوات أقل ضرراً للبيت الأبيض، وإن ليس بالضرورة أقل إحراجاً، نظم النائب الديمقراطي جون كونيورز الخميس جلسة غير رسمية (في أحد أقبية الكونغرس) نوقشت فيها «مذكرة داوننغ ستريت»، وهي مذكرة بريطانية رسمية سربت إلى وسائل الإعلام تظهر أن بوش قرر غزو العراق في صيف ٢٠٠٢ أي قبل الذهاب إلى الأمم المتحدة، وبعد أيام سيقرأ النائب الديمقراطي رام إيمانويل في قاعة الكونغرس جميع أسماء الجنود الأمريكيين الذين سقطوا في العراق».

ثم يحذر من عدم المبالغة في أهمية هذه التطورات بقوله: «وحتى الآن، لا تزال الدعوات إلى الانسحاب محدودة، ولا يعتمدها أقطاب الكونغرس من الحزبين، لكن إذا استمر الوضع الأمني في العراق في التدهور، وإذا برزت عقبات سياسية جديدة، مثل التأخر في صوغ الدستور، فإن هذه التطورات قد تنعكس سلباً على إدارة بوش، وتؤدي إلى زيادة عدد الأصوات الداعية إلى اعتماد «استراتيجيا خروج» من العراق».

ولكنه يحذر أيضاً من التقليل من أهمية هذه التطورات بقوله: «ومع اقتراب موعد الانتخابات النصفية =

■ ***هناك سؤال لم تجب عنه حول إيران. قبل أن نسمع جوابك حول إيران؛ مشكلة المقاومة العراقية أنت تسميها المقاومة، وكثير من العراقيين عندنا وفي قنوات أخرى يقولون عنها إرهاب، إنها بخلاف المقاومة الجزائرية أو حركات المقاومة السابقة أو حتى التونسية أو المغربية أيام الاستعمار في النصف الأول من القرن العشرين، كانت تحظى بتعاطف شعبي ورسمي عربي، الآن الجو كله مع الأمريكيين ومن الصعب أن تقوم أية دولة عربية بالمغامرة وتأييد هذه المقاومة، والرأي العام العربي يتلقى روايات متعددة، فهذا ربما يستخدمه البعض كحجة إضافية على ضرورة البحث عن خيار آخر. ولكن قبل أن نتحدث ونعلق على هذه النقطة، يقولون، دكتور خير الدين حسيب، إن من معوقات خيار المقاومة في العراق أن إيران سيطرت الآن على العراق، تحت الاحتلال الأمريكي، الإيرانيون الآن حسبما يقولون يهيمنون على البصرة، ويهيمنون على النجف، ويهيمنون على كربلاء، ويهيمنون على مناطق في بغداد، وبمخابراتهم وميليشياتهم يعتقلون من يعارضهم، فهم يعدمون أشخاصاً ويصفّون أشخاصاً، يقولون إن إيران حققت ما كانت تحلم به منذ ألف سنة في العراق؟***

حسيب: أخ الهاشمي، هذا الكلام الذي تقوله عن العراق، ألا يتناقض مع الأسئلة التي قلتها إنه عن طريق الانتخابات يتخلص العراق من الاحتلال ويحقق استقلاله، فأي استقلال هذا إذا كانت إيران ـ كما تقول أنت ـ تتحكم بالعراق؟

= سنة ٢٠٠٦، حين سينتخب جميع أعضاء مجلس النواب وثلث أعضاء مجلس الشيوخ، من المتوقع أن ترتفع أصوات متزايدة في مجلسي الكونغرس، وتحديداً مجلس النواب، وانسجاماً مع اتجاهات الرأي العام، لمطالبة بوش باقتراح جدول زمني لسحب القوات من العراق».

وقد سبق هذه التطورات الأخيرة مطالبات كثيرة تطلب من الإدارة الأمريكية وضع سياسة خروج لقواتها من العراق: انظر: William Pfaff, «An Exit Strategy Based on Iraqi Nationalism,» *International Herald Tribune*, 4/5/2004, and Marty Mechan, «An Exit Strategy for Iraq,» *Boston Globe*, 16/1/2005.

كما طالب ثلاثة من كبار الزعماء في الأحزاب الرئيسية في بريطانيا بضرورة سحب قواتهم من العراق بعد انتهاء التفويض الذي منحته الأمم المتحدة للقوات المتعددة الجنسيات، أي بعد عام.

جاء ذلك في **مقالة مشتركة في مجلة التايم** *(Time)* لوزيري الخارجية السابقين **روبين كوك** (حزب العمل) **ودوغلاس هيرد** (المحافظون) والناطق باسم حزب الأحرار الديمقراطيين **متريس كامبل** (السبت ٢٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥)، وكان كول قد استقال من منصبه احتجاجاً على الحرب في العراق.

وأكد الثلاثة أنه إذا استمرت القوات البريطانية والأمريكية لفترة طويلة في العراق، فإن الاحتلال سيصبح جزءاً من المشكلة الناجمة عن الموقف الأمني، وليس جزءاً من الحلّ، ولذلك ينبغي تحديد مهلة زمنية للانسحاب، انظر: **الحياة**، ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥، ص ٤؛ Joseph T. Siegle and Marton H. Halperin, «Bush's Rhetoric, Battles with his Policies,» *International Herald Tribune*, 3/2/ 2005, p. 8; Ralph Nader, «A Rice-Wolfowitz Exit Plan?: Is the End of the Iraq War Occupation Near?,» *CounterPunch* (29 March 2005), <http://www.counterpunch.org/nader03292005.html>, and Alvin Powell, «Former CIA Director Calls for Iraq Withdrawal,» MIT Professor Deutch delivers Phi Beta Kappa Oration, Harvard University News Office, 10 June 2005.

■ ***كثيرون يقولون، وعراقيون قالوا ذلك. إن إيران تخيف الآن حتى علماء الشيعة المعارضين لها؟***

حسيب: للأسف الشديد، على رغم أنني لا أزال أعتقد بأن إيران يجب أن تكون عمقاً إسلامياً للأمة العربية، لكن تصرفات إيران في ما يتعلق باحتلال العراق كانت تنطلق من نظرة أنانية إيرانية ومصلحة ضيقة، وكانت تبيع وتشتري مع الأمريكيين على حساب العراق(٢٩).

■ ***وزير الخارجية الإيراني قال وهو يمنّ على أمريكا إنه لولا إيران لما كان بوسع أمريكا أن تحتل العراق وأفغانستان؟***

حسيب: هناك عدد كبير من الإيرانيين، لا أريد أن أتكلم عن العراقيين الذين هُجّروا إلى إيران، فهؤلاء من حقهم أن يعودوا إلى العراق ويأخذوا حقوقهم وأملاكهم وكل شيء، بل أنا أتكلم عن الإيرانيين الذين لا يعرفون حتى اللغة العربية ورجعوا وأعطيت لهم جنسيات عراقية مزوّرة . . . إلخ. أنا أعرف صديقاً كان في لبنان وله ولدان أنجبهما في لبنان، وذهب واستخرج جنسية عراقية وشهادات ميلاد على أنهما مولودان في النجف وكربلاء.

■ ***اليوم قال سياسي عراقي إنهم يتعاملون في كربلاء والنجف بالعملة الإيرانية ـ التومان.***

حسيب: كذلك هناك معلومات، هناك تقرير لكوردسمان، يقول إن أكبر قوة منفردة موجودة في البصرة هي قوة مقتدى الصدر، وليس فقط في البصرة، ولكن في الديوانية وكربلاء والعمارة. وبالمناسبة، كان التيار الصدري جزءاً من المقاومة، وكانت هناك مقاومة في مدينة الصدر وفي النجف وكربلاء والكوت والعمارة . . . إلخ.

■ ***القيادة الصدرية بعد ذلك غيرت تكتيكها، أو ضُغط عليها ضغطاً شديداً؟***

حسيب: الآن أظن أنهم خصصوا ١٥٠ أو ٢٠٠ مليون دولار لإعمار مدينة الصدر، فهم الآن في هذه المرحلة، وسيصبرون حتى تنتهي هذه المرحلة، لكن عملياً مواقفهم السياسية لم تتغير، وأول من انتقد طلب الحكومة العراقية من مجلس الأمن التمديد لقوات الاحتلال كان مقتدى الصدر.

---

(٢٩) انظر: International Crisis Group [ICG], «Iran in Iraq: How Much Influence?» New Report, 22 March 2005, <http://www.crisisgroup.org>, and

شفيع بومنيجل، «خلفيات المواقف الإيرانية تجاه العراق المحتل: محاولة لفهم الدوافع،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣١٦ (حزيران/يونيو ٢٠٠٥)، ص ٥٤ ـ ٦٧.

■ ***ما تعليقك أنت على هذا الطلب الذي أشرت إليه؟***

حسيب: هذا عمل لا يقوم به إلا عميل وحكومة عميلة تطلب من الاحتلال أن يبقى. هؤلاء سيكون مصيرهم مصير حكومة فيشي بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد نهاية الاحتلال الألماني.

■ ***الآن ينتقدك كثيرون ممن يسمعونك في بغداد، وسيغضبون عليك غضباً شديداً.***

حسيب: أنا في الأمور العامة والقضايا الوطنية لا أجامل، لا يوجد لدي شيء شخصي، ولكن في قضية الوطن، نحن شعب تربى على مبدإ أن مفهوم الوطنية مساوٍ لمقاومة الأجنبي.

■ ***سيقولون هذا قومي لن يستطيع أن يغير أفكاره، أو حتى شوفيني، ولذلك يعيش خارج التاريخ.***

حسيب: صار لنا ٢٧ سنة في مركز دراسات الوحدة العربية، فقد باشرنا في أول عام ١٩٧٨، ونحن نعمل بشكل مستمر في قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأنشأنا المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وإذا كان لمؤسسة من فضل في أن تجعل التيار القومي يتبنى الديمقراطية، ثم يؤثر في التيار الإسلامي لتطبيق الديمقراطية، فهي مركز دراسات الوحدة العربية، فلا يستطيع أحد أن يزايد عليّ في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان.

■ ***نعود إلى النقطة التي أشرت إليها قبل قليل، الفرق بين ما تسميه أنت المقاومة في العراق والمقاومات الجزائرية والتونسية والمغربية أو غيرها ـ مثلاً ـ أنه كان هناك رأي عام عربي بالإضافة إلى رأي عام شعبي عارم مؤيد، والآن العراق معزول.***

حسيب: أنا سعيد أنك أثرت هذا السؤال. إن احتلال العراق لم تقم به فقط أمريكا وبريطانيا، فقد كانت حرباً أمريكية بريطانية ـ عربية. إن دول الخليج كلها من دون استثناء ساهمت في هذه الحرب، بشكل أو بآخر. كما ساهمت حكومات عربية أخرى على التحريض على الاحتلال[٣٠]. وبصورة عامة كان موقف الحكومات

---

(٣٠) حول دور بعض الحكومات العربية في التحريض على الاحتلال، انظر: Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York: Simon and Schuster, 2004), pp. 312-315.

وكذلك مذكرات الجنرال تومي فرانكس، قائد القوات الأمريكية الذي أشرف على الحرب لاحتلال العراق، حيث يشير إلى حاكمين عربيين أكدا له قبل الحرب أن العراق يملك أسلحة دمار شامل. انظر: Tommy Franks and Malcolm McConnell, *American Soldier* (New York: Regan Books, 2004).

العربية من احتلال العراق ما بين «ساكت» أو «خائف» أو «متواطئ علناً» أو «متواطئ سراً»، فماذا تتوقع من هذه الأنظمة بعد احتلال العراق، وهو احتلال غير شرعي حسبما يقول الأمين العام للأمم المتحدة، وهناك اتفاقية الدفاع العربي المشترك التي تُلزم الدول العربية بأن تساعد العراق؟ لم يساعدوا العراق. الآن يحاسبون سوريا أو غيرها بالزعم أنّ عرباً متطوعين يلتحقون بالمقاومة من خلالها. إن على سوريا أن ترسل جيشها لمساعدة العراق، وكذلك مصر. وهذه لو كان بإمكانها لأتت لتعطيل المقاومة، فهم إما يخافون أمريكا أو يعملون لتسويق سياساتها. أما بالنسبة إلى الشعوب العربية، فلا تجد مناسبة إلا ويعبّرون عن هذه المشاعر، لكن القضية في العراق أصعب من هذا بكثير. افترض أنهم تظاهروا في القاهرة ليوم أو يومين وثلاثة وأربعة . . . إلخ، فماذا بعد؟ ما فائدة هؤلاء المتطوعين الذين يأتون وإن كان عددهم قليلاً، فهل العراق يحتاج إلى بشر، ألا يوجد عنده مدرّبون؟ لقد كان العراق خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية يملك جيشاً من مليون جندي، ومعظم العراقيين دخلوا دورات الاحتياط وتدربوا، فهو لا يحتاج إلى بشر. يقال إن الاستشهاديين هم عرب، هذا إلى حد ما صحيح، لكن ليس كل الاستشهاديين، فأنا أعرف أنه من خلال معلومات أحد الأصدقاء أن الاستشهادي الذي دخل المنطقة الخضراء وفجر نفسه فيها، كان ناصرياً برتبة مقدم من الموصل ولديّ اسمه. وبالتالي لا يوجد أمل من الأنظمة العربية أن تساعد المقاومة، ولحسن الحظ المقاومة قادرة بوسائلها الخاصة على أن تستمر.

■ ***الكويتي الذي يسمعك في الحوار يقول لك يا دكتور خير الدين حسيب لا تتوقع منا أن نتعاطف معك لأن النظام العراقي غزا الكويت، لضرورات الحوار، الإماراتي سوف يقول لك إن الشيخ زايد الله يرحمه عرض على صدام حسين أن يخرج ويجنّب العراق ويلات الاحتلال ورفض، والسعودي سيقول لك إن الحكومة السعودية أعلنت أن قواعدها مغلقة أمام القوات الأمريكية وأن القطريين تطوعوا بتقديم القاعدة المشهورة، والقطريون سيقولون إنهم حتى لو أعطينا القواعد لضرورات معينة، لكننا أقمنا قناة فضائية تعطي متنفساً للعراقيين؟***

حسيب: هذه تبريرات غير مقبولة. صدام عندما غزا الكويت لم يستشر الشعب العراقي، حتى إن قسماً من جيشه لم يكن يعرف بذلك. وبالتالي فإن الشعب العراقي ليس مسؤولاً عن غزو الكويت. أنا بعد الغزو مباشرةً أعلنت في ندوة في نيسان/ أبريل عام ١٩٩١ (وقائع الندوة منشورة) بملء الفم أنني ضد غزو الكويت ولا يوجد هناك ما يبرره.

■ *الإمارات؟*

حسيب: هل يمكن أيّ حاكم في أي بلد في العالم أن يقبل أن تأتي دولة وتقول له أن يتنازل؟

■ *لكي يحمي البلد.*

حسيب: ليس هذا ليحمي البلد، إذا صارت مع الرئيس السابق صدام حسين، هل كان يمكن أن يأتوا لأي حاكم آخر ويطلبوا منه التنازل والمغادرة؟ هذه سابقة في القانون الدولي لا تجوز. . . .

أنا من الناس الذين يعتقدون أن الوسيلة يجب أن لا تختلف عن الغاية، إذا كانت الغاية شريفة يجب أن تكون الوسيلة شريفة كذلك. هناك أستاذ في جامعة لندن اسمه بروفسور بوبر (Popper) كان يقول «Aims are Accumulation of Means»، أو ما معناه إن «الأهداف هي مجموعة وسائل متراكمة».

■ *مشاهدينا الكرام، نواصل السهرة معكم في بغداد والبصرة والموصل وفي كل قرية عراقية فيها كهرباء أو مولدات كهربائية، ونحن معكم وضيفنا الآن الدكتور خير الدين حسيب. نرحب بمشاهدينا في دكار وأديس أبابا وفي جوفا وفي دُنقلة وفي تعزّ وفي أبو ظبي وفي نواكشوط وطنجة والعواصم الأوروبية المختلفة، في ميامي، وحيثما يصلكم بث هذه القناة.*

طبعاً لو أن المصريين سمعوا شرحك هذا عن الغاية والوسيلة، الغاضبون هذه الأيام سيقولون لك إنهم متناسبون جداً لأن الغاية ليست شريفة، فيجب أن يكون لها حيلة من نوعها.

كلمة أخيرة قبل أن نأخذ الخط، بالنسبة إلى إيران: ما هي دوافعها؟ لماذا يتبجحون أنه لولاهم لما نجحت أمريكا في احتلال أفغانستان والعراق؟ ما هي دوافعها؟

حسيب: أمريكا كان مخططها أن يبدأوا في العراق، ثم ينتقلوا إلى إيران وسوريا لتغيير الأوضاع هناك، وليس بالضرورة بشكل عسكري ولكن بممارسة ضغوط سياسية مختلفة، وبالتالي أثاروا موضوع السلاح النووي. إنهم يحاولون أن يكسبوا وقتاً ويساوموا مع الأمريكيين على حساب العراق.

■ *العراقيون يقولون كذلك إن هناك حسابات قديمة، وأيضاً حسابات الحرب السابقة.*

حسيب: في عدد حزيران/ يونيو من **المستقبل العربي** هناك دراسة جيدة حول تحليل موقف إيران من الوضع في العراق.

■ ***الأخ محمد عبد الحسن من لندن معنا.***

محمد عبد الحسن: الدكتور خير الدين حسيب من أسخف العراقيين ومعروف جداً باجتهاده وخبير بالإحصاء. عندي سؤالان: لقد تلطف وقال إنه يريد أن يحاسب كل الخونة من بعد عام ١٩٥٨، هل معنى ذلك أن حكومة نوري السعيد وغيرها كانت وطنية؟

■ ***قال أي واحد ارتكب جرائم من عام ١٩٥٨ وبعدها يحاكم. فما هي النقطة التي بعدها، أرجو أن تكون عن الحاضر؟***

محمد عبد الحسن: النقطة التي بعدها قال إن كل هؤلاء هم عملاء للأجنبي ويجب أن يُكنسوا ويذهبوا حيث ألقت رحلها، ولكن أريد أن اسأل، في عام ١٩٦٤ من الذي حمل جميع وثائق العراق وسلمها إلى حكومة الرئيس عبد الناصر وقام بتأميم المصانع والأموال العراقية؟

■ ***ما هو جوابك دكتور خير الدين حسيب؟***

حسيب: أية وثائق عراقية سلّمتها لعبد الناصر؟ إن موضوع التأميم في العراق عام ١٩٦٤ فهذا موضوع آخر له مجال آخر، وأنا غير نادم ولا آسف على أي عمل قمت به. لقد سبق أن تكلمت في الموضوع في مناسبات أخرى، لكن هذا ليس موضوع الحلقة، فهذا يحتاج إلى ساعة أو أكثر للحديث فيه.

■ ***أخ عدنان، أهلاً بك.***

عدنان: أحببت أن أقول إن الدكتور خير الدين حسيب يشيد بالمقاومة العراقية، أعتقد أن مئات أو ألوف العراقيين يموتون يومياً في سيارات مفخخة، فهل هذه هي مقاومة لقتل الشعب العراقي؟

■ ***اسمع الجواب مباشرة ثم أعود إليك، ما جوابك عن هذا السؤال؟***

حسيب: سبق أن قلت في هذه المحطة وأقول الآن وقلت قبل قليل إن العمليات الموجهة إلى مدنيين أبرياء هي عمليات إرهابية تدان بكل الطرق الممكنة. وسبق أن أدنتها وأدينها الآن بملء الفم. وقلت إن الزرقاوي وما يقوم به وجماعته ليست له علاقة بالمقاومة، وإن مسؤولية مكافحة هذه الأعمال تقع على عاتق قوات الاحتلال وما يسمى الحكومة العراقية الانتقالية.

■ ***ما هو السؤال الثاني أخي عدنان من اسكتلندا؟***

عدنان: بالنسبة إلى الحكومة العراقية قال الدكتور خير الدين حسيب إنهم

عملاء، وأنا أعتقد أنه لا يمكن الإنسان أن يحكم على حكومة ويقول إنهم عملاء من دون أن يواجههم أو يعرضهم على محكمة.

■ *كيف تصف حكومة تقول إنها عميلة من دون أن تعرض على محكمة؟*

حسيب: أي محكمة هذه؟ فالحكومة جاء بها الاحتلال، ولدي محاضر اجتماعات مجلس الحكم المؤقت، وقد نشر القسم الأول منها في كتاب، والقسم الثاني سوف ينشر. واذا كان هناك وقت، يمكن عقد جلسة خاصة حول الموضوع أقرأ لك فيها وترى هل هؤلاء هم عملاء أم لا.

دعني أقرأ لك، إن ما يسمى رئيس الجمهورية الحالية الذي قال مؤخراً بعد انتخابه إن هؤلاء لا يشكلون احتلالاً بل تحريراً[٣١]، وقبل أن يصبح رئيس جمهورية، ماذا كان يقول؟ لقد اتهم جلال الطالباني زعيم حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في العراق الولايات المتحدة أنها ترتكب أخطاء، وما أسماه «مهازل»، ضد العراقيين ساعدت على تصاعد عمليات العنف ضد قواتها. وقال الطالباني في تصريحات أدلى بها إلى صحيفة **الأهرام** القاهرية (٢١/ ١٠/ ٢٠٠٤): «أرى أن الأخطاء الأمريكية وما ترتكبه قوات الاحتلال من مهازل بحق العراقيين وراء هذا التصعيد الخطير». وتساءل الطالباني في مقابلة أجريت معه في مقره في السليمانية في شمال العراق: «كيف نقبل أن يلجأ الجنود الأمريكيون إلى تعذيب وإذلال المواطنين العراقيين، حيث يطرحون العراقيين أرضاً ويضعون أحذيتهم العسكرية فوق رأس ورقبة العراقي؟»[٣٢]. هؤلاء الذين يتكلم عنهم يريدهم أن يبقوا ويقول إنهم قوات تحرير وليس احتلالاً. فما هذا؟

■ *أجب يا أخ عدنان.*

عدنان: نحن لا نقول إن أمريكا دولة جاءت لتنصف العراقيين، ولكن في الوقت نفسه إذا خرجت أمريكا من العراق، فما هي النتائج؟

■ *ما هي النتائج؟ أجب أنت.*

عدنان: حرب أهلية.

■ *إذاً أمريكا هي صمام أمان، أليس كذلك؟*

عدنان: هي صمام أمان أعتقد اليوم في جميع الدول العربية وفي جميع دول العالم.

---

(٣١) ورد ذلك في مقابلة له مع شبكة (CNN) الفضائية، وأشارت إليها: **القدس العربي**، ١١/ ٤/ ٢٠٠٥، ص ١.

(٣٢) **القدس العربي**، ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٤، ص ٣.

■ *يقول إن أمريكا هي صمام أمان من الحرب الأهلية؟*

حسيب: هذا ما أسميه منطق العملاء، فأمريكا هي صمام أمان في كل الدول العربية. من دون أمريكا لا نستطيع أن نعيش، لا نستطيع أن نعمل ديمقراطية، لا نستطيع أن نعمل انتخابات، ما هذا الكلام؟ إن المقاومة كما ذكرت هي نتيجة الاحتلال، وعندما يخرج الاحتلال تذهب المقاومة.

■ *الأخ أبو علي من النجف، تفضل.*

أبو علي: مساء الخير عليك وعلى النجوب، النجوب العراقي الأصيل، حياه الله وأبا الحسن العلي بن أبي طالب أولاً، ولا يخفى عليه وهو سيد العارفين بأن العراق العظيم قد ذهب ضحية ظاهرتين: **الأولى** وهي نتيجة استقراء مخابراتي بريطاني غربي لرعاية المصالح الغربية، وبخاصة النفطية، والذي أثمر أولى ثماره بتدمير الإتحاد السوفياتي السابق من ناحية اللعب بالنفط، الذي كان عصب الحياة بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي السابق. وكانوا يتمنون احتلال العراق والخليج العربي لمواكبة هذه الظاهرة التي هزت طرفاً آخر من المسلمين، وهم المسلمون السنّة، أي الظاهرة الخمينية، دعنا نتكلم باختصار.

■ *انقطع الخط مع أبو علي، الآن من معنا من هذه الأسماء الكثيرة الموجودة، أستاذ محمود صدوقي الكاتب والإعلامي الجزائري، تفضل أستاذ محمود.*

محمود صدوقي: السلام عليكم. تحية عطرة لك ولضيفك، في الحقيقة الدكتور خير الدين حسيب هو ليس ضيفك فقط ولكن ضيفنا جميعاً. أنا أقول، في الحقيقة أحيي فيه هذه الشجاعة الأدبية، وأحيي فيه هذه الروح التواقة للتحرير والانتصار والاستقلال، وأقول إن الحديث اليوم عن الإرهاب، إذا كانت المقاومة إرهاباً. عندنا في الجزائر كانوا يسمون المجاهدين بالمجرمين، بالخارجين على القانون العام. وفي العهد الفرنسي كانوا قبل الثورة التحريرية، قبل الثورات الشعبية، يصفون الذين يتمردون على الاستعمار الفرنسي بأبو بغلة، اسمح لي بهذا التعبير، وأبو ساطور حتى يشوّهوه أمام الجزائريين. ولكن أقول هذا هو ضرب المقاومة. لكن أسأل الدكتور خير الدين كيف تتحول المقاومة الحقيقية في العراق إلى حالة شعبية؟ إن كثيرين من الناس يحصرونها في السنّة اليوم، فهل هذا صحيح؟ وكيف يمكن أن تتحول المقاومة إلى حالة شعبية تشمل البصرة والنجف وبغداد وكل محافظات وأقضية العراق جميعاً، نرجو أن ينوّرنا الدكتور في هذه النقطة وشكراً جزيلاً.

حسيب: شكراً جزيلاً على الكلام الطيب واللطيف الذي صدر منك. أحب أن أطمئنك إلى أن المقاومة في العراق أرسلت أشخاصاً زاروا الجزائر وسمعوا منهم

دروس المقاومة الجزائرية، وقالوا لهم إنه أفضل من أن تقتلوا العدو أن تصيبوه برجله أو يده، لأنكم إذا قتلتموه سوف يدفنونه، ولن يراه أحد بعد. ولكن إذا أصيب فسوف يبقى ويراه الناس ويعرفون أنه ذهب وقاتل في حرب غير شرعية.

بالنسبة إلى ما تفضلت به حول متى تنتشر المقاومة؟ فالمقاومة لا تنتشر دائماً في كل مكان. مثلاً لبنان، المقاومة في لبنان التي نجحت في دحر الإسرائيليين من جنوب لبنان، لم تكن في كل لبنان، بل كانت فقط في جنوب لبنان. وبعد أن نجحت تبنتها قطاعات كبيرة من المجتمع اللبناني. في العراق المقاومة لم تكن مقتصرة على السنة، ففي معارك الفلوجة هناك عدد، وأنا متأسف أن استعمل تعبير سنّي وشيعي، كان هناك عدد من الشيعة المشاركين في مقاومة الاحتلال، وقسم منهم قتلوا وأسماؤهم موجودة، وقد أرسلت جثامينهم إلى النجف ودفنت هناك. وعندما ظهرت المقاومة الثانية لتيار مقتدى الصدر في النجف كان هناك خمسون من ضباط الصف من الفلوجة مع ثلاثة ضباط قياديين يدربون قوات مقتدى الصدر في النجف وأسقطوا فعلاً طائرة هليكوبتر. وهناك مقاومة كانت في الكوت وفي العمارة وفي مدينة الصدر إلى النجف. إن المقاومة ليست محصورة فقط في مناطق، كما يقال في الخطاب الأمريكي مناطق سنّية، فهذا غير صحيح. وأنا متفائل أننا سنشهد مع مرور الأيام مقاومة تعمّ كل العراق، لأن كل الأطروحات التي قدمها العملاء في العراق الذين يتعاونون مع الاحتلال سيثبت للناس فشلها، والناس طيبون ومخلصون، والشعب العراقي طيب ومخلص قد يُخدع مرة، ولكنه لن يخدع دائماً.

■ ***الأخ سعد تفضل.***

سعد: السلام عليكم. ضيفك يغرّد خارج السرب، وهو يمثل الأقلية، هناك حكومة منتخبة وضيفك لا يستطيع أن ينكر هذا، وهي حكومة مفوضة تستطيع أن تبقي وتخرج من تشاء، وهي لم تحصل على ١٠٠ في المئة من الأصوات، وإذا كان الحكم الجديد هو حكم قره قوش فما كان حكم صدّام؟ يقول إن المقاومة قتلت ٢٠٠٠ من الأمريكيين، لكن لم يذكر أن المقاومة نفسها قتلت ١٠٠ ألف من العراقيين.

■ ***هل هذا صحيح، الحكومة مفوضة لأنها عندها شرعية انتخابية، والمقاومة قتلت ١٠٠ ألف عراقي؟***

حسيب: هذه الشرعية شرعية احتلال، والانتخابات تمت تحت الاحتلال، وهي انتخابات غير شرعية، والقوانين سنّها الاحتلال، وبالتالي كل الحكومة

والقوانين التي تمت تحت الاحتلال هي غير شرعية، هذه وجهة نظري.

أنا ذكرت ليس فقط القتلى الـ ٢٠٠٠، بل ذكرت أيضاً عدد الجرحى الأمريكيين، وفقاً للتقديرات، وهي ما بين ٢٦ ألفاً إلى ٥٤ ألفاً. وفي دراسة قامت بها مؤسسة صحية بريطانية، يقدر عدد الأطفال الذين ماتوا نتيجة الاحتلال بـ ١٠٠ ألف طفل، فإذا كنت تسأل، فاذهب واسأل قوات الاحتلال عن الناس القتلى الذين حتى لم يهتموا بإحصاء عددهم.

■ ***قال لك إن الحكومة مفوضة بطرد من تشاء وتبقي من تشاء.***

حسيب: هذا رأيه. حكومة فيشي كانت مفوضة ومنتخبة. أنا أعتبر أن هذه الحكومة عميلة متعاونة مع الاحتلال، وأفضل شيء ينطبق عليها قول الشاعرين العراقيين، إذ يقول الأول:

في أي مملكة يباع شهيدها ... للخائنين الخادمين أجانبا

مستأجَرين على خراب ديارهم ... ويكافأون على الخراب رواتبا

ويقول الثاني (الشبيبي):

المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد؟

■ ***عمر، ما زال على الخط، آخر سؤال.***

عمر: السلام عليكم. أدعو الله تعالى إن شاء الله في يوم القيامة، أن يحشر الدكتور خير الدين حسيب مع البعثيين الذين كانت أيديهم ملطخة بالدماء.

■ ***يوم القيامة علمه عند الله، وأنت لك الحق أن تدعو، ولكن هل عندك رأي محدد في ما قاله، يعني خلاف معين أو نقطة تحب أن تثيرها؟***

عمر: يا أخي الدكتور الفاضل، الدكتور خير الدين حسيب هو أحد المطلوبين الذين من أيام البعث...

■ ***رجعنا إلى حكاية البعث والأمور الشخصية، كنت أتوقع أن تقول له كلاماً معيناً في السياسة، أن الحكومة عندها الحق في السياسة الفلانية أو غيرها، وهذا هو الموضوع الذي نتناقش فيه اليوم.***

■ ***سؤال أخير الآن، بالنسبة إلى الأمريكيين والبريطانيين، هذا استثمار كبير، ان دخول العراق مغامرة غير سهلة، حتى لو ترجموا حديثك هذا كله وأرسلوه إلى رئيس الحكومة البريطانية والرئيس الأمريكي جورج بوش، فالمسألة ليست سهلة بعد***

أن أخذوا قرار دخول العراق أن يتراجعوا على أساس الحجج التي قدمتها اليوم أو توقعاتك لما سيجري. لا شك في أن الطبقة السياسية العراقية وحتى الرافضة للاحتلال ينبغي أن يكون لها تصور للمخرج بما خص علاقات العراق بأمريكا وعلاقات العراق ببريطانيا، فكيف الحل لهذه المسألة في رأيك؟

حسيب: هذا صحيح، أمريكا محشورة في زاوية وليست لديها بدائل، ولكن أمريكا معروفة شعباً وإدارةً، بأنهم براغماتيون، يعني لا يستمرون في الخسارة إلى ما لا نهاية. يؤدي هذا الوضع كما ذكرت لك، إلى أن تقوى المقاومة والى أن تضعف القوات الأمريكية، إذ يوجد عندهم مشاكل في التجنيد واضطرت إلى زيادة الحد الأعلى لسنّ المتطوعين من ٣٤ سنة إلى ٣٩ سنة[٣٣]. هناك ٥٠٠٠ فرد هربوا من الجيش، وهناك ٥٠٠٠ فرد لجأوا إلى كندا[٣٤]، وحتى الآن من ثلاثة أشهر يعلنون عن متطوعين ولا يأتيهم العدد المطلوب[٣٥]، والوضع الاقتصادي سيئ للغاية وعندي تفاصيل عن الوضع الاقتصادي[٣٦]، فأمريكا في ورطة. أنا لا أتوقع بين ليلة

---

(٣٣) انظر: Tom Squitieri, «Reserve, Guard Raise Recruiting Age,» *USA Today*, 22/3/2005, p. 1.

(٣٤) انظر: Elaine Monoghan, in: *Washington Times on line*, 10/12/2004.

(٣٥) تجد وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) صعوبة في الحصول على عدد المتطوعين المطلوبين للجيش الأمريكي. في شهر شباط/ فبراير الماضي (٢٠٠٥) لم تحصل على ٢٧ في المئة (١٩٣٦ متطوعاً) من العدد الذي كانت ترغب في تطويعه، وكان ذلك يحدث لأول مرة منذ خمس سنوات. انظر: Dani Moniz, «Army Misses Recruiting Goal,» *USA Today*, 3/3/2005, and Ann Scott Tyon, «Army Still Behind in Recruiting,» *Washington Post*, 24/3/2005, p. 17.

وقد استحدثت هذه الظاهرة بحسب تقارير البنتاغون خلال الأشهر الثلاثة التالية (آذار/ مارس - أيار/ مايو ٢٠٠٥). فقد ذكرت **الأهرام**، ١٥/ ٥/ ٢٠٠٥، ص ٥، نقلاً عن مراسلتها في لوس أنجلوس في الولايات المتحدة، أنه لأول مرة يواجه مسؤولو التجنيد في الولايات المتحدة مشكلة كبيرة في توفير احتياجات الجيش الأمريكي من جنود جدد بعد تراجع عدد المتطوعين بصورة كبيرة بسبب ما يواجه القوات الأمريكية في العراق يومياً من مقاومة وارتفاع عدد القتلى في صفوفها سواء من الذين يقومون بأعمال مدنية أو حربية.

ويقوم الجيش الأمريكي في السعي لتجنيد متطوعين جدد بإرسال ضباط إلى المدارس لإقناع الطلبة بأن الخدمة العسكرية هي الطريق الأمثل لإكمال التعليم العالي والجامعي بعد انتهاء خدمتهم أو أثناءها إذا لم يكلفوا بالخدمة خارج الولايات المتحدة. لكن الشباب من الطلبة يرون أنهم غير مقتنعين بحرب أمريكا في العراق وفرض الديمقراطية بالقتل. وتتراوح مدة التجنيد بين ٣ و٤ سنوات لمن يقتنع من طلبة المدارس بقبول عرض الخدمة العسكرية الذي يتضمن منح المتطوع ٥ آلاف دولار نقداً ومنحة دراسية قدرها ١٨ ألف دولار بعد العودة من الخدمة في الخارج أو أثناء تجنيده داخل الولايات المتحدة. ومع ذلك كله يرفض كثيرون من الطلبة الأمريكيين في المدارس التجنيد في الجيش، ففي شهر نيسان/ أبريل الماضي كان المطلوب تجنيد ٦٦٠٠ مجند، لكن المسؤولين لم يتمكنوا من تجنيد سوى ٣٨٢١ مجنداً فقط، وذلك مقارنة بـ ٤٦٦٦ مجنداً في آذار/ مارس الماضي على رغم أن العدد المطلوب كان ٦٨٠٠ مجند.

(٣٦) حول الوضع الاقتصادي داخل أمريكا، انظر الدراستين المتميزتين في هذا الموضوع: زياد حافظ، «المشهد الاقتصادي في الولايات المتحدة وتداعياته على سياساتها الخارجية،» وفيليس بينيس، مجموعة العمل الخاصة بالعراق في معهد دراسات السياسة ومركز السياسة الخارجية في بؤرة الاهتمام، «دفع الثمن: النفقات =

وضحاها أن تخرج القوات الأمريكية. . ستعاند، لكن لن تستطيع أن تحقق غرضها، لأن الحكومة المعتمدة عليها القوات العراقية التي تقول إنها تدربها، لا تستطيع ذلك. فما معنى أنهم يريدون الميليشيات أن تساعد الحكومة لو أن القوات الـ ١٦٠ ألفاً التي لديهم قادرة على حفظ الأمن؟ ١٦٠ ألفاً كافية لحفظ الأمن في أي بلد.

أنا أعتقد بوجود احتمال من اثنين: إما أن تخرج بنوع من حد أدنى من حفظ ماء الوجه، وتسلم للأمم المتحدة، وتأتي الأمم المتحدة فتعيّن رئيس وزارة وتؤلّف وزارة . . . إلخ، وينسحب الأمريكيون ويعيدوا بناء الجيش العراقي، أو أن يستمروا في عنادهم هذا. إن خطة المقاومة تتضمن ثلاث مراحل، وهي الآن في المرحلة الثانية التي تتضمن تفاصيل هجوم بأعداد كبيرة واحتلال مناطق ومؤسسات والانسحاب منها، تمهيداً للمرحلة الثالثة. إذا لم يخرج الأمريكيون ستبدأ عمليات تنظيف المدن وتسيطر المقاومة على كل المنطقة تدريجياً.

■ ***هل هناك خيار ممكن مثلاً عن طريق الحوار للتفاوض، لنفرض أن السيناريو الذي ذكرت هو الذي سينجح، بين أمريكا وبريطانيا وجماعات المقاومة؟***

حسيب: أولاً، الحوار ممكن. لكن أولاً يجب أن تأخذ أمريكا قراراً بالانسحاب، وتحدد جدولاً زمنياً للانسحاب وتعترف بالمقاومة. بعدها يمكن أن تكون هناك مفاوضات حول التفاصيل، كيف يخرجون.

■ ***هل صارت هناك مفاوضات؟***

حسيب: صارت، لكن لم تنته إلى نتيجة[٣٧]. حتى هذا وزير الكهرباء السابق الذي أعلن أمس أنه التقى ببعض الناس الذين لهم علاقة بالمقاومة، وبعدها كذب وقال إنهم رافضون ويجب أن يخرج الاحتلال، واليوم سمعت خبراً قبل أن آتي إلى الاستديو (٩/ ٦/ ٢٠٠٥)، أن الأشخاص الذين تكلم هو عنهم قالوا إن هذا كلام غير صحيح، والمفروض أن ينفي في مؤتمر صحافي (يوم ١٠/ ٦/ ٢٠٠٥) هذا الكلام. وصدر بيان عن جهات أخرى من المقاومة ترفض هذا الكلام عن المفاوضات

= المتصاعدة لحرب العراق: الاستنتاجات الأساسية،» المستقبل العربي، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، ص ٥٨ ـ ٩٧ و١٠٨ ـ ١١٥ على التوالي. كما يشير أحد التقارير إلى أن حرب العراق ستكلف كل عائلة أمريكية ٣٤١٥ دولاراً، انظر: Julian Borger, «Iraq War Will Cash Each Family $3,415,» *Guardian*, 25/6/2004; «The Bush Economy,» *International Herlad Tribune*, 8/6/2005, and

لويس حبيقة، «هل يتابع الدولار سقوطه؟،» القدس العربي، ٧/ ٦/ ٢٠٠٥.

(٣٧) انظر حول الموضوع: Michael Wall, «Talking with the Enemy: Inside the Secret Dialogue between the U.S. and Insurgents in Iraq.. and What the Rebels Say They Want,» *Time* (20 February 2005).

قبل أن تعلن قوات الاحتلال مبدأ الانسحاب وتضع جدولاً زمنياً للانسحاب[٣٨].

■ ***الا تحب أن تقول كلمة في أنه بما أن الطائفية دخلت الآن في الموضوع في السياسة الحالية الجارية، هل لها علاقة بما يجري؟***

حسيب: أنا ثقتي بالشعب العراقي أنه لن يُجَرّ إلى حرب طائفية، والعراق لن يشهد حرباً طائفية، ونحن عشنا مع بعضنا في كثير من الحالات لا نعرف من هو الشيعي والسنّي . . . إلخ، فمهما حاول الاحتلال أعتقد أن العراق لن يُجر إلى حرب طائفية.

■ ***بعض جماعات المقاومة متهمة بأنها تستهدف الشيعة؟***

حسيب: من هم هؤلاء الذين يقولون هذا باسم المقاومة؟ أولاً إذا كانوا يقولون مقاومة حزب البعث، فإن أكثرية حزب البعث كانوا شيعة وليس سنّة. وحتى السيد السيستاني له تصريح مشهور قال فيه إن صدّام حسين لم يكن طائفياً، بل كان دكتاتورياً.

أنا متفائل أن عقلاء العراق لن يسمحوا بنشوب حرب طائفية. وأنا انتهز هذه الفرصة لأدين الاجتماع الذي تم باسم تكتل أهل السنّة. هذا عمل طائفي مقيت يجب أن لا نقابل العمل الطائفي بعمل طائفي آخر، مهما فعل عبد العزيز الحكيم أو الجعفري أو أحمد الجلبي . . . إلخ. نحن ينبغي أن لا نقابل هذا بتكتل آخر سنّي طائفي. وكذلك أحب أن انتهز هذه الفرصة وأنصح الحزب الإسلامي العراقي الذي يضع رِجلاً في الجنة ورِجلاً في النار. دخل أول مرة في مجلس الحكم ومن ثم انسحب، وانسحب من الوزارة، ووزيره رفض تقديم الاستقالة، والآن بشكل تجمعات يريد أن يشترك في إعداد الدستور على أساس أن يعطوهم ٢٥ مقعداً. آن الأوان ليخرجوا من هذه الانتهازية السياسية، وأن يأخذوا موقفاً واضحاً وصريحاً ضد الاحتلال، وأن لا يشاركوا في العملية السياسية التي تتم تحت الاحتلال. أقول هذا من باب المحبة للقيادات، أنا أعرف منهم د. إياد السامرائي وأسامة التكريتي، وكان لهما قبل احتلال العراق موقف مشرف، ولكن فوجئت بتغير هذا الموقف وصارت ضغوط عليهم من جماعات الإخوان المسلمين في مصر ولبنان والكويت وانسحبوا، ولكن يبدو الآن أنهم بدأوا يغازلونهم من جديد. فأتمنى أن يحسموا أمرهم، وأن يأخذوا موقفاً واضحاً من الاحتلال والعملية السياسية.

---

(٣٨) أصدر حزب البعث العربي الاشتراكي ـ قيادة قطر العراق، الذي قيل إن المفاوضات جرت مع بعض ممثليه، بياناً ينفي تمثيل تلك العناصر له، ويرفض أية مفاوضات مع قوات الاحتلال أو أية جهة أخرى تمثله.

■ ***د. خير الدين حسيب هذه مجموعة من الرسائل نختم بها البرنامج. أشكرك على حضورك وعلى إجابتك عن أسئلتي وأسئلة السادة المشاركين.***

حسيب: وأنا أشكرك على هذه الفرصة، حاولت كعادتي أن أكون صريحاً في ما أعتقد. قد أكون أخطأت وقد أكون أصبت، ولكن هذه هي اقتناعاتي وهذه هي معلوماتي، فأنا لا أتكلم منَ فراغ، وتأكد أني أحاول أن أقرأ المصادر التي تتفق مع توجهاتي، وكذلك تلك التي لا تتفق مع توجهاتي.

■ ***أنا أجدد الترحيب بك، والقاعدة هنا في برامج المستقلة هي استضافة أهل الرأي من مختلف التيارات والاتجاهات، وإتاحة الفرصة لهم، وإعطاؤهم الوقت الكافي أيضاً ليعبّروا عن آرائهم وعن أفكارهم، وطرح أسئلة الساحة الحقيقية عليهم، ونتطلع إلى أنه من الحوار الحقيقي الصريح تستطيع الأمة أن تتقدم.***

حسيب: أنا أشكرك على هذه الفرصة، لأن المقاومة العراقية مظلومة، هناك تعتيم عليها في الدعاية الأمريكية وغير الأمريكية، أنا ذكرت لك محطة التلفزيون التي تسمى «العراقية»، كيف يلفقون اعترافات . . . إلخ. فهم بحاجة إلى من يرفع الصوت إنصافاً للحق.

■ ***إن شاء الله وجهات النظر المختلفة في الشأن العراقي تجد فرصة أيضاً للتعبير عن آرائها، والحكم يبقى للمشاهدين الكرام الذين يستحقون، لأن قاعدة الديمقراطية هي أن يكون عند الشعب نفسه مدخل إلى المعلومة الصحيحة، كيف يكون هذا؟ في بريطانيا وفي أمريكا في الانتخابات وفي القضايا السياسية المختلفة تجد في التلفزيون الآراء المختلفة، آراء الحكومة، آراء أحزاب المعارضة، آراء مجموعات الضغط المؤثرة، آراء الكتاب المهمين، فنحن ما نقوم به في قناة «المستقلة»، مشاهدينا الكرام، وفي قناة الديمقراطية هو أن نحاول بقدر ما يسمح المجال لمشاهدينا التعرف على وجهات النظر المختلفة في المواضيع المهمة، وليس هناك موضوع في الحقيقة أهم على الساحة العربية من الموضوع العراقي.***

مرة ثانية أشكر الدكتور خير الدين حسيب على مساهمته الطيبة في هذا البرنامج وإجابته بصراحة عن أسئلتي وأسئلة المشاهدين الكرام، وأشكر كل من تابع هذه الحلقة في العراق العزيز وفي مدن الوطن العربي وقراه وفي كل أنحاء العالم. تصبحون على خير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٣)

المبــادرة الوطنيــة لتحريــر العــراق: الانسحاب الأمريكي السريع هو الأساس(*) (١١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥)

■ *عوامل أساسية تفرض الانسحاب الأمريكي:*

ـ عجز القوات الأمريكية وخسائرها.

ـ انحسار تأييد الشعب الأمريكي لوجودها في العراق، وتصاعد المطالبة بالانسحاب السريع.

ـ تزايد بأس المقاومة الوطنية العراقية كماً ونوعاً والاعتراف الأمريكي بالعجز عن القضاء عليها.

■ ***قادة «العملية السياسية» الراهنة في العراق جاءوا مع الاحتلال ويحتاجون إلى بقائه لحمايتهم.***

■ *المبادرة تقضي بما يلي:*

ـ انسحاب القوات المحتلة كلياً خلال ستة أشهر بضِمانة دولية.

ـ فترة انتقالية لسنتين، وانتخابات في السنة الثانية باشراف دولي وعربي.

(*) أذيعت هذه المقابلة ـ التي أجرتها الإعلامية السيدة زينة فياض في برنامج «إلى أين؟» ـ مساء الأحد ١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥، وقد نشرت تحت عنوان: «مبادرة لتحرير العراق: مقابلة على فضائية anb تشرح «المبادرة»،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣٢٣ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦)، ص ١٠ ـ ٢٨.

- وزارة من التكنوقراط محايدة وغير حزبية ولا تشارك في الانتخابات.

- حل المليشيات كافة بلا استثناء.

- تُوقِف المقاومة إطلاق النار بعد التزام الاحتلال بشروط المبادرة جميعاً، ويُنزع سلاح المقاومة بعد انسحاب قوات الاحتلال كلياً.

- المبادرة كل متكامل وغير قابل للانتقاء.

- الجامعة العربية تتحرك وفقاً لما تمليه واشنطن وتتجاهل المواثيق والمعاهدات العربية والدولية.

■ ***أهلاً بكم أعزائي المشاهدين من جديد إلى برنامج «إلى أين؟». في هذه الحلقة الاستثنائية لهذه الليلة والتي نتخطى فيها الوقت المحدد لهذا البرنامج. في القسم الثاني من هذا البرنامج يشرفني في الاستديو مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، الأمين العام السابق والمؤسس للمؤتمر القومي العربي، ومحافظ البنك المركزي الأسبق بدرجة وزير الدكتور خير الدين حسيب. مساء الخير دكتور حسيب وأهلاً وسهلاً بك معنا.***

حسيب: أهلاً وسهلاً بك.

■ ***بالطبع الغالبية العظمى من العراقيين، إذا لم نقل الجميع، تعارض الاحتلال الأمريكي أو الوجود الأمريكي في العراق، هناك من يقول بإخراج هذه القوات عبر الطرق السلمية السياسية، وآخرون يقولون لا بل عن طريق المقاومة. كيف يمكن إيجاد سبيل للجمع بين هاتين الوسيلتين بما يوحّد الشعب العراقي؟***

حسيب: أولاً، إضافة إلى الخبرة التاريخية التي تؤكد أنه لا يوجد هناك احتلال في التاريخ تم التخلص منه بالمقاومة السلمية أو بالطرق السلمية، سنأخذ الوضع في العراق، وهل هذا ممكن أم لا؟ فلننظر إلى القيادات السياسية التي تقول إن المقاومة السلمية هي الطريق للتخلص من الاحتلال، فنسأل أولاً هل هم يريدون حقاً التخلص من الاحتلال؟

■ ***هم يقولون إنهم يريدون.***

حسيب: لا، من فمك أدينك. قبل ساعة تَكلَّمتِ مع الدكتور أياد علاوي، هل في برنامجه التخلص من الاحتلال؟

■ ***هو يقول إنه سيعود إلى الأمم المتحدة لرحيل القوات الأجنبية.***

حسيب: هم طلبوا تمديد بقاء قوات سنة أخرى. كان الاحتلال يجب أن ينتهي بحسب قرار سابق لمجلس الأمن في ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٥، وهم طلبوا التمديد لسنة

أخرى. الآن لنأخذ الزعامات الأخرى الحاكمة في العراق، وهل تريد زوال الاحتلال أم لا؟ الدكتور أحمد الجلبي كان في زيارة إلى إيران قبل الانتخابات السابقة وعاد من الزيارة وعقد مؤتمراً صحافياً بحضور السيد عبد العزيز الحكيم، وقال اتفقنا مع إيران على عدم مطالبة الأمريكيين بالانسحاب من العراق. وقد صرح الدكتور إبراهيم الجعفري رئيس الوزراء الحالي أنه إذا خرجت أمريكا من العراق فسيكون هناك نهر من الدم! كما صرح الدكتور أياد علاوي نفسه في أكثر من مناسبة: لا نريد أن يغادر الأمريكيون الآن. والسيد جلال الطالباني صرّح في بغداد وفي واشنطن وقال إن القوات الأمريكية ليست قوات احتلال، بل هي قوات تحرير، ولم يطالب بجلاء هذه القوات. السيد مسعود البارزاني وبعد اجتماع القاهرة قال الكلام نفسه. كما إن للسيد غازي الياور تصريحات مماثلة. أكثر من هذا، قال السيد نائب رئيس الوزراء الحالي وقيادي كردي اسمه السيد برهم صالح لجريدة **الخليج** إن كل العمليات المسلحة التي تحدث في العراق الجديد لا تندرج ضمن مصطلح المقاومة وانما تصنف في خانة الإرهاب. إنني استغرب منكم [أنا هنا أقتبس النص الحرفي] لأنكم تعبّرون عن القوات المتحالفة بالاحتلال في حين أنها قوات صديقة وليست احتلالاً، ولولا هؤلاء الذين جاءوا عبر القارات، لكنا اليوم خاضعين لحكم صدام حسين[١]. وهكذا كان رأي الدكتور عادل عبد المهدي، نائب رئيس الجمهورية الحالي، إذ يقول «نحن في حالة حرب ولا نستطيع تحديد جدول زمني لخروج القوات الأجنبية»[٢].

إذاً مَن مِن القيادات السياسية الحالية يريد خروج الاحتلال؟ ذكرت لك أسماء كل الموجودين، لا يوجد أحد منهم يريد خروج قوات الاحتلال لأنها موجودة لحمايتهم. وبالتالي، فإن العملية السياسية التي يدعون إليها لا تؤدي إلى خروج القوات الاحتلال.

■ ***أتى مؤتمر القاهرة، وكان هناك اعتراف بالمقاومة، تبنوا مقاومة الاحتلال، من خلال الاعتراف بشرعيتها، هل هذا الاعتراف يوفر غطاءً شرعياً لنشاط المقاومة؟***

حسيب: بعد حرب الخليج الثانية (عام ١٩٩١) أصبحت أمريكا عضواً فاعلاً رئيسياً في منظمتين هما الجامعة العربية ومنظمة الدول المصدرة للبترول ـ أوبك، على الرغم من أنها ليست عضواً رسمياً فيهما. إن الجامعة العربية لا تستطيع أن تعقد مؤتمر قمة أو اتخاذ قرارات أساسية إلا بموافقة الأمريكيين. هذا كلام يحتاج إلى إثبات، أليس كذلك؟ العراق، بلد عربي تم احتلاله من قبل أمريكا من دون غطاء من مجلس

---

(١) **الخليج**، ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٥، ص ١٧.

(٢) **الشرق الأوسط**، ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٥.

الأمن، والأمين العام للأمم المتحدة قال إن هذا الغزو غير قانوني. والجامعة العربية لم تكلف نفسها عقد اجتماع قمة بعد احتلال العراق، على رغم أن بلداً عربياً تم احتلاله. وبحسب اتفاقية الدفاع العربي المشترك كان من المفروض أن تذهب الجيوش العربية إلى العراق وتحارب الأمريكيين، إلا أن ما حصل هو العكس. هناك بلَدان عربيان غير خليجيين حرَّضا أمريكا على العراق، وحاكم إحدى الدولتين قال إن العراق يملك مختبرات متنقلَة لصنع الأسلحة الجرثومية. ووثق لهذا القول الكاتب الأمريكي بوب وودورد في كتابه **خطة الهجوم**.

■ *سمِّ هاتين الدولتين دكتور بصراحة.*

حسيب: هذا عن الأول، أما الثاني فقد قال تومي فرانكس القائد السابق للقوات المركزية الأمريكية التي قامت بغزو العراق واحتلاله، في كتاب مذكراته إن حاكمَي هاتين الدولتين العربيتين أكَّدا له أن لدى العراق أسلحة دمار شامل، وأنه سوف يستعملها في حالة الحرب. هاتان دولتان غير خليجيتين. أما دول الخليج، فالكل يعرف أن القوات الأمريكية والبريطانية جاءت من الكويت ومن القواعد في البحرين، والقوات الجوية الأمريكية انطلقت في هجماتها الجوية من قاعدة في دولة خليجية، إضافة إلى دخول قوات خاصة أمريكية من خلالها ومن خلال دولة عربية أخرى غير خليجية إلى غرب العراق قبل وفي أثناء الغزو. وقد أعطت الجامعة العربية بعد الاحتلال مباشرةً وبضغوط أمريكية مقعد العراق في الجامعة العربية لوزير خارجية العراق الذي عيّنه الاحتلال، وهي التي سوّقت هذا الأمر. وهذا ما مكّن الأمم المتحدة، استناداً إلى قرار الجامعة العربية، أن تقبل العراق المحتل وتعطيه مقعد العراق في الأمم المتحدة، وتم كل ذلك بضغوط أمريكية. هذا هو سلوك الجامعة العربية. أما لماذا صَحَت من النوم فجأة، ودعت إلى «مؤتمر للوفاق»؟ لأن أمريكا أرادت ذلك وهي في مأزق.

■ *يعني سمحت للجامعة العربية أن تتحرك.*

حسيب: إنها لم تسمح فقط، ففي اليوم الثاني لانتهاء ما سمي «مؤتمر الوفاق» وصدور بيانه الختامي، أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بياناً قالت فيه نحن موافقون على كل ما جاء في بيان الجامعة العربية[٣]. وقد صرّحت الدكتورة كوندوليزا رايس، وزيرة خارجية الولايات المتحدة، في اليوم التالي وقالت يبدو أن هناك إمكانية

---

(٣) «الخارجية الأمريكية: مضمون البيان الختامي يتطابق كلياً مع مواقفنا وسياساتنا المعلنة،» **الزمان**، ٢٤/١١/٢٠٠٥، ص ٥.

الآن لبدء سحب القوات الأمريكية من العراق في أول عام ٢٠٠٦. وبعدها فجأة قال السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة في تصريح منشور في مقابلة له مع **الأهرام العربي** المصرية إنه إذا طلبت الحكومة العراقية الجديدة مساعدة عسكرية من الجامعة العربية، فإن الجيوش العربية مستعدة لمساعدتها(٤). هل السيد عمرو موسى يستطيع أن يتكلم من دون موافقة من بعض الدول العربية المعنية على الأقل؟ وإذا كانت هناك موافقة من بعض أو كل الدول العربية، فكيف يكون هذا من دون عقد قمة أو اجتماع؟ من هي الدول العربية، وهل تستطيع أن تتصرف بمعزل عن رغبة أمريكا وموقف أمريكا؟

■ ***في ظل كل ذلك دكتور خير الدين حسيب، ظهرت لكم مبادرة هي مبادرة وطنية عراقية قلتم بأنها تعبّر عن آراء وإرادة المقاومة الوطنية العراقية والقوى السياسية الوطنية الرئيسية المناهضة للاحتلال لإنهاء احتلال العراق وانسحاب قواته من دون شروط. هذه المبادرة تضم نقاطاً عدة وأعتقد أنها مؤلفة من ٢١ بنداً. وأنا أود أن نحللها ونشرحها للمشاهدين. بداية هذه المبادرة التي وصفت بأنها بالطبع مبادرة وطنية، هل جرى التشاور بشأنها مع أطراف سياسية عراقية غير منخرطة في العملية السياسية أو المقاومة بصورةٍ علنية، مثل هيئة علماء المسلمين وأطراف أخرى؟***

حسيب: تم التشاور مع جميع القوى السياسية الرئيسية المناهضة للاحتلال، وتم التشاور كذلك مع أطراف المقاومة الرئيسية الوطنية. أما الأطراف الأخرى المتعاونة مع الاحتلال، فليس مطلوباً التشاور معها.

■ ***من بين هذه القوى لا توجد أطراف تشارك مثلاً في الانتخابات المقبلة. فهل يهمكم رأي هذه الأطراف بهذه المبادرة، هل يمكن أن تحدث انقساماً؟***

حسيب: إذا قرأنا المبادرة بشكل متأنّ نجد فيها إجابة عن سؤالك، أي عن ما هو موقفنا من هذه الأطراف؟

■ ***لأنها مبادرة، شعرت بأنه يجب أن يكون هناك طرح لتنال رضى الجميع للموافقة عليها.***

حسيب: لا، ليس الجميع. عدا القوى التي جاءت مع الاحتلال وتتعاون معه.

■ ***ماذا ستفعلون بها، هل تخرج مع المحتل؟***

حسيب: نحن ندعو في هذه المبادرة إلى دولة قانون. هناك أمثلة في التاريخ.

---

(٤) انظر حديث عمرو موسى في: **الأهرام العربي** (٣ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥).

في فرنسا أثناء الاحتلال النازي، كانت هناك حكومة فيشي، فكيف تصرفوا بعد تحرير فرنسا مع المتعاونين مع الاحتلال النازي؟ هناك دول أخرى في العالم، كيف تصرفت مع الذين تعاونوا مع الاحتلال؟ هذه دولة قانون ويجب أن تتصرف بحسب القانون.

■ ***إذاً إقصاء نصف الشعب العراقي؟***

حسيب: لا. أنا أتكلم عن زعامات، وليس عن الشعب العراقي. كل فرد من الشعب العراقي له الحق في المواطنة الكاملة، ويشارك في العمل السياسي من دون أية قيود. نحن نتكلم عن القيادات التي جاءت مع الاحتلال والمتعاونة معه.

■ ***ولكن قسماً من هذا الشعب يؤيد هذه الأطراف.***

حسيب: دعينا نرَ إذا كان يؤيد هذه الأطراف أم لا. أولاً هل هذه المبادرة ضرورية للوضع الحالي أم لا؟

■ ***فلنسمع ما هي هذه المبادرة؟***

أولاً: إعلان الجانب الأمريكي عن قراره بالانسحاب من العراق كلياً ومن دون أية شروط، ووضع جدول زمني قصير لذلك لا تزيد مدته على ستة أشهر كحد أقصى. ويتم بعد الاتفاق إعلانه انسحاب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى من المدن العراقية كافة إلى قواعد عسكرية محددة ومؤقتة يُتَفق عليها مع الحكومة الجديدة، ولا يكون لهذه القوات أي دور أمني أو عسكري خلال الفترة الزمنية لانسحابها، وتنسحب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى من تلك القواعد في نهاية مدة الستة أشهر كحد أقصى.

■ ***وبالتالي يكون المحتل قد خرج خلال سنة؟***

حسيب: لا ستة أشهر.

ثانياً: تعلن المقاومة الوطنية العراقية وقفاً لإطلاق النار، مع الإبقاء على سلاحها، إلى حين الانتهاء من انسحاب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى كلياً.

■ ***عفواً، في هذه الأثناء نحن نعلم هناك مقاومة وهناك إرهاب في العراق.***

حسيب: بعد الموافقة على المبادرة ككل وبعد تشكيل الحكومة الجديدة ووقف إطلاق النار من قبل المقاومة، أي شخص يمارس عمليات مسلحة يعتبر خارجاً على القانون.

ثالثاً: يتم الاتفاق، من خلال مجلس الأمن وبضمانته، وبالتشاور مع المقاومة الوطنية العراقية والقوى الوطنية السياسية التي لم تتعاون مع الاحتلال، على اختيار رئيس وزراء للعراق، لفترة انتقالية لا تزيد عن سنتين، ويفوض صلاحية اختيار وزارة عراقية، بالتشاور غير الملزم مع ممثل للأمم المتحدة في العراق، من التكنوقراط ومن عناصر حيادية وغير حزبية، ويلتزم رئيس الوزراء والوزراء عدم الترشيح لأية انتخابات قادمة، والتي سيشار إليها في ما بعد. كما يُخوّل رئيس الوزراء بالتشاور غير الملزم مع ممثل الأمم المتحدة، إعفاء أي وزير من مسؤوليته وإضافة وزراء جدد بحسب الحاجة والظروف. وتخول هذه الوزارة، خلال الفترة الانتقالية، الصلاحيات التشريعية والتنفيذية والمالية اللازمة لتنفيذ واجباتها، كما يحق لها إعادة النظر، بإلغاء أو تعديل جميع القوانين والأنظمة والأوامر الصادرة منذ احتلال العراق حتى تاريخ الاتفاق، وكذلك أية قوانين وأنظمة وتعليمات صادرة قبل الاحتلال.

■ ***قبل الانتقال إلى البند الرابع، ألا يعني البند الثالث أنه يلغي كل ما جرى من انتخابات، والأهم أنه يلغي انتخابات الخميس المقبل؟***

حسيب: هذه المبادرة لا تعترف بالاحتلال وكل ما ترتب على الاحتلال. وأنا سأقول بعد أن أنتهي ما هي حظوظ هذه المبادرة من القبول.

■ ***الكل في العراق مشغول الآن بالانتخابات المقبلة، وتأتي هذه المبادرة.***

حسيب: أظن أنك استمعت من الدكتور أياد علاوي ومنه ومن غيره وعلى مدار الأسبوعين الماضيين إلى الشتائم والسرقات والاتهامات لبعضهم البعض.

■ ***هذه تحدث في كل عملية انتخابية. ربما تكون من العيار الثقيل، لكننا نشهدها حتى في الولايات المتحدة الأمريكية.***

حسيب: بعدها يمكنك سؤالي لماذا لا أعترف بالعملية السياسية.

■ ***هل يمكن هذه المبادرة أن تشق طريقها ونحن اليوم الأحد [١١/١٢/٢٠٠٥]، والخميس المقبل [١٥/١٢/٢٠٠٥] تجري الانتخابات؟ هي خطوة جريئة. أتمنى في البنود المفصلة أن نأخذ رؤوس الأقلام كونها كبيرة جداً.***

رابعاً: يلتزم مجلس الأمن الدولي بالمحافظة على استقلال العراق وسيادته ووحدة أراضيه.

خامساً: تبدأ الوزارة الجديدة فوراً وبالتشاور مع المقاومة الوطنية العراقية والقوى الوطنية الرئيسية المعارضة للاحتلال بإعادة تشكيل الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى، بحسب الأسس والمعايير التي تراها مناسبة. ويتم تزويد الجيش والقوى

الأمنية الأخرى بأحدث الأسلحة المختلفة التي تحتاجها ومن المصادر التي تراها مناسبة. كما يتم حل جميع الميليشيات الموجودة في العراق بالطريقة التي تحددها الحكومة.

وهذا يعني حل ميليشيات فيلق بدر وبشمركة، وميليشيات الدكتور أحمد الجلبي وغيره، كل الميليشيات تحل.

سادساً: يتم حل جميع فصائل المقاومة الوطنية العراقية، الملتزمة بوقف إطلاق النار، خلال مدة لا تزيد على ستة أشهر من تاريخ هذا الاتفاق حال انسحاب جميع القوات الأمريكية والقوات الأخرى من العراق كلياً، وبعد إعادة تشكيل الحد الأدنى من الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى.

سابعاً: لا يُسمح للجيش والقوى الأمنية الأخرى الجديدة بالتدخل في السياسة وممارسة العمل الحزبي، وتكون تابعة للقيادة السياسية للحكومة الجديدة، كما تُمنع منعاً باتاً جميع الأحزاب والقوى السياسية الأخرى في العراق أن تعمل حزبياً وسياسياً داخل مؤسسة الجيش والقوى الأمنية الأخرى في العراق.

■ **ماذا تعني دكتور؟**

حسيب: جيش محترف تابع للقيادة السياسية ولا يتدخل في السياسة.

■ **ولكن مثلاً، عفواً، إذا قمنا بربطها بالبند الذي سبق، حل جميع الميليشيات في العراق، أليس حلاً جيداً أن يتم دمج هذه الميليشيات في الجيش؟**

حسيب: هذا أمر يحدده الجيش العراقي نفسه، فهل يأخذ من فيلق بدر أو لا، من البشمركة أم لا، ولكن لا بد من أن يأخذ بنظر الاعتبار ممارسات هذه الميليشيات الآن.

■ **هل يسمح بأن ينخرط البعثيون السابقون في هذا الجيش؟**

حسيب: نعم، الذين لم يقوموا بأية أعمال إجرامية.

■ **من سيقوم بأخذ القرار إن كان هذا قد قام بعمل جرمي أم لا؟**

حسيب: هذا له حل واضح كما سنرى في ما بعد في بنود المبادرة.

ثامناً: للحكومة العراقية، وبالتشاور غير الملزم مع الأمين العام للأمم المتحدة والمقاومة الوطنية العراقية، الحق باستدعاء قوات عربية محدودة من بعض الدول العربية التي لم تحرّض أو تُسهّل احتلال العراق، لأغراض حفظ السلام وبالحجم وللمدة التي تقررها الحكومة العراقية.

إذا احتاجت الحكومة الجديدة، ولكن لا تكون من الدول التي حرضت أو ساعدت في احتلال العراق.

تاسعاً: تقوم الحكومة الجديدة بما يلي، إضافة إلى ما ذكر أعلاه:

أ ـ اختيار مجلس استشاري من ١٠٠ ـ ١٥٠ شخصاً من القوى السياسية والشخصيات والكفاءات العراقية التي لم تتعاون سياسياً مع الاحتلال، وتكون اجتماعاتها ومداولاتها مغلقة ولا يعلن عن مناقشاتها.

ب ـ يعتبر ما يسمى بالدستور الذي تم إعداده تحت الاحتلال والذي تم تزوير الاستفتاء عليه (وبخاصة في محافظة الموصل ـ نينوى وكذلك في محافظات المثنى والديوانية وذي قار) في ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٥ والذي تم إسقاطه فعلياً[٥] برفضه من ثلثي الناخبين في ثلاث محافظات ملغى لافتقاده الشرعية، وتلغى الإجراءات كافة التي تمت استناداً إليه.

ج ـ أن تقوم خلال فترة لا تزيد على سنة من تاريخ تنفيذ هذا الاتفاق بإعداد قانون للانتخابات، وقانون للأحزاب، وأن يتم انتخابات مجلسين للنواب والشيوخ مستفيدة من مسودة الدستور المؤقت المعد في ندوة بيروت حول «مستقبل العراق» (تموز/ يوليو ٢٠٠٥) والكتاب الصادر حولها بعنوان «برنامج لمستقبل العراق بعد إنهاء الاحتلال: الدستور ـ قانون الانتخاب ـ قانون الأحزاب ـ إعادة البناء ـ النفط ـ الإعلام ـ الجيش ـ القضية الكردية ـ التعويضات» من دون أن تكون ملزمة به حصراً، بالتشاور مع عدد كبير من العراقيين في داخل العراق وخارجه.

■ ***إن ما تفضلتم به جيد، وهذا موجود كأساس ولكنه غير ملزم.***

حسيب: هذا برنامج موجود كأساس للحكومة الجديدة، ولكنه غير ملزم، وهذا الدستور موجود على موقع مركز دراسات الوحدة العربية على الإنترنت والذي هو (<http://www.caus.org.lb>)، ويستطيع كل من يريد أن يحصل عليه.

د ـ أن تتم الانتخابات خلال السنة الثانية من الفترة الانتقالية، وتحت إشراف الأمم المتحدة والجامعة العربية والاتحاد الأوروبي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والمنظمات الدولية والعربية الأخرى، لضمان حريتها ونزاهتها وشفافيتها، وعلى أساس القوائم النسبية وعلى أساس المحافظة، كما هو وارد في مسودة الدستور المشار إليها في الفقرة (٩ ـ ج).

عاشراً: تلتزم الحكومة الجديدة خلال الفترة الانتقالية بالسياسة النفطية التي تم

---

(٥) انظر بيان المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني حول الاستفتاء تحت عنوان: «المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني يرفض نتيجة الاستفتاء ويؤيد المطالبة بإعادته في أربع محافظات»، بغداد، ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٥.

الاتفاق عليها في ندوة بيروت، وتعتبر جميع الاتفاقات النفطية التي تمت خلال فترة الاحتلال ملغاة شرعياً لمخالفتها قراري مجلس الأمن رقمي ١٤٨٣ و١٤٥٦، كما تعتبر جميع الاتفاقات التي عقدها الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني خلال الفترة ١٩٩١ ـ ٢٠٠٣، وكذلك كل ما عقده من اتفاقات أثناء الاحتلال مع شركات أجنبية لاكتشاف وتطوير الإنتاج النفطي في محافظات السليمانية وأربيل ودهوك غير قانونية وملغاة، وتطلب من تلك الشركات إيقاف أية عمليات لها في تلك المحافظات، كما ستكون خاضعة للملاحقة القانونية داخل وخارج العراق على تعاقدها مع جهات عراقية غير شرعية لاستثمار النفط في تلك المحافظات.

■ ***هل هذا أمر سهل؟***

حسيب: هذا قبل أن يصادِق على ما يسمى «الدستور». السيدان جلال الطالباني ومسعود البارزاني عقدا اتفاقيات مع شركات نفط كأنها ملكية خاصة لعائلتيهما، وليست لديهما صلاحيات من هذا النوع. إن الدستور الذي صاغاه دستور غريب عجيب، إذ يتضمن مادة تعتبر كل الاتفاقات التي عقدت في إقليم كردستان سابقاً موافقاً عليها وشرعية بأثر رجعي، ولا يوجد دستور يتكلم هكذا، لكن هذا الدستور تمّ تحت إشراف الاحتلال وهو الذي أوجده. وحتى السياسة النفطية في ما يسمى بالدستور الجديد، تنطبق على الحقول المنتجة سابقاً الخاضعة للحكومة المركزية، أما الحقول الجديدة فيتم الاتفاق حولها بالتشاور ما بين حكومة إقليم كردستان والحكومة المركزية. هم ذهبوا مؤخراً ينقّبون في زاخو عن النفط وبدأوا بحفر بئر استكشافي من دون موافقة الحكومة ومن دون أي شيء. النفط لا يمكن أن يكون ملكية خاصة، وهذا النفط عملية استخراجه تحتاج إلى أنابيب نفط لنقله وتصديره . . . إلخ، ولا يمكن أن يتم على مستوى كل محافظة لأن ما ينتج منه في محافظة يجب أن يمرّ بمحافظات أخرى لنقله وتصديره.

حادي عشر: أن يقوم مجلس الأمن، بدعم ومبادرة من الولايات المتحدة، بإلغاء العقوبات كافة على العراق التي اتخذها مجلس الأمن بعد اجتياح العراق للكويت، والتي لم تلغَ سابقاً، بما في ذلك إيقاف أية استقطاعات من عوائد النفط العراقي المصدر ولمدة غير محددة، وأن يفرج مجلس الأمن عن أي أرصدة مجمدة للعراق.

ثاني عشر: أن تقدم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة مساعدات مالية على شكل منح، لا تقل عن خمسين مليار دولار من الأولى وعشرين مليار دولار من الثانية، تدفع على شكل منح، وتوضع خلال مدة لا تزيد، كحد أقصى، على ستة

أشهر من تاريخ الاتفاق تحت تصرف الحكومة العراقية الجديدة، من أجل إعادة إعمار العراق، وللتعويضات عن الخسارة والأضرار التي لحقت بالعراق دولة وشعباً من جراء الاحتلال الأمريكي ـ البريطاني غير المشروع، وهي أقل من النفقات المالية الفعلية لبقاء القوات الأمريكية والبريطانية في العراق لمدة سنة إذا لم يتم هذا الاتفاق كما تسعى الحكومتان الأمريكية والبريطانية لدى الحكومات الغربية التي لديها ديون على العراق بشطب هذه الديون، وكذلك التنازل عن التعويضات المطلوبة من العراق، بموجب قرارات مجلس الأمن السابقة، وأن تعيد إلى العراق التعويضات التي استلمتها تلك الحكومات (عدا الأفراد، والمؤسسات) من خلال الأمم المتحدة من عوائد نفط العراق بحسب اتفاقية النفط مقابل الغذاء.

■ ***هل باعتقادك ستوافق؟***

حسيب: إنها مضطرة إلى أن تنفق هذا المبلغ وأكثر منه في العراق خلال سنة إذا بقيت فيه، والواقع أنها تنفق في الشهر الواحد أكثر من خمسة مليارات دولار أمريكي.

■ ***وبعد ذلك ستأخذ هذا المبلغ، لا تصرفه لعيون العراقيين، ستأخذه من دم العراقيين، والآن تطلب أن تدفع من دون أن تأخذ.***

حسيب: سوف أبيّن بعد قليل إذا كان بإمكانها أن تبقى في العراق أم لا؟

■ ***تبلغ الأموال التي صرفتها حتى الآن ٢٠٦ مليارات دولار، من سيدفع هذا المبلغ؟***

حسيب: الـ ١٨,٤٦ مليار دولار التي كانت أمريكا قد خصصتها لإعادة إعمار العراق، وإلى أن غادر بريمر العراق في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٤. والمدقق المعين من قبل الكونغرس قال إنه لم يصرف من هذا المبلغ إلا ٦٣٣ مليون دولار، إضافة إلى التقارير التي تتكلم عن مليارات ضاعت ولا أحد يدري أين.

■ ***أرجو فقط أن ننهي المبادرة، لأننا نود أن نسمع تعليقاً عليها.***

حسيب: هناك مواد مهمة:

ثالث عشر: يضع البرلمان العراقي المنتخب خلال السنة الثانية من الفترة الانتقالية، مسودة دستور مستفيداً من مسودة دستور ندوة بيروت، ثم يعرض على استفتاء شعبي عام لإقراره. وحتى يتم إقرار الدستور، تعتمد الحكومة الجديدة مسودة الدستور التي أعدتها ندوة بيروت كدستور مؤقت ينتهي مفعوله بإقرار الدستور الدائم.

رابع عشر: يقوم البرلمان العراقي المنتخب باختيار رئيس للجمهورية بحسب الدستور الذي سيتم إقراره في الاستفتاء الشعبي.

خامس عشر: تتعامل الحكومة الجديدة مع القضية الكردية حسبما هو وارد في مسودة الدستور الذي أقرته ندوة بيروت والمشار إليه سابقاً.

سادس عشر: تلتزم الحكومتان الأمريكية والبريطانية بعدم التدخل في شؤون العراق الداخلية والأمنية بشكل مباشر أو غير مباشر.

سابع عشر: تلتزم الحكومة العراقية الجديدة بعدم تطوير أسلحة دمار شامل في العراق، على أن لا يحول ذلك دون حق العراق في استخدام التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية بحسب القوانين الدولية.

ثامن عشر: تلتزم الحكومة العراقية الجديدة كذلك بالطرق السلمية وعدم اللجوء إلى استعمال القوة في أية خلافات بينها وبين الدول العربية الأخرى والدول المجاورة غير العربية والتي حرّضت أو ساعدت أو ساهمت في احتلال العراق بشكل أو بآخر، في ما عدا حالات الدفاع عن النفس وفي حدود ميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية.

تاسع عشر: تشكل الحكومة العراقية الجديدة لجنة قضائية عراقية مستقلة، مع الاستفادة من الكفاءات القانونية العراقية والدولية المحايدة، للتحقيق في جميع الشكاوى عن قضايا ارتكاب جرائم وانتهاكات لحقوق الإنسان في العراق والتواطؤ مع الاحتلال وإرهاب الدولة وأعمال الخطف والقتل على الهوية والابتزاز وغيرها من الجرائم منذ ما بعد ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ وحتى مغادرة قوات الاحتلال للعراق، وتتولى لجنة التحقيق جمع المعلومات عن جميع هذه الجرائم، ويتولى البرلمان المنتخب تحديد طريقة البت فيها، في ضوء التجارب العالمية في التعامل مع هذه الجرائم.

- ***هي تشمل الرئيس السابق صدام حسين إذاً؟***

حسيب: نعم. هذا البرلمان المنتخب هو الذي يقرر. هناك تجربة جنوب أفريقيا وشمال إيرلندا، وتجربة لبنان والمغرب وتجارب الكونغو وغيرها، وهو [البرلمان] يقرر ما هي الطريقة التي يتعامل بها مع تلك الجرائم، بعد أن تكون اللجنة قد حققت فيها.

عشرون: بعد الاتفاق وبعد تنفيذ الجانبين الأمريكي والبريطاني ما جاء في الفقرات السابقة، تتعامل الحكومة العراقية الجديدة مع جميع الشركات والمؤسسات

الأمريكية والبريطانية في قضايا إعادة إعمار العراق واستثمار النفط على قدم المساواة مع الشركات والمؤسسات الأخرى العالمية ومن دون أي تحيز سياسي ضدها، وعلى أساس السياسة النفطية وبرنامج إعادة الإعمار المقرر من الحكومة العراقية الجديدة.

حادي وعشرون: يعتبر هذا العرض كلاً متكاملاً وغير قابل للانتقاء.

■ *يعني، إما توافق على كل هذه المبادرة، أو تعتبر لاغية. هذا لن أعلق أنا عليه مباشرة، بل هناك تعليق من الأخ ضياء الكواز رئيس تحرير شبكة «أخبار العراق»، ما رأيك بالمبادرة التي انتهينا للتو من قراءة بنودها؟*

ضياء الكواز: تحياتنا للدكتور خير الدين حسيب وإلى سيدتي الكريمة. أنا استلمت نسخة والدكتور أرسلها لي. هذه مبادرة جيدة جداً ومبادرة تعتبر قَيّمة من عراقي شريف أصيل، لكن هذه المبادرة ليس من مصلحة لا الأمريكيين ولا العملاء والخونة الذين جاءوا مع الأمريكيين والذين يحكمون الآن في العراق بتنفيذ هذا المشروع. أريد أن اسأل الدكتور حسيب هل تعتقد أن الموجودين في الحكومة من مصلحتهم أن ينفذوا هذا المشروع؟ أحب أن أسمع جوابك.

حسيب: أنا أشكر الأخ ضياء على هذا السؤال. وضع أمريكا واستناداً إلى تقارير أمريكية، وهي ليست تمنيات، يشبه حالة المريض الذي يعاني مرضاً خطيراً غير قابل للشفاء، ويحتاج إلى عملية جراحية عاجلة. والأطباء يقولون إن هذا المرض يجب إجراء عملية لاستئصاله، وإذا لم يُستأصل سيموت المريض. لكن المشكلة أن القوانين الطبية تتطلب موافقة المريض بأن يوقّع على موافقته إجراء العملية. المريض حتى الآن غير موافق على التوقيع. سوف أشرح لك كيف. وضع أمريكا هو التالي: عسكرياً، سبق أن ذكرت في مناسبات سابقة أن هناك أربعة أقسام في الجيش الأمريكي، والإحصاءات التي تنشر عن القتلى والجرحى هي فقط لمن يحملون جنسية أمريكية، ولا تشمل الذين لديهم «غرين كارد»، أي بطاقة الإقامة الدائمة، ولا الذين لا توجد لديهم جنسية أو غرين كارد، وكذلك لا تشمل المتعاقدين. عدد القتلى حتى الآن ٢١٤٠، أما أعداد الجرحى المعترف بهم، وكل واحد يستطيع أن يرى من خلال موقع وزارة الدفاع (البنتاغون) أو معهد بروكنغز (Brookings Institution) على شبكة الإنترنت، فإنها تبلغ أكثر من ١٦ ألف جريح، على رغم أن هناك مصادر أخرى تقدر أنها ما بين ٢٤ ألفاً و٥٤ ألفاً، ونصف هؤلاء الجرحى لا يستطيعون العودة إلى الخدمة في الجيش، إضافة إلى هذا هناك ٣٠٠٠ جندي أمريكي لجأوا إلى كندا، وهناك ٣٥٠٠ عسكري هربوا من الجيش، و٦٠٠ أُجلوا من العراق لأسباب عقلية، إضافة إلى

تدهور معنويات الجيش الأمريكي في العراق[٦]، وكذلك الصعوبات التي يعانيها البنتاغون في الحصول على العدد المطلوب شهرياً من المتطوعين، إضافة إلى خسائر القوات البريطانية في العراق[٧]، إلى جانب انسحاب عدد كبير مما يسمى قوات «الائتلاف» التي جاءت مع القوات الأمريكية والبريطانية وقرار دول أخرى سحب قواتها[٨].

■ ***هل تقصد أن هذا ما سيدفع بالقوات الأمريكية إلى الموافقة على هذه المبادرة؟***

حسيب: الرأي العام الداخلي في أمريكا هو الذي سيجبر الإدارة الأمريكية على ذلك، فالأغلبية تعتبر الآن أن ما حصل في العراق هو خطأ ويجب أن تخرج القوات الأمريكية، إضافة إلى مجلسي الكونغرس: فإضافة إلى الديمقراطيين اقترح الجمهوريون أنفسهم على قرار ووافق عليه الكونغرس بأنه يجب أن تكون سنة ٢٠٠٦ حاسمة لتسليم الأمور إلى العراقيين وإعداد جدول للانسحاب. إضافة إلى هذا، فإن تقارير «البنتاغون» وتقارير أمريكية أخرى تقول إن المعدات التي تستعملها القوات الأمريكية في العراق هي دبابات وعربات مصفحة وغيرها، والتي هي مصنوعة في أوائل الثمانينيات، قد سارت (مشت) ثلاثة أمثال المسافة المقدرة لها، ويقول واحد من هذه التقارير إن هذه المعدات تصلح لأن توضع في المتاحف. هذا إضافة إلى الوضع الأمريكي الاقتصادي المتردّي من ديون متصاعدة واقتراض خارجي. هذا إضافة إلى صعوبات الحصول على متطوعين جدد بالحجم المطلوب. فهذا كله، دليل على أننا بصدد مريض لا يستطيع الاستمرار. هذه تقارير صدر قسم منها قبل يومين، وقسم آخر صدر قبل عشرة أيام، وهذه التقارير من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكي. الخبير الاستراتيجي والأستاذ في هذا المعهد الأستاذ أنتوني كوردسمان، وضع تقريراً بعنوان «حرب العراق ودروسه الاستراتيجية للحرب المضادة للمقاومة»، تاريخه ٩ كانون الأول/ ديسمبر، أي قبل يومين فقط، فليقرأوه ليروا كيف يرى الخبراء الأمريكيون الوضع. وهناك تقرير آخر صادر يوم ٩ كانون الأول/ ديسمبر، قبل يومين، عنوانه «Iraq Evolving Insurgency»، أي «المقاومة

---

(٦) انظر: Dave Moniz, Matt Kelley and Steven Komarow, «War's Strain Wearing on Army Troops, Tools Recruitment is Down; Equipment Taking a Beating,» *USA Today*, 25/11/2005.

(٧) انظر: «Leading Article: An Unfolding Catastrophe,» *Independent*, 11/11/2005.
إذ تبين أن عدد القتلى البريطانيين في القوات البريطانية في العراق منذ آذار/ مارس ٢٠٠٣ قد بلغت ٩٧ قتيلاً، وأن أكثر من ٨٠٠ منهم قد جُرحوا. وحول الخسائر للقوات المختلفة في العراق حيث تبين تفاصيل كثيرة. انظر: «The War in Numbers: From WMD to the Victims,» *Independent*, 13/12/2005.

(٨) انظر: William J. Kole, «Two US Allies Pulling out of Iraq,» *Guardian*, 2/12/2005.

العراقية المتطورة»، وهم بالمناسبة يسمون المقاومة تمرداً (Insurgency). إضافة إلى ذلك، لقد تكلم بوش قبل أسبوع أو عشرة أيام عن التقدم الحاصل في بناء القوات العراقية المسلحة. هذا تقرير تاريخه ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥، أي قبل أربعين يوماً، وعنوانه: «تطوير القوات العراقية: هل تستطيع القوات العراقية أن تقوم بالمهمة؟».

■ ***هل هذه الدراسات تركز عليها الإدارة الأمريكية وتأخذ بها أو تهتم بها؟***

حسيب: هذا المركز الذي يصدر هذه التقارير يعتبر من أهم المراكز. ودعيني أقرأ لك جزءاً من الخلاصة التي جاءت في أحد التقارير الأخيرة عن القوات العراقية. يقول في أحد استنتاجاته: «إنه من السابق لأوانه التنبؤ إلى أي حد ستتمكن أو لا تتمكن القوات العراقية من الإضافة إلى اقوات الائتلاف والحلول محلها في ما بعد. ولا توجد حتى الآن طريقة لمعرفة ما إذا كان الضوء في آخر النفق هو ضوء النهار أم قطار قادم». ومن ثم يقول: «إن النقطة المفصلية هي أن القوات العراقية تستطيع أن تخلق شروط النصر، ولكنها - لا هي ولا قوات الائتلاف - تستطيع أن تدحر المقاومة». وهناك معلومات مذهلة عن الكفاءة التكنولوجية للمقاومة والحرب التكنولوجية بينها وبين قوات الاحتلال، وفي بعض الحالات يشير التقرير إلى أن مستوى التكنولوجيا لدى المقاومة أعلى من تلك التي لدى القوات الأمريكية والمتحالفة معها. وقبل أيام عيّن البنتاغون جنرالاً سابقاً لغرض تطوير تقانة مضادة لمتفجرات يسمونها «Road Side Bomb»[(٩)]، أي القنابل التي تزرع على جانب الطريق والتي هي أهم سبب لسقوط القتلى الأمريكيين.

■ ***اسمح لي، رأي آخر حول المبادرة نسمعه من مدير مركز الإعلام العراقي في واشنطن الأستاذ نزار حيدر. مساء الخير أستاذ نزار. ما رأيك في المبادرة التي أعلن عنها الدكتور خير الدين حسيب؟***

نزار حيدر: بسم الله الرحمن الرحيم. اسمحي لي بداية أن أتحدث بصراحة.

■ ***مطلوب الصراحة ليس أولاً فقط، ولكن أولاً وأخيراً.***

نزار حيدر: في الحقيقة أعتقد أن المبادرة لا تستحقَ القراءة، ولكن مع ذلك وعملاً بحرية الرأي، فأنا قرأتها وصرفت عليها بعض الوقت قبل ساعات لأقرأ محتوياتها، فوجدتها متناقضة جملةً وتفصيلاً، وهي في الواقع محاولة ممن كتبها

---

(٩) الاسم العسكري الفني لها هو Improvised Explosive Devices (IED).

لإعادة النظام الشمولي البائد للعراق، ليس بشخوصه وإنما بهويته. لذلك أعتقد أن هذه ليست مبادرة ولا تستحق الاهتمام بها إطلاقاً، وبخاصة أنها جاءت متأخرة جداً، وهذا بالمناسبة ما عودنا عليه القوميون العرب. إنهم دائماً يقدمون المشاريع والمبادرات في الوقت الضائع، وفي أحيان كثيرة بأثر رجعي، أو ما كانوا يسمونها بالرجعية. لذلك أعتقد أن ما يسمى بالمبادرة هي ليست مبادرة ولا تستحق النقاش، وبخاصة أنها جاءت بعد اجتماع القاهرة الذي حضره الكثير من الجهات التي كانت تسمي نفسها بالمقاومة، مثل هيئة علماء السنّة، والوقف السني، ومؤتمر أهل السنة وغيرها من الأسماء والمسميات التي كانت إلى الأمس القريب ترفض المشاركة في العملية السياسية لأنها تحت الاحتلال، والآن رأيناها حضرت اجتماع القاهرة ووقّعت على أن تحترم العملية السياسية وتحترم القرارات الدولية الصادرة بحق العراق، وتحترم نتائج صندوق الاقتراع الذي سيشهده العراق بعد ثلاثة أو أربعة أيام. لذلك، فإن ما يسمى بالمبادرة، فهي في الحقيقة تروّج للإرهاب وتروّج للإرهابيين، وليست للمقاومة الشريفة التي إن كانت موجودة فقد التحقت بالعملية السياسية.

■ ***أين وجدت أنها تروّج للإرهاب؟***

نزار حيدر: أقول لك أين تروّج للإرهاب، أولاً في المادة الثانية.

■ ***المادة الثانية، تعلن المقاومة الوطنية العراقية وقفاً لإطلاق النار مع الإبقاء على سلاحها.***

نزار حيدر: مع الإبقاء على سلاحها. وفي المادة الخامسة تقول كما يتم حل جميع الميليشات الموجودة في العراق، وقبلها بين المادتين هناك مادة تدعو إلى حل الجيش العراقي، وهي المادة الخامسة، بحيث تبدأ الوزارة الجديدة فوراً وبالتشاور مع المقاومة الوطنية العراقية والقوى الوطنية الرئيسية المعارضة للاحتلال بإعادة تشكيل الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى . . . إلخ.

إن المبادرة تدعو إلى انسحاب كامل للقوات المتعددة الجنسية التي صادق عليها مجلس الأمن الدولي والشرعية الدولية. وثانياً تدعو إلى حل الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى، ثم تطالب هذه الورقة بنزع الميليشيا سلاحها على أن تبقي ما يسمى بالمقاومة ـ أي مجموعات الإرهاب والعنف ـ على سلاحها، فإذاً هناك جيش يحل ولا يوجد قوات أمنية، ولا يوجد قوات متعددة الجنسيات، ولا يوجد ميليشيات، لكن فقط هناك إرهابيون يحتفظون بسلاحهم.

■ ***فقط سؤال، على هذه النقطة بعد ذلك نعلق، هل هذه الفترة هي فترة ضياع؟***

حسيب: الأخ يقول إنه قرأ المبادرة. المبادرة واضحة، يتم حل المقاومة بعد مدة لا تزيد على ستة أشهر بعد انسحاب جميع القوات المحتلة.

■ ***يعني الجيش يبقى حتى انسحاب القوات المسلحة.***

نزار حيدر: لا يقول هذا الشيء، إقرأي المادة رقم خمسة.

■ ***في هذه الفترة من يحمل السلاح إذاً في العراق؟***

حسيب: الحكومة هي المسؤولة، وتقوم فوراً بإعادة تشكيل الجيش العراقي.

■ ***كيف، وهذا يحتاج إلى وقت؟***

حسيب: لها الحق أن تطلب المساعدة من أي دولة عربية لم تحرض أو تساعد على الاحتلال، ولمدة انتقالية.

نزار حيدر: دعيني أوضح نقطة مهمة جداً.

■ ***ولكن بنقاش موضوعي أرجوك أخ نزار، أنا أخالفك الرأي عندما قلت في البداية إنها لا تستحق أن تقرأ، فأية مبادرة أو أي شيء يطرح يجب أن نقرأه لنقف على وجهات النظر المختلفة.***

نزار حيدر: إسمحي لي أن أوضح نقطة مهمة جداً. لا أحد في العراق تعامل مع الاحتلال إطلاقاً، إنما تعامل الجميع مع الشرعية الدولية. لقد بدأ ينظم كل شيء في العراق، حتى قبل سقوط الصنم في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، من خلال مجلس الأمن وقرارات مجلس الأمن الذي تتعامل معه اليوم الدولة اللبنانية والدولة السورية في إطار قضية اغتيال الحريري، على الرغم من أن الدولتين السورية واللبنانية تقولان بأن هذا القرار ينص على أن البلدين. . .

■ ***أخ نزار عفواً، بقي لدي أربع دقائق فقط من البرنامج. لقد أخذت رأيك على هذه المبادرة، ولديك تحفظات كثيرة عليها. رد بشكل سريع دكتور حسيب على هذه المداخلة.***

حسيب: هذا رأيه هو. أما هل هذه المبادرة قابلة للتنفيذ أم لا، فقد ذكرت وضع أمريكا حول ذلك. أما أن يتحدث عن الشرعية الدولية، فالقرار رقم (١٤٨٣) يسميها «قوات احتلال» ويطالبها بتنفيذ اتفاقيات جينيف ولاهاي الخاصة بالاحتلال، وحدد مسؤولياتها وفقاً لهذه الاتفاقات. وأمريكا نفسها قدمت رسالة إلى مجلس الأمن تقول فيها إنها هي قوات احتلال. وقرار مجلس الأمن (رقم ١٤٨٣)

يشير إلى هذه الرسالة. والذي يقول إن هذه قوات تحرير، وإن هذه قوات غير محتلة، فهو الذي يخالف الشرعية الدولية. والقرار الذي صدر عن مجلس الأمن بعده (رقم ١٥٤٦) لم يأتِ على ذكر أي شيء اسمه قانون الإدارة المؤقتة، فلا يوجد أي ذكر له، وبالتالي لا معنى لما يقوله من أنه لا يوجد متعاونون مع الاحتلال. الموجودون في الحكم الآن هم الذين جاءوا مع الدبابات الأمريكية، وهم الذين عيّنهم الاحتلال في مجلس الحكم وفي الوزارة الأولى وفي الوزارة الثانية وفي المجلس، والآن هم في الوزارة. وإذا كان يريد أن يقرأ، فإن محاضر اجتماعات مجلس الحكم المفروض أنها سرية وقد طُبعت ونُشرت في بيروت في جزأين، وليقارن ما قاله الدكتور أياد علاوي في الحلقات الأربع أو الخمس التي نشرها مؤخراً في **الشرق الأوسط** وما هو مكتوب في محاضر مجلس الحكم. على كل أعضاء مجلس الحكم، وعلى الشعب العراقي جميعاً أن يطلعوا على ما قاله أعضاء مجلس الحكم في هذه المحاضر، لأنها مذكورة بالأسماء وبالنص في المحاضر. وسيعرف هو عمَّ يتكلم. إن مجلس الحكم اختاره بريمر، كما إن قانون مفوضية الانتخابات اختاره بريمر، وهو الذي عين رئيس وأعضاء المفوضية. الانتخابات لا توجد عليها أية رقابة[(١٠)]. الآن السيد عبد العزيز الحكيم يقول إنه كان هناك تزوير في الانتخابات السابقة، ومفوضية الحكم نفسها تقول إنه كان هناك في كركوك ٨٣ ألف ناخب حذفت أسماؤهم لأنها كانت مزوّرة ودخلت في الاستفتاء على الدستور. الآن عدد الذين زُوّرت أسماؤهم بلغ ٢٠٠ ألف، وبعد أن حذفت مفوضية الانتخابات هذه الأسماء، عادت وبضغط من القيادات الكردية وأعادت تلك الأسماء المشطوبة إلى سجل الناخبين!! وبالتالي هذه انتخابات غير شرعية، وتحت الاحتلال. بوش قال في لبنان يجب ألا تجري الانتخابات قبل أن تخرج القوات السورية التي كان عددها ١٤ ألفاً، لكن في العراق يوافق على إجراء انتخابات في ظل قوات أمريكية عددها ١٥٠ ألفاً. وما يقال حول موضوع المقاومين؟

■ ***المقاومة، هذه النقطة مهمة، جرى مؤتمر في القاهرة وتم الاعتراف بالمقاومة.***

حسيب: هذا غير صحيح، لم يتم الاعتراف بالمقاومة. في اللجان اتفق على التفريق بين المقاومة والإرهاب، لكن في البيان الختامي شُطبت هذه العبارة وأُبقي

---

(١٠) أكد الأمين العام للأمم المتحدة في تصريح له أن الأمم المتحدة لا تشرف على مراقبة الانتخابات في العراق، وأنها تقدم فقط المشورة الفنية للمفوضية. ومما يذكر أن الأمم المتحدة قررت مؤخراً فصل الآنسة كارينا بيريلي (Carena Perelli) رئيسة قسم المساعدة للانتخابات في الأمم المتحدة، والتي كانت تقوم مع فريقها بتقديم الخبرة الفنية للمفوضية، لأسباب أخلاقية وإدارية! انظر: Warren Hage, «UN Election Chief Waves to Fight Fires,» *International Herald Tribune*, 6/12/2005, p. 7.

فقط على عبارة المقاومة حق مشروع، وربط موضوع الانسحاب ببناء قوات الجيش العراقي. التقارير الأمريكية، وفي شهادة لكل من الجنرال كيسي (Casey) والجنرال جون أبي زيد أمام الكونغرس وتحت القسم، قالوا إن ما تم بناؤه هو ٣٢ كتيبة، وانخفض عدد «الكتائب القادرة على القتال وحدها» من ثلاث إلى واحدة، كما تشير تقارير أمريكية أخرى إلى أن هذه القوات، إما كلها من فيلق بدر أو كلها من البشمركة، ولا يوجد إلا عدد محدود من الكتائب التي هي مختلطة.

■ *فلنسمع بشكل سريع آراء أخرى. من الموصل اخ صلاح حسن ما رأيك بالمبادرة، اخ صلاح؟*

صلاح: الأخت زينة مساء الخير. تحية لك ولضيفك الكريم الأستاذ العربي الأصيل الدكتور خير الدين حسيب الذي قلبه وروحه مع العراق دائماً. في الانتخابات القادمة سيسيطر عليها الفشل والفوضى ستعم البلاد، والطائفية ستزيد إذا جاء الجعفري أو الحكيم أو أحمد الجلبي لأنهم سينتقمون من هذا الشعب، لأن حبهم لإيران هو أكثر من حبهم للعراق. منذ ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ جاءوا إلى العراق وهم يسرقون ثروات الشعب. إنهم جالسون في المنطقة الخضراء ولا يستطيعون الخروج منها. جاءوا بمجلس الحكم وبعده جاءت حكومة علاوي وبعدها حكومة الجعفري، وكانت كلها وعود كاذبة. أين الكهرباء؟ أين الحصة التموينية؟ نحن بلد نفطي ولا يوجد بنزين ونفط وغاز، إذا أردنا أن نحصل على أي مادة منها. قاموا باعتقال آلاف الناس وزجوهم في السجون من دون محاكمة.

■ *اخ صلاح، أرجوك، القسم الثاني من البرنامج يتعلق بالانتخابات، أما الآن فبمبادرة الدكتور خير الدين حسيب. هل لديك أي تعليق على هذه المبادرة؟*

ننتقل إلى الأخ أبو فاروق من ألمانيا. اخ أبو فاروق تفضل.

أبو فاروق: مساء الخير أخت زينة. المقارنة التي ذكرها الدكتور خير الدين حسيب بالنسبة إلى المقارنة مع الاحتلال النازي لفرنسا، هذه المقارنة تختلف عن العراق. أولاً، إنه في فرنسا لا يوجد أزلام لصدّام ولا بعثيون ولا تكفيريون. أما بالنسبة إلى العراقيين فهم يعرفون جيداً أن الذي أخذ من أزلام صدام والبعثيين والتكفيريين هم الأمريكيون. نحن نعرف أن الأمريكيين هم سبب مصائبنا. لا يمكن الاطمئنان إلى المبادرة التي يطرحها الدكتور خير الدين حسيب وما يدعيه من الحرص على المقاومة، فالعراقيون يعرفون جيداً أن أزلام صدام وأمن ومخابرات صدام لا تزال موجودة ولديهم المال والسلاح، وهم على أهبة الاستعداد، ما يعني أنه في حال، إن شاء الله، خرج الأمريكيون من البلاد وتخلصنا منهم، فالهدف هو إرجاع أزلام

صدام والبعثيين إلى السلطة، لأنه لا يزال لديهم المال والسلاح. وأنا أنصح الدكتور خير الدين حسيب أن يبقي على الأموال التي أخذها زمن طاهر يحيى ومكتب الولاية، وطبعاً هو ليس عربياً.

■ ***أخ أبو فاروق شكراً جزيلاً. أود آراء حرة لكن لا ندخل في قضايا، لا أعلم هل أجعل الاتصالات مسجلة؟***

حسيب: المقارنة مع فرنسا في أثناء الاحتلال الألماني النازي هي لمقارنة كيف تم التعامل مع الفرنسيين الذين تعاونوا مع الاحتلال النازي. أتمنى على كل الإخوة الذين تكلموا عن هذه المبادرة، والذين تكلموا عن المقاومة وأسموها إرهاباً أن يعودوا إلى التقارير الأمريكية حول المقاومة التي إذا ما قرأوها فإنهم سوف يشعرون بالخجل وبالعار بسبب ما يقولون، لأن الأمريكيين أنفسهم يقولون إنه هناك مقاومة فعالة ونشطة وإنه لا سبيل للقضاء عليها، وهذا ليس كلامي، بل كلام تقارير أمريكية. أما جملته الأخيرة فهي إسفاف لا أود الرد عليه والنزول إلى مستواه.

■ ***رد على نقطة محددة، يقولون بأن كل هذه القضية تهدف لإعادة حزب البعث؟***

حسيب: المبادرة واضحة. هناك حكومة انتقالية، وهناك قانون انتخاب، وهناك إجراء انتخابات. الدستور المقترح نظام ديمقراطي تعددي . . . إلخ، أما الناس الذين لا يقرأون وفي خيالهم شيء معين، فهم يتخيلون أشياء غير موجودة. إن هذا دستور ديمقراطي أفضل من معظم الدساتير العربية الموجودة، وأعدته لجنة من خبراء في القانون الدستوري. وتمت مناقشته في ندوة في بيروت التي حضرها ١٠٨ من العراقيين الذين استطاعوا تحمّل تكاليف سفرهم، وثلثاهم من داخل العراق، وثلثهم من خارجه، فليطّلع كل واحد من أولئك على الكتاب الصادر عن الندوة والمشار إليه سابقاً، من الموقع <http://www.caus.org.lb> التابع لمركز دراسات الوحدة العربية.

■ ***في هذا الوقت دكتور خير الدين حسيب بالنسبة إلى القوات الأمريكية وحلفائها، هي كما تفضلت وذكرت هناك رضا داخل العراق تقريباً على وجودها ويقولون إنه في هذا العام ستخفض العديد وسيحدد جدول زمني، فلماذا ترضى الولايات المتحدة بهذا الخروج بهذه الطريقة المذلة بالنسبة إليها، هل تعترف بخطئها؟***

حسيب: الولايات المتحدة ستحاول أن تبقى إلى آخر دقيقة ممكنة في العراق، ولكن ستبقى المقاومة والمعارضون للاحتلال، لكن الخطة الأمريكية بحسب المعلومات المتوفرة هي كالآتي: أن تجري الانتخابات القادمة في ١٥ كانون الأول/

ديسمبر، وهي عملت على أن تكون هناك خمس مجموعات هي «جماعة الائتلاف»، و«جماعة أحمد الجلبي»، و«جماعة إياد علاوي»، و«الأكراد» وحجمها في البرلمان سيكون أصغر من السابق بسبب أن الانتخابات تتم على أساس التمثيل النسبي في المحافظات وليس لكل العراق، ونسبتها من السكان هي في حدود ١٦ في المئة فقط، إضافة إلى أن الاتحاد الإسلامي الكردستاني انفصل عن التحالف الكردي ونزل إلى الانتخابات بقائمة مستقلة وله شعبية لا بأس بها، إلى جانب «الحزب الإسلامي العراقي» وبعض المجموعات السنّية التي قواعدها محدودة جداً، على أن تقام حكومة ائتلافية برئاسة الدكتور أياد علاوي. حتى الآن التقارير تشير إلى ذلك. وهذه الحكومة ستوقع اتفاقية أمنية مع أمريكا وتسمح لها بالاحتفاظ بقواعد عسكرية دائمة، والذين سيشتركون من الحزب الإسلامي وغيره سيكونون شهود زور على هذه الاتفاقية مع القوات الأمريكية التي تمكّنها من البقاء، وبعدها خلال عام ٢٠٠٦ سوف تبدأ بعملية الانسحاب: ٢٠ ألفاً سينسحبون في أول ٢٠٠٦[(١١)]، وستحاول الحكومة من خلال ترتيب مع جامعة الدول العربية أن تستقدم جيوشاً عربية تبقى في المدن، وهي تنسحب إلى القواعد وتقدم دعماً جوياً لما يسمى الجيش العراقي الحالي والقوات الأخرى[(١٢)]، وتعمل كذلك على تحويل بعض الطائرات العسكرية التي تملكها إلى الحكومة الجديدة التي ستشكل، وهناك ١٣٧ طياراً يدربون في بلد مجاور للعراق حتى يقودوا هذه الطائرات، وحتى يقصفوا العراق بقسوة أكثر من قوات الاحتلال. هذا هو المخطط الموجود[(١٣)].

أريد أن أضيف نقطة واحدة، في ما يتعلق بالمقاومة وما يقال عن المتطوعين العرب الذين يأتون من الخارج للانضمام إلى المقاومة في العراق. إضافة إلى التقارير الأمريكية من المسؤولين العسكريين الأمريكيين في العراق وتقرير كوردسمان وغيره التي تقول إن نسبة العرب الآتين من الخارج هي قليلة جداً والمقاومة في غالبيتها الساحقة عراقية، ففي معركة «تلعفر» الأخيرة صرح ضباط في لواء الخيالة المسلح

---

(١١) انظر تصريحات رامسفيلد حول خفض أول ٢٠ ألف من قواته في العراق في: **الزمان**، ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٥؛ عادل مالك، «تسريع سحب القوات الأمريكية من العراق تحت مظلة «مشرفة»»، **الحياة**، ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٥، ص ٩؛ Carl Hulse, «Senate Republicans Pushing for a Plan on Ending the War in Iraq,» *New York Times*, 15/11/2005, and Shailagh Murray and Jonathan Weisman, «Senate Presses for Concrete Steps toward Drawdown of Troops in Iraq,» *Washington Post*, 16/11/2005, p. 1.

(١٢) حول تسليح هذا الجيش وإمكاناته، انظر: Anthony Cordesman, «Iraqi Force Development: Can Iraqi Forces Do the Job?,» <http://www.csis.org/media/csis/pubs/051129_iraqforcedev.pdf>, and Michael Mass, «Iraq Troops Go Unarmed into Fights,» *International Herald Tribune*, 31/10/2005, p. 6.

(١٣) انظر: **الحياة**، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٥، ص ٦.

الثالث في الجيش الأمريكي أن اجتياح تلعفر قرب الحدود السورية قبل شهرين أسفر عن قتل نحو مئتي مسلح واعتقال ألف ليس بينهم مقاتل أجنبي واحد[١٤]، وهذا بخلاف ما قالته قوات الاحتلال قبل المعركة من أن تلعفر هي مركز «للإرهابيين» الأجانب، وما قاله ما يسمى وزير الدفاع العراقي الحالي الذي يهدد سوريا إذا لم تمنع مجيء المتطوعين العرب إلى العراق، ويقول إنه أصبح لديه جيش . . . إلخ، فأفضل ما يمكن أن يقال إلى هذا الوزير الذي يردد ما يقوله مستشاره الأمريكي، هو ما قاله الشاعر الشبيبي في أثناء احتلال البريطاني للعراق:

المستشار هو الذي شرب الطلا[١٥] فعلامَ يا هذا الوزير تعربد؟

فهذا هو الوضع. يقول الجنرال كيميث الذي كان قائداً للقوات الأمريكية في العراق، في تصريح لجريدة **الحياة**[١٦] وهو الآن يعمل في السفارة الأمريكية في لندن، إن «جماعة القاعدة في بلاد الرافدين» بزعامة أبي مصعب الزرقاوي ليست أكبر جماعات «التمرد» [المقاومة] في العراق، لكنها بالتأكيد «أخطرها». والمقاومة ليست قضية جيش سابق وصدّام . . . إلخ، يجب أن يقرأوا ويطلعوا، ومن لا يعرف القراءة بالإنكليزية نحن نترجم له في مجلة **المستقبل العربي**، وقد ترجمنا لهم بالفعل حول موضوع المقاومة وغيرها تقارير أمريكية مهمة، فأي دليل نقدم لهم أكثر من شهادة الأمريكيين أنفسهم عن المقاومة؟

■ ***العنوان الإلكتروني لمركز دراسات الوحدة العربية هو www.caus.org.lb***، *لمن يود الاطلاع على المبادرة، وعلى الدستور المقترح للعراق الجديد. شكراً جزيلاً لك دكتور خير الدين حسيب وأهلاً وسهلاً بك.*

حسيب: شكراً، وأشكرك على هذا اللقاء. وأحب أن أقول لك إنه أول أمس قالت جريدة **الزمان** العراقية الشيء الآتي، ولم يعلن عنه، «انقلاب فاشل للائتلاف الشيعي ضد الضباط الأكراد في وزارة الدفاع» وأنا أنقل ما جاء في الصفحة الأولى في المانشيت من جريدة **الزمان**: «فشل ما يشبه الانقلاب العسكري في الوصول إلى أهدافه في إقصاء ١٣ قائداً عسكرياً كردياً بينهم رئيس أركان الجيش العراقي بابكر زيباري و٩ من قادة التشكيلات والألوية، قادها مسؤولون متنفذون في الائتلاف العراقي المشارك في الحكم. وبعدها حيث صدرت أوامر وقعها وزير الدفاع بإقالة

---

(١٤) وردت هذه المعلومات في جريدة واشنطن بوست، نقلاً عن: جهاد الخازن، في: **الحياة**، ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٥.

(١٥) «الطلا» هو «الخمر».

(١٦) **الحياة**، ١٠/ ١١/ ٢٠٠٥.

ونقل أولئك القادة الذين تتراوح رتبهم بين عقيد ولواء، وقالت مصادر عراقية موثوقة إن تلك المحاولة أجهضت عبر اتصالات سياسية عليا تخللتها إشارات واضحة من الأكراد بالانسحاب من الحكومة وإسقاط التحالف المستقبلي. وأشارت إلى أن السفير الأمريكي زالماي خليل زاده أخذ علماً بالمحاولات لتغيير خارطة المناصب العسكرية»[١٧]. هذه هي «الحكومة» الحالية العتيدة التي تحكم العراق.

■ *هذه نشرت في الصحف؟*

حسيب: هذه لم تنشر في الصحف، بل نشرت في جريدة **الزمان** العراقية وحدها، ولم تنقلها أية فضائية أو أية جريدة أخرى.

■ *شكراً لك دكتور خير الدين حسيب.*

---

(١٧) الزمان، ٨/ ١٢/ ٢٠٠٥.

(١٤)

العــراق وأمريكــا.. إلـى أيـن(*)؟
(نيسان/أبريل ٢٠٠٦)

● الأهداف غير المعلنة لاحتلال العراق.

● موقف الأنظمة العربية من احتلال العراق.

● الأخطاء الأمريكية في العراق إستراتيجية. . . لا تكتيكية كما قالت رايس.

● الخطوط العريضة للاستراتيجية الأمريكية الحالية في العراق.

● المقاومة العراقية سيطرت على أرياف العراق، وعلى ليل بغداد، وإذا لم تقبل أمريكا المبادرة فستبدأ المقاومة رحلة تحرير المدن تباعاً.

● إخفاق العملية السياسية سيصبح نهائياً خلال فترة وجيزة.

(*) النص المقدم هنا يشكل إدماجاً لثلاث محاضرات ألقاها الدكتور خير الدين حسيب خلال الأسبوع الأول من شهر نيسان/ أبريل ٢٠٠٦ في أثناء زيارته واشنطن بدعوة من «مركز الدراسات العربية المعاصرة» التابع لجامعة «جورج تاون» في العاصمة الأمريكية. وقد ألقيت المحاضرة الأولى (بالعربية) في الجامعة، والثانية (بالإنكليزية) في الجامعة أيضاً، وألقى الدكتور حسيب الثالثة (بالإنكليزية) أمام «مركز تحليل السياسة الفلسطينية». وقد نشرت تحت عنوان: «العراق. . . إلى أين؟: العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلا المبادرة الوطنية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٩، العدد ٣٢٧ (أيار/ مايو ٢٠٠٦)، ص ٦ ـ ٢٦. وقد أضيف إلى هذا النص بعض المعلومات والمراجع التي توافرت بعد نشره في **المستقبل العربي**، والآراء الواردة في هذه الدراسة تمثل وجهة نظر الكاتب ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر مركز دراسات الوحدة العربية.

● إدارة بوش ستضطر للبحث عن حل بعد أن أصبحت هزيمتها مؤكدة.

● بوش أوفد رامسفيلد ورايس تباعاً إلى صدام حسين في السجن عارضاً إطلاقه ومعاملة رئاسية في أوروبا وحماية. . . وصدّام رفض.

● هناك خمسة أنواع من الإرهاب في العراق. . . ولا علاقة للمقاومة بأي منها.

أولاً: أهداف أمريكا من احتلال العراق

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الحرب وكيف حصلت وتطوراتها، وهو ما أصبح معروفاً، ولكن ما يهمني هو التشديد على المرحلة الحالية وعلى المستقبل. ومع ذلك فلا بد من بعض الملاحظات التي سوف تساعدنا في فهم الحاضر والتطلع إلى المستقبل.

فإذا استخدمنا طريقة التحديد بالاستبعاد (Process of Elimination)، الإجابة عن التساؤل حول ما هي الأهداف التي يمكن أن تكون أمريكا قد سعت إليها من وراء غزو العراق واحتلاله، واستبعدنا الأمور التي هناك اتفاق على عدم صحتها (مثل أسلحة الدمار الشامل وعلاقة النظام السابق بالقاعدة والديمقراطية. .)[1]، فإنه ستبقى عندنا ثلاثة أهداف محتملة غير معلنة[2]: هدف استراتيجي بسبب موقع العراق، وهدف النفط والسيطرة عليه[3]، والهدف الثالث هو حماية أمن

---

(١) حول تفصيل أكثر عن أهداف أمريكا المعلنة لتبرير غزو واحتلال العراق، انظر: خير الدين حسيب: **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤)، ص ١١٦ ـ ١١٩ و٢١٢ ـ ٢٢٠؛ «حوار حول الملف العراقي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٣ (أيار/مايو ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠، و«المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٧ (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠. انظر أيضاً: تقرير «لجنة مجلس الشيوخ للاستخبارات» الذي صدر يوم ٨/ ٩/ ٢٠٠٦ والذي نفى أية علاقة لحكومة صدام حسين مع أبو مصعب الزرقاوي الذي يعمل لحساب القاعدة. وفي تقرير ثانٍ انتقدت اللجنة بصورة حادة الإدارة الأمريكية بسبب اعتمادها على «المؤتمر الوطني العراقي» [الذي يرأسه الدكتور أحمد الجلبي] خلال فترة التحضير للحرب. انظر: Mark Mazetti, «CIA Said To Find no Hussein Link to Terror Chief,» *New York Times*, 9/9/2006; *International Herald Tribune*, 9/9/2006; United States Senate Select Committee on Intelligence: «*Report of the Select Committee on Intelligence on Postwar Findings about Iraq's WMD Programs and Links to Terrorism and How They Compare with Prewar Assessments: Together with Additional Views*,» (109th Congress, 2nd Session, 8 September 2006), p. 148, and «The Use by the Intelligence Community of Information Provided by the Iraqi National Congress,» 8 September 2006, p. 208.

(٢) حول الأهداف غير المعلنة لاحتلال العراق، انظر: حسيب: **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية**، ص ٢١٧ ـ ٢٢٠، و«المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق،» ص ٦ ـ ٣٠.

(٣) حول تفاصيل «النفط كهدف أساسي لاحتلال العراق،» انظر: حسيب، **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية**، ص ٢١٧ ـ ٢١٩. كذلك نُقِل عن لاري لندسي (Larry =

إسرائيل[٤]. تلك هي الأهداف غير المعلنة المتبقية والمحتملة لغزو واحتلال أمريكا للعراق.

ثانياً: موقف الدول العربية من احتلال العراق

أما بالنسبة إلى الدول العربية وموقفها من احتلال العراق، فهناك اتفاقية بينها تعرف بـ «اتفاقية الدفاع العربي المشترك» وُقعت في عام ١٩٥٠ وانضمت إليها جميع الدول العربية التي استقلت بعد ذلك التاريخ والتزمت بها. وبحسب اتفاقية الدفاع العربي المشترك فإنه في حالة تهديد أي دولة عربية عسكرياً من قبل دولة غير عربية، على جميع الدول العربية أن تهب لمساعدتها بما في ذلك عسكرياً وتعتبر ذلك حرباً على جميع الدول العربية. وحتى في حالة التهديد بالعدوان فإن جميع الدول العربية مُلزمة بأن تأتي لمساعدة الدولة العربية المعنية. وأكثر من هذا، تنص الاتفاقية على أنه لا يجوز لأي دولة عربية أن تعقد اتفاقية عسكرية وأمنية مع دولة أخرى غير عربية إذا كان ذلك يهدد الأمن القومي العربي. هذا على الورق، وما حصل في الواقع كان مختلفاً.

قبل الحرب كان هناك تحريض من بعض الأنظمة العربية على الحرب على العراق، إلى حد الزعم من بعضهم أن لديه معلومات استخباراتية موثوقة من داخل العراق

= (Lindsay)، المستشار الاقتصادي للرئيس بوش، قوله في تصريح نُشر في: *Wall Street Journal*, 15/9/2002, «إن أفضل طريقة لضبط أسعار النفط هو شن حرب قصيرة ناجحة على العراق»، نقلاً عن: Linda Bilmes and Joseph E. Stiglitz, «The Economic Costs of the Iraq War: An Appraisal Three Years after the Beginning of the Conflict,» paper prepared for presentation at the: ASSA Meeting, Boston, MA January 2006.

انظر أيضاً: سمير أمين، «مناقشة مقالة عبد الخالق عبد الله: «دبي: رحلة مدينة عربية من المحلية إلى العالمية»،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣٢٨ (حزيران/ يونيو ٢٠٠٦)، حيث يقول إنه «ثم دخل النظام العالمي في مرحلة جديدة انطلاقاً من التسعينيات، فظهرت استراتيجيات جديدة في ما يخص إدارة موارد الطاقة، والنفط بخاصة. تجلى هذا التحول في قرار واشنطن بالتدخل العسكري المباشر في المنطقة ومن خلاله ضمان التحكم المطلق في أسواق النفط لصالحها؛ بمعنى آخر الاستيلاء المباشر على المورد وتحديد أوجه التصدير والأسعار، وأخذت المؤسسة الأمريكية في تنفيذ المشروع انطلاق [انطلاقاً] من حرب الخليج عام ١٩٩٠». ثم يمضي بالتساؤل عن «ما هي الأسباب التي أدت إلى العمل بهذا المنهج الجديد؟» ويجيب «يقال إنه ناتج إدراك واشنطن أن النفط سيصبح مورداً نادراً في المستقبل «القريب» فلن تتوافر الكميات المطلوبة لمواجهة الطلب المتزايد عليه، وبالتالي إن استمرار استفادة الولايات المتحدة بمركزها المميز يتطلب السيطرة المباشرة على مناطق الإنتاج. بالإضافة إلى أن هذه السيطرة من شأنها أن توفر لواشنطن أداة ضغط فعالة على الدول الأخرى، ولاسيما أوروبا والصين. أعتقد أن هذا التحليل صحيح إلى حد كبير ـ على أن تنفيذ البرنامج قد افترض انقلاباً في موازين القوى العسكرية وهو ما تحققه بالفعل مع القوة السوفياتية».

(٤) حول هدف «ضمان أمن إسرائيل» وموقف العراق من إسرائيل، انظر: حسيب، **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية**، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، و**المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣٢٨ (حزيران/ يونيو ٢٠٠٦).

تقول: إن العراق لديه مختبرات متنقلة لصنع الأسلحة البيولوجية. وتم نقل هذه المعلومات إلى الرئيس بوش، وتجدون التفاصيل الخاصة بهذه المعلومات في كتاب بوب وودوورد **خطة الهجوم** (*Plan of Attack*)[٥]. إضافة إلى هذا فإن اثنين من رؤساء الدول العربية أبلغا تومي فرانكس (Tommy Franks) الذي كان قائداً للقيادة المركزية الأمريكية (Central Command) في أثناء احتلال العراق أن العراق يملك أسلحة دمار شامل. وقد أشار تومي فرانكس في كتابه الذي نشره عن الحرب بعنوان *American Soldier*[٦]، حيث يذكر هذا بوضوح. هذا كله فضلاً عن إتاحة القواعد البرية والمياه الإقليمية والأجواء الوطنية لعدد من الدول العربية أمام القوات الأمريكية لاستخدامها في عملية الهجوم والغزو ضد العراق، وعموماً يمكن تصنيف موقف الأنظمة العربية من احتلال العراق ما بين «ساكت» أو «خائف» أو «متواطئ علناً» أو «متواطئ سرّاً»[٧].

لهذا، فإنه عندما نتحدث عن الحلول الممكنة وما يُطرح من إرسال جيوش عربية للمساعدة في المحافظة على الأمن في المدن العراقية الرئيسة، يجب أن نكون واضحين في أن هذه الدول العربية التي هي إما حرضت على أو ساهمت في الحرب بتقديم التسهيلات العسكرية واللوجستية للقوات المحتلة، لا يمكن أن يُتوقع منها أن تساهم في حل المشكلة الحالية إلا في حدود ما تطلبه السياسة الأمريكية منها.

ثالثاً: الأخطاء الأمريكية في احتلال العراق

إنكم تعرفون الآن ما حصل منذ الغزو والاحتلال وغيره. فما هي الأخطاء التي ارتكبتها الولايات المتحدة في احتلالها العراق؟

اعترفت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية قبل بضعة أيام (من تاريخ المحاضرة) بأن الولايات المتحدة ارتكبت آلاف الأخطاء التكتيكية بقولها: «أعرف أننا ارتكبنا أخطاء تكتيكية. الألوف منها. إنني واثقة»[٨]. ومن المفيد أن نرى ما إذا

---

(٥) Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York; London: Simon and Schuster, 2004), pp. 312-315.

(٦) Tommy Franks with Malcolm McConnell, *American Soldier* (New York: HarperCollins Books, 2004), p. 204.

(٧) حول تفاصيل موقف الدول العربية من احتلال العراق، انظر: «الموقف العربي بين الواجب والواقع،» في: خير الدين حسيب: **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية**، ص ٧٤ ـ ٨٥، و«الحرب الأمريكية على العراق... إلى أين؟،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٥، العدد ٢٩٠ (نيسان/أبريل ٢٠٠٣) ص ٦ ـ ٢٣.

(٨) انظر: سحر بعاصيري، «أخطاء تكتيكية،» **النهار**، ١/٤/٢٠٠٦، ص ١، حيث أشارت إلى نص تصريحها مترجماً إلى العربية.

كانت هذه الأخطاء هي فعلاً أخطاء تكتيكية أم أخطاء استراتيجية[٩]:

١ ـ بحسب معاهدات جينيف ولاهاي فإن الجيوش المحتلة، ـ وأمريكا اعترفت للأمم المتحدة بأنها كانت هي محتلة للعراق، ، وذلك في الرسالة الأمريكية الموجهة إلى مجلس الأمن والتي صدر على أساسها القرار رقم ١٤٥٣ الذي حدد أنها هي دولة محتلة، ـ بحسب هذه الاتفاقيات هي تكون مسؤولة عن الأمن في البلد الذي تحتله. والذي حصل في العراق أنه في الأيام الأولى في بغداد نُهبت متاحف العراق، **ونُهبت السجلات الحكومية والمكتبات وكل ما يتعلق بمؤسسات الدولة من سجلات وغيره، بحيث تم القضاء على ذاكرة العراق**، وتُرك الأمر على هذا الشكل ما بين حرق ونهب وسرقة وما إلى ذلك من أعمال. والسؤال هو: هل كان هذا متعمداً أم نتيجة لعدم التخطيط أو أمور أخرى؟ وهناك مجال للاجتهاد. ولكن روبرت فيسك[١٠] الصحافي البريطاني المعروف ومراسل صحيفة **الإندبندنت** في الشرق الأوسط، والذي كان موجوداً في العراق عند الاحتلال، ذكر في كتابه الذي صدر مؤخراً وأكد أن هذه الأعمال تمت تحت بصر قوات الاحتلال الموجودة هناك والتي لم تحرك ساكناً لمنعها أو وقفها.

٢ ـ وعندما دخل الجيش الأمريكي إلى العراق **لم يعد أحد** في الإدارة الأمريكية أو في **القيادة العسكرية يتكلم عن شيء اسمه الشعب العراقي**، فقد بدأوا يتكلمون عن شيعة وسنّة، وعرب وأكراد وتركمان. . ، وقاموا بتشجيع العملية الطائفية في العراق، كما قاموا بتشكيل مجلس الحكم المؤقت على أساس تقسيم طائفي وإثني (عنصري)، واستمرت العملية السياسية كلها على هذا الأساس، وكما سنجد بعد قليل، إنهم يحصدون الآن نتائج ما زرعوه في تلك الفترة. فإلى أي حد يعكس هذا واقع الشعب العراقي؟

بداية، يجب الإشارة إلى أن حوالى ثمانين في المئة من الشعب العراقي هم عرب، وأن نسبة ٩٥ في المئة من السكان هم مسلمون. ومنذ استقلال العراق في عام ١٩٢٠ وحتى احتلال العراق عام ٢٠٠٣ لم يشهد العراق أي صراع طائفي، خلافاً

---

(٩) المصدر نفسه، ص ١ و١٢.

(١٠) انظر الشرح المفصل لما حدث في الأيام الأولى من احتلال بغداد في: Robert Fisk, *The Great War for Civilization: The Conquest of the Middle East* (London: Fourth Estate, 2005), pp. 1204-1233.

ويقول فيسك، إنه تجاه كل ما حدث فقد أغمض «الأمريكيون عيونهم، والحقيقة فقد أظهروا تحديداً بأنهم لا ينوون منع «تحرير» هذه الملكية وإلا فإن ما يجلب الانتباه أنه في حين أن الولايات المتحدة سمحت للغوغاء بتحطيم ثم حرق ونهب وزارات التخطيط، والتربية، والري، والتجارة، والصناعة والخارجية، والثقافة والإعلام، وكذلك البنك المركزي، والمتاحف في بغداد والموصل ونهبها، عدا المكتبات، إلا أنهم قاموا بحماية وزارتي الداخلية والنفط فقط (ص ١٢٢٠).

للبنان أو أي بلد آخر حيث توجد فيه مصاعب طائفية. ومن بين رؤساء الحكومات الذين تولوا السلطة بين عام ١٩٢٠ وعام ٢٠٠٣ (قبل الاحتلال) كان تسعة منهم من العرب الشيعة واثنان من الأكراد. ومن بين ١٨ من رؤساء الأركان في الجيش العراقي كان ثمانية من الأكراد، أي حوالى ٤٤ في المئة، وهي أكبر من نسبتهم في السكان (١٦,٤ في المئة). وفي ما يتعلق بحزب البعث نفسه، فإن غالبية أعضائه كانوا من الشيعة، كما كانت أغلبية قيادة حزب البعث، بغض النظر عما كان للقيادة من سلطة حقيقية، من الشيعة. ومن بين الخمسة والخمسين شخصاً الذين نشرت صورهم سلطات الاحتلال وكانوا مطلوبين منها، فقد كانت نسبة ٣٥ في المئة منهم من العرب الشيعة[١١]. ومن ثم، فإن ما تمارسه سلطة الاحتلال في العراق شيء جديد، وقد بدأت بدعم العرب الشيعة ضد السنّة، ثم أظهرت تحولاً نحو دعم العرب السنّة ضد الشيعة. والآن فهي تحصد ما زرعت[١٢].

كذلك من المهم أن نعرف كم كانت نسبة الأكراد في العراق ـ بحسب تعداد عام ١٩٥٧ ـ وهو التعداد الوحيد الذي تضمن سؤالاً عن اللغة الأم حيث نستطيع أن نستدل من ذلك عن عدد الأقليات المختلفة. وقد نظر الأكراد إلى هذا التعداد كأساس لنسبتهم بين السكان، وكان ذلك قبل ثورة ١٩٥٨. وبحسب هذا التعداد، فإن نسبة الأكراد كانت ١٦,٤ في المئة. ومدينة كركوك نفسها ـ التي يحاول الأكراد الآن المطالبة بها ـ كانت الأغلبية فيها بحسب ذلك التعداد من التركمان والعرب. وينطبق هذا على محافظة كركوك، فالأغلبية هي من التركمان والعرب[١٣].

إلا أن قوات الاحتلال وسلطاته تتجاهل هذه الحقائق ويجري تحريف الأمور في ما يبث إعلامياً، ولم يظهر تفسير مضاد أو تفسير في الإعلام يشرح الأمر للشعب.

٣ ـ رغم مضيّ أكثر من ثلاث سنوات على احتلال الجيش الأمريكي العراق، فإننا نلاحظ أن **الأمن في تدهور مستمر، وكذلك الخدمات، من كهرباء وصحة ومياه شرب وغيرها**، وهذا باعتراف السلطات والتقارير الأمريكية نفسها. وعلى سبيل المثال لا الحصر، وعلى الرغم من صرف مليارات الدولارات على مشاريع الكهرباء في العراق، فإن الطاقة الإنتاجية للكهرباء الآن هي أقل مما كانت عليه قبل الاحتلال مع أن العراق كان يعاني حينئذ حصاراً استمر ثلاث عشرة سنة.

---

(١١) حول الطائفية في العراق، انظر: حسيب، **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية**، ص ١٣٠.

(١٢) بعاصيري، «أخطاء تكتيكية،» ص ١٢.

(١٣) انظر: حسيب: المصدر نفسه، ص ١٣٢ ـ ١٣٣، و«حوار حول الملف العراقي،» ص ٦ ـ ٣٠.

٤ ـ لقد جاء **قرار حل الجيش العراقي** وتسريح مئات الألوف من الضباط والجنود العراقيين بمثابة حل للجهاز الرئيسي لحفظ القانون والنظام في البلد وترك الجنود بلا عمل، الأمر الذي أجبر كثيرين منهم على البحث عن حلول عنيفة[١٤].

٥ ـ ثم كان **قرار اجتثاث البعث**. وقد طبق هذا على كل موظفي الحكومة في جميع المستويات وكائنة ما كانت الدائرة التي يتبعونها، بما في ذلك موظفو المدارس الحكومية. . . إلخ.، الأمر الذي أدى إلى فراغ كبير ـ وحقد كبير ـ كما أدى إلى خفض مستوى الخدمات التي تقدم للعراقيين، وهو كان متدهوراً أصلاً بسبب العقوبات التي كانت مفروضة على العراق سنوات طويلة قبل الغزو.

٦ ـ أخطاء في التقدير، فلم يحسنوا تقدير العدد المطلوب من الجنود لضبط الوضع في العراق بعد الاحتلال، كما لم يقدروا جيداً حجم المقاومة للاحتلال ومبلغ عدم الترحيب بهم كما توقعوا، وكذلك عدم تقديرهم بدقة دور إيران في العراق، وإعلان العراق «نموذجاً للديمقراطية» في الشرق الأوسط ونموذجاً للتغيير الديمقراطي في المنطقة، وإذا بالعراق يتحول إلى نموذج يخشى الجميع في المنطقة وخارجها، والأمريكيون في الطليعة، من أن يتكرر في أي مكان آخر[١٥].

٧ ـ فإذا لم تكن هذه أخطاء استراتيجية، فكيف تكون الأخطاء الاستراتيجية إذاً[١٦]؟

رابعاً: السياسة الأمريكية الحالية في العراق

إنني أحاول أن أضع أمامكم الخطوط العريضة للسياسة، والاستراتيجية الأمريكية الحالية في العراق، وأن أشارككم فهم إلى أي حد يمكن هذه الاستراتيجية أن تنجح؟ وإذا كان لا يبدو أنها ستنجح، فما هو البديل أو البدائل لإخراج أمريكا من مأزقها الحالي؟

في تقديري، وفي حدود معلوماتي، فإن الاستراتيجية الحالية للولايات المتحدة في الوقت الحاضر تقوم أساساً على ما يسمى «العملية السلمية» وتتضمن ما يلي[١٧]:

---

(١٤) انظر: بعاصيري، المصدر نفسه.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) حول الأخطاء الاستراتيجية والتكتيكية في العراق، انظر: Anthony H. Cordesman, «American Strategic, Tactical, and Other Mistakes in Iraq: A Litany of Errors,» Center for Strategic and International Studies (CSIS), 19 April 2006.

(١٧) Rich Lowry, «The Khalilzad Report: Our Man in Iraq on Progress and Strategy,» *Early Bird* (9 November 2005).

١ ـ بعد أن جرى «الاستفتاء» على الدستور، و«الانتخابات» التي تمت في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر السابق (٢٠٠٥) ونجحت فيها الولايات المتحدة في إشراك بعض من يسمون «العرب السنّة» بما في ذلك «الحزب الإسلامي العراقي» وما يسمى «جبهة التوافق» و«جبهة الحوار الوطني»، فإنها ومن خلال تضخيم أهمية هذه المشاركة، وكذلك تضخيم الثِقل الحقيقي للأطراف السنّية المشاركة، فإنها قد نجحت جزئياً في إعطاء الانطباع بأن جميع التكوينات السياسية والاجتماعية في العراق قد ساهمت في العملية الانتخابية، على الرغم من كل التزوير الذي تم فيها. وقد ساعد الإدارة الأمريكية في ترويج هذه الانطباع، أن «المقاومة الوطنية العراقية» قد سمحت بهدنة خلال فترة الانتخاب أعطت انطباعاً بموافقتها غير المباشرة على العملية السياسية، على الرغم مما تقوله المقاومة الوطنية بأن موقفها هذا كان استجابة لرغبة شعبية واسعة للاشتراك في انتخابات ١٥ كانون الأول/ ديسمبر الأخيرة لأسباب مختلفة.

٢ ـ محاولة التفاوض وإجراء الاتصالات مع أطراف المقاومة المختلفة، عدا جماعة الزرقاوي، وكل على حدة، لإيقاف المقاومة والمشاركة في العملية السياسية. وقد فشلت حتى الآن في ذلك.

وقد اضطرت الولايات المتحدة بعد فشلها في إقناع المقاومة بالمشاركة في العملية السلمية، إلى اللجوء إلى وسيلة أخرى لعلها تبيّن مدى الوضع الحرج الذي تجد نفسها فيه، حيث اضطرت إلى الاستعانة بالرئيس العراقي صدام حسين في سجنه لإقناع المقاومة بالالتحاق بالعملية السياسية. وفي هذا الإطار من المفيد أن أذكر لكم معلومة مهمة لم يتطرق إليها الإعلام حتى الآن، ذلك أنه بغض النظر عن الخطاب الأمريكي عن النظام السابق وعن صدام حسين، فإن الإدارة الأمريكية في محاولتها المفاوضة مع المقاومة وإيجاد تسوية سياسية، اتصلت بالرئيس صدام حسين في سجنه، وكانت هناك مجموعة من الشخصيات العالمية مثل أحمد بن بللا ونيلسون مانديلا وغيرهما قد قابلوا الرئيس بوش بشأن موضوع صدام حسين والوضع في العراق. والرئيس بوش أرسل دونالد رامسفيلد إلى بغداد في مهمة خاصة وقابل صدام حسين وعرض عليه أن يخرج هو وعائلته وجميع أقاربه ويختار أي بلد أوروبي يريده، وتضمن له الولايات المتحدة المعاملة على مستوى رئاسي وكل الضمانات والحماية وغيرها مقابل أن يطلب من المقاومين من حزب البعث أن يوقفوا المقاومة ويلتحقوا بالعملية السياسية. والرئيس صدام حسين رفض هذا رفضاً باتاً. ثم جُددت المحاولة مرة ثانية، بعد أن أعطى محامي الرئيس صدام حسين انطباعاً بأنه ربما يكون الآن أصبح مستعداً لهذا الأمر، وهذه المرة ذهبت كوندوليزا

رايس وقابلت صدام حسين قبل مدة، وعرضت عليه العرض نفسه، ورفض صدام هذا العرض مرة أخرى رفضاً باتاً. وأعلن أنه لو أراد أن يترك العراق لكان تركه سابقاً، لكنه موجود في العراق ويريد أن يموت في العراق وتفاصيل أخرى[١٨].

٣ ـ استكمال العملية السياسية بتشكيل حكومة جديدة موالية للولايات المتحدة، وتوقيع اتفاق أمني ودفاعي معها يتضمن انسحابها من المدن العراقية الرئيسة إلى القواعد التي قامت بإنشائها في العراق، وبعد أن يتم استكمال بناء ما يسمى «الجيش العراقي الجديد» وقوات الشرطة وغيرها من القوات الأمنية، وأن يقتصر دورها بعد ذلك على تأمين التغطية الجوية لتلك القوات العراقية، وإذا ما تطلب الأمر الطلب من جامعة الدول العربية، من خلال الحكومة العراقية الجديدة الموالية لها، إرسال قوات عسكرية عربية و/ أو إسلامية لتتولى حماية المدن الرئيسة العراقية وإلى أن تتمكن القوات الحكومية الجديدة من تولي تلك المسؤولية.

٤ ـ أن يقتصر وجود القوات الأمريكية، بعد تنفيذ ما ورد في الفقرة (٣) أعلاه على أربع قواعد عسكرية رئيسة في العراق.

خامساً: ما مدى إمكانية نجاح هذه الاستراتيجية الأمريكية في العراق؟

يمكن القول إن نجاح هذه الاستراتيجية في العراق تعترضه الصعوبات التالية:

١ ـ تعثر العملية السياسية في العراق، إذ بالرغم من كل الضغوط الأمريكية على الأطراف العراقية المختلفة لم تتمكن، هذه من الاتفاق على رئيس للوزراء، إلا بعد مضي أكثر من أربعة أشهر على الانتخابات[١٩].

٢ ـ بعد الاتفاق على رئيس للوزارء والمواقع الرئيسة الأخرى، وعلى المحاصصة الطائفية في اختيار الوزراء، لا يتوقع أن تكون هذه الوزارة فاعلة وأن تتمكن من

(١٨) نقلاً عن مصدرٍ موثوقٍ اطلع شفاهاً وكتابة على هذه المعلومات من السيد عزت الدوري، نائب الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الوقت الحاضر، والمختفي حالياً، وعلى ما علمت، على اتصال غير مباشر بالرئيس صدام حسين من خلال محاميه.

(١٩) تم يوم ٢٣ نيسان/ أبريل ٢٠٠٦ وبعد مخاض عسير الاتفاق على اختيار رئيس للوزراء، ورئيس للجمهورية ونائبين له، وكذلك رئيس لمجلس النواب ونائبين له، ولكنه لم يتم الاتفاق على تشكيل الوزارة، ما دفع وزير الدفاع دونالد رامسفيلد ووزيرة الخارجية كوندوليزا رايس إلى زيارة بغداد والاجتماع إلى المعنيين بالموضوع للإسراع في تشكيل حكومة «وحدة وطنية» و«حل المليشيات» وتوجيهات أخرى، وقد تم تشكيل الوزارة بعد مخاض عسير من دون وزراء للداخلية والدفاع والأمن القومي، ولم يتم تعيين هؤلاء إلا مؤخراً (٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦).

ضبط الأمن وتحقيق الاستقرار وتحسين الخدمات للشعب العراقي من كهرباء وماء وصحة وغيرها، الآخذة جميعاً بالتدهور منذ الاحتلال وحتى الآن، وبخاصة أن الأطراف المختلفة المشاركة في الحكومة الجديدة، تنطلق من اعتبارات طائفية ومذهبية وعنصرية، ولا تمتلك أفقاً وطنياً يجمعها في ما بينها، ما سينعكس صراعات داخلية بينها، وفي أدائها. ومن المتوقع أن تفشل هذه الوزارة، في المهمات الرئيسة المتوقعة منها. كما إن هناك مؤشرات على أن الإدارة الأمريكية ليست راضية عن أدائها[٢٠].

٣ ـ ستحتاج الحكومة الجديدة، بعد أن تم تشكيلها، وكذلك البرلمان الجديد، إلى إصدار (٥٥) قانوناً لتطبيق بعض مواد الدستور، وبعض هذه القوانين تمثل قضايا شديدة الخلاف والحساسية بين التكوينات السياسية المختلفة حالياً في العراق.

٤ ـ يتطلب الأمر من هذه الوزارة الجديدة والبرلمان، أن يقوما بتشكيل لجنة لتعديل بعض مواد الدستور الذي تم الاتفاق عليه في استفتاء تشرين الأول/ اكتوبر الماضي (عام ٢٠٠٥) والذي ينص على تشكيل لجنة خلال مدة لا تزيد على ١٢٠ يوماً لإعادة النظر في المواد المختلف عليها فيه.

٥ ـ وحتى إذا نجحت الحكومة الجديدة في تشكيل هذه اللجنة، فإن المطلوب موافقة هذه اللجنة على التعديلات المقترحة، وهو أمر غير مؤكد، ثم موافقة الحكومة ومجلس النواب على هذه التعديلات المقترحة، وهو أمر في غاية الصعوبة.

٦ ـ وحتى لو وافقت الحكومة والبرلمان على التعديلات المقترحة من قبل اللجنة، فإنها يجب أن تُعرَض خلال ٦٠ يوماً على الاستفتاء الشعبي. وحتى إذا افترضنا جدلاً أن التعديلات (أو الدستور المعدل) سيمرّ، في كل هذه المراحل، بنجاح بما فيها عملية الاستفتاء، فإن بإمكان أية ثلاث محافظات أن تسقط هذا الدستور المعدل (التعديلات) إذا صوّت ثلثا الناخبين فيها على رفض التعديلات، وهو

---

(٢٠) انظر مثلاً: Paul Ritcher, «US Frustrated by Pace of Change in Iraq,» *Los Angeles Times*, 16/9/2006.

وانظر أيضاً: الخلاصة عن وقائع الندوة التي نظمها معهد الشرق الأوسط في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (التابعة لجامعة لندن) وأشير فيها إلى ضعف الحكومة العراقية الحالية وتخبط الأمريكيين، وبخاصة ما ذكرته جوديث يافي، الباحثة والمحاضرة في جامعة الدفاع الأمريكية التي عملت سابقاً في قسم الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية سنوات طويلة، إذ أكدت أن رئيس الحكومة العراقية الحالي نوري المالكي لا يملك تأييداً لدى جميع العراقيين ولا حتى لدى أعضاء حكومته وحزبه. وأضافت بسخرية: إذا كان حامد كرزاي ليس أكثر من عمدة كابول في أفغانستان فإن المالكي ليس أكثر من عمدة المنطقة الخضراء في بغداد وبالتالي، رأت أنه سيصعب على المالكي القضاء على الميليشيات العراقية في مثل هذه الأوضاع، كما إن قادة هذه الميليشيات حسب قولها، لا يسيطرون كلياً على أعضائها. انظر: **القدس العربي**، ٢٠/٩/٢٠٠٦.

أمر محتمل جداً إذا كانت التعديلات لا تلائم الأكراد، إذ بإمكانهم إفشالها من خلال رفض ثلثي الأكراد في محافظات أربيل والسليمانية وذهوك ذلك، أو إذا كانت التعديلات لا تلائم قائمة الائتلاف فيمكن أن يحصّل هؤلاء ثلثي الناخبين في ثلاث محافظات على الأقل في الجنوب و/ أو وسط العراق لرفض هذه التعديلات.

٧ ـ ومن أسباب تعثّر العملية السياسية، إضافة إلى وجود الاحتلال، غياب ممارسة الثقافة الديمقراطية في العراق. فمنذ ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ لم يمارس العراقيون أبداً تصويتاً حقيقياً في أي انتخابات. فإذا ما أخذت الفترة من عام ١٩٥٨ إلى عام ٢٠٠٣ نجد أننا نتحدث عن ٤٥ عاماً، وإذا افترضنا أن الشخص يكون قد وصل إلى النضج السياسي في عمر الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة، نستطيع أن نقول إنه حينما وقع الاحتلال كان جميع العراقيين من عمر الستين فأقل لم يمارسوا الديمقراطية في العراق قبل ذلك.

فماذا عن القوى السياسية في العراق؟ الأحزاب السياسية التي جاء معظم قادتها مع قوات الاحتلال لم يمارس أي منها أية ديمقراطية. إن قادة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية معيّنون ولم ينتخبوا أبداً، وينطبق هذا على إبراهيم الجعفري وأحمد الجلبي، وحتى على الأكراد، إذ يقال أحياناً إن كردستان نموذج للديمقراطية. حسناً إن المرة الوحيدة التي جرت فيها انتخابات برلمانية ـ لانتخاب برلمان كردي ـ كانت في عام ١٩٩٤، وقد عاش هذا البرلمان عاماً واحداً وشُكّلت حكومة موحدة انقسمت بعد ذلك إلى حكومتين، واحدة في السليمانية وواحدة في أربيل، وجرى قتال إلى حد أن السيد مسعود البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردي طلب العون من الرئيس صدام حسين حينئذ لإخراج أتباع السيد جلال الطالباني منها. والسيد مسعود البارزاني لم يجر أبداً انتخابات في حزبه وهو يتزعم هذا الحزب منذ وفاة والده (مصطفى البارزاني)، وينطبق الأمر نفسه على السيد جلال الطالباني حتى الآن. وقد أعلنا أنهما سيوحدان حكومتيهما مرة أخرى في غضون عامين، ولكن مضى أكثر من ثلاث سنوات ولم يفعلا شيئاً من هذا القبيل إلا مؤخراً، ولا يزال في بعض الوزارات، وبخاصة الدفاع، وزيران أحدهما يتبع أربيل والثاني يتبع السليمانية. كما لم يستطيعا حتى الآن توحيد شبكات الهاتف الخلوي بينهما، ولا يستطيع الشخص الكردي في السليمانية أن يتصل من هاتفه الخلوي بصديقه أو قريب له في أربيل! إذاً، فهذه تنظيمات ميليشيا وهؤلاء قادة ميليشيات، وينبغي أن نضع هذا في اعتبارنا حينما نتحدث عن مستقبل الديمقراطية في العراق.

لم أكن أقصد مما ذكرت أننا ينبغي أن لا نبدأ العملية الديمقراطية، إنما يتعين علينا أن نعي حدود هذه العملية. والصعوبة الأخرى الواضحة الآن بعد

الانتخابات بشأن تشكيل مجلس وزراء تكمن في أنه لا يوجد بين الفرقاء السياسيين قادة يملكون القوة أو الصدقية أو حتى الرغبة في تجميع أحد حولهم إلا من ينتمي إلى ديانتهم أو جماعتهم العرقية. فكيف يمكن تشكيل حكومة موحدة من هذه الجماعات؟

هذه هي المحنة التي تواجهها إدارة بوش الآن في العراق. ويمكن المرء أن يقول بأمان إن الاستفتاء على الدستور وانتخاب مجلس جديد للنواب في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥ لم يأتيا بأمن أو استقرار، إنما هما ـ عوضاً عن ذلك ـ كشفا عمق الانقسامات الطائفية والعرقية في العراق التي ساهم الاحتلال في تأجيجها.

٨ ـ يضاف إلى كل ذلك استمرار **المقاومة الوطنية العراقية** بعد فشل القوات المحتلة في العراق في إجراء حوار معها للتخلي عن المقاومة والانخراط في العملية السياسية، إذ هي تطالب قبل الدخول في أية مفاوضات بإعلان الإدارة الأمريكية عن استعدادها للانسحاب من العراق خلال مدة وجيزة من دون ترك أية قواعد عسكرية وراءها، وأن تتم المفاوضات بعد إقرار الإدارة الأمريكية بذلك وتنفيذه. وهنا لا بد من بعض التوضيح حول المقاومة العراقية.

المقاومة العراقية:

يجب التفريق بين المقاومة والعمليات الإرهابية. إن هناك عمليات إرهابية من قتل وخطف واستهداف مدنيين، وهذه أمور مُدانة بكل المعايير وبكل القوة، ولكن القضاء على هذه العمليات الإرهابية ليست مسؤولية المقاومة، لأن الأمن هو مسؤولية قوات الاحتلال وما تسمى الحكومة العراقية المؤقتة. أما المقاومة فهي أمر آخر.

في أدبيات التقارير الأمريكية يطلقون على المقاومة اسم التمرد (Insurgency) ولا يستعملون كلمة المقاومة (Resistance) في ما عدا المجموعة الدولية للأزمات (International Crisis Group) فهي تسميها أحياناً مقاومة، وأحياناً أخرى تمرداً (Insurgency).

وقيل كلام كثير حول المقاومة وحول ما إذا أعد لها قبل الغزو أو بعد الغزو. ومن الملاحظ من تجارب المقاومة في دول مختلفة، أنه كانت هناك فترات تحضيرية تستغرق ما بين ستة أشهر إلى سنة بين الاحتلال وبدء المقاومة. أما في حالة العراق فقد سقطت بغداد في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ والمقاومة بدأت في الشهر نفسه. وهذا أثار الكثير من الجدل في ما إذا كانت المقاومة معداً لها مسبقاً، وهناك تقارير مختلفة وآراء مختلفة حول هذا الموضوع. لكن أياً كان الرأي، سواء أعدّ قسم منها

قبل الغزو أو بعد الغزو مباشرة، فالمقاومة موجودة ومستمرة وتتزايد.

بالنسبة إلى من يريد أن يأخذ معلومات أكثر عن المقاومة، هناك تقريران صدرا مؤخراً. أحدهما أعتقد أنه من أهم ما كتب عنها، وهو التقرير الذي صدر يوم ٢٣ آذار/ مارس ٢٠٠٦ تحت عنوان: «*Iraq's Evolving Insurgency and the Risk of Civil War*» لأنتوني كوردسمان الأستاذ في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن (CSIS)[٢١]، ويقع التقرير في أكثر من ٢٠٠ صفحة، لكن الخلاصة التنفيذية والاستنتاجات لا تدع مجالاً للشك في أن هناك مقاومة متزايدة ومنتشرة وعلى درجة عالية من التخطيط والتقدم التكنولوجي، وهي في سباق مع البنتاغون في بعض العمليات. على سبيل المثال أذكر حالة منها، هناك شيء يسمونه «Road Side Bomb»، أي المتفجرات التي تزرع على جوانب الطرق، والمصطلح التقني لها هو «IED» وهذا وهو اختصار لعبارة «Improvised Explosive Devices»، أي «أجهزة تفجير مرتجلة»، وأكثر من ٥٠ في المئة من الإصابات القاتلة في القوات الأمريكية و٧٠ في المئة من الجرحى سقطوا بسبب هذا النوع من المتفجرات. وقد فشلت كل محاولات البنتاغون للقضاء على هذا النوع من أجهزة التفجير، ومؤخراً اضطر البنتاغون أن يعيد جنرالاً متقاعداً إلى العمل مع فريق معه وخصصوا لهم ٣,٢ مليارات دولار لمكافحة الـ «Road Side Bomb»[٢٢] في العراق، وهذا مثال فقط. وقد اضطرت القوات الأمريكية في العراق إلى استعمال الجو لنقل الإمدادات بأمان تجنباً لهذه المتفجرات وضحاياها عند النقل براً[٢٣].

---

(٢١) صدرت بعد المحاضرة نسخة منقحة من التقرير بتاريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٦ وتقع في ٣٥٨ ص. انظر: Anthony H. Cordesman with the assistance of Eric M. Brewer and Sara Bjerg Moller, *Iraq's Evolving Insurgency and the Risk of Civil War*, Working Draft (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2006). (Revised 26 April 2006).

(٢٢) لقد اضطر البنتاغون بسبب تلك الضحايا إلى إنشاء قسم خاص لتطوير وسائل لمكافحة هذا السلاح، وقد فشلت كل محاولاته السابقة في ذلك، وخصص لهذا الغرض ميزانية تفوق الثلاثة مليارات دولار (٣,٣ مليارات) لتطوير وسائل لمعالجته، ولم يصل إلى نتيجة حتى الآن، واضطر نتيجة ذلك إلى تفادي استعمال الطرق البرية في العراق قدر المستطاع والاستعاضة عنها بنقل معظم قواته ومعداته وسلاحه وتموينه جواً مع كل الكلفة المترتبة على ذلك. انظر: Joseph L. Galloway, «Supply Lines, and Iraq War Effort at Risk,» *Detroit Free Press*, 4/8/2006; Michael R. Gordon, Mark Mazzetti and Thom Shanker, «Insurgent Bombs Directed at G.I.'s Increase in Iraq,» *New York Times*, 17/8/2006; Renae Merle, «Fighting Roadside Bombs: Low-Tech, High-Tech, Toy Box: Pentagon Seeks New Approach to a Deadly Problem in Iraq,» *Washington Post*, 29/7/2006; Eric Schmilt, «Pentagon Widens Program to Foil Bombings in Iraq,» *New York Times*, 6/2/2006, and David Charter, «U. S. Blames New Bombs for Rising Death Toll,» *Times*, 27/10/2001.

(٢٣) Jeff Schogol, «U.S. Troops Turn to Skies for Safe Supply Route in Iraq: Highways Slower, Far Riskier for Making Deliveries,» *Stars and Stripes*, 9/4/2006.

والتقرير يشمل معلومات مفصلة عن القيادة وغير ذلك. أما التقرير الثاني المهم والمكمل في الحقيقة للتقرير الأول هو الذي نشرته «International Crisis Group» وعنوانه: «المقاومة تتحدث عن نفسها: قراءة المقاومة العراقية»[(٢٤)].

وأعود إلى حديثي عن المقاومة. وكما ذكرت، هناك مجموعة من الأعمال هي أعمال إرهابية لا علاقة للمَقاومة بها، ومن ضمن هذه الأعمال الإرهابية تدخل مجموعة ما يسمى بالزرقاوي. ولكن هل الزرقاوي موجود أم لا؟ في الحقيقة الزرقاوي موجود، ولكن هناك أكثر من زرقاوي أخذ اسم «قاعدة بلاد الرافدين»، فهناك زرقاوي أمريكي، وهناك زرقاوي موساد، وهناك زرقاوي إيراني، وهناك زرقاوي حقيقي. بعض القوات الخاصة الأمريكية تقوم بعمليات باسم جماعة الزرقاوي والقاعدة. وهناك قسم آخر، فالزرقاوي لديه إمكانيات مالية كبيرة، وهناك مجموعات من عشرة ١٠ أو ١٥ أو ربما ٢٠ . . . إلخ، الذين لديهم لسبب أو لآخر مآخذ على القوات الأمريكية، فيأخذون إمدادات من مال وسلاح من الزرقاوي، ويُخترقون من قبل بعض القوات الخاصة، سواء كانت أمريكية أو إيرانية أو موساد، ويقومون بعمليات وتحسب كلها ضمن إطار عمل الزرقاوي، الذي اغتيل مؤخراً[(٢٥)].

وعلينا دائماً أن نفرّق بين الإرهاب والمقاومة. وفي ما يخص الإرهاب **هناك خمسة أنواع من الإرهاب في العراق**[(٢٦)]:

الأول: ذلك الذي **تنفذه قوات الاحتلال**، وأعتقد أنكم صرتم الآن تعرفون ما حدث في أبو غريب وأموراً أخرى. إن هناك تقريراً نشر يوم ٦/ ٣/ ٢٠٠٦ من منظمة العفو الدولية عن اعتقال وتعذيب العراقيين على أيدي القوات الأمريكية في العراق وعلى أيدي قوات الحكومة. والتقرير متاح على موقع منظمة العفو الدولية على الإنترنت[(٢٧)]، ولست أظن أن ما فيه شرف لأي جيش في العالم، بل هو عار.

---

(٢٤) *In Their Own Words: Reading the Iraqi Insurgency*, Middle East Report; nos. 50-15 (Washington, DC; New York: International Crisis Group, 2006).

(٢٥) لم تتوقف عمليات جماعة الزرقاوي (قاعدة بلاد الرافدين) بعد اغتياله. حول تأثير اغتيال الزرقاوي على عمليات هذه المجموعة، انظر: Anthony H. Cordesman, «*Zarqawi's Death: Temporary «Victory» or Lasting Impact?*,» Center for Strategic and International Studies (CSIS), Revised Working Draft, 8 June 2006.

(٢٦) حارث الضاري، «الضاري يدين ٥ أنواع من الإرهاب في العراق،» **الزمان**، ٩/ ٤/ ٢٠٠٥.

(٢٧) Amnesty International, *Beyond Abu Ghraib: Detention and Torture in Iraq* (MDE14/001/ 2006, 6 March 2006).

وقد نشرت **المستقبل العربي** النص العربي للتقرير تحت عنوان: «الاعتقال والتعذيب في العراق بعد أحداث أبو غريب،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣٢٦ (نيسان/ أبريل ٢٠٠٦)، ص ٨٧-١٣٣.

هناك جماعات إرهابية شكلتها قوى خاصة تابعة لقوات الاحتلال تضم عراقيين، وبعضها جرى تدريبها في أمريكا وبعضها في بلدان أوروبا الشرقية قبل احتلال العراق، وجاءت مع قوات الاحتلال عند الغزو(٢٨) وهي تمارس هذه الأمور. وقد نشر في صحيفة **الحياة** في ٣١ آذار/ مارس تقرير يفيد أن جيشاً ثالثاً عراقياً ليس تحت سيطرة وزارة الدفاع موجود في العراق، وهو بإمرة القوات الأمريكية، وأفراده وحدهم هم الذين يؤدون المهام القذرة. لقد أكدت وزارة الدفاع العراقية هذا التقرير. وعلى الرغم من أن أحد القادة العسكريين الأمريكيين أنكره، إلا أن مسؤولين عراقيين أكدوه.

النوع الثاني: من الإرهاب هو ما تمارسه قوات الحكومة الانتقالية الحالية.

والنوع الثالث: تمارسه **الأحزاب السياسية الرئيسية الحاكمة في العراق في الوقت الحاضر وميليشياتها.**

أما النوع الرابع: فهو الذي تمارسه مخابرات حكومات أجنبية معنية بتفتيت العراق وإضعافه، وذلك مثل المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وغيرها من الذين يعملون جميعاً في العراق.

وهناك **النوع الخامس**: من الإرهاب الذي **تمارسه القوى التي تزعم أنها مقاومة: وهي قوى لا علاقة للمقاومة الوطنية الأصيلة بها.** وهذه تشمل ما يسمى عادة في أجهزة الإعلام بـ «القاعدة» أو «جماعات الزرقاوي»، وهناك أكثر من زرقاوي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

من هم الذين تتكون منهم المقاومة الآن؟

الآن، وفي ضوء ما تبدو الأمور، من هم الذين يشكّلون حركة المقاومة الأساسية؟

إن **المجموعة الأولى** والأهم تسمى **الجيش الإسلامي**، والاسم ذاته يمكن أن يضلل، ذلك أنه ليس المقصود أن أيديولوجية هذه المقاومة جميعها هي أيديولوجية دينية، إنما كان من المناسب استخدام هذا الاسم في البَداية واستمر استخدامه، وتتألف هذه المجموعة من ضباط وجنود سابقين في الجيش ومن خبراء من

---

(٢٨) حول تفاصيل هذا الموضوع، انظر القسم (٩) تحت عنوان: «A Secret in the Nevada Desert,» in: Michael Isikoff and David Corn, *Hubris: The Inside Story of Spin, Scandal, and the Selling of the Iraq War* (New York: Crown Publishers, 2006), pp.153-168.

الصناعات العسكرية العراقية السابقة، ومن ضباط مخابرات سابقين في العراق. وبحسب ما أعلم فإن هذه هي العمود الفقري للمقاومة وهي المخطط والمنفذ، كما أشرت بإيجاز إلى القنابل على جانب الطريق التي أصبحت تسمى «IED» اختصاراً لعبارة «Improvised Explosive Devices» (وسائل التفجير المرتجلة). وتضم هذه المجموعة توجهات ايديولوجية مختلفة: إسلامية ـ ووطنية ـ وقومية ـ وبعثية . . . إلخ.

المجموعة الثانية هي «**كتائب ثورة العشرين**» إشارة إلى ثورة عام ١٩٢٠. **والمجموعة الثالثة** تسمى «**جيش المجاهدين**»، **والرابعة** تسمى «**جيش الفاتحين**» وتأخذ أحياناً أسماء مختلفة من أجل التمويه.

لا أريد أن أخوض في تفصيلات تقارير مختلفة عن المقاومة، ولكنني سأقتبس من واحد منها. يقول بيتر سبيغل (Peter Spiegle) في صحيفة **فاينانشيال تايمز** يوم ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٦: «**لقد أصبحت المقاومة العراقية تحت سيطرة أربع مجموعات كبيرة منظمة تنظيماً جيداً وتملك وسائل اتصالات متطورة وقيادة مركزية مثيرة للدهشة**».

وقدمت **مؤسسة «ستراتفور»** (Stratfor) ـ وهي مؤسسة ذات سمعة عالمية لمعلومات المخابرات ـ تقييماً آخر تقول فيه «**في السنوات القادمة ستقوم الحكومات وحركات حرب الفدائيين في أنحاء العالم بدراسة الدروس التي تعلمناها عن عجز العسكريين الأمريكيين عن التصدي سريعاً للمقاومة العراقية**». من ثم لا جدوى من إنكار وجود وقوة وتوسع المقاومة العراقية.

يطرح السؤال غالباً عمَّ هي برامج هذه المقاومة وما هي أيديولوجيتها؟، . . . إلخ. وإذا كنا لا نعرف على وجه اليقين أموراً معينة، فهذا لا يعني أنها غير موجودة. لقد أعلنت المقاومة في آذار/ مارس ٢٠٠٤ برنامجها الأول، ومنذ ذلك الوقت زادت قدراتها.

٩ ـ من هذا يتبيّن الاحتمال الأخير، وربما المؤكد، لفشل الحكومة القادمة في تحقيق الأمن والاستقرار وتحسين الخدمات الضرورية التي يحتاج اليها الشعب، وسيعكس ذلك نفسه على موقف الإدارة الأمريكية من العملية السياسية ومدى إمكانية الاعتماد عليها لتحقيق ولو انسحاب جزئي لقواتها من العراق، كما سيعكس ذلك نفسه على الشعب العراقي الذي كان يتوقع من خلال مشاركته في الانتخابات الأخيرة أن تؤدي إلى تحسين أوضاعه الأمنية والخدمات الرئيسة التي يحتاجها، وكذلك الفشل المتوقع لهذه الحكومة والبرلمان، وكجزء من العملية السياسية، في تحقيق

التعديلات الدستورية والتي تمثل مطلباً لقطاع مهم من التكوينات السياسية في العراق. وسيؤدي كل ذلك إلى إحباط في أوساط كثيرة من الشعب العراقي وفقدانه الثقة في العملية الانتخابية وفي العملية السياسية عموماً، وبدء الاستعداد للنظر في حل بديل لهما.

١٠ ـ هذا هو الوضع الذي يواجه العملية السياسية والعيوب والنواقص والاختلالات في الجيش العراقي الجديد وقوات الشرطة الجديدة.، فما الذي يمكن أن يتوقعه المرء من العملية السياسية الراهنة؟

سادساً: الأسباب الأخرى التي ستدفع أمريكا إلى الانسحاب من العراق

إضافة إلى الاحتمال الكبير، بل شبه المؤكد، لفشل ما تسميه أمريكا «العملية السياسية» في العراق، فإن هناك أسباباً أخرى داخلية في أمريكا نفسها، وفي العراق أيضاً، يعتقد أنها ستضطرها إلى الانسحاب من العراق.

ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه الأسباب، فلا بد من توضيح الصلة بين ما يتعلق بتلك الأسباب في داخل أمريكا نفسها وبين تلك التي تجابهها في العراق.

ومن المفيد التذكير بأن الذي سيقرر في النتيجة ويفرض انسحاب أمريكا من العراق هو الرأي العام الأمريكي الداخلي والمؤسسات التي تمثله في الكونغرس (مجلسا النواب والشيوخ)، وكذلك مقدار ما ستحدثه المصاعب والإخفاقات التي تواجهها الولايات المتحدة في العراق من أثر في الرأي العام الأمريكي وفي الكونغرس بمجلسيه، وبالتالي في الإدارة الأمريكية نفسها، بفعل الضربات المتتالية للمقاومة الوطنية العراقية.

١ ـ المصاعب التي تواجهها الولايات المتحدة داخل العراق

أ ـ فشل «العملية السياسية»

سبق أن أشرنا سابقاً إلى الأسباب التي تدعو إلى الاستنتاج بأن الاستراتيجية الأمريكية داخل العراق والمتعلقة بـ «العملية السياسية» مآلها الفشل. وسينعكس فشل العملية السياسية في العراق على الرأي العام الأمريكي الذي تريد غالبيته عودة جنودها من العراق، وإن فشل هذه العملية السياسية سيؤخر هذه العودة.

ب ـ الضحايا البشرية الأمريكية في العراق

من المفيد التوضيح أن الجيش الأمريكي في العراق يضم أربع مجموعات رئيسة هي:

(١) الأفراد في الجيش الذين يحملون الجنسية الأمريكية، وهم الذين تشملهم الإحصاءات التي تنشرها الولايات المتحدة عن ضحاياها في العراق من قتلى وجرحى فقط.

(٢) الأفراد المتطوعون في الجيش الأمريكي والذين لا يحملون جنسية أمريكية، ولكن لديهم بطاقة إقامة دائمة في الولايات المتحدة (البطاقة الخضراء Green Card) ويأملون من تطوعهم في الجيش الأمريكي أن يحصلوا عند انتهاء مدة التطوع على الجنسية الأمريكية وعلى مزايا أخرى للتعليم الجامعي وغيرها. والضحايا البشرية (من قتلى وجرحى) من هذه المجموعة لا تنشر أعدادهم ولا تشملهم الإحصاءات التي تُنشر عن المجموعة الأولى فقط.

(٣) الأفراد المتطوعون في الجيش الأمريكي ممن ليس لديهم جنسية أمريكية أو إقامة دائمة، وهم يأملون من تطوعهم أن يحصلوا بعد انتهاء مدة تطوعهم على إقامة دائمة في الولايات المتحدة أو جنسية أمريكية مع مزايا أخرى مادية. والضحايا البشرية من قتلى وجرحى من هذه المجموعة لا تنشر أعدادهم ولا تشملهم الإحصاءات التي تُنشر عن المجموعة الأولى.

(٤) المقاولون (Contractors) الذين يضمهم الجيش الأمريكي للقيام ببعض الخدمات التي تقوم بها الجيوش عادة، مثل الحراسة والخدمات الأخرى المتعلقة بمعيشة الجيش، ويقدر عدد هؤلاء بنحو (٢٠) ألف مقاول يعملون في العراق، ونسبة كبيرة منهم من الأمريكيين وقسم آخر منهم من المرتزقة غير الأمريكيين. ولا تنشر أرقام القتلى والجرحى من هذه المجموعة.

وقد بلغ عدد القتلى من الذين يحملون الجنسية الأمريكية من المجموعة الأولى حتى الآن (٢٦٦٢) فرداً، كما بلغ عدد الجرحى حوالى عشرين ألفاً (١٩٩٤٥)[٢٩]، وأكثر من نصف هؤلاء، وبحسب تقارير وزارة الدفاع الأمريكية

---

(٢٩) للاطلاع على الإحصاءات التي تنشرها وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) حول عدد القتلى والجرحى في العراق، انظر: US Department of Defense, «Operation Iraqi Freedom (OIF) U. S. = Casualty Status as of: September 8, 2006,» <http://www.defenselink.mi/news/casulty.pdf>; Mark

(البنتاغون) لا يستطيعون العودة إلى الجيش بعد معالجتهم. كما إن هناك تقارير أمريكية تشير إلى أن عدد الجرحى هو أكثر من الرقم المعلن عنه رسمياً، وأنه قد يتجاوز الخمسين ألفاً. وتنعكس كل هذه الخسائر البشرية (من قتلى وجرحى) على عوائل هؤلاء داخل الولايات المتحدة وعلى الرأي العام الأمريكي الداخلي بشكل متزايد.

ج ـ الهروب من الجيش الأمريكي واللجوء إلى بلدان أخرى نتيجة للحرب

تقدر التقارير الأمريكية الأخيرة أن حوالى ثمانية آلاف (٨٠٠٠) من أفراد الجيش الأمريكي قد هربوا من الجيش، ومعظمهم بعد عودتهم إلى الولايات المتحدة لغرض استبدالهم بغيرهم لفترة، ثم عودتهم ثانية إلى العراق، وأن حوالى أربعة آلاف منهم قد هربوا إلى كندا وطلبوا اللجوء السياسي هناك. وينعكس هذا سلبياً على الرأي العام الداخلي الأمريكي[٣٠].

د ـ الصعوبات المتزايدة في تجديد مدة التطوع وتجنيد متطوعين جدد

يواجه الجيش الأمريكي نقصاً في عدد المتطوعين المطلوبين للجيش، وإن نسبة متزايدة من المتطوعين في الجيش الأمريكي يرفضون تمديد مدة تطوعهم[٣١]، كما يواجه الجيش الأمريكي صعوبة في الحصول على العدد الشهري المطلوب من المتطوعين على الرغم من تمديدهم سِن التطوع، وعلى الرغم من تسهيل الشروط المطلوبة في المتطوعين، وقد تحسن هذا الوضع خلال السنة الأخيرة.

هـ ـ زيادة حالات الأمراض العصبية وحالات الانتحار لدى القوات الأمريكية في العراق

فقد كانت آخر الأرقام التي نُشرت أن هناك حوالى (٦٠٠) مجند أمريكي تم

Banjamin, «Incalculable Pain,» 12/10/2005, Salon Media Group, Inc; Barry Yeoman, «The Growing Role of Mercenaries,» *International Herald Tribune*, 3-4/4/2004, p. 6, and Terri Judd and Ben Russel, «Extent of Soldiers' Injuries in Iraq Hidden by MoD's,» *Independent*, 19/1/2006. =

(٣٠) حول فرار الجنود الأمريكيين إلى كندا، انظر: Elaine Monaghan, «US Army Plagued by Desertion and Plunging Morale,» *Times on Line* (Washington), 10/12/2004.

(٣١) انظر: Thom Shanker, «Young Officers Leaving Army at a High Rate,» *New York Times*, 10/4/2006, p. 1.

ترحيلهم من العراق إلى الولايات المتحدة بسبب أمراض عصبية، كما أن نسبة الانتحار بين المجندين من القوات الأمريكية في العراق هي أعلى من أية نسبة حدثت في حروب أمريكية أخرى(٣٢).

وينعكس هذا العامل سلبياً على عوائل هؤلاء داخل الولايات المتحدة نفسها، وبالتالي على جزء من الرأي العام الأمريكي.

و ـ الخسائر الأمريكية في المعدات وتقادمها

بلغت خسائر الولايات المتحدة في العراق أكثر من ستين طائرة هليكوبتر من أنواع مختلفة وطائرات استطلاع أسقطتها المقاومة العراقية، وأكثر من ألف آلية بأنواعها وعربات مصفحة وسيارات شحن وغيرها دمرتها المقاومة العراقية. هذا إضافة إلى تقادم هذه الآليات، لأن معظمها من صنع أوائل الثمانينيات وقد استخدم معظمها في العراق لمسافات تزيد على خمسة أضعاف المسافة المقدرة لها عند صناعتها(٣٣)، وأن وزارة الدفاع الأمريكي (البنتاغون) قد طلبت من الكونغرس تخصيص (١٣,١) مليار دولار لاستبدالها(٣٤)، سيتحملها في النتيجة دافع الضرائب الأمريكي.

ز ـ انسحاب معظم ما تسمى «قوات التحالف» مع الولايات المتحدة وبريطانيا

لقد شاركت قوات التحالف مع القوات الأمريكية والبريطانية في احتلال العراق، وقد انسحب معظمها، ويتوقع أن تنسحب بقية الدول المشاركة فيها، مثل إيطاليا واليابان، كما إن بريطانيا ستسحب (٨٠٠) عسكري بريطاني من العراق قبل نهاية الشهر القادم، وستسحب بقية قواتها من العراق قبل نهاية السنة الحالية (عام ٢٠٠٦). وهذا سيرتب على القوات الأمريكية أن تحل محل ما تسمى قوات التحالف التي انسحبت وستنسحب من العراق، وهذا ما سيؤدي، إضافة إلى العوامل الأخرى التي أشرنا إليها في هذا القسم، إلى أن تضطر القوات الأمريكية إلى الانتشار في مناطق أوسع، ما سيقلل

---

(٣٢) حول المصاعب النفسية التي يعانيها الجنود الذين عملوا في العراق، انظر: Shankar Vedantam, «Veterans Report Mental Distress,» *Washington Post*, 1/3/2006, p. A01.

(٣٣) Andrea Stone and Dane Moniz, «Warn-Out Army Equipment to Cost US,» *USA Today*, 26/1/2005, p. 7.

(٣٤) Megan Scully, «Senate Acts Quickly to Add Funds for Military Equipment,» *Congress Daily*, 2/8/2006, and Lolita C. Baldor, «Wars Force Army Equipment Costs to Triple,» *Guardian*, 26/6/2006.

من فعاليتها، إضافة إلى ما يحدثه الانسحاب من تأثير نفسي سلبي في الجندي الأمريكي.

ح ـ فشل الولايات المتحدة في تشكيل جيش وطني عراقي وقوات أمن أخرى عراقية وطنية

تشير التقارير الأمريكية المختلفة إلى هذا الفشل[٣٥]، وأن القسم الأغلب من هذه القوات هو من قبيل المليشيات التي يكون ولاؤها للأحزاب التي جاءت منها: الميليشيات التابعة لقوات بدر، وجماعة أحمد الجلبي وغيرها، وميليشيات «البشمركة» التابعة للأكراد، وهذه كلها لا تمثل جيشاً وطنياً لأن ولاءها للأحزاب والقوى السياسية التابعة لها. وقد حدثت وقائع كثيرة تؤيد هذا التحليل، ولا يُتوقع أن تتمكن هذه القوات العراقية المختلفة التي شكّلها الأمريكيون في العراق من العمل وحدها وحفظ الأمن عند انسحاب القوات والقوى السياسية التابعة لها. وقد حدثت وقائع كثيرة تؤيد هذا التحليل، ولا يُتوقع أن تتمكن هذه القوات العراقية المختلفة التي شكلها الأمريكيون في العراق من العمل وحدها وحفظ الأمن عند انسحاب القوات الأمريكية إلى خارج المدن الرئيسة وإلى القواعد التي شيدتها. وسيؤدي هذا إلى فشل ركن آخر أساسي من أركان استراتيجيتها في العراق[٣٦].

---

(٣٥) Antony Cordesman with the assistance of William D. Sullivan, *Iraqi Force Development: A Current Status Report, July 2005 - February 2006*, Working Draft (Washington, DC: Center for Strategic and International Studies, 2006).

(٣٦) في أثناء بعض جلسات الاستماع في الكونغرس منذ نحو عام، قال الجنرال أبي زيد والجنرال كيسي إن هناك ـ في ذلك الوقت ـ ثلاثة ألوية جاهزة للعمل بصورة مستقلة مع الأمريكيين، وفي تصريحات لاحقة تحول ما كان ثلاثة ألوية إلى اثنين ثم إلى واحد، ولم تلبث أن أصبحت صفراً. إن غالبية ما يطلق عليه وصف جيش قد جند من ميليشيات إما من جماعة بدر أو الشيعة أو البشمركة الأكراد، وهؤلاء ولاؤهم لأحزابهم وجماعاتهم السياسية، ولا يمكنهم أن يدافعوا عن العراق. ونتيجة لذلك فقد توقفت وزارة الدفاع (البنتاغون) عن نشر أرقام مستقلة عن عدد وحدات الجيش العراقي القادرة على مواجهة المتمردين من دون عون من القوات الأمريكية، انظر: Eric Rosenberg, «U.S. Mum on Strength of Iraqi Troops: Pentagon Stops Revealing Number Prepared to Fight,» *Detroit Free Press*, 12/6/2006.

انظر أيضاً حول هذا الموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ ذكر قائد الفرقة الثامنة والوحيدة التي احتفل بتسليمها، العميد عثمان الفرهود، أن الفرقة لا تزال تعوّل على قوة الحلفاء الجوية، وتحتاج إلى مساعدتهم في الدعم الطبي، والمستودعات العسكرية. وعندما سأله مراسلو الوكالات الأجنبية عن الوقت الذي تحتاجه الفرقة لتكون معتمدة على نفسها أجاب «في رأيي تحتاج إلى وقت». والعميد فرهود يعرف تماماً عما يتحدث، فهو خرج لتوه من تجربة قتالية كلفت فرقته (٢٠) قتيلاً، وأوقعت في صفوف «جيش المهدي» خسائر في الأرواح بلغت (٥٠) قتيلاً.

كما أدلى العميد «دانا بيتارد» قائد الوحدة العسكرية الأمريكية المسؤولة عن تدريب قوات حفظ الأمن العراقية بمعلومات ذكر فيها «أن عدد الهاربين من الجيش في محافظة الأنبار بلغ نحو خمسة آلاف عسكري، ويشكل هذا تقريباً نصف القوات المسلحة العراقية المعسكرة في الأنبار والتي تعتبر معقل المقاومة المسلحة في =

٢ ـ المصاعب التي تواجهها الولايات المتحدة في داخل أمريكا نفسها

إضافة إلى الصعوبات التي تواجهها أمريكا في العراق نفسه، والتي ستعكس نفسها سلبياً، وبدرجات مختلفة، على الداخل الأمريكي نفسه، فإن هناك صعوبات أمريكية داخلية، نتيجة حربها في العراق ستضطرها إلى إعادة النظر في استراتيجيتها في العراق والانسحاب منه، وتشمل هذه:

= غرب العراق. وفي «الفرقة العاشرة» المعسكرة في محافظة ميسان، المحاذية لإيران في جنوب العراق، رفض عشرات الجنود الامتثال لأوامر الالتحاق بالحملة العسكرية الأخيرة في بغداد. ولم يحرك الجيش، أو قوات الأمن، ساكناً حين نُهبت موجودات قاعدة ميسان العسكرية. انظر: محمد عارف، «أي جيش عراقي جدير بولاء العراقيين؟،» **الاتحاد** (أبو ظبي)، ١٨/ ٩/ ٢٠٠٦.

٢ ـ انظر أيضاً: Nancy A. Youssef, «Iraqi Troops Still Unprepared to Do It Alone,» *Philadelphia Inquirer*, 19/8/2006, and Damien Cave, «In Iraq, It's Hard to Trust Anyone in Uniform,» *New York Times*, 3/8/2006.

٣ ـ أكد رئيس أركان الجيش العراقي الفريق نمير العبادي، أثناء زيارته واشنطن «فشل الاستراتيجية الأمريكية في العراق» وأوضح خلال تلك الزيارة أن الدبلوماسية والإعلام والاقتصاد والجيش فشلوا في العراق كما فشلت المقاربات الأمنية في استشراف التطورات التي حدثت على الأرض (.......). انظر: **الزمان**، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦.

٤ ـ ذكرت صحيفة ستارز آند سترايبز (*Stars and Stripes*) العسكرية الأمريكية في حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ نقلاً عن مسؤولين عسكريين أمريكيين وعراقيين أن قوات الجيش والأمن العراقية التي يشرف على تشكيلها وتدريبها قوات الاحتلال الأمريكي تعاني نزفاً مستمراً بهروب أعداد كبيرة من صفوفها، وأن ذلك يمنع القوات الأمريكية من خفض وجودها في المناطق الملتهبة في العراق. وعزا هؤلاء المسؤولون حالات الهروب بشكل أساسي إلى سوء الظروف المعيشية للمجندين وسوء الطعام وعدم وجود رواتب منتظمة. وقالت الصحيفة استناداً إلى وحدة مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) التي تشرف على تلك القوات أن اللواء الرابع قد فقد نحو نصف جنوده خلال الأشهر الستة الماضية حيث انخفض العدد من (٢٢٠٠) جندي في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥ إلى أقل من (١٤٠٠) جندي في أيار/ مايو ٢٠٠٦. ويفقد اللواء الثاني من الفرقة السابعة المرابط في حديثة بمحافظة الأنبار شهرياً ما لا يقل عن مئة جندي حيث انخفض العدد من (٢٠٠٠) جندي في بداية العام الجاري إلى أقل من (١٦٠٠) جندي في شهر أيار/ مايو ٢٠٠٦. وقال العقيد في المارينز جيفري كيني وهو رئيس فريق المستشارين العسكريين في حديثة «لا يمكننا أن نحقق أي تقدم حقيقي حتى نوقف هروب الجنود».

٥ ـ انظر: Edward Wong, «U.S. Faces Latest Trouble with Iraqi Forces: Loyalty,» *New York Times*, 6/3/2006, and Rowan Scarborough, «Iraqi Army Needs Armored Vehicles,» *Washington Times*, 27/12/2005.

٦ ـ وحول قيام وزارة الداخلية العراقية خلال الأشهر القليلة الماضية بفصل (١٥٠٠) شرطي بسبب الفساد الإداري وأن «بين هؤلاء ضباط تم إيقاف بعضهم فيما أطلق البعض الآخر بكفالة». انظر: **الحياة**، ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٦.

٧ ـ انظر أيضاً: تصريحات الجنرال جون أبي زيد، القائد الأعلى للقوات الأمريكية في الشرق الأوسط التي قال فيها «إن الأمر سيتطلب عدة أشهر أخرى لإنهاء العنف الطائفي في بغداد» و«**عدة سنوات لتدريب الجيش العراقي بصورة جيدة**».

٨ ـ وحول الصعوبات الأمريكية في تجنيد شرطة عراقية، انظر: Michael R. Gordon, «U.S. Struggles to Refill Ranks of Iraqi Police,» *International Herald Tribune*, 24/7/2006.

أ ـ الانتخابات النصفية في الولايات المتحدة

ستكون هناك في الولايات المتحدة انتخابات نصفية في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦، إذ سيتم انتخاب جميع أعضاء مجلس النواب، وكذلك انتخاب نصف أعضاء مجلس الشيوخ، وسينعكس الفشل في الانتخابات التي قد تكون لصالح الديمقراطيين(٣٧)، وما سيترتب على ذلك من مشاكل للإدارة الأمريكية (إدارة بوش)، وبخاصة الموقف من بقاء القوات الأمريكية في العراق، وكذلك إقالة رامسفيلد وزير الدفاع(٣٨)، وربما تتطور الأمور إلى أكثر من ذلك.

ب ـ انخفاض شعبية بوش الابن

لقد انخفضت شعبية بوش وتقييم الشعب الأمريكي لأدائه، بحيث إن آخر استطلاع للرأي العام الأمريكي يشير إلى أن شعبيته قد انخفضت إلى أقل نسبة خلال الولاية الثانية لأي رئيس أمريكي سابق، حيث اعترض ٦٠ في المئة على حربه على العراق و٥٩ في المئة على الوضع الاقتصادي(٣٩).

ج ـ مطالبات الرأي العام الأمريكي بانسحاب القوات الأمريكية من العراق

ترى أغلبية الشعب الأمريكي الآن أن غزو العراق واحتلاله كان خطأ، وترى هذه الأغلبية الآن ضرورة انسحاب الجيش الأمريكي من العراق (ومنهم من يرى أن يتم الانسحاب الآن فوراً، وهناك آخرون يرون وجوب الانسحاب خلال السنة الحالية (٢٠٠٦).

---

(٣٧) تبين آخر استطلاعات الرأي العام أن (٧٥) في المئة من المصوتين غاضبون من توجه بلدهم. ويحتاج الديمقراطيون إلى ربح صافٍ مقداره (١٥) مقعداً للسيطرة على مجلس النواب المؤلف من (٤٣٥) مقعداً، كما يحتاجون إلى ربح ستة مقاعد إضافية في مجلس الشيوخ للسيطرة عليه، و«سيترتب على ذلك نتائج عميقة في اتجاه السياسة الأمريكية في العراق وغيره». انظر: Tom Baldwin, «Democrats Sense They are Winning the Battle for US Hearts and Minds,» *Times*, 8/9/2006.

(٣٨) انظر: Michael Gerhardt, «How to Punish Rumsfeld: Impeachment by a Republican Congress is Dead on Arrival, but Critics will Have a Better Shot after November,» *Los Angeles Times*, 8/9/2006, and Jim Hodges, «Daviś [US Republican Jo Ann Davis] Urges Rumsfeld's Ouster,» *NewPort Daily News*, 12/8/2006.

(٣٩) «Poor Marks for Bush on Iraq Economy,» *Los Angeles Times*, 3/8/2006, and William Greider, «Trade Truth that the Public Won't Hear,» *International Herald Tribune*, 19/7/2006.

حيث يشير الكاتب إلى أن صافي الديون الأمريكية الأجنبية قد وصلت الآن [بتاريخ المقالة] إلى أكثر من (٢٥) في المئة من الناتج المحلي الإجمالي وأنها على المعدل الحالي ستصل إلى (٥٠) في المئة خلال أربع أو خمس سنوات.

كما تعالت أصوات شخصيات سياسية وعسكرية مطالبة بالانسحاب من العراق، مثل بريجنسكي[٤٠]، وسكوكروفت (المستشار الأمني للرئيس بوش الأب سابقاً) وكيسنجر، وانضم إليهم مؤخراً المرشح الديمقراطي السابق للرئاسة (كيري) الذي طالب مؤخراً بانسحاب القوات الأمريكية من العراق خلال شهر واحد.

كما طالب ستة من الجنرالات الأمريكيين السابقين الذين سبق أن اشتركوا في الحرب على العراق أو المساهمة في التخطيط لها، باستقالة السيد رامسفيلد، وزير الدفاع، وحمّلوه مسؤولية الفشل في الحرب على العراق.

كما تم تأليف لجنة مستقلة برئاسة وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر أُوكل إليها إجراء تقييم جديد للسياسة الأمريكية في العراق، ولم تقدم تقريرها بعد، وقد سافر بيكر إلى العراق لهذا الغرض. وتضم اللجنة قاضية محكمة العدل العليا سابقاً ساندرا داي أوكونور ومدير وكالة المخابرات المركزية السابق روبرت غيتس، ووزير العدل السابق إدوين ميسي ووزير الدفاع السابق وليم بيري. ولم تقدم اللجنة تقريرها بعد ولا يتوقع للأسف أن تقدم اللجنة تقريرها قبل موعد الانتخابات النصفية[٤١].

د ـ زيادة الكلفة الاقتصادية للحرب في العراق

بلغت تكاليف القوات الأمريكية في العراق خلال أول ثلاث سنوات (٣٢٠) مليار دولار[٤٢]. كما زادت الكلفة الشهرية لنفقات الحرب في العراق على حوالى ستة

---

(٤٠) حول السياسة الأمريكية في العراق، انظر: «Spiegel Interview with Zbigniew Brzezinski: «Victory Would be a Fata Morgana»,» interview was conducted by Hans Hoyng and Georg Mascolo, Spiegel on Line, 12/9/2006, <http://service.spiegel.de/cache/international/spiegel/0,1518,436607,00.html>; James Klurfeld, «Support for Bush's War in Iraq is Crumbling Fast,» *Long Island Newsday*, 8/9/2006, and Joe Galloway, «Military Leaders Insist New Strategy Needed In Iraq,» *Salt Lake Tribune*, 8/9/2006.

(٤١) انظر: Dana Malbank, «This Just In: The Iraq Study Group Has Nothing to Report,» *Washington Post*, 20/9/2006.

(٤٢) انظر: David Fickling and Agencies, «US Costs for Iraq War Top $320bn,» *Guardian*, 13/6/2006.

فقد تدهور الوضع المالي للولايات المتحدة بشكل دراماتيكي. فالولايات المتحدة مدينة بصورة كبيرة، بما فيها الحكومة والمستهلكون. لقد بلغ العجز التجاري، بالحجم المطلق وكنسبة من الناتج المحلي الإجمالي مستوى غير مسبوق، أي أكثر من (٨٠٠) مليار دولار عام ٢٠٠٥ وأصبح مجموع العجز المتراكم منذ عام ١٩٩٠ (٤,٥) تريليون (التريليون الواحد يساوي ألف مليار)، والزيادة في فرص العمل الجديد تتخلف وراء زيادة السكان ومن دون نمو في دخل المستهلكين الحقيقي. والاقتصاد الأمريكي يندفع نحو توسع دين المستهلكين، ومعدلات الادخار هي واطئة أو سلبية. انظر: Paul Craig Roberts, «Wars, Debt and Outsourcing: The World is =

مليارات دولار شهرياً، كما اضطرت الإدارة الأمريكية إلى طلب ميزانيات إضافية من الكونغرس لتغطية النفقات المتزايدة لحربها في العراق، وزاد العجز في الميزانية السنوية للولايات المتحدة إلى أكثر من (٤٠٠) أربعمئة مليار دولار سنوياً، كما انخفض سعر الدولار الأمريكي إلى حدود ٣٠ ـ ٤٠ في المئة نتيجة حرب العراق ونفقاتها. كما زادت وتضاعفت تقريباً قيمة استيرادات الولايات المتحدة من النفط من (١٢٤) مليار دولار عام ٢٠٠٣ إلى حوالى (٢٣٥) ملياراً عام ٢٠٠٥، ويتوقع أن تصل إلى ما يزيد قليلاً على (٢٩٢) مليار دولار عام ٢٠٠٦. كما زاد عجز ميزان المدفوعات الأمريكي نتيجة لكل ذلك، وكذلك الدين العام لأمريكا[(٤٣)] حيث أصبحت الولايات المتحدة أكبر دولة مدينة في العالم. وقد قدر تقرير أخير صدر أوائل نيسان/ أبريل ٢٠٠٦ أعدّه اثنان من اقتصاديّي أمريكا، أحدهم جوزيف ستيغليز (Joseph E. Stiglitz) من جامعة كولومبيا والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد، والثاني ليندا بيلمز (Linda Bilmes) من جامعة هارفارد، أن الكلفة الاقتصادية لحرب أمريكا في العراق، بحسب مشهدين (سيناريوهين)، أحدهما متحفظ، والثاني معتدل، ما بين واحد واثنين تريليون دولار (التريليون يساوي ألف مليار)[(٤٤)]. كما بدأت معدلات النمو الاقتصادي بالانخفاض خلال النصف الثاني من العام الحالي ويتوقع أن يستمر انخفاض معدلات نمو الاقتصاد الأمريكي خلال عام ٢٠٠٧.

هـ ـ تكاثر الفضائح السياسية والمالية لدى الإدارة الأمريكية الحالية

تبتدئ هذه الفضائح بقضايا التعذيب في أبو غريب وغيره واستمراره حتى الآن وفقدان صدقية الرئيس بوش ونائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد، وقضايا الفساد التي ارتكبتها القوات والإدارة الأمريكية في العراق، والتي كشفت عنها تقارير المفتش العام الأمريكي المعين من قبل الكونغرس الأمريكي، والحديث عن مليارات الدولارات التي لا توجد وثائق صرف قانونية تؤيدها، وقسم كبير منها من أموال العراق نفسه، وإساءة استعمال نائب الرئيس تشيني منصبه لإعطائه معظم عقود إعادة الإعمار والتجهز في العراق إلى شركة مقربة كان يرأس مجلس

Uniting Against the Bush Imperium,» 25 April 2006, <http://www.informationclearinghouse.info/article12843.htm>.

(٤٣) انظر: **القدس العربي**، ٢/ ٩/ ٢٠٠٦، ص ٣.

(٤٤) Linda Bilmes and Joseph E. Stiglitz, «The Economic Costs of the Iraq War: An Appraisal Three Years after the Beginning of the Conflict,» paper prepared for presentation at: The ASSA Meeting, Boston, MA, January 2006, <http://www2.gsb.columbia.edu/faculty/jstiglitz/cost_of_war_in_iraq.pdf>.

إدارتها سابقاً. وكذلك هناك تسريب معلومات تضر بخصوص الإدارة الأمريكية، وكان آخرها ما يتعلق بموضوع محاولة العراق الحصول على اليورانيوم من نيجيريا والتي ثبت عدم صحتها، إضافة إلى فرض رقابة على هواتف بعض الأمريكيين في الولايات المتحدة من دون الحصول على إذن قانوني، ما يعتبره بعض أعضاء الكونغرس خرقاً للقانون، ويترتب عليه إذا ما فقد الجمهوريون الأغلبية المحدودة نسبياً في مجلسي الكونغرس، ـ وثمة احتمال كبير بحدوث ذلك ـ أن يطالب أعضاء الكونغرس الديمقراطيون بالطعن في الرئيس واتهامه بخرق الدستور وطلب تنحيته.

و ـ زيادة متاعب الولايات المتحدة في أفغانستان بزيادة نشاط طالبان، وارتفاع حجم ضحايا القوات الأمريكية وقوات حلف الناتو، وعودة سيطرة طالبان على أجزاء من أفغانستان، وعدم اتفاق حلف الناتو حتى الآن على زيادة أعداد قوات الحلف في أفغانستان على الرغم من الحاجة إليها.

ز ـ التغييرات السياسية التي تحصل في عدد كبير من دول أمريكا اللاتينية، والتي تمثل «الحديقة الخلفية» للولايات المتحدة، والتحول المتزايد في دولها في اتجاه اليسار.

ح ـ ولكل هذه الأسباب السابقة، فإن قيام الرئيس بوش الابن ـ بعد أن أصبحت قضية العراق وتأثيراتها في الانتخابات النصفية القادمة في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم هي التي ستقرر مصيره ومصير حزبه ـ بمعالجة هذه التداعيات، سيضع مصيره ومصير حزبه في الميزان. ولا يبدو حتى الآن ما يشير إلى أنه ينوي سحب القوات الأمريكية من العراق قبل الانتخابات النصفية، وأما الموقف بعد الانتخابات النصفية فسوف يتوقف على نتائجها ومدى نجاح الديمقراطيين في السيطرة على أحد المجلسين أو كليهما، رغم تصريحات بوش بأنه لا ينوي الانسحاب من العراق خلال المدة المتبقية من رئاسته، ولكن نتائج الانتخابات النصفية وربح الديمقراطيين قد تضطره إلى إعادة النظر في قراره خوفاً من خسارة الحزب الجمهوري الانتخابات الرئاسية القادمة في أواخر عام ٢٠٠٨.

سابعاً: الخيارات المتاحة أمام الولايات المتحدة في العراق

«ولذلك، فإنه كلما قرب موعد الانتخابات النصفية الأمريكية، ومع فشل العملية السلمية في العراق ومع تدهور وضع الإدارة الأمريكية داخل أمريكا وفي العراق نفسه، فإن الولايات المتحدة ستكون مضطرة إلى أن تقوم بعمل ما في العراق

ينقذ وضعها، إما قبل الانتخابات النصفية (وهو ما يبدو مستبعداً الآن)، وإما بعد تلك الانتخابات، وبخاصة إذا فشل الحزب الجمهوري في الحفاظ على أغلبية في المجلسين أو في أحدهما على الأقل، وسيتبين عندها إلى أي حد يمكن الصفة التي تتميز بها أمريكا وهي «البراغماتية» من التأثير في سياسة إدارة بوش في العراق وتغييرها والانسحاب من العراق بشكل أو بآخر، أو أنه سيستمر في عناده وفي «وحيه الإلهي» للاستمرار في الحرب حتى إنهاء مدة رئاسته، وهل ستصبر قيادات الحزب الجمهوري على سياسته هذه. وانطلاقاً مما سبق سيكون أمام الإدارة الأمريكية الخيارات الرئيسة التالية:

١ ـ **الخيار الأول**: هو أن تفتش عن وسيلة لسحب قواتها من العراق بعد موعد الانتخابات النصفية في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦، وبخاصة إذا فقدت أغلبيتها في مجلسي النواب والشيوخ في هذه الانتخابات، وحتى لا تخسر الانتخابات الرئاسية القادمة في أواخر عام ٢٠٠٨، بحيث تحفظ لها بعض ماء الوجه، وأن يتم ذلك من خلال مجلس الأمن الدولي وتسليمه المسؤولية السياسية والأمنية عن العراق، وبخاصة أن مدة بقائها في العراق حسب آخر تمديد لها من قبل مجلس الأمن، ينتهي في ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٦، مع إمكانية أن تطلب الحكومة العراقية من مجلس الأمن تمديدها. ويمكن مجلس الأمن، إذا قررت الإدارة الأمريكية تسليمه الملف، أن يتولى الشأن السياسي والأمني من خلال ترتيبات سياسية جديدة، بعد أن فشلت العملية السياسية الحالية. وهنا تصبح «المبادرة»، التي سيشار إليها في ما بعد، مطروحة على بساط البحث الجدي من قبل الولايات المتحدة، كما يمكن أن يحدث هذا الخيار بعد الانتخابات النصفية.

٢ ـ **الخيار الثاني**: هو أن تتلكأ الإدارة الأمريكية في اقتناص فرصة المبادرة، وأن تتدهور الأوضاع الأمنية في العراق مع شلل الحكومة العراقية، وربما انهيارها إلى درجة لا تترك لها مجالاً للمفاوضة، فتقوم بسحب جيشها من العراق من دون اتفاق مسبق مع الحكومة المنهارة أو المقاومة، وأن تترك العراق لمصيره وهو ما يسمى بالمصطلحات الأمريكية السائدة (القطع والهروب Cut and Run) مع ما قد يترتب على ذلك من تداعيات في داخل العراق.

٣ ـ **الخيار الثالث**: قد تلجأ الإدارة الأمريكية إلى تشكيل «حكومة إنقاذ وطني» من خارج «العملية السياسية» و«البرلمان الحالي»، وإلى أن تضع على رأسها شخصية عسكرية قوية، وهو أمر يتناقض مع السياسة المعلنة لها حول تبني العملية الديمقراطية، فكيف تضع «البرلمان» و«الدستور» جانباً وتشكّل «حكومة إنقاذ وطني» تحت توجيهاتها. وهناك من يعتقد أن إشاعة احتمال هذا النوع من الحكومة في العراق

هي وسيلة للضغط من قبل قوات الاحتلال على القوى السياسية في العراق التي لم تعد تلتزم تماماً التوجيهات الأمريكية ورغباتها(٤٥).

٤ ـ **الخيار الرابع**: أن تحاول الإدارة الأمريكية «سياسة الهروب إلى الأمام» وأن تقوم بتوجيه ضربة جوية واسعة لإيران تركز فيها على منشآتها النووية والعسكرية، مع احتمال استعمال أسلحة نووية تكتيكية في تلك الضربة، مع ما قد يترتب على ذلك من توقف تصدير النفط الإيراني كلياً أو جزئياً، وضرب إيران القواعد العسكرية الأمريكية في العراق ومنطقة الخليج عموماً، وإغلاق مضيق هرمز مع ما قد يترتب عليه من إيقاف تصدير النفط من بعض دول الخليج الأخرى عبر هذا المضيق. وسيساعد على تحقيق هذا السيناريو (المشهد) هو أن الإدارة الأمريكية كانت حتى مؤخراً وقبل فشل الحرب الاسرائيلية على لبنان، تقوم بتجييش الرأي العام الأمريكي لهذا الغرض، كما فعلت قبل غزو العراق، حيث دلت استطلاعات الرأي العام الأمريكي الأخيرة على أن ٦٥ في المئة من الأمريكيين يؤيدون توجيه ضربة جوية إلى إيران، كما كانت تصريحات الرئيس بوش تشير إلى أنه قد يضطر إلى توجيه ضربة إلى إيران حتى من دون قرار من مجلس الأمن. ولكن هذا السيناريو وتوجيه ضربة جوية واسعة إلى إيران لن ينقذ الولايات المتحدة من المستنقع العراقي، وقد يعطيها بعض الوقت وقد يشل البرنامج النووي الإيراني ويؤخره مؤقتاً، ولكنه لن يحل مشكلتها في العراق، وستعود العوامل المشار إليها سابقاً في ما يتعلق بمتاعبها في داخل أمريكا وفي العراق إلى تأكيد وجودها وأهميتها. كما إن هناك ما يشير، بحسب تقرير سيمور هيرش الأخير، إلى أن القيادات العسكرية الأمريكية الحالية في البنتاغون (وزارة الدفاع) قد هددت بالاستقالة إذا ما قرر الرئيس الأمريكي المضي قدماً في توجيه ضربة جوية لإيران. كما أن احتمالات هذا الخيار (المشهد) أخذت تتضاءل بعد فشل اسرائيل في حربها على لبنان، كما تشير المفاوضات الجارية بين الاتحاد الأوروبي والحكومة الأوروبية حالياً (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦) إلى أن احتمالات «الصفقة» هي أرجح على احتمالات «الضربة».

٥ ـ **الخيار الخامس: تحرير المدن الرئيسية من قبل المقاومة العراقية**. يمكن ـ أن يتم نتيجة رفض الإدارة الأمريكية سحب قواتها من العراق وازدياد خسائرها، وانهيار العملية السياسية ـ أن تتبنى المقاومة الوطنية العراقية سياسة استرجاع (تحرير) المدن الرئيسية من سيطرة القوات الأمريكية وما يسمى «الجيش العراقي» وتحرير المدن

---

(٤٥) انظر في هذا المعنى: Peter Symonds, «Is the US Planning a Coup in Iraq?,» *New York Times*, 16/8/2006.

الرئيسية تباعاً. وقد قامت المقاومة العراقية في مدن مختلفة (الموصل وتكريت والرمادي والفلوجة وحديثة وبغداد وبعقوبة) بتجربة احتلال هذه المدن لفترة قصيرة ثم الانسحاب منها، تمهيداً لتحريرها في المستقبل. وعلى الرغم من أن السيطرة العسكرية للمقاومة على بغداد والمدن الرئيسية الأخرى يمكن أن تجبر القوات الأمريكية على الانسحاب، وأن تؤدي إلى هروب أقسام مهمة من قطعات الجيش والشرطة التي شكّلها الاحتلال، وهو ما يحصل حالياً على نطاق ضيق كما أشير إلى ذلك سابقاً، إلا أن هناك مخاوف حقيقية من عدم اتفاق الأطراف الرئيسة للمقاومة على مرحلة ما بعد تحرير المدن الرئيسة والسيطرة على الحكم في العراق، حيث إن لعدد منها ايديولوجيات مختلفة لا تشكل الآن خلافاً بينها في مرحلة التحرير ولكنها قد تشكل عقبة رئيسية في إدارة المدن المحررة وفي العراق في ما بعد، والإجراءات والقوانين والأنظمة التي ستطبق عليها، وهي مخاوف يجب عدم التقليل من شأنها وبخاصة أنه ليس لدى العناصر والقوى السياسية المشاركة في المقاومة «إرث» ديمقراطي أو ممارسة ديمقراطية سابقة في داخلها ومع الغير.

٦ ـ **الخيار السادس: عقد صفقة مع سوريا وإيران والسعودية ومصر والأردن حول العراق**، وهو احتمال ضعيف، بأن تقوم الولايات المتحدة بعقد صفقة مع هذه الأطراف العربية، على غرار ما تم عام ١٩٨٦ أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية[(٤٦)]، ما خلا مصر والأردن اللتين لم تكونا داخل تلك الصفقة.

ويمكن أن تأخذ هذه الصفقة السمات الرئيسية التي أخذتها صفقة عام ١٩٨٦، بأن تشكل حكومة عراقية غير إسلامية، يكون لسوريا رأي أساسي في تشكيلها، وأن يتولى الجيش السوري (كان للجيش السعودي دور في صفقة عام ١٩٨٦) إشغال الفراغ الذي سيتركه انسحاب القوات الأمريكية، وبخاصة أن الجيش السوري، وبسبب علاقة سوريا بإيران، سيكون مقبولاً إلى حد ما في وسط وجنوب العراق ومن إيران نفسها. ولكن احتمالات هذا المشهد ضعيفة النجاح في الوقت الحاضر، حيث يتطلب ذلك تغييراً جذرياً في السياسة الأمريكية تجاه سوريا وإيران، وهو ما لا يبدو كبير الاحتمال.

٧ ـ ولذلك يعتقد بأن الخيار الأول سيكون أفضل الخيارات العقلانية المتاحة للولايات المتحدة انطلاقاً من مصلحتها بعد فشلها في العراق.

---

(٤٦) حول هذا الموضوع، انظر مداخلة خير الدين حسيب على بحث «إدارة الأزمة،» ورقة قدمت إلى: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص ٢٢٩-٢٣٠.

ثامناً: المبادرة

تجاه هذا الوضع، ومن أجل التحضير للخيار الأول، بذلت محاولة لمعالجة هذا الوضع، ولإنقاذ العراق وإيجاد نوع من حفظ ماء الوجه للولايات المتحدة.

لقد عملنا في مركز دراسات الوحدة العربية على برنامج للعراق بعد التحرير، استغرق تقريباً كل عام ٢٠٠٥، ثم عقد مؤتمر - وصفناه بأنه ندوة - في نهاية شهر تموز/ يوليو ٢٠٠٥ بحضور ١٠٨ من العراقيين من مختلف الميول السياسية ممن هم ضد احتلال العراق، ثلثاهم من عراقيّي الداخل، والثلث من خارج العراق. وقد ناقشوا هذه البرامج، وعلى أساس مناقشتهم وتعقيباتهم وضعنا هذا البرنامج في صيغته النهائية كبرنامج يمكن أن تتبناه المقاومة العراقية والقوى السياسية العراقية الرافضة للاحتلال كجزء من مبادرة سأشير إليها لاحقاً. وقد نشر هذا البرنامج بالعربية والإنكليزية[٤٧]. وهذا البرنامج يتضمن مشروع دستور جديد ومشروع قانون المفوضية العليا للانتخابات، ومشروع القانون المتعلق بالجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية، وإعادة بناء العراق وصناعة النفط وسياسته في العراق، والتعويضات المالية المفروضة على العراق، والإعلام في العراق، وإعادة بناء الجيش، والمسألة الكردية.

بالإضافة إلى هذا واستعداداً لاحتمال توقع فشل العملية السياسية، فإننا أطلقنا مبادرة من أجل حل الأزمة الراهنة، وهي مبادرة يمكن أن تستفيد منها وتتبناها المقاومة الوطنية العراقية والقوى السياسية الأخرى المعارضة للاحتلال. وأرفق طياً النص الكامل لهذه المبادرة، وينبغي النظر إليها في علاقتها بالبرنامج الذي أشرت إليه.

وهذه المبادرة تحتاج من الولايات المتحدة إلى التسليم بالانسحاب الكامل من العراق خلال فترة زمنية محددة، لا تزيد عن ستة أشهر وأن لا تقيم أي قواعد عسكرية دائمة في العراق، وأن يصدر قرار من مجلس الأمن الدولي وبضمانته بتعيين شخص رئيساً للوزراء في العراق بحيث يكون محايداً وليس له علاقة بأية أطراف

---

(٤٧) انظر: برنامج لمستقبل العراق بعد إنهاء الاحتلال: الدستور - قانون الانتخاب - قانون الأحزاب - إعادة البناء - النفط - الإعلام - الجيش - القضية الكردية - التعويضات: أعمال ندوة مركز دراسات الوحدة العربية حول «مستقبل العراق» (بيروت: المركز، ٢٠٠٥)، وقد نشر بالإنكليزية تحت عنوان: *Planning Iraq's Future: A Detailed Project to Rebuild Post-liberation Iraq*, edited by Khair El-Din Haseeb (Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 2006).

سياسية، وتشكيل حكومة من التكنوقراط غير منتمين لأي حزب سياسي في العراق. وأن تكون هناك فترة انتقالية لمدة سنتين، وخلال السنة الثانية يتم إصدار قانون انتخاب، وتتم انتخابات في العراق لمجلس تشريعي. وخلال الفترة الانتقالية يكون هناك مجلس استشاري من ١٠٠ ـ ١٥٠ شخصاً وأن لا تكون استشاراته ملزمة. وأن تلتزم الولايات المتحدة والتي هي مسؤولة عن الدمار الذي حصل في العراق بتقديم تعويض للعراق بمبلغ ٥٠ مليار دولار، وهو أقل من كلفة الحرب لمدة سنة، كما تلتزم المملكة المتحدة (بريطانيا) بتقديم ٢٠ مليار دولار. ويتم وقف إطلاق النار عندما يصدر قرار مجلس الأمن وتنسحب القوات الأمريكية إلى القواعد، وفي آخر الستة أشهر تنسحب كلياً. هذه المبادرة تلزم أطراف المقاومة عندما يصدر قرار الأمم المتحدة بأن يكون هناك وقف إطلاق النار، وبعد الستة أشهر، أي بعد أن يتم انسحاب القوات الأمريكية، تقوم المقاومة بحل نفسها.

أما المقاومة الآن، وهذا ما لم يرد في تقارير أنتوني كوردسمان أو تقارير مجموعة الأزمات الدولية، فإضافة إلى العمليات التي تقوم بها، هناك قسم خاص بمثابة قيادة عامة للقوات المسلحة العراقية تعد الجيش العراقي الذي سيتسلم الأمور بعد انسحاب الأمريكيين من العراق. وهناك في المبادرة تفاصيل حول كيفية التعامل مع الأطراف المختلفة. والمبادرة تتضمن «جزرة» مقدمة لأمريكا بأن تعامل بعد الانسحاب ـ في ما يتعلق بمشاريع إعادة الإعمار في العراق وأي مقاولات موجودة ـ معاملة متساوية مع الأطراف الدولية الأخرى من دون أي تحيز ضدها. وفي ما يتعلق بالمحاكمة التي تجري حالياً للرئيس صدام حسين وبعض معاونيه، فالمبادرة تطرح أن كل المخالفات التي تمت من عام ١٩٥٨ حتى الآن، أي بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، ينشأ بشأنها لجنة تحقيق خاصة، وكل من عنده شكاوى أياً كان نوع هذه الجرائم سياسية أو غيرها، يقدم الشكاوى إلى هذه اللجنة. وهذه اللجنة تقوم بإجراء التحقيق اللازم، وبعد أن يتم انتخاب برلمان في نهاية السنة الثانية، يحدد هذا البرلمان كيفية التعامل مع هذه الجرائم، وهل يتعامل معها على طريقة جنوب أفريقيا أو طريقة شمال إيرلندا أو على طريقة لبنان أو أية طريقة أخرى يقررها في هذا الشأن.

هذه هي عموماً النقاط الرئيسة، وهي في ٢١ نقطة في المبادرة، وهي مطروحة شرط أن تؤخذ ككل متكامل. فما هي حظوظ هذه المبادرة؟

إنني أعتقد أنه ليس أمام الإدارة الأمريكية سوى الخروج من العراق بأقل

خسارة ممكنة، وقد تتساءلون لماذا اهتمام مركز دراسات الوحدة العربية واهتمامي أنا بالعراق؟ الأمر الوحيد الذي أتفق فيه مع ما قالته كوندوليزا رايس في خلال الفترة الأخيرة، هو أن العراق مهم ليس للعالم العربي فقط، ولكنه مهم للنظام العالمي ككل. ولذلك فإن اهتمامي بالعراق هو اهتمام بقضية المركز المحورية. قد تجدونني متفائلاً، وأنا متفائل أكثر من أي وقت مضى، وأعتقد أن العراق سيشهد بداية نهاية الامبراطورية الأمريكية، وسيعقب تحرير العراق زلزال في المنطقة العربية كلها. وإن شاء الله نلتقي بعد سنة أو أكثر، ونرى إلى أي حد ستكون هذه التوقعات في محلها أم لا. وكل ما أستطيع أن أقوله إن كل كلمة ذكرتها هي نتيجة اقتناع خاص، ولم أحاول أبداً أن أخفي أثناء كلامي بعض الحقيقة وأعطي نصف الحقيقة، ولكن ما قلته هو نتيجة اقتناعي ونتيجة المعلومات المتوافرة لديّ. قد أكون مخطئاً في تحليلاتي وفي استنتاجاتي لكن هذه هي اقتناعاتي. وكأي باحث آخر، فإن المستقبل سيبيّن إذا كانت هذه التحليلات والتوقعات في مكانها أم لا.

ربما تتساءلون: ما هي فرص هذه المبادرة لتحظى بالقبول أو لتتعاطى معها الإدارة الأمريكية؟ إن هذه المبادرة والبرنامج المصاحب لها قد أعدا ـ كما قلت ـ بالتشاور مع أوسع قدر ممكن من الأطراف والجماعات السياسية الرئيسيةّ المعارضة للاحتلال، وكاستعداد لمرحلة ما بعد إخفاق العملية السياسية. ونحن نعرف أن الولايات المتحدة لن تأتي الآن لتجلس إلى طاولة المفاوضات، إنما سيحدث هذا بعد أن تكون قد اقتنعت بفشل العمليّة السياسية. عندئذ ستبحث عن حل آخر للخروج من العراق، وعن طريقة للخروج من المستنقع الذي تجد نفسها فيه. ونحن نعتقد أنه بسبب الانتخابات النصفية في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم، ثم الانتخابات الرئاسية في ما بعد، فإن الإدارة الأمريكية ستحاول أن تجد حلاً كي لا تفقد أغلبيتها في كل من مجلسَي الكونغرس أو تخسر الانتخابات الرئاسية في ما بعد.

هذه مبادرة سلمية تعطي الإدارة الأمريكية قدراً ما ينقذ ماء الوجه، فإذا لم يكن هذا مقبولاً، فإن المقاومة ستستمر، وأعتقد أنها ستلجأ في النهاية إلى أسلوب تحرير المدن، وتحرير مدينة بعد أخرى، بما في ذلك بغداد، وستُجبر القوات الأمريكية على المغادرة.

إنني لآمل، لأجل العراق والشعب العراقي، ولأجل أرواح الأمريكيين أيضاً، أن تسترد الولايات المتحدة عقلانيتها ـ ما إن تقتنع بفشل العملية السياسية ـ وأن تبدأ التفاوض على هذه المبادرة.

نص «المبادرة»
التي أطلقها د. خير الدين حسيب
بالتشاور مع القوى السياسية العراقية الفاعلة في مناهضة الاحتلال

١ ـ إعلان الجانب الأمريكي قراره الانسحاب من العراق كلياً ومن دون أية شروط ووضع جدول زمني قصير لذلك لا تزيد مدته عن ستة أشهر كحد أقصى. ويتم بعد الاتفاق إعلان انسحاب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى من جميع المدن العراقية إلى قواعد عسكرية محددة ومؤقتة يتفق عليها مع الحكومة الجديدة، ولا يكون لهذه القوات أي دور أمني أو عسكري خلال الفترة الزمنية لانسحابها، وتنسحب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى من تلك القواعد في نهاية مدة الستة أشهر كحد أقصى.

٢ ـ تعلن المقاومة الوطنية العراقية وقفاً لإطلاق النار، مع الإبقاء على سلاحها، إلى حين الانتهاء من انسحاب القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الأخرى كلياً.

٣ ـ يتم الاتفاق، من خلال مجلس الأمن وبضمانته، وبالتشاور مع المقاومة الوطنية العراقية والقوى الوطنية السياسية التي لم تتعاون مع الاحتلال، على اختيار رئيس وزراء للعراق، لفترة انتقالية لا تزيد عن سنتين، ويفوض صلاحية اختيار وزارة عراقية بالتشاور غير الملزم مع ممثل للأمم المتحدة في العراق، من التكنوقراط ومن عناصر حيادية وغير حزبية، ويلتزم رئيس الوزراء والوزراء عدم الترشح لأية انتخابات قادمة، والتي سيشار إليها في ما بعد. كما يخول رئيس الوزراء بالتشاور غير الملزم مع ممثل الأمم المتحدة، إعفاء أي وزير من مسؤوليته وإضافة وزراء جدد حسب الحاجة والظروف. وتخول هذه الوزارة، خلال الفترة الانتقالية، الصلاحيات التشريعية والتنفيذية والمالية اللازمة لتنفيذ واجباتها، كما يحق لها إعادة النظر، بإلغاء أو تعديل، جميع القوانين والأنظمة والأوامر الصادرة منذ احتلال العراق حتى تاريخ الاتفاق، وكذلك أية قوَانين وأنظمة وتعليمات صادرة قبل الاحتلال.

٤ ـ يلتزم مجلس الأمن الدولي المحافظة على استقلال العراق وسيادته ووحدة أراضيه.

٥ ـ تبدأ الوزارة الجديدة فوراً وبالتشاور مع المقاومة الوطنية العراقية والقوى

الوطنية الرئيسة المعارضة للاحتلال بإعادة تشكيل الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى، حسب الأسس والمعايير التي تراها مناسبة. ويتم تزويد الجيش والقوى الأمنية الأخرى بأحدث الأسلحة المختلفة التي تحتاجها ومن المصادر التي تراها مناسبة. كما يتم حل جميع الميليشيات الموجودة في العراق بالطريقة التي تحددها الحكومة.

٦ ـ يتم حل جميع فصائل المقاومة الوطنية العراقية، الملتزمة وقف إطلاق النار، خلال مدة لا تزيد عن ستة أشهر من تاريخ هذا الاتفاق حال انسحاب جميع القوات الأمريكية والقوات الأخرى من العراق كلياً، وبعد إعادة تشكيل الحد الأدنى من الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى.

٧ ـ لا يسمح للجيش والقوى الأمنية الأخرى الجديدة بالتدخل في السياسة وممارسة العمل الحزبي، وتكون تابعةً للقيادة السياسية للحكومة الجديدة كما تمنع منعاً باتاً جميع الأحزاب والقوى السياسية الأخرى في العراق أن تعمل حزبياً وسياسياً داخل مؤسسة الجيش والقوى الأمنية الأخرى في العراق.

٨ ـ للحكومة العراقية، وبالتشاور غير الملزم مع الأمين العام للأمم المتحدة والمقاومة الوطنية العراقية، الحق باستدعاء قوات عربية محدودة من بعض الدول العربية التي لم تحرض أو تسهّل احتلال العراق، لأغراض حفظ السلام وبالحجم وللمدة التي تقررها الحكومة العراقية.

٩ ـ تقوم الحكومة الجديدة بما يلي، إضافة إلى ما ذكر أعلاه:

أ ـ اختيار مجلس استشاري من (١٠٠ ـ ١٥٠) شخصاً من القوى السياسية والشخصيات والكفاءات العراقية التي لم تتعاون سياسياً مع الاحتلال، وتكون اجتماعاتها ومداولاتها مغلقة ولا يعلن عن مناقشاتها.

ب ـ يعتبر ما يسمى بالدستور الذي تم إعداده تحت الاحتلال والذي تم تزوير الاستفتاء عليه (وبخاصة في محافظة الموصل ـ نينوى وكذلك في محافظات المثنى والديوانية وذي قار) في ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٥ والذي تم إسقاطه برفضه من ثلثي الناخبين في ثلاث محافظات ملغى لافتقاده الشرعية وتلغى جميع الإجراءات التي تمت استناداً إليه.

ج ـ أن تقوم خلال مدةٍ لا تزيد عن سنة من تاريخ تنفيذ هذا الاتفاق بإعداد قانون للانتخابات، وقانون للأحزاب، وأن تجري انتخاباً لكلٍ من مجلسي النواب والشيوخ مستفيدة من مسودة الدستور المؤقت المعد في ندوة بيروت حول «مستقبل

العراق» (تموز/ يوليو ٢٠٠٥)[٤٨] من دون أن تكون ملزمة به حصراً، بالتشاور مع عدد كبير من العراقيين في داخل العراق وخارجه.

د ـ أن تتم الانتخابات خلال السنة الثانية من الفترة الانتقالية، وتحت إشراف الأمم المتحدة والجامعة العربية والاتحاد الأوروبي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والمنظمات الدولية والعربية الأخرى، لضمان حريتها ونزاهتها وشفافيتها، وعلى أساس القوائم النسبية وعلى أساس المحافظة، كما هو وارد في مسودة الدستور المشار إليها في الفقرة (٩ ـ ج).

١٠ ـ تلتزم الحكومة الجديدة خلال الفترة الانتقالية بالسياسة النفطية التي تم الاتفاق عليها في ندوة بيروت، وتعتبر جميع الاتفاقات النفطية التي تمت خلال فترة الاحتلال ملغاة شرعياً لمخالفتها قرارات مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ و١٥٤٦، كما تعتبر جميع الاتفاقات التي عقدها الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني خلال الفترة ١٩٩١ ـ ٢٠٠٣ وكذلك كل ما عقد من اتفاقات أثناء الاحتلال مع شركات أجنبية لاكتشاف وتطوير الإنتاج النفطي في محافظات السليمانية وأربيل ودهوك غير قانونية وملغاة، وتطلب من تلك الشركات إيقاف أية عمليات لها في تلك المحافظات، كما ستكون خاضعة للملاحقة القانونية داخل وخارج العراق على تعاقدها مع جهات عراقية غير شرعية لاستثمار النفط في تلك المحافظات.

١١ ـ أن يقوم مجلس الأمن، بدعم ومبادرة من الولايات المتحدة، بإلغاء جميع العقوبات على العراق التي اتخذها مجلس الأمن بعد اجتياح العراق للكويت، والتي لم تُلغَ سابقاً، بما في ذلك إيقاف أية استقطاعات من عوائد النفط العراقي المصدّر ولمدة غير محددة، وأن يفرج مجلس الأمن عن أي أرصدة مجمدة للعراق.

١٢ ـ أن تقدم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة مساعدات مالية على شكل منح، لا تقل عن خمسين مليار دولار من الأولى وعشرين مليار دولار من الثانية، تدفع على شكل منح، وتوضع خلال مدة لا تزيد كحد أقصى عن ستة أشهر من تاريخ الاتفاق تحت تصرف الحكومة العراقية الجديدة، من أجل إعادة إعمار العراق، وللتعويض عن الخسارة والأضرار التي لحقت بالعراق دولة وشعباً من جراء الاحتلال

(٤٨) برنامج لمستقبل العراق بعد إنهاء الاحتلال: الدستور ـ قانون الانتخاب ـ قانون الأحزاب ـ إعادة البناء ـ النفط ـ الإعلام ـ الجيش ـ القضية الكردية ـ التعويضات: أعمال ندوة مركز دراسات الوحدة العربية حول «مستقبل العراق».

الأمريكي ـ البريطاني غير المشروع، وهي أقل من النفقات المالية الفعلية لبقاء القوات الأمريكية والبريطانية في العراق لمدة سنة، ما لم يتم هذا الاتفاق، كما تسعى الحكومتان الأمريكية والبريطانية لدى الحكومات العربية التي لديها ديون على العراق بشطب هذه الديون وكذلك التنازل عن التعويضات المطلوبة من العراق، بموجب قرارات مجلس الأمن السابقة، وأن تعيد إلى العراق التعويضات التي تسلمتها تلك الحكومات (عدا الأفراد، والمؤسسات) من خلال الأمم المتحدة من عوائد نفط العراق بحسب اتفاقية النفط مقابل الغذاء.

١٣ ـ يضع البرلمان العراقي المنتخب خلال السنة الثانية من الفترة الانتقالية، مسوّدة دستور مستفيداً من مسوّدة دستور ندوة بيروت، ثم يعرض على استفتاء شعبي عام لإقراره. وحتى يتم إقرار الدستور، تعتمد الحكومة الجديدة مسوّدة الدستور التي أعدتها ندوة بيروت كدستور مؤقت ينتهي مفعوله بإقرار الدستور الدائم.

١٤ ـ يقوم البرلمان العراقي المنتخب باختيار رئيس للجمهورية حسب الدستور الذي سيتم إقراره في الاستفتاء الشعبي.

١٥ ـ تتعامل الحكومة الجديدة مع القضية الكردية بحسب ما هو وارد في مسودة الدستور الذي أقرته ندوة بيروت المشار إليه سابقاً.

١٦ ـ تلتزم الحكومتان الأمريكية والبريطانية عدم التدخل في شؤون العراق الداخلية والأمنية بشكل مباشر أو غير مباشر.

١٧ ـ تلتزم الحكومة العراقية الجديدة عدم تطوير أسلحة دمار شامل في العراق، على أن لا يحول ذلك دون حق العراق في استخدام التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية حسب القوانين الدولية.

١٨ ـ تلتزم الحكومة العراقية الجديدة كذلك بالطرق السلمية وعدم اللجوء إلى استعمال القوة في أية خلافات بينها وبين الدول العربية الأخرى والدول المجاورة غير العربية والتي حرّضت أو ساعدت أو ساهمت في احتلال العراق بشكل أو آخر، في ما عدا حالات الدفاع عن النفس وفي حدود ميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية.

١٩ ـ تشكل الحكومة العراقية الجديدة لجنة قضائية عراقية مستقلة، مع الاستفادة من الكفاءات القانونية العراقية والدولية المحايدة، للتحقيق في جميع الشكاوى عن قضايا ارتكاب جرائم وانتهاكات لحقوق الإنسان في العراق والتواطؤ مع الاحتلال وإرهاب الدولة وأعمال الخطف والقتل على الهوية والابتزاز وغيرها

من الجرائم منذ ما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى مغادرة قوات الاحتلال العراق، وتتولى لجنة التحقيق جمع المعلومات عن جميع هذه الجرائم، ويتولى البرلمان المنتخب تحديد طريقة البت فيها، في ضوء التجارب العالمية في التعامل مع هذه الجرائم.

٢٠ ـ بعد الاتفاق وبعد تنفيذ الجانبين الأمريكي والبريطاني ما جاء في الفقرات السابقة، تتعامل الحكومة العراقية الجديدة مع جميع الشركات والمؤسسات الأمريكية والبريطانية في قضايا إعادة إعمار العراق واستثمار النفط على قدم المساواة مع الشركات والمؤسسات الأخرى العالمية ومن دون أي تحيز سياسي ضدها، وعلى أساس السياسة النفطية وبرنامج إعادة الإعمار المقرر من الحكومة العراقية الجديدة.

٢١ ـ يعتبر هذا العرض كلاً متكاملاً وغير قابل للانتقاء.

(١٥)

الانسحاب الأمريكي أصبح مسلَّمة.. والاختلاف هو حول سرعة تنفيذه(*)

(٢٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٦)

● بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المشاهدون الكرام في أربيل والمقطّم والناصرية والمثنى والديوانية والفلّوجة والرمادي، وفي كل مدن العراق وقراه، في كل أنحاء الوطن العربي، في أديس أبابا وداكار وميامي وفريتاون وكيبتاون، في روما وباريس ومدريد وحيثما يصلكم بث قناة المستقلة في كل أنحاء الدنيا، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً إلى هذه الحلقة الجديدة من برنامج «ضيوف وأحداث» ونأتيكم على الهواء مباشرةً من قناة المستقلة في لندن.

مشاهدينا الكرام ضيف حلقة اليوم هو السياسي والأكاديمي والمفكر العراقي الدكتور خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت والرجل الأساسي المؤسس للمؤتمر القومي العربي وللمؤتمر القومي الإسلامي. منذ غزو العراق تكشّف الجانب أو البعد العراقي في شخصية الدكتور خير الدين حسيب، بعد أن ظلّ كثير من الناس الذين لبّوا دعواته للمشاركة في ندوات نظمها مركز دراسات

(*) أجرى هذه المقابلة مع د. خير الدين حسيب د. محمد الهاشمي الحامدي على قناة «المستقلة» الفضائية في لندن يوم ٢٢/٦/٢٠٠٦، وذلك ضمن برنامج «ضيوف وأحداث». والآراء الواردة في هذه المقابلة تمثل وجهة نظر شخصية ولا تعبر بالضرورة عن آراء مركز دراسات الوحدة العربية. هذا وقد تم تحديث بعض المعلومات الواردة في هذه المقابلة، بعد توفر معلومات تدعم توجهات المقابلة وتضيف جديداً أحياناً (المؤلف).

الوحدة العربية أو المؤتمر القومي العربي أو المؤتمر القومي الإسلامي غير متأكدين من جنسية الدكتور خير الدين حسيب العربية، هل هو لبناني، شامي، عراقي؟ ولكن هذا الأمر اتضح منذ وقت غزو العراق وبعد غزو العراق حيث ظهر الدكتور خير الدين حسيب في وسائل الإعلام، وبخاصة عند مشاهدي قناة المستقلة في هذا البرنامج أكثر من مرة وتحدث أيضاً كمواطن عراقي معنيّ بشؤون بلده وبالأوضاع الاستثنائية التي يمر بها العراق.

اليوم بصفته مواطناً عراقياً، بالإضافة إلى الصفات الأخرى التي ذكرتها في بداية البرنامج، نحاور الدكتور خير الدين حسيب، وسوف أسأله عن تقييمه للوضع الحالي في العراق بعد تشكيل الحكومة الجديدة، وآفاق الوضع العراقي إلى أين يتجه، تحقيق السيادة والاستقرار والاستقلال في العراق، وهل سيتم الآن بعد أن دخلت أطراف جديدة في الحكومة العراقية التي يرأسها المالكي، وأيضاً تقييمه للخطط الغربية للعراق، وبخاصة الخطط الأمريكية. وإذا سمح لنا الوقت قد نتطرق إلى بعض الملفات العربية الساخنة، التي لا شك في أن للدكتور خير الدين اطلاعاً بشأنها ورأياً في اتجاه تطور الأحداث فيها.

في بداية البرنامج د. خير الدين حسيب أهلاً وسهلاً بك.

حسيب: شكراً أخ الهاشمي الحامدي وأشكرك على إتاحة هذه الفرصة لمراجعة تطورات الأوضاع في العراق.

■ ***كنا التقينا في المرة الماضية والانتخابات أوشكت على الانتهاء، وكانت النتائج موضع جدل وأخذ وردّ، بعد ذلك طبعاً اعتمدت النتائج الرسمية النهائية، ثم استغرق الأمر عدة شهور لتشكيل حكومة بناءً على تلك النتائج، وبعد تشكيل الحكومة انتظر الناس مدة لتعيين أسماء بعض الوزراء في الوزارات المهمة في الحكومة، والآن اكتمل نصاب الحكومة، فما هو تقييمك لهذه الخطوات والتطورات الجديدة في الوضع السياسي العراقي؟***

حسيب: دعنا نرَ ما هي السياسة الأمريكية في العراق، وإلى أي حد يمكن أن تنجح هذه السياسة في المستقبل، في ضوء الوقائع الموجودة في العراق والوقائع الموجودة في الولايات المتحدة؟ السياسة الأمريكية في العراق تقوم على أساس العملية السياسية وانتهت إلى الانتخابات وتشكيل الحكومة، وعلى أساس محاولة إدخال المقاومة أو ما يسمونهم هم «المتمردون» في العملية السياسية، وتدريب الجيش العراقي وقوات الشرطة العراقية لتحل محل القوات الأمريكية في المدن، وتنسحب القوات الأمريكية إلى قواعد عسكرية وتعطي تغطية جوية

للقوات العراقية. فلنر إلى أي حد هذه العملية ناجحة.

قبل أن أجيب على مدى نجاح هذه العملية، أريد أن أقول ـ وأنا أوجه كلامي إلى الإخوة العراقيين والعرب ـ إن الدعاية الأمريكية نجحت إلى حد كبير في إعطاء صورة مزيفة للواقع العراقي على غير ما هو في الحقيقة. صحيح أن الأوضاع في العراق سيئة إلا أنه في ما يتعلق بالمستقبل هناك أسباب كثيرة تدعو إلى التفاؤل، كما سأبين بعد قليل، ولا يوجد هناك ما يبرر نوع اليأس والقنوط عند كثيرين من الإخوة في العراق أو في البلدان العربية.

الإعلام الأمريكي والدعاية الأمريكية، ومعها بعض الدعاية العربية التي تغذيها وتموّلها، تحاول أن تعطي هذه الصورة، ولذلك سأحاول جهدي، بقدر ما يمكن لإنسان أن يكون موضوعياً، أن أعطي جوانب مختلفة للصورة حتى أزيل هذا النوع من الإحباط واليأس.

■ ***الأوجه الرئيسة للصورة العراقية التي تحب أن ينتبه لها الناس.***

حسيب: في ما يتعلق بالعملية السياسية كانت الانتخابات ككل هي نهاية العملية السياسية. وما بين الانتخاب وتشكيل الحكومة تطلب الأمر أكثر من ستة أشهر. لم يستطع مجلس النواب الحالي حتى الآن أن يتفق على تعيين اللجان في داخل المجلس. المفروض أن يكون هناك مجلس سياسي للأمن الوطني ولكنهم لم يستطيعوا الاتفاق عليه. رئيس الوزراء أعلن أنه في اليوم التالي سيُعلن مبادرة مصالحة وطنية وحوار وطني ثم تأجل هذا الأمر. ذُكرت أسباب مختلفة: بعض أطراف الحكومة غير موافق، لكن قيل كذلك لم يكن الأمريكيون موافقين على العفو عن الأطراف من المقاومة الذين قتلوا جنوداً أمريكيين، وقد أعلنت المبادرة في ما بعد، والتي لم تغير شيئاً من الواقع العراقي المتردي أمنياً وخدماتياً.

وحتى لو حلّوا هذه المشاكل، هذه الحكومة يجب أن تشكل لجنة لإعادة النظر في الدستور الذي تم إقراره. هناك مادة في الدستور تنص على أن يعاد النظر في الدستور بعد الانتخابات وتشكيل الحكومة. أولاً، يجب الاتفاق على لجنة، وهم على الأمور الأقل غير قادرين على الاتفاق عليها. ويجب أن يتفقوا على لجنة، وهذه اللجنة يجب أن تبحث التعديلات خلال أربعة أشهر وتقدمها. وحتى لو افترضنا أنها استطاعت أن تتفق في ما بينها على التعديلات، فهذه التعديلات يجب أن تُعرض على مجلس النواب للموافقة عليها. ومع كل صعوبة هذا، لنفترض أن مجلس النواب وافق عليها، فيجب أن تُعرض على الاستفتاء خلال تسعين يوماً. ولو افترضنا أن الاستفتاء أقر التعديلات، فأي مجموعة سياسية من ثلاث محافظات في العراق، إذا اعترض ثلثا

المصوّتين في الاستفتاء على تعديل الدستور يصبح الدستور كله لاغياً ونعود إلى نقطة الصفر. ولأن التعديلات في الدستور إما ستتناول بعض الأمور المعترض عليها بالنسبة إلى الأكراد أو بالنسبة إلى بعض محافظات الجنوب، يستطيع الأكراد في ثلاث محافظات ومن خلال الثلثين أن يسقطوا الدستور، كما أن بعض القوى السياسية في الجنوب تستطيع أيضاً أن تقوم بذلك، وبالتالي نعود إلى نقطة الصفر. لذلك فإن أفق العملية السياسية أفق مجهول إن لم يكن مغلقاً.

إضافة إلى الجانب السياسي، هناك الجانب الأمني. الحكومة كلها موجودة في المنطقة الخضراء والوزراء لا يستطيعون أن يداوموا في وزاراتهم خارج المنطقة الأمنية[1].

تابع حالة الأمن يومياً في العراق. لقد تفاءل الأمريكيون بعد مقتل الزرقاوي، ولكن ما حدث هو أن العمليات تزداد بعد مقتل الزرقاوي. الخطة الأمنية التي تم التطبيل لها، وهي ليست أول خطة أمنية، فقد كانوا في الحكومة السابقة قد طرحوا خطة أمنية وطبّلوا لها، وبعد ذلك لم يحدث شيء. وعلى رغم هذه الخطة الأمنية، فإن العمليات مستمرة. وهذا أيضاً على الرغم من العدد الكبير من القوات الأمريكية وما يسمى بالقوات العراقية.

في ما يتعلق بالخدمات، إذا أخذت الوضع منذ الاحتلال حتى الآن تجد أن الخدمات تردّت. الكهرباء حالياً في بغداد كل ست ساعات هناك ساعة واحدة كهرباء، ومن مجموع ٢٤ ساعة هناك أربع ساعات كهرباء، وفي حر الصيف الموجود. وأفضل من أعطى صورة عن الوضع الحالي في العراق هو السفير الأمريكي زلماي خليل زاد، الذي بعث برسالة إلى كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية. وقد نُشرت الرسالة في صحيفتي **الواشنطن بوست** الأمريكية و**الإندبندنت** البريطانية[2]، وقد وصف فيها الوضع في ما يتعلق بالموظفين العراقيين الذين يعملون لديه، وكذلك

---

(١) أما أعضاء مجلس النواب فهم ينتقلون بشكل متزايد إلى المنطقة الخضراء وتحت الحماية الأمريكية، وكل نائب حُدد له راتب شهري ١٥ مليون دينار عراقي، أي ١٠ آلاف دولار، إضافة إلى زيادة عدد حراسه من ١٠ إلى ٢٠ حارساً، وهناك منحة اسمها «تحسين حال» وكانت المنحة ٥٥ ألف دولار في بداية مجيء النواب، والآن فإنهم مهتمون بزيادة هذه المنحة إلى ١٠٠ ألف دولار.

(٢) انظر رسالة السفير الأمريكي في بغداد في: *Washington Post* and *Independent*, 18/6/2006.

R 121430Z Jun 06
FM: AMEMBASSY BAGHDAD
TO: SECSTATE WASHDC 5042
INFO: IRAQ COLLECTIVE
UNCLAS BAGHDAD 001992

والمنشورة على موقع الـ واشنطن بوست.

وصف وضع الحرس حول المنطقة الخضراء والذين لا يؤتمنون كذلك، ويذكر الوضع في العراق ويعطي صورة قاتمة لا يوجد فيها ما يدعو إلى التفاؤل. هذا من الناحية الأمنية ومن ناحية العملية السياسية.

بالنسبة إلى القوات العراقية التي يقومون بتدريبها، فقد نشر أنتوني كوردسمان يوم ١٩ حزيران/ يونيو الحالي (عام ٢٠٠٦) تقريره عن «تطور القوات العراقية في ٢٠٠٦»[٣]، وصدر عدد من التقارير الأخرى لمسؤولين عسكريين أمريكيين. وقد أوردت التقارير أن قوات الشرطة هي في غالبيتها ميليشيات وولاؤها ليس وطنياً، بل ولاؤها إما لبدر أو للبشمركة أو لميليشيات أخرى موجودة، وهي تعيث في الأرض فساداً. وقوات الجيش كذلك، ولكنها أفضل من وضع الشرطة، إنما فيها أيضاً ميليشيات. وهناك تقارير أمريكية صدرت مؤخراً تشير إلى مدى الغياب والهرب من هذه القوات من جانب المجندين.

وحتى تعرف مدى إمكانية الاعتماد على هذه القوات، وبخاصة الشرطة، ففي يوم ٢٠٠٦/٦/١٧، أي قبل خمسة أيام، صرح بوشو إبراهيم علي، وهو كردي ونائب وزير العدل الحالي، بأن ميليشيات الشيعة ترتكب مجازر في السجون العراقية، وقال إن السجون العراقية خاضعة لسيطرة ميليشيات شيعية ترتكب فيها تجاوزات بحق معتقلين وحتى أعمال قتل. وقال إنه لا يمكن السيطرة على السجون، مضيفاً أنه طلب من السلطات الأمريكية تعليق نقل السيطرة على السجون إلى السلطات العراقية. وأوضح أن سجوننا مخترقة من قبل المسلحين على كل المستويات، من البصرة إلى بغداد، معرباً عن قلق خاص إزاء سجون تابعة لوزارة الداخلية. . . إلخ، وفي بعض الحالات تم إخراج معتقلين سنّة من بعض السجون وقتلهم على أيدي مسلحين، وأضاف أنه أرسل رسالة إلى الضابط الأمريكي المسؤول عن شؤون السجون. هذا نائب وزير العدل العراقي في الحكومة الحالية. هذا هو ـ إذاً ـ وضع الأمن[٤].

أما بالنسبة إلى إمكانية أن تحل القوات العراقية محل القوات الأمريكية في المدن وهي تنسحب إلى قواعد، فقبل سنة وفي الشهادات التي أدلى بها المسؤولون العسكريون في البنتاغون إلى الكونغرس قالوا إن لديهم ثلاث كتائب تستطيع أن تقاتل وحدها، هذا الكلام كان في الصيف. وفي الخريف قالوا إن لديهم كتيبتين، أي خفضوا العدد إلى اثنتين، ثم عادوا في أول السنة (عام ٢٠٠٦) وقالوا هناك كتيبة

---

(٣) Anthony H. Cordesman and Willian D. Sullivan, «Iraqi Force Development in 2006,» 19 June 2006, <http://www.csis.org/component/option,com_csis_pubs/task,view/id,3293/>.

(٤) انظر: **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٦/٦/١٧، ص ٣.

واحدة، أي خفّضوا العدد إلى كتيبة واحدة، وفي شباط/ فبراير (عام ٢٠٠٦) كان العدد قد أصبح صفراً. وكمؤشر إضافي حول ذلك، فقد كان البنتاغون ينشر معلومات عن تدريب القوات العراقية على موقعها على الإنترنت، وقامت بتقسيمها إلى أربع مجموعات: القطعات التي تستطيع أن تقاتل وحدها؛ والقطعات التي تحتاج إلى دعم من الأمريكيين؛ والقطعات التي تستطيع أن تشترك مع الأمريكيين؛ والقطعات التي هي تحت التدريب. من قبل كانوا ينشرون القسم الأول، أي الذين يستطيعون أن يقاتلوا وحدهم، والآن وبعد التدهور الحاصل فيه لم يعد البنتاغون ينشر أي شيء عن المجموعة الأولى لأنه لا توجد قطعات تستطيع أن تقاتل وحدها. هذا وضع الجيش الذي يعوّلون هم عليه.

أما وضع **القوات الأمريكية**، فحتى يوم الاثنين الفائت، أي ١٩/ ٦/ ٢٠٠٦، كان عدد القتلى الأمريكيين هو ٢٥٠٢[٥]، واليوم هناك ثمانية آخرون. وعدد الجرحى وفقاً لتقديراتهم هو ١٨٤٩٠، وتقارير من البنتاغون تقول إن نصفهم على الأقل (نسبة ٥٤ في المئة) لا يستطيعون أن يعودوا إلى الجيش. هذه الأرقام هي أرقام غير دقيقة وتشمل فقط قسماً من الجيش الأمريكي هم الذين يحملون جنسية أمريكية، والقطعات الأخرى الذين لا يحملون الجنسية أو لديهم البطاقة الخضراء أو يعملون مقاولين، فهذه الأرقام لا تشملهم. مع ذلك، هناك تقارير أمريكية تشير إلى أن عدد الجرحى هو أضعاف هذا الرقم المنشور. وإضافة إلى القتلى والجرحى هناك وبحسب التقارير الأمريكية ٨٠٠٠ هربوا من الجيش، وهناك حوالى ٤٠٠٠ منهم طلبوا اللجوء إلى كندا[٦]، وهناك صعوبات في ضم متطوعين جدد، وثلث الذين تنتهي مدة خدمتهم على الأقل لا يجددون خدمتهم[٧]. فهذا حال الجيش الأمريكي.

---

(٥) تشير آخر المعلومات حول الموضوع، المنشورة على موقع البنتاغون على الشبكة الالكترونية (الإنترنت) إلى أن عدد قتلى وجرحى القوات الأمريكية حتى يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦، قد بلغ ٢٥٧١ قتيلاً و١٩١٥٧ جريحاً.

(٦) انظر: Bill Nichols, «8.000 Desert During Iraq War,» *USA Today*, 7/3/2006.

حيث يشير التقرير إلى أن سجلات وزارة الدفاع تعترف بهرب حوالى ٨ آلاف جندي أمريكي من الخدمة منذ العام الأول للاحتلال. وتبين هذه السجلات المؤرخة منذ خريف ٢٠٠٣ إلى فرار ٤٣٨٧ جندياً و٣٤٥٤ عنصراً من جنود البحرية و٨٢ من سلاح الجو من الخدمة في جيش الاحتلال منذ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣.

انظر أيضاً: Elaine Monaghan, «US Army Plagued by Desertion and Plunging Morale,» *Times*, 10/12/2004, and Duncan Campbell, «Soldiers Flee to Canada to Avoid Iraq Duty,» *Guardian*, 28/3/2006.

حيث يقدر عدد الذين هربوا بأكثر من ٩٠٠٠ منذ بداية الحرب في عام ٢٠٠٣.

وانظر أيضاً: مقالة بول كريج روبرتس المترجمة إلى العربية حول الموضوع نفسه والمنشورة في: **الخليج**، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٤، ص ١٦.

(٧) Thom Shanker, «Young Officers Leaving Army at a High Rate,» *New York Times*, 10/4/2006, p. 1.

أما الجيش البريطاني فقد زاد عدد قتلاه على المئة إذ بلغ ١١٣، كما تجاوز عدد الذين نقلوهم إلى بريطانيا الـ ٤٠٠٠، أما مجموع الجرحى فهو حوالى سبعة آلاف[٨].

ومع القوات الأمريكية والبريطانية هناك قوات أخرى يسمونها **قوات التحالف**، وهذه قسم منها ترك العراق وانسحب منه وهو يشمل نيكاراغوا وإسبانيا والدومينكان وهندوراس والفيليبين وتايلند وهولندا والبرتغال وأوكرانيا وجورجيا ومالدوفا. وهناك قوات أعلن عن قرب انسحابها وهي اليابان وهولندا وإيطاليا، وحتى بريطانيا فهي ستسحب ٨٠٠ من جنودها الموجودين. إذاً الأمريكيون مصابون بقتلى وجرحى كثيرين، وهناك هروب من الجيش وصعوبة في التجنيد، وما يسمى بقوات التحالف معظمها انسحب، والباقي في طريقه إلى الانسحاب، وبالتالي هم مجبرون على أن يغطوا المناطق التي انسحبت منها هذه القوات. إضافة إلى ذلك، فإن تدريب القوات العراقية لا يسير بحسب توقعاتهم، وبالتالي لا يستطيعون أن يحلوا محلهم.

وأكثر من هذا، فإن التقارير الخاصة بالبنتاغون تقول إن ٥٠ في المئة من القتلى بين الأمريكيين و٧٠ في المئة من الجرحى هم نتيجة المتفجرات التي تُزرع على جانب الطرق (Road Side Bomb)[٩]. وهناك سباق بين المقاومة العراقية والبنتاغون لتطوير هذه المتفجرات ووسائل تفجيرها أو إبطالها. ونتيجة ذلك فإن معظم النقل الآن للقوات الأمريكية في العراق، من مؤن وعتاد وغيره، يتم جواً حتى يتفادوا سقوط

---

(٨) انظر: Terri Judd and Ben Russel, «Extent of Soldiers' Injuries in Iraq «Hidden by MOD»,» *Independent*, 19/1/2006, and Andy McSmith, «Britain's Casualties of Iraq War Total 6,700, MOD Says,» *Independent*, 31/3/2006.

وحول عدد القتلى والمصابين بأمراض عقلية من الجنود البريطانيين في العراق، انظر: Andy McSmith, «Iraq: 60 Soldiers a Month Suffer Mental Illness,» *Independent*, 15/6/2006.

حيث يشير التقرير إلى أنه في عام ٢٠٠٥ أُبلغت السلطات العسكرية عن ٧٢٧ حالة بين القوات تعاني اضطرابات سيكولوجية بسبب وجودهم في العراق، بمعدل ٦٠ حالة شهرياً، أو حالتين يومياً. وإن هذا الرقم يمثل تقريباً عشرة في المئة من عدد القوات البريطانية الموجودة في العراق. وتمثل هذه الأرقام زيادة كبيرة على الأرقام الرسمية التي نشرت قبل أربعة أشهر، والتي أظهرت أن ١٣٣٣ من الذين في الخدمة في العراق قد احتاجوا إلى معالجة خلال السنتين والنصف بعد اندلاع حرب العراق، بمعدل ٤٠ حالة شهرياً.

وحول الحالة المعنوية للقوات البريطانية في العراق، انظر: Ian Herbert, «Are British Troops at Breaking Point in Iraq?: Fears that British Forces in Iraq are Reaching «Breaking Point» Grew Last Night as the First Hard Evidence of a Crisis in Morale Began to Emerge,» *Independent*, 18/10/2005.

(٩) حول الضحايا الأمريكيين والسباق بين البنتاغون والمقاومة العراقية حول هذا الموضوع، انظر: Kevin Cullen, «Improvised Bombs Packing More Power: Insurgents' Devices Taking Toll on Troops,» *Boston Globe*, 5/3/2006, and Charles J. Hanley, «U. S. Targeting Iraq's IEDs,» *Early Bird* (14 March 2006).

مزيد من القتلى، ومع كل المصاعب والكلفة الزائدة التي تترتب على هذا[10].

إذاً رأينا كيف هو الوضع السياسي والوضع الأمني ووضع القوات الأمريكية ووضع القوات المتعاونة التي يسمونها «قوات التحالف»، فكيف سيسير الوضع؟

أنا أعتقد أنه خلال بضعة أشهر ستصل الحكومة الجديدة إلى حالة من عدم الفعالية، فإما تنتهي أيّ تنحلّ، أو أن تبقى في المنطقة الخضراء لا حول ولا قوة لها. أما المقاومة فهي تزداد قوة، والقوات الأمريكية غير قادرة على ضبط الأمن قبل انسحابها. هذا في داخل العراق.

أما في **داخل أمريكا**، فالذي سيقرر أي انسحاب أمريكي للقوات الأمريكية هو الرأي العام الأمريكي الداخلي، وبقدر ما تؤثر الأحداث في العراق في الرأي العام الداخلي الأمريكي. ففي أمريكا لديهم انتخابات نصفية في تشرين الثاني/نوفمبر لكل مجلس النواب وثلث مجلس الشيوخ، وإذا خسر بوش في الانتخابات النصفية يمكن الديمقراطيين أن يتقدموا بمشاريع قوانين بهدف عزل الرئيس بوش، كما ستكون الإدارة الأمريكية الحالية مشلولة خلال المدة المتبقية للرئيس الحالي، وبالتالي مصير الإدارة الأمريكية معلقاً بنتائج هذه الانتخابات.

كل هذه العواملَ التي ذكرتها في العراق من قتلى وجرحى وغيره لها تأثيراتها في الرأي العام الأمريكي، وشعبية بوش وصلت إلى ٣١ في المئة، وارتفعت مؤخراً بنسبة طفيفة بسبب مقتل الزرقاوي، والآن قضية الزرقاوي التي ساعدته ستنتهي، أضف اليها أن قضايا التعذيب الذي يمارسه الجيش الأمريكي والقتلى والتي كُشف عنها مؤخراً قد غطت على ذلك. وحتى الآن كلفة الحرب على العراق كانت ٣٢٠ مليار دولار، وهناك عجز في الميزانية الأمريكية وعجز في ميزان المدفوعات والدولار انخفض بمعدل ٣٠ ـ ٤٠ في المئة[11].

أما موقف الرأي العام العالمي بالنسبة إلى أمريكا، فصورة أمريكا قد تشوهت وازدادت ضعفاً، ومؤخراً عملوا دراسة في ١٥ دولة أوروبية وغير أوروبية، عن رأي الأوروبيين وغيرهم وكيف ينظرون إلى أمريكا. والملاحظ أنه كان هناك انخفاض في

---

(١٠) انظر: Jeff Schogol, «U.S. Troops Turn to Skies for Safe Supply Route in Iraq: Highways Slower, Far Riskier for Making Deliveries,» *Stars and Stripes*, 9/4/2006.

(١١) حول الآثار الاقتصادية لغزو أمريكا للعراق وكلفة الحرب عليها، انظر: Linda Bilmes and Joseph E. Stiglitz, «The Economic Costs of the Iraq War: An Appraisal Three Years after the Beginning of the Conflict,» paper prepared for presentation at: The ASSA Meeting, Boston, MA, January 2006, <http://www2.gsb.columbia.edu/faculty/jstiglitz/cost_of_war_in_iraq.pdf>.

شعبية أمريكا في معظم هذه الدول التي كانت منخفضة أصلاً: في فرنسا وبريطانيا وفي تركيا وفي دول أخرى. إذاً صورة أمريكا في العالم تزداد سواداً وضعفاً.

فهذا هو الوضع في أمريكا، على الرغم من كلام بوش عن أنه لا بد من أن تربح أمريكا الحرب، وأنا أعتقد أنه في مستقبل قريب وليس ببعيد وقبل الانتخابات ستضطر أمريكا إلى إعادة النظر في سياستها، وستبحث عن بديل: إما أن تحاول إيجاد بديل عن طريق إشراك الأمم المتحدة والمفاوضة مع المقاومة، أو ستضطر إلى الانسحاب وترك العراق كما هو.

إنها في محاولتها المفاوضة مع المقاومة وجذب المقاومة إلى العملية السياسية فشلت على رغم كل الادعاءات الأمريكية، إذ إن المقاومة تشترط أن لا تتفاوض مع الأمريكيين قبل أن تعلن أمريكا الانسحاب الكامل من العراق بما فيه الانسحاب من أي قواعد وخلال مدة محددة ووفقاً لجدول زمني. قبل ذلك لا يمكن أن تتفاوض المقاومة مع الأمريكيين. فلا العملية السياسية ناجحة ولا عملية المفاوضة مع المقاومة ولا تدريب القوات العراقية ناجحة، وهم غير قادرين على تحسين الوضع الأمني في العراق، والوضع في داخل أمريكا. هناك انتقادات كثيرة من سياسيين وعسكريين، وهناك إجماع أن العملية غير ناجحة والأمور لا تسير على ما يرام في العراق، وهناك ضرورة للانسحاب من العراق. إن قسماً من هؤلاء يدعو إلى الانسحاب الفوري، مثل جون كيري المرشح الديمقراطي السابق الذي طلب الانسحاب خلال شهر، وهناك من يطالب بالانسحاب خلال سنة، وهناك من يطالب بأكثر من سنة وغيره. هذا هو الوضع الأمريكي والمستقبل في العراق، وهي صورة يجب أن لا تدعو العراقيين الذين هم ضد الاحتلال ولا العرب الآخرين إلا أن يكونوا متشائمين ويائسين. أعتقد أن العراق سيتحرر وسيعود إلى أبنائه الحقيقيين، وهذه السنوات الثلاث أو الأربع في العراق ستنتهي كما انتهت من قبل مراحل كثيرة من الغزوات والاحتلالات.

■ ***لكن دكتور خير الدين حسيب هذه هي البدائل التي يمكن أن يتعلق بها العراقي الذي يتعاطف مع قراءتك للأحداث، فأين هي البدائل المغرية؟ في العراق الآن كثير من العراقيين يقولون ما هي هذه المقاومة التي ستدافع عنا وعن بلدنا؟ فهم لا يعرفونها أصلاً. هل المقاومة هي حزب البعث أم تنظيمات إرهابية تقتل الأبرياء العراقيين من أطفال وطلاب في المدارس؟ فالبدائل أخطر سوءاً عند كثيرين من الناس من الوضع الحالي الذي تحاول أحزاب سياسية عراقية كثيرة أن تعمل على تحسينه.***

حسيب: سبق لي أن قلت في مقابلات سابقة وأقولها الآن، يجب التفريق ما بين الإرهاب والمقاومة. هناك إرهاب في العراق، وهناك عدة جهات تمارس الإرهاب،

وأول هذه الجهات هو الجيش الأمريكي الذي يمارس الإرهاب من أبو غريب إلى حديثة إلى الإسحاقي . . . إلخ. والنوع الثاني هو أجهزة الدولة نفسها، أو أجهزة وزارة الداخلية وغيرها. وقد قرأت لك قبل قليل كلام نائب وزير العدل، في القضايا المختلفة التي تم التحقيق فيها ولم يُعلن أي نتيجة تحقيق، الذي قامت به هي أجهزة الأمن، ويسمونها فرق الموت وفيلق بدر وغيره، وهم جزء من أجهزة الدولة. والمجموعة الثالثة هي ميليشيات الأحزاب، فهذه كذلك تقوم بعمليات العنف. والنوع الرابع هو أجهزة المخابرات الخارجية، فهناك إسرائيل وإيران وأمريكا نفسها وغيرها. والنوع الخامس هو الجهات التي تدّعي بأنها مقاومة، فكانوا يقولون إنه الزرقاوي، علماً أن هناك في العراق أكثر من زرقاوي، فهناك زرقاوي أمريكي، وزرقاوي إسرائيلي، وزرقاوي إيراني، وهناك زرقاوي الزرقاوي، فهم حاولوا أن يضخموا كل شيء ويضعوه على عاتق الزرقاوي. أنا قلت، وأقول، إن كل الأعمال التي تقوم بها هذه المجموعات من قتل المدنيين والأعمال الطائفية والمذهبية مدانة بكل ما يمكن من قوة، وهذه لا علاقة لها بالمقاومة. إن المقاومة هي الجهات المقاومة للاحتلال والتي توجه عملها للقوى المحتلة والمتعاونين مع الاحتلال. يمكن أن تقول إن هناك أربع مجموعات أساسية: هناك «الجيش الإسلامي» وهو العمود الفقري، وهناك كتائب ثورة العشرين، وهناك جيش المجاهدين، وهناك ما كان يسمى جيش محمد، وأحياناً يسمى جيش الفاتحين. وكل جانب يدّعي بأن لديه الأغلبية في المقاومة. وكل هذه المجموعات الأربع هي خليط من ناس وطنيين عراقيين كان بعضهم في الجيش السابق وفي المخابرات ومتطوعين جدد، وقسم يتألف من مجموعات صغيرة، وهم أناس وطنيون ومنهم القوميون والناصريون والبعثيون والإسلاميون، وهدفهم الأساسي هو إخراج الاحتلال من العراق. هذه المقاومة أسقطت أكثر من ٦٠ طائرة أمريكية ما بين هليكوبتر وطائرة تجسس. . . إلخ، وأكثر من ١٠٠٠ مدرعة ما بين دبابة وغيرها وأسلحة أخرى كثيرة. لقد حاول الأمريكيون تشويه صورة المقاومة بأن ينسبوا كل الأعمال الإرهابية إلى المقاومة، وبعض هذه الأعمال الإرهابية هم الذين يقومون بها.

■ ***البدائل الأخرى لدى كثيرين من العراقيين هي أكثر سوءاً.***

حسيب: لا. أعتقد أن العراقيين على الرغم من المعاناة الحالية يجب أن لا ينجرّوا إلى الرد على بعض العمليات المذهبية والعنصرية بعمل مماثل. مثلما يقول الشاعر:

إذا كنت تجزي الذنبَ مني بمثلِه ... فما الفرقُ بيني وبينك يا ربّ

يجب أن يستوعبوا أكثر شيء ممكن ويمنعوا حدوث هذه الأعمال من دون أن

يقابلوا هذه الأعمال بأعمال مثلها. القوات الأمريكية هي المسؤول الأول عن زرع الطائفية وتعميقها وتغذيتها. أول ما قام به بريمر عندما شكل مجلس الحكم هو أنه شكله على أساس طائفي. وهم لا يتكلمون أبداً عن الشعب العراقي، بل عن شيعة وسنّة وأكراد وعرب وتركمان . . . إلخ. إن العراق لديه تاريخ طويل في المعايشة بين الطوائف، وأياً كان رأينا في حزب البعث فإنه لم يكن طائفياً، وأغلبية أعضاء حزب البعث هم من الشيعة، إذا كان لا بد من أن نستعمل هذه المفردات، وأغلبية قيادات حزب البعث كانت شيعية، وأول أمينين عامين اثنين أسسا حزب البعث كانا شيعيَّين. ومن الـ ٥٢ شخصاً الذين نشر الأمريكيون صورهم، ٣٥ منهم كانوا شيعة. السيستاني نفسه قال إن صدام حسين لم يكن طائفياً، بل كان دكتاتوراً، وهذا صحيح. وبالتالي ليست هناك جذور للطائفية في العراق، بل هناك محاولة لتضخيم هذا الموضوع. أعتقد أن المطلوب من كل الأطراف وبشكل خاص من العرب السنّة أو ما يسمى «العرب السنّة» ومن مقتدى الصدر أن يستوعبوا هذه العملية، وهناك دور كبير على مقتدى الصدر أن يقوم به، على الرغم مما يقال من أن بعض جماعته اشتركوا في عمليات التصفية المذهبية، لكن موقفه لا يزال ضد القوات المحتلة ومع الانسحاب. والذي يقرأ مذكرات بريمر[١٢]، وهي مهمة جداً، يرى كيف أنهم كانوا، ولا يزالون، يريدون تصفية مقتدى الصدر، وكيف أن هناك أطرافاً أخرى، مرجعية وغير مرجعية، سياسية شيعية كانت تريد من الأمريكيين أن يقوموا بتصفية مقتدى الصدر. إن من الممكن لهيئة علماء المسلمين من جهة، والمؤتمر التأسيسي من جهة أخرى، ومقتدى الصدر وغيرهم، أن يوفروا على البلد استمرار هذه المحنة.

من ناحية أخرى، هناك فراغ سياسي في العراق، إذ لا يوجد عمل سياسي مرافق للمقاومة وعلى مستواها، وكذلك لا يوجد عمل إعلامي مرافق لها وعلى مستواها. وهناك فراغ سياسي لأنه خلال فترة النظام السابق وعلى مدى ٣٥ سنة لم يُسمح لأي جهة داخل العراق (في ما عدا حزب البعث) أن تقوم بعمل سياسي، أي أن تنشئ تنظيماً. ومن عام ١٩٥٨ إلى عام ٢٠٠٣، أي على مدى ٤٨ سنة لم يمارس العراقيون أي عمل سياسي باستثناء حزب البعث. لم يمارسوا أي انتخابات وأي ديمقراطية حقيقية. وعندما بدأ الاحتلال بدأوا من الصفر، فلا يوجد لديهم خبرة حزبية ولا خبرة تنظيمية. لقد لفتت انتباهي اليوم افتتاحية للأخ عبد الباري عطوان

---

(١٢) انظر: L. Paul Bremer with Malcolm McConnell, *My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope* (New York: Simon and Schuster, 2006).
وللكتاب طبعة بالعربية، انظر: بول بريمر ومالكولم ماك كونل، **عام قضيته في العراق: النضال لبناء غدٍ مرجوّ**، ترجمة عمر الأيوبي (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦).

عنوانها «العراق وأغلبيته الصامتة»[١٣]، وهي افتتاحية ممتازة، ويدعو فيها الأغلبية الصامتة من العراقيين إلى أن يقوموا بواجبهم. أنا أعتقد أن التقسيمات السياسية السابقة، مثل بعثي وناصري وقومي وشيوعي وماركسي وإسلامي وغيرها، كان لها ظروفها التاريخية، ولكنها لا تصلح للمستقبل. المستقبل فيه قضايا أساسية: التخلص من الاحتلال وقضية الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتنمية... إلخ، هذه لا يوجد اختلاف بين هذه التيارات الثلاثة حولها. ولذلك هناك حاجة إلى الأغلبية الصامتة في هذه التيارات الثلاثة، أي التيار القومي العربي، والتيار الإسلامي العروبي، والتيار اليساري العروبي، أن يلتقوا مع بعضهم من خلال تنظيم أو تيار وتكوين «كتلة تاريخية»، وهم سيمثلون أغلبية الشعب العراقي، وهم بهذا يقضون على الطائفية ويخرجون العراق من هذه المحنة.

■ ***دكتور خير الدين هذا افتراض نظري، معالجة الواقع بافتراضات نظرية.***

حسيب: هناك محاولة وهناك بداية لهذا العمل، ففي المؤتمر القومي العربي الذي انعقد في الدار البيضاء في ٥ ـ ٨ أيار/مايو ٢٠٠٦، كان هناك اجتماع جانبي للعراقيين المشاركين فيه، وطُرحت هذه الفكرة وتم الاتفاق على اتخاذ خطوات عملية. وهناك اجتماع لعراقيين تم في لندن بتاريخ ١٤/٦/٢٠٠٦ لأكثر من ١٠٠ شخصية عراقية لمناقشة هذا الموضوع، وفي ضوء هذه المناقشات ستتم الدعوة إلى اجتماع يضم عراقيين من الداخل والخارج للسير قدماً في هذه العملية. هذا الأمر لا يكفي، لكن أعتقد أن الظروف في العراق وفشل العملية السياسية وفشل المخطط الأمريكي سيُجبر الأمريكيين على إيجاد بديل آخر وعلى الانسحاب وعلى تسليم العراق إلى قوى سياسية عراقية بعيدة عن الاحتلال بالاتفاق مع المقاومة، وإلا أتوقع أن تبدأ المقاومة بعملية تطهير المدن واحدة بعد الأخرى، وتبدأ من الموصل وتنتهي بصلاح الدين وديالى... إلخ.

■ ***ما هي معلوماتك عما يجري في البصرة؟***

حسيب: خلافاً لما يقال بأن الجنوب هادئ، فأنا ذكرت أن هناك ٦٠٠٠ من الجرحى بين البريطانيين و٤٠٠٠ منهم نُقلوا إلى بريطانيا، وهناك أكثر من ١٠٠ من القتلى، فمن قتل هؤلاء ومن جرحهم؟ فإذا لم تكن هناك مقاومة، فمن قتل هؤلاء؟ الآن بدأنا أيضاً نسمع أن هناك في البصرة عمليات مقاومة وعمليات صراع بين القوى من الائتلاف نفسه، سببها هو الصراع حول سرقة النفط. وأمس صَرّح وزير

---

(١٣) عبد الباري عطوان، «العراق وأغلبيته الصامتة!،» القدس العربي، ٢٢/٦/٢٠٠٦.

النفط العراقي أن القوات البحرية الإيرانية تحمي سارقي النفط من الجنوب. إن هذا هو معنى السيطرة على الموارد الاقتصادية للعراق، وحتى الوزارات، فكل وزير يعتبر أن هذه الوزارة ملك للحزب الخاص به، فكل الموظفين يأتي بهم من حزبه، وكل موارد هذه الوزارة توضع تحت تصرف الحزب من دون استثناء، فالكل سلكوا هذا الاتجاه.

■ ***هناك ناس من عائلة السعدون في البصرة، وأحد البصراويين أرسل رسالة إلى برنامج «العراق الجديد» للدكتور نبيل الجنابي كان قبلنا بساعة، ويقول إن التنافس يجري على النفط بين الميليشيات والأحزاب السياسية والتي كلها في الحكومة، ويقول إن عائدات النفط وبالتنسيق مع إيران تُشترى بها أسلحة ومعدات عسكرية تجوب البصرة. ويقال أيضاً إنه يتم تفريغ مدينة البصرة مما يسمى الآن العرب السنة، وكثيرون منهم الآن يقتلون ويهجّرون. . . إلخ.***

حسيب: أعتقد أن المعلومات صحيحة بشكل عام، وقد علمت أن رئيس الوقف السنّي في بغداد أصدر قراراً بإغلاق جميع مساجد السنّة (وآسف لاستعمال هذا التعبير فأنا لا أحبه أبداً) في البصرة ما عدا جامعاً واحداً، فهناك ١٤٥ جامعاً تم إغلاقها، لأنهم ينتظرون يوم الجمعة وفي وقت الصلاة يأخذون أناساً ويقتلونهم.

■ ***أعمال مثل هذه، وبيع النفط بالتنسيق مع الإيرانيين، فكيف ستتعامل القوات الأمريكية، وانسحاب الأمريكيين كيف سينفع مع هذه الوضعية؟***

حسيب: أحب أن أسأل إذا كانت القوات البريطانية الموجودة في البصرة لا تستطيع أن تحافظ على النفط، فلماذا بقيت ثلاث سنوات من دون عدادات للنفط الذي تم تصديره؟ أمريكا تستطيع أن تأتي بالدبابات والطائرات من أمريكا إلى العراق، فهل هي لا تستطيع أن تأتي بعدادات للنفط لتعرف حجم الإنتاج والتصدير.

■ ***لأن هناك أناساً في خضمّ المفاوضات الغربية ـ الإيرانية حول السلاح النووي، يقولون إنه من ضمن حزمة الترضيات الغربية للإيرانيين هو إطلاق يدهم في العراق، ويقولون لك الآن إنهم شركاء في احتلال العراق، لكن سيصبحون شركاء في العراق لمدة طويلة في المستقبل.***

حسيب: أعتقد أن هذا كلام غير صحيح.

■ ***كم هو الوجود الإيراني في العراق؟***

حسيب: النفوذ الإيراني في العراق حصل بعد الاحتلال، وسبب هذا النفوذ هو الاحتلال الأمريكي، فلم يكن النفوذ موجوداً في السابق.

■ ***هذا الذي تكلم قال إنهم احتفلوا بالانتصار الإيراني على العراق، فأقاموا احتفالات رسمية ورفعوا صور الإيرانيين.***

حسيب: مع ذلك يجب على العراقيين أن لا يرتكبوا الخطأ باعتبار أن إيران هي الخطر الأول، وأمريكا الخطر الثاني. الذي أتى بالإيرانيين هم الأمريكيون، ويجب أن ينصبّ الجهد كله نحو تحرير العراق وانسحاب الأمريكيين، لأنه عندما ينسحب الأمريكيون وتكون هناك حكومة مركزية قوية، فإيران وغير إيران سترجع إلى حجمها الطبيعي.

■ ***وزير الخارجية الإيراني السابق وليس الحالي قال في جولة مباحثات مع الاتحاد الأوروبي إنه لولا إيران لما قدمت أمريكا إلى العراق، والوثائق التي قُدمت إلى البنتاغون كانت وثائق إيرانية وسربت عن طريق شخصيات عراقية قريبة من إيران.***

حسيب: أكثر من هذا فإن السيد محمد علي الأبطحي الذي كان نائبه الخاتمي عند احتلال العراق، صرح أنهم ساعدوا الأمريكيين على احتلال العراق.

■ ***فكيف تقول إن أمريكا جاءت بإيران، فإيران تقول إنها هي من أتت بالأمريكيين؟***

حسيب: إيران تنطلق من مصالحها هي كما تراها. قد يجوز هذا في الزمن القصير، ولكن ما تقوم به ليس في مصلحتها في المدى البعيد، فهي تقوم بناء على مصالحها، تبيع وتشتري مع الأمريكيين وتدفع الثمن من العراق. لذلك يجب التخلص أولاً من الخطر والعدوّ الرئيسي، وهذا لا يعني أننا لا ننتبه إلى ما تقوم به إيران، وأمريكا لن تسمح أن يكون هناك سيطرة لإيران على العراق لأن لديها مصالح في الخليج، وبالتالي مصالحها في الخليج تكون مهددة.

■ ***لكن إيران ميزتها أن علاقتها قوية بتيارات وقوى داخل العراق، وحتى أقوى من علاقات أمريكا التي لا تستطيع أن تتحكم بالمسألة مئة بالمئة.***

حسيب: أخ هاشمي، في العراق معروف أن الشيعة هم عرب، ٨٠ في المئة من الشعب العراقي هم عرب و٩٥ في المئة مسلمون، والشيعة في العراق يعتزّون بعروبتهم وبتاريخ العراق، وموقف الشيعة العرب من إيران معروف. في الحرب العراقية ـ الإيرانية، بغضّ النظر عن رأينا في الحرب، قاتل الجنود الشيعة في الجيش العراقي الذي يضم قسماً كبيراً منهم وماتوا. وفي تاريخ العراق لا يستطيع العرب السنّة المزايدة على العرب الشيعة في عروبتهم وقوميتهم.

■ *لكن هذا ليس الموضوع، بل إن الموضوع هو النقاش الآن بأن إيران أدرى بحكم العراق والتغلغل فيه أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية، لأن لديها خبرة كبيرة في العراق، فهم كانوا في العراق قبل الفتح العربي الإسلامي.*

حسيب: أنا أتحدث عن العراق الحديث، فالعرب الشيعة ليسوا أقل وطنية من السنّة، وهم معتزون بعراقيتهم وبوطنيتهم وولاؤهم هو للعراق وليس لغيره.

■ *أنا لا يوجد لدي نقاش في هذا، ولكن النقاش أن إيران هي دولة ذات أطماع إقليمية وذات خبرة في المنطقة، والواقع أن لديها علاقات أقوى داخل العراق من القوات والحكومة الأمريكية، وإلا كيف تفسر طلب الأمريكيين أنفسهم بأن يتفاوضوا مع إيران حول العراق؟*

حسيب: هناك قضايا متفجرات، ويدّعي الأمريكيون بأن بعض هذه المتفجرات على جانب الطرق تأتي من إيران ومن صنع إيراني، وأن بعض الأسلحة تأتي من إيران، وهم يريدون التفاوض حول هذا الموضوع. وأنا لا أقلل من التدخل الإيراني في العراق، ولا أقلل من التدخل السلبي في تأجيج الطائفية في العراق من قبل إيران، لكن أقول إن هذا يجب أن لا يجعل إيران العدو لكثير من العراقيين، فأمريكا هي العدو الأول، وأياً كانت السياسة الحالية لإيران فيجب أن يُنظر إلى إيران والتعامل معها في المستقبل على أساس أنها عمق إسلامي استراتيجي للأمة العربية، ويجب أن نحاول أن نغيّر في إيران في هذا الاتجاه، وأن تكون صديقاً محتملاً وليس عدواً محتملاً.

■ *وزير النفط العراقي نقلتَ عنه قبل قليل أن البحرية الإيرانية تحمي تهريب النفط العراقي.*

حسيب: هذا كلام معروف سابقاً، ولكن أكده الدكتور حسين الشهرستاني وهو وزير شيعي.

■ *الدولة الإيرانية تعمل مثل هذه الأعمال، فما الذي يغذي لديك، كسياسي عراقي، الأمل بأنه يمكن تعديل سياسات تحكمها مصالح استراتيجية كبيرة. مشاعرك طيبة، لكن مصالح إيران في المنطقة: عراق مفكك وضعيف وعراق منقسم طائفياً أفضل، لأنه يعطيها سلطة أكبر في العمق، فلماذا تتخلى عن هذا الأمر؟*

حسيب: لماذا لم تستطع إيران أن تقوم بهذا الأمر سابقاً؟

■ *الوضع مختلف الآن.*

حسيب: إذاً إذا تغيرت الأوضاع وتغيّر الاحتلال الأمريكي، فيمكن العراق أن يضع حداً للتصرفات الإيرانية.

■ ***تطورات ضخمة هي التي تجعل. . .***

حسيب: أنا لا أعتقد أن التطورات ضخمة. لقد عشت الحرب الأهلية اللبنانية من بداياتها إلى نهاياتها. وأؤكد أن بعض ما يحصل في العراق شهدته بنفسي في لبنان، فحصلت عمليات تهجير من منطقة إلى أخرى، والبيوت التي دخل إليها المهجرون الآخرون كانوا يسرقونها أو يسَكنون فيها، وتمت عمليات الذبح على الهوية وغيرها، وبعد أن انتهت الحرب الأهلية تعايش اللبنانيون مع بعضهم من دون شرقية ولا غربية، والذين كانوا يتقاتلون مع المناطق الدرزية الآن يذهبون للسهر في مناطق الشوف الدرزية نفسها. وأنا، على الرغم من الصعوبة والآثار المدمرة لما يحصل الآن، أعتقد أن الوطنيين في العراق يجب أن يحافظوا على قدراتهم على التمييز وعلى مقاومة هذه العمليات الطائفية، ولا يردوا على عملية طائفية بعملية طائفية مثلها، بل يجب أن يحاولوا الدفاع عن أنفسهم ويمنعوا هذه الهجمات، لكن لا يردوا على عمليات التهجير بعمليات تهجير مماثلة.

■ ***دكتور خير الدين حسيب، باقي بعض الأسئلة حول الوضع العراقي، ومن ثَم ننتقل إذا سمح الوقت إلى الأوضاع العربية، وذلك بعد هذا الفاصل القصير. نتوقف الآن مع فاصل إعلاني ونتابع تقديم هذه الندوة التي نستضيف فيها هنا على الهواء مباشرةً الدكتور خير الدين حسيب المفكر والكاتب والسياسي العربي والعراقي المعروف.***

أهلاً بالسادة المشاهدين الكرام في كل أنحاء العالم، هذه الندوة مع الدكتور خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية عن الوضع في العراق وبعض الأمور المهمة الأخرى في الوضع العربي. وهناك سؤالان باقيان في موضوع العراق، أولاً وضع حزب البعث وفقاً للمعلومات المتوافرة لديكم، فهل ما زال لديه نفوذ؟ هل هو نشط في المقاومة كما يقال؟

حسيب: على المستوى السياسي، وفي حدود معلوماتي، أن الحزب أعاد تنظيم نفسه في كل أنحاء العراق بما فيها المناطق الجنوبية، وله قيادة ويعمل بشكل جيد. أما على مستوى المقاومة، فكما ذكرت، تضم هذه المجموعات الأربع خليطاً من عناصر مختلفة: قوميون بعثيون وقوميون عرب وناصريون وإسلاميون ووطنيون، وكل مجموعة تزعم أن السيطرة لها. السلفيون يقولون نحن مسيطرون، والبعثيون يقولون نحن لدينا الغالبية، كذلك الآخرون، وأعتقد أنها كلها خليط من هذه المجموعات. وكحزب سياسي هو غير معلن، لكن ربما نكون أقوى الأحزاب الموجودة حالياً.

■ ***بالنسبة إلى محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين هل لها أثر إيجابي أو سلبي في حزب البعث؟***

حسيب: تتمحور أغلب الدراسات الميدانية في العراق حول تأثير هذه المحاكمة في رأي الناس، وقد حاولت أن أسأل أناساً كثيرين سواء داخل أو خارج العراق، ولديّ اتصالات مع أناس يأتون من الداخل. أنا أعتقد أن المحاكمة كانت لصالح الرئيس صدام حسين والمجموعة التي كانت معه، فقد كانوا متماسكين أثناء المحاكمة ولم يكن هناك أي خلل بينهم كمجموعة، والانطباع السائد هو أنهم كانوا يحاكمون المحكمة وليس العكس. والانطباعات تختلف بين أوساط وأخرى، لكن خارج العراق ترى الأغلبية الساحقة أن المحكمة كانت لصالح النظام، وفي الداخل تختلف الآراء، لكن الناس هناك يقومون بشكل متزايد بالمقارنة بين الوضع الحالي والوضع السابق، وفي النتيجة نخلص إلى أنه بغضّ النظر عن التجاوزات وغيرها فإن الوضع السابق من ناحيتَي الأمن والخدمات وغيرها كان أفضل. قبل أن آتي إلى قناة «المستقلة» كنت أتكلم مع صديق على الهاتف، هو ناقد شديد للوضع السابق ويقيم في لندن، وقد قال لي تلقائياً: «أعتقد أن النظام السابق جملةً كان أفضل بكثير من الوضع الحالي الموجود». هذا لا يعني أنه يجب أن نعتبر الوضع الحالي وضعاً دائماً وثابتاً، وأعتقد، في حدود المعلومات المتاحة لي، وحتى في أوساط حزب البعث، هم لا يريدون العودة إلى النظام الذي كان في السابق، وقد أصبح لديهم اقتناع في قضية الديمقراطية والانتخابات، وهم يريدون أن يشاركوا في العملية السياسية مثل أية قوى سياسية أخرى، وبالقدر الذي يستطيعون فيه أن يقنعوا الناس، وبعد ذلك سيكون دورهم في موضوع عروبة العراق دوراً مهماً.

■ ***أشرت قبل قليل إلى مذكرات بريمر، فهل هناك أي جديد في مذكرات بريمر حيث إن كثيراً من العراقيين لم يطّلعوا عليها؟***

حسيب: أعتقد أن مذكرات بريمر مهمة للغاية لفهم الأوضاع الحالية في العراق ولفهم فترة الاحتلال، ولفهم الإدارة في أمريكا وكيف اتخذت قراراتها. أولاً الكتاب صدر قبل ثلاثة أشهر وتُرجم إلى اللغة العربية ونُشر في بيروت، وحسبما أعتقد أنه صدر عن دار الكتاب العربي، والترجمة دقيقة وممتازة، وأنا قرأت النصين العربي والإنكليزي. ولا بد من القول إن بريمر لم يزر العراق سابقاً، ولم يعرف العراق سابقاً، وهو كان سفيراً من الدرجة الثانية أو الثالثة في هولندا ومدير شركة أعمال، وما بين تكليفه بالمجيء إلى العراق ومجيئه كانت فترة قصيرة. والجديد في المذكرات أنه كان يومياً في آخر الليل يرسل رسالة بالبريد الالكتروني إلى زوجته يلخص فيها ما قام به خلال اليوم، فهي مذكرات يومية مكتوبة على شكل رسائل إلى زوجته. وبعد ذلك

يتكلم عن أعضاء مجلس الحكم وكيف تعامل معهم، ويتكلم عنهم بسلبية شديدة، ويعطي رأيه فيهم واحداً بعد الآخر، وبعض الأمور التي كان يقوم بها. مثلاً، إنه إذا كان لديه اقتراح معيّن يريد أن يمرره في مجلس الحكم على الرغم من أن السلطة النهائية في يده، فكان يكلم الدكتور عدنان الباجه جي الذي كان عضو مجلس الحكم بهذا الاقتراح ويطلب منه أن يتبناه هو ويعرضه، فيقدم الدكتور عدنان الباجه جي الاقتراح ويعرضه كأنه اقتراح صادر عنه، وبعدها السيد جلال الطالباني يخابر بريمر ويقول له إن عدنان الباججي لديه اقتراح جيد. . . إلخ، وغيرها من الأمور الأخرى. الأمر المهم في الحقيقة هو موقفه وعلاقته مع المرجعيات الدينية وموقفه من مقتدى الصدر. وبالمناسبة لقد أعد الدكتور عبد الحسين شعبان دراسة ممتازة عن الكتاب(١٤). يقول بريمر من البداية إنه كان لديه مستشار اسمه هيون، وقد كلمه حول العلاقة مع السيستاني، وقال له: إن السيد السيستاني لا يريد لقاءات مكشوفة لأن هذه تؤثر في مصداقيته، لكنه متعاون معنا ومع أهدافنا وكلف جماعته للتعاون معنا. وبعد ذلك يتحدث عن عشرات الرسائل بينه وبين السيد السيستاني حول العديد من القضايا خلال مرحلة وجوده في العراق، ويعدد ثلاث جهات كانت هي الواسطة في الاتصال، إضافة إلى الرسائل المباشرة، وهذه الجهات هي موفق الربيعي وحسين الصدر وآخر عراقي كان يعمل مع قوات الاحتلال لا أذكر اسمه الآن. ويتكلم عن مقتدى الصدر، وكانوا يريدون تصفيته من البداية، وحسبما يقول هو فإن السيد السيستاني كان من هذا الرأي، وكذلك إبراهيم الجعفري، ويتكلم أيضاً عن مقتدى الصدر وخطورته. . . إلخ.

■ ***أنا وجدته بالصدفة وفتحت على الخلاصة الخاصة بالدكتور عبد الحسين شعبان، هذه الخلاصة التي كتبها حول مذكرات بريمر يقول فيها مثلاً هذه الفقرة الخاصة بالسيد السيستاني. يقول السفير هيون «إذا عنف السيستاني مقتدى بشدة فسيفقد الوغد ماء وجهه.» هل هم يتكلمون هكذا عن السيد السيستاني؟***

حسيب: نعم.

■ ***إذ إن السيستاني هو الزعيم الآمر للمرجعية الأساسية في النجف ويؤدي دوراً مماثلاً بحسب بريمر للدور الذي يؤديه البابا للكاثولوكيين، وهو «لا يحبذ الحركة اليومية للسياسة ولكن يمارس نفوذه على محادثاته الخاصة»، في مرة أخرى يذكر***

---

(١٤) انظر مراجعة عبد الحسين شعبان لكتاب: بول بريمر ومالكولم ماك كونل، «عام قضيته في العراق: النضال لبناء غدٍ مرجوّ،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٩، العدد ٣٢٩ (تموز/يوليو ٢٠٠٦)، ص ١٥٦ - ١٧٤.

العلاقة ما بين الإخوة الأعداء على حد تعبير كازانتزاكس، أي بين المجموعات الشيعية، إضافة إلى ما ذكره الجعفري بخصوص إنجاز العملية بشدة وتأمين العدالة. هناك لوم من أن القضية تفاقمت في حين كان الموضوع يقتضي إنهاءها، وهذا يتعلق بموضوع تصفية السيد مقتدى الصدر، في حين كان الأمر يقتضي إنهاءها، وهذا ما كان يريده السيد علي السيستاني كما يقول بريمر. ويقول أيضاً إن عادل عبد المهدي طلب مواصلة الضغط على مقتدى الصدر، وكان رأي السيستاني سلبياً بشأن إجراء مفاوضات مباشرة مع مقتدى فيما أجاب بشكل سريع إنه من الواضح أننا لا نعرف التفاوض مع مقتدى. ويقول: لعل هذا الرأي كان هو الغالب، حيث كانت القيادات المذهبية الشيعية تريد التخلص من مقتدى، وإن كان على طريقة أكل الثوم بلسان غيرها، أي أن يتم ذلك من خلال قوات الاحتلال وليس من خلال صدامات داخلية. الدكتور شعبان يقول: لا أدري بعد أن يطلع القراء على ثلاث قنوات سرية بين السيستاني وبريمر ماذا سيقولون؟ يقول إنه كانت هذه الأحاديث بين بريمر وهيون التي يلونها بريمر في كتابه، في حين كانت هناك أحاديث إعلامية وصحافية بين اللقاءات بين السيستاني والقوات المحتلة، وينقل بريمر أنه في ذلك الوقت كانت هناك اتصالات سرية مع السيستاني عبر الوسطاء، ولكي يدلل بريمر على رأيه يقول إنه «في أوائل صيف ٢٠٠٣ أرسل السيستاني إلي برسالة يقول فيها إنه لا يتخذ موقفه بسبب عدائه للائتلاف، بل هو يتجنب الاتصال ليتيح فائدة أكثر لمساعينا المشتركة، وإنه قد يفقد بعض مصداقيته إذا تعاون معنا علناً». السؤال هنا إذا ذكرنا رأي بريمر والذي فيه اتهامات خطيرة للسيد السيستاني.

حسيب: فيه اتهامات كذلك إلى أعضاء مجلس الحكم.

■ *لكن بالنسبة إلى السيد السيستاني، قد يكون بريمر يريد أن يسيء للسيد السيستاني في مذكراته بعد أن غادر العراق.*

حسيب: هذا ممكن، على الأسماء التي ذكرها أن يوضح كل منها موقفه إذا كان هذا الكلام غير صحيح، وبخاصة أن هناك وسطاء، هم أولئك الذين كانوا ينقلون الرسائل.

■ *لو كانوا موجودين معنا الآن في الاستديو، وأنا سمعت من خلال كثيرين من العراقيين الموجودين معنا والمؤيدين يقولون إن موقفه كان دائماً مع أمن العراق وأمن العراقيين وحقن دماء العراقيين، وتفويت الفرصة على الأمريكيين لتحقيق أهدافهم، وهدفه أن يجمع كلمة الشعب العراقي على المسارين الديمقراطي والسياسي لاكتساب حقوقه عبر الانتخابات. بالنسبة إلى الأسماء الثلاثة التي ذكرتها الدكتور*

موفق الربيعي وحسين صدر والثالث المذكور في هذه الدراسة، فهؤلاء يعتبرون أنفسهم، وبالنسبة اليهم قد يكون هذا العمل دينياً ووطنياً، لأنه بالنسبة اليهم السيد السيستاني هو مرجعهم الذي يقلدونه ويحترمونه، وبالنسبة إليهم حين ينقلون هذه الرسائل يضعون السيد السيستاني في صورة ما يجري في البلد.

حسيب: ما نقلته أنا لا يتضمن أية إدانة شخصية، أنا ذكرت معطيات وعليهم أن يوضحوا. إن بريمر في صفحة ١٦٩ من النص العربي، يعتبر أن الصدر هو إسلامي بلشفي لا يؤمن إلا بالقوة.

■ *واضح أن بريمر إذاً، لأنه حتى العبارة التي استخدمها على السيد السيستاني هي عبارة فيها قلة أدب، من جهة السفير الذي تُرجم كتابه، وهذه فرصة حتى نطلع على هذه المعطيات، وهي فرصة لكثير من المشاهدين ولأنصار السيد السيستاني، وهم كثر في علمي، أن يطلعوا على المذكرات ويردوا عليها، وكذلك الإخوة الذين ذُكرت أسماؤهم وقاموا بهذه الأعمال. وهذا ظني وتفسيري من منطلق ديني ووطني لأن السيد السيستاني هو مرجعهم ويجب إطلاعهم على الأحداث ونقل وجهة نظره إلى الجهة الحاكمة في بغداد. وأي وجهات نظر أخرى مرحب بها، ولدينا رقم هاتف وفاكس، والمشاهدون بإمكانهم أن يشرفونا إلى قناة «المستقلة» وينقلوا وجهة نظرهم في بريمر هم بأنفسهم، وفي هذه المرحلة المهمة والحساسة من تاريخ العراق. وبدل ساعة ونصف للدكتور خير الدين حسيب يمكن أن أعطي كل واحد منهم كل يوم خمس ساعات حتى يكون لكل واحد منهم مجال. والمؤكد أن لديهم أموراً كثيرة يقولونها للسادة المشاهدين.*

بالنسبة إلى الموقف والوضع الكردي الآن في العراق، كيف تقيم سياسة الحزبين الكرديين والوجه الكردي في السياسة العراقية الآن، فما هو موقفهم في ضوء ما يبدو من أن علاقاتهم ضعفت مع الائتلاف، وما الذي حصل بالضبط؟

حسيب: هم مهتمون بمصالحهم ووضعهم وحصلوا على الصيغة التي يريدونها في ما يسمى بالدستور العراقي، بصورة تتجاوز الفدرالية، فهم أخذوا حق استثمار الحقول غير المكتشفة بالنسبة إلى كل المحافظات على أن تكون من اختصاص المنطقة الفدرالية بالتعاون مع الحكومة المركزية، عدا الحقول المستثمرة حالياً.

■ *حق أن يكون من حق المحافظة . . .؟*

حسيب: يكون بالاتفاق بين المحافظة والحكومة المركزية في بغداد، وهم أعطوا إحدى الشركات الدنماركية على ما أعتقد حق البحث والتنقيب عن النفط، وبعد ذلك لهم الحق أن يرسلوا ممثلين لهم في السفارات العراقية للقضايا الاقتصادية

والتجارية والثقافية والتشكيلات في الوزارات. وقد يكون هذا الدستور الوحيد في العالم الذي تكون فيه للقوانين الفدرالية أسبقية على القوانين المركزية للدولة، يعني إذا تعارض نص في قانون فدرالي مع نص قانون مركزي.

■ ***قانون المحافظة يغلب قانون الدولة العراقية.***

حسيب: وهناك العديد من الأمور التي لا يمكن تفسيرها على أساس أنها قضية فدرالية، ولكن هي أكثر من فدرالية، وهي خطوة في اتجاه تجهيز الدولة للمنطقة الكردية لما هو أكثر من فدرالية، إضافة إلى موضوع استعمال اللغة العربية، إذ يجب أن تكون كل اجتماعات مجلس النواب بالعربية والكردية، وحتى العملة يجب أن تكون بالعربية والكردية، علماً بأن الأكراد في العراق نسبتهم ١٦,٤ في المئة، وهناك الكثير من الدول في العالم لديها أقليات بهذا الحجم وأكثر. إن المصالح الأخرى والوزارات هم المسؤولون عنها، وبخاصة وزارة الخارجية. وتستعمل في عدد من السفارات في الخارج اللغة الكردية داخل السفارة كلغة رسمية. إن التجربة لم تكن تبشر بالكثير من الخير، وأعتقد أن هذا الموضوع يتوقف على قيام حكومة مركزية قوية وعمل دستور جديد يتعامل مع القضية الكردية انطلاقاً من مبدإ المواطنة والتساوي في الحقوق والواجبات وحكم ذاتي موسع جداً.

■ ***الدكتور صالح المطلك، كيف يمكن تصنيف حزبه واتجاهه الفكري السياسي في السياسة العراقية بحسب خبرتك في الشأن العراقي؟***

حسيب: في حدود ما أعلم، وأنا أعرفه شخصياً، وهو جاء إلى بيروت والتقيت به. لقد حاول الأمريكيون إدخال ما يسمى العرب السنّة في العملية السياسية، وكان العمل الأساسي الذي قاموا به هو مع الحزب الإسلامي العراقي الذي اشترك من البداية في مجلس الحكم مع محسن عبد الحميد، واشترك في أول وزارة كذلك.

■ ***هل زارهم بريمر أم لا؟***

حسيب: بعد ذلك، قبل الانتخابات الأخيرة وقبل الدستور هم الذين صوتوا مع الدستور على أساس التعديلات، وقبل تشكيل الانتخابات الأخيرة التقى طارق الهاشمي، وهو الآن الأمين العام للحزب، مع زلماي خِليل زاده ووزير الخارجية التركي في أنقرة وتحدثوا في موضوع الانتخابات. إن كثيراً من قوات الحزب الإسلامي شاركت من البداية في المقاومة ولا تزال، وهناك كلام الآن عن أن بعض الكوادر يقومون بعمل مستقل عن الحزب، أما القوة فهي لما يسمى التوافق وجبهة الحوار، وفي الحقيقة لا توجد لديهم قواعد على الأرض، يعني شخصيات تأخذ دوراً إعلامياً.

■ ***دكتور خير الدين حسيب، هنا يرد سؤال جوهري حول الصورة التي رسمتها أنت للعراق، إذ استطاع الأمريكيون بالصبر وبالوقت وبثلاث سنوات من التجربة، بأخطاء بريمر والتي عدلّها زلماي بعده، استطاعوا أن يدمجوا في العمل السياسي الآن الحزب الإسلامي والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة ومقتدى الصدر الذي يوجد تياره كله في البرلمان الآن وفي الانتخابات ومع الائتلاف، لو أن أية جهة جاءت من دولة من الدول وليست أمريكا وأدمجت هذه التيارات الرئيسية في عملية سياسية تشرف عليها، أليس هذا نجاحاً للسياسة الأمريكية، وربما أنت لأسباب أيديولوجية أو لعواطف لديك تحاول أن تتجاهل هذا وتنكره.***

حسيب: أنا لا يوجد عندي أسباب أيديولوجية ولا أسباب عاطفية.

■ ***لأنك عربي عروبي.***

حسيب: إن هؤلاء الذي تتكلم عنهم، في ما عدا الحزب الإسلامي، فالبقية، وهم الجعفري وعبد العزيز الحكيم وعادل عبد المهدي وعدنان الباجه جي وأحمد الجلبي، جاءوا كلهم مع القوات المحتلة وكانوا في الخارج. الحزب الإسلامي كان من البداية مشاركاً في العملية السياسية ولا يزال. لكن لا هيئة علماء المسلمين ولا المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي ولا التيار القومي العربي شاركوا في العملية الانتخابية وفي عملية الدستور.

■ ***أنت معتاد أن تقول هؤلاء ما عدا مقتدى الصدر.***

حسيب: أنا حاولت أن أعطي تقييماً لمقتدى الصدر، إيجابياته وسلبياته. في أول انتخابات، تلك التي تمت في ١٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥، قال إنه حرّم الاشتراك في الانتخابات، لكن تبين أن هناك قسماً من جماعته اشترك فيها. يجب أن تفهم تيار مقتدى الصدر، فهو تيار غير منظم وهناك حوله جماعات كثيرة، وقسم منهم أصلاً مخترَقون، وقسم يُقال حتى إنهم قاموا بعمليات تصفية بعد قضية سامراء، وهو يدّعي بأنه على غير علم بها، ويمكن أن تلاحظ أنه خلال فترة بريمر كلها وحتى الآن والتصريحات الأمريكية كلها، وحتى جورج بوش نفسه، يعتبرون مقتدى الصدر خطراً حقيقياً عليهم، وخطراً حقيقياً على استقرار العراق.

■ ***شهادة الأمريكيين ضده يمكن أن تعطيه شهادة حسن سير وسلوك؟***

حسيب: إنه لم يستطع بعد بحكم صغر سنه وضعف الخبرة والنضج السياسي أن يحسم أمره، لكنه الآن في اتجاه مقاومة الاحتلال، وهو لم يتغير موقفه من الاحتلال.

■ ***هل هناك مقوّمات موضوعية تجعلك تأمل في أن يعود العراق بلداً موحداً وقوياً أم إن ما حصل الآن هو شرخ حقيقي ومن الصعب إعادة ما كان عليه؟***

حسيب: أعتقد أن العراق سيعود عراقاً موحداً، وسيعود إلى دوره الإقليمي والعربي والدولي، وما مرّ بالعراق خلال السنوات الثلاث أو الأربع، مرّت به شعوب كثيرة، والعراق نفسه مر في فترات خطيرة مثل هولاكو وغيره.

■ ***الناس يسألون دائماً في ظل هذه الأوضاع التي يمر بها العراق: أين السبب الرئيسي لما جرى، هل هو الاحتلال أم سياسات النظام الحاكم في العراق التي تجعل العراق كله قابلاً للاحتلال، وأنت بعد سنوات من الترقب في ظل الاحتلال ومن ثم قبله، بعد مراقبة الوضع العراقي، فإلى أي رأي تميل؟***

حسيب: أنا أعتقد أنه مهما كانت ملاحظاتنا على النظام السابق في العراق، فهذا لا يبرر الاحتلال الأمريكي. الاحتلال الأمريكي كان احتلالاً غير قانوني ولا يوجد فيه قرار من مجلس الأمن أو الأمم المتحدة، وكل المبررات التي أعطاها الأمريكيون لاحتلال العراق ثبت أنها غير صحيحة، فأسلحة الدمار الشامل غير موجودة، ولا علاقة للعراق بتنظيم القاعدة، وحتى قضية الديمقراطية التي جاءت بعدها، هل هذه ديمقراطية التي نراها الآن في العراق؟ لقد نسوا الديمقراطية الآن ونسوا ما قالوه من أنهم يريدون أن يجعلوا من العراق نموذجاً للديمقراطية. للأسف الشديد معظم الأنظمة العربية ساعدت الأمريكيين على ذلك. هناك فريق شجع الأمريكيين على الاحتلال، مثل مصر والأردن، وفريق سهّل عملية الاحتلال بما ذلك كل بلدان الخليج، وسبق أن أشرت إلى هذا بالتفصيل في مناسبات سابقة.

■ ***بالنسبة إلى أثر الغزو الآن أو أثر الوضع الحالي في العراق على مستقبل العلاقة بين أوروبا وأمريكا من جهة، والعالم العربي والإسلامي من جهة ثانية، كيف أثرت عملية غزو العراق، أو تحرير العراق كما يسمونه هم، في العلاقة؟***

حسيب: أنا أؤمن ومتفائل بمستقبل العراق وأن أمريكا ستضطر للانسحاب من العراق، والعراق سيعود دورُه، والأمر الوحيد الذي اتفَق فيه مع كوندوليزا رايس هو تصريحها الذي قالت فيه إن العراق ليس فقط مهماً بالنسبة إلى أمريكا، ولكنه مهم بالنسبة إلى المنطقة والعالم والنظام الدولي. وأنا أتفق معها في هذا. إن مستقبل أمريكا سيتقرر في العراق، وأعتقد أن فشلها في العراق سيكون بداية نهاية الامبراطورية الأمريكية.

■ ***بالنسبة إلى العراق، كتجربة من تجارب الغرب في إقامة الديمقراطية في الشرق الأوسط، هذه النظرية التي طُرحت ـ قبل شهر أو شهرين ـ أرغم أناس متظاهرون في كاتمندو في مملكة النيبال الملك على إعادة الأحزاب التي كان أخرجها من السلطة وعلى الحوار مع الماويين. لقد دخل الماويون عاصمة النيبال ونزعوا الكثير من صلاحيات الملك، وقيل إن الناس، ورأينا ذلك في الأخبار، تحدوا أوامر بحظر التجوَل، إذ إن المواطنين العاديين اتجهوا نحو الحرية والديمقراطية ـ هذه النظرية توحي بأنه ليس هناك شعوب عربية حتى الآن، فقبل فترة في مصر مثلاً ألغوا الانتخابات البلدية في جملتها لأنهم شعروا أن النتائج لن تكون مناسبة للحكم.***

حسيب: ما قلته حول العراق، وضرورة قيام كتلة تاريخية تضم التيارات الرئيسية في الأمة، التيار القومي العربي والتيار الإسلامي العروبي والتيار اليساري العروبي، ينطبق على كل الأقطار العربية، على مصر وغيرها، وما لم تلتق هذه الأحزاب والقوى السياسية الوطنية وتتفق على جدول أعمال يتضمن الديمقراطية وقضايا أخرى، لن يستطيعوا أن يضغطوا بشكل كافٍ على الأنظمة لتتحول نحو الديمقراطية، فالأنظمة أصبحت شرسة، وبخاصة بعد فشل أمريكا في العراق وتخليها عن قضية الديمقراطية وزيادة الإمكانيات المادية في الكثير من الدول. وسنشاهد أكثر أن هذه الأنظمة ستستشرس في معاملتها لشعوبها وقمعها لها. لنر ما حصل في مصر، وعلى الرغم من الوعود الذي أعطاها الرئيس مبارك في الانتخابات، وانظر ماذا فعل: فأول ما انتهى أجّل الانتخابات المحلية سنتين ومدد قانون الطوارئ، والطريقة التي يتعامل بها مع المتظاهرين. . . إلخ.

■ ***نستغرب، أنت درست الشؤون العربية بتخصص وأشرفت على ندوات علمية واحتكيت من خلالها مع خيرة ما أنجبته الأمة من عقول وأكاديميين، كثير من الشعوب الأخرى الفقيرة استطاعت أن تضغط على حكامها واستطاعت أن تأخذ حقوقاً فعلية على مدى بعيد للشعب وعلى مدى أولادهم من بعدهم، بينما في الوطن العربي الناس كأنهم صفر على الشمال، فلماذا هذا؟***

حسيب: على الرغم مما يقال عن الديمقراطية، وأن الناس تؤمن بالديمقراطية، أعتقد أن الديمقراطية لم تتحول بعد إلى قيمة حقيقية عند الإنسان العربي، حاجته لها مثل حاجته للمأكل والملبس والمسكن، وإلى أن تتحول إلى قيمة حقيقية يكون مستعداً أن يدافع عنها ويضحي من أجلها، ولكن لم نصل بعد إلى هذه المرحلة. الديمقراطية في العالم لم تأتِ كمنحة، بل نتيجة نضال وسجن وقتل.

نحن كل واحد منا ينتظر الآخر ليعلّق الجرس، ولا أحد سيعلق الجرس لحساب الديمقراطية. أعتقد أن الشعوب العربية هي المطالبة بأن تأخذ الأمر بيدها، ومثلما ذكرت هناك حاجة ماسة إلى كتلة تاريخية ليس في كل، ولكن في معظم، البلدان العربية، وحتى التنسيق في ما بينها يحقق نجاحات، وهذا التطور لا أستطيع أن أقول إنه سيحدث حتماً، لكن آمل أن المحاولات الفاشلة التي قامت بها القوى الوطنية المختلفة وصراعاتها في ما بينها تعطيها الدليل على حاجة إلى صيغة أخرى للعمل من خلال كتلة تاريخية.

■ ***أنت طبعاً زرت سوريا، وسبق أن التقيت الرئيس بشار الأسد مع أشخاص آخرين، هل تعتقد أن سوريا على طريق الاستفادة مما جرى لحزب البعث في العراق ولما جرى للرئيس صدام حسين في العراق، وأنها سوف تتجه نحو انفتاح وإصلاح، أم إنّ المقاربة الأمنية ستبقى هي المقاربة الحاكمة للملف السوري؟***

حسيب: سوريا خرجت من الخطر الذي كان محيطاً بها ومن الضغوط الدولية ولا سيما الضغوط الأمريكية، فمقتل الرئيس رفيق الحريري والضجة التي صاحبت ذلك حول اتهام سوريا، وبعض التحقيقات التي تمت حتى الآن، لم تثبت تورط سوريا، والضغوط تكاد تكون انتهت. ولم تكن الضغوط على سوريا من أجل لبنان، ولكن من أجل العراق أساساً، وأعتقد أن سوريا خرجت من هذه الفترة. لكن هناك قضية داخلية سورية بحاجة إلى معالجة، فهذا النظام لا يمكن الاستمرار فيه من دون تعددية سياسية ومن دون ديمقراطية حقيقية ومن دون الفصل بين الحزب والدولة، إذ يمكن النظام أن يستمر سنة أو سنتين أو ثلاث عن طريق الأجهزة الأمنية، ولكن لا بد من أن يتطور لأسباب تتعلق بسوريا نفسها وباستعادة دور سوريا نفسها عربياً وإقليمياً.

■ ***هل زرت الجزائر في السنتين الماضيتين؟***

حسيب: للأسف لا.

■ ***الآن التيارات العروبية بشكل عام، هل ما زالت مهتمة بمسألة الثقافة العربية واللغة العربية في المغرب العربي أم تركت الأمرَ لنخب أهل البلد يعالجون مشاكلهم؟***

حسيب: إذا كان هناك شيء يوحّد العرب فهو الثقافة. الثقافة العربية موحدة والتواصل بين المغرب والمشرق العربي ومساهمة المغرب العربي في الثقافة العربية أصبحت واسعة، ولدينا من أكثر الكتب مبيعاً كتب محمد عابد الجابري والآخرين

كذلك، وهناك دراسات متميزة لكتّاب مغاربة وجزائريين، وكذلك من تونس إلى حد ما. إن الجانب الثقافي هو جانب خيّر، حتى إن مشاركتهم في المؤتمر القومي العربي، فالأمين العام سابقاً كان عبد الحميد المهري (من الجزائر)، والآن الدكتور خالد السفياني من المغرب، لكن الأوضاع العربية كلها. . .

■ ***يقال، حسبما قرأت من تعليقات في الجرائد بعد تغيير رئيس الحكومة الأخير الأستاذ أحمد بويحيى، وحل محله عبد العزيز الخازن، وهو من المتحمسين لجلب الاستثمارات العربية والانفتاح على العامل العربي، لأنه كانت هناك عوائق كثيرة أمام العرب وانتقالهم للعمل في الجزائر.***

حسيب: أخ هاشمي، هذه قضية يمكن أن أسميها كذبة كبيرة، فمن دون استقرار في البلد، ومن دون الفصل بين السلطات الثلاث، ومن دون نظام قضائي مستقل، لا يمكن أن تأتي أية استثمارات أجنبية إلى أي بلد، سواء كانت الجزائر أو العراق أو غيرهما، وقبل الاستثمارات الأجنبية هناك استثمارات وطنية يجب أن تستثمر، أي أن تكون الظروف مهيأة للمواطنين المحليين للاستثمار، لكن إذا كان لا يوجد استقرار وقضاء مستقل وفصل بين السلطات، فلن تكون هناك لا استثمارات وطنية ولا استثمارات أجنبية.

■ ***إلا إذا كان المستثمر أوروبياً ويعوّل على سفارته لتأتي بحقه رغماً عن الدولة، يمكن أن يعمل، وهناك جهات خارجية؟***

حسيب: ما الذي يدفعه للاستثمار في الجزائر إذا كان لديه فرص استثمارية أخرى حيث يمكنه الاستثمار في بلده أو في أوروبا.

■ ***يحاول الرئيس بوتفليقة.***

حسيب: ما حصل هو نتيجة ارتفاع أسعار النفط ونتيجة زيادة الإنتاج لديهم من النفط والغاز، ولكن لديهم درجة عالية من الفساد.

■ ***ذكرت بعض النخب المغاربية مثل عبد الحميد المهري وخالد السفياني، ولم أسألك ولا مرة عن جماعتي من التوانسة، النخب التونسية. سأتشجع هذه المرة وأسألك هل هناك من تونس من يشارك في نشاطات المركز؟***

حسيب: لا تزال هناك مشاركة تونسية في المؤتمر القومي العربي. وعلى سبيل المثال فقط كان الأخ أحمد المواعدة مشاركاً، وقبله كان أحمد نجيب الشابي وآخرون لا يزالون يشاركون في كتابات للمجلة في دراسات وفي مؤتمرات

وندوات أخرى مختلفة، وهناك عدد من الكتب التي أصدرها المركز أعدها مفكرون تونسيون.

■ ***أستاذ عبد القادر الهرماسي كان وزير خارجية تونس ووزير الثقافة السابق والآن ترك الوزارة منذ مدة، فهل لديكم اتصال به أم ماذا؟***

حسيب: التقيت معه مؤخراً في ندوة في الشارقة، ولم يكن من أفضل المثقفين العرب.

■ ***يعني التقييم سلبي له؟***

حسيب: يعني، كان الواحد يتمنى أن يحافظ على موقعه الفكري واستقلاليته.

■ ***الآن كتب المركز تدخل إلى تونس؟***

حسيب: نعم، تدخل مطبوعات المركز كلها من المجلة والكتب، وللعلم أن أكثر بلد عربي توزع فيه المجلة هو تونس.

■ ***العاطفة العروبية في تونس قوية جداً، ودائماً نشعر بها قوية ويقظة.***

حسيب: وهناك طلاب الجامعة يعتمدون المجلة وبعض الكتب الصادرة عن المركز.

■ ***في عام ١٩٨٤ أعتقد أنه كان لديكم ندوة في تونس كانت تمهيداً للحوار القومي الإسلامي أو تمهيداً للحركات الإسلامية؟***

حسيب: وكان موجوداً فيها حسن الترابي وراشد الغنوشي.

■ ***ما هي آخر ندوة نظمتوها في تونس؟***

حسيب: لا أتذكر، في الحقيقة، ففي بعض الفترات منعوا كتب المركز من الدخول وبعد ذلك سمحوا بها. ونحن في الحقيقة متشددون، فعندما نعقد ندوة نطلب من الدولة التي سنقيم فيها الندوة شيئين: أولاً حرية التعبير لكل من يشارك في الندوة، والثاني أن يُسمح بالدخول لكل من يُدعى، وفي تونس هذا غير متوفر في الوقت الحاضر.

■ ***لكن عندكم وجهة نظر، سمعت أن هناك توجيهات لانفتاح أكثر في الإعلام، ومنذ مدة لم تجربوا دعوة إلى ندوة، وتونس جميلة وأهلها أحلى.***

حسيب: عقدنا عدة ندوات في تونس، وردي أننا نحضّر الآن ثلاث ندوات وإذا توفر لها التمويل يمكن أن تعقد إحداها في تونس.

■ ***نحن في تونس كلنا على ذكر الحديث النبوي الشريف «يسعى بذمتنا أنانا»، فكثير من التوانسة يقولون إنه وُجهت اليهم الدعوة، فهل أنتم ترتبون لعقد إحدى الندوات قريباً في تونس؟***

حسيب: إن شاء الله إذا توفر الشرطان.

■ ***إن شاء الله يتوفرا ويضاف إليهما الميزة الثالثة وهي أن تحصل على المحبة والمودة والضيافة والحفاوة التونسية المعهودة. دكتور خير الدين حسيب نحن شارفنا الآن على نهاية هذه الندوة العراقية أساساً، وتناولنا فيها الموضوع العراقي، وتناولنا بعض الموضوعات مثل الحرية والديمقراطية والوضع السوري.***

حسيب: بالنسبة إلى الوضع العربي، للأسف الشديد بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ واحتلال أمريكا الخليج كله، أصبحت أمريكا عضواً فاعلاً رئيسياً، وإن كان غير رسمي، في مؤسستينْ هما الجامعة العربية والأوبك. إن الجامعة العربية لا تجتمع إلا إذا كانت هناك رغبة وتحريض من أمريكا، ولا تجتمع إذا لم تكن هناك رغبة من أمريكا، فالعراق بلد عربي احتُل والجامعة العربية لم تجتمع ولم تعقد قمة، علماً أن بعض الدول العربية شجعت وساهمت، على الرغم من وجود اتفاقية الدفاع العربي المشترك. وهكذا الصومال بقيت فترة طويلة دولة عربية ممزقة... إلخ، والآن بعد أن فشلت أمريكا في تمويل مزيد من الحروب فهي بحاجة إلى طريقة أخرى لتكسب الوضع، فأدخلت وساطة الجامعة العربية، وسافر عمرو موسى إلى الخرطوم، وهكذا.

■ ***الآن رئيس الوزراء الشاب الذي لم يبلغ الأربعين من عمره المنتخب من شعبه، فلا الحكومة الأمريكية أو المصرية تريد أن تتدخل في شؤونه وتقول له «إمشي يمين أو شمال»، فالشعب الأمريكي يحترم هذا الشاب لأنها تعرف أنه يعبر عن رأيه، وهناك أناس يقولون تعليقاً على الكلام إن السبب الرئيسي الذي يعطي أمريكا هذه السلطة الواسعة هو أنها تعرف أن هؤلاء الحكام محتاجون اليها وخائفون من اختيار شعبي، فلن يدعوا إلى انتخابات في بلدهم.***

حسيب: تحولت حاجة كثير من الدول العربية إلى قوة خارجية تحميها داخلياً، وقبلها كانوا يستعينون بها لحمايتهم إما من خطر دولة عربية أخرى أو من أي خطر خارجي، والآن يستعينون بها للحماية الداخلية، لحماية النظام، وبعض الحكام لم يعودوا بشعوبهم ورضاها مهتمين بسبب هذه الحماية الخارجية.

■ ***حسبما سمعت من بعض المثقفين والكتّاب ووجهات النظر التي تناقش بالنسبة إلى هذه الشعوب العربية التي لا تستطيع أن تغير هذه الأوضاع لتصبح مثل الشعب البريطاني أو الأمريكي الذي يختار حكومته بنفسه وكونغرس بنفسه، أن الشعوب ستدفع ضريبة هائلة وليس الحكام فقط، لأنها لا تستطيع دفع ثمن التحرر من هذه الأوضاع.***

حسيب: هناك مشاكل في الخليج والموضوع يتعلق بعروبة الخليج، فهناك خطر إذا لم يكن خطر أكبر من خطر القضية الفلسطينية. إن نسبة المواطنين من سكان الخليج الآن أقل من ٢٠ في المئة ما عدا السعودية، ونسبة المواطنين من اليد العاملة هي في حدود أو حتى أقل من ١٠ في المئة، والأغلبية من غير المواطنين، وبالنسبة إلى هؤلاء ستأتي أمريكا في مستقبل غير بعيد وباسم حقوق الإنسان سوف تفرض إقامات دائمة، وبعد ذلك يأخذ أولادهم الجنسية، وبعد ١٠ أو ١٥ أو ٢٠ سنة سيعطون تقرير المصير، وتصبح الأغلبية غير عربية، وهم الذين يقررون، وبخاصة أن الهنود والباكستانيين وراءهم قوى لديها قوى نووية.

■ ***فما هو الحل، بين قوسين، لو أن حكام الخليج يسمعونك الآن ويريدون حلولاً؟***

حسيب: هناك تجربة في عُمان، فالعُمانيون يحاولون الآن إحلال العمالة الوطنية محل العمالة الأجنبية، وأصحاب الأعمال يقولون إن العمالة الوطنية أكثر كلفة من العمالة الأجنبية، فتعطي الحكومة العُمانية دعماً لكل شركة وتلزمها أن تأخذ نسبة معينة من المواطنين، كما تعطي لكل شركة دعماً مالياً عن كل شخص بحيث يكون ما تدفعه معادلاً لما تدفعه لغير المواطن وتقوم بعمليات تدريب. . . إلخ، وهي قطعت مرحلة كبيرة في هذا الموضوع. وحتى الآن لا يوجد شعور لدى الحكام الآخرين في الخليج بهذا الخطر لأن الحكام هم أصحاب أعمال وحكام في الوقت نفسه.

■ ***في السعودية الدكتور غازي القُصيبي يعمل في موضوع السعودة، والملك عبد الله مهتم بموضوع السعودة، والدكتور القصيبي لديه تفويض ولكن رجال الأعمال غاضبون منه جداً، لأنهم يحبون أن يأتوا بعمال من الخارج.***

حسيب: فكيف إذا كان رجال الأعمال في بقية بلدان الخليج هم الحاكمين؟

■ ***هناك رجال أعمال سعوديون يفكرون في أن يخرجوا من السعودية ويفتحوا مشاريعهم في الدول المجاورة لأن هذه القيود التي فرضتها وزارة العمل السعودية غير موجودة في تلك الدول. أنت إذاً تدق ناقوس الخطر وتقول يا أيها الناس انتبهوا.***

ولو كان العراق في عافية لكان يساهم في معالجة هذه المشاكل، تحدث لي أحد القادة العرب وقال إن هولندا أرادت أن تنقل سفارتها إلى القدس المحتلة، الجانب الشرقي من القدس، وبعدها كان هناك لقاء ما بين مسؤول عراقي سابق ونظيره في هذه الدولة الخليجية، وضمن المباحثات اتفق الطرفان على قطع العلاقات المشتركة مع هولندا إذا استمرت هولندا في هذا الاتجاه. وهذان بلدان وليسا كل الدول العربية، وهولندا بناء على هذا البيان والموقف المشترك غيّرت موقفها وتراجعت.

حسيب: تأكد أنه لو هناك حد أدنى من الانسجام والاتفاق والاستقلالية في الأنظمة العربية، لكنا حققنا العجائب لأنه لدينا أوراق النفط وغيره.

■ *الناقص الآن هو الحرية. حكام يعبّرون عن آراء الأمة ويحتمون بها حتى يدخلوا المفاوضات الدولية بوضع أفضل.*

حسيب: وتداول السلطة والتقليل من الفساد المستشري.

■ *نحن بين التشاؤم والتفاؤل، ولكن أنت أميل إلى التفاؤل.*

حسيب: أنا متفائل، وكل القوميات في العالم اتحدت وأخذت حقوقها وأصبحت دولة وأمة، إلا القومية العربية لا تزال مشرذمة على الرغم من أن مسار التاريخ كله في هذا الاتجاه.

■ *شكراً دكتور خير الدين حسيب بارك الله فيك.*

حسيب: شكراً على هذه الفرصة وأتمنى لك ولـ «المستقلة» كل التوفيق.

■ *الله يسلمك وشكراً لك وإن شاء الله يستعيد العراق عافيته ويتجه نحو الديمقراطية والحرية والاستقرار ويصبح للأمة العربية كيانها الحر وحكوماتها الحرة المعبرة عن شعوبها الحرة.*

مشاهدينا الكرام، بهذا نأتي إلى نهاية هذه الحلقة من حلقات برنامج «ضيوف وأحداث» ضيفنا اليوم كان الدكتور خير الدين حسيب الكاتب والمفكر والكاتب العراقي المعروف والمدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية. وأشكركم جميعاً على حسن المشاهدة.

(١٦)

هموم عراقية:
الاحتلال ـ الأكراد ـ النفط ـ الصراع الطائفي(*)
(٢٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦)

أهلاً وسهلاً بمشاهدينا الكرام في كل أنحاء الدنيا. بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ هذا الحوار وهذا اللقاء الخاص مع المفكر والكاتب والسياسي العراقي المعروف الدكتور خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية، هذا اللقاء يأتيكم على الهواء مباشرةً من قناة المستقلة، ونخصصه لاستطلاع رأي الدكتور خير الدين حسيب في تطورات الأوضاع في بلاد الرافدين. وعن تصريحات رئيس الجمهورية السيد جلال الطالباني، وعن إنزال العلم العراقي في إقليم كردستان، وعن النفط ومصيره وعائداته وعن الصراع الطائفي كما نسأل عن العراق وأمريكا إلى أين؟ وإذا سمح الوقت فربما نختم بتعليقات أو بأسئلة موجزة عن الوضع في لبنان وسوريا. مشاهدينا الكرام أرحب بالدكتور خير الدين حسيب وأرحب بكم إلى هذا اللقاء.

حسيب: شكراً أخ هاشمي، وأنا سعيد بوجودي في «المستقلة» وبإتاحة هذه الفرصة للحوار. أنا أحب أن أنتهز فرصة هذا اليوم أي يوم ٢٨ أيلول/ سبتمبر وهو

(*) أُجريت هذه المقابلة في فضائية «المستقلة» في لندن يوم الخميس ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٦، وتم في ما بعد توثيق بعض المعلومات وتحديث بعضها الآخر. حاوره الدكتور محمد الهاشمي الحامدي. وقد نشرت ضمن باب آراء ومناقشات تحت عنوان «في مقابلة جديدة مع «المستقلة»: خير الدين حسيب يناقش هموماً عراقية: الاحتلال ـ الأكراد ـ النفط ـ الصراع الطائفي،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٩، العدد ٣٣٣ (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦)، ص ١٥٥ ـ ١٧٣.

يوم رحيل قائد عربي لا يزال العرب والعالم يتحدث عنه بعد وفاته ربما أكثر مما كانوا يتحدثون عنه في حياته، وهي ذكرى وفاة القائد جمال عبد الناصر.

■ ***مشاهدينا الكرام حديثنا اليوم مع الدكتور خير الدين حسيب فيه جديد يضاف إلى آخر حوار قدمته معه قبل أشهر. حوارنا اليوم يُبث ويأتيكم على الهواء مباشرةً وعلى ثلاثة أقمار اصطناعية هذه المرة على العربسات على مدار ٢٦ درجة شرقاً، وعلى الـ Hotbird مدار ١٣ درجة شرقاً وعلى قمر جديد على مدار ٧ درجات غرباً، أي مدار قمر النايلسات نفسه، فالذي يملك نايلسات أو عربسات أو Hotbird يمكنه مشاهدة هذا الحوار، ووضعنا التردد الجديد الخاص بمدار ٧ درجات غرباً على قمر النايلسات على الشريط الإخباري، وباستطاعتكم أن ترونا على ثلاثة أقمار، ويمكنكم أن تبلغوا أصدقاءكم الذين لديهم صحن لاقط موجه على قمر واحد فإذا ما وجّهوه نحو النايلسات مثلاً فأرجو إعطاءهم هذا التردد حتى يستطيعوا أن يشاهدونا ويشاهدوا برامجنا.***

الأكراد

■ ***دكتور خير الدين حسيب، جلال الطالباني أدلى في أمريكا بتصريحات مثيرة عن الحاجة الماسة لبقاء القوات الأجنبية في العراق وهدد دول الجوار بإيذائها إذا استمرت في ما وصفه بتدخلها السلبي في شؤون العراق. ما هو تعليقك على تصريحات السيد جلال الطالباني؟***

حسيب: الأخ الهاشمي، أعتقد أن موضوع الأكراد في العراق يجب أن يؤخذ بكليته وليس في تصريح السيد جلال الطالباني فقط.

■ ***طبعاً، قبلها كان السيد مسعود البارزاني قد جذب الاهتمام بمرسومه بإنزال علم العراق بإقليم كردستان.***

حسيب: دعني أبدأ بالقول إن الأكراد في العراق هم جزء من كردستان التي قُسمت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، بموجب اتفاقية «سيفر» ما بين العراق وتركيا وإيران، ومجموع الأكراد يقدر بنحو ٢٧ مليوناً، ١٤ في تركيا و٦ في إيران و٤ في العراق ومليون في سوريا، ومليونان تقريباً متفرقان في أنحاء العالم. ولم يكن للعراق علاقة بهذا التقسيم الذي فُرِضَ عليه كما فُرِضَ على غيره.

بالنسبة إليّ، من حيث المبدأ **في ما يتعلق بحق تقرير المصير**، عندما تتاح الفرصة للأكراد في جميع هذه البلدان أن يقرروا مصيرهم فمن حقهم كقومية أن يستقلوا إذا أرادوا ذلك، ولكن في ما يتعلق بالعراق فقط، فتقرير المصير لكردستان العراق هو ضمن الوحدة العراقية، لأن الأكراد في العراق محاطون بتركيا وإيران، والعراق

نفسه، وهم في وضع ما يسمونه الآن Land-locked أي منطقة مغلقة[1]، وأي زيادة عن الحكم الذاتي الموسع سيؤدي بأي حكومة عراقية إلى مشاكل أمنية مع إيران وتركيا تتعلق بالأمن القومي العراقي. وبالتالي فإنه في حدود العراق لا بد من أن يكون حق تقرير المصير للأكراد ضمن الوحدة العراقية، وعندما تتاح فرصة لهم في كردستان كلها فمن حقهم أن يقرروا مصيرهم وسيكون من حقهم أيضاً أن يستقلوا كقومية، هذا من حيث المبدأ.

من الناحية الثانية، وفي ما يتعلق **بنسبة عدد الأكراد في العراق إلى مجموع السكان**، فإن السيد مسعود البارزاني تكلم مؤخراً وقال: نحن الأكراد نشكل ٢٥ في المئة من السكان. ولا أدري من أين جاء السيد البارزاني بهذه النسبة. إن الأكراد يشيرون دائماً إلى إحصاء سنة ١٩٥٧ ويعتقدون أن هذا الإحصاء موثوق فيه، وهو الإحصاء الوحيد الذي تضمن سؤالاً عن اللغة الأم. إذا كان السيد مسعود البارزاني يريد أن يعلم ما جاء به احصاء عام ١٩٥٧ عن «نسبة» الأكراد، فيمكن أن نرسل إليه كل التفاصيل. **الأكراد نسبتهم في العراق ١٦,٤٥ في المئة وليس ٢٥ في المئة**[2]. وبالنسبة إلى **لواء كركوك** (حيث كانت تسمى المحافظات «ألوية» حينذاك) الذي يكثرون من الكلام عليه فالأكراد في مدينة كركوك هم أقلية، والأغلبية هم عرب وتركمان. الأكراد في مدينة كركوك يشكلون ٣٣,٢٦ في المئة، وفي لواء كركوك

---

(١) يؤكد السيد كوسرت رسول علي، القيادي البارز في الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة السيد جلال الطالباني، والذي تولى رئاسة أول حكومة في إقليم كردستان، ويتولى في كردستان الحالية منصب نائب رئيس الإقليم، حول هذا الموضوع وفي رد على سؤال لمراسل جريدة **الزمان** العراقية السيد إحسان عزيز حيث سُئِلَ «لو حدث وأن تهيأت لكم الأجواء المناسبة والمناخ الدولي والإقليمي الملائم هل ستسعون إلى الاستقلال عن العراق؟» فأجاب قائلاً: «برأيي الشخصي، لو توفرت الديمقراطية الحقيقية في المنطقة وبالأخص في العراق ودول الجوار، فإن للشعب الكردي الحق في تقرير مصيره ورسم مستقبله بنفسه مثل سائر شعوب العالم، **أما في ظل الوضع الراهن والمشهد القائم في هذه البلاد، وفي ظل غياب الديمقراطية المنشودة، فالأمر غير ممكن.** وحتى لو افترضنا جدلاً أن دولة كردية مستقلة قد انبثقت في كردستان العراق، فكيف يمكن لها أن تدوم أو تستمر في وجودها كدولة؟ وهي معزولة وتفتقر إلى منفذ مائي للاتصال بالعالم، ناهيك عن تعرضها للمحاربة بلا شك من جانب إيران وتركيا وسوريا والعراق أيضاً. بمعنى أن فكرة إقامة تلك الدولة محكومة بالفشل مسبقاً». انظر: **الزمان**، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٦. (التشديد من قبلنا ـ المحرر).

وفي رده على سؤال آخر للمراسل «هل تعتقد أن كردستان تملك مقومات الدولة في الوقت الراهن، بصرف النظر عن الموقف الدولي والإقليمي والمحلي من فكرة الاستقلال؟» أجاب السيد كوسرت: «ربما ستمتلك كردستان تلك المقومات مستقبلاً. . . **أما في ظل الوضع القائم حالياً، فلا أعتقد أن كردستان تمتلك تلك الأسس والمقومات المطلوبة، للدولة المستقلة مثل القاعدة الاقتصادية أو البنى التحتية المتينة والقوات العسكرية والعلاقات الدولية الواسعة**، ولكن هذا لا يحول دون تمتع الشعب الكردي بالحق في تقرير مصيره».

(٢) العراق، وزارة التخطيط، دائرة الإحصاء المركزية، **المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٦٤** (بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٦٥)، ص ١٣٠.

ككل[٣]، وقبل أن تُفصل منه الأقضية الكردية وتلحق بالسليمانية كما تم في السبعينيات، فالنسبة أقل من هذا، وحتى قبل فصل هذه الأقضية الكردية من محافظة كركوك وإلحاقها بالسليمانية فإنهم كذلك كانوا أقلية ٤٨ في المئة ونسبة ٥٠ في المئة كانوا عرباً وتركمان، والآن بعد فصل الأقضية الكردية، بحسب الحكم الذاتي الخاص بالأكراد، أصبحت النسبة أقل بكثير. فإذن، لا هم أغلبية في مدينة كركوك ولا أغلبية في محافظة كركوك.

وفي **لواء الموصل** وعند صدور قانون الحكم الذاتي، تم فصل الأقضية الكردية وتم تأسيس محافظة اسمها محافظة «دهوك» تضم تلك الأقضية الكردية. وفي إحصاء ١٩٥٧ كانت نسبة الأكراد في مدينة الموصل ٣,٣٩ في المئة[٤]. والآن في الضفة اليسرى من الموصل هناك أكراد لجأوا خلال فترة التسعينيات، (حوالى ٢٠٠ ألف أو ٢٥٠ ألفاً) وكانوا وما زالوا يعيشون مكرمين، على الرغم من أنه عند الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ فإن البشمركة التابعين للسيد مسعود البارزاني عاثوا في الموصل فساداً، وهناك وقائع محزنة وغير مشرّفة لا مجال للكلام عليها. ونائب المحافظ الحالي (السيد كوسرت كوران) الذي هو الحاكم الحقيقي في الموصل يعيث في الموصل فساداً.

هذا في ما يتعلق بنسبة الأكراد. أما في ما يتعلق بالتصريحات المتداولة والتي تزعم أن كردستان هي تجربة ديمقراطية متميزة، فإن العراقي الذي يذهب الآن إلى المنطقة الكردية، إلى أربيل أو السليمانية، يجب أولاً أن يسجل اسمه عندما يدخل ويأخذون منه جواز سفره ويعطونه مدة إقامة محددة، وإذا انتهت مدة الإقامة إما أن يمددوا له أو لا يمددوا له، تماماً كأنه ذاهب إلى دولة أخرى. هذه هي الطريقة التي يُعامل بها العرب العراقيون عندما يذهبون إلى المنطقة الكردية[٥].

---

(٣) العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧: لوائي السليمانية وكركوك**، ص ٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٥) يقول مراسل جريدة **الشرق الأوسط** من أربيل، محمد صادق الأمين، إذا كان الداخل إلى المنطقة الكردية عربياً فإنه يخضع إلى جملة من الأسئلة التقليدية، من أين أتيت وإلى أين تذهب؟ وما هو نوع العمل الذي جاء بك إلى كردستان؟ وهل تعرف أحداً في المدينة التي تدخل إليها؟ ثم تأتي مرحلة تفتيش السيارة والأمتعة تفتيشاً دقيقاً يشبه نوع التفتيش الذي تخضع له وأنت مسافر من بلد إلى آخر. وفي حال كنت تستقل سيارة لا تحمل هوية المدينة الكردية فستضطر لترك «سنوية» رخصة السيارة الخاصة بك في السيطرة وتمنح إيصالاً يشير إلى عدد الأيام التي ستقضيها في المدينة، على أن تأخذها وأنت تغادر المدينة، خلال الفترة التي حُددت لك. أما إذا قررت البقاء في الإقليم ومزاولة عمل أو مهنة ما، فعليك مراجعة دائرة الإقامة التابعة لمديرية الأمن العام في الإقليم، حيث تقدم طلباً خاصاً وتملأ عدداً من الاستمارات الخاصة التي تحوي تفاصيل =

أرجو أن يكون واضحاً أنني أتكلم عن القيادات الكردية ولا أتكلم عن الشعب الكردي، فالشعب الكردي هو شعب طيب وأصيل، وقد أثبت في غير مناسبة وطنيته وعراقيته، ولا أملك إلا أن أقول إنه يستحق كل ما يستحقه كل مواطن عراقي. أنا أتكلم عن القيادات الكردية وبشكل خاص عن قيادة الحزبين الرئيسيين.

وعلى سبيل المثال وفي سنة ١٩٩١، عندما وقع الهجوم على العراق ـ الهجوم الثلاثيني كما يسمونه ـ بعد احتلال الكويت، وهو أمر كان خطأ إذا لم يكن خطيئة بغض النظر عما سبقه من استفزازات، لكن هو بالفعل خطيئة. أنا سمعت بأذني السيد جلال الطالباني بصوته ومن خلال تصريح إلى هيئة الإذاعة البريطانية (باللغة العربية) (وبالمناسبة السيد جلال الطالباني هو صديق قديم وكانت بيننا علاقات وثيقة) سمعته بأذني يقول «نحن لن نطعن الجيش العراقي في الظهر ولن نتحرك ولن نقوم بأي عمل ضد الحكومة العراقية والجيش العراقي»، هذا كان في أثناء الهجوم. وما أن انتهت الحرب حتى نادى بوش الشعب العراقي وقال لهم ثوروا، وكان السيد جلال الطالباني والسيد مسعود البارزاني أصلاً خارج المنطقة الكردية فجاءوا وبدأوا بتحطيم كل مؤسسات الدولة في المنطقة الكردية وتصفية الإدارة الحكومية المركزية، وتصفية بعضها جسدياً، حتى المعدات التي كانت موجودة وعائدة للدولة تم بيعها. طبعاً أي حكومة عندما تحدث حالة تمرد فلا بد أن تقوم بالقضاء على حالة التمرد هذه، وبالتالي جاء الجيش العراقي وغادر الأكراد مناطقهم وأقيمت منطقة الحظر الجوي في عام ١٩٩١، وهكذا فإن هذه الحرب بدأتها القيادات الكردية التي ورطت الشعب الكردي.

في الوقت الحاضر أنا أتمنى من القيادات الكردية أن تستفيد من التجارب السابقة، أن تستفيد من دروس تعاونها السابق مع الأمريكيين والإيرانيين وغيرهم. وأذكّر السيدين جلال الطالباني ومسعود البارزاني بما حدث في عام ١٩٧٥ عندما دفعتهما أمريكا وإيران إلى التمرد على الحكومة العراقية وذهب الرئيس السابق صدام حسين ووقع مع شاه إيران اتفاق الجزائر وتقاسما شط العرب. وفي خلال ٢٤ ساعة انهار التمرد الكردي وتخلت عن دعمه أمريكا وإيران. وقد شكل الكونغرس الأمريكي في حينه لجنة تحقيق حول الموضوع فأصدرت تقريراً بعنوان

= كاملة عن حياتك الخاصة، وإلى جانب ذلك أنت بحاجة إلى شخص كردي يتعهد بأن يكون كفيلاً لك أمام السلطات عند الحاجة، وفي حال لم تجد «الكفيل» فإن الحصول على الإقامة يصبح أمراً مستحيلاً. وبعد أن تستوفي كل الشروط تمنحك الدائرة إقامة لا تتجاوز الشهر بالنسبة إلى الأفراد، ولا تتجاوز الثلاثة أشهر للعائلات يكون عليك تجديد الإقامة بعدها وإلا فأنت عرضة للمساءلة القانونية. انظر: **الشرق الأوسط**، ٨/ ٩/ ٢٠٠٦.

Pike's Committee Report، وقد أعطيتُ نسخة منه حينذاك إلى السيد جلال الطالباني، ولعله يعطيه الآن إلى السيد مسعود البارزاني حتى يقرأه، وفيه كل تفاصيل المراسلات ما بين المرحوم ملا مصطفى البارزاني وهنري كيسنجر الذي كان وزيراً للخارجية الأمريكية وقتئذٍ، وكانت فضيحة كبيرة إذْ يظهر كيف استغل الأمريكيون والشاه الأكراد في العراق لأغراضهم الخاصة ثم تخلوا عنهم.

أنا أتمنى أن يستفيدوا من تجاربهم السابقة مع الأمريكيين وغير الأمريكيين، وأن لا يكرروا الأخطاء السابقة.

وأنا أتساءل بأي صفة يذهب السيد جلال الطالباني في الزيارة قبل الأخيرة إلى أمريكا ويقول إن الجيش الأمريكي ليس جيشاً محتلاً بل هو جيش تحرير. أمريكا نفسها بعثت رسالة إلى مجلس الأمن تقول إنها قوات احتلال، وقرار مجلس الأمن رقم ١٤٥٣ يقول إن أمريكا هي سلطة احتلال. ومؤخراً يصرح السيد جلال الطالباني بأنه يريد الإبقاء على عشرة آلاف من القوات الأمريكية بشكل دائم في كردستان العراق وأنه يريد الإبقاء على قاعدتين جويتين أمريكيتين في كردستان في المنطقة الجبلية. باسم من يتكلم؟ ومن خوّله، وهل يخوّله ما يسمى بالدستور أن يتكلم باسم الشعب العراقي؟ هل هذا من صلاحيته؟ هل قرر هذا ما يسمى بمجلس الوزراء؟ هل ما يسمى البرلمان قرر هذا؟ هل يتكلم كزعيم كردي أو كرئيس جمهورية عراقي؟ وباسم من يتكلم؟ وهو لا يخجل أيضاً من أن يقول إن بعض العرب السنة يؤيدون ذلك، فمن هم العرب السنة الذين يؤيدون ذلك؟ ومن هو الذي فوضه ليتكلم باسم العرب السنة؟ أجدني مضطراً لاستعمال هذه التعابير (السنّة) مع بغضي الشديد لاستعمالها.

يتكلمون عن الديمقراطية في المنطقة الكردية. في عام ١٩٩٤ كان هناك انتخاب وحكومة كردية ولم يستمر ذلك أكثر من سنة ثم أصبح هناك حكومتان: حكومة في السليمانية وحكومة في أربيل. وفي عام ١٩٩٦ حدث قتال بين جلال الطالباني ومسعود البارزاني واحتل السيد جلال الطالباني أربيل، ولجأ السيد مسعود البارزاني إلى الرئيس صدام حسين ليعيد له أربيل، فأرسلت الحكومة العراقية الجيش العراقي وحرر أربيل من سيطرة جماعة السيد جلال الطالباني وسلموها إلى السيد مسعود البارزاني. هذا الجيش العراقي الذي جاء في عام ١٩٩٦ كان تحت العلم العراقي الذي يرفضه السيد مسعود البارزاني الآن، فعندما حرّر له أربيل كان علماً عراقياً صحيحاً، والآن هو ليس علماً عراقياً. هذا عيب، هذا ليس كلام مسؤولين بل هو كلام ميليشيات ورؤساء عشائر.

واستمر الانفصال إلى حكومتين واحدة في أربيل، والثانية في السليمانية خلال

أكثر من ثلاث سنوات بعد الاحتلال. وقبل شهرين أو ثلاثة أقاموا حكومة واحدة بالشكل ولكن حتى الآن لا يزال هناك وزيران للدفاع: واحد لحكومة السليمانية والثاني لحكومة أربيل ولم يوحدوا حتى ميليشياتهم، كما إنهم لم يستطيعوا أن يوحدوا شبكة الهاتف الخلوي في المنطقتين، بحيث لا يستطيع المرء الآن أن يتكلم عبر الهاتف الخلوي من السليمانية مع أربيل، بل يجب أن يتم ذلك عن طريق بلد ثان، فليسمحوا لنا، إذاً. . . إن ديمقراطيتهم وأحزابهم كلها زائفة، فمتى صارت انتخابات وانتخبت هذه الأحزاب رؤساءها؟ هذه عبارة عن عشائر وميليشيات وهناك بداية تململ داخل الشعب الكردي من هذه الأعمال[٦].

أما بالنسبة إلى تصرفهم كدولة وأنهم يستقلون متى شاؤوا، فإن هذا كلام عبثي، ويوم يتحرر العراق وتكون هناك حكومة مركزية قوية ويكون هناك جيش عراقي، سيأخذ السيدان مسعود البارزاني وجلال الطالباني، وليس الشعب الكردي، المواقع الحقيقية التي يستحقانها.

وإنني أنصح السيد جلال الطالباني، وقد قلت إنني أعرفه كصديق، ولكن أنا أنصحه باسم الصداقة السابقة أن يكف عن هذه البهلوانيات، فهذه لن تفيد، وإذا أراد فليقرأ تقرير بريمر الذي ترجم ونشر بالعربية ماذا يقول عنه، ويسأل أصدقاءه السابقين ماذا يقولون عنه، وإذا كان يحتاج إلى شيء من ذلك، فلعله يقوم بقراءة المقال الذي كتبه عنه السيد طلال سلمان في جريدة **السفير** تحت عنوان «الكردي التائه»[٧].

النفط

■ ***أسألك عن النفط، هل للنفط علاقة بالحلم الكردي، بتصريحات الطالباني؟ والنفط أيضاً هل هو وراء مطالبة الشيعة السيد عدنان الحكيم والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بإقامة إقليم شيعي؟***

حسيب: للأسف الشديد، القيادات السياسية في العراق في معظمها متخلفة

---

(٦) هناك مؤشرات كثيرة عن بعض التململ الشعبي في المنطقة الكردية من سيطرة الحزبين، وهناك أحزاب كردية إسلامية لا تلتقي مع الحزبين الرئيسيين. ومن المؤشرات المهمة أنه خلال «الانتخابات» التي جرت في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥، لم يصوت لقائمة «التحالف الكردستاني» في محافظة بغداد، التي يعتقد أنها تضمّ أكثر من ٢٥٠ ألفاً من الأكراد، إلا ٢٥٤٥٩ شخصاً فقط، وهو مؤشر يدل على أن غالبية ساحقة كردية في بغداد لم تصوت لصالح الحزبين الكرديين المسيطرين على المنطقة ولم تحصل على أي مقعد فيها. انظر: ناظم عبد الواحد الجاسور، «الانتخابات النيابية العراقية: ائتلافات متنافرة وكيانات سياسية تخشى التهميش،» **السياسية الدولية** (بغداد)، السنة ١، العدد ٣ (ربيع ٢٠٠٦)، ص ١٥ ـ ١٦.

(٧) طلال سلمان، «الكردي التائه،» **السفير**، ٢٩/٦/١٩٩١.

سياسياً وفكرياً، وليس لديها معلومات كافية حتى عن النفط في العراق. كثيراً ما يقال إن أحد أسباب المقاومة، وما يسمونه العرب السنة لأنه لا يوجد في مناطقهم نفط، في حال صارت هناك فيدرالية وقُسّم العراق. هذا فهم غير صحيح، الحقول المكتشفة في بغداد وفي غرب العراق احتياطيّاتها (والتي تحتاج إلى حفر آبار أخرى لتحديد أدق لاحتياطيّاتها) لا تقل عن المناطق الأخرى، وليس هناك وقت لأتكلم عن التفاصيل، ففي الشمال إضافة إلى عين زالة الموجودة حالياً، هناك بطمة وصفية والكيّارة، وفي الوسط هناك حقل طوله ١٠٠ كيلومتر، يوجد في قسم منه نفط ثقيل، لكنْ هناك قسم آخر من النفط الخفيف. وهناك في جنوب العراق حقول الهارثة والتنّومة وأبو الخصيب والمشرف والزبير ونفط هذه الحقول الأخيرة هو من النوع الخفيف ما بين ٣٢ و٣٨ درجة IBP. **فهناك حقول نفط كافية في بغداد والمنطقة الغربية وهذا ليس السبب المبرر للحرص على وحدة العراق، إنما هناك أسباب وطنية أخرى غير قضية النفط.**

النفط على الرغم من المليارات التي صُرفت عليه حتى الآن لا يزال إنتاجه أقل مما كان عليه قبل الاحتلال. إلى الآن وبعد ثلاث سنوات ونصف لا توجد عدادات تحسب كمية النفط المصدرة، والسؤال لماذا؟ حتى يسرقوا النفط ولا يشعر أحد بذلك.

هناك أمراء النفط، السيد عبد العزيز الحكيم عنده مرفأ خاص لسرقة النفط، وعندي أسماء الذين يعملون معه في هذا المجال. لقد نقلت أمريكا دبابات بالطائرات فلماذا لا تستطيع أن تأتي بالعدادات وتنصبها وتحسب النفط المنتج والمصدّر وترى الفرق أين والسرقة أين؟

مؤخراً، وقعوا اتفاقية مع إيران ليصدروا إليها النفط الخام ويستوردوا منها منتجات نفطية، فأي جهل هذا؟ إيران نفسها ليس لديها منتجات نفطية كافية تسد حاجتها، وخلال السنة الأخيرة استوردت ما يعادل ١٥٠ ألف برميل يومياً من منتجات نفطية. هي تستورد، فإذا كنا نريد أن نستورد منتجات نفطية لنا فنحن نستورد مباشرةً، وإذا كنا نصدر النفط الخام لماذا نعطيه لإيران لتصدره؟ نستطيع أن نصدره نحن وهناك طلب على النفط الخام. هذا يدلك على مدى الأمية والجهل بين المسؤولين عن النفط في الوقت الحاضر. هذا هو الحال في العراق.

تقرير المفتش العام الأمريكي الذي عينه الكونغرس، يبين الفضائح التي وقعت في مجال النفط وغير النفط بالسرقات، سواء أثناء مرحلة بريمر أو بعدها.

وزير النفط السابق عندما ترك تم إحراق طابقين في وزارة النفط، فلماذا أُحرِقا؟

■ ***قبل أن اسألك عن الصراع الطائفي والمشاكل الجارية الآن، أريد أن أقول وأوجه دعوة لنائب محافظ الموصل، دعوة رسمية على الهواء بشهادة الدكتور وبشهادة المشاهدين جميعهم ودعوة للسيد عبد العزيز الحكيم ودعوة للسيد وزير النفط السابق ليجلسوا في هذا الكرسي الذي يجلس فيه الدكتور خير الدين حسيب ويحدثونا عن رؤيتهم هم للوضع في الموصل، بالنسبة إلى نائب محافظ الموصل وسياسته بالنسبة إلى خدمة أهل الموصل، والسيد عبد العزيز الحكيم نريد أن نسأله عن علاقته بالنفط وبتصدير النفط ورده على من يتهمونه بسرقة النفط ليشرح لنا رؤيته عن وضع العراق كاملاً. وكذلك نرحب بوزير النفط السابق ليحدثنا عن سياسته النفطية ودوره في تقديم الخدمات النفطية في العراق. وهكذا نكون قد أتحنا الفرصة لكل الآراء لتُعرض، وحفظنا حق الرد وحق التعبير للدكتور خير الدين حسيب ولنائب محافظ الموصل وللسيد عبد العزيز الحكيم ووزير النفط السابق، أهلاً وسهلاً بكم بكل ترحاب، والفرصة متاحة لكم في المستقلة.***

الصراع الطائفي

■ ***الآن الصراع الطائفي في العراق، ما هو تعليقك عليه ومَنْ هم أطرافه وما هي غاياته وما هو وضعه الآن؟***

حسيب: هذه قصة، هل كان هناك صراع طائفي قبل الاحتلال؟ ومن الذي خلق هذا الصراع؟ فلنبدأ من البداية: الشيعة هم قبائل عربية وهم عرب قح وتشيعوا قبل ٢٠٠ أو ٢٥٠ سنة، وأنا لا أتكلم عن المذهب الشيعي بل أتكلم عن العرب الشيعة في العراق. هناك قبائل عراقية (مثل شمَّر والجبور) وغيرها ممن ينطبق عليهم ذلك، فالقسم من القبيلة في الشمال هم سنّة والذين في الجنوب هم شيعة، فهل يمكن أن يقتتل أفراد القبيلة نفسها في ما بينهم؟ خلال ثورة ١٩٢٠ كانت قيادات رئيسية فيها هي قيادات شيعة. وجميع الأحزاب التي تشكلت في العراق لم تكن على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي، بل كان تكوينها مختلطاً. حزب الاستقلال رئيسه كان الشيخ محمد مهدي كبه (وهو شيعي)، ونائب الرئيس كان محمد صديق شنشل (وهو سني) وهكذا الأحزاب الأخرى، وحتى أحزاب نوري السعيد وصالح جبر كانت مختلطة طائفياً وعرقياً. رؤساء الوزراء في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢٠ وحتى احتلال العراق عام ٢٠٠٣، كان منهم سبعة شيعة وأربعة أكراد، لم يكن هناك أي تقسيم طائفي أو عرقي. والأكراد الذين يقولون كنا مظلومين قبل ١٤ تموز/ يوليو، فإن ٤٠ في المئة من رؤساء أركان الجيش كانوا أكراداً، ونسبة المتصرفين (يسمون المحافظين الآن) ووزراء الداخلية الأكراد كانت أكبر من نسبة السكان لديهم.

الشخص الثاني رئيس الديوان الملكي كان السيد أحمد مختار بابان وهو كردي أيضاً، وهكذا. هذه محاولة لتشويه الذاكرة العراقية، ولن تنجح. وسوف يأتي اليوم الذي تتوضح فيه كل الأمور.

إنّ الكلام عن الطائفية وغيره في ما أعتقد هو كلام يستغل لأغراض سياسية رخيصة، فهناك طائفية سياسَية وليس مذهبية. العرب الشيعة وإلى فترة متأخرة بعد الحرب العالمية الثانية، كانت هناك أقلية صغيرة جداً من شيعة إيرانيين، وكان هناك «عنعنات» [أي حساسيات] ما بين الشيعة العرب والشيعة العجم، الشيعي العربي لا يعطي بنتاً ولا يأخذ بنتاً من الثاني، إنها إهانة إلى العربي الشيعي أن يقال إنه إيراني الولاء. هذه إهانة كبيرة بالنسبة إليه، فهم عراقيون وطنيون وفي كل الفترات قاتلوا ودافعوا عن العراق وكان آخرها الحرب العراقية الإيرانية حيث قاتل العرب الشيعة ضمن الجيش العراقي في تلك الحرب. وحتى الآن هذه الأحزاب التي تتكلم باسمهم هناك أغلبية من العرب الشيعة الصامتين الذين يتكلم باسمهم عبد العزيز الحكيم والجعفري فهم لا يمثلون الشيعة. إيران للأسف الشديد تؤدّي دوراً سلبياً، ولكن يجب عدم الخلط. من حيث المبدأ نحن ننظر إلى إيران كعمق استراتيجي إسلامي للأمة العربية ويجب أن نتعامل معها، ونسعى إلى أن يكون الإيرانيون أصدقاء محتملين لنا وليس أعداء محتملين، هذا من حيث المبدأ. ولكن للأسف الشديد سلوك إيران خلال الاحتلال وحتى الآن كان سيئاً جداً. إنّهم يتعاملون في موضوع العراق ويستخدمونه كورقة في أيديهم في علاقاتهم مع أمريكا، فمجلس الحكم الذي شكله بريمر كان على أساس طائفي كذا للشيعة وكذا للأكراد، وهم الذين أدخلوا هذه القضية الطائفية السياسية واستمرت العملية بعد ذلك. وزير خارجية إيران زار العراق واجتمع مع مجلس الحكم هذا وهو الوزير الوحيد، لا عربي ولا أجنبي غيره الذي زار هذا المجلس الذي شكّله الاحتلال، وبعد ذلك دعا مجلس الحكم وممثلين عنه للذهاب إلى طهران واجتمع بهم هناك واعترف بمجلس الحكم المعين من قبل الاحتلال الأمريكي.

في الانتخابات الأولى، الدكتور أحمد الجلبي قام بزيارة إيران وعاد، وعقد مؤتمراً صحفياً في النجف وكان حاضراً فيه السيد عبد العزيز الحكيم، وقال إن إيران لا تريد أن تغادر القوات الأمريكية العراق، فالغرض هو أن تبقى القوات الأمريكية في العراق رهينة لدى إيران بالنسبة إلى خلافها مع أمريكا حول موضوع برنامجها النووي، وهذا يتسم بقصر النظر. إيران في الوقت الحاضر لا تريد دولة مركزية قوية في العراق، وهي أيدت حل الجيش العراقي ولا تريد جيشاً عراقياً قوياً للأسف الشديد. لكن هذا يجب أن لا يجعلنا ننظر إلى إيران

كأنها العدو الأول وليس أمريكا، هذا النفوذ الإيراني جاء نتيجة الاحتلال، والعدو الأول كان ولا يزال الولايات المتحدة ويجب أن يَحْذَر الشعب العراقي من هذا المطب.

■ ***متى في التاريخ ـ خلال الـ ٥٠٠ سنة الماضية ـ متى في هذا التاريخ الطويل لم تكن إيران خطراً أمنياً واضحاً على العراق. عندما كان الأتراك في العراق كانت إيران باستمرار في حرب مع الأتراك والعثمانيين، وكان العراق دائماً هدفاً من أهدافها، ولما كان صدام حسين موجوداً كانت إيران لسنوات طويلة ترفض وقف الحرب بعد أن اعتدى صدام حسين وبدأ الحرب. الآن وقبل أيام في محطة فرنسية أذاعوا معلومات وتقريراً يقول إن الإيرانيين هم الذين أمدوا المخابرات الأمريكية كلها بطرق مختلفة بالمعلومات التي استخدمتها الأجهزة الأمنية الغربية لتبرير الحرب على العراق. فلماذا أنت تعاند التاريخ؟ فالتاريخ يقول لك إن هؤلاء الناس يريدون معاداة بلدك.***

حسيب: أنا قلت إنهم تعاونوا مع أمريكا عند احتلالها العراق وإنهم يساومون أمريكا على حساب العراق. السيد محمد علي الأبطحي الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية عند احتلال العراق، وفي تصريح رسمي ومعلن، قال نحن ساعدنا أمريكا على احتلال العراق. ولكن التاريخ ليس بالضرورة أن يعيد نفسه. في أوروبا، ألمانيا وفرنسا كم حرب نشبت بينهما؟ وكذلك بين بريطانيا ودول أوروبية أخرى. الآن هم جزء من الاتحاد الأوروبي. إيران والعراق بلدان متجاوران وموجودان وسيستمران في مكانهما. نحن نستنزف قوانا في صراعات، فإذا كانت إيران تريد أن تكون دولة إقليمية تتعايش مع جيرانها وتكون جزءاً من أمن عربي إيراني خليجي فأهلاً ومرحباً بها. لكن هذا لا يعني أن نسترسل لأحلامنا ونقول إن إيران هي عمق استراتيجي وإسلامي للأمة العربية فقط من دون أن نحذر من أية تطلعات إيرانية شوفينية. يجب أن يكون عندنا في العراق جيش قوي وحكومة مركزية قوية، وأن نحتاط للمستقبل ونعمل على أساس «إعملْ لدنياك كأنك تعيش أبداً واعملْ لآخرتك كأنك تموت غداً».

الحكومة العراقية والاحتلال والتحرير

■ ***الحكومة موجودة الآن، أي حكومة المالكي.***

حسيب: سنأتي إلى هذا الموضوع في وقت لاحق. أحد الكتاب الأمريكيين قال إن حامد كرزاي هو «عمدة» على كابول، يعني رئيس بلدية كابول، والمالكي «عمدة»

على المنطقة الخضراء في بغداد وهذه حدود سلطته، وحتى ضمن المنطقة الخضراء لا يستطيع أن يتحرك إلا ضمن حراسة.

■ ***أنا سمعت أن السفير خليل زلماي زاد هو عمدة المنطقة الخضراء.***

حسيب: لا هو عمدة العِراق.

■ ***إذاً، الصراع الطائفي هناك الآن نقاش من جديد حوله. قبل أيام في البرلمان العراقي الحالي شكلوا لجنة لإعادة النظر في الدستور، وكانت مقابل هذا، الموافقة على قراءة مشروع قانون أقاليم العراق أي التمهيد لفيدرالية شيعية في الجنوب ووسط العراق.***

حسيب: إنهم يسلون أنفسهم به، هم دائماً يأتون على ذكر الولايات المتحدة. أولاً، العراق أقل من حجم ولاية كاليفورنيا، أمريكا قارة والفيدرالية في أمريكا لا تقوم على أساس طائفي أو اثني، بل هي قائمة على أساس جغرافي. ليس القادمون من إسبانيا لديهم فيدرالية إلخ. وكل الكلام الذي يتحدثون به يدل على أنهم لا يفهمون الوضع في العالم وأمريكا إلخ. ولكن هل لكل ولاية أمريكية تمثيل في السفارة الأمريكية في لندن أو غيرها؟ هل عندها ممثل للقضايا الثقافية والتجارية؟ هذا ما يحاولون تطبيقه.

■ ***بعض الضيوف العراقيين الذين يأتون إلى هنا، كلما طُرح هذا الحديث عن الطائفية والفيدارلية الشيعية وغيرها ردوا بقوة على الذين ينتقدون سياسة السيد عبد العزيز الحكيم، ويقولون بأي حق يستطيع أي عراقي أن ينتقد عبد العزيز الحكيم وهو سليل أسرة قدمت عشرات الشهداء في المقاومة من أجل حرية العراق، وهو سيد من السادة. ولا يمكن لأحد أن يزايد عليه في حرصه على العراق وفي محبته إياه.***

حسيب: أولاً، القضية ليست قضية إرث عائلي، «فكل عنزة تعلق من كراعينها»(*)، فلا تحاسب عائلته على أعمال السيد عبد العزيز الحكيم، وهو يحاسب على أعماله. السيد عبد العزيز الحكيم ذهب بزيارة إلى إيران وقال لهم إننا سنعطيكم تعويضات من العراق ١٠٠ مليار دولار، هل هو يعرف من أين جاء بالأرقام. قرار الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار يقول تشكل لجنة تبين من الذي بدأ الحرب، وعلى أساس هذا تقرر إذا كانت هناك تعويضات. واللجنة لم تشكل حتى الآن ولم يُقرر من هو

(*) أي أرجلها.

المعتدي ولا يوجد قرار بدفع تعويضات[8]. والـ ١٠٠ مليار هل سيدفعها من جيبه الشخصي؟ هذا هو السيد عبد العزيز الحكيم الذي يعمل بصورة مزدوجة للإيرانيين وللأمريكيين، ولكن إذا تعارض الولاءان فهو أقرب إلى إيران. من هو السيد عبد العزيز الحكيم وعلى أي أساس جاء، هل جاء نتيجة انتخاب؟ ومتى وأين تشكل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية؟ ألم يشكل في إيران عام ١٩٨٠ وبرعاية مستمدة منها؟

■ ***انتخب مرتين، وقاد مرتين الائتلاف الشيعي وفاز بالأغلبية الكاسحة في الانتخابات.***

حسيب: نستطيع أن ندخل في مناقشة الانتخابات ولنر إذا كانت هذه

---

(٨) تنصّ **الفقرة السادسة** من قرار **مجلس الأمن رقم ٥٩٨** (١٩٨٧) حول وقف إطلاق النار، والذي قبلته إيران والعراق على أن «يطلب الأمين العام أن يستطلع، بالتشاور مع إيران والعراق مسألة تكليف هيئة محايدة بالتحقيق في المسؤولية عن الصراع وأن يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن في أقرب وقت ممكن» ولكن الأمين العام للأمم المتحدة حينئذ، السيد خافيير بيريز ديكويلار، وعلى مدى ثلاث سنوات بعد صدور القرار، لم يشكل اللجنة المحايدة المشار إليها وبالتالي لم تقدم مثل هذا اللجنة تقريراً إلى مجلس الأمن، ولكنه في ٩/ ١٢/ ١٩٩١، وكجزء من صفقة بين الولايات المتحدة وإيران بواسطة الأمين العام للأمم المتحدة وهي الافراج عن الرهائن المدنيين الأمريكيين الذين اختطفتهم تنظيمات في لبنان خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٨٨ مقابل توجيه الأمين العام للأمم المتحدة رسالة إلى مجلس الأمن يحمّل فيها العراق مسؤولية شن الحرب على إيران تحت غطاء تنفيذ الفقرة السادسة من قرار مجلس الأمن المشار إليه، حيث **أرسل الأمين العام رسالة، إلى مجلس الأمن بتاريخ ٩/ ١٢/ ١٩٩١** والتي جاء فيها **«إن الهجوم على إيران يوم ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠ لا يمكن تبريره في إطار ميثاق الأمم المتحدة أو أية قواعد أو مبادئ معترف بها في القانون الدولي أو أية مبادئ أخلاقية دولية، وهو ينطوي على المسؤولية عن الصراع»** (وثيقة الأمم المتحدة S/23273). وقد كشف السيد **وكيل الأمين العام للأمم المتحدة السيد جياندومينيكو بيكو** (Giandomenico Picco) **في كتابه رجل بلا سلاح** *(Man Without a Gun)* وهو الذي أدار المفاوضات السرية، حيث ذكر باسهاب **تفاصيل المحادثات السرية الطويلة والمضنية** التي أجراها خلال الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩١ مع الجانب الإيراني وكيف تمت الصفقة. انظر: Giandomenico Picco, *Man without a Gun: One Diplomat's Secret Struggle to Free the Hostage, Fight Terrorism, and End a War* (New York: Times Books; Random House, 1999).

ويلاحظ أن **رسالة الأمين العام تتناقض مع قرار مجلس الأمن ٥٩٨ الذي يطلب تشكيل هيئة محايدة، بالتشاور مع الحكومتين، لتحديد المسؤولية عن الحرب، وهو ما لم يقم به الأمين العام بل ادعى أنه قام باستشارات متفردة مع خبراء مستقلين لهذا الغرض. كما إنه لم يأخذ بنظر الاعتبار وجهة نظر العراق الذي يقول إنّ الحرب بدأت في الرابع من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٠ بقصف جوي ومدفعي إيراني للأراضي العراقية صاحبه قيام وحدات من الجيش الإيراني بالاستيلاء على أراض عراقية في المناطق الحدودية إضافة إلى رفض إيران إعادة أراض عراقية استولت عليها رغم إقرارها بعائديتها إلى العراق (سيف سعد وزين القدس)**، ويدعم العراق أدلته بشاهد حي هو الطيار الإيراني الأسير (لشكيري) الذي أسقطت طائرته فوق العراق خلال تلك الغارات، وهي ادعاءات موثقة في مذكرات رسمية إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. حول تفاصيل هذا الموضوع، انظر: عبد الواحد الجصاني، «حول التعويضات في الحرب العراقية - الإيرانية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٩، العدد ٣٣٣ (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦)، ص ٦٩. ولذلك فإن رسالة الأمم المتحدة لا تمثل تنفيذاً لقرار مجلس الأمن ٥٩٨ وهي غير ملزمة للعراق، كما إن **مجلس** الأمن لم يتخذ قراراً حول تلك الرسالة ولم يحدد المسؤول عن بدء الحرب كما لم يحدد أي مبلغ تعويض. ولذلك تولى السيد عبد العزيز الحكيم تمثيل مجلس الأمن واتخذ قراراً حول من هو المسؤول عن بدء الحرب وحدد بنفسه مبلغ التعويض!

الانتخابات حرة أم لا، ومن وضع قانون الانتخاب ومن أنشأ مفوضية الانتخابات ومن راقبها وهل كانت هناك مراقبة دولية؟ هذا موضوع يحتاج إلى مناقشة أخرى مطولة تحتاج إلى وقت أطول مما هو متاح في هذه المقابلة.

■ ***بحسب تقديرك في المعطيات الراهنة هل سيسمح بإعادة كتابة الدستور وهل سيقوم الإقليم الشيعي؟***

حسيب: سآتي إلى موضوع العراق ومستقبل العراق حتى أجيبك عن هذا السؤال.

هذا الذي يسمى البرلمان الحالي والذي بقي أكثر من أربعة أشهر حتى استطاع تشكيل الوزارة، هذا يجب أن يُصدر ٥٥ قانوناً لتنفيذ الدستور، وقسم كبير منها هي قوانين أساسية ومختلف عليها. كما يجب أن يشكل لجنة لإعادة النظر في الدستور، وعلى هذه اللجنة أن تتفق خلال أربعة أشهر على التعديلات المطلوبة، وإذا اتفقت يجب أن تعرضها على الحكومة والبرلمان حتى يوافق، وإذا وافق البرلمان والحكومة يجب أن تعرضها على استفتاء شعبي خلال ٩٠ يوماً، وإذا وافقت الأغلبية على الاستفتاء فإن بإمكان أي ثلاث محافظات، إذا صوت الثلثان فيها ضد التعديلات، أن تلغي الدستور كله ونعود إلى نقطة الصفر.

هذه التعديلات إما ستمس قضايا في التعديلات الدستورية تخص الأكراد أو قضايا تخص الوسط والجنوب، ولدى المنطقة الكردية ثلاث محافظات (السليمانية وأربيل ودهوك) بإمكانها أن تسقط التعديلات وبالتالي الدستور، ولدى السيد عبد العزيز الحكيم ثلاث محافظات في الجنوب وبإمكانه أن يسقط التعديلات ومن ثم الدستور، فهذه عملية عبثية ولا نتيجة لها، وسوف نعود إلى نقطة الصفر والأمريكيون يدركون هذا، وهم يدركون أن ما يسمى العملية السياسة التي كانوا يعولون عليها قد وصلت إلى طريق مسدود.

■ ***هل يكون الحل في عملية إنقاذ وطني بالاعتماد على السيد إياد علاوي مثلاً من جديد لقيادة حكومة إنقاذ وطني كما سمعت من بعض العراقيين؟***

حسيب: الخطة الأمريكية كانت قائمة على أساس العملية السياسية وعلى أن تنتهي بإيجاد حكومة عراقية موالية لهم ويعقدوا معها اتفاقية أمنية، ويدربوا جيشاً عراقياً وشرطة عراقية، وينسحبوا هم إلى قواعد حيث أقاموا عدداً من القواعد في العراق منها أربعة قواعد رئيسية، ويكون دورهم التغطية الجوية للقوات العراقية ودعمها، هذه هي الخطة. ولكن ما مدى نجاح هذه الخطة حتى الآن؟ الآن الجيش العراقي الذي يتحدّثون عنه وقوة الشرطة التي شكلوها، هناك تقارير ـ وكلها تقارير

أمريكية ـ تتكلم عن مدى قدرة الجيش العراقي على القيام بهذه المهمة، فقبل سنة قالوا في جلسة استماع أمام الكونغرس الأمريكي هناك ثلاثة ألوية عراقية تستطيع أن تقاتل وحدَها، وبعدها ببضعة أشهر وفي شهادة أخرى بالكونغرس تحدّثوا عن لواءين اثنين، ثم عن لواء واحد ثم انخفض الحديث إلى صفر. وزارة الدفاع (البنتاغون) على الموقع الخاص بها على «الانترنت» تصنف الجيش العراقي إلى أربعة أنواع: القوات التي تستطيع أن تقاتل وحدَها، والتي تستطيع أن تقاتلَ بدعم من القوات الأمريكية إلخ، وقبل شهر من هذا التصنيف شطبوا من هذا التصنيف القوات العراقية التي تستطيع أن تقاتل وحدها، لأنه لا وجود لها. هناك تقارير من قادة أمريكيين يتكلمون عن تفاصيل الألوية التي فر نصف أفرادها من الجيش. هناك تفاصيل كثيرة، فهذا الجيش والشرطة هما تابعان لميليشيات وهي ليست من قبيل جيش وطني ولا قوة شرطة وطنية وولاؤها للأحزاب التابعة لها. قبل يومين فصلت وزارة الداخلية ١٣٢٧ من الضباط وغيرهم لأنهم تابعون لميليشيات وارتكبوا عمليات سرقة واغتصاب وأموراً أخرى(٩)، فلا الجيش ولا الشرطة قادرون بشكل يجعل الأمريكان يعتمدون

---

(٩) حول تفاصيل تطهير الشرطة العراقية من لواء متورط مع فرق الموت، انظر: **الزمان**، ٥/ ١٠/ ٢٠٠٦، ص ١.

ـ كشف محقق أمريكي فضيحة بناء أكاديمية الشرطة في بغداد، حيث يشير التقرير نقلاً عن وكالة يو. بي. آي.، إلى أن محققين أمريكيين قالوا إن أكاديمية الشرطة العراقية، التي بلغت تكلفة انشائها ٧٥ مليون دولار، تعاني من عيوب كثيرة ما يفرض هدم جزء منها لأنه يشكل تهديداً صحياً. انظر: **القدس العربي**، ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٦، ص ٣.

ـ انظر: «الأحزاب تتقاضى رشى من متطوعي الجيش العراقي: والداخلية العراقية تطرد ١٣٢٧ مختلساً من منتسبيها،» **الزمان**، ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٦، ص ١.

ـ انظر أيضاً حول مدى ثقة العراقيين بهذه القوات العراقية من جيش وشرطة: Antonio Castaneda, «Militias' Appeal Undercuts U.S. Efforts: Iraqis Have Less Faith in their Own Police and Soldiers,» *Los Angelos Times*, 19/9/2006.

ـ أشار السيد محمد عارف في مقالة له في جريدة **الاتحاد** (أبو ظبي)، ٤/ ٩/ ٢٠٠٦، إلى معلومات أدلى بها العميد «دانا بيتارد» قائد الوحدة العسكرية الأمريكية المسؤولة عن تدريب قوات حفظ الأمن العراقية، حيث ذكر العميد «بيتارد» «أن عدد الهاربين من الجيش في محافظة الأنبار بلغ نحو خمسة آلاف عسكري، ويشكل هذا تقريباً نصف القوات المسلحة المعسكرة في الأنبار (. . .). وفي «الفرقة العاشرة» المعسكرة في محافظة ميسان، المحاذية لإيران في جنوب العراق، ولقد رفض عشرات الجنود الامتثال لأوامر الالتحاق بالحملة العسكرية الأخيرة في بغداد، ولم يحرك الجيش أو قوات الأمن ساكناً حين نُهبت موجودات قاعدة ميسان العسكرية التي يفترض أن تسلمها إليهم قوات الاحتلال البريطانية المغادرة. وهذه ليست أول مرة يرفض فيها جنود عراقيون تنفيذ أوامر التحرك، ففي عملية الهجوم على الرمادي لم يمتثل جنود «اللواء الثالث» في «الفرقة الثانية» ومعظمهم أكراد لأوامر التحرك لدعم القوات الأمريكية. . . إلخ».

ـ انظر أيضاً حول فصل الداخلية لـ ١٥٠٠ شرطي بسبب الفساد: **الحياة**، ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٦، ص ٥.

ـ وحول مدى استعداد القوات العراقية للقتال لوحدها، انظر: Nancy A. Youssef, «Iraqi Troops Still Unprepared to Go It Alone,» *Philadelphia Inquirer*, 19/8/2006, p. 1. =

عليهم، ولهذا جاء الأمريكيون إلى داخل بغداد بقوة سحبوها من مناطق أخرى بعد أن كان من المفترض أن يسلموا الأمر للقوات العراقية. وهم ـ إذاً ـ غير قادرين على الاستغناء عن قواتهم، فالقوات العراقية غير قادرة، والعملية السياسية كذلك فاشلة. أضف إلى ذلك خسائرهم في العراق. إلى قبل عدة أيام وصل مجموع القتلى الذين لديهم جنسية أمريكية إلى ٢٧٠٠ شخص وعدد الجرحى وصل إلى ٢٠ ألفاً، ونصف الجرحى لا يستطيعون العودة إلى الخدمة. وهناك ٦٠٠ من قواتهم المسلحة في العراق نقلوهم إلى أمريكا لأمراض عقلية، كما إن نسبة الانتحار في القوات الأمريكية في العراق أعلى من أي حروب أخرى دخلوها. هذا إضافة إلى تهالك معداتهم العسكرية التي هي من صنع النصف الأول من الثمانينيات والتي معظمها قطع مسافات تزيد ما بين ٣ ـ ٥ مرات من المسافة المقدرة لها عند صنعها، وهي تحتاج إلى تبديل.

المقاومة تزداد قوة، ويجب أن نفرق ما بين المقاومة وما بين الإرهاب. عمليات الإرهاب التي توجه إلى المدنيين الأبرياء الذين لا يوجد لديهم علاقة بما يحصل، والتي فيها عمليات الخطف وغيرها هذه عمليات إرهابية مدانة بكل المعايير. ولا علاقة للمقاومة بها، والمقاومة ليست مسؤولة عن تخليص العراق من هذه الأطراف الإرهابية، فهذه بموجب اتفاقيات جنيف هي مسؤولية قوات الاحتلال ومسؤولية الحكومة. المقاومة حتى الآن تستهدف فقط قوات الاحتلال والمتعاونين مع الاحتلال.

■ ***من هي المقاومة؟***

حسيب: المقاومة أربع مجموعات رئيسية. هناك الجيش الإسلامي، وهناك كتائب ثورة العشرين، وجيش المجاهدين، وجيش الفاتحين الذي كان قبله يسمى جيش محمد وبدلوا الأسماء ومعظمه من البعثيين، لكن المقاومة تضم عناصر من الجيش السابق ومن التصنيع العسكري والمخابرات وهي خليط من ناس وطنيين، الطابع العام لها وطني، وفيهم قوميون وبعثيون وإسلاميون وأنواع شتى.

■ ***عزت الدوري، هل له علاقة بالمقاومة؟***

حسيب: عزت الدوري هو نائب الأمين العام لحزب البعث.

■ ***هل له نشاط في المقاومة؟***

حسيب: طبعاً.

= ـ وحول استعادة القوات الأمريكية شوارع بغداد من قوات الأمن العراقية، انظر: **الشرق الأوسط**، ٢٨/٧/٢٠٠٦، ص ٩.

■ ***هل لدى حزب البعث فصيل عسكري في المقاومة؟***

حسيب: نعم لديه جيش الفاتحين.

■ ***هل هو الأقوى أم الأضعف؟***

حسيب: هو فصيل من الفصائل، ولكن ليس هو الأغلبية أي لا يمثل الأغلبية، في حدود معلوماتي.

■ ***هل لهذه المقاومة جبهة سياسية؟***

حسيب: هناك تنسيق في ما بينهم.

■ ***لكن لا يوجد هيئة معينة تعبر عنها أو مكتب سياسي أو جناح سياسي معروف يعبر عنها؟***

حسيب: سريتها هي مصدر قوتها.

■ ***هل هي قادرة على تغيير الوضع في العراق؟***

حسيب: دعنا نكمل ما بدأناه بشأن الخطة الأمريكية. فهذا وضعهم في العراق. لا العملية السياسية نجحت ولا تدريب الجيش والشرطة ناجح بينما المقاومة تزداد قوة.

أما في داخل أمريكا نفسها، فلقد أنفقوا حتى الآن ٣٢٠ مليار دولار على الحرب في العراق، وعندهم عجز سنوي يبلغ حوالى ٤٠٠ مليار دولار، ومجموع ديونهم ـ وهم أكبر دولة مدينة في العالم ـ وصلت إلى ٤,٥ تريليون دولار، **والتريليون هو ألف مليار**، يعني ٤٥٠٠ مليار دولار مجموع ديونهم. والدولار الأمريكي انخفض بنسبة ٣٠ ـ ٣٥ في المئة، وقيمة النفط المستورد هذه السنة يعادل مرتين ونصف ما كان عليه سنة ٢٠٠٣، وهم غير قادرين على خلق وظائف كافية لكل الذين يدخلون سوق العمل. وقد تراجع معدل النمو الاقتصادي في النصف الثاني من هذا العام في الولايات المتحدة الأمريكية ويتوقع أن ينخفض أكثر في السنة القادمة. هذا هو الوضع الاقتصادي.

وهناك الفضائح، فكل الكلام التي قيل عن أسباب ذهابهم إلى الحرب، أسلحة دمار شامل والعلاقة مع القاعدة، فقد حقق الكونغرس وأصدر تقريراً وما نشر منه يؤكد أنه لم يكن يوجد أسلحة دمار شامل في العراق، كما أكد التقرير المنشور أنه لم تكن هناك علاقة للنظام السابق بالإرهاب. كما تسرّب مؤخراً جزء من تقرير لـ ١٦ مؤسسة استخبارات أمريكية أجمعت فيه على أن احتلال العراق زاد من الإرهاب في

المنطقة، وفي حين يقول بوش إننا نجحنا في إبعاد الإرهاب عن أمريكا، فإن أكثر من ١٤٧ ألف من الجنود الأمريكيين هم الآن في العراق يواجهون الموت، فهل هؤلاء غير أمريكيون، عدد قتلاهم الآن وصل تقريباً إلى ما يوازي عدد القتلى في الاصطدام بالبرجين. (مركز التجارة العالمية في هجوم ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١).

■ ***إذاً ما هي خطتهم بعدَ ذلك؟***

حسيب: أنا أعتقد أن بوش يكابر حتى الآن قائلاً: أنا لن أنسحب طالما أنا رئيس. أعتقد أنهم ينتظرون نتائج الانتخابات النصفية في تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. وفي الانتخابات النصفية يحتاج الديمقراطيون أن يربحوا ١٥ مقعداً في مجلس النواب الذي سينتخب كل أعضائه هذه المرة أي ٤٥٠ مقعداً، وإذا ربحوا ١٥ مقعداً إضافياً فإنهم يسيطرون عليه. وفي مجلس الشيوخ يحتاجون إلى ستة مقاعد كي تصبح لهم الأغلبية. والديمقراطيون يطرحون الانسحاب، حيث السيد كيري مرشح الرئاسة السابق يطرح الانسحاب خلال شهر. كما يعتقد أن أول ما سيقوم به المجلس الجديد هو إقالة رامسفيلد عن طريق لجان تحقيق مختلفة، وقد قدموا اقتراحاً بهذا المعنى ولكنه لم ينجح، وسيكررون المحاولة عندما يسيطرون على المجلسين، وربما يبدأون عملية عزل (Impeachment) لبوش نفسه، لأنه خالف الدستور حسبما يقولون حينما أمر بالتنصت على الأمريكيين من دون أمر قضائي، كما وسيكون بوش عاجزاً عن عمل أي شيء مهم خلال الفترة المتبقية من رئاسته. ولا نستطيع أن نقول إن بوش سيركب رأسه بالعناد وعدم الانسحاب، لأن هناك مصلحة الحزب الجمهوري في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٨، وإذا استمروا في هذا الوضع سيخسرون تلك الانتخابات. لهذا فإن أعضاء الحزب الجمهوري نفسه سوف يتبرأون منه تدريجياً ويضغطون على بوش ويتوقع بعد الانتخابات أن يكون هناك تحرك في اتجاه الانسحاب من العراق.

أما في ما يتعلق بالاحتمالات في العراق، ولا سيّما بعد الانتخابات النصفية، **فالخيار الأول** الأفضل هو لو أن الأمريكيون نظروا بشكل عقلاني ووجدوا صيغة لكي يخرجوا بأقل خسارة ممكنة حيث يمكن أن يسلموا المسؤولية إلى مجلس الأمن ومجلس الأمن يعين رئيس وزراء، ووزارة تكنوقراط، لفترة انتقالية لمدة سنتين وفي السنة الثانية تُجرى انتخابات ويأتي مجلس يضع دستوراً وما إلى ذلك، ويستعينوا بقوات عربية من دول لم تشجع الاحتلال ولم تشارك فيه، أي لا مصر ولا الأردن ولا السعودية ولا دول الخليج الأخرى. هناك سوريا واليمن وتونس والمغرب والجزائر. وخلال ستة أشهر تنسحب القوات الأجنبية كاملة ويبدأون وقف إطلاق النار عند الاتفاق وأنا طرحت مبادرة كاملة في هذا الموضوع سبق أن أعلنت عنها.

الحل **الثاني** أن يصلوا إلى مرحلة مثلما حصل في لبنان بأن يغادروا **«ويتركوا الشقا على من بقى»** أي ما يسميه الأمريكيون Cut and Run.

الحل **الثالث**، هناك إشاعات تتردد كثيراً عن حكومة إنقاذ على أساس أن يأتوا إما بشخص عسكري معروف قوي أو أن يأتوا بإياد علاوي ويشكلوا حكومة. وأعتقد أن هذا المشهد (سيناريو) غير محتمل لأن بوش وكل الطاقم الخاص به يتكلمون عن العملية «الديمقراطية» فكيف يمكن لهم أن يضعوا «الديمقراطية» جانباً ويأتوا بحكومة إنقاذ؟ كيف يدافعون عنها وكيف يبررون هذا الفعل؟

المشهد الآخر هو أن يعقدوا صفقة مع سوريا، على غرار ما حدث عام ١٩٨٦ في أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية، حيث كانوا خائفين أن تخرج الأمور من أيديهم، فاتفقت أمريكا وسوريا وإيران والسعودية على تغيير القيادة في العراق وتشكيل حكومة غير إسلامية، يكون الرأي الأساسي فيها أي في التشكيلة يكون لسوريا، واتفقوا حتى على تموضع الجيش السوري والسعودي على الحدود العراقية الإيرانية، وكان سقوط الفاو جزءاً من هذا السيناريو. هذا هو الجزء غير المعلن من «إيران غيت» حيث زودوا إيران وقتئذٍ بصور من الأقمار الصناعية عن الفاو والمواقع العراقية فيها وغيرها، ومكنوا إيران من احتلال الفاو على أمل أن الجيش العراقي سوف ينقلب على الرئيس صدام ويزيله. ووصلوا إلى تفاصيل من يأتي مكان صدام وناقشوا أسماء الأشخاص إلخ، ولكن الجيش العراقي لم ينقلب على رئيسه بعد احتلال الفاو من إيران. ويمكن أن يتكرر هذا السيناريو الآن بالنسبة إلى العراق، ولكن مع إضافة مصر والأردن هذه المرة، ولكن احتمالاته ضعيفة لأنه حتى الآن العلاقات ما بين أمريكا وسوريا بعيدة عن الصفقة. لكن لا يمكن أن يستبعد شيء.

السيناريو الآخر، هو أن يهربوا إلى الأمام ويوجهوا ضربة جوية إلى إيران، وبخاصة أن الانتخابات قادمة، لكن هذا لا يحل مشكلة. صحيح أن لديهم خطة حددوا فيها ٢٥٠ ـ ٥٠٠ موقع نووي وصناعي يضربونها على مدى أسبوع. ولنفترض أنهم دمروها، فليس لديهم قوات برية لاحتلال إيران، وإيران سترد أيضاً حيث لدى أمريكا قوات في الخليج وقوات في العراق، وحتى إسرائيل يستطيعون الوصول إليها وضربها بصواريخهم البعيدة المدة. ولن تحقق هذه الضربة الأمريكية نتائج، بل ستجعل الشعب الإيراني يلتف أكثر حول الحكومة الإيرانية ولن تفيدهم في الخروج من المستنقع العراقي. هذه هي الاحتمالات المختلفة.

■ ***الآن، الساعة المخصصة للبرنامج انتهت.***

حسيب: نسيت أن أذكر أنّ في الوقت نفسه وإلى جانب ما يحدث في العراق،

فإن وضعهم (الأمريكيون) الآن في أفغانستان يزداد سوءاً. وفي الحديقة الخلفية لديهم في أمريكا الجنوبية تتحول الأنظمة في معظمها إلى أنظمة يسارية تقدمية ضد أمريكا.

■ ***هذا يوصلنا الآن إلى سؤالنا الأخير. والحلقة عندما أعلنا عنها قبل أيام كان عنوانها العراق إلى أين؟ في ضوء هذه الأوضاع وميزان القوى داخل العراق وحول العراق وجو الانتخابات في أمريكا والوضع بين المقاومة والقوات الأمريكية وحسابات الطالباني والبارزاني وغيرهم، كيف يبدو لك مستقبل العراق وما هي السيناريوهات الأرجح في المرحلة المقبلة؟***

حسيب: في رأيي أنه إما أن تستعمل أمريكا عقلها ـ والأمريكان معروفون بأنهم براغماتيون ـ فينفذوا السيناريو الأول، أي المشهد الأول الذي قلته، ويذهبوا إلى الأمم المتحدة ويخرجوا بشكل منظم وبقدر من حفظ ماء الوجه. وستكون هناك خسارة لكن خسارة بقدر من حفظ ماء الوجه. إذا لم يفعلوا هذا، وإذا تركوا و«**خلوا الشقا على من بقى**» أي سيناريو Cut and Run فستسيطر المقاومة على السلطة. وإذا استمروا ولم يتبعوا سيناريو الأمم المتحدة فأعتقد أن المقاومة ستلجأ إلى تحرير المدن. حالياً وقبل حوالى شهر أو أقل قال مسؤول المخابرات في الجيش الأمريكي في العراق إن محافظة الأنبار أصبحت خارج سيطرة القوات الأمريكية والعراقية وسماها Out of Bound. وفي الموصل وفي صلاح الدين وبعقوبة قامت المقاومة قبل سنة أو أكثر بمحاولات تجريبية للاستيلاء على مناطق وتحريرها لفترة ٢٤ ساعة أو أكثر وبعدها ينسحبون. أنا أعتقد أنه سيتم تحرير المدن من الموصل إلى الأنبار إلى صلاح الدين إلى بغداد وبعقوبة. لكن هنا يوجد خوف، لن يؤدي هذا بالضرورة إلى نظام ديمقراطي، لأن قوى المقاومة متفقة الآن على عملية التحرير لكن ليس بينها اتفاق على نوع النظام بعد التحرير، وكلها ليس لديها إرث ديمقراطي أو ممارسة ديمقراطية لا كأفراد ولا كمجموعات.

■ ***هل لديك تعليق سريع أو موجز على تغيير القاضي في محاكمة صدام حسين وطرد المتهمين؟***

حسيب: أعتقد أن هذه المحاكمة كلها مهزلة. إذا كان قصدهم أن يجعلوا الناس ينسون معاناتهم، فإن الأمن يتردى باستمرار والخدمات تتردى باستمرار، الطاقة الإنتاجية للكهرباء الآن هي أقل مما كانت عليه قبل الاحتلال، وساعات التعتيم زادت والخدمات الأخرى متردية والفساد على قدم وساق، وإذا كانوا يفكّرون أنهم سوف يلهون الناس بهذا الموضوع فالمحاكمات لا تخدمهم بل تخدم الرئيس صدام حسين على ما أسمع من داخل العراق وخارجه.

■ ***على ذكر صدام حسين، فأحد العراقيين قال لي مرة إن السيناريو الوحيد العملي لا يمت بصلة إلى كل السيناريوهات التي ذكرتها، قال إنه يكفي الأمريكيون بما أنهم اعترفوا أنه لا يوجد أسلحة دمار شامل وبما أن الكونغرس ومجلس الشيوخ أكد واعترف بوش قبل فترة بأنه لم تكن هناك علاقة للنظام العراقي السابق بالإرهاب بل على العكس كان عدواً له، لا بد أن يخرج الرئيس صدام من محله، ويعتذروا له، وبعد خمسة عشر يوماً من عودة الرئيس صدام حسين إلى مكانه لن يقتل مواطن عراقي واحد لا في الشمال ولا في الجنوب.***

حسيب: أنا لا أعلم عن هذا، لكن ما أعلمه هو أنه جرت محاولتان، مرة من قبل رامسفيلد ومرة أخرى من كوندوليزا رايس، حيث قابلا الرئيس صدام حسين وعرضا عليه أن يخرج هو وعائلته إلى أي بلد أوروبي يختاره مع ضمانات أمنية منهم وأن يعامل معاملة رئيس مقابل أن يطلب من المقاومة أن تصدر بياناً تلتحق فيه بالعملية السياسية ورفض هذا. لماذا بعد ذلك كوندوليزا رايس رأته أيضاً؟ يبدو أن عائلة الرئيس صدام ضغطت على محاميه، للقبول بالعرض، وأن المحامي تكلم معه فأجابه بعبارة «يصير خير»، والعبارة لمن يعرف تعني «**دفعة**»[*]، والمحامي فسرها تفسيراً آخر على أنها تعني أن لدى الرئيس صدام حسين استعداداً للنظر في الموضوع، ولذلك قابلته رايس وعرضت عليه الشيء نفسه الذي عرضه عليه رامسفيلد ورفض، وكان الجواب نفسه لديه، أنه يستحيل أن يخرج من العراق. وأنا هنا لا أتكلم عن إشاعة بل عن معطيات ومعلومات موثوقة.

■ ***صديقي العراقي هذا، قال لي أيضاً: «في خمسة عشر يوماً لن يهاجم عراقي في أي مكان، لن تهاجم سيارة منطلقة من الأردن إلى وسط بغداد ولا من الجنوب إلى الشمال، هو يدعي هكذا».***

حسيب: يوم ٢٠ من الشهر الحالي أصدرت الأمم المتحدة تقريراً من ٢٢ صفحة سوف يصدر في عدد **المستقبل العربي** الخاص بتشرين الثاني/ نوفمبر[١٠]، عن حقوق الإنسان في العراق خلال شهري تموز/ يوليو وآب/ أغسطس ٢٠٠٦، وفيه ما يكفي لإدانة النظام الحالي الموجود. ويتكلم التقرير على الميليشيات ويقول إن انتهاكات حقوق الإنسان والتعذيب وغيرها هي أكثر الآن مما كانت في ظل النظام السابق.

(*) لفظة في اللهجة الشعبية العراقية تعني: «**استبعاد الأمر**».

(١٠) وقد صدر هذا العدد. انظر: بعثة الأمم المتحدة لتقديم المساعدة للعراق، «التقرير الخاص بحقوق الإنسان: ١ تموز/ يوليو ـ ٣١ آب/ أغسطس ٢٠٠٦،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٩، العدد ٣٣٣ (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦)، ص ١٢٩.

■ ***دكتور خير الدين حسيب، العراق مبتلى، فحتى في نظام صدام كان تعذيب وظلم وحكم لنظام الحزب الواحد والرأي الواحد، وحتى أقارب صدام لما خرجوا عليه ضربهم بالمدافع، وهناك ناس وجنود قطعت ألسنتهم أو آذانهم. لماذا العراق هكذا؟ هناك شخص عراقي قال لي إنه من أيام سيدنا الحسين ـ دعوة سيدنا الحسين وأهله لا أدري ـ وهذا الوضع موجود فما هي المشكلة، ثم أخيراً، في العادة تحب أن تختم برسالة إلى من تشاء من الشعب العراقي أو إلى سياسيين فيه.***

حسيب: أحب أن أوجه نداءاً إلى الشعب العراقي، أقول فيه إنه مهما يكن الوضع الحالي مظلماً والمعاناة شديدة، ومن السهل على المرء أن يجلس في لندن ويتكلم معهم ويعطيهم نصائح، ولكن أنا أعتقد أن الفجر قريب، وفي تقديري لن تستغرق العملية أكثر من أشهر محدودة بعد الانتخابات الأمريكية، وسنجد الأمريكيون يبدأون بالخروج من العراق.

■ ***الدكتور خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية، السياسي والكاتب والمفكر العراقي، شكراً جزيلاً لك، وشكراً لكم أعزائي المشاهدين في الموصل في بغداد، الناصرية، في أم قصر في الكوت، أينما شاهدتم هذا البرنامج في العراق ولكم التحية والتهاني بمناسبة شهر رمضان المبارك وإن شاء الله رمضان القادم يكون الوضع في العراق أفضل بكثير مما هو عليه الآن، وشكراً مشاهدينا في تونس ونواكشوط وبغداد والقاهرة والخرطوم وحيثما يصلكم بث قناة المستقلة، دمتم في حفظ الله ورعايته والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركات.***

الوثيقة رقم (١)

أ ـ النص الإنكليزي

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

CLASSIFIED BY FRANK WISNER
SUBJECT TO GENERAL DECLASSIFICATION
SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652
AUTOMATICALLY DOWNGRADED AT TWO-
YEAR INTERVALS AND DECLASSIFIED ON
DECEMBER 31, ________

SECRET/NODIS/XGDS

(1)

MEMORANDUM OF CONVERSATION

SECRET

PARTICIPANTS:	Sadun Hammadi, Minister of Foreign Affairs of Iraq Falih Mahdi 'Ammash, Iraq Amb. to France ________ ________, Aide Dr. Henry A. Kissinger, Secretary of State Isa Sabbagh, PAO, Amembassy Jidda Peter W. Rodman, NSC Staff
DATE AND TIME:	Wednesday, December 17, 1975 12:20 - 1:18 p.m.
PLACE:	Iraqi Ambassador's Residence Rue d'Andigne Paris XVI

Kissinger: Our two countries have not had much contact with each other in recent years, and I wanted to take this opportunity to establish contact. I know we won't solve all our problems in one meeting. It will take at least two. [Laughter] I thought a brief exchange of views would be helpful and I appreciate your courtesy in receiving me.

Hammadi: I am glad to see you, Your Excellency. We haven't had contacts, for reasons that you know and we know. It is always useful to exchange views.

Kissinger: Our basic attitude is that we do not think there is a basic clash of national interests between Iraq and the United States. For a variety of reasons, Iraq and the United States have been on opposing sides. But we have managed to normalize relations with most of the other Arabs. On purely national grounds, we see no overwhelming obstacles on our side. Maybe you have a different view.

SECRET/NODIS/XGDS

CLASSIFIED BY Henry A. Kissinger
EXEMPT FROM GENERAL DECLASSIFICATION
SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652
EXEMPTION CATEGORY 5B(1),(3)
AUTOMATICALLY DECLASSIFIED ON Imp. to det.

Hammadi: We of course have different views, and I will tell you why. Iraq is part of the Arab world. We believe the United States has been the major factor in building up Israel to what it is today.

Kissinger: True.

Hammadi: It was created in 1948 and could not have lived up to this day without the United States.

Kissinger: The Soviet Union was active then too.

Hammadi: True. That is why there were some strained relations with the Soviet Union. Our good relations with the Soviet Union are only more recent. The Communists were not popular with the masses then.

But the difference is you believe Israel is there to stay. We believe Israel was established by force and is a clear-cut case of colonialism. Israel was established on part of our homeland. You don't believe that.

But that is not the whole story. Israel is now a direct threat to Iraq's national security.

Kissinger: How to Iraq?

Hammadi: Israel has built up to a military power that can threaten Iraq, especially with the recent news that we read of the US supplying sophisticated weapons. So it is not only the Arab world that is threatened, and Iraq being part of the Arab world, but Iraq itself. We think the US is building up Israel to have the upper hand in the area.

Even Lebanon -- they say it affects Israel's security. A strong, powerful nuclear Israel with the upper hand in the area. Whatever happens in the Arab world is interpreted as a threat to Israel. Even a change of government in Iraq would be interpreted that way.

Kissinger: My impression is if you change your government in Iraq, they won't object. [Laughter] I understand your problem.

Hammadi: This is my painting of the picture now -- up to 1980. You say the United States is bringing all its weight to bring about a settlement. But this is a settlement, not peace. A new wave of troubles and clashes will start, because Israel is not a state to stay within what they are. Because if there is an opportunity, they will expand. The record shows it. And they are supported by the biggest power in the area. What the United States is doing is not to create peace but to create a situation dominated by Israel, which will create a new wave of clashes.

SECRET/NODIS/XGDS

Kissinger: I understand what you are saying. When I say we are willing to improve relations with Iraq, we can live without it. But it is our policy to move toward better relations.

I think, when we look at history, that when Israel was created in 1948, I don't think anyone understood it. It originated in American domestic politics. It was far away and little understood. So it was not an American design to get a bastion of imperialism in the area. It was much less complicated. And I would say that until 1973 the Jewish community had enormous influence. It is only in the last two years, as a result of the policy we are pursuing, that it has changed.

We don't need Israel for influence in the Arab world. On the contrary, Israel does us more harm than good in the Arab world. You yourself said your objection to us is Israel. Except maybe that we are capitalists.

We can't negotiate about the existence of Israel but we can reduce its size to historical proportions.

I don't agree Israel is a permanent threat. How can a nation of three million be a permanent threat? They have a technical advantage now. But it is inconceivable that peoples with wealth and skill and the tradition of the Arabs won't develop the capacity that is needed. So I think in ten to fifteen years Israel will be like Lebanon -- struggling for existence, with no influence in the Arab world.

You mentioned new weapons. But they will not be delivered in the foreseeable future. All we agreed to is to study it, and we agreed to no deliveries out of current stocks. So many of these things won't be produced until 1980, and we have not agreed to deliver them then.

Our policy is to move our policy towards peace and to improve relations with the Arab world. Iraq is not a negotiator, but I think the policy of Egypt and Syria to improve relations with us helps us to bring pressure for a settlement.

The Israelis like you better than Sadat, because they like to put it in terms of a US-Soviet problem. We don't want you to have unfriendly relations with the Soviet Union; we don't interfere in your relations with the Soviet Union. But basically, the Israelis prefer radical Arabs.

If the issue is the existence of Israel, we can't cooperate. But if the issue is more normal borders, we can cooperate.

We have moved toward normalization with others -- except Libya. South Yemen we will move towards.

Hammadi: We are on the other side of the fence. We have the right to ask many questions.

Kissinger: Please.

Hammadi: Given the record, what can make us believe the United States won't continue the policy of the last twenty years of giving unlimited support.

Kissinger: It depends on what you mean by unlimited support. One important change in America...

Sabbagh was with me when I saw Faisal for the first time. I told him it would take a few years; we would have to move slowly. I have told all the Arabs this. It has now reached the point in America where attitudes have changed. When I testify to Congressional committees, I face increasingly hostile questions about Israel. No one is in favor of Israel's destruction -- I won't mislead you -- nor am I.

But the support in the 1960's was $200-300 million. Now it is $2-3 billion. That is impossible to sustain. We can't even get it for New York. It is just a matter of time before there is a change -- two to three years. After a settlement, Israel will be a small friendly country with no unlimited drawing right. It will be affected by our new electoral law, strangely enough. So the influence of some who financed the elections before isn't so great. This has not been so noticed. It will take a few years before it is fully understood.

So I think the balance in America is shifting. If the Arabs -- if I can be frank -- don't do anything stupid. If there is a crisis tied to the Soviet Union, groups in America could make it an anti-Communist crusade.

Hammadi: So you think the US policy after a settlement wouldn't be the same?

Kissinger: We want the survival of Israel, but not dominating the area. No one can conquer the Arab world. Even if they take Damascus, Cairo and Amman, you will be there, and Libya will be there. So if Israel wants to survive as a state like Lebanon -- as a small state -- we can support them.

Hammadi: What is the Israeli thinking?

Kissinger: First, they want to get rid of me. Because I made them go back. Second, in 1976 they want to provoke the Arabs -- in Lebanon, in Syria -- because they think if there is war they can win and create great

SECRET/NODIS/XGDS

[illegible]. Instead, they want to pass legislation in America to antagonize as many Arabs as possible. So we get the anti-boycott, anti-discrimination, anti-arms sales legislation. They hope the Arabs will go back to a situation like 1967-1973, when the Syrians and Egyptians adopt an anti-American line. So they can say they are the only American friend in the Middle East. What they want is what you predict -- that they be the only friend. We want other friends, to reduce that argument.

Aide: Your Excellency, do you think a settlement would come through the Palestinians in the area? How do you read it? Is it in your power to create such a thing?

Kissinger: Not in 1976. I have to be perfectly frank with you. I think the Palestinian identity has to be recognized in some form. But we need the thoughtful cooperation of the Arabs. It will take a year or a year and a half to do it, and will be a tremendous fight. An evolution is already taking place.

Aide: You think it will be part of a solution?

Kissinger: It has to be. No solution is possible without it. But the domestic situation is becoming favorable. More and more questions are being asked in Congress favorable to the Palestinians.

Hammadi: Do you think a Palestinian state is possible?

Kissinger: We don't exclude it as a matter of principle. You can't do it now.

Hammadi: What about the Palestinians who are now refugees? The Palestine area is now crowded -- Gaza and the West Bank.

Kissinger: They should have a choice, either to stay where they are or go to a Palestinian state.

Hammadi: You think some in, say, the Galilee area might choose to leave Israel and join the new Palestinian state?

Kissinger: In Galilee?

Hammadi: Arab Israelis.

Kissinger: I have told friends that peace isn't a final end. Wars begin elsewhere between countries that are at peace. Only in the Middle East do wars begin between countries that are at war.

SECRET/NODIS/XGDS

But we support the existence of Israel. We draw the line at the destruction of Israel.

Aide: The Palestinians already put aside this idea. This is my personal view. Because the Israelis are trying to buy land in the Galilee area and there is resistance. The Communist Party in the area is using it in the municipal elections. Is this because the Israelis are looking to the creation of a Palestinian state and want to buy this land?

Kissinger: It could be in their minds. I am not familiar with it.

Aide: This is being used by the Communist Party in the area. The Israelis know you Americans are behind the idea of a Palestinian state.

Kissinger: We have to be careful and move gradually. The Israeli press accuses me. I have said we can't move to the Palestinians until they accept the existence of the State of Israel and Security Council Resolution 242. I have never excluded the recognition of the PLO; I have always tied it to recognition of Israel and 242. The implication is we will do something if they do recognize Israel and 242.

Aide: Kaddumi says: "How can we recognize Israel if they don't recognize the PLO?"

Kissinger: With all respect, what Israel does is less important than what the United States does.

Hammadi: Your Excellency, your and our points of view are different. You are for the existence of Israel; we are not. So on this point I don't think we can agree.

Maybe we can talk of other aspects.

We are not against improving relations with any state, even states with whom we have basic differences.

We read in the newspapers the United States was providing weapons to the Kurdish movement in the north of Iraq. Our attitude is not based on that; we have a reason to believe the US was not out of this. What is your view?

Kissinger: When we thought you were a Soviet satellite, we were not opposed to what Iran was doing in the Kurdish area. Now that Iran and you have resolved it, we have no reason to do any such thing. I can tell you we will engage in no such activity against Iraq's territorial integrity, and are not.

Hammadi: This is a result of that agreement? That you think we are not satellites?

Kissinger: We have a more sophisticated understanding now. We think you are a friend of the Soviet Union but you act on your own principles.

Hammadi: Next year, if we sign an economic agreement with the Soviet Union, will you go back to the other view?

Kissinger: I wouldn't be here if we were not willing to have a new relationship with Iraq. If you have an economic relationship with the Soviet Union, that is your business. We don't interfere. It is our view that you are pursuing your own policies. We don't like what you are doing on your own. [Laughter]

We are moving towards more complex relations with the Arabs. Our policy now we don't think is inconsistent with the integrity and the dignity of Iraq.

Hammadi: We have different concepts. We have relations with the Soviet Union; we import arms from the Soviet Union. That led the United States to intervene and encourage a movement that would cut our country to pieces.

Kissinger: That goes too far. We were not the principal country involved there.

Hammadi: But the United States contributed arms in a way.

Kissinger: In a way.

Hammadi: And the Kurds wanted to cut Iraq to pieces.

Kissinger: There is no purpose discussing the past. I can only tell you what our intentions are. I understand what your concerns and suspicions are. We can wait. We need not draw any practical conclusions from this meeting.

Hammadi: Our concern is, has the United States really changed its position? What would insure that this would not be repeated in the future? Any time any country exercises its sovereign right, the United States gets involved in an activity that goes to heart of its integrity?

Kissinger: Take Syria. Syria gets all its arms from the Soviet Union. The Syrians will confirm we have never interfered in their affairs and never

interfered in their military relationship with the Soviet Union. We have made diplomatic attempts to influence their policy, which is normal. So with more mature relations with the Arabs, that is excluded.

Hammadi: What about Lebanon?

Kissinger: We have stayed out of Lebanon. We have done nothing in Lebanon. My view is that the Moslem weight will have to increase. We have had many talks with the Syrians and the Saudis but we have not engaged in any intelligence activities. That I can tell you. I mean, we collect information but not arms.

Hammadi: The United States is not in favor of dividing the country?

Kissinger: We are opposed.

Hammadi: The United States is not involved but would oppose.

Kissinger: We have not been asked, but if we were, we would oppose. I have made repeated public statements in favor of the integrity of Lebanon.

Hammadi: I am glad to hear it because we in Iraq are very sensitive to territorial integrity. Why are you opposed?

Kissinger: Because we believe the basis for peace in the Middle East is the integrity of the States in the area. Then you would have two more fragments. A Christian state would have to find outside support and a Moslem state would have to find outside support. It would add instability. You must know we are for the unity of Lebanon.

Hammadi: We were concerned about Israeli intervention.

Kissinger: We have strongly warned Israel about it. It would only gain them another few 100,000 Arabs and make a settlement impossible.

Hammadi: Is anyone internationally favoring a split?

Kissinger: No one I can see.

Hammadi: None of the big powers?

Kissinger: The Europeans like to play without risk. In the Middle East you can't play without risk. I tell you flatly, we won't support it.

We are prepared to cooperate to support the unity of Lebanon. We are only afraid that if we become active, the Soviet Union will become active. We have talked to Syria and Saudi Arabia and Egypt and Algeria.

Hammadi: I would like to sum it up -- our concern in our bilateral relations. We differentiate between political and other kinds of relations. A few years ago we lumped them all together. Economically, technically, Iraq is not closed to the United States. There is no objection to developing relations with the United States on the economic and cultural level. Only on the basis of noninterference in internal affairs. There are some U.S. companies in Iraq and they are assured they are treated fairly.

On the political level, we broke relations for a reason and we think the reason stands.

Kissinger: Leaving aside diplomatic relations -- and you will want to think about it -- if we want to exchange views, we could send somewhat more senior people to the Interest Sections in each other's capital.

Hammadi: But the higher the level of representatives, the closer we are getting to diplomatic relations.

Kissinger: But how do we do it? Through the UN mission? Or your people in Washington?

Hammadi: We can do it on a case-by-case basis.

Kissinger: All right. When you come to New York, we can meet. We can do it on a case-by-case basis.

You will see: Our attitude is not unsympathetic to Iraq. Don't believe; watch it.

Hammadi: We are a small state. We have to be more careful.

Kissinger: Things will evolve. We can stay in touch through Washington or New York.

Hammadi: Finally, I would like to say this Kurdish problem is of vital importance to us.

Kissinger: I can assure you. There will be no concern. One can do nothing about the past.

Hammadi: Not always.

[The Foreign Minister escorted Secretary Kissinger and his party to the door.]

ب ـ الترجمة العربية
(ترجمة جريدة الشرق الأوسط)

الشرق الأوسط Asharq Al-Awsat
جريدة العرب الدولية
2 يناير (كانون الثاني) 2004

إطبـــــع هـــــذه الصفحـــــة

«الشرق الأوسط» تنشر وثائق عن أول لقاء بين كيسنجر وسعدون حمادي في ١٩٧٥

كيسنجر لحمادي: إسرائيل تفضل التعامل مع العراق الراديكالي على التعامل مع مصر السادات * لم نمانع بتدخل إيران في شمال العراق لأننا اعتبرناكم تابعين لموسكو.. والآن غيرنا موقفنا لأننا وجدناكم غير ذلك

واشنطن: «الشرق الأوسط»

أظهرت وثيقة رسمية اميركية ترجع الى عام ١٩٧٥ ورفعت عنها السرية مؤخرا ان الولايات المتحدة عرضت على قيادة حزب البعث الحاكم في العراق سابقا الافكار نفسها التي عرضتها على الرئيس المصري انور السادات بخصوص الاعتراف باسرائيل وتطبيع العلاقات معها والقيام بجهد في هذا الاتجاه بين القوى الراديكالية العربية. والوثيقة هي نص حوار جرى في ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ بين وزير الخارجية الاميركية آنذاك هنري كيسنجر ووزير الخارجية العراقية سعدون حمادي (عضو القيادة القطرية لحزب البعث). وهو حوار جرى في منزل السفير العراقي في باريس صالح مهدي عماش الذي كان في السابق وزيرا للدفاع ونائبا لرئيس الجمهورية وعضوا في القيادة القطرية ايضا. وكان ذلك اول لقاء بين الولايات المتحدة والعراق على هذا المستوى منذ انقلاب ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٨ الذي جاء بحزب البعث الى السلطة في العراق. في ذلك اللقاء قال كيسنجر لحمادي: «لا أظن أن هناك أي اصطدام أساسي في المصالح القومية بين العراق والولايات المتحدة». وحين رد حمادي ان الخلاف يبقى بشأن اسرائيل قال كيسنجر انه لا مساومة على وجود إسرائيل، «أما إذا كانت القضية بين العرب وإسرائيل تتعلق بمسألة حدود فإننا يمكن أن نتعاون في ذلك». وفي اللقاء اتفق الوزيران على أنه لا عوائق أمام العلاقات «الاقتصادية والثقافية». وشدد كيسنجر القول لحمادي «الاسرائيليون يفضلونكم اكثر من السادات لانهم يريدون وضع الامر في سياق المشكلة الاميركية ـ السوفياتية.. الإسرائيليون يفضلون العرب الراديكاليين». المشاركون في اللقاء الجانب العراقي: سعدون حمادي وزير الخارجية وصالح مهدي عماش سفير العراق في باريس واحد المساعدين. الجانب الاميركي: هنري كيسنجر وزير الخارجية وعيسى صباغ المسؤول في السفارة الاميركية لدى السعودية وبيتر رودمان من مجلس الامن القومي. التاريخ: الاربعاء ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ الساعة: ١٢:٢٠ ـ ١:١٨ المكان: مقر اقامة السفير العراقي في باريس هنري كيسنجر: لم يكن بين بلدينا الكثير من الاتصالات في السنوات الاخيرة واردت ان انتهز هذه الفرصة لتأسيس اتصالات. اعرف اننا لن نحل كل المشاكل في مقابلة واحدة لذلك سيستغرق على الاقل مقابلتين

مضحك من الجميع. اعتقد ان تبادلا مختصرا لوجهات النظر قد يساعد وانا اقدر استقبال بلدك لي. حمادي: انا سعيد لرؤيتك يا صاحب الفخامة. لم تكن هناك اتصالات لاسباب تعرفها انت ونعرفها نحن. ولكنه من المفيد دائما تبادل وجهات النظر. كيسنجر: ان منهجنا الاساسي هو اننا لا نظن ان هناك اي تصادم أساسي بين المصالح القومية لكل من العراق والولايات المتحدة الأمريكية، فلاسباب عديدة كان العراق والولايات المتحدة على جانبين متعارضين. ولكننا استطعنا تطبيع العلاقات مع معظم العرب الآخرين. وبناء على اسباب أمنية محض قومية لا نرى عوائق كبيرة من جانبنا. وقد تكون لك وجهة نظر مختلفة. حمادي: طبعا لنا وجهة نظر مختلفة وسوف اقول لك لماذا. ان العراق جزء من العالم العربي. ونحن نعتقد ان الولايات المتحدة كانت العامل الاساسي في بناء اسرائيل الى ما هي عليه اليوم. كيسنجر: اصلا. حمادي: لقد تكونت اسرائيل في ١٩٤٨ ولم يكن لها ان تعيش اليوم من دون الولايات المتحدة. كيسنجر: لقد كان الاتحاد السوفياتي نشيطا في ذلك الوقت أيضا. حمادي: حقا. وهذا هو السبب لوجود بعض العلاقات المضطربة مع الاتحاد السوفياتي. ان علاقاتنا الجيدة مع الاتحاد السوفياتي الآن حديثة العهد. ولم يكن الشيوعيون ذوي شعبية مع الجماهير في ذلك الوقت. ولكن الفرق هو انكم تعتقدون ان اسرائيل سوف تبقى للابد. نحن نعتقد ان اسرائيل تم تأسيسها بالقوة وهي حالة ساطعة وجلية من الاستعمار. لقد تم تأسيس اسرائيل على جزء من ارضنا الام. وانتم لا تعتقدون في ذلك. ولكن ليست تلك كل القصة. ان اسرائيل الان هي تهديد مباشر لامن العراق القومي. كيسنجر: وكيف تشكل تهديدا للعراق؟ حمادي: بنت اسرائيل قوة عسكرية يمكن ان تهدد العراق وخصوصا ان الانباء الحديثة التي قرأناها تفيد بان امريكا تمد اسرائيل باسلحة متطورة للغاية. وانا ليس فقط العالم العربي هو مصب التهديد «الاسرائيلي» بل العراق نفسه أيضا باعتباره جزءا من العالم العربي. نحن نعتقد ان امريكا تبني اسرائيل لتكون لها اليد العليا في المنطقة. حتى لبنان — يقولون انه يؤثر على أمن اسرائيل — اسرائيل القوية القادرة النووية التي لها اليد العليا في المنطقة. ان اي شيء يحدث في العالم العربي يترجم على انه تهديد لاسرائيل. حتى اي تغيير للحكومة في العراق يترجم على هذا المنوال. كيسنجر: ان انطباعي هو انكم لو غيرتم حكومتكم في العراق فانهم «اي الاسرائيليون» لن يمانعوا «ضحكات». وانا افهم مشكلتك. حمادي: هذا هو تصوري للامور — حتى عام ١٩٨٠. انت تقول ان الولايات المتحدة تلقي بكل ثقلها من اجل الوصول الى تسوية. ولكن تلك مجرد تسوية لا سلام. فموجة جديدة من المشاكل والاصطدامات سوف تبدأ لأن اسرائيل دولة لا تريد ان تبقى ضمن حدود ما هي الآن. لأنه لو هناك فرصة فانهم سيتوسعون. وسجلهم يوضح ذلك. وهم في المنطقة لتصميم اكبر فرد. ان ما تفعله الولايات المتحدة ليس خلق سلام ولكنها تخلق موقفا تتم فيه هيمنة اسرائيل وهو ما سيؤدي الى موجة اخرى من الصدامات. كيسنجر: انني افهم ما تقوله. فعندما اقول اننا نرغب في تحسين العلاقات مع العراق فاننا أيضا يمكننا ان نعيش من دون ذلك. ولكن سياستنا ان نتحرك باتجاه علاقات افضل. اعتقد انه عندما ننظر الى التاريخ عندما تم تأسيس اسرائيل في ١٩٤٨ لم يفهم ذلك اي شخص. لقد بدأ الامر في السياسة الامريكية الداخلية. لقد كانت اسرائيل بعيدة ولم يفهما جيدا. لذلك فإن الأمر لم يكن تخطيطا لأمريكا ان يكون هناك صرح للامبريالية في المنطقة. كان الأمر اقل تعقيدا من هذا بكثير انني اقول انه حتى عام ١٩٧٣ كان للجالية اليهودية تأثير ضخم في امريكا ولكن في السنتين الأخيرتين، والنتيجة للسياسة التي نتبعها، تغير ذلك. اننا لسنا بحاجة الى اسرائيل من اجل النفوذ في العالم العربي. بل على العكس من ذلك لقد سببت لنا اسرائيل الضرر اكثر من الخير في العالم العربي. ولقد قلت انت نفسك ان اعتراضكم علينا هو اسرائيل غير اننا اناس رأسماليون. ولا يمكننا المناقشة حول وجود اسرائيل ولكن يمكننا انقاص حجمها الى نسب تاريخية. وانا لا اوافقك في ان اسرائيل تهديد دائم. فكيف لأمة من ثلاثة ملايين نسمة ان تكون تهديدا دائما؟ ان لهم قوتا فيها الآن. ولكن من غير المعقول ان شعبا لها على

ومهارات وأصول العرب لا يمكن لها ان تطور القدرات التي تحتاجها. لذلك انا اعتقد انه في عشرة الى خمسة عشر عاماً ستكون اسرائيل مثل لبنان ـ تناضل من اجل وجودها بلا تأثير في العالم العربي. لقد ذكرت الاسلحة الجديدة ولكنها لن يتم تسليمها في المستقبل القريب فكل ما اتفقنا عليه مع الاسرائيليين هو دراسة الامر كما اتفقنا على عدم تقديم اسلحة من المخزون الحالي. ولذلك فإن الكثير من تلك الأشياء الأسلحة لن يتم انتاجها حتى عام ١٩٨٠ ولم نتفق على تسليمها في ذلك الوقت. إن سياستنا هي التحرك باتجاه السلام وتحسين العلاقات مع العالم العربي. والعراق ليس من المفاوضين ولكني اعتقد ان سياسة مصر وسورية في تحسين العلاقات معنا تساعد على خلق ضغط من اجل احداث تسوية. والإسرائيليون يفضلونكم اكثر من السادات لأنهم يريدون وضع الأمر في سياق المشكلة الأميركية ـ السوفياتية نحن لا نريد ان تكون لديكم علاقات غير طيبة مع الاتحاد السوفياتي ونحن لا نتدخل في علاقاتكم مع الاتحاد السوفياتي ولكن في الأصل يفضل الإسرائيليون العرب الراديكاليون. واذا كانت المشكلة هي وجود اسرائيل فلن يمكننا ان نتعاون ولكن إذا كانت القضية هي حدود اكثر اعتيادية يمكننا التعاون. لقد تحركنا باتجاه التطبيع مع الأخرين باستثناء ليبيا وسوف نتحرك باتجاه اليمن الجنوبي. حمادي: إننا على جانب آخر من الصورة وانا الحق في طرح أسئلة عديدة. كيسنجر: تفضل. حمادي: بالنظر إلى السجل ما الذي سيجعلنا نصدق أن الولايات المتحدة لن تستمر في سياسة العشرين سنة الأخيرة في إعطاء الدعم غير المحدود لإسرائيل. كيسنجر: إن الأمر يتوقف على ما تعنيه بكلمة الدعم غير المحدود... كان صباغ معي حينما قابلت الملك فيصل المرة الأولى. وقلت له ان الأمر سيستغرق عدة سنوات ويجب ان نتحرك ببطء. وقلت لكل العرب ذلك. لقد وصل الأمر في أميركا لنقطة تغيرت فيها المفاهيم. فعندما تتحدث لجان الكونغرس تواجهني أسئلة عدائية بشكل متزايد في ما يتعلق بإسرائيل. لا احد يفضل تدمير اسرائيل ـ لن اسمح بذلك ـ ولا انا افضل ذلك. لقد كان مقدار الدعم الاميركي لاسرائيل في الستينات حوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار أما الأن فهو من ٢ إلى ٣ مليارات دولار. إن هذا من المستحيل الحفاظ عليه. إننا حتى لا نستطيع ان نقدم هذا المبلغ انيويورك إن الأمر كله مسألة وقت قبل ان يحدث تغيير ـ سنتين أو ثلاثة. وبعد التسوية ستكون اسرائيل دولة ودودة صغيرة ليس لها حقوق السحب بلا حدود. وسوف تتأثر بقوانينا الإنتخابية لذلك فإن تأثير بعض ممن موّلوا انتخاباتنا من قبل لن يكون كبيرا بهذه الدرجة. وهو الامر الذي لم يلحظه الكثيرون بشكل كبير وسوف يستغرق الامر بضع سنوات قبل ان يتم استيعابه بشكل كامل. لذلك انا اعتقد ان الموازين في امريكا تتغير، إذا لم يقم العرب ـ ودعني اقول بصراحة ـ بفعل اي شيء غبي. فإذا كانت هناك أزمة مرتبطة بالإتحاد السوفياتي فإن الجماعات في اميركا يمكن ان تصور الامر حملة عسكرية ضد الشيوعية في المنطقة. حمادي: إذا انت تعتقد ان السياسة الأميركية بعد التسوية لن تبقى على حالها الآن؟ كيسنجر: إننا نريد بقاء دولة اسرائيل لا الهيمنة عليها. لا أحد يمكنه غزو العالم العربي. حتى لو احتلوا دمشق، والقاهرة وعمان فإنكم ستبقون هناك وستبقى ليبيا هناك. لذلك إذا كانت إسرائيل ترغب في البقاء على الحياة كدولة مثل لبنان ـ دولة صغيرة ـ فإننا سندعمهم. حمادي: وما هو تفكير الإسرائيليين؟ كيسنجر: أولا هم يريدون التخلص مني لأنني جعلتهم يتراجعون. وثانيا في ١٩٧٦ هم يريدون استثارة العرب ـ في لبنان وفي سورية ـ لأنهم يعتقدون انه إذا كانت هناك حرب يمكن ان ينتصروا ويحتلوا اراضي كبيرة. ثالثا هم يريدون تمرير قوانين في اميركا لإستعداء أكبر عدد ممكن من العرب. لذلك هناك قوانين ضد المقاطعة وضد التمييز وضد بيع الأسلحة لذلك هم يريدون ويأملون في ان يرجع العرب الى وضع مثل فترة ما بين ١٩٦٧ الى ١٩٧٣، حينما اتخذ السوريون والمصريون منهجا ضد اميركا، لكي يتمكنوا من القول انهم اي في اسرائيل هم صديق اميركا الوحيد في الشرق الأوسط. ان ما يريدونه هو ما يتوسلونه ـ ان يكونوا هم الصديق الوحيد. ونحن نريد اصدقاء آخرين للتقليل من هذه الجهة. أحد المساعدين

العراقيين: هل تعتقدون أن تسوية ما يمكن ان تأتي عن طريق الفلسطينيين في المنطقة؟ كيف تقرأ ذلك الأمر؟ وهل في قدرتكم خلق مثل هذا الشيء؟ كيسنجر: ليس في ١٩٧٦ يجب ان أكون صريحا معك بالكامل. اعتقد ان الهوية الفلسطينية يجب ان يعترف بها بصورة أو بأخرى. ولكننا نريد التعاون المبكر من العرب. ان الامر سيستغرق سنة أو سنة ونصف القيام بذلك وستكون معركة ضخمة. فهناك تطور يحدث بالفعل. أحد المساعدين: هل تعتقد ان ذلك سيكون جزءا من الحل؟ كيسنجر: يجب ان يكون الامر كذلك لا يمكن الحل بدونها ولكن الموقف المحلي متاح الآن. والمزيد من الأسئلة التي يتم توجيهها في الكونغرس تدول الفلسطينيين. حمادي: هل تعتقد ان دولة فلسطينية ممكنة؟ كيسنجر: اننا لا نستبعدها كمسألة مبدأ ولكن لا يمكننا فعل ذلك الآن حمادي: ولكن ماذا عن الفلسطينيين اللاجئين الآن؟ كيسنجر: لا بد ان يكون لهم الاختيار إما البقاء حيث هم أو يرجعوا الى دولة فلسطينية. حمادي: هل تعتقد ان مثلا من في منطقة الجليل يمكن ان يتركوا اسرائيل وينضموا الدولة الفلسطينية؟ كيسنجر: في الجليل؟ حمادي: اعني عرب اسرائيل. كيسنجر: لقد اخبرت الاصدقاء ان السلام ليس هو النهاية. فالحرب تبدأ في اماكن اخرى بين تلك الدول التي بينها سلام. فقط في الشرق الاوسط تبدأ الحروب بين دول في حالة حرب. نحن ندعم وجود اسرائيل ونضع خطا امام مسألة تدمير اسرائيل. احد المساعدين: لقد طرح الفلسطينيون هذه الفكرة جانبا. تلك هي وجهة نظري الشخصية. لأن الاسرائيليين يحاولون شراء اراض في الضفة الغربية وهناك مقاومة لذلك. الحزب الشيوعي في المنطقة يستخدمها في الانتخابات المحلية. هل ذلك بسبب ان الاسرائيليين يتوقعون دولة فلسطينية ولذلك يرغبون في شراء اراض؟ كيسنجر: يمكن ان يكون ذلك في اذهانهم. لست على معرفة بالامر. احد المساعدين: ان هذا يتم استغلاله من قبل الحزب الشيوعي في المنطقة. فالاسرائيليون يعرفون انكم معشر الامريكيين تقفون خلف فكرة دولة فلسطينية. كيسنجر: يجب ان نكون حريصين ونتحرك في تدرج. فالصحافة الاسرائيلية تتهمني. وقد قلت انه لا يمكننا ان نحرك الفلسطينيين حتى يقبلوا وجود دولة اسرائيل وقرار مجلس الامن ٢٤٢. لم استبعد ابدا الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، دائما ما ربطت ذلك بالاعتراف بدولة اسرائيل والقرار ٢٤٢. والمغزى هنا اننا سنفعل شيئا اذا اعترفوا بإسرائيل والقرار ٢٤٢ . احد المساعدين: لقد قال قدومي: «كيف يمكن ان نعترف بإسرائيل اذا لم يعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية؟» كيسنجر: مع كل احترامي ان ما تفعله اسرائيل اقل اهمية مما تفعله الولايات المتحدة. حمادي: يا فخامتك، ان وجهات نظرك ووجهات نظرنا مختلفة. انت تدعم وجود اسرائيل، ونحن لا نفعل ذلك. لذلك في هذه النقطة لا اعتقد انه يمكننا ان نتفق. ربما يمكننا التحدث في موضوعات اخرى. فنحن لسنا ضد تحسين العلاقات مع اي دولة حتى الدول التي لنا معها اختلافات اساسية. نحن نقرأ في الجرائد ان الولايات المتحدة كانت تقدم الاسلحة للحركة الكردية في شمال العراق. واسلوبنا لا يعتمد على ذلك، فلدينا اسباب للاعتقاد ان الولايات المتحدة لم تكن خارج الامر. اما رأيك؟ كيسنجر: حينما اعتقدنا انكم مجرد دولة تابعة للاتحاد السوفياتي، لم نمانع ما كانت ايران تقوم به في المناطق الكردية. اما الان وقد حللتم الامر «عن طريق اتفاق التقسيم في مارس من العام نفسه» فليس لدينا سبب لفعل مثل ذلك الامر. يمكنني ان اخبركم اننا لن نشترك في مثل تلك الانشطة ضد وحدة الاراضي العراقية، ونحن لا نفعل ذلك. حمادي: وذلك نتيجة تلك الاتفاقية؟ انك تعتقد الآن اننا لسنا دولة تابعة؟ كيسنجر: انا افهم اعمق الآن. نعتقد انكم صديق للاتحاد السوفياتي ولكنكم تتصرفون وفق مبادئكم. حمادي: العام القادم اذا وقعنا اتفاقية اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي فهل سترجعون الى تلك النظرية القديمة؟ كيسنجر: لم اكن لأكون هنا اذا لم نكن نريد علاقات جيدة مع العراق. اذا كانت لكم علاقات اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي فذلك شأنكم. نحن لا نتدخل فوجهة نظرنا هي انكم تتبعون سياستكم انتم. فنحن لا نحب ما تقولونه بمفردكم. «ضحك». اننا نتحرك باتجاه علاقات اكثر تعقيدا مع العرب. اننا لا نعتقد ان

سياستنا الان تستقيم مع وحدة وعزة العراق. حمادي: لدينا مفاهيم اخرى. إن لنا علاقات مع الاتحاد السوفياتي ونحن نستورد من الاتحاد السوفياتي وأدى ذلك بالولايات المتحدة الى التدخل وتشجيع حركة ستقطع بلدنا اربا. كيسنجر: هذا مبالغ فيه. لم نكن نحن الدولة الرئيسية المتورطة في ذلك. حمادي: لكن الولايات المتحدة ساهمت بطريقة ما. واراد الاكراد تقطيع العراق قطعا. كيسنجر: ليس هناك فائدة من مناقشة الماضي. يمكنني فقط ان اقول لك ما هي اولوياتنا التي افهم همومك وشكوكك. يمكنني الانتظار. لسنا بحاجة الى الوصول الى اي نتائج عملية من هذا الاجتماع. حمادي: ان ما يقلقنا هو، هل غيرت الولايات المتحدة حقا من موقفها؟ ومن يضمن ان ذلك لن يتكرر في المستقبل؟ في اي وقت تمارس فيه اي دولة حقها في السيادة تتدخل الولايات المتحدة في نشاط يمس جوهر وحدتها؟ كيسنجر: فلنأخذ سورية مثلا. سورية تحصل على كل اسلحتها من الاتحاد السوفياتي. الا ان السوريين يشهدون اننا لم نتدخل ابدا في شؤونهم الداخلية ولم نتدخل ابدا في علاقاتهم العسكرية مع الاتحاد السوفياتي. لقد قمنا بمحاولات دبلوماسية للتأثير على سياستهم وهو امر طبيعي ولذلك مع وجود علاقات اكثر نضجا مع العرب سيكون ذلك مستبعدا. حمادي: وماذا عن لبنان؟ كيسنجر: لقد بقينا خارج لبنان لم نفعل اي شيء في لبنان ان وجهة نظري هي ان الثقل الإسلامي يجب ان يزيد هناك.

كانت لنا محادثات عديدة مع السوريين والسعوديين لكننا لم نقم بأي انشطة استخباراتية. يمكنني ان اخبرك بذلك. اعني اننا نجمع المعلومات وليست الأسلحة. حمادي: إذا ليست الولايات المتحدة تفضل تقسيم البلد؟ كيسنجر: نحن ضد ذلك. حمادي: الولايات المتحدة ليست مشتركة هناك ولكنها سوف تعارض. كيسنجر: لم يسألنا احد ولكن إذا سألنا احد فإننا سنعارض لقد اتيت الكثير من البيانات العلنية التي ادعم فيها وحدة لبنان. حمادي: انا سعيد جدا لسماعي ذلك فنحن في العراق حساسون لوحدة الأراضي. ولكن لماذا انتم معارضون؟ كيسنجر: لأننا نؤمن ان اساس السلام في الشرق الاوسط هو سلامة الدول في المنطقة وبهذا سيكون هناك تقسيمان اخران. دولة مسيحية عليها ان تجد دعم الخارجي ودولة مسلمة عليها ان تجد دعما خارجيا. سوف يضيف ذلك من عدم الاستقرار. يجب ان تعرف اننا ندعم وحدة لبنان. حمادي: لقد كنا قلقين من تدخل اسرائيلي. كيسنجر: لقد حذرنا اسرائيل بقوة ضد ذلك فإن ذلك سوف يكسبهم «تعاطف» قلة من العرب تبلغ ١٠٠٠٠٠ وتجعل التسوية مستحيلة. حمادي: هل هناك من يدعم الانقسام على المستوى الدولي؟ كيسنجر: لا احد يمكنني رؤيته. حمادي: لا احد من القوى العظمى؟ كيسنجر: ان الأوروبيين يحبون اللعب من دون مخاطرات. لكن في الشرق الأوسط لا يمكنك ان تلعب من دون مخاطر وانا اقول لك بصراحة اننا لا ندعم ذلك اننا مستعدون للتعاون من اجل وحدة لبنان. اننا نخشى فقط انه إذا زاد نشاطنا فسوف يزيد نشاط الاتحاد السوفياتي هناك ايضا. لقد تحدثنا في ذلك مع سورية والسعودية ومصر والجزائر.

حمادي: اريد ان اختصر ذلك ان ما يعنينا هو علاقاتنا الثنائية ونحن نفرق بين العلاقات السياسية والأنواع الأخرى من العلاقات. منذ سنوات قليلة مضت كنا نجمعهم مع بعضهم البعض. من الناحية الاقتصادية والفنية. العراق ليس مغلقا بوجه الولايات المتحدة وليس هناك اعتراض على تطوير العلاقات مع الولايات المتحدة على المستويين الاقتصادي والثقافي ولكن فقط على اساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية. هناك بعض الشركات الاميركية في العراق ونحن نضمن معاملتهم بشكل حيادي. ولكن على المستوى السياسي فاننا قطعنا العلاقات لسبب معين ونحن نعتقد ان السبب مازال قائما. كيسنجر: بغض النظر عن العلاقات الدبلوماسية ــ وانا اعتقد انك ستفكر في ذلك ــ إذا اردنا تبادل وجهات النظر يمكننا ارسال بعض الناس ذوي المناصب المرتفعة الى قسم رعاية المصالح في كل من عاصمتينا. حمادي: ولكن كلما ارتفع مستوى التمثيل اقتربنا من العلاقات الدبلوماسية.

كيسنجر: ولكن كيف نفعل ذلك؟ عن طريق مكاتب الامم المتحدة؟ أم عن طريق رجالكم في واشنطن؟ حمادي: يمكننا ان نفعل ذلك على اساس كل حالة بمفردها. كيسنجر: حسنا إذا عندما تأتي الى

نيويورك يمكننا ان نتقابل ونقوم بذلك على اساس كل حالة بمفردها. وسوف ترى ان سياستنا ليست ضد العراق. لا عليك ان تصدق ولكن شاهد بنفسك. حمادي: نحن دولة صغيرة يجب ان نكون اكثر حرصا. كيسنجر: سوف تتطور الامور ويمكن ان نبقى على اتصال عن طريق واشنطن او نيويورك. حمادي: أخيرا ارغب ان اقول ان المسألة الكردية ذات أهمية حيوية بالنسبة لنا. كيسنجر: يمكنني ان اؤكد لك انه لن تكون هناك اية مصادر للقلق ولكن لا احد يستطيع ان يفعل شيئا يتعلق بالماضي. حمادي : ليس دائما. (ثم يرافق وزير الخارجية «العراقي» السيد كيسنجر ورفاقه إلى الباب)

الوثيقة رقم (٢)

موقف الرئيس العراقي من عرض اللوبي اليهودي في أمريكا

رئاسة الجمهورية

السكرتير

سري للغاية وشخصي

العدد/ ٢١٢٧/ ك

التاريخ/ ٤ ذو الحجة ١٤١٤هـ

١٥/ ٥/ ١٩٩٤م

الرفيق عدي صدام حسين المحترم

رئيس اللجنة الاولمبية الوطنية العراقية

م/ تقرير

اطلع السيد الرئيس القائد حفظه الله على رسالتكم المؤرخة في ٧/ ٥/ ١٩٩٤ ومرفقها تقرير لقاء السيد سعد عبد المجيد الفيصل - وكيل وزارة الخارجية بالسيد رؤوف بطرس غالي وعلق سيادته بما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اصبحت الاشارة التي وردتنا عن طريق الجانب عن امكانية شقيق بطرس غالي (الأمين العام للأمم المتحدة) لتغيير مواقف شقيقه هي بالنتيجة محاولة بصورة او بأخرى وضياع في وهم التصور ان هنالك امكانية لتغيير مواقف الصهيونية تحت التلويح بأمكانية ان يأتي الفرج عن طريقهم الذي خسروا وخابوا وخاب العرب الذين طمعوا في امكانية ان يحصل هذا في سياسة بعض الانظمة الخائبة، ولذلك يبقى هذا الباب مغلقاً الا اذا حاول شقيق بطرس العادة فتحه فلا مانع من اللقاء به، ولكن بشرط عدم طرح موضوعة اللوبي الصهيوني مطلقاً ابداً.

للتفضل بالعلم .. مع التقدير

سكرتير رئيس الجمهورية

١٥/ ٥/ ١٩٩٤

قائمة ببليوغرافية
بمؤلفات الدكتور خير الدين حسيب

أولاً: الكتب والمقالات المنشورة بالعربية

الكتب

تقدير الدخل القومي في العراق، ١٩٥٣ ـ ١٩٦١. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٤. ٤٤٨ ص.

نتائج تطبيق القرارات الاشتراكية في السنة الأولى. بغداد: مطبعة دار الجمهورية، ١٩٦٥. ٦٢ ص.

قضايا التحويل الاشتراكي: مساهمة العمال في الإدارة في الوطن العربي: دراسة مقارنة. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١. ٢٠٨ ص.

مصادر الفكر العربي في الاقتصاد في العراق. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١. ١٢٠ ص.

مصادر الفكر الاقتصادي العربي في العراق، ١٩٠٠ ـ ١٩٧١. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢. ٤٨٠ ص.

مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. إشراف خير الدين حسيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨. ٥٧٤ ص. (مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي: التقرير النهائي)

مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤. ٢٦٨ ص. (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٣٥)

كتب مترجمة

الإصلاح الزراعي بين المبدإ والتطبيق. تأليف دورين ورينر؛ ترجمة خير الدين حسيب وحسن أحمد السلمان. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥. ٤٧٧ ص.

المقالات

«خدمات الدفاع والأمن والدخل القومي في العراق.» **الاقتصادي**: السنة ٤، العدد ٢، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣. ص ٦١ ـ ٦٧.

«نحو سياسة نفطية وطنية في العراق.» **دراسات عربية**: السنة ٤، العدد ٧، أيار/ مايو ١٩٦٨. ص ٣ ـ ١٦ و١٢٠ ـ ١٢٥.

«لقاء الشهر مع الدكتور خير الدين حسيب: مركز دراسات الوحدة العربية، الدور.. والمستقبل.» **العربي**: العدد ٢٩٣، نيسان/ أبريل ١٩٨٣. ص ٥٧ ـ ٦١.

«كلمة المستقبل العربي: بعد عشرة أعوام على تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧٣، آذار/ مارس ١٩٨٥. ص ٤ ـ ٧.

«كلمة المستقبل العربي بعد عشر سنوات.» **المستقبل العربي**: السنة ١١، العدد ١١١، أيار/ مايو ١٩٨٨. ص ٤ ـ ٥.

«الديمقراطية قادمة: استفيقوا... أيها العرب.» **المستقبل العربي**: السنة ١٢، العدد ١٢٨، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩. ص ٤ ـ ٥.

«كارثة الخليج مجموعة من الأخطاء والخطايا: مقابلة.» **المنتدى**: السنة ٦، العدد ٧١، آب/ أغسطس ١٩٩١. ص ١٠ ـ ١١.

«المؤتمر القومي العربي الثالث: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٥، العدد ١٥٩، أيار/ مايو ١٩٩٢. ص ٤٧ ـ ٥١.

«لبنان بعد اتفاق الطائف: الإيجابيات والسلبيات (حلقة دراسية): كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٥، العدد ١٦٥، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٢. ص ٦٦ ـ ٦٧.

«مشروع خطة عمل للحركة القومية العربية على المستوى الشعبي خلال التسعينيات.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٢، حزيران/ يونيو ١٩٩٣. ص ١٢٦ ـ ١٣٦.

«المؤتمر القومي العربي الرابع: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٢، حزيران/ يونيو ١٩٩٣. ص ٥٦ ـ ٦١.

«ندوة: «الوطن العربي والتحديات «الشرق أوسطية» الجديدة»: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤. ص ٤٩ ـ ٥٣.

«الأنظمة العربية والخطوط الحمر.» كلمة ألقيت في حفل العشاء السنوي لتجمع اللجان والروابط الشعبية، ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩.» **المنابر**: السنة ١٣، العدد ٩٩، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩. ص ١٨ ـ ٢٤.

«ثلاثون عاماً على وفاة جمال عبد الناصر (ملف): كلمة الدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٣، العدد ٢٦٢، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠. ص ٨١ ـ ٨٢.

«افتتاحية العدد: العيد الفضي لمركز دراسات الوحدة العربية: وقفة تقويمية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٥، العدد ٢٨٧، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣. ص ٤ ـ ١١.

«الحرب الأمريكية على العراق... إلى أين؟» **المستقبل العربي**: السنة ٢٥، العدد ٢٩٠، نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. ص ٦ ـ ٢٣.

«افتتاحية العدد: التياران القومي العربي والإسلامي: جناحان لا يحلقان إلا معاً.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٥، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٦ ـ ١٤.

«افتتاحية العدد: تحية إلى محمد حسنين هيكل بمناسبة عيد ميلاده الثمانين.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٦ ـ ٨.

«افتتاحية العدد: مصير الأمة العربية في ميزان العراق ٢٠٠٤.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٩، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ١٠.

«حوار حول الملف العراقي.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٣، أيار/ مايو ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ٣٠.

«حوار حول مستقبل العراق.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٤، حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ٢١.

«في تأبين يوسف صايغ: عقل اقتصادي عربي رائد.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٥، تموز/ يوليو ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ١٤.

«حوار حول الوضع العراقي الراهن وبعض قضايا المستقبل.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٦، آب/ أغسطس ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ٣٩.

«المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٧، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤. ص ٦ ـ ٣٠.

«انتخابات العراق تواجه مقاطعة واسعة وفترة بوش الثانية تواجه المقاومة.» مقابلة. **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣١٠، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤. ص ٢٢ ـ ٤١.

«الانتخابات العراقية ومشاهد المستقبل.» مقابلة. **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣١٣، آذار/ مارس ٢٠٠٥. ص ٦ ـ ٣٣.

«تقييم نقدي للمؤتمر القومي العربي خلال الخمس عشرة سنة الماضية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣١٥، أيار/ مايو ٢٠٠٥. ص ١٤ ـ ٣٧.

«حول التطورات في العراق: المقاومة تقوى وتنتشر والقوات الأمريكية تضعف.» مقابلة. **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣١٧، تموز/ يوليو ٢٠٠٥. ص ٦ ـ ٣٧.

«خير الدين حسيب للجزيرة: العمل الوحدوي الرسمي غائب.. والمركز يحاول ملء هذا الفراغ.» مقابلة. **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣١٩، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥. ص ٩ ـ ٢٥.

«جولة أفق لإذاعة الشرق مع خير الدين حسيب: أمريكا ـ العراق ـ الوحدة ـ المركز.» مقابلة. **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣٢١، تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥. ص ٣٦ ـ ٥٢.

«مبادرة لتحرير العراق: مقابلة على فضائية anb تشرح «المبادرة».» **المستقبل العربي**: السنة ٢٨، العدد ٣٢٣، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦. ص ١٠ ـ ٢٨.

«خير الدين حسيب يحاضر في واشنطن: العراق... إلى أين؟ العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلا المبادرة الوطنية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٩، العدد ٣٢٧، أيار/ مايو ٢٠٠٦. ص ٦ ـ ٢٦.

ثانياً: المنشورات بالأجنبية

Books

Arab Monetary Integration: Issues and Prerequisites. Edited by Khair el-Din Haseeb and Samir Makdisi. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Croom Helm, [n. d.]. 475 p.

«*An Estimate of the National Income of Iraq*.» (Doctoral Dissertation, University of Cambridge, 1959-1960).

The National Income of Iraq, 1953-1961. London; New York: Oxford University Press, 1964. 184 p.

The Arabs and Africa. Edited by Khair el-Din Haseeb. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Croom Helm, 1985. 717 p.

The Future of the Arab Nation: Challenges and Options. Khair el-Din Haseeb [et al.]. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Routledge, 1991. xiv, 520 p.

Arab-Iranian Relations. Edited by Khair el-Din Haseeb. Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 1998. xiv, 564 p.

Planning Iraq's Future: A *Detailed Project to Rebuild Post-liberation Iraq*. Edited by Khair el-Din Haseeb. Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 2006. 256 p.

Articles

«The National Income of Iraq, 1962 and 1963.» *Egypte contemporaine*: vol. 55, no. 37, juillet 1964. pp. 19-66.

المؤهلات العلمية للدكتور خير الدين حسيب

١ ـ بكالوريوس في الاقتصاد والتجارة ـ جامعة بغداد، ١٩٥٤.

٢ ـ ماجستير في الاقتصاد ـ مدرسة لندن للاقتصاد (London School of Economics)، ١٩٥٧.

٣ ـ دكتوراه في الاقتصاد (الدخل القومي) ـ جامعة كامبريدج، ١٩٦٠.

الخبرات والمسؤوليات

(١)	١٩٨١ ـ حتى الآن	مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية
(٢)	١٩٧٦ ـ ٢ آب/ أغسطس ١٩٨٤	رئيس قسم الموارد الطبيعية والعلوم التقانة ـ اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة
(٣)	١٩٧٤ ـ ١٩٧٥	رئيس وحدة البرامج والتنسيق ـ اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة
(٤)	١٩٦٥ ـ ١٩٧٤	أستاذ الاقتصاد ـ جامعة بغداد
(٥)	١٩٦٣ ـ ١٩٦٥	محافظ ورئيس مجلس أمناء البنك المركزي في العراق
(٦)	١٩٦٤ ـ ١٩٦٥	رئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة ـ العراق
(٧)	١٩٦٤ ـ ١٩٦٥	رئيس المؤسسة العامة للمصارف ـ العراق
(٨)	١٩٦٠ ـ ١٩٦٣	مدير عام اتحاد الصناعات العراقية
(٩)	١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	رئيس قسم البحوث والإحصاء ـ شركة نفط العراق ـ بغداد

فهـــرس

- ب -

ـ ت ـ

- ح -

ـ خ ـ

ـ د ـ

- ر -

- ز -

- س -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

هذا الكتاب

قبل سنتين أصدر المفكّر العربي الدكتور خير الدين حسيب كتابه: **مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية** فرَصَد فيه التطوّرات منذ الاحتلال الأمريكي (٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣) وجذور هذه التطوّرات في مرحلة الحصار قبل خمسة عشر عاماً. وكان واضحاً في رؤيته أنّ المقاومة ستتمكّن من إخراج المحتلّ، وأنّ مستقبل العراق ستقرّره المقاومة بصورةٍ أساسيّة. واليوم في هذا الكتاب الجديد يشدّد على الموقف نفسه، ويخوض في تفاصيل متشعّبة، تضع القارئ في موقع الاطّلاع الدقيق على مجريات الأمور، وترسم الطريق المستقبلية في ضوء ما قصده الدكتور حسيب في عنوان الكتاب: **العراق: من الاحتلال إلى التحرير**. وهكذا يُقدم هذا الكتاب صورة وافية عن الخلفيّة الثقافية والمنهجيّة الفكريّة للمؤلّف، وهما تنطلقان من موقع وطني عراقي، وقومي عربي في وقتٍ واحد.

الدكتور خير الدين حسيب

- مفكر عراقي ـ مواليد العراق، آب/ أغسطس ١٩٢٩.
- دكتوراه في الاقتصاد ـ جامعة كامبريدج، ١٩٦٠.
- شغل في وطنه العراق عدداً من المناصب المهمة ـ خاصة في القطاع الاقتصادي ـ وأدى دوراً معروفاً في قرارات التأميم الاقتصادية في منتصف الستينيات من القرن العشرين. ومن أهم تلك المناصب: رئيس مجلس محافظي البنك المركزي العراقي (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) ـ رئيس المؤسسة الاقتصادية العراقية ـ رئيس «اتحاد الصناعات العراقية» ـ محافظ مناوب للبنك العراقي الدولي للإنشاء والتصميم.
- يعيش خارج العراق منذ عام ١٩٧٤، بسبب مواقف له دفاعاً عن الديمقراطيات والحريات العامة، لكنه يحتفظ بجنسيته العراقية.
- شارك في تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٧٧) ويتولى (منذ عام ١٩٨١) منصب مديره العام ورئيس تحرير مجلته الشهرية **المستقبل العربي** وهو المخطِّط الرئيسي للندوات التي يعقدها المركز.
- شارك في تأسيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان (١٩٨٣).
- شارك بالدور الأساسي في تأسيس المؤتمر القومي العربي (١٩٩١) وانتخب أميناً عاماً له (١٩٩١ – ١٩٩٥) وشارك أيضاً في تأسيس المؤتمر القومي ـ الإسلامي (١٩٩٣) ـ وتأسيس المنظمة العربية للترجمة (٢٠٠٠) ـ والمنظمة العربية لمكافحة الفساد (٢٠٠٥). وهو منذ تأسيس هذه المنظمات عضو فاعل فيها.
- له عدد من الكتب باللغتين العربية والانكليزية (صدر أولها في عام ١٩٦٤) إضافةً إلى أبحاثه ومقالاته العديدة في الدوريات العربية والمقابلات معه في وسائط الإعلام والفضائيات (جميعها موثقة في القائمة الببليوغرافية في ختام هذا الكتاب).

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١٤ دولاراً
أو ما يعادلها

ISBN 9953-82-095-3
9 789953 820958